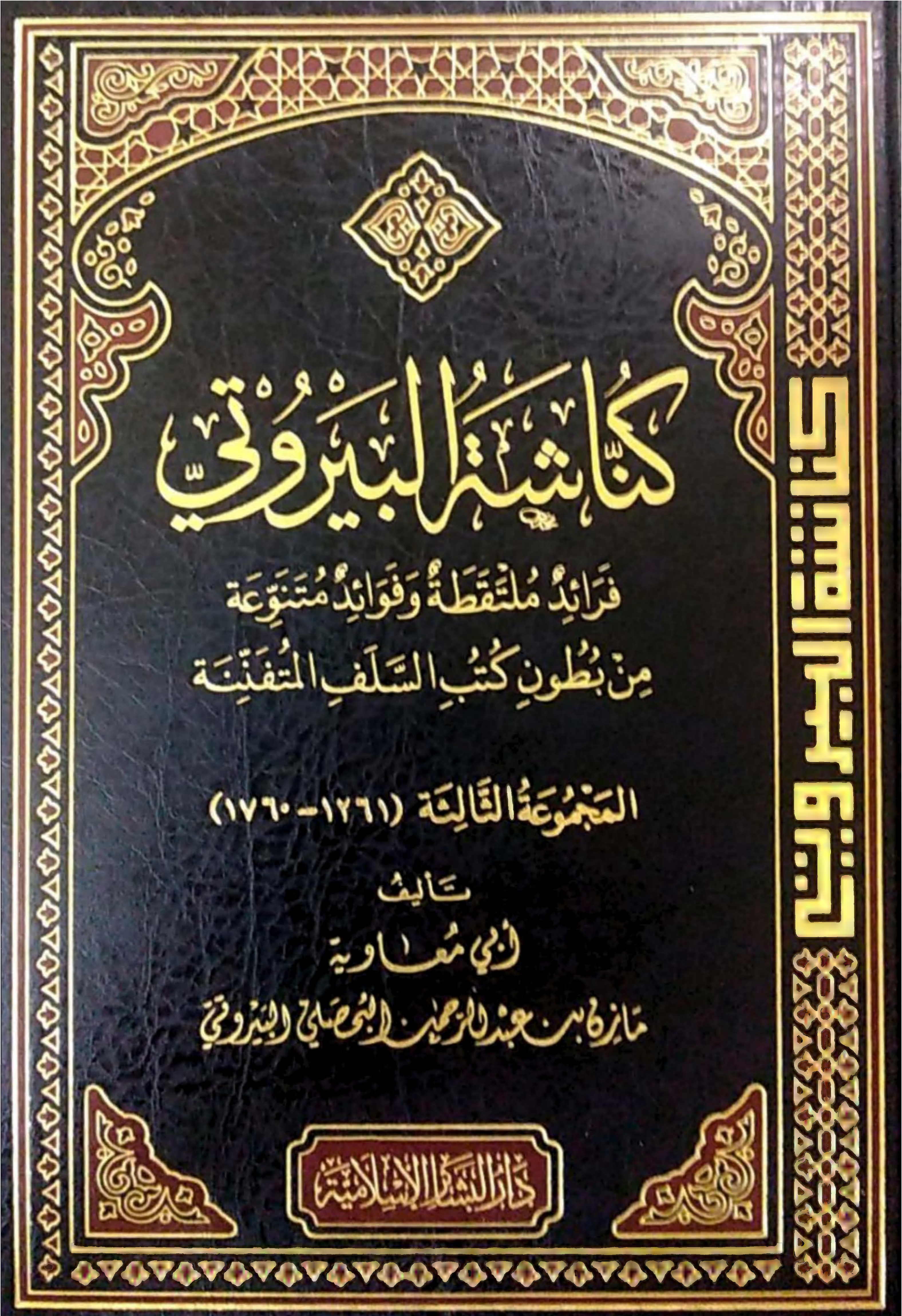

كناشة البيروتي
فرائد ملتقطة وفوائد متنوعة
من بطون كتب السلف المتفننة
المجموعة الثالثة (١٢٦١-١٧٦٠)
تأليف
أبي معاوية
مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي
دار البشائر الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار البشائر الإسلامية

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com



كناشة البيروتي

فرائدُ ملتقطةٌ وفوائدُ متنوِّعة من بُطونِ كُتُبِ السَّلَفِ المتفنِّنة

المجموعةُ الثَّالِثة (١٢٦١ - ١٧٦٠)

تأليف

أبي معاوية

مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي

دار البشائر الإسلامية



المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أمَّا بعد؛ فإنَّ خيرَ الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمَّد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، الحمد لله على ما أسبغ عليّ من نعمه الظاهرة والباطنة، والشكر له أنْ أعانني على إتمام الجزء الثالث من «**الكُنّاشة**»، وقد جمعتُ فيه الكثير من الفوائد من مختلف العلوم والفنون، ولا لذة ـ في الدنيا ـ فوق لذّة العلم! قال **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ) في «صيد الخاطر»: «فإن لذة العلم تزيد على كل لذة»، وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية** (ت٧٢٨هـ) ـ كما في «مجموع الفتاوى» ـ: «ولا ريب أنَّ لذة العلم أعظم اللذات، واللذة التي تبقى بعد الموت وتنفع في الآخرة هي لذة العلم بالله والعمل له». أسأل الله الكريم الإخلاص في القول والعمل، وأنْ ينفع بهذه «الأجزاء» عائلتي وإخواني وجميع المسلمين.

وتذكيراً بأهمية تقييد الفوائد، أنقل لكم ما كتبه مفتي بيروت **عبد الباسط الفاخوري** في مقدمة كنّاشته «مؤنس الجليس في أنفس نفيس»، قال: «إنّي كنتُ في مبادي العمر والطلب واشتغالي بفنون صنوف

العلم ومجالسة أهل الأدب، قد اتخذتُ كعادة أبناء جنسي سفينة وأوراقاً وجموعاً، وكنتُ بشحنها من الفوائد والمطالب العالية ولوعاً، من بحثٍ علميٍّ دقيق، ومجلسِ أدبٍ رقيق، ومعنىً مبتكر وشعرٍ أغر، ونكتة فائقة وفائدة نافعة، بيد أني ما شعرت من الشباب إلا بنفوده، ومن العمر إلا بصرف بعض نقوده، وقد تعذّر عن حصر هذه الأوراق الحد، وضاق عن نظم لآليها سلك العقد، **فتخوّفتُ بتداول الأيام بين الناس، وانقطاع موصول الوحشة وحذف الإيناس، من استواء هذه الأوراق والسفينة على جودي الضياع، وإيقاع المجموع والفوائد في زوايا الإهمال وخزائن الانقطاع، فجمعتها الآن في زبورٍ واحد**، ولم أرتبها على أبواب من الفوائد، تفكّهاً للمُطالِع وارتياحاً للسامع...». (انظر الفقرة ١٦٥٠).

ولي طلبٌ من القراء، وهو طلب الحافظ **أبي موسى المديني** (ت٥٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه في خاتمة كتابه «المجموع المغيث في غريبَي القرآن والحديث»، قال: بلغني بإسناد لم يحضرني، عن **الشافعي** فيما يغلب على ظنّي؛ أنه طالع كتاباً لَه مراراً عِدَّة يُصحِّحه، فلما نظر فيه بعد ذلك عَثَر على خَلَل فيه، فقال: «أَبَى اللهُ تعالى أن يَصِحَّ كِتابٌ غيرَ كتابه»! ثم قال: «وأنشد بَعضُ مشايخي عن بعضهم:

رُبَّ كِتابٍ قد تَصفَّحْتُه ... وقُلتُ في نفْسي صَحَّحْتُه

ثم إذا طَالعتُه ثانِياً ... رَأيتُ تصحيفاً فأصلَحتُه

فعَلَى الناظر في هذا الكتاب، إذا عَثَر على سهو فيه أو خطأ، أن يتأمل فيه منصِفاً، فإن كان صَوابُه أكثر عَفَا عن الخطأ وأَصلَحه، وترحَّم على جامعه وعَذَره بما شَقِيَ في جمعه وتَرتيبه، وأَفنَى من عمره في تَحصيله وتهذيبه، رغبةً في دُعاءِ المستفيد منه بالغُفران والعَفو، وتفَضُّل اللهِ تعالى على ذنوبه بالمَحْو، فإنه العفو الغفور الرحيم الكريم، وأنشِدُ قَولَ القائل:

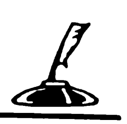
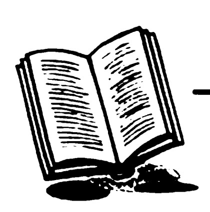
يَا ناظِراً في الكتَابِ بَعدِي ... مُجتنِياً من ثِمارِ جهدِي

إنّــي فَــقِــيــرٌ إلــى دعــاءٍ تُــهــدِ ... يــهِ لــي فــي ظَــلامِ لَــحْــدِي»

وأختم المقدمة بما ختم به **الميداني** (ت٥١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدّمته على كتابه «مجمع الأمثال»، قال: «وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من خَلَل يَرَاه أو لفظ لا يرضاه، فأنا كالمنكر لنفسه المغلوب على حِسِّه وحَدْسه. . .

وأُعيذ القارئ أن يَرِدَ صَفْوَ منهلِهِ التقاطاً ويشرب عَذْب زُلاله نقاطاً، ثم يتحزَّم لتَغْوِير مَنَابعه بالتعيير ويتشمر لتكدير مَشَارِعه بالتغيير! بل **المأمولُ أن يسد خَلَلَه ويُصْلح زَلَله، فقلَّما يخلو إنسان من نِسيان وقلم من طغيان**».

✍ وكتبه
أبو معاوية
مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي
بيروت، الأربعاء ٢٥ شعبان ١٤٣٧هـ
الموافق ١ حزيران ٢٠١٦م
ameedbohsali@gmail.com

باب العقيدة

١٢٦١ إثبات علوّ الله سبحانه على مخلوقاته:

قال ربنا سبحانه: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

هذه الآيات في إثبات علوِّ الله جلَّ وعَلَا على مخلوقاته، والمسألة مِن الواضحات، وكما قال بعض أهل العلم: «إن في القرآن ألف دليل يدل على علوِّ الله جل وعلا»!

وفي السُّنَّة النبوية أيضاً أدلَّة كثيرة على هذا العلو، أكتفي منها بقول النبي ﷺ: «**ارحموا مَن في الأرض، يرحمكم مَن في السماء**» (رواه أحمد وغيره)، ومعنى الحديث: ارحموا مَن على الأرض مِن البشر والحيوانات، يرحمكم مَن على السماء الذي هو الله تعالى؛ **أي: فوق السماء على العرش كما نطق به الكتاب والسُّنَّة**، و(في) هنا بمعنى **(على)**.

ولا ننسى دليل الفطرة على علوّ الله، فكل إنسان يجد في قلبه أنه إذا دَعَا توجَّه إلى العلو، يجدها ضرورة في نفسه، فإذا أراد أن يدعو تتجه روحه في طلب الفرج إلى جهة العلو، جعل الله جلَّ وعلا في

القلوب ضرورة إذا دعت واحتاجت إليه جلَّ وعلا وتوسَّلَت إليه وابتغت ما عنده أنها تتجه إلى العلو؛ وذلك يعني: تتجه إلى الله جلَّ وعلا المستوي على عرشه.

وقد ألَّف الحافظ **الذهبي** (ت٧٤٨هـ) كتاب «العلو للعلي العظيم» جمع فيه أدلة علوّ ربنا سبحانه على خلقه، أنصح بقراءته والرجوع إليه، والحمد لله رب العالمين.

١٢٦٢ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾:

ذكر ربنا سبحانه في القرآن الكريم استواءه على عرشه في سبعة مواضع [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، طه: ٥، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]، فورد **إثبات استواء الله على عرشه في سبع آيات من كتاب الله**، كلّها قد ورد فيها إثبات الاستواء بلفظ واحد هو: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، فهو نصٌّ في معناه الحقيقي لا يحتمل التأويل بمعنى آخر، والاستواء صفة فعلية ثابتة لله سبحانه على ما يليق بجلاله كسائر صفاته، وله في لغة العرب أربعة معان هي: «عَلَا، وارتفع، وصعد، واستقر»، وهذه المعاني الأربعة تدور عليها تفاسير السلف للاستواء الوارد في هذه الآيات الكريمة.

وقد نقل أميرُ المؤمنين في الحديث الإمام **البخاري** (ت٢٥٦هـ) في «صحيحه» ـ باب (٢٢) ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧] ـ تفسيرَ التابعي الجليل **أَبي الْعَالِيَةِ** (ت٩٠هـ) لقوله تعالى ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: ارْتَفَعَ، (قال ابن أبي داود (ت٣١٦هـ) في «شريعة المقارئ»: ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية/ «تهذيب الأسماء واللغات») ونقل تفسير العلّامة **مُجَاهِد** لقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ أي: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ، ثم أخرج البخاري (٧٤٢٠) حديث أمّ المؤمنين **زينب بنت جحش** رضي الله عنها أنها كانت تَفْخَر على أزواج النبي ﷺ؛ تقول: «**زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ**».

قال إمام المفسرين **أبو جعفر الطبري** (ت٣١٠هـ) في «تفسيره» لسورة البقرة (الآية ٢٩): «وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ **علَا عليهن وارتفع**، فدبرهنّ بقدرته، وخلقهنّ سبع سمٰوات، والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه ـ إذا تأوله بمعناه الْمُفْهِمِ كذلك...». اهـ.

ثم ساق الإمام الطبري بعض شُبه أهل البدع، وردّها.

١٢٦٣ من كَفَّر الخوارج من أهل العلم؟

قال الفقيه الحنبلي **منصور بن يونس البهوتي** (ت١٠٥١هـ) في «إعلام الأعلام بقتال من انتهك حرمة البيت الحرام»: الخوارج الذين يُكفّرون بالذنب، ويُكفّرون أهل الحق، وعثمان، وعليًّا، وطلحة، والزبير، وكثيراً من الصحابة، ويستحلّون دماء المسلمين وأموالهم إلّا من خرج معهم، فهؤلاء فسقة يجوز قتلهم.

وذهب الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه، وطائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفّارٌ مرتدّون، قال في «الترغيب» و«الرعاية»: وهي أشهر، وذكر ابن حامد أنه لا خلاف فيه. اهـ.

وقال **ابن قدامة المقدسي** (ت٦٢٠هـ) عنهم في «المغني»: ظاهر قول الفقهاء من أصحابنا المتأخرين أنهم بغاة حكمهم حكمهم، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث، ومالك يرى استتابتهم، فإنْ تابوا وإلا قُتِلوا على إفسادهم لا على كفرهم.

وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدون حكمهم حكم المرتدين وتباح دماؤهم وأموالهم، فإن تحيّزوا في مكان وكانت لهم منعة وشوكة صاروا أهل حرب كسائر الكفار، وإنْ كانوا في قبضة

الإمام استتابهم كاستتابة المرتدين، فإنْ تابوا وإلا ضُرِبت أعناقهم وكانت أموالهم فيئاً لا يرثهم ورثتهم المسلمون، لِمَا روى أبو سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق**»، رواه مالك في «موطئه» والبخاري في «صحيحه»، وهو حديث صحيح ثابت الإسناد، وفي لفظ قال: «**يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتهم فاقتلهم، فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**»، رواه البخاري، وروى معناه من وجوه، يقول: فكما خرج هذا السهم نقيًّا خالياً من الدم والفرث لم يتعلق منها بشيء كذلك خروج هؤلاء من الدين؛ يعني: الخوارج.

وعن أبي أمامة أنه رأى رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق فقال: كلاب النار! شرُّ قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٠٦]، فقيل له: أنتَ سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً ـ حتى عَدَّ سبعاً ـ ما حدّثتكموه. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

ورواه ابن ماجه عن سهل عن ابن عيينة عن أبي غالب أنه سمع أبا أمامة رضي الله عنه يقول: شرُّ قتلى قُتِلوا تحت أديم السماء وخير قتلى من قَتَلوا، كلاب أهل النار، كلاب أهل النار، كلاب أهل النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً! قلت: يا أبا أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعت رسول الله ﷺ. (وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»). اهـ.

١٢٦٤ طريقة جَدَّة العجيبة في تعليم حفيدها التوحيد والتوكل:

قال الفقيه أحمد بن أحمد زرُّوق (٨٤٦ ـ ٨٩٩هـ) في «كنّاشه» (ص١٣/ ط. المنشأة الشعبية): علّمتني جدّتي أم البنين الصلاة، وأمرتني بها، وأنا ابن خمس سنين، فكنتُ أصلّي إذّاك، وأدخلتني الكتّاب في هذا السن؛ فكانت تعلّمني التوحيد والتوكل والإيمان والديانة بطريق عجيب، وذلك أنها كانت في بعض الأيام تهيّئ لي طعاماً، فإذا جئتُ من الكُتّاب للفطور تقول: «ما عندي شيء، ولكن الرزق في خزائن المولى عزّ وجل، فاجلس نطلب الله»، فتمدُّ يديها، وأمدُّ يدي إلى السماء داعيَيْن ساعة، ثم تقول: «انظر! لعل الله جعل في أركان البيت شيئاً، فإنّ الرزق خفي»، فنقوم نُفَتِّش ـ أنا وهي ـ فإذا عثرتُ على ذلك الطعام يعظم فرحي به، وبالله الذي فتح به، فتقول: «تعال نشكر قبل أنْ نأكله، لأجل أنْ يزيدنا مولانا»، فنمدّ أيدينا، ونأخذ في الحمد والشكر لله ساعة، ثم نتناوله، ونفعل ذلك المرة بعد المرة، ولم تزل كذلك حتى عقلتُ.

وكانت تأمرني بالصلاة، فأُصَلِّي بلا وضوء، فتقول لها خالتي في ذلك، فتقول لها: «دعيه يصلِّي بلا وضوء حتى يصلي بالوضوء».

ولمّا ناهزتُ الاحتلام كانت تهيِّئ لي كلّ يوم درهماً، إذا قمتُ في الصبح أمدّ عيني وإذا بدرهم مطروح على الوسادة، فتقول: «صَلِّ الصُّبحَ، وتعال خُذْهُ». وتقول: «هذا الدرهم يعينه على الصلاة، ويمنعه من الفساد، ويقيه التشوف للناس في الشهوات».

١٢٦٥ هل المسلمون منهيُّون عن التكلُّم في الروح بتاتاً؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٠/ط. دار ابن حزم): لَيْسَ فِي الكتابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ نُهوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي الرُّوحِ بما دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، لا فِي ذَاتِهَا ولا في صِفَاتِهَا، وَأَمَّا الْكَلَامُ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ في كُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ قَدْ ثَبَتَ

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ فَيُسْمِعَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ. قَالَ: فَسَأَلُوهُ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى الْعَسِيبِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. اهـ.

وقال الحافظ **ابن كثير** (ت٧٧٤هـ) في «تفسيره» **(٣/ ٩٠/** ط. الصدّيق): وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها، وصنّفوا في ذلك كتباً. ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده، في كتاب سمعناه في الروح. اهـ. ونقل منه بعض النقول.

قلتُ: ومن أحسن من تكلّم على ذلك أيضاً العلامة ابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ) في كتابه «الروح»، وهو مطبوع، واختصره البقاعي (ت٨٨٥هـ) في كتابه «سرّ الروح»، وقد طُبعَ قديماً، قرأته واستخرجت منه فوائد، وذكر فيه البقاعي أموراً حصلت معه.

١٢٦٦ حكم قراءة الأبراج:

قال الشيخ **صالح آل الشيخ** حفظه الله: من قرأ الصفحة التي فيها الأبراج ـ وهو يعلم برجه الذي وُلِد فيه ـ أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهناً، فلا تقبل له صلاة أربعين يوماً، فإنْ صَدَّقَ بما في تلك البروج فقد كفر بما أُنْزِل على **محمد** ﷺ (كما جاء في الأحاديث الصحيحة).

... وإدخال شيء من الجرائد التي فيها ذلك في البيوت معناه إدخال للكهنة إلى البيوت!

• «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٣٤٩).



المقام الذي حدّث فيه النبي ﷺ بما كان وما هو كائن إلى قيام الساعة:

ورد هذا المقام من حديث عمر وحذيفة وأبي زيد والمغيرة بن شعبة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين:

١ ـ حديث **عمر** رضي الله عنه، قال:

قام فينا النبي ﷺ مقاماً، **فأخبرنا عن بَدءِ الخَلقِ حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.** (رواه البخاري **٣١٩٢**).

٢ ـ حديث **حذيفة** رضي الله عنه، قال:

قام فينا النبي ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً **يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة** إلّا حدّث به، **حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علِمَه أصحابي** هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجلِ إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. (رواه البخاري **٦٦٠٤** ومسلم **٢٨٩١**).

وجاء في إحدى روايات مسلم أن حذيفة قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائنٌ إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيءٌ إلّا قد سألته، إلّا أني لم أسأله ما يُخرِجُ أهلَ المدينةِ من المدينةِ؟ (انظر سبب إخراجهم في «النكت الظراف» (**٣/ ٤٧**))

٣ ـ حديث **أبي زيد عمرو بن أخطب** رضي الله عنه، قال:

صلّى بنا رسولُ الله ﷺ الفجرَ، وصَعِدَ المِنبر **فخطبنا حتى حضرت الظهر**، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر، **فخطبنا حتى حضرت العصر**، ثم نزل فصلّى، ثم صعد المنبر، **فخطبنا حتى غَرَبَت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ، فأعلَمُنا أحفَظُنا**. (رواه مسلم **٢٨٩٢**).

٤ ـ حديث **المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه:

رواه أحمد (**٤/ ٢٥٤**) بإسنادٍ ضعيف؛ **فيه عمر بن إبراهيم بن**

محمد بن الأسود، قال عنه ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (ص٢٩٥): قال العقيلي: لا يُتابَع في حديثه ـ وذكر حديث أحمد ـ، قال: وأما المتن فقد روي بأسانيدٍ جياد.

٥ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

رواه الترمذي (٢١٩١) ضمن حديثٍ طويلٍ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ (لأن في إسناده علي بن زيد بن جدعان)، وفي الباب عن المغيرة بن شعبة، وأبي زيد بن أخطب، وحذيفة، وأبي مريم، وذكروا أن النبي ﷺ حدّثهم بما هو كائن إلى قيام الساعة.

٦ ـ حديث أبي مريم رضي الله عنه:

رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»، والنسائي في «سننه» ـ وصححه الألباني ـ، والطبراني في «المعجم الكبير»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، من طرق عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ السَّلُولِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قال: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُؤَذِّنَ فَأَذَّنَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَهُ، فَأَقَامَ فَصَلَّى الْفَجْرَ، قال: وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، فأخبر بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. اهـ.

وهذا المقام من معجزات سيدنا محمد ﷺ:

قال **الذهبي** في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٦٦) ـ تعليقاً على حديث حذيفة السابق ـ: قد كان ﷺ يرتّل كلامه ويفسّره، فلعلّه قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزء، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود، لِمَا تهيّأ أن يقوله في سنة، بل ولا في أعوام، ففكِّر في هذا. اهـ.

وقال **ابن حجر** في «فتح الباري» (٦/ ٢٩١) ـ تعليقاً على حديث عمر السابق ـ: دلّ ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال

المخلوقات منذ ابتدأت إلى أن تفنى إلى أن تُبعَث، فشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد، وفي تيسير إيراد ذلك كلّه في مجلسٍ واحدٍ من خوارق العادة أمر عظيم، ويقرب ذلك مع كون معجزاته لا مرية في كثرتها أنه أُعطِيَ ﷺ جوامع الكلم. اهـ.

١٢٦٨ كتاب «النبي محمد ﷺ في كتب الهندوس» لصفي الرحمن المباركفوري (ولد سنة ١٩٤٢م ـ توفي سنة ١٤٢٧هـ)

من المعلوم أن للهندوس كتباً مقدسة وفي مقدمتها أربعة كتب، إلا أنه لا يسمح بقراءتها ومطالعتها إلا للكهنة ومن بلغ رتبة معينة في النسب والعبادة فقط دون سواهم، وأكثر هؤلاء الكهنة لا يفهمون نصف ما يُذكَر في كتبهم؛ لأن المكتوب بلغة تسمى (سنسكرت)، وهي لغة قديمة من قبل مئات السنين، بل هي أصل اللغات المتداولة في الهند، ففي هذه الكتب المقدسة توجد أوصاف كثيرة لنبي الرحمة للبشرية، وعند البحث لا تنطبق هذه الأوصاف إلا على نبينا محمد ﷺ، بل ذُكِرَ بأن اسمه يكون (الرجل الذي يكثر الحمد لربه)، فحيث إن كتب الهندوس لا يطالعها إلا النزر اليسير، فنتج عن ذلك جهل كثير من الهندوس عن هذه البشائر، وقد أسلم بعض كبار كهنة الهندوس بعد قراءتهم لهذه البشائر. فجمع الشيخ المباركفوري هذه البشائر لإقامة الحجة عليهم ولردع هجومهم على المسلمين، والكتاب مطبوع باللغة الأردية والهندية.

• منقول من موقع «المسلم».

١٢٦٩ ردُّ العلامة أحمد شاكر على مَن لم يفرِّق بين علم النجوم الجائز والمَنهِيّ عنه:

قال العلامة أحمد شاكر (١٣٠٩ ـ ١٣٧٧هـ/ ١٨٩٢ ـ ١٩٥٨م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقاً على تبديع الصنعاني ـ في «سبل السلام» ـ وصدّيق حسن خان ـ في «الدرر البهية» ـ لعلم النجوم بأكمله: يظهر أنّ صاحب «سُبُل السلام» ـ

ومِن بعده الشارح ـ لم يعرفا الفرق بين علم النجوم المَنهِيّ عنه ـ وهو دعوى معرفة الغيب بحسابها وما إلى ذلك ـ، وبين علم الفلك والميقات وتقدير منازل الشمس والقمر والنجوم، وهو من العلوم الصحيحة الثابتة ببراهين قطعية مَبنِيَّة على الحساب الصحيح، وبه يُعْلَم الكسوف والخسوف، ومواقيت الصلاة والشهور، وغير ذلك.

حقيقةً؛ لم يكن في عصره ﷺ ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولكنّا لا نسمّيه بدعة؛ لأنّ كل علم مستحدث ينفع الناس يجب تعلُّمه على بعض أفراد المسلمين؛ ليكون قوة لهم ترقى بها الأمة الإسلامية.

وإنّما البدعة ما استحدثه الناس في أنواع العبادات فقط، وما كان في غير العبادات، **ولم يخالف قواعد الشريعة**، فليس بدعة أصلاً، والله الموفق.

- «التعليقات الرضية على الروضة الندية» (١/ ٢٣٤/ ط. ابن عفان).

١٢٧٠ الجمع بين خبر تميم الداري عن الدجال وما عُرِف من حال ابن صيّاد:

قال الحافظ **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ): يُحتَمل في طريق الجمع بين خبر تميم الداري (رواه مسلم **٢٩٤٢**) وما عُرِف من حال ابن صياد أنّ الله تعالى أخرجه إلى الجزيرة المذكورة على الصفة المذكورة في ذلك الوقت حتى رآه تميم ومَن معه، وأخبر النبيَّ ﷺ بما سمعه منه في ذلك؛ ليكون موعظةً وتحذيراً من فتنته إذا خرج. وفيه إشارة إلى أنّ أموره ملتبسة غير متّضحة، ويُحتمل أن يكون الله ﷻ أظهر لأولئك مثالاً على صفته بما يؤول إليه حاله بعد أنْ يتحوّل من المدينة الشريفة، التي من شأنها أنْ تنفي خبثها، وأنّه يُسجَن في تلك الجزيرة إلى أنْ يَأذن الله تعالى في خروجه في الوقت الذي يريده، ويكون ذلك من الأمور التي يستمر منها خفاء حاله وعدم الوقوف على حقيقة أمره، لِما يريد الله تعالى من الافتتان به في أول أمره وفي آخره.

• نقله السخاوي في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» (ص٩٠٨/ ط. دار ابن حزم).

١٢٧١ خبث إدارة الجامعة الأميركية في محاولتها فرض دخول المسلمين للكنيسة، وحقيقة منشور الحكومة العثمانية الذي أخفته؟!

جاء في كتاب «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص٦٠٧) للمؤرخ **عبد اللطيف فاخوري**: أن عمدة الكلية الأميركية طلبت سنة **١٩٠٩**م من الطلاب كافة ـ بما فيهم المسلمون ـ الدخول إلى كنيسة الجامعة، ويبدو أن ذلك كان بهدف تعليم اللاهوت، وقد هددت الكلية مَن لا يمتثل إلى الأمر المذكور بإخراجه من المدرسة!

إلّا أن الطلاب المسلمين ـ على ما ذكرته صحيفة الاتحاد العثمانية في حينه ـ رفضوا الامتثال للأمر المذكور، وقرّروا قائلين: لا ندخل ولا نخرج؛ أي: لا ندخل إلى الكنيسة ولا نخرج من الجامعة، وذهب وفد منهم وقابل والي بيروت الذي قيل إنه استصوب رأيهم، وذكر في حينه أن حجّة الطلبة تمثَّلَت في أن ما طلبته العمدة يتعارض مع حرية العقيدة، وأنه لا يحق للعمدة سنّ نظام من نفسها ما لم تصدّق عليه الحكومة، وأنهم يعتبرون الكلية أميركية بالاسم، وأنها خاضعة للنظام العثماني...

ومن المهم ما ذكرته الصحيفة بعد ذلك ـ ويقتضي التثبت من حقيقته ـ من أن أحد الوجهاء أكّد لها أن **المنشور الرسمي** (الفرمان) الذي أُعطِيَ مِن قِبَل الحكومة العثمانية إلى جماعة من الأميركان في بيروت، صرَّح بأجلى بيان بأنّه **متى أصبحت البلدة (أي: بيروت) مستعدة للقيام بإدارة الكلية، فإنّ على الأميركان تسليمها للبلدة، بما فيها البنايات والمتحف**، وقال بأنّ **عمدة الكلية طبعت هذا المنشور في أول سنة من تأسيسها ووزّعته في البلدة ثم أخفته بالكلية!!**

ويبدو أن الأمر رُفِعَ إلى نظارة الداخلية في الآستانة، فورد تلغراف

منها مفاده الموافقة على موقف الطلاب، وأن سفارة أميركا في دار السعادة كتبت إلى قنصل أميركا في بيروت ليبلِّغه إلى إدارة الكلية. اهـ.

فهل ضاع هذا المنشور الخطير الفاضح للجامعة الأميركية في بيروت أم ستكشفه لنا الأيام؟!

١٢٧٢: وصية الشاعر القروي رشيد الخوري التي سطّر فيها إيمانه بوحدانية الله ونبوّة سيدنا محمد ﷺ:

قال الشاعر القروي **رشيد بن سليم الخوري (١٣٠٥ ـ ١٤٠٤هـ/ ١٨٨٧ ـ ١٩٨٤م)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيته التي أعلنها:

«تذكر المراجع التاريخية المتعددة أن الكنيسة المسيحية ظلَّت حتى القرن الرابع الميلادي تعبد الله على أنه الواحد الأحد، وأن يسوع المسيح عبده ورسوله، حتى تنصّر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلقٌ كثير من رعاياه اليونان والرومان، فأدخلوا عليها بدعة التثليث وجعلوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنداداً شاركوه منذ الأزل في خلق السماوات والأرض وتدبير الأكوان، ومالأهم الأسقف الإنطاكي مكاريوس الذي لقَّبَ نفسه أرثوذكسي (مستقيم الرأي)، فثار زميله الأسقف آريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدَّى إلى الاقتتال، فانعقدت المجامع للحوار وفاز آريوس بالحجة القاطعة فوزاً مبيناً.

بَيْدَ أنَّ السلطة التي هي أصل البلاء وضعت ثقلها في الميزان فأسكتت صوت الحق ونفذت الباطل، واستمر المسيحيُّون يعمهون في ضلالتهم والحق يتململ في قيده منتظراً (آريوساً جديداً) يعيده إلى نصابه، ولَكَم أتمنّى ـ وأنا الأرثوذكسي المولد ـ أن يكون هذا الآريوس بطريركاً أرثوذكسيًّا بطلاً ليصلح ما أفسده سلفه القديم ويمحو عنّا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيُّون، ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدراً لمعظم عللنا في السياسة وفي الدين سواء على السواء.

لقد كان في نيتي إعجاباً منِّي بمعجزة القرآن الكريم وإيماناً بصدق نبيِّنا العربي الذي أُنْزِل على روعه وبوضوح سيرته منذ ولادته حتى وفاته أن أكون قدوة لإخواني أدباء النصرانية فأدخل في دين الله، ولكن بدا لي أنّ الدعوة إلى تصحيحنا خطأ طارئ على ديننا تكون أكثر قبولاً وشمولاً من الدعوة إلى عدولنا عنه إلى سواه، فقرَّرتُ أن تكون الخطوة الأولى في سبيل إيقاظ الآريوسية الموحّدة من رقادها الطويل وتزول العقبة الوحيدة المفتعلة الفاصلة بين الدينين ونغدوا بزوالها إخواناً على سررٍ متقابلين، أما خطوتي المبتكرة المشار إليها فهي أنّي أذيع على الملأ عزوفي عن أرثوذكسيتي المكاريوسية إلى الأرثوذكسية الآريوسية».

• نقلها عمر وفيق الداعوق في تحقيقه لكتاب «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» (ص١٩٠/ط. دار البشائر الإسلامية)، وقد نقلها من كتاب «صفحات مضيئة من تراث الإسلام» للأستاذ أنور الجندي (ص٣٧١ ـ ٣٧٢).

وانظر للفائدة مقال الأستاذ أنور الجندي (١٣٣٥ ـ ١٤٢٢هـ/ ١٩١٧ ـ ٢٠٠٢م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**على طريق الأصالة: الأريوسية الموحدة**». وهاكم بعض أقوال الشاعر القروي:

ـ كتب عن رحلته إلى السعودية سنة ١٩٧٨م ملبياً لدعوة وزير الداخلية الأمير **نايف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومما قال فيها: . . . وحين هممنا بالهبوط قلت في نفسي: «سبحان الله! إننا نازلون في الجو العابق بطيب النبوة نفسها، الجو الذي نزل فيه الناموس الأكبر جبريل على نبينا العربي ﷺ، وذكرت قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٦ ـ ٩]». (جريدة الأنباء البرازيلية ـ العدد ٤٤٧).

ـ «أكبر عدو للصهيونية هو القرآن، هو الذي جَمَعَنا وألَّفَ بيننا، وهو الذي أبقى علينا وعلى لغتنا واستقلالنا، ولولاه لذهبنا من زمان،

لولا القرآن لما بقيت اللغة العربية، القرآن هو الذي أبقى على اللغة الفصحى». (جريدة الأنوار/ ٢١ آب ١٩٨٠م).

- «ليس تأخّر المسلمين اليوم ناتجاً عن فساد في دينهم يعوقهم عن التقدم، بل ناجماً عن تركهم نهجه السوي، وتخلّقهم بما كان ينبغي أن يتخلق به المسيحيون، فتقدُّم المسيحيون وتأخُّر المسلمين هو نتيجة تبادلهما العقيدة، وعمل كل من الملّتين بدين الأخرى إلى حد بعيد...». (البرازيل - ١٤ تشرين الأول ١٩٤٠م).

١٢٧٣ من خرافات العرب عن الجن: قولهم (دستور) لاستئذانهم!

كتب المستشرق الإنجليزي **إدوارد وليم لين (١٢١٦ - ١٢٩٣هـ/ ١٨٠١ - ١٨٧٦م)**:

يعتقد العرب بالخرافات اعتقاداً عظيماً. ويعد عرب مصر أكثرهم تعلّقاً بهذه الاعتقادات الباطلة. وأكثر هذه الخرافات اعتباراً الاعتقاد بالجن...

يخشى العرب الجن أخيارهم وأشرارهم كثيراً، ويحفظون لأخيارهم احتراماً عظيماً. وقد جرت العادة عند هذا الشعب عندما يصب أحدهم ماءً أو غيره على الأرض أن يصيح أو يدمدم (دستور) مستأذناً أو مستغفراً الجني الذي قد يوجد هناك... ويعتقدون أيضاً أن الجن يسكنون الأنهار والخرائب والآبار والحمامات والأفران والمراحيض. ولذلك عندما يدخل أحد مرحاضاً أو يدلي دلواً في بئر أو يوقد ناراً إلخ... يقول (دستور) أو (دستور يا مباركين)، ويتلو الداخل بيت الراحة هذه العبارة مبتهلاً إلى الله أنْ يحميه من الأرواح الشريرة. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نقلته من مقالة «المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر» للأستاذ عدلي طاهر نور. (مجلة الرسالة ١٣/ ٤/ ١٩٤٢م).

وهذه الصورة المشوهة عن الإسلام لم تكن لتُوجَد لو صدع علماء ذاك الوقت بالحق وحذروا من الشرك ووسائله! بل لعل بعضهم كان متلبساً به مؤمناً به والعياذ بالله! وللشيخ **صالح السحيمي** حفظه الله **فتوى صوتية** بهذا الشأن، ذكر **فيها أن هذا النداء دعاء واستغاثة بالجن من دون الله، وهو شرك أكبر يُخرج معتقده من حظيرة الإسلام!!**

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لِما لا نعلم.

١٢٧٤ حكم تلقيب سيدنا معاوية بـ(خال المؤمنين):

قال القاضي **أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء** (ت٤٥٨هـ) في كتابه «تنزيه خال المؤمنين معاوية من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان» (ص١٠٦/ ط. الرشد): يُسَمّى إخوة أزواج رسول الله ﷺ أخوال المؤمنين، ولسنا نريد بذلك أنهم أخوال في الحقيقة؛ كأخوال الأمهات من النسب، وإنما نريد أنهم في حكم الأخوال في بعض الأحكام؛ وهو التعظيم لهم؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «الخال والد» (ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٧١٢٦))؛ تعظيماً له.

وقد نصَّ أحمد (ت٢٤١هـ) على إطلاق هذه التسمية في رواية أبي طالب، فقال: «أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين».
وقال أبو بكر المروذي (ت٢٤٣هـ): سمعت هارون بن عبد الله يقول لأبي عبد الله (أي: الإمام أحمد): جاءني كتابٌ من الرقّة أنّ قوماً قالوا: لا نقول معاوية خال المؤمنين! فغضب وقال: «ما اعتراضهم في هذا الموضع؟! يُجفَون حتى يتوبوا». اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وكلام القاضي أبي يعلى يقع في الصفحات (١٠٦ ـ ١١٠) لمن أراد أن يُراجعه وينظر أدلته، وقال في آخر كلامه: «ولأنه إذا جاز إطلاق تسمية الأمهات على أزواج النبي ﷺ وإنْ لم يكونوا أمهات في الحقيقة؛ لأنه يجوز التزويج بأخواتهن وبناتهن،

وإنما جاز لأنهن في حكم الأمهات في تحريم العقد عليهن، كذلك جاز إطلاق تسمية الأخوال على إخوانهن في بعض الأحكام وهو التعظيم لهن».

١٢٧٥ ذبُّ العلّامة محمود شاكر عن الصحابة الكرام في مقالته «لا تسبُّوا أصحابي»:

قال العلّامة أبو فهر محمود شاكر (١٣٢٧ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩٩٧م) رَحِمَهُ اللهُ: حسب امرئ مسلم لله أن يبلغه قول رسول الله ﷺ: **«لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدَكم أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً؛ ما أدركَ مُدَّ أحدِهِم ولا نَصيفه»**؛ حتى يخشع لرب العالمين، ويسمع لنبي الله ويطيع، فَيَكُفَّ غَرْبَ لسانه وضراوة فكره عن أصحاب محمد ﷺ، ثم يعلم علماً لا يشوبه شكّ ولا ريبة: أنْ لا سبيل لأحد من أهل الأرض ـ ماضيهم وحاضرهم ـ أنْ يلحق أقل أصحابه درجة، مهما جهد في عبادته، ومهما تورّع في دينه، ومهما أخلص قلبه من خواطر السوء في سرِّه وعلانيته.

ومن أين يشك وكيف يطمع ورسول الله لا ينطق عن الهوى، ولا يداهن في دين، ولا يأمر الناس بما يعلم أن الحق في خلافه، ولا يحدِّث بخبر ولا ينعت أحداً بصفة؛ إلا بما علَّمه ربُّه وبما نبَّأه؟! وربُّه الذي يقول له ولأصحابه: ﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر: ٣٣ ـ ٣٥].

ثم يبيّن ﷺ عن كتاب ربه، فيقول: **«خيرُ الناسِ قرني، ثم الذي يلُونهم، ثم الذي يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادَتَه»**، ثم يزيد الأمر بياناً ﷺ، فيدلّ المؤمنين على المنزلة التي

أنزلها الله أصحابَ محمد رسول الله، فيقول: «**يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَح لهم**».

فإذا كان هذا مبلغ صحبة رسول الله ﷺ؛ فأيّ مسلم يطيق بعد هذا أن يبسط لسانه في أحد من صحابة محمد رسول الله؟! وبأي لسان يعتذر يوم يخاصمونه بين يدي ربهم؟! وما يقول وقد قامت عليه الحجة من كتاب الله ومن خبر نبيه؟! وأين يفرّ امرؤ يومئذ من عذاب ربه؟!

وليس معنى هذا أن أصحاب محمد رسول الله ﷺ معصومون عصمة الأنبياء، ولا أنهم لم يخطئوا قط ولم يسيئوا؛ فهم لم يدّعوا هذا، وليس يدّعيه أحد لهم، فهم يُخطِئون ويصيبون، ولكن الله فضَّلهم بصحبة رسوله، فتأدَّبوا بما أدَّبهم به، وحرصوا على أنْ يأتوا من الحق ما استطاعوا، وذلك حسبهم، وهو الذي أُمِرُوا به، وكانوا بعدُ توّابين أوّابين، كما وصفهم في محكم كتابه، فإذا أخطأ أحدهم، فليس يحل لهم ولا لأحد ممّن بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبِّهم والطعن عليهم.

هذا مجمل ما أدّبنا به الله ورسوله، بيد أن هذا المجمل أصبح مجهولاً مطروحاً عند أكثر من يتصدَّى لكتابة تاريخ الإسلام من أهل زماننا، فإذا قرأ أحدهم شيئاً فيه مطعن على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، سارع إلى التوغل في الطعن والسبِّ بلا تقوى ولا ورع، كلا، بل تراهم ينسون كلَّ ما تقضي به الفطرة من التثبّت من الأخبار المرويّة، على كثرة ما يحيط بها من الريب والشكوك، ومن الأسباب الداعية إلى الكذب في الأخبار، ومن العلل الدافعة إلى وضع الأحاديث المكذوبة على هؤلاء الصحابة...

• انظر باقي المقالة «**لا تسبُّوا أصحابي**» في جريدة «المسلمون»، (العدد الثالث/ سنة ١٣٧١هـ)، التي كتبها العلّامة محمود شاكر ردًّا على طعونات سيّد **قطب** في أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ! (وذكر بمقالته بعضها) وهم: أبو سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وهند بنت عتبة بن ربيعة؛ رضي الله عنهم، وأعاد نشر المقالة الشيخ ربيعُ المدخلي في مقدمة كتابه «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ».

١٢٧٦ واضع دين النصارى البروتستانت اقتبس بعض أحكامه من القرآن الكريم!

قال الدكتور **عمر فرُّوخ** (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧م) في كتابه «التجديد في المسلمين، لا في الإسلام» (ص١١/ ط. دار الكتاب العربي ـ ١٩٨١م): كنتُ أتفاوض مرةً مع أستاذي المستشرق الألماني **يوسف هل** (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠م)، وهو كاثوليكي، وذلك في أيام دراستي في ألمانية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٧م) في هذا الأمر، فقال لي: لا شكّ في أنّ **مارتن لوثر** (الألماني) كان ـ وهو يضع مذهبه الإصلاحي للنصرانية الكاثوليكية (المذهب البروتستانتي) في عام ١٥٢٠م (٩٢٧هـ) ـ يُطالع في مصحف (في نسخة من القرآن الكريم) بين يديه. لقد كان القرآن الكريم قد نُقِل إلى اللغة اللاتينية منذ القرن الثاني عشر (قبل لوثر بنحو أربعة قرون). ومن الأدلة على ذلك عددٌ من وجوه الإصلاح التي اقترحها لوثر (وهي موجودة في الإسلام ومخالفة لِما كان معمولاً به في النصرانية الكنسية):

ـ الإنسان ينجو في الآخرة بعمله الصالح لا بـحَلِّ الأسقفِ له من ذنوبه.

ـ لا مكان للصور في الكنيسة والعبادة.

ـ ليس للبابا عصمةٌ في نفسه ولا له سلطة على النصارى ولا قُدرة على غفران الذنوب.

ـ لا إكليركية (طبقات لرجال الدين).

- لا رُهبان، ورجال الدين كلُّهم يستطيعون أن يتزوّجوا.

- إنكار القُربان (قول الكنيسة الكاثوليكية بأنّ الخمر تنقلب بصلاةٍ من الكاهن فتُصبح دمَ المسيح، وينقلب الخبز فيصبح لحم المسيح).

- ليس للكاهن ثوبٌ خاص، ولا مكاناً خاصًا لإقامة القدّاس (الصلاة)، فكل إنسان يستطيع أن يقيم الصلاة ويقودَها (يؤمّ الناس فيها).

١٢٧٧ كيف اهتديتُ إلى التوحيد والصراط المستقيم:

دخلتُ الجامعة الأميركية في بيروت في تشرين الأول عام ١٩٩٣م وبدأتُ بدراسة (الهندسة المعمارية) لقرابة شهر، ثم لم أرد أنْ أُكْمِل فيها فتحوّلتُ إلى دراسة (علم الاقتصاد)؛ وكان عندي قَبول في التخصّصين، وبعد انتهاء الفصل الأول كانت هناك فترة استراحة لأسبوعين أو ثلاثة ابتدأ فيها شهر رمضان المبارك (في شباط عام ١٩٩٤م)، وقدّر اللهُ لي الهداية في أول يومٍ من هذا الشهر الفضيل، فالتزمتُ بالصلوات الخمس، وسعيتُ أن أؤدّيها في المسجد ما استطعت، وأرخيتُ لحيتي (ما زلتُ أذكر كيف زارني كثير من الأقارب في بدايتها ونصحوني أنْ أحلقها!) وبدأتُ أسأل مَن حولي عن ديني لأتعرّف عليه، مثل مَن أضاع أهله لفترة طويلة ثم عثر عليهم، وأراد - من شوقه - أنْ يعرف كلَّ شيءٍ عنهم، وبدأ فصل الربيع في الجامعة، والتقيت فيها بالعديد من الطلّاب من «التيارات الإسلامية»؛ كأتباع السلف الصالح، والصوفيين، والإخوانيين، والتحريريين، وغيرهم، وتعرّفت على أفكارهم ومناهجهم، والحمد لله انفتح قلبي لتعلّم العقيدة عند أتباع السلف الصالح، فبينما وجدت باقي الجماعات تتساهل في العقيدة؛ في باب التوحيد والشرك، والتعبّد بالبدع، والولاء والبراء، بل وتعتبرها تفرّق بين المسلمين! كانت العقيدة السلفية واضحة وقوية وتربط المرء بما كان عليه النبي ﷺ والصحابة

والتابعين لهم بإحسان، ولكن حصل عندي في البداية خلط في باب الأسماء والصفات في العقيدة لكثرة ما سمعت من أهل الكلام، يُخوّفونك من التجسيم، ويدّعون السلامة في التأويل أو التفويض، وكلاهما شر!

فكنتُ متردّداً بماذا أؤمن، إلى أنْ جاء اليوم الذي كنتُ أزور فيه أحد الإخوة السلفيين، وفتحَ الموضوع الذي أقلقني، وأراني كيف أن أهل الكلام يحرِّفون كلام رب العالمين عن مواضعه، ويخالفون ما فسّر به الصحابة رضوان الله عليهم ـ ومَن بعدهم ـ كلام الله، وبفضل الله كانت فيَّ خصلة ـ وما زالت بفضل الله ـ أني أقدِّم الدليل من الكتاب والسُّنَّة بفهم الصحابة والعلماء الربانيين على ما سواه، ونصحني الأخ بقراءة «العقيدة الواسطية» لابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكانت عندي نسخة مرتبة ومبوّبة، فبدأتُ أقرأها، وإذْ بها لبساطتها وقوتها تزيل ما عندي من غبش وحيرة! وأكثر الرسالة عبارة عن كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ، وهما النور الذي جاءنا من ربنا سبحانه، و«السُّنَّة تفسِّر القرآن وتبيّنه وتدلّ عليه وتعبِّر عنه، وما وصف الرسول به ربه عَزَّ وَجَلَّ من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها».

وأنصح الجميع بقراءة «العقيدة الواسطية» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وشروحاتها ـ وهي كثيرة ومتوفرة ـ، وبالرجوع للكناشة (٧٩٥) و(١٢٦٢).

١٢٧٨ ما هو كتاب العقيدة الذي نصح به الشيخ عبد الحميد كشك (١٩٣٣ ـ ١٩٩٦م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

قال الشيخ **سليمان الخراشي** حفظه الله: حدثني الشيخ الأديب الرحّالة محمد بن سعود الحمد ـ وفقه الله ـ، صاحب رسالة «موسوعة

الرحلات» ـ وله ترجمة في الجزء الأول من «قاموس الأدب والأدباء» ـ أنه زار الشيخ والخطيب المُفوّه **عبد الحميد كشك** رَحِمَهُ اللَّهُ في منزله بالقاهرة في شهر شوال من عام ١٤١١هـ، ووصف اللقاءَ بالحميمي والمرح؛ رغم ظروف الشيخ القاسية، ومنع الأمن له من مغادرة منزله.

يقول: فسألته بأي الكتب تنصحنا في مجال العقيدة؟ لمعرفة رأيه.

فأجاب الشيخ **كشك** بلهجته المصرية: «ما تتعبش حالك يا ابني! اعمل زي اللِّي أنا أعمله في عزلتي بمنزلي، حيث أنني عاكفٌ على أشرطة الشيخ **محمد بن عثيمين**، أستفيد منها، وعاكفٌ على تفسير القرآن».

قلت: عندما سمعت هذا من الشيخ الحمد لم أستغربه من الشيخ كشك رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنني سبق أن قرأت مذكراته، وفيها شكايته عندما كان طالباً بالأزهر من كتب العقيدة الأشعرية والماتريدية الكلامية المُتكلّفة. ممّا يدل على أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان متهيئاً منذ ذاك الوقت لتقبّل كتب العقيدة السلفية السهلة، التي تقوم على النصوص الشرعية ـ كما هو معلوم ـ، وتقبلها فطرة المسلم السوي.

١٢٧٩ من جرائم الخوارج ـ كلاب النار ـ في حق الصحابة الكرام!

١ ـ عبادة بن قرط (وقيل: قرص) الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روى **البخاري** في «التاريخ الكبير» (٦/ ٩٤) عن حميد بن هلال وعن أبي قتادة: عن عبادة بن قرص الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه أقبل من الغزو فكان بالأهواز يبيع أثواباً، فسمع أذاناً فأقبل نحوه، فإذا هو بالحَرورية، فقالوا: من أنت؟ فقال: أخوكم، فقالوا: أنت أخو الشيطان! فلما أرادوا قتله قال: أما ترضون بما رضي النبي ﷺ منّي؟! أتيته وأنا مشرك، فشهدتُ أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فخلّى عنّي. فقتلوه!

٢ ـ عبد الله بن خبّاب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

روى **ابن أبي شيبة** في «المصنف» عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ من عَبْدِ الْقَيْسِ، قال: كُنْتُ مَعَ الْخَوَارِجِ فَرَأَيْتُ مِنْهُمْ شَيْئاً كَرِهْته، فَفَارَقْتهمْ عَلَى أَنْ لا أُكْثِرَ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ إِذْ رَأَوْا رَجُلاً خَرَجَ كَأَنَّهُ فَزِعٌ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ نَهْرٌ، فَقَطَعُوا إِلَيْهِ النَّهْرَ، فَقَالُوا: كَأَنَّا رُعْنَاك، قال: أَجَلْ، قالوا: ومن أَنْتَ؟ قال: أَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قالوا: عِنْدَكَ حَدِيثٌ تُحَدِّثُنَاهُ، عَنْ أَبِيك، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقال: حدثني أبي عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِتْنَةً جَائِيَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فإن اسْتَطَعْت أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللهِ الْمَقْتُولَ فلا تَكُنْ عَبْدَ اللهِ الْقَاتِلَ**»، قال: فَقَرَّبُوهُ إِلَى النَّهرِ فَضَرَبُوا عُنُقه! فَرَأَيْتُ دَمَهُ يَسِيلُ على الْمَاءِ كَأَنَّهُ شِرَاكٌ مَا ابْذَقَرَّ بِالْمَاءِ حَتَّى تَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ دَعَوْا بِسُرِّيَّةٍ لَهُ حُبْلَى فَبَقَرُوا عَمَّا فِي بَطْنِهَا!

وروى **ابن أبي شيبة** أيضاً عن أبي مِجْلَزٍ، قال: نَهَى عَلِيٌّ أَصْحَابَهُ أَنْ يَبسُطُوا عَلَى الْخَوَارِجِ حَتَّى يُحْدِثُوا حَدَثاً، فَمَرُّوا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ فَأَخَذُوهُ، فَمَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تَمْرَةٍ سَاقِطَةٍ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا فَأَلْقَاهَا في فِيهِ، فقال بَعْضُهُمْ: تَمْرَةُ مُعَاهَدٍ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتها؟ فَأَلْقَاهَا من فِيهِ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى خِنْزِيرٍ فَنَفَحَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ، فقال بَعْضُهُمْ: خِنْزِيرُ مُعَاهَدٍ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْته؟ فقال عَبْدُ اللهِ: أَلَا أَدُلُّكُمْ على ما هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حُرْمَةً مِنْ هَذَا؟ قالوا: نَعَمْ، قال: أَنَا. فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقه!

١٢٨٠ هل أجساد الشهداء لا تبلى مثل أجساد الأنبياء؟

سأل رجلٌ **العلّامةَ الألباني**: يقولون: إن جثة الشهيد لا تبلى؛ يعني: مثل باقي جثث الأموات؟

فقال الشيخ رحمه الله: ليس هناك دليل في الشرع يخبرنا أنّ أجساد الشهداء لا تفنى كأجساد الأنبياء، عندنا نص **أن الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** (الحديث رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٧٤))، مثل هذا النص بالنسبة للشهداء لا يوجد إطلاقاً، لكن الذي وقع أن في التاريخ الإسلامي الأول بسبب حفريات اكتشفوا جثث بعض الشهداء كما هي، هذا صحيح وقع.

لكن هذا لا يعطينا قاعدة؛ أولاً: أنَّ كلَّ شهيد لا يبلى جسده، بل قد وجدت بعض الأجساد لغير شهداء، وهذا كما قلت آنفاً يجوز تكون إمّا الأمر يعود إلى طبيعة الأرض، أو أنَّ الله عز وجل العليم بأحوال الموتى، فقد يكرم بعضهم بأن يبقي جسده كما كان في... حياته، تكون كرامةً من الله لذاك الإنسان سواء كان شهيداً أو كان صالحاً غير شهيد، لكن ما يجوز أن نأخذ من ذلك قاعدة، فلا نقول على الله ما لا نعلم، نقول: **إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أما غير الأنبياء فلا دليل معنا بأن أجسادهم تبقى**. اهـ.

والكلام منقول من شريط «سلسلة الهدى والنور» (٣١٧)، وهاكم قصة حديثة صحيحة وقعت في عصرنا:

قال الشيخ **حمود التويجري** رحمه الله (ت١٤١٣هـ) في «قصص العقوبات والعبر والمواعظ» (ص١١٢): من القصص ما أخبرنا به الشيخ **عبد الرحمٰن بن فارس بن عبد العزيز الفارس** وهو من سكان مدينة الرياض قال: جاء سيل عظيم في وادي حنيفة في سنة تسع وخمسين وثلاث مئة وألف من الهجرة، فجرف الناحية التي تلي قبور الصحابة الذين قُتِلوا يوم اليمامة في سنة إحدى عشرة من الهجرة، فحصلت فرجة في أحد القبور ممّا يلي الوادي وبدا جسد الميت الذي كان في ذلك القبر.

قال الشيخ عبد الرحمٰن: فبلغني ذلك وأنا في ناحية الجبيلة فجئت مسرعاً، فإذا موضع القبر مرتفع في جانب الوادي لا يُوصل إليه إلا بسلّم.

قال: فجئت بأخشاب وأسندتها إلى موضع القبر وصعدتُ عليها فرأيتُ الميتَ في قبره لم يتغيَّر منه شيء وكأنه نائم، وقد كُفِّن في شملة بيضاء وربطت الشملة عليه بخوص النخل، وقد بدا وجهه وعيناه وأسنانه ورجلاه وخرجت عقيصة من عقائص رأسه طولها نحو ذراع فتدلَّت خارج القبر.

قال: فرفعتها وأدخلتها في الكفن ووضعت يدي على صفحة وجهه، وكأنما وضعتها على رجل نائم.

قال: ووجهه أبيض يميل إلى السمرة، وما بدا من شعر لحيته فهو أشمط، وعيناه مفتوحتان قليلاً، وقد بقي الخوص الذي ربطت به الشملة على لونه أخضر إلا أنه يابس.

قال: ولمّا علم به أهل الجبيلة ومن حولهم جعلوا يأتون إليه وينظرون إليه، فذهب إمام أهل الجبيلة ورئيس هيئة الأمر بالمعروف عندهم إلى الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ** (ت١٣٨٩هـ) فأخبراه بذلك، فأمرهما أن يأخذا معهما رجالاً ونعشاً يحملون الميت عليه، **وأمرهم أن يحفروا له في الليل قبراً في وسط القبور ويدفنوه ويعموا موضع قبره لئلا يُفْتَتن به الناس**، ففعلوا.

قال الشيخ حمود: لا شك أن هذا الميت من الشهداء الذين قُتِلوا في المعركة التي كانت بين الصحابة وبين أصحاب مسيلمة الكذاب. فيُحتمل أنه من الصحابة ﵃؛ لأنه قد اشتهر عند الناس أن القبور التي في ذلك الموضع قبور الصحابة. ويحتمل أنه من الذين كانوا يقاتلون مع الصحابة وليس منهم. والاحتمال الأول أقرب، والله أعلم.

وقد كان بين معركة اليمامة وبين ظهور هذا الميت ألف وثلاث مئة وثمان وأربعون سنة. ومع هذه المدة الطويلة فقد بقي الشهيد على حاله لم يتغيَّر منه شيء ولم يتغير كفنه ولا الخوص الذي ربط به الكفن، وفي هذا عبرة لأولي الألباب والعقول السليمة.

١٢٨١ ما هو القرين؟ وهل يرافق الميت في قبره؟

قال العلامة **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: القرين هو شيطان مسلّط على الإنسان بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، يأمره بالفحشاء وينهاه عن المعروف، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ولكن إذا مَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على العبد بقلب سليم، صادق متجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، مريد للآخرة، مؤثر لها على الدنيا، فإن الله تعالى يعينه على هذا القرين حتى يعجز عن إغوائه، ولذلك ينبغي للإنسان كلّما نزغه من الشيطان نزغٌ أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم، كما أمر الله، حيث قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. والمراد بنزغ الشيطان أن يأمرك بترك الطاعة، ويأمرك بفعل المعصية.

فإذا أحسست من نفسك الميل إلى ترك الطاعة، فذلك من الشيطان، أو الميل إلى فعل المعصية فهذا من الشيطان، فبادر بالاستعاذة بالله منه يعيذك الله عَزَّ وَجَلَّ منه، وأما كون هذا القرين يمتد بأن يكون مع الإنسان في قبره، فلا، فالظاهر ـ والله أعلم ـ بمجرد أن يموت الإنسان يفارقه؛ لأن مهمته التي كان مسخّراً لها قد انتهت، إذْ أنّ الإنسان إذا مات انقطع عمله ـ كما جاء عن النبي ﷺ ـ «**إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**». (رواه مسلم).

• «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (١٧/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨)، ويراجع أصل الكلام في «فتاوى نور على الدرب» (شريط رقم ٣١٥).

١٢٨٢ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يحرِّر مسألة وسائل الشرك!

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شريط «جلسة خاصة»: **الذهبي** (ت٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى في توحيد العبادة جيد، على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي الأسماء والصفات، وعقائد السلف في الإيمان... أما في وسائل الشرك، فإنه حصل له عدم تحرير فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، خاصة في كتابه الأخير «السير» الذي ألَّفه بعد وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية بعشر سنين، فعنده كثير من العبارات التي فيها تساهل بوسائل الشرك: كالدعاء عند القبور، والصلاة عندها، والتبرّك برؤية الصالحين، أو بالتبرك بالدعاء عند القبور، أو في الأماكن.. في المشاهد، أو أشباه هذا، فعنده تساهل في هذا راجع إلى عدم تحريره مسألة الوسائل، وسائل الشرك.

١٢٨٣ كيف كانت بداية الرافضة؟!!

قال عبد الرحمٰن بن عبد الله الخرقي: كان بدء الرافضة أن قوماً من الزنادقة اجتمعوا، فقالوا: نشتم نبيهم!! فقال كبيرهم: إذاً نُقتَل، فقالوا: نشتم أحباءه، فإنه يُقال: «إذا أردتَ أن تؤذي جارك فاضرب كلبه ثم تعتزل»، فنكفِّرهم.

فقالوا: الصحابة كلهم في النار إلا عليًّا!! ثم قال: كان علي هو النبي فأخطأ جبريل!!

• قلتُ: رواه الدينوري (ت٣٣٣هـ) في «المجالسة»، وسقط من المخطوط، ونقله السيوطي في «مفتاح الجنة».

١٢٨٤ العالِم الفيزيائي الشهير إسحاق نيوتن/Isaac Newton... ودعوته للتوحيد وإنكاره تثليث النصارى!

إسحاق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧م/ ١١٤٠هـ) عالم إنجليزي، ويُعَدّ من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور، وأحد

رموز الثورة العلمية، واشتهرت قصته بين عوام الناس أنه أتاه إلهام بصياغة نظريته حول الجاذبية بعد أن شاهد تفاحة تسقط من شجرة. شغل نيوتن منصب رئيس الجمعية الملكية، كما كان عضواً في البرلمان الإنجليزي، إضافة إلى توليه رئاسة دار سك العملة الملكية، وزمالته لكلية الثالوث في كامبريدج، وكان ثاني أستاذ لوكاسي للرياضيات في جامعة كامبريدج. أسّس كتابه «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية» الذي نشر لأول مرة عام ١٦٨٧م، لمعظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية. كما قدَّم نيوتن أيضاً مساهمات هامة في مجال البصريات، وشارك غوتفريد لايبنتز في وضع أسس التفاضل والتكامل، ولعظم أثره العلمي قام الأمريكي **مايكل هارت** ـ مؤلف كتاب «المئة الأكثر تأثيراً في التاريخ» الصادر عام ١٩٧٨م ـ بوضعه في المرتبة الثانية مباشرة بعد النبي محمد ﷺ وقبل المسيح عليه السلام!

يرى عدد قليل من المؤرخين أنّ **نيوتن** كان يؤمن بالنظرية الأرثوذكسية الشرقية حول الثالوث بدلاً من العقيدة الغربية التي تراها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والانجليكانية ومعظم الطوائف البروتستانتية، إلا أن هذه النظرية فقدت مؤيّديها في الآونة الأخيرة في ظل وجود أوراق نيوتن اللاهوتية، حيث يصنِّف معظم العلماء نيوتن باعتباره موحِّداً لا ثالوثيًّا. كان نيوتن يرى عبادة المسيح كإله أنها عبادة أصنام، وأنها الخطيئة الكبرى. ويقول المؤرخ ستيفن سنوبيلين عن نيوتن: **«كان إسحاق نيوتن مهرطقاً** (مهرطق كناية عن خروجه على عقيدة التثليث، **وطائفتي السوسينيين والأريوسيين هما طائفتا النصارى اللتان ترفض التثليث)** لكنه... **لم يسبق له أن أعلن على الملأ قناعاته الدينية المتطرفة، فقد أخفى أفكاره بدقة جعلت العلماء لا يزالون يتناقشون حول معتقداته الشخصية»، كما أكد سنوبيلين أن نيوتن كان على الأقل متعاطفاً مع طائفة السوسينيين (كان يملك وقرأ على الأقل ثمانية من كتبهم)، فهو من**

المحتمل آريوسي، وبالتأكيد لا ثالوثي. يستدل على ذلك برفض نيوتن تلقينه التعاليم المقدسة وهو على فراش الموت.

وعلى الرغم من أنّ وضعه لقوانين الحركة والجاذبية الكونية كانا أعظم إنجازاته، إلا أنه حذر من استخدامها بهدف تصوير الكون كآلة. فقال: «تفسّر الجاذبية حركة الكواكب، ولكنها لا تفسر مَن الذي يجعلها تتحرك. فالله يحكم كل شيء ويعرف كل شيء وما يمكن أن يكون»، ومع شهرته العلمية، درس نيوتن الكتاب المقدس وكتابات آباء الكنيسة، وكتب نقداً للنصوص، أبرزها «وصف تاريخي لتحريفين مهمين للكتاب المقدس»، وأكد أن صلب يسوع كان في ٣ أبريل ٣٣م، وحاول دون جدوى العثور على الرسائل المخفية داخل الكتاب المقدس، وكتب رسالة في قدر خمسين صفحة أثبت فيه تحريف عبارات في الإنجيل تدعو إلى عقيدة التثليث.

• استفدت السابق من ترجمة نيوتن في **الويكيبيديا** ومصادر أخرى.

فائدة: قوانين الحركة الثلاثة ـ وهي القوانين المنسوبة إلى نيوتن ـ اكتشفها المسلمون قبله في القرن العاشر الميلادي (كأبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي (ت١١٦٥م) في كتابه «المعتبر في الحكمة»)، وبفضلها قام علم الميكانيكا الحديث وجميع الآلات المتحركة.






باب
القرآن الكريم وعلومه وتفسيره

١٢٨٥ وصف القرآن العظيم:

قال نابغة البيان العربي **مصطفى صادق الرافعي** (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧م) في كتابه «إعجاز القرآن»: القرآن آيات منزّلةٌ من حول العرش، فالأرضُ بها سماءٌ، هي منها كواكبُ، بل الجندُ الإلٰهي قد نُشِر له من الفضيلة عَلَمٌ، وانضَوَتْ إليه من الأرواح مواكبُ، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه (أعراف) الضمائر فابتزّ (أنفالها). وكم صدُّوا عن سبيله صدًّا، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر؟

واعترضوه بالألسنة ردًّا ولعمري من يردّ على اللهِ القدر؟

وتخاطروا له بسفهائهم كما تخاطرت الفحول بأذناب، وفتحوا عليه من الحوادث كلَّ شدق فيه من كل داهية ناب.

فما كان إلا نور الشمس، لا يزالُ الجاهلُ يطمعُ في سرابه، ثم لا يضع منه قطرةً في سقائه، ويلقى الصبي غطاءه ليخفيه بحجابه، ثم لا يزال النور ينبسط على غطائه...

ألفاظٌ إذا اشتدَّت فأمواجُ البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاسُ الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عُمادُها ونظامُها، وتصفُ الآخرةَ فمنها جنّتها وضرامها، ومعانٍ بينا هي عذوبةٌ ترويك من ماء البيان، ورقّةٌ تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان...

وبينا هي ترفُّ بندى الحياة على الضمير، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير، وتهبّ عليها بأنفاس الرحمة، فتَنِم بسر هذا العالم الصغير...

ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان، إذا هي بعد ذلك إطباق السَّحاب، وقد انهارت قواعده، والتمعت ناره، وقصفت في الجوِّ رواعده.

• نقلتها بتصرف، وقال الرافعي في «رسائله»: يظهر لي أن أدباء المسيحيين جميعاً متغيظون من كتاب «إعجاز القرآن»، فأسأل الله أن يزيدهم غيظاً بالكتاب الجديد.

١٢٨٦ العربي الأصيل يعرف معنى كثيراً من الآيات بمجرّد سماعه تلاوتها:

قال فيصل بن عبد العزيز المبارك النجدي (ت١٣٧٦هـ) في مقدمة كتابه «توفيق الرحمٰن في دروس القرآن» (١/ ٥٧): **تنبيه: لم أبيّن التفسير في بعض المواضع؛ لأنه يظهر للعالم من سياق الآيات وكلام العرب الموجودين، خصوصاً مَن نشأ في بلادهم، وتجول فيها، فإنه يكاد يفسر القرآن ولو لم يسمع الآثار** ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. **وقد كنت في صغري أهاب سؤال العلماء في بعض ما يشكل عليّ من القرآن، فأسمع الكلمة من بعض الأعراب، فتزيل عني ما أشكل، فكنت أسمع قول الله تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢٠] **فجاءني أعرابي وأنا مع الغلمان، فقال لي: أين عمك؟ قلت له: ما هو في البيت. فقال لي: إذا جاء فقل له يقول حمود القحطاني: إذا ما جاء بين العشاوين جيت. فعرفت معنى الآية.**

وسمعت أعرابيًّا يقول: «طلعت عليّا الخيل تتبع الربْع تترا». فعرفت

معنى قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون، ٤١]؛ أي: يتبع بعضهم بعضاً.

وقد نشأت ـ ولله الحمد ـ في أصل العرب، وسرت في بلادهم بنجد، والحجاز، وتهامة، واليمن، والبحرين، وسمعت كلام البادية والحاضرة، وكان بعضهم ـ وهو أبي ـ إذا سمع القرآن عرف معناه بمجرد التلاوة.

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ [العاديات، ١ ـ ٥]، فقال الأعرابي: الخيل الخيل.

وسمعت أعرابيةٌ رجلاً يقرأ هذه الآية: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] فقالت: ويش الصلاة الوسطى؟ قال: صلاة العصر. فقالت: على شان وقتها ضيّق.

وتجادل رجلان فيما يفعله الجهال عند القبور من دعاء الموتى، وطلب الحاجات منهم، فقال أحدهما: هذا شرك؛ لأن الله تعالى يقول: . . . ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، فقال الآخر: ما يجوز لمثلي ومثلك أن يفسر القرآن. فسكت الرجل، وكان حليماً، وهو في بيت الآخر، فخرجت عليهم جارية جميلة فقال: يا فلان من هذه؟ قال: بنتي. فقال: لو تزوجتها. فضحك به وقال: أتزوج بنتي! فقال الرجل: هل في ذلك بأس؟ فقال: ما تسمع قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]؟ فقال: إنك تقول ما يجوز لمثلي ومثلك أن يفسر القرآن.

والمقصود: أن مَن كان لسانه عربيًّا، وفطرته مستقيمة، يعرف معنى القرآن بمجرد سماعه، وكثيراً ما يسألني الأعراب وغيرهم عن مسائل غامضة في الأيتام، فأتلو عليهم قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ

﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة، ٢٢٠]، فيعرفون الجواب بمجرد التلاوة، ويقنعون، فإذا انضم إلى العربية والفطرة السليمة معرفة سيرة النبي ﷺ كان ذلك نوراً على نور، والله الهادي والموفّق للصواب.

١٢٨٧ لا يتعين النسخ في القرآن إلا في خمس آيات:

قال **فيصل بن عبد العزيز المبارك النجدي** (ت١٣٧٦هـ) في مقدمة كتابه «توفيق الرحمٰن في دروس القرآن» (١/ ٥٢): المنسوخ باصطلاح المتأخرين عدد قليل قريباً من عشرين آية، وفي أكثرها نظر، ولا يتعين النسخ إلا في خمس آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠] منسوخة بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآيات [النساء: ١١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية منسوخة عند الجمهور بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ الآية [الأنفال: ٦٥] منسوخة بالآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٢] منسوخة

بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية [المجادلة: ١٢] منسوخة بالآية التي بعدها: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة: ١٣]. انتهى ملخصاً مع تقديم وتأخير.

قلتُ: والمتفق عليه من الخمس ثلاث آيات: آية الوصية، وآية القتال، وآية النجوى. اهـ.

١٢٨٨ هل مَنْ يَلْحَنُ فِي الفَاتِحَةِ تَصِحُّ صَلَاتُهُ أَمْ لَا؟

أَجَابَ شيخ الإسلام ابنُ تيمية (ت٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَمَّا اللَّحْنُ فِي الْفَاتِحَةِ الَّذِي لَا يُحِيلُ الْمَعْنَى فَتَصِحُّ صَلَاةُ صَاحِبِهِ إِمَاماً أَوْ مُنْفَرِداً، مِثْلَ أَنْ يقول: ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ **والضَّالِّينَ** (قال **البيروتي**: ذكر أحد الإخوة أنها تصحيف، والصواب: **الظالين**) ونَحْوَ ذلك، وأمَّا ما قُرِئَ به مثل: **الْحَمْدُ للهِ رَبَّ، وَرَبِّ، وَرَبُّ**، وَمِثْلُ: **الْحَمْدُ للهِ، وَالْحَمْدِ للهِ**، بِضَمِّ الدَّالِ أَوْ بِكَسْرِ الدَّالِ، وَمِثْلُ: **عَلَيْهُمْ وعَلَيْهُم وعليهُمُ**، وَأَمْثَالُ ذلك، فهذا لَا يُعَدُّ لَحْناً، وأَمَّا اللَّحْنُ الَّذِي يُحِيلُ الْمَعْنَى: إذا عَلِمَ صَاحِبُهُ مَعْنَاهُ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ﴾، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ لَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ يُحِيلُ الْمَعْنَى وَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ فَفِيهِ نِزَاعٌ، وَاللهِ أَعْلَمُ.

• «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٤٣).

١٢٨٩ افرحن يا معشر النساء! فالشقاء في الدنيا مكتوبٌ على الرجال فقط!

قال ربنا سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧]، قال العلامة **محمد الأمين الشنقيطي** (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره «أضواء البيان»:

تنبيه: أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة وجوب نفقة الزوجة على زوجها؛ لأن الله لما قال ﴿إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١١٧] بخطاب شامل لآدم وحواء، ثم خصّ آدم بالشقاء دونها في قوله ﴿فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ دلّ ذلك على أنه هو المكلّف بالكدّ عليها وتحصيل لوازم الحياة الضرورية لها: من مطعم، ومشرب، وملبس، ومسكن.

قال **أبو عبد الله القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه: وإنما خصَّه بذكر الشقاء ولم يقل (فتشقيا): يعلّمنا أن نفقة الزوجة على الزوج، فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج. فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية. وأَعْلَمَنا في هذه الآية: أن النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الأربعة: الطعام، والشراب، والكسوة، والمسكن. فإذا أعطاها هذه الأربعة فقد خرج إليها من نفقتها، فإن تفضل بعد ذلك فهو مأجور. فأما هذه الأربعة فلا بدّ منها؛ لأن بها إقامة المهجة. اهـ. منه.

وقال الرازي (ت٦٠٦هـ) في «تفسيره»: لِمَ أسندَ إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء مع اشتراكهما في الفعل؟ الجواب من وجهين: أحدهما: أن في ضمن شقاء الرجل وهو قيِّم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم، فاختص الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على رعاية الفاصلة. الثاني: أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة.

١٢٩٠ لماذا لم يذكر اللَّه ﷻ أمَّ يوسف رغم أنّ ألمَ الأم وخوفها على ولدها أكبرُ من الأب في الغالب؟!

كتب د. **عمر المقبل** حفظه الله: وردني هذا السؤال أكثر من مرة، فأحببت أن تشاركوني الفائدة: لماذا ذكر ﷻ تأسّف وحالة الأب **يعقوب** وحالته لفقدان ولده، ولم يذكر الله ﷻ **أمّ يوسف** رغم أن ألم الأم وخوفها على ولدها أكبر من الأب في الغالب؟!

ولماذا كان هناك غياب لأم يوسف من القصة القرآنية؟ مع أنها ذُكِرت في أواخر السورة: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]؟

فأجبتُ ـ ومن الله أستمد التوفيق ـ:

عَدَدٌ من المفسرين يرى أن الأم كانت ميتة، وأن قوله في ختام السورة ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أن الأمَّ هنا هي خالته؛ والخالة بمنزلة الأم. وفي هذا نظر ـ والعلم عند الله ـ لأنه خلاف الأصل في وصف الأبوة، والذي يظهر لي أن هذا الإخفاء لمشاعر الأم جارٍ على طريقة القرآن في ذكر الأدنى ليستدل به على الأعلى، فإذا كانت هذه مشاعر يعقوب ـ وهو رجل ـ فكيف بأم يوسف؟ لا شك أنها أشدّ. وقد يقال: وإن كان الأصل أن عاطفة الأم أقوى، لكن قد ترد حالات يكون فيها الأبُ شديد العاطفة ـ كما هو مشاهد ـ وقريباً من عاطفة الأم. وربما يقال: إن المراد هو إظهار معاناة الأنبياء دون غيرهم من الناس، فهم محل القدوة والتأسي. والله أعلم.

١٢٩١ كان عند الرئيس الأمريكي توماس جفرسون نسخة مترجمة من القرآن الكريم:

في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، بعدما حرق البريطانيون مكتبة الكونغرس سنة ١٨١٤م، أهدى الرئيس الأميركي المتقاعد **توماس جفرسون** (Thomas Jefferson) مكتبته الخاصة التي تحتوي على أكثر من

ستة آلاف كتابٍ إلى مكتبة الكونغرس لتكون نواة المكتبة الحديثة، ومن بين مكتبته مصحفٌ مترجمٌ إلى اللغة الانجليزية؛ اقتناه جفرسون سنة ١٧٦٤م أثناء دراسته الجامعية للحقوق في جامعة (ويليام أند ماري)، ويُعتقَد أن المصحف ساهم في قرار جفرسون في الدفاع عن حرية المعتقد طوال حياته؛ كما أفاد إريك فرايجر؛ أحد خبراء قسم الكتب النادرة والمجموعات الخاصة في مكتبة الكونغرس.

- نقلته من مقطع مرئي عن مكتبة الكونغرس نفّذه تلفاز «الجزيرة».

وتوماس جفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦م) كان الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأميركية، استلم رئاستها من سنة **١٨٠١** حتى **١٨٠٩م**، وهو مَن كَتَب وثيقة استقلالها.

١٢٩٢ لماذا لم يُذكَر أحدٌ من الصحابة في القرآن باسمه العَلَم إلّا زيد بن حارثة رضي الله عنه؟

قال **علي بن أحمد السبتي الأموي** ـ المعروف **بابن خُمَير** ـ (توفي بعد الست مئة بقليل) في كتابه «تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء» (ص٧٠/ط. دار الفكر المعاصر):

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

الوطرُ هنا النكاح.

واعلَمْ رحمك الله أنّ في هذه الآية فوائد جَمّة؛ منها أنّ الله تعالى جَعَلَ فيها لزيدٍ صِيتاً وشَرفاً خَصَّه به عن جُملة الصحابة رضي الله عنهم، وذلك أنه لم يذكُر في الكتاب منهم أحداً باسمه العَلَم إلا زيداً، وسبب ذلك والله أعلم أن النبيَّ ﷺ كان قد تَبنَّاه قبل ذلك، فكان يُدْعَى بابنِ رسول الله حتى نزل عليه: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، فسُمِّيَ بعد ذلك زيدَ بن حارثة، فعوَّضهُ الله تعالى بأنْ سَمَّاه في كتابه باسمه العَلَم.

وهذه القولةُ ليست لي، ولا يبلغ نظري إلى هذا القدر، وإنّما ذكرها الإمام **أبو بكر بن العربي** (ت٥٤٣هـ) في بعض تواليفه، ولا أعلم هل هي له أو لغيره، وإنَّ مَن غاص عليها لغوّاص، (وهي نكتة بارعة تخرج) من باب الإشارة، وقد يُحتمل أنْ تخرُج من باب الفقه، وهو أنْ يكون تسمية زيد بالعَلمِيَّة ليتبيَّن في الآية ثبوتُ هذا الحُكم ووقوعُه في أبناء التبنِّي، إذ لو قال تعالى: فلما قضى بعلها، لم يُعلَم مَن البعل من مُقتضى الآية.

١٢٩٣ من عجيب براعة وأمانة كاتب المصاحف ابن غطّوس الأندلسي (ت٦١٠هـ):

ترجم له معاصره **ابن الأبَّار** (ت٦٥٨هـ) في «التكملة لكتاب الصلة»، وقال: **محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن سهل الأنصاري**، من أهل بلنسية، يعرف بابن غطوس، ويكنى أبا عبد الله، يروي عن ابن هذيل فيما أحسب. كان يكتب المصاحف وينقطها، وانفرد في وقته بالإمامة في ذلك، براعة خط وجودة ضبط، ويُقال إنه كتب ألف نسخة من كتاب الله ﷻ، ولم يزل الملوك فمن دونهم يتنافسون فيها إلى اليوم، وكان قد آلى على نفسه ألَّا يخطّ حرفاً من غيره ولا يخلط به سواه تقرباً إلى الله وتنزيهاً لتنزيله، فما حنث فيما أعلم، وأقام على ذلك حياته كلّها، خَلف أباه وأخاه في هذه الصناعة التي تميزوا بها، وكان معروفاً فيها وفي إبداعها، آية من آيات خالقه مع الخير والصلاح والانقباض عن الناس والعزوف عنهم. اهـ.

وذكر **الصفدي** (ت٧٦٤هـ) في ترجمته في «الوافي بالوَفَيَات» عجباً من براعته وأمانته، فقال: أَخبرنِي من لَفظه الشَّيْخ الإِمَام الْحَافِظ **أَبُو الْحسن عَليّ بن الصياد الفاسي** بصَفَد سنة سِتّ وَعشْرين وَسبع ماية أَنه كان له بيت فيه آلة النّسخ والرقوق وغير ذلك لَا يدْخلهُ أحد من أَهله،

يدْخلهُ ويخلو بِنَفسِهِ، وربما قال لي إِنَّه كَانَ يضع الْمسك في الدواة، وَكَانَ مصحفه لَا يهديه إِلَّا بمايتي دِينَار، وَإِنَّ إنْسَاناً جَاءَ إِلَيْهِ من بلد بعيد مَسَافَة أَرْبَعِينَ يَوْماً ـ أو قال أكثر من ذَلِك ـ وأخذ مِنْهُ مُصحفاً، ولما كان بعد مُدَّة فَكَّر في أنه وضع نقطاً أَو ضبطاً على بعض الْحُرُوف فِي غير مَوْضِعه، وأنه سافر إلى تِلْكَ البَلَد وأتى إلى ذلك الرجل وَطلب الْمُصحف مِنْهُ، فتوهم أنه رَجَعَ في البيع فقال: قبضتَ الثّمن مني وتفاصلنا. فقال: لا بد أَنْ أَرَاهُ. فَلَمَّا أَتَى به إِلَيْهِ حَكَّ ذَلِك الْغَلَط وَأَصْلحهُ وَأَعَادَهُ إلى صاحبه ورجع إلى بَلَده، أَو كما قال.

١٢٩٤ ظاهرة المنامات في كتب القراءات وتراجم القراء، بحثٌ كتبه أ. د. يوسف حمدان:

١ ـ تكلّم الأستاذ في مقاله عن مدارس الإقراء الثلاث: مدرسة البصرة بإدارة سيدنا أبي موسى الأشعري، ومدرسة الشام بإدارة سيدنا أبي الدرداء، ومدرسة الكوفة بإدارة سيدنا عبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين.

٢ ـ ثم تحدّث عن انتقادات واعتراضات العلماء على قراءة حمزة الزيات، حتى وصل ببعضهم الأمر أن يعيد صلاته إنْ صلى خلف مَن يقرأ بقراءته! وذكر كلام المدافعين عنه.

٣ ـ بَيَّن أن الأهداف الإجمالية للمنامات كانت لتدعيم مواقف القراء وتعزيز مكاناتهم في الأوساط المحلية، وإسباغ شرعية وإضفاء مصداقية من باب الزيادة والإحسان على صحة القراءات من السبع والعشر وغيرها.

٤ ـ تطرق إلى استدلال خطير حيث تُجْعَل الرؤيا دليلاً على صحة قراءة كاملة للقرآن وخطأ من يخالفها! وضرب أول مثال بصاحب رؤيا

عرض فيها القارئ **حمزة الزيات** قراءته للقرآن كاملاً على رسول الله ﷺ، فقال: «كما أُنزِلَ عليّ»، ثم قال ابن غلبون ـ ناقل الرؤيا ـ أن قوله «كما أُنزِل عليّ» دليلٌ على صحّة قراءة حمزة وجهل من يلحّنه فيها ويردّ عليه!! ثم نقل د. يوسف حمدان منامَين آخرين في تأييد صحة قراءة حمزة.

٥ ـ ثم عقد الدكتور فصلاً طويلاً أورد فيه منامات وردت بحق: **ابن كثير المكي** (ت١٢٠هـ) وقراءته، و**نافع المدني** (ت١٦٩هـ)، و**حمزة الزيات** (ت١٥٦هـ)، و**الكسائي** (ت١٨٩هـ)، و**أبي عمرو بن العلاء البصري** (ت١٥٤هـ)، و**يعقوب الحضرمي** (ت٢٠٥هـ)، و**أبي جعفر** (ت١٢٨هـ)، و**إسحاق المسيبي** (ت٢٠٦هـ)، ثم قام الدكتور بتحليل المنام وبيان هدفه، وذكر انتقاد العلماء له إنْ وجِد أو نَقَدَه بنفسه.

٦ ـ استثنى الكاتب من بحثه **ابن عامر الدمشقي** (ت١١٨هـ) و**عاصم ابن أبي النجود الكوفي** (ت١٢٧هـ) و**خلف بن هشام** (ت٢٢٩هـ) حيث لم يقف على منامات بخصوصهم.

- مجلة «معهد الإمام الشاطبي»، العدد الرابع، ذو الحجة ١٤٢٨هـ.

١٢٩٥ حذف دولة مصر وسوريا المتحدة لسورة المائدة من كتاب مَدْرسي مقرّر إرضاءً لليهود!!

في زمن الوَحدة بين القطرين المصريِّ والسوريِّ (بين ١٩٥٨ و١٩٦١م)، اتفق **الشيخُ عبد الرحمٰن الباني** (١٣٣٥ ـ ١٤٣٢هـ) رحمه الله مع وزير المعارف في الحكومة المركزية بمصر السيِّد كمال الدِّين حسين على وضع منهج جيِّد لمقرَّرات التربية الدينيَّة، يخدم العقيدة والشريعة في البلدين، وقرَّر الشيخ الباني تدريسَ **سورة المائدة** في قسم التِّلاوة من كتاب الصفِّ الثالث الثانوي، ونفع الله بهذه السورة كثيراً من الطلاب في سوريا ومصر، ولكنَّ كثيراً من المسؤولين ضاقت صدورُهم بها!

وفي عام ١٩٧٨م ذهب الرئيس المصريُّ **أنور السادات** إلى فلسطين

لزيارة إخوانه اليهود المحتلِّين الذين أحسنوا ضيافته وأكرموه، ولا سيَّما رئيسُهم (**مناحيم بيغن**)، وفي إحدى جلسات التعاون بين البلدين سأل (بيغن) السادات مُستنكراً: إلى متى تعلِّمونَ أولادكم وشبابكم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة: ٧٨]؟! فقال: حاضر وتكرم وكل ما تريده سيكون!

ولم تلبث أن حُذفت **سورة المائدة** من الكتاب، واستُبدلَ بها **سورة النحل، وكان هذا استجابةً لرغبة (بيغن) رأس اليهود!** ولم يقتصر حذفها على الجانب المصري، ولكن تعدَّاه إلى الجانب السوريِّ، وإذا كان ذلك مفهوماً في مصرَ لاتفاق حكومتها على السلام مع اليهود فلا نكاد نجدُ له تفسيراً لتغييرها في سوريا!

وكان صرَّح وزير التربية السوري محمد نجيب السيِّد أحمد لبعض موجِّهي التربية الدينيَّة بضيقه بهذه السورة؛ قائلاً: كيف تُدرَّسُ سورة المائدة التي فيها: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ [المائدة: ١٧] وقد صرنا في القرن العشرين؟! كيف نصفُ جزءاً من الشعب بالكفر؟ فأجابه أحد الموجِّهين بحصافة: صرنا في القرن العشرين وما يزالُ هؤلاء يؤلِّهون بشراً ويزعمون أنه ابنُ ربِّ العالمين، فهل يُقبَل هذا؟! أوليس زعمُهم أبشعَ وأشنعَ من كلمة ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾؟ مُرْهُم يا سيادةَ الوزير بالتراجُع عن قولهم، لأنه لا يليق بالقرن العشرين!

أما سببُ اختيار الشيخ الباني لهذه السورة لتكونَ موضوعاً للدراسة فهو ما تضمَّنته من موضوعات مهمَّة وأحكام فقهيَّة؛ أذكر منها على سبيل الإجمال:

بعض أحكام الصلاة والحجِّ والجهاد، وما يحلُّ ويحرُم من الذَّبائح، وبعض أحكام المعاملات والوصايا والأيمان والنذور،

ووجوب الحُكم بما أنزل الله، وأحكام التعامُل مع أهل الذمَّة، والكشف عن عيوب عقائد اليهود والنصارى، ومعاملة المنافقين والكشف عن تآمُرهم، مع عرض قصَّة سيِّدنا عيسى مع الحَواريِّين عليهم السلام . . . وغيرها من الأحكام والمواضيع.

وقد اختيرَ بدلاً منها **سورةُ النحل** التي تسمَّى **سورةَ النِّعَم**؛ لأنها تعُدُّ نعمَ الله وتحصيها، ولا تتعرَّض لما تعرَّضت له **سورة المائدة**.

ولم يبقَ إلا أن أشيرَ إلى أن القائمين على طباعة الكتُب المدرسيَّة في سوريا حين حذفوا **سورة المائدة** من الكتاب المقرَّر فاتَهُم خطأً حذفُ عنوانها من الفِهرس، فاستغللتُ الأمر وبقيتُ أُدَرِّس السورة وأفسِّرها للطلاب وأوضح ما فيها من أحكام مهمَّة. . وحين يعترضون كنت أحتجُّ بأنها مذكورةٌ في الفِهرس، فلا بدَّ إذن من دراستها!

• نقلته من «مجالس المحدِّث الألباني في منزل الشيخ الباني» (١) للشيخ عبد الله بن محمد علُّوش الدومي.

١٢٩٦ فقير يقرأ القرآن بالسبع، لكنه لم يعرّض القرآن للمسألة!

قال **التنوخي** (ت٣٨٤هـ) في «نشوار المحاضرة»: حدّثني عبد الله بن أحمد بن بكر البصري، قال: قال لي ابن عباد، وكان يقرأ بالسبعة، فكنت أسمعه طول الليل يقرأ، وكان فقيراً، فإذا كان النهار، خرج يتصدّق، فأسمعه ينشد على الطريق الرقائق والزهديّات، لا أسمعه يتصدّق بغيرها.

فقلت له يوماً: يا فلان، أنت تحفظ القرآن، وأراك تتصدّق بالرقائق، فكيف لا تقرأ وتتصدّق كما يفعل الأضرّاء؟

فقال: والله لا أعرّض القرآن للمسألة أبداً.

١٢٩٧ حفظ القرآن بعد التسعين من العمر!!

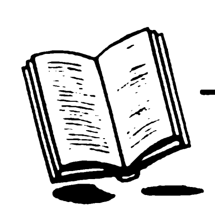
قال د. **عماد الدين خليل العراقي** (ولد ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ـ وهو يذكر مَن دَرَّسَه في المرحلة المتوسّطة ـ: **عبد الرحمٰن صالح** ضابط متقاعد كان يعمل في الجيش العثماني؛ فلمّا تفكّكت الدولة العثمانية تحوّل إلى خط التدريس، وإلى تدريس التاريخ بالذات، فكان عبد الرحمٰن صالح ـ وقد أوغل فيما بعد في العمر حتى أوشك على المئة ـ مدهشاً عندما آلى على نفسه ـ وقد تجاوز التسعين من العمر ـ أن يحفظ كتاب الله! فكان يجلس الساعات الطوال على الاستجابة لهذا التحدّي حتى حقّق أمنيته وقد تجاوز التسعين من العمر! ثم ما لبث بعدها أن توفّي وهو يحمل بين جنبيه حفظه لكتاب الله جواز سفره إلى الله تبارك وتعالى.

● نسختها من رسالة الباحث عبد الحكيم الشبرمي «عماد الدين خليل، حياته وآراؤه النقدية».

١٢٩٨ أمرتك أن تأتيني بسكران.. فجئتني بمقرئ بلخ!!

قال الفقيه **أبو بكر محمد بن أحمد السَّرَخْسِي** (ت٤٩٠هـ، وقيل ٤٨٣هـ) في كتابه «المبسوط»: حُكِيَ أن أئمة بلخ رحمهم الله اتفقوا على أنه (أي: شارب الخمر) يُسْتَقرأ سورة من القرآن، فإنْ أمكنه أن يقرأها فليس بسكران، حتى حُكِيَ أن أميراً ببلخ أتاه بعض الشرط بسكران، فأمره الأمير أن يقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، فقال السكران للأمير: اقرأ أنتَ سورة الفاتحة أولاً! فلما قال الأمير: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، فقال: قُفْ! فقد أخطأت من وجهين، تركت التعوّذ عند افتتاح القراءة وتركت التسمية وهي آية من الفاتحة عند بعض الأئمة والقراء، فخجل الأمير وجعل يضرب الشرطي الذي جاء به ويقول له: أمرتك أن تأتيني بسكران فجئتني بمقرئ بلخ!!

❋ ❋ ❋

باب
الحديث النبوي ودراساته وتخريجاته

١٢٩٩ إياكَ أن تتكلَّم في أصحاب الحديث، فلستَ بشيء، ولا تحسن شيئاً!

قال **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ) في «الكفاية في علم الرواية»: أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن جعفر الخرقي، أنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي قال: حدثنا **أبو العباس أحمد بن علي الأبّار** (ت٢٩٠هـ) قال: رأيت بالأهواز رجلاً حَفَّ شاربه ـ وأظنه قد اشترى كتباً ـ وتعَبَّأ للفتيا، فذكروا أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء، وليس يسوون شيئاً! فقلت له: أنتَ لا تحسن تصلي! قال: أنا؟! قلت: نعم، قلت: أيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا افتتحت الصلاة ورفعت يديك؟ فسكت، فقلت: وأيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا وضعت يديك على ركبتيك، فسكت، قلت: أيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا سجدت؟ فسكت، قلت: ما لك لا تكلم؟ ألم أقل لك أنّك لا تحسن تصلي، أنت إنّما قِيل لكَ تصلِّي الغداة ركعتين والظهر أربعاً، فالزم ذا خير لك من أن تذكر أصحاب الحديث، فلستَ بشيء ولا تحسن شيئاً! اهـ.

وقال **الخطيب** قبل نقله لهذه الرواية: ذَمَّ الحديثَ وأهلَه بعضُ من ارتسم بالفتوى في الدين، ورأى عند إعجابه بنفسه أنّه أحد الأئمة المجتهدين بصدوفه عن الآثار إلى الرأي المرذول وتحكّمه في الدين برأيه المعلول، وذلك منه غاية الجهل ونهاية التقصير عن مرتبة الفضل، ينتسب إلى قوم تهيَّبوا كدَّ الطلب ومعاناة ما فيه من المشقة والنصب، وأعيتهم

الأحاديث أنْ يحفظوها واختلفت عليهم الأسانيد فلم يضبطوها، فجانبوا ما استثقلوا وعادَوا ما جَهِلوا وآثروا الدعة واستلذوا الراحة، ثم تصدَّروا في المجالس قبل الحين الذي يستحقونه وأخذوا أنفسهم بالطعن على العلم الذي لا يحسنونه، إنْ تعاطى أحدهم رواية حديث فمن صُحُفٍ ابتاعها كُفِيَ مؤونة جمعها من غير سماع لها ولا معرفة بحال ناقلها، وإنْ حفظ شيئاً منها خَلَط الغثّ بالسمين وألحق الصحيح بالسقيم، وإنْ قلب عليه إسناد خبرٍ أو سُئِل عن علة تتعلق بأثر تحيَّر واختلط وعَبَث بلحيته وامتخط تورية عن مستور جهالته، فهو كالحمار في طاحونته! ثم رأى مِمَّن يحفظ الحديث ويعانيه ما ليس في وسعه الجريان فيه فلجأ الى الازدراء بفرسانه واعتصم بالطعن على الراكضين في ميدانه.

١٣٠٠ الشكوى من إعراض الناس عن علم الحديث ـ وأسبابها ـ في القرن السادس الهجري!

قال المحدث الفقيه عمر بن بدر الموصلي (٥٥٧ ـ ٦٢٢هـ) في مقدمة كتابه «الجمع بين الصحيحين مع حذف السند والمكرر من البَيْن» (١/ ٢٣/ ط. المكتب الإسلامي): لمّا كان علم الحديث من أشرف العلوم، ورأيت إعراض الناس عنه، وسبب إعراضهم عنه أربعة أشياء:

١ ـ أنه حق محض.

٢ ـ كثرته.

٣ ـ أنه يحتاج إلى الأسفار.

٤ ـ أنه يُسأَم من طول الأسانيد والمكرّر من المتون.

فجمعتُ كتابي هذا، وحذفت منه الأسانيد والمكرَّر من المتون، إلَّا ما كان يحتمل إدخاله في أبواب متعددة، فإنا اضطررنا إلى إعادته لئلا يخلو الباب منه.

١٣٠١ مصطلح (الكتب التسعة):

قال الشيخ **محمد خلف سلامة** في «لسان المحدِّثين»: **الكتب التسعة:**

يظهر أن أول من أطلق تسمية الكتب الستة هو الحافظ الحازمي؛ وأما الكتب التسعة فلعل أول من جعلها مجتمعةً موضوعاً لكتاب مختص بها المستشرقون أصحاب «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، فقد جعلوها معجماً لألفاظ الكتب الستة الشهيرة ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

ولهذا كره بعض المشايخ والباحثين إطلاق هذا اللفظ لأنه غير متعارف عليه بين أهل الحديث، وكأنهم رأوا أنه لا يحسُن من أهل الحديث أن يسيروا خلف المستشرقين في اصطلاح ابتكروه في غير فنهم بل في غير دينهم، أو بُني على عمل قاموا به لم يسبقهم أحد من المسلمين إلى مثله.

وقيل تعقباً لمن كره ذلك الاصطلاح: «لا وجه لكراهة ذلك، فهو مجرد اصطلاح لا يختلف عن اصطلاح «الكتب الستة» «الكتب الخمسة»... إلخ؛ ومن كره الأخير دون الأول فعليه أن يبين الفرق بينهما!». اهـ.

ثم صارت كلمة «الكتب التسعة» اصطلاحاً لشركة صخر البرامجية، فاشتهر هذا المصطلح عند المعاصرين. اهـ كلام الشيخ سلامة.

وقال الشيخ **صالح الشامي** في «جامع الأصول التسعة» (١/ ٢٩ ـ حاشية/ ط. المكتب الإسلامي ـ ٢٠١٥م): لم أجد بعد البحث أحداً تحدّث عن هذا المصطلح «الكتب التسعة» وكيف نشأ... اهـ.

قلتُ: نَشَرَ الشيخ محمد خلف سلامة كتابه عام ٢٠٠٧م.

١٣٠٢ المآخذ على «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» الذي صنعه المستشرقون:

هذا اختصاري لبحثٍ كتبه **شاكر ذيب فياض**، ونُشِرَ في مجلة جامعة الملك سعود ـ العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ولا يُفهَم أن الكاتب يذمّ الكتاب، بل قال: لا أظن أحداً ينازع في القول بأن «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» يعتبر من أهم الكتب التي يستفاد منها في مجال الدلالة على مواضع الأحاديث النبوية. . . غيْرَ أَنَّ ثَمَّةَ صِعَاباً واجهت المشتغلين عليه، أدَّت إلى وجود بعض الثغرات في هذا العمل الرائد. . . فأرجو أَنْ تكون هذه الدراسة عَوْناً لكل باحث وَسَنَداً لكل مطالع في الكتاب وناظر فيه، ولقد رأيت أن المآخذ على «المعجم المفهرس» ـ إذا ما استبعدنا الأخطاء الطباعية ـ تنتظم في النقاط الثماني التالية، وهي:

١ ـ النَّقْصُ في الكَلِمَاتِ الأُصولِ، وعَدَمِ المَنْهَجِيَّةِ في إِسْقَاطِ مَا يَسْقُطُ من كلماتٍ:

يمكن لكل من يستخدم كتاب «المعجم المفهرس» أن يلاحظ أن فيه نقصاً كبيراً، يكاد يوجد في كل حديث من أحاديث «الكتب التسعة» التي اعتمدها. ذلك أنه يكتفي بذكر بعض كلمات الحديث ويهمل غيرها. وهذا النقص مُتَعَمَّدٌ مَقْصُودٌ، والغرض فيه مراعاة النفقات المالية الباهظة للكتاب كما تقدم في مقدمة البحث.

٢ ـ أَحَادِيثُ لَمْ تُذْكَرْ فِي «المُعْجِم»:

وقد ظهر لي أن أحاديث لم تذكر في «المعجم المفهرس» عند أي كلمة من كلماتها الكثيرة.

٣ ـ وُرُودُ أَلْفَاظٍ فِي «المُعْجِم» غَيْرَ أَلْفَاظِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ:

يظهر من تسمية «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» أنه

يقتصر على ذكر ألفاظ الأحاديث النبوية لا غير، لكن يُلاحظ أن ألفاظاً وردت في «المعجم» لا علاقة لها بالحديث النبوي، ووُضعت فيه على قدم المساواة مع ألفاظ الأحاديث النبوية، دونما تمييز أو بيان، وفي هذا معارضة لظاهر تسمية «المعجم» ومعارضة أيضاً لمنهج الاختصار المتقدم عند **فنسنك** وغيره كما أشار **ويتكام**، إذ الأولى أن يكون الحذف لهذه الكلمات لا لغيرها من ألفاظ الأحاديث.

٤ ـ المَشَقَّةُ فِي الإِفَادَةِ مِنَ الإِحَالَاتِ فِي «المُعْجم».

٥ ـ اللُّغَةُ: ويؤخذ على «المعجم» فيها أمران:

الأول: أنه يرجع الكلمة ـ في بعض الأحيان ـ إلى غير جذرها، فيترتب عليه أن يضعها في غير موضعها المناسب.

الثاني: أنه يخطىء في قراءة بعض الكلمات، ويضبطها خطأ، ومن ثم يوردها في غير موضعها الصحيح. (قال أبو معاوية البيروتي: انظر خطأً طريفاً وقع في الفقرة (١٣١٥)).

٦ ـ الجَمْعُ بين المَقاطع المُخْتَلِفَةِ واعْتِبارِها مَقْطَعاً واحداً:

ويؤخذ على «المعجم» أنه ـ أَحْيَاناً ـ يجمع بين المقاطع المختلفة مُعْتَبِراً إِيَّاهَا مقطعاً وَاحِداً، ويذكر لها مصادر دونما تمييز بينها، فيضطر الباحث عن مقطع منها إلى النظر في جميع المصادر المذكورة. ولعل صنيعه هذا نتيجة للاختصار الذي حرص عليه كما وضحت ذلك في مقدمة هذا البحث.

٧ ـ التفريقُ بين المقاطعِ المُتَشَابِهَةِ:

ويقابل ما ذكر في المأخذ السابق، أن «المعجم» يذكر ـ أَحْيَاناً ـ مقطعين متشابهين أو متماثلين عند كلمة واحدة، ويذكر لكل منهما مصادره الخاصة به، دون أن يكون أي مُبَرِّرٍ لهذا التفريق. **فالأَوْلَى في ذلك أن يجعلهما مَقْطَعاً وَاحِداً، وأن يجمع بين مصادرهما.**

٨ ـ ذِكْرُ المَقْطَعِ قَدْ لَا يَدُلُّ عَلَى الحَدِيثِ:

الأصل في إيراد المقاطع تحت الكلمات أن تدل على الأحاديث، وتميز بعضها من بعض، وعلى هذا العمل في «المعجم»، لكن يؤخذ عليه ـ أَحْيَاناً ـ أنه يذكر عند بعض الكلمات، مَقْطَعاً مَا ويذكر مصادره، وعند الرجوع إلى هذه المصادر أو بعضها فإننا لا نجد المقطع المذكور، بل نجد مَقْطَعاً مُخْتَلِفاً من حديث آخر مختلف. وما من رابطة بين المقطع والحديث إلا أن كلمة واحدة مشتركة وردت فيهما. فالأولى في هذه الحالة أن يذكر مقطعاً آخراً عند الكلمة ذاتها يدل بحق على الحديث في المصدر.

١٣٠٣ تصحيح خطأ رواية حديث «ولم يكمل من النساء إلا أربع»

إنه من المشهور على ألسنة الخطباء والدعاة بله وفي الكتب المشهورة حديث «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع؛ مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**»، فأردت أن أبيِّن أن الروايات الثابتة في هذا الحديث والمشهورة في كتب الحديث ليس على هذا اللفظ، فوجب تبيين هذا الأمر حتى لا ننسب إلى رسول الله ﷺ أيّ حرفٍ لم يقله، فداه أبي وأمي، وإليكم البيان باختصار:

ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»، لفظ البخاري برقم (**٣٢٣٠**) ولفظ مسلم نفسه برقم (**٤٤٥٩**).

ـ أما لفظ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». **قال الزيلعي** رحمه الله: الحديث رواه **البخاري في صحيحه**، ليس

فيه خديجة ولا فاطمة، رواه في بدء الخلق في باب قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] من حديث مرة الهمداني عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». انتهى.

ورواه الباقون؛ فمسلم رواه في بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، والترمذي وابن ماجه في الأطعمة، والنسائي في المناقب.

وروى الحاكم في «مستدركه» من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين أربع؛ مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**»، وصححه الحاكم. «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري» (٤/ ٦٧).

قلت: فالحديث بهذا اللفظ المشهور: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع؛ مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**» غير ثابت بوجه من الوجوه في كتب الحديث، والله أعلم.

ويُغني عنه حديث الحاكم وغيره «**حسبك من نساء العالمين...**» الذي مَرَّ ذكره، ولا يعني هذا أنه ليس لخديجة وفاطمة رضي الله عنهما فضل، بل فضائلهما متواترة مشهورة، ولكن المقصود هو لفظ الحديث النبوي، والله تعالى أعلم.

- كتبه الأرقم. قال البيروتي: ورد في «صحيح الجامع» (٤٥٧٨) حاشية: زاد ابن مردويه من حديث قرة بن إياس مرفوعاً: «وخديجة بنت خويلد»، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير في «البداية» (٣/ ١٢٩).

١٣٠٤ نقد إسناد الحديث (٧٧٠) في «صحيح مسلم»:

روى الإمام مسلم في «صحيحه» (٧٧٠) من حديث عكرمة بن عمار قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن

عوف، قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللَّهُمَّ رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».

علَّق الحافظ **ابن عمّار الشهيد** (ت٣٢٣هـ) على هذا الحديث في كتابه عن «علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم» قائلاً: هو حديث تفرد به عكرمة بن عمار عن يحيى، وهو مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير؛ يقال: أنه ليس عنده كتاب.

وحدثني أحمد بن أبي الفضل المكي: حدثنا صالح بن أحمد: حدثنا علي؛ قال: سألت يحيى (يعني: القطان) عن أحاديث عكرمة بن عمار (يعني: عن يحيى بن أبي كثير)؟ فضعَّفها، وقال: «ليست بصحاح».

وأخبرنا أحمد بن حمود؛ قال: سمعت أبا زرعة الدمشقي يقول: سمعت أبا عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ يقول: «رواية عكرمة بن عمار وأيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير ضعيفة». اهـ.

ونقل الحافظ ابن عَدِيّ (ت٣٦٥هـ) في «الكامل في الضعفاء وعِلَل الحديث» عن البخاري قال: عكرمة مضطرب في حديث يحيى بن أبي كثير، ولم يكن عنده كتاب. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: والحديث بحثتُ عنه منذ سنين ولم أجد له طريقاً إلّا من رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير! ولم أجد كلاماً لمحدّث العصر الألباني في نقده إلا قوله في «صحيح أبي داود» (٣/ ٣٥٤/ ط. غراس): هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى؛ وهو على

شرط مسلم؛ وقد أخرجه كما يأتي؛ وفي عكرمة ـ وهو: ابن عمار ـ كلام من قبل حفظه. اهـ.

وقد تدارست الحديث مع الشيخ **محمد أبو حطب**، وبعد فترة أعطاني ـ جزاه الله خيراً ـ في (٦ شوال ١٤٣٥هـ) رسالة وصلته من الشيخ **عصام هادي** يجيبه فيها عن هذا الحديث، قال: قد سألت شيخنا **الألباني** رَحِمَهُ اللهُ، فقلت له بأني رأيتُ بحثاً لحسان عبد المنان أعلَّ هذا الحديث بتفرّد عكرمة عن يحيى، والأئمة على تضعيف روايته عنه، فقال شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «إنْ كان حقًّا قد تفرّد به فكلامه صحيح». اهـ. وأجاز الشيخ عصام هادي نشر كلامه جزاه الله خيراً.

تنبيه: لا يُفهَم من تضعيف حديث في «صحيح مسلم» أو «صحيح البخاري» التشكيك في الكتابين بأكملهما، فقد أجمع أهل العلم على تلقي ما في «الصحيحين» بالقَبول إلا أحاديث يسيرة انتقدها العلماء الحفّاظ **كالدارقطني** (ت٣٨٥هـ) وغيره، وقال العلامة ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) في «مقدمته في مصطلح علم الحديث»: «وكتاباهما (أي: البخاري ومسلم) أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز»، وقال: «إن أحاديث «الصحيحين» تفيد العلم اليقيني النظري إلا أحاديث يسيرة انتقدها الحفاظ كالدارقطني وغيره».

١٣٠٥ المؤاخذات على طبعة «صحيح البخاري» باعتناء مصطفى ديب البغا

قال الشيخ **عبد الرحمٰن الفقيه** في مشاركة له في «ملتقى أهل الحديث»: طبعة البغا فيها عدة أمور:

أولها: أن تعليقاته فيها مخالفات عقدية متعددة من تأويل الصفات وغيرها، فهو يسير فيها على طريقة الأشاعرة، والله المستعان، فأفسد الكتاب بهذه التعليقات المخالفة لمنهج الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ الذي كان (على ما كان) عليه السلف الصالح.

وثانياً: أنه لم يعتمد على نسخ خطية ولا ذكر حتى المطبوعات التي اعتمد عليها ولم يذكر على أي رواية اعتمد!

ثالثاً: وجود عدد من الأخطاء في الأسانيد والمتون، وكنتُ قد قرأت هذه الطبعة على بعض مشايخنا، فكنت أصحِّح الأخطاء الواقعة فيها من إفادة الشيخ، وكانت بداية هذه القراءة على الشيخ يوم الأربعاء ٨/ ١/ ١٤١٣هـ. اهـ.

ثم ذكر الشيخ الفقيه عشرات الأمثلة على الأخطاء في طبعته.

وقال الشيخ أيضاً: البغا في الغالب يأخذ بالمتن الذي باليونينية الأصل، ولكنه أحياناً يختار من بعض الروايات من الحاشية بدون ضابط معين.

وقال: ومن باب الإنصاف لهذه الطبعة فمتنها خير من متون كثير من الطبعات الأخرى. اهـ.

ومن انحراف عقيدة البغا، قوله في طبعته لـ«صحيح البخاري» (١/ ٣٨٤) معلِّقاً على حديث النزول: «**ينزل ربنا**»: هذا النزول من المتشابه الذي يفوض علم حقيقته إلى الله تعالى، أو المراد ينزل أمره ورحمته ولطفه ومغفرته، أو المراد تنزل ملائكته بأمر منه!

وقال (٦/ ٢٧٣٠): «**دنا الجبار**»، هذا من المتشابه الذي يُوهم التشبيه فلا يجوز حمله على ظاهره بل يجب تأويله بما يليق به سبحانه، فقيل هو مجاز عن قربه المعنوي وإظهار منزلته عند الله تعالى!

١٣٠٦ حديث صيام عاشوراء ويوم قبله أو يوم بعده، مع التنبيه على وهم في الموسوعة الفقهية:

روى الإمام أحمد (١/ ٢٤١) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٠٩٥) من طريق ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن جده ابن عباس

قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً**».

قال العلامة **الألباني** في تعليقه على «صحيح ابن خزيمة»: إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن أبي ليلى، وخالفه عطاء وغيره فرواه عن ابن عباس موقوفاً، وسنده صحيح عند الطحاوي والبيهقي. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وكذلك صحَّح الألباني إسناده في «صحيح أبي داود» (٧/ ٢٠٧)، وأثر ابن عباس رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٨٣٩) ـ ومن طريقه البيهقي (٤/ ٢٨٧) ـ قال: «أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عطاء أنه سمع ابن عباس يقول في يوم عاشوراء: خالفوا اليهود وصوموا التاسع والعاشر». وإسناده صحيح.

ومن المهم أنْ أنبّه إلى وهم وقع للشيخ **حسين العوايشة** حفظه الله في «الموسوعة الفقهية» (٣/ ٢٦٠)، حيث ذكر الحديث المرفوع أعلاه، ثم قال في الحاشية: «أخرجه الطحاوي والبيهقي وسنده صحيح، وانظر «صحيح ابن خزيمة» (٢٠٩٥)». اهـ.

والذي في صحيح ابن خزيمة (٢٠٩٥) تخريج وتصحيح الشيخ الألباني لحديث ابن عباس الموقوف عليه وليس للحديث المرفوع الذي ضعّفه!

أما أثر ابن عباس في صيام الحادي عشر من محرم فقد وجدته بفضل الله! لكن إسناده لا يُفرَح به: فيه موسى بن عبد الرحمٰن الصنعاني، قال ابن عدي في «الكامل»: منكر الحديث، وقال ابن حبان في «المجروحين»: دجال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير. اهـ. وهاكم الأثر: قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة»: رأيتُ بخط العلامة شرف الدين أبي الفتح المراغي أن الحافظ أبا طاهر السِّلَفي قال: أنبأنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن

عبد الجبار ابن أحمد الصيرفي أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب بن قفر جلد الكاتب حدثنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس الوراق حدثني علي بن محمد بن حمد الفقيه حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عبد الغني بن سعيد الثقفي حدثنا موسى بن عبد الرحمٰن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: وحدثنا موسى بن عبد الرحمٰن عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: «يوم عاشوراء...». قال ابن عباس: وهو يوم العاشر من المحرم، فمن أراد أن يصيبه فليصم التاسع والعاشر والحادي عشر فإنه يصيبه. (وجاء في «تهذيب الآثار» لابن جرير الطبري، عن ابن جريج عن عطاء أن ابن عباس كان يصوم يوماً قبله ويوماً بعده).

١٣٠٧ هل سكوت الحافظ عن الأحاديث التي يوردها في شرحه للصحيح تصحيح أو تحسين لها؟

قال الشيخ أبو إسحاق حجازي شريف الحويني حفظه الله في «النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة» (٣٣): والذي تحرر عندي أنه ليس كل حديث يسكت عليه الحافظ في «الفتح» يكون حسناً أو نحوه كما صرح هو بذلك، فقد أخل بشرطه هذا في مواضع كثيرة.. وعذره: أن الشارح قد يشترط على نفسه شرطاً فيوفي به زمناً ثم لا ينشط لتحقيق كل حديث لا سيما في مثل «فتح الباري»، فإن فيه جمهرة كثيرة من الأحاديث، وتحرّي إيراد الثابت منها أمر لعله يصعب حتى على مثل الحافظ ابن حجر مع سعة دائرة حفظه، وجودة علمه، والإحاطة لله تعالى وحده. ولعله يكون عذراً مقبولاً، والله تعالى أعلم.

• نقله عبيد الله المنصوري.

١٣٠٨ هل حديث «الأعمال بالنيات» سيق بسبب قصة مهاجر أم قيس؟

قال الحافظ **ابن حجر** في «فتح الباري»: قصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور، قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس، فكان يُقال له مهاجر أم قيس.

ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ: كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها، فكنّا نسميه مهاجر أم قيس. وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك، ولم أرَ في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك، وأيضاً فلو أراد البخاري إقامته مقام الخطبة فقط ـ إذ الابتداء به تيمناً وترغيباً في الإخلاص ـ لكان سياقه قبل الترجمة كما قال الإسماعيلي وغيره.

١٣٠٩ وهم عجيب كرره الحافظ ابن حجر سبع مرات في «فتح الباري»، ولم ينبّه عليه محقّقو طبعة الرسالة إلا مرة!

كنتُ أبحث عن اسم زوجة الصحابي الجليل جابر وأخواته ـ السبعة أو التسعة ـ رضي الله عنهم أجمعين، فأجد الناس يذكرون اسم زوجته (**سُهَيلة بنت مسعود الأنصارية**)، ويعزون الكلام للحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (عند شرحه لحديث ٤١٠١)، فأراجع كتب السيرة والتاريخ والتراجم ولا أجد لها ذكراً! بل الأعجب أنّه ذكرها في «هُدَى الساري» وقال: سهيلة بنت مسعود بن أوس الأنصارية، ذكرها ابن سعد فيمَن بايع من النساء!! وقال في موضعٍ آخر: وهي والدة ابنه عبد الرحمٰن، ذكرها ابن سعد!!

وما زلتُ أبحث وأبحث حتى اهتديت إلى أنّ الصواب في اسمها:

سُهَيمَةُ بِنْت مَسْعود. ترجم لها ابن سعد في «الطبقات الكبير» فقال: سُهَيمَةُ بنت مسعود بن أوس بن مالك بن سواد بن ظفر، وأمها الشموس بنت عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام من بني سلمة. تزوجها ابنُ خالها جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، فولدت له عبد الرحمٰن وأم حبيب. وأسلمت سهيمة وبايعت رسول الله ﷺ. اهـ.

وهكذا ذكرها ابن الأثير في «أسد الغابة»، بل العجيب أنّ الحافظ ابن حجر ذكرها على الصواب في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٣٣٧/ ط. المغرب): **سُهَيمَةُ بِنْت مَسْعود!**

وكرر الحافظ ابن حجر هذا الوهم في اسمها سبع مرات في «فتح الباري»، وهو في طبعة مؤسسة الرسالة/ بيروت: (٢/ ١٣٢ و١٣٨ و١٥٨ و١٧٧ و٢٢٣ و٢٥٤، و١٢/ ٢٤٩).

ولم ينتبه محققو ط. الرسالة إلى هذا الوهم إلّا في (١/ ١٧٧) حيث كُتِبَ في المتن (سُهيمة)، وعلّقوا عليها في الحاشية: تحرّفت في (س) إلى (سُهيلة بنت مسعود بن أبي أوس). اهـ.

أما في باقي المواضع فكُتِب ـ خطأً ـ: (سُهيلة).

والسؤال: ماذا عن المواضع الست الباقية التي كُتِب فيها (سُهيلة) في ط. الرسالة؟! هل ورَدَت في المخطوط على الصواب (سُهيمة) أم (سُهيلة)؟

• كتبتُ هذا التعليق يوم الخميس ٤ ربيع الأول ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٥/ ١٢/ ٢٠١٤م.

١٣١٠ هل صَحَّت الدعوى أنّه سقط من طبعة مؤسسة الرسالة لمسند أحمد أكثر من مئة حديث؟

قال الشيخ صالح الشامي في مقدمته لـ«جامع الأصول التسعة» (١/ ٤٨/ ط. المكتب الإسلامي):

بعد إرسال كتابي إلى «المكتب الإسلامي» لطباعته، ظهرت طبعة جديدة لـ«المسند» عن «دار المنهاج» في جدّة (؟) بإشراف د. أحمد معبد عبد الكريم، وجاء في مقدمتها: «وقد مَنَّ الله علينا بإتمام نصّ «المسند»، واستدراك الأحاديث التي سقطت من جميع النسخ المطبوعة، بما في ذلك مؤسسة الرسالة، وهي أحسن طبعات «المسند» التي ظهرت قبل طبعتنا هذه، وقد بلغ تعداد السقط من تلك الطبعات في موضع واحد أكثر من مئة حديث، وهي الأحاديث من (٢٤٣٩٦) إلى (٢٤٥٠٥) من طبعتنا هذه، وبلغ السقط عشرة أحاديث في موضعين آخَرَين من (١١٢٤٥) إلى (١١٢٥٤)، ومن (٣٠٣٨) إلى (٣٠٤٧)». اهـ.

أقول: وبعد دراسة هذه الأحاديث المستدركة في طبعة «دار المنهاج» تبيَّن أنها من مكررات «المسند» باستثناء سبعة أحاديث؛ أربعة منها انفرد بها الإمام أحمد عن الكتب الثمانية، وهي ذوات الأرقام: (٣٠٤٣) (٣٠٤٥) (١١٢٤٨) (١١٢٥٣)، وقد تَمَّ وضع هذه الأحاديث وفقاً لموضوعاتها في هذا الكتاب، وجاءت أرقامها المسلسلة فيه كالآتي: (٣٢٢٣م) (٦٨٥١م) (٥٤١٢م) (٦٥٨٢)، وبَيَّنت عند كل حديث منها أنها من طبعة «دار المنهاج». وأما الثلاثة الأخرى، وهي ذوات الأرقام (٣٠٤٠) (٣٠٤٢) (١١٢٥٤)، فالأول والثاني أخرجهما البخاري، والثالث أخرجه الدارمي، وقد أُشِيرَ إليها عند الأرقام (١٥٧٠٤) (١٤٧٠٦) (١٠٣٨٥). اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: العنوان منّي.

١٣١١ تخريج قصة تميم الداري ولقائه بالدجال، وبيان أن فاطمة بنت قيس لم تنفرد بسماعها ولا بروايتها للقصة:

روى مسلم في «صحيحه» (٢٩٤٢) عن **فاطمة بنت قيس** رضي الله عنها - وهي من المهاجرات الأوائل - رواية النبي ﷺ لخبر تميم الداري الطويل

ولقائه بالدجال في إحدى الجُزُر، وهذا يدلّنا على مقدار حفظها وعلمها، قال **ابن قيّم الجوزية** في «زاد المعاد» (٥/ ٥٣٥): إذا شئتَ أن تعرف مقدارَ حفظها وعلمها، فاعرفه مِن حديث الدَّجَالِ الطويلِ الذي حَدَّث به رسول الله ﷺ على المنبر، فوعته فاطمةُ وحفظته، وأدَّته كما سمعته، ولم ينكره عليها أحد مع طوله وغرابته. اهـ.

قال الحافظ **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ): لم تنفرد فاطمة بنت قيس بسماعها ولا بروايتها، بل جاءت القصة مروية عن جماعة من الصحابة غيرها، ودَلَّ ورودها علينا من رواية عائشة أمّ المؤمنين وأبي هريرة وجابر وغيرهم رضي الله عنهم على أنّ جماعة آخرين رَوَوْها، وإنْ لم تتصل بنا روايتهم. اهـ.

وعزا ابنُ حجر حديثَي عائشة وأبي هريرة لمسند الإمام أحمد (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ و٤١٧ ـ ٤١٨)، وجاء فيهما: قال عامر: فلقيت المحرَّر بن أبي هريرة فحدثته حديث فاطمة بنت قيس فقال: أشهد على أبي أنّه حدثني كما حدَّثَتك فاطمة، غير أنّه قال: قال رسول الله ﷺ أنّه نحو المشرق. قال: ثم لقيتُ القاسم بن محمد فذكرت له حديث فاطمة، فقال: أشهد على عائشة أنّها حدثتني كما حدَّثَتك فاطمة، غير أنّها قالت: «**الحرمان عليه حرام؛ مكة والمدينة**». اهـ.

أما حديث جابر، فرواه أبو داود (٤٣٢٨) عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر: «**إنه بينما أناس يسيرون في البحر، فنفد طعامهم، فرُفِعَت لهم جزيرة، فخرجوا يريدون الخبر، فلقيتهم الجساسة...**». (ضعّف إسناده الألباني).

• نقل السخاويُّ كلامَ ابن حجر في «الجواهر والدرر» (٢/ ٩٠٥).

١٣١٢ على ماذا اعتمد الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في إخراجه المتقن لصحيح الإمام مسلم؟ وما كان عمله فيه؟

قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (١٢٩٩ ـ ١٣٨٨هـ/

١٨٨٢ـ ١٩٦٧م) في مقدمته على «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العَدْل عن العدل عن رسول الله ﷺ» المعروف بـ«صحيح مسلم»: أخرجنا عام ١٩٥١م «موطأ» الإمام مالك رضي الله عنه، وأخرجنا عام ١٩٥٣ «سنن» الإمام ابن ماجه، وها نحن أولاء نعزِّزهما بثالث هو هذا الكتاب: صحيح الإمام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه.

وقد اتخذ واضعو الكتابين أساساً لعملهما نسخة صحيح مسلم التي عليها شرح الإمام النووي المطبوعة عام ١٢٨٣ هجرية بالمطبعة الكستلية، وقد نشرها العلامة الشيخ حسن العدوي، ووقف على تصحيحها كلٌّ من الشيخ محمد السملوطي والشيخ نصر أبو الوفا الهوريني والشيخ زين المرصفي والشيخ محمود العالم، وقد يدل «مفتاح كنوز السُّنَّة» على الحديث هنا بذكر رقم الكتاب ومعه رقم الحديث، ويدل «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» على الحديث هنا بذكر رقم الكتاب ومعه رقم الحديث، وزدتُ أنا من عندي شيئين؛ أحدهما عدّ أبواب كل كتاب ووضع رقم مسلسل لها، والثاني وضع رقم مسلسل لأحاديث الصحيح الأصلية دون الطرق المتعددة لكل حديث، وهو الرقم الموضوع بين قوسين، وبه يُستَدَل على أحاديث صحيح مسلم بالدقة لا بالتقريب أو التخمين.

وقد اعتمدتُ في تحقيق النص على هذا الشرح المطبوع بالمطبعة الكستلية المذكورة وعليه المطبوع بهامش شرح القسطلاني على البخاري طبعة بولاق عام ١٣٠٤هـ، وعلى النسخة المصححة أتم وأدق تصحيح والمقيَّدة بالشكل الكامل المطبوعة بدار الطباعة العامرة بالأستانة عام ١٣٢٩هـ، وهذه النسخة لم يأل القائمون على طبعها جهداً في تصحيحها ومراجعة النسخ المخطوطة التي كانت تحت أيديهم، وقد تضافر على تصحيحها كلٌّ من العلامة النحرير الحاج محمد ذهني أفندي والشيخ

إسماعيل بن عبد الحميد محمد الطرابلسي والعلامة أبي نعمة الله الحاج محمد شكري بن حسن الأنقروي؛ بعد تصحيح مصحِّحي المطبعة المذكورة أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري والحاج محمد بن عزت بن الحاج عثمان الزعفران بوليوي رضي الله عنهم أجمعين.

وقد علَّقتُ على المتن خلاصة وزبدة شرح الإمام النووي مع زيادات من أئمة اللغة، وطبعة الأستانة هذه هي التي اعتمدتها في تجزئة الكتاب، وهي تقع في ثمانية أجزاء؛ جعلتُ كل جزأين منها جزءاً واحداً، فيصدر الكتاب إن شاء الله تعالى في أربعة أجزاء.

١٣١٣ فوائد عن أبي محمد القلانسي الراوي عن الإمام مسلم «صحيحه»:

- رواية القلانسي لصحيح مسلم شبه مفقودة، وفيها زيادات كثيرة على رواية ابن سفيان عن مسلم. قال ابن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم»: وأما القلانسي فهو **أبو محمد أحمد بن علي بن الحسن (أو الحسين) بن المغيرة بن عبد الرحمٰن القلانسي**، وقعت بروايته عن مسلم عند المغاربة، ولم أجد له ذكراً عند غيرهم، دَخَلَت روايته إليهم من مصر على يدي مَن رحل منهم إلى جهة المشرق كأبي عبد الله محمد بن يحيى الحذاء التميمي القرطبي وغيره.

سمعوها بمصر من أبي العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمٰن بن ماهان البغدادي قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يحيى الأشقر الفقيه على مذهب الشافعي، حدثنا أبو محمد أحمد بن علي بن الحسن القلانسي، حدثنا مسلم بن الحجاج، حاشى ثلاثة أجزاء من آخر الكتاب أولها حديث الإفك الطويل. اهـ. وقد ذكر **ابن حجر** إسناداً إلى القلانسي في «تغليق التعليق» من طريق **أَبي الْعَلَاء عبد الْوَهَّاب بن عِيسَى ابْن ماهان، ثَنَا أَبُو بكر أَحْمد بن مُحَمَّد بن يَحْيَى بن الْأَشْقَر الْفَقِيه الشَّافِعِي، ثَنَا أَبُو مُحَمَّد أَحْمد بن عَلّي بن**

الْحُسَيْن بن الْمُغيرَة القلانسي، ثَنَا مُسلم بن الْحجَّاج قِرَاءَة عَلَيْهِ وَأَنا أسمع لجَمِيع الْجَامِع الصَّحِيح، سوى من حَدِيث عَائِشَة فِي الْإِفْك الحَدِيث الطَّوِيل إِلَى آخر الكتاب.

ـ لم أجد لأبي محمد **أَحْمد بن عَلي بن الْحُسَيْن بن الْمُغيرَة القلانسي** (راوي صحيح مسلم) ترجمة في ما عندي من مصنفات التاريخ والتراجم؛ كما ذكر ابن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم»، كلّ الذي وجدته أنه قرأ «الصحيح» على مسلم «كله إلا من حديث عائشة الطويل في الإفك إلى آخر الكتاب»، ورواه عنه أبو بكر الأشقر الشافعي (ت٣٥٩هـ) شيخ الحاكم النيسابوري (مترجم في «تاريخ نيسابور»/ ترجمة ٨١/ ط. دار البشائر الإسلامية).

ـ القلانسي ثقة، فقد وجدت السمعاني قال في «الأنساب» في ترجمة أبي بكر الأشقر: وكان سمع المسند الصحيح من أحمد بن علي القلانسي ورواه، وهو أحسن راوية لذلك الكتاب، **وأنهم ثقات**. اهـ.

فهذا توثيق للقلانسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإن لم نعثر على أي ترجمة له!

ـ ذكر (أبو حسان السلفي) أن ابن حزم أكثر النقل من رواية القلانسي لصحيح مسلم في مصنفاته.

ـ ذكر (أبو الوفاء العبدلي) في «ملتقى أهل الحديث» أنه توجد من رواية القلانسي قطعة صغيرة في تونس.

١٣١٤ ثلاثيات «صحيح البخاري»:

هذه الثلاثيّات حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لـ«صحيح الإمام البخاري»، استخرجتُها كلّها ـ ما عدا اثنين ـ أثناء قراءتي له قراءة كاملة مع تقييد فوائده عام ١٤٢٤هـ، وهي ٢٢ حديثاً:

أ ـ حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن

الأكوع: ١٠٩ ـ ٤٩٧ ـ ٥٠٢ ـ ٥٦١ ـ ٢٠٠٧ ـ ٢٢٨٩ ـ ٢٩٦٠ ـ ٣٠٤١ ـ ٤٢٠٦ ـ ٥٤٩٧ ـ ٦٨٩١.

ب ـ حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع: ١٩٢٤ ـ ٢٢٩٥ ـ ٢٤٧٧ ـ ٤٢٧٢ ـ ٥٥٦٩ ـ ٧٢٠٨.

ج ـ حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني حميد، حدثنا أنس: ٢٧٠٣ ـ ٤٤٩٩ ـ ٦٨٩٤.

د ـ حدثنا عصام بن خالد، حدثنا حريز بن عثمان، أنه سأل عبد الله بن بسر: ٣٥٤٦.

هـ ـ حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا عيسى بن طهمان قال: سمعت أنس بن مالك: ٧٤٢١. اهـ.

فائدة أضيفها:

قال البخاري في صحيحه (٦٩٠٧): حدّثنا عبيد الله بن موسى، عن هشام، عن أبيه، أن عمر...

قال **ابن حجر** في «فتح الباري»: هذا في حكم الثلاثيّات؛ لأن هشاماً تابعي كما سبق تقريره في رواية عبيد الله بن موسى أيضاً عن الأعمش في أول الديّات. اهـ.

ويشيرُ الحافظ إلى ما رواه البخاري في صحيحه (٦٨٦٤) قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ...

فقال **ابن حجر**: هذا السند يلتحق بالثلاثيات، وهي أعلى ما عند البخاري من حيث العدد، وهذا في حكمه من جهة أن الأعمش تابعي، وإنْ كان روى هذا عن تابعي آخر، فإن ذلك التابعي أدرك النبي ﷺ وإنْ لم تحصل له صحبة. اهـ.

فائدة أضافها الأخ أبو محمد السوري حفظه الله:

ليس في «صحيح مسلم» ولا «سنن أبي داود» ولا «سنن النسائي»؛ أي حديث ثلاثي، وفي «سنن الترمذي» رَحِمَهُ اللَّهُ حديث واحد ثلاثي هو حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٢٦٠): «**يأتي على النَّاس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»، وفي «سنن ابن ماجه» عدة أحاديث ثلاثيات، وهذه الثلاثيات من طريق جبارة بن المغلس، أمَّا ثلاثيات «مسند أحمد» فهي تزيد على ٣٠٠ حديثاً ثلاثيًّا؛ أفردها البعض في مصنف، والبعض شرحها. اهـ.

ملحق: قال الشيخ **عبد الكريم الخضير** في «شرح البيقونية»: في سنن أبي داود (٤٧٤٩) حديث اختُلِف فيه هل هو ثلاثي أو ليس بثلاثي، حديث أبي برزة في الحوض، القصة ثلاثية، لكن الخبر المرفوع في ضمن القصة رباعي. فمن قال: (فيه ثلاثي) نظر إلى هذه القصة، ومن نظر إلى أنه ما في ثلاثي ـ من قال (إن أبا داود ليس به ثلاثي) ـ قال: هذه القصة ما لنا بها دعوة، نحن نبحث عن الأحاديث فقط.

١٣١٥ أجر من فَقَدَ حبيبته فصبر!!

في كتاب «مفتاح كنوز السُّنَّة» للمستشرق الدكتور **فنسنك**، الذي نقله للعربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وهو من أنفس كتب التخريج. . .

أشار فنسنك تحت عنوان (النكاح):

- أجر من أذهب الله حبيبته فصبر، واحتسب.

وقال: حم ـ ثان ص٢٦٥. اهـ.

ولكن هذا المشار إليه هو حديث أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**يقول الله: من أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له بثواب دون الجنة**».

وحبيبتيه: عينيه؛ يعني: من أذهب الله بصره!! لا ما ظنَّه ذاك المستشرق!

• كتبه الشيخ عبد الرحمٰن السديس. (وليس بإمام الحرم).

١٣١٦ أهمية كتاب «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»:

قال العلامة **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ في «مصطلح الحديث»: تناول العلماء هذا المسند بالتصنيف عليه ما بين مختصر له، وشارح، ومفسر، ومرتب، ومن أحسنها «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»، الذي ألَّفه أحمد بن عبد الرحمٰن البنّا، الشهير بالساعاتي (١٣٠١ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٨٨٣ ـ ١٩٥٨م)، جعله سبعة أقسام أوّلها: قسم التوحيد وأصول الدين، وآخرها: قسم القيامة وأحوال الآخرة، ورتّبه على الأبواب ترتيباً حسناً، وأتمّه بوضع شرح عليه سماه «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني»، وهو اسم مطابق لمسمّاه، فإنه مفيد جدًّا من الناحيتين الحديثية والفقهية، والحمد لله رب العالمين.

• نقلها أخونا خالد الشافعي، وأضيفُ الفائدة التالية:

قال العلامة **حماد الأنصاري** (ت١٤١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ترتيب الساعاتي لمسند الإمام أحمد (المسمّى بالفتح الرباني) أنا أجزم بأنه وقف على كتاب «الكواكب الدراري» ونقل منه الكثير، وقد تبيَّن لي ذلك حيث قابلت بينه وبين كتاب الدراري، **والساعاتي البنّا المؤلف ليس هو الذي ألَّف هذا الكتاب وإنما لديه لجنة مَوَّلَها فكَتَبت وألَّفت**، وقد أخبرني بذلك رئيس هذه اللجنة بعد وفاة البنا بوقت. (قال البيروتي: انظر تعليقي (ص١٦٨)).

١٣١٧ كتاب «الجرح والتعديل» نسخة عن «التاريخ الكبير» للبخاري مع بعض الإضافات:

قال **الحاكم النيسابوري** (ت٤٠٥هـ) في «تاريخ نيسابور» (ترجمة/ ٨٣٠): سمعت أبا أحمد محمد بن محمد الحاكم (ت٣٨٧هـ) يقول:

كنتُ بالرَّيّ، وهم يقرؤون على عبد الرحمٰن ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) كتاب «الجرح والتعديل»، فقلت لابن عبدويه الورّاق: هذه ضحكة، أراكم تقرؤون كتاب «تاريخ البخاري» على شيخكم على الوجه، وقد نسبتموه إلى أبي زرعة وأبي حاتم، فقال: يا أبا أحمد، اعلم أن أبا زرعة وأبا حاتم لمّا حُمِلَ إليهما «تاريخ البخاري» قالا: هذا علمٌ لَا يُسْتَغنَى عَنْهُ، وَلَا يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نذكرَهُ عَنْ غيْرِنَا. فأقعدا عبد الرحمٰن، فسألهما عن رجل بعد رجل، وزادا فيه ونقصا. اهـ.

وقال أبو أحمد الحاكم في كتابه «الأسامي والكنى»: من تأمّل كتاب مسلم فِي الأسماء والكنى علم أَنّه منقول من كتاب محمد بن إسماعيل حَذْو القذّة بالقذّة، حتى لَا يزيد عَلَيْهِ فِيهِ إلَا ما يسهل عدّه، وتجلّد في نقله حق الجلادة، إذ لم ينسبه إلى قائله. وكتاب محمد بْن إِسْمَاعِيل فِي «التاريخ» كتابٌ لم يُسْبَق إِلَيْهِ. ومن ألف بعده شيئاً من التاريخ أو الأسماء والكنى لم يستغنِ عنه، فمنهم مَن نَسَبَه إلى نفسه مثل أَبِي زُرْعَة، وأبي حاتم، ومُسلْمٍ. ومنهُمْ من حكاه عَنْهُ. فالله يرحمه، فإنّه الّذي أصّل الأصُول. (نقله الذهبي في «تاريخ الإسلام»، وجاء في مطبوعة «الأسامي والكنى» للحاكم أبي أحمد زيادة، قال:) وما سواه عليه وبال، منه يُستفاد وبه يقتدي، وإن كابر العيان مكابر وعاند الحق معاند [لا] تخفى صورة الحق عند ذوي الألباب.

تعقيب: قال العلامة حماد الأنصاري (ت١٤١٨هـ) رحمه الله: «إنَّ قول بعضهم إن كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم رحمه الله هو «التاريخ الكبير» للبخاري رحمه الله فليس كذلك، بل زاد عليه ابن أبي حاتم وإنْ كان نقل منه». (المجموع في ترجمة حماد الأنصاري).

١٣١٨ تنبيه على تحريف في نسبة شيخٍ للطبراني في المعجم الكبير المطبوع:

قال الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/٢٨/ حديث ١٢١٨):
حدثنا إبراهيم بن هاشم **الْبَعْلَبَكِّيُّ**، ثنا محمد بن أبي بكر الْمُقَدَّمِيُّ، ثنا أبو معشر الْبَرَاءُ: حَدَّثَتْنِي النَّوَّارُ بنتُ عُمَرَ قالت: حدثتني فَاطِمَةُ بنتُ مُسْلِمٍ قالت: حدثني خَلِيفَةُ بن بِشْرٍ، عن أبيه بِشْرٍ، أَنَّهُ أَسْلَمَ، فَرَدَّ عليه النبي ﷺ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، ثُمَّ لَقِيَهُ النبي ﷺ فَرَآهُ هو وَابْنَهُ طَلْقاً مَقْرُونَيْنِ بِالْحَبَلِ، فقال: **«ما هذا يا بِشْرُ؟»** قال: حَلَفْتُ لَئِنْ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ مَالِي وَوَلَدِي لأَحُجَّنَّ بَيْتَ اللهِ مَقْرُوناً. فَأَخَذَ النبي ﷺ الْحَبْلَ فَقَطَعَهُ وقال لَهُمَا: **«حُجَّا، فإن هذا مِنَ الشَّيْطَانِ»**.

قال أبو معاوية البيروتي: والصواب أن نسبة شيخ الطبراني إبراهيم بن هاشم **البغوي** وليس **البعلبكي**، وقد روى الطبراني عن إبراهيم بن هاشم البغوي عدة روايات عن محمد بن أبي بكر المقدمي، ولم يُذكَر (إبراهيم بن هاشم) غيره في «معجميه» الصغير والأوسط، وقد ولد البغوي سنة **٢٠٧** وتوفي سنة **٢٩٧**هـ، ووثقه الدارقطني.

١٣١٩ النهي عن تشبيه صلاة الوتر بصلاة المغرب!

روى الطحاوي الحنفي وابن حبان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا توتروا بثلاث، أوتروا بخمس أو بسبع، ولا تشبّهوا بصلاة المغرب»**. وصححه الألباني في «صلاة التراويح».

فلا يجوز أن تُصلّى الوتر بثلاث ركعات، فيجلس المرء للتحيات بالركعة الثانية ثم يقوم للركعة الثالثة بدون تسليم فيشبّهها بصلاة المغرب، هذا هو النهي. والصواب إما تُصلّي ركعتي الشفع ثم تُسلّم، وتكبر

وتصلي ركعة ثالثة، أو تصلي الوتر ثلاث ركعات لا تجلس للتحيات إلا في الركعة الثالثة.

وجمع الحافظ **ابن حجر** في «فتح الباري» (كتاب الوتر/ باب ما جاء في الوتر) بين هذا الحديث وحديث «**كان يوتر بثلاث لا يسلم إلا في آخرهن**» بحمل أحاديث النهي على الإيتار بثلاث بتشهّدين لمشابهة ذلك لصلاة المغرب، وأحاديث الإيتار بثلاث على أنها متصلة بتشهد في آخرها، وَرُوِيَ فعل ذلك عن جماعة من السلف.

ومن **الاتفاقات**: أنه في اليوم الذي كتبت فيه السابق، وفي صلاة التراويح تلك الليلة، وبعد أن صلى الإمام ثمانية ركعات، صلى الوتر ثلاثاً وشبّهها بصلاة المغرب! فجلس للتحيات في الثانية ثم كَبّر وقام للثالثة من دون أن يسلّم! فسلّمت عند الركعتين وقمت للركعة الثالثة، وبعد الصلاة تقدمت إليه ناصحاً ومبيّناً النهي، فتقبّله بصدر رحب، وتشكّرني، ووعدني بمراجعة رسالتي هذه لئلا يقع في النهي، والحمد لله رب العالمين.

١٣٢٠ الإمام البخاري عنده بعض الأوهام في رجال الشام، والكمال لله:

قال الحافظ **ابن رجب الحنبلي** (ت٧٩٥هـ) في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١١٠) عن أحد الأسانيد: «وهذا في الظاهر إسناد جيد متصل، ورواته ثقات مشهورون، وقد صرَّح فيه بالسماع، وقد ذكر البخاري في «تاريخه» أن يحيى بن أبي المطاع سمع من العرباض اعتماداً على هذه الرواية، إلا أن حفّاظ أهل الشام أنكروا ذلك، وقالوا: يحيى بن أبي المطاع لم يسمع من العرباض، ولم يَلْقَه، وهذه الرواية غلط، وممن ذكر ذلك أبو زرعة الدمشقي، وحكاه عن دحيم، وهؤلاء أعرف بشيوخهم من غيرهم، والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقع له في «تاريخه» أوهام في أخبار أهل الشام...». اهـ.

نقل السابق إبراهيم بن عبد الله المديهش في رسالته الماجيستير «حياة الحيوان الكبرى» للدَّمِيري، من بداية حرف (التاء) إلى نهاية حرف (الجيم)، تخريجاً ودراسة»، ثم علّق في الحاشية: قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٧/ ٣٥٤) في ترجمة (خالد بن اللجلاج العامري): «... وقال البخاري: (سمع من عمر). والبخاري ليس بالخبير برجال الشام، وهذه من أوهامه».

وفي «تاريخ بغداد» (١٥/ ١٢٤) في ترجمة (الإمام مسلم) قال أبو العباس بن عقدة: «قد يقع لمحمد بن إسماعيل الغلط في أهل الشام، وذلك أنه أخذ كتبهم، فنظر فيها، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته، ويذكره في موضع آخر باسمه، ويتوهم أنهما اثنان، فأما مسلم فقلَّما يقع له الغلط؛ لأنه كتب المقاطيع والمراسيل...».

وختم المديهش حاشيته قائلاً: «وهذه الفائدة، بهذه المراجع - عدا الإحالة إلى «السير» و«النكت الوفية» - مما قيَّدته عن شيخي د. خالد بن محمد باسمح، أثناء الدراسة في (السُّنَّة المنهجية) ١٤٢٦هـ».

١٣٢١ نقد طبعة عبد الباقي وبشار عواد معروف لسنن ابن ماجه:

قال الشيخ **صالح العصيمي** في محاضرته عن «رحلته إلى الهند»: من أعظم الفوائد التي استفدتها في هذه الرحلة: تصحيح الكتب، فالكتب الآن.. هذه الطبعات لا يُوثَق بها، والطبعات الهندية هي من أصحّ الطبعات مع «تحفة الأشراف».

ومن هذه الأشياء التي مَنَّ الله ﷻ بها: طبعة بشار عوّاد معروف لـ«سنن ابن ماجه» التي يقول إنه قابَلها على مخطوطات وعلى «تحفة الأشراف»، فكتاب ابن ماجه رحمه الله تعالى وقفتُ فيه على تصحيفات من التصحيفات الشنيعة والسقط الآن، فيه سقط كذلك، يقول في حديث «أشعرت يا بلال أن الصائم تسبّح **عظامه** وتستغفر له الملائكة

ما أُكِل عنده»، **عظامه** هذه: يسبّح **طعامه**، تصحّفت إلى عظامه!

نسخة طباعتها جميلة ومتقنة، الحين الإخوان يشترون طبعة بشار؛ لأنها متقنة، وأبشع من هذا وأنكى: ساق حديث **٣٢٢٠** عن أبي سعد البقال أنه سمع أنس بن مالك يقول: كُنّ أزواج النبي ﷺ يتهادَين الجراد على الأطباق. (ص٦١٢/ج ٤). راجعتُ أنا الزوائد، قابلته على الزوائد/ الطبعة الهندية، فوجدتُ سقط رجلين (حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا سفيان بن عيينة)، يأتي الحين واحد من الإخوان يخرِّج الحديث يقول: هذا الحديث علَّقه ابن ماجه!

وأيضاً قابلتُ نسخة فؤاد عبد الباقي، والنسخة هذه على «مصباح الزوائد»، فوجدتُ هناك عدّة أحاديث ساقطة من طبعات ابن ماجه المتداولة موجودة في «مصباح الزجاجة» الذي هو الزوائد التي صنَّفها البوصيري رحمه الله تعالى.

١٣٢٢ تصحيح الأحاديث وتضعيفها... بين المتقدّمين والمتأخرين:

علَّقَ الشيخ **عبد المحسن العباد** حفظه الله ـ بتاريخ **٢١**/ جمادى الآخرة/ **١٤٣٧**هـ في درسه بالمسجد النبوي على مَن يقول: «ينبغي أن يُكتفى بأحكام الإمام أحمد والدارقطني ونحوهما من المتقدِّمين على الأحاديث صحةً وضعفاً، ولا حاجة لنا بتصحيحات وتضعيفات المتأخّرين مثل الشيخ الألباني رحمه الله!»

فقال ـ سدَّده الله ـ: «هذا الكلام غير صحيح؛ لأن التصحيح والتضعيف، يختلف باختلاف: قد يكون ـ التضعيف والتصحيح ـ بسبب شخص مُعيَّن: محتمل لرجلين أحدهما ثقة والآخر ضعيف، مِثْل حديث: «**اللَّهُمَّ أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك**»، فإنّ في إسناده رجلاً يقال له: (عبد الرحمٰن بن إسحاق)، واحد ثقة والثاني ضعيف. فمَن ضَعَّف الحديث: اعتبر أن الراوي الضعيف هو الذي في الإسناد،

ومَن صحَّح الحديث: اعتبر أن الثقة هو الذي في الإسناد. ولكن قد يأتي المتأخّر ويقف على طرقٍ متعددة، فيجد تعيين الثقة ـ مثلاً ـ الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجد في بعض الطرق تسمية الرجل الذي هو عبد الرحمٰن بن إسحاق، الذي يحتمل هذا ويحتمل هذا؛ بما يُوضح أنه الثقة. إذن القضيّة ما هِيَ بَسْ قضية كون الحاكم أحدهما متقدّم والآخر متأخر!

ثم أيضاً من أمثلة ذلك: الحافظ ابن حجر في كتابه «تهذيب التهذيب» عند حديث من أحاديث المهدي، قال في ترجمة (ياسين العجلي) وما في إسناده (ياسين) غير منسوب، فضَعَّف الحديث ظاناً أنه (ياسين بن حمزة الزيات)! قال الحافظ ابن حجر: «وقد ظن بعض المتأخرين أن ياسين هو الزيات؛ فضعّف الحديث فلم يصنع شيئاً! وإنما هو ياسين العجلي!»

فإذن التضعيف والتصحيح، يتعلَّق بأمورٍ قد يتبيّن بالطرق وبالأسانيد، أن هذا هو المعتبر وأن هذا هو المقصود وأن هذا هو المَعْني.

ثم أيضاً المتابعات والشواهد؛ يعني: قد يكون يُضعّف من جهة، ثم يُوجد له شواهد أو متابعات.

ـ الشواهد: تعدّد الصحابة.

ـ أو متابعات لمن دون الصحابة.

فالقول بأن لا يُتكلّم في التضعيف والتصحيح، وإنما يطلب من كلام المتقدّمين، وأن الناس لا يشتغلون بعد ذلك في التصحيح والتضعيف؛ هذا غير صحيح».

١٣٢٣ الحديث المشهور «إذا مات ابن آدم انقطع عمله...» لم يثبت لفظه، والصحيح والأشمل «إذا مات الإنسان...»

قال د. **عبد العزيز الحربي** في كتابه «خاطرات» (٩٤/ ط. ابن حزم): الحديث المشهور على الألسنة «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله...**»، وهذا اللفظ لم يثبت، والصحيح والأشمل «**إذا مات الإنسان انقطع عمله...**» (رواه مسلم **١٦٣١** وغيره)، ويدخل فيه أبو البشر آدم عليه السلام. اهـ.

قال أخونا المدقّق **أبو صاعد المصري** حفظه الله: أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «العيال»: حدثني يحيى بن أيوب حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله...**» إلخ، وهذا عين طريق مسلم، فقد أخرجه بمثل هذا الإسناد سواء عن يحيى بن أيوب به وقرن معه قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر، واللفظ عنده: «**إذا مات الإنسان...**» إلخ.

وفي مثل هذا **تترجح رواية الجماعة**؛ لأن ابن أبي الدنيا ساق روايته عن يحيى فقط بينما مسلم ساقها عن يحيى وقتيبة وابن حجر.

ومثل هذا رواية البخاري عن أبي كريب حديث: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**»، فقد خالفه مسلم وجماعة من أصحاب أبي كريب فرووه عنه بلفظ: «**مثل البيت الذي يُذكَر فيه الله...**» إلخ.

١٣٢٤ موقف عجيب من ابنة مُحَدِّث!!

سأل الحافظ **سعيد بن عمرو البرذعي** (ت٢٩٢هـ) الحافظ **أبي زُرْعَة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي** (ت٢٦٤هـ): **قُرَّة بن حَبِيب** (ت٢٢٤هـ) تغيَّر؟

فقال: نعم، كنّا أنكرناه بأخرة، غير أنه كان لا يحدِّث إلّا من كتابه، ولا يحدِّث حتى يحضر ابنه. ثم تبسّم، فقلتُ: لِمَ تبسمت؟

قال: أتيته ذات يوم وأبو حاتم، فقرعنا عليه الباب، واستأذنّا عليه، فدنا من الباب ليفتح لنا، فإذا ابنته قد تخفَّت، وقالت له: يا أبة، إن هؤلاء أصحاب الحديث، ولا آمن أن يغلطوك، أو يدخلوا عليك ما ليس من حديثك، فلا تخرج إليهم حتى يجيء أخي؛ تعني: **علي بن قُرَّة**، فقال لها: أنا أحفظ، فلا أمكنهم ذاك. فقالت: لستُ أدَعَكَ تخرُج، فإني لا آمنهم عليك.

فما زال قُرَّة يجتهد، ويحتجّ عليها في الخروج، وهي تمنعه وتحتج عليه في ترك الخروج، إلى أن يجيء علي بن قُرَّة، حتى غَلَبت عليه، ولم تدعه. قال أبو زُرْعَة: فانصرفنا وقعدنا حتى وافى ابنه علي.

قال أبو زُرْعَة: فجعلت أعجب من صرامتها وصيانتها أباها. اهـ.

١٣٢٥ توثيق المؤرخ الأزرقي، واستدراكٌ على الفقرة (٦٥٣) من «الكناشة»:

كتبتُ في الفقرة (٦٥٣): **نقد العلّامة المعلّمي للأزرقي مؤلّف «تاريخ مكة» ومقارنته بالفاكهي.**

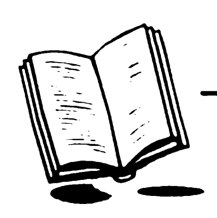
قال **عبد الرحمٰن بن يحيى المعلّمي** (ت١٣٨٦هـ) في «مقام إبراهيم» (ص٥٦/ ط. الراية): الأزرقي لم يوثّقه أحدٌ من أئمة الجرح والتعديل، ولم يذكره البخاري ولا ابن أبي حاتم، بل قال الفاسي في ترجمته من «العقد الثمين» (٢/ ٤٩): لم أرَ من ترجمه، وإني لأعجب من ذلك! اهـ. فهو على قاعدة أئمة الحديث مجهول الحال... ويُريبُني من الأزرقي حُسْن سياقه للحكايات وإشباعُه القولَ فيها، ومثلُ ذلك قليلٌ فيما يصحُّ عن الصحابة والتابعين... اهـ.

لكن أفادنا الأخ **طاهر المحسي** بالتالي: **الأزرقي محمد بن عبد الله** صاحب «تاريخ مكة»، قال مسلمة: مكي ثقة. كما في «الثقات ممّن لم يقع في الكتب الستة». أما قول العلامة المعلمي رحمه الله: «لم يوثقه أحد

من أئمة الجرح والتعديل»، فلعلّه لم يقف على هذا التوثيق، وقال المعلمي في «التنكيل» (٢/ ٦٧٦): وأما مسلمة بن قاسم: حدّه أن يقبل منه توثيق من لم يجرحه من هو أجل منه، ونحو ذلك، فأمّا أن يعارض بقوله نصوص جمهور الأئمة فهذا ما يقوله عاقل. اهـ.

فائدة: كتاب «الصلة» لمسلمة بن قاسم المالكي (ت٣٥٣هـ)، وهو صلة «للتاريخ الكبير» البخاري، قال الحافظ **ابن حجر**: وهو في مجلد واحد كثير الفوائد. قال **أبو صاعد أحمد باشا المصري**: إي والله! إنه لجليل كثير الفائدة، والكتاب هذا مفقود، لكن غالب مادته منثورة في كتب أربعة؛ وهي: «تهذيب» الحافظ و«لسانه» و«إكمال» مغلطاي و«ثقات» ابن قطلوبغا.



باب
الفقه وأصوله وبعض مسائله

١٣٢٦ الحذر من الاعتماد الكلِّي على بعض كتب الفقهاء المتأخرين!!

قال الشيخ **حمد بن ناصر بن معمر النجدي التميمي** (ت١٢٢٥هـ):
المتعصبون لمذاهب الأئمة تجدهم في أكثر المسائل قد خالفوا نصوص أئمتهم، واتّبعوا أقوال المتأخرين من أهل مذهبهم، فهم يحرصون على ما قاله الآخر، فالآخر؛ وكلما تأخّر الرجل أخذوا بكلامه، وهجروا أو كادوا يهجرون كلام من فوقه؛ فأهل كل عصر إنما يقضون بقول الأدنى فالأدنى إليهم، وكلما بَعُدَ العهد، ازداد كلام المتقدمين هجراً ورغبة عنه، حتى إن كتب المتقدمين لا تكاد توجد عندهم، فإنْ وقعت في أيديهم، فهي مهجورة.

فالحنابلة قد اعتمدوا على ما في «الإقناع» و«المنتهى»، ولا ينظرون فيما سواهما، ومن خالف مذهب المتأخرين، فهو عندهم مخالف لمذهب أحمد رَحِمَهُ اللهُ، مع أن كثيراً من المسائل التي جزم بها المتأخّرون مخالفة لنصوص أحمد، يعرف ذلك من عرفه، وتجد كتب المتقدمين من أصحاب أحمد مهجورة عندهم؛ بل قد هجروا كتب المتوسطين، ولم يعتمدوا إلا على كتب المتأخرين.

فـ«المغني» و«الشرح» و«الإنصاف» و«الفروع» ونحو هذه الكتب، التي يذكر فيها أهلها خلاف الأئمة، أو خلاف الأصحاب، لا ينظرون فيها؛ فهؤلاء في الحقيقة أتباع الحجاوي وابن النجار، لا أتباع الإمام أحمد.

وكذلك متأخرو الشافعية، هم في الحقيقة أتباع ابن حجر الهيتمي صاحب «التحفة» وأضرابه من شرّاح «المنهاج»؛ فما خالف ذلك من نصوص الشافعي، لا يعبؤون به شيئاً.

وكذلك متأخرو المالكية، هم في الحقيقة: أتباع خليل، فلا يعبؤون بما خالف «مختصر خليل» شيئاً، ولو وجدوا حديثاً ثابتاً في الصحيحين، لم يعملوا به إذا خالف المذهب، وقالوا: الإمام الفلاني أعلم منا بهذا الحديث، ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣]؛ وكل أهل مذهب اعتمدوا على كتب متأخريهم، فلا يرجعون إلا إليها، ولا يعتمدون إلّا عليها.

وأما كتب الحديث، كالأمهات الست، وغيرها من كتب الحديث، وشروحها، وكتب الفقه الكبار، التي يُذكَر فيها خلاف الأئمة وأقوال الصحابة والتابعين، فهي عندهم مهجورة، بل هي في الخزانة مسطورة، للتبرّك بها لا للعمل، ويعتذرون بأنهم قاصرون عن معرفتها، فالأخذ بها وظيفة المجتهدين، والاجتهاد قد انطوى بساطه من أزمنة متطاولة، ولم يبقَ إلا التقليد، والمقلد يأخذ بقول إمامه، ولا ينظر إلى دليله وتعليله.

ولم يميّزوا بين المجتهد المطلق، الذي قد اجتمعت فيه شروط الاجتهاد، فهو يستقل بإدراك الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية من غير تقليد ولا تقييد، وبين المجتهد في مذهب إمامه أو في مذاهب الأئمة الأربعة، من غير خروج عنها؛ فهو ملتزم لمذهب إمام من الأئمة، وينظر في كتب الخلاف، ويمعن النظر في الأدلة، فإذا رأى الدليل بخلاف مذهبه، قَلَّد الإمام الذي قد أخذ بالدليل؛ فهو اجتهاد مشوب بالتقليد.

فيَنظر إلى ما اتفقوا عليه ويأخذ به، فإن اختلفوا نظر في الأدلة؛ فإن وجد مع أحدهم دليلاً أخذ بقوله، فإن لم يجد في المسألة دليلاً من الجانبين، أخذ بما عليه الجمهور، فإن لم يجد ذلك، بل قوي الخلاف

عنده من الجانبين، التزم قول إمامه، إذا لم يترجح عنده خلافه.

فأكثر المقلدين لا يميزون بين المجتهد المستقل من غيره، وجعلوهما نوعاً واحداً؛ وهذا غلط واضح؛ فإن مَن كان قاصراً في العلم، لا يستقل بأخذ الأحكام من الأدلة، بل يسأل أهل العلم، كما نص عليه الإمام أحمد، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رواية ابنه عبد الله؛ وقد ذكرناه فيما تقدم.

وأما الاجتهاد المقيَّد بمذاهب الأئمة، وتوخِّي الحق بما دل عليه الدليل، وبما عليه الجمهور، فهذا هو الذي لا ينبغي العدول عنه، وهو الذي ذكره صاحب الإفصاح. وأما لزوم التمذهب بمذهب بعينه بحيث لا يخرج عنه، وإن خالف نص الكتاب أو السُّنَّة، فهذا مذموم غير ممدوح؛ وقد ذَمَّه صاحب «الإفصاح» كما تقدم ذكره، بل قد ذَمَّه الأئمة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم.

قال الشافعي، قدس الله روحه: طالب العلم بلا حجة، كحاطب ليل، يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري...

• «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤/ ٥٧ ـ ٦٠).

١٣٢٧ النووي الشافعي يُقَدِّم الحديث على قول إمام مذهبه رحمهما اللَّه!

قال الفقيه **يحيى بن شرف النووي** (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ) في «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٤/ ١٦٠/ بتعليقي): قوله: **(وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط)** هذا تصريح بجواز تسمية الرمل شوطاً، وقد نقل أصحابنا أن مجاهداً والشافعي كَرِهَا تسميته شوطاً أو دوراً بل يسمى طوفة، وهذا الحديث ظاهر في أنه لا كراهة في تسميته شوطاً، فالصحيح أنه لا كراهة فيه. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: رحم الله المؤلف، فإنه قَدَّم الحديث على قولِ إمام مذهبه، وهو بهذا ليس مخالفاً لقول إمامه **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل متَّبِعاً له حقّ الاتباع، إذ يقول الشافعي: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سُنَّة رسول الله ﷺ؛ فقُولوا بسُنَّة رسول الله ﷺ، ودَعُوا ما قلت»، وقال:

«إذا صَحَّ الحديث فهو مذهبي». وعلى هذا المنهج سار باقي أئمة المذاهب رحمهم الله، فانظر أقوالهم في مقدمة «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٤٣ ـ ٥٧) للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

• نقلتها من تعليقي على «شرح النووي على مسلم» (٤/ ١٦٠/ ط. دار الصديق ـ الجبيل)، وسأنقل لكم فائدتين عن النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ ـ كان النووي **من شيوخ الحافظ المزي** (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ)، كما أشار إليه الصفدي والسيوطي، وأفاده د. عبد الحكيم الأنيس.

٢ ـ ذكر طاهر الجزائري في «تذكرته» (١/ ١٦٨/ ط. ابن حزم) أنّ **شرفاً** والد النووي توفي بعده عام ٦٨٥هـ.

١٣٢٨ ماذا كان قول الحبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأخير في نكاح المتعة؟ الإباحة أو التحريم؟

قال **محمد الرستاقي** في كتابه «انفرادات ابن عباس عن جمهور الصحابة في الأحكام الفقهية» (ص٣٠٧/ ط. مكتبة الفرقان ـ عجمان) ـ بعد أن أورد الروايات عن ابن عباس في نكاح المتعة إباحة وتحريماً ـ:

«قال بعض أهل العلم: إن الآثار الواردة في رجوع ابن عباس عن قوله في المتعة ضعيفة، والآثار عنه بجوازها أصح، لكن المشهور بين أهل العلم رجوعه عن قوله في المتعة بالاستفاضة. فقد حكى رجوعه عن قوله جمعٌ كثيرٌ من العلماء»، ثم ذكر الرستاقي عدداً منهم.

وقال (ص٣٠٩): «الراجح هو رجوع ابن عباس إلى قول جمهور الصحابة، وصار إجماعاً منهم على تحريم المتعة، والله أعلم بالصواب».

١٣٢٩ نبذة عن الفتاوى العالمكيرية (المعروفة بالفتاوى الهندية)

قال الأستاذ **عبد الحي الحسني** (١٢٨٦ ـ ١٣٤١هـ/ ١٨٦٩ ـ ١٩٢٣م) في كتابه اللطيف المسمى بـ«الثقافة الإسلامية في الهند» (وهو

كتاب مفيد جدًّا، أنصح إخواني من الحنفية وغيرهم بقراءته، ففيه فوائد جمّة) ـ تحت عنوان «الفتاوى العالمكيرية» ـ: «أما الفتاوى العالمكيرية ـ ويسمّونها الفتاوى الهندية ـ فهي أجلّها وأنفعها في كثرة المسائل وسهولة العبارة وحل العقد، وهي التي اشتهرت في بلاد العرب والشام ومصر القاهرة بالفتاوى الهندية، وهي في ست مجلدات كبار، وأولها الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين. . .» إلخ.

ورتّبوها على ترتيب «الهداية»، واقتصروا فيها على ظاهر الرواية، ولم يلتفتوا إلى النوادر إلّا إذا لم يجدوا جواب المسئلة في ظاهر الرواية أو وجدوا جواب النوادر موسوماً بعلامة الفتوى، ونقلوا كل عبارة معزوّة إلى كتابها ولم يغيّروا إلّا لداعي ضرورة.

وإني لم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها حتى عرفت أن السلطان أورنكَ زيب عالمكَير التيموري ـ أنار الله برهانه ـ ولّى الشيخ نظام الدين البرنهابوري في أوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية، وبذل على تدوينها مئتي ألف روبية، فولى أربعة رجال من أهل العلم والصلاح تحت أمر الشيخ نظام الدين المذكور، وقسّم أرباعها على أربعتهم؛ الأول القاضي محمد حسين الجونبوري المحتسب، والثاني الشيخ علي أكبر الحسيني أسعد الله خاني، والثالث الشيخ حامد بن أبي حامد الجونبوري، والرابع المفتي محمد أكرم الحنفي اللاهوري ـ كما في مرآة العالم ـ، وأما غيرهم من المصنفين فما وففت (كذا، ولعل الصواب وقفت) على أسمائهم غير شرذمة قليلة. اهـ. . . ثم ذكر بعضهم.

● نقلها محمد فؤاد جعفر.

١٣٣٠ خطأ مَن نَسَب إلى الإمام الشافعي القول بإباحة تزوج الرجل بنته من الزنى!

قال العلامة ابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ) في «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: نص الشافعيُّ على كراهة تزوج الرجل بنته من ماء الزنا ولم يقل قط إنه مباح ولا جائز، والذي يليق بجلالته، وإمامته ومنصبه الذي أجلّه الله به من الدين، أن هذه الكراهة منه على وجه التحريم، وأطلق لفظ الكراهة لأن الحرام يكرهه الله ورسوله، وقد قال تعالى عقيب ذكر ما حرمه من المحرمات من عند قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إلى آخر الآيات، ثم قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء، ٢٣ ـ ٣٨]، وفي الصحيح: «**إن الله ﷻ كره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

غلَط المتأخرون في نقل التحريم إلى الكراهة، فالسلف كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استُعملت فيه في كلام الله ورسوله، أما المتأخرون فقد اصطلحوا على الكراهة تخصيص بما ليس بمحرم وتركه أرجح من فعله، ثم حمل من حمل منهم كلام الأئمة على الاصطلاح الحادث، فغلط في ذلك، وأقبح غلطاً منه من حمل لفظ الكراهة أو لفظ لا ينبغي في كلام الله ورسوله على المعنى الاصطلاحي الحادث. اهـ.

وقال **الألباني** في «تحذير الساجد» (ص٥٠ ـ ٥٢): **لقد أخطأ مَن نَسَب إلى الإمام الشافعي القول بإباحة تزوّج الرجل بنته من الزنى بحجّة**

أنّه صرَّح بكراهة ذلك، والكراهة لا تنافي الجواز إذا كانت للتنزيه!...
ثم نقل الألباني كلام ابن قيّم الجوزية السابق.

١٣٣١ لا تُعْطَى الزكاة لِمَن لا يصلي:

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في «الاختيارات الفقهية» (ص١٠٣):
«ولا ينبغي أن يُعْطِيَ الزكاة لمن لا يستعين بها على طاعة الله؛ فإنَّ الله تعالى فرَضها معونةً على طاعته لمن يحتاج إليها من المؤمنين؛ كالفقراء والغارمين، أو لِمَن يُعَاوِن المؤمنين، فمن لا يُصلّي من أهل الحاجات؛ لا يُعطى شيئاً حتى يتوب، ويلتزم أداء الصلاة في أوقاتها». اهـ.

وقال **حسين العوايشة** في «الموسوعة الفقهية الميسرة» (٣/ ١٣٦):
سألت شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل تعطى الزكاة لغير الصالح إذا لم يستعن بها على المعصية؟

فقال: «... عند فقدان الصالح».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... أمّا المسلم الفاسق؛ فيجوز إعطاؤه الزكاة إذا كان فيه تأليفٌ لقلبه، وإلّا فلا». انتهى.

١٣٣٢ تحريم المشاركة في سباق السيارات «رالي/Rally»:

قال الشيخ **سليم الهلالي** في «موسوعة المناهي الشرعية في صحيح السُّنَّة النبوية» (٢/ ٤٤٠) ـ عند كلامه على الحديث الذي رواه الأربعة:
«لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل» ـ:

من فقه النوازل: انتشر في العالم المعاصر سباق دولي للسيارات المسمّى «رالي»، وهو سباق محرّم؛ لأنّ السيارة ليست آلة حرب، ولا تقوِّي جسم سائقها كما في المسابقة والمناضلة والرياضة، وهي كذلك من اللهو الباطل المحظور لِما فيها من مغامرة ومخاطرة تؤدّي إلى قتل

السائق أو إصابته إصابة بالغة، يُضاف إلى ذلك ما فيها من إضاعة الأوقات.

قال د. **ياسين درادكة** في «نظرية الغرر في الشريعة الإسلامية» (٢/ ٢٤٨): «أرى أنّ المسابقة لا تكون استعداداً للحرب وإنما هي للغلبة. وثانياً: إنما السبق هنا يكون بفعل السائق لا السيارة؛ لأنّ المسابقة يُشتَرَط فيها أنْ تكون السيارات من جنس واحد. وكلُّ ما كان لغير حرب لا يجوز المسابقة فيه».

١٣٣٢م فاقد الطهورَين (الماء والتراب) تجب عليه الصلاة ولا يصح تأخيرها عن وقتها:

إذا لم يجد المسلم الماء ولا التراب، ولم يستطع الحصول على ذلك (كالسجين)، أو وجدهما ولكن عجز عن الوضوء أو التيمم، فإنه يصلّي على حسب حاله ولا يؤخر الصلاة عن وقتها، فقد بوَّب الإمامّ البخاري في «صحيحه»: (باب إذا لم يجد ماءً ولا تراباً)، وروى حديث عائشة رضي الله عنها (٣٣٦) أن رجالاً أدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلّوا، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله آية التيمم. فالصحابة صلّوا معتقدين وجوب الصلاة لفاقد الطهور، ولو كانت الصلاة ممنوعة على فاقد الطهور لأنكر عليهم النبي ﷺ وأمرهم بالإعادة. قال ابن حزم في «المحلى» (٢/ ١٨٨): «من كان محبوساً في حضر أو سفر بحيث لا يجد تراباً ولا ماء، أو كان مصلوباً وجاءت الصلاة، فليصَلِّ كما هو، وصلاته تامة ولا يعيدها، سواء وجد الماء في الوقت أو لم يجده إلا بعد الوقت». اهـ.

قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال النبي ﷺ: **«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، (رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)).**

١٣٣٣ تحريم انتاج البِغال:

قال الشيخ **سليم الهلالي** في «موسوعة المناهي الشرعية في صحيح السُّنَّة النبوية» (٢/ ٤٤٤):

باب تحريم إنزاء الحمير على الخيل:

عن علي رضي الله عنه قال: أُهْدِيَت لرسول الله ﷺ بغلة فركبها، فقال عليٌّ: لو حملنا الحمير على الخيل، فكانت لنا مثل هذه. فقال رسول الله ﷺ: «**إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون**». (رواه أبو داود والنسائي).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ عبداً مأموراً، ما اختصّنا دون الناس بشيء؛ إلا ثلاثة: أمرنا أنْ نسبغ الوضوء، وأنْ لا نأكل الصدقة، وأنْ لا ننزي حماراً على فرس». (رواه الترمذي والنسائي، وننزي من الإنزاء؛ وهو الوثوب).

من فقه الباب: تحريم عمل البغال، وذلك بإنزاء الحمير على الخيل؛ لأنّ ذلك خلاق الذين لا يعلمون. ويجوز اتخاذ البغال فرشاً لفعله ﷺ، ولقد امتنّ اللهُ على العباد بذلك بقوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

١٣٣٤ كانت عجائز بيروت يُنكرن أشدّ الإنكار على إدخال ورق اللعب (الشدَّة) إلى البيوت لاحتوائه على صور تمنع دخول الملائكة!

قال المحامي والمؤرخ **عبد اللطيف فاخوري** في كتابه «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص١٨٨): روى والدي أن جدّته لأبيه (الحاجة صفية)، كانت (تقيم الدنيا وتقعدها) إذا رأت أوراق اللعب

(الشدّة) وما عليها من صور، وكانت تقول له: «يا ستّي ابعدوا هذه الورق، البيت يَلّي فيه صور ما تدخله الملايكة».

وكان الأديب **عمر فاخوري** قد ألقى سنة ١٩٢٧م (كلمة في التصوير) في الحفلة التي أقامها الكشاف المسلم تكريماً للفنان مصطفى فرّوخ، قال فيها بأنّ التصوير كان لبضع سنوات من المحرمات، وأن العجائز كنّ يتطيرن من ورق اللعب ويكرهنه ويأمرن عمراً بإخفائه في الأرض السابعة. وبرّر عمر طلبهن «فليس ذلك لأنّه يعلّم البوكر والباكارا وما أشبههما من مدافن الثروة، بل لأنّ على ورق اللعب صوراً وتهاويل هي كالشياطين إذا غابت الملائكة».

وكان الشيخ **عبد الرحمٰن محمد الحوت** (ت١٩١٦م) قال في رسالته «إرشاد العوام إلى سبيل السلام»: «أن اللعب بالكفنجة ـ وهي الشدَّة ـ حرام لأنه ليس العمل فيه إلا على سبيل الحزر والتخمين، وأنّ ممّا أظهره المردة للترك في هذه الأعصار كفنجة يلعبون بها، فإنْ كان بعَوَض فقِمار، وإنْ كان بلا عَوَض فهي كالنرد...». اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: رحم الله عجائز بيروت اللاتي أنكرن ورق الشدّة لنهي النبي ﷺ عن إدخال الصور إلى البيوت، فعن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**». (رواه البخاري (٢١٠٥) ومسلم (٢١٠٧)).

١٣٣٥ حكم أجراس الساعات والمنبهات والهواتف ودوائر العمل وأشباهها:

قال العلامة **الألباني** رحمه الله في «جلباب المرأة المسلمة» (ص١٦٩) ـ بعد ذكره لحديثَي مسلم (٢١١٤، ٢١١٣): «**الجرس مزمار الشيطان**» و«**لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس**» ـ:

أحدثت في هذا العصر أجراس متنوعة لأغراض مختلفة نافعة،

كجرس ساعة المنبه الذي يوقظ من النوم، وجرس الهاتف (التليفون)، وجرس دوائر الحكومة، والدور، ونحو ذلك، فهل يدخل هذا في الأحاديث المذكورة وما في معناها؟ وجوابي: لا، وذلك لأنه لا يشبه الناقوس لا في صوته ولا في صورته. والله أعلم.

وهذا بخلاف أجراس بعض الساعات الكبار التي تعلق على الجدران، فإن صوتها يشبه صوت الناقوس تماماً، ولذلك فهذا النوع من الساعات لا ينبغي للمسلم أن يدخلها إلى داره، ولا سيما أن بعضها تعزف ما يشبه الموسيقى قبيل أن يدق جرسها! مثل ساعة لندن التي تسمع من إذاعتها والمعروفة باسم (بِكْ بَن/ Big Ben).

ومما يؤسف له أن هذا النوع من الساعات قد أخذ يغزو المسلمين حتى في مساجدهم، بسبب جهلهم بشريعتهم! وكثيراً ما سمعنا الإمام يقرأ في الصلاة بعض الآيات التي تندد بالشرك والتثليث، والناقوس يدق من فوق رأسه منادياً ومذكراً بالتثليث! والإمام وجماعته في غفلتهم ساهون.

ولقد كنت كلما دخلت مسجداً فيه مثل هذه الساعة، عطّلت ناقوسها دون أن أمس آلتها بسوء؛ لأنني ساعاتي ماهر والحمد لله، وما كنت أفعل ذلك إلا بعد أن ألقي كلمة أشرح فيها وجهة نظر الشرع في مثل هذا الناقوس، وأقنعهم بضرورة تطهير المسجد منه، ومع ذلك فقد كانوا أحياناً ـ مع اقتناعهم ـ لا يوافقون على ذلك، بحجة أن الشيخ فلان والعالم فلان وفلان صلُّوا في هذا المسجد، وما أحد منهم اعترض!

هذا في سورية، وما كنت أظن أن مثل هذه الساعة التي تذكّر بالشرك تغزو بلاد التوحيد (السعودية)، حتى دخلت مع شقيقي منير مسجد قباء في موسم الحج (سنة ١٣٨٢)، فدهشنا حين سمعنا دق الناقوس من ساعتها! فكلّمنا بعض القائمين على المسجد، ولعلَّ إمامه

كان فيهم، وأقنعناهم بعدم جواز استعمال هذه الساعة وخصوصاً في المسجد، وسرعان ما اقتنعوا، ولكنَّا لمّا طلبنا منهم أن يسمحوا لنا بتعطيل ناقوسها أبوا، وقالوا: هذا ليس من اختصاصنا، وسنرفع المسألة إلى أولي الأمر! فقلنا: شتان بين الأمس واليوم. وصدق رسول الله ﷺ: «**ما من عام إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**». «السلسلة الصحيحة» (١٢١٨). وهذه ذكرى، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

١٣٣٦ تحريم إسبال الثياب ولو لم يقصد اللابس الخُيَلاء:

إسبالُ الثياب كلّه حرام؛ لأنّه لا يكون إلّا من خيلاء، كما قال النبي ﷺ: «**إياك وتسبيل الإزار، فإنّه من الخُيَلاء، والخُيَلاء لا يحبها الله ﷻ**». (رواه أحمد (٥/ ٦٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٥٢)).

قال **ابن العربي المالكي** (ت٥٤٣هـ): لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول لا أجرّه خيلاء؛ لأن النهي قد تناوله لفظاً، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول: (لا أمتثله؛ لأن تلك العلّة ليست فيَّ)، فإنها دعوى غير مسَلَّمة، بل إطالته ذيله دالة على تكبره. اهـ. ملخصاً.

نقل السابق **ابنُ حجر** في «فتح الباري» (١٠/ ٢٦٤)، ثم قال: وحاصله أنَّ الإسبال يستلزم جرّ الثوب، وجرُّ الثوب يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء. اهـ.

وهاكم فائدة حول موضوع لبس البنطلون الذي يُجَسِّم العورة وعَمَّت به البلوى، أنقل لكم فتوى للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: إذا كان البنطلون نازلاً عن الكعبين فإنه محرّم لقول النبي ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»، وما قاله النبي ﷺ في الإزار فإنه يكون في غيره، وعلى هذا فيجب على الإنسان أن يرفع بنطلونه وغيره من لباسه عمَّا تحت كعبيه، وإذا صلَّى به وهو نازل تحت الكعبين فقد اختلف أهل

العلم في صحّة صلاته، فمنهم من يرى أن صلاته صحيحة؛ لأن الرجل قام بالواجب وهو ستر العورة، ومنهم من يرى أن صلاته ليست بصحيحة؛ لأنه ستر عورته بثوب محرم، وجعل هؤلاء من شروط الستر أن يكون الثوب مباحاً، والإنسان على خطر إذا صلى في ثياب مسبلة! فعليه أن يتّقي الله ﷻ وأن يرفع ثيابه حتى تكون فوق كعبيه.

- «فتاوى نور على الدرب».

١٣٣٧ الجمع بين أحاديث تحريم كسب الحجام وبين أحاديث إباحة إعطائه:

روى أبو داود (٣٤٢٢) والترمذي (١٢٧٧) ـ وحسنه ـ وابن ماجه (٢١٦٦) من حديث محيصة رضي الله عنه، أنه استأذن النبي ﷺ في إجارة الحجام فنهاه عنها، فلم يزل يسأله ويستأذنه حتى قال: «**اعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك**». (وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٠)).

قال **صديق حسن خان** (ت١٣٠٧هـ) في «الروضة الندية»: قد يمكن الجمع (بين أحاديث تحريم أجرة الحجام وبين أحاديث إعطائه) بأن المنع عن مثل ما منع منه محيصة والإذن بمثل ما أذن له ورخص له فيه. اهـ.

قال **الألباني** في «التعليقات الرضية» (٢/ ٤٤٦/ ٢): هذا هو الصواب الذي يقتضيه حديث محيصة، ولا ينهض معارضته بأحاديث إعطائه ﷺ الأجرة للحجّام؛ لأن الإعطاء غير الأخذ في بعض الأحوال؛ ألا ترى أنه ﷺ كان يعطي السائل وهو غير مستحق للسؤال، ثم يقول: «**إنما تكون تحت إبطه ناراً**»؟!

قال الحافظ **ابن حجر** في «الفتح»: «وذهب أحمد وجماعة إلى الفرق بين الحر والعبد، فكرهوا للحر الاحتراف بالحجامة، ويحرم عليه الإنفاق على نفسه منها، ويجوز له الإنفاق على الرقيق والدواب منها، وأباحوها للعبد مطلقاً، وعمدتهم حديث محيصة». اهـ.

وهذا هو الحق، وكيف يصح حمل النهي على التنزيه؛ مع التصريح

بأنّ كسب الحجّام سحت كما تقدّم؟! انتهى كلام العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣٣٨ اللعن!

قال الشيخ **بكر أبو زيد** (ت١٤٢٩هـ) في «معجم المناهي اللفظية»:
اللعن هو لغة: الطرد والإبعاد، وفي الشرع: الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، والأصل الشرعي: تحريم اللعن، والزجر عن جريانه على اللسان، وأن المسلم ليس بالطعان ولا اللَّعَّان، ولا يجوز التلاعن بين المسلِمين، ولا بين المؤمنين، وليس اللعن من أخلاق المسلمين ولا أوصاف الصديقين، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعْنُ المسلم كقتله**» (متفق عليه). واللَّعَّان قد جرت عليه نصوص الوعيد الشديد؛ بأنه لا يكون شهيداً، ولا شفيعاً يوم القيامة، ويُنهى عن صحبته، ولذا كان أكثر أهل النار: النساء؛ لأنهن يُكثرن اللعن، ويكفرن العشير، وأن اللعان ترجع إليه اللَّعْنةُ، إذا لم تجد إلى من وجهت إليه سبيلاً، ومن العقوبات المالية لِلَّعَّان: أنه إذا لَعَنَ دابة تُركت.

وقد بالغت الشريعة في سد باب اللعن عن من لم يستحقه، فنهى النبي ﷺ عن لعن الديك، وعن لعن البرغوث، فعلى المسلم الناصح لنفسه حفظ لسانه عن اللعن، وعن التلاعن، والوقوف عند حدود الشرع في ذلك، فلا يُلعن إلا من استحق اللعنة بنص من كتاب أو سُنَّة، وهي في الأُمور الجامعة الآتية:

١ ـ اللعن بوصف عام مثل: لعنة عامة على الكافرين، وعلى الظالمين، والكاذبين.

٢ ـ اللعن بوصف أخص منه، مثل: لعن آكل الربا، ولعن الزناة، ولعن السُّرَّاق والمرتشين، والمرتشي، ونحو ذلك.

٣ ـ لعن الكافر المعين الذي مات على الكفر، مثل: فرعون.

٤ ـ لعن كافر معين مات، ولم يظهر من شواهد الحال دخوله في الإسلام، فيُلعَن. وإن توقَّى المسلم، وقال: لعنه الله إن كان مات كافراً، فحسن.

٥ ـ لعن كافر معيَّن حي؛ لعموم دخوله في لعنة الله على الكافرين، ولجواز قتله، وقتاله، ووجوب إعلان البراءة منه.

٦ ـ لعن المسلم العاصي ـ مُعيَّناً ـ أو الفاسق بفسقه، والفاجر بفجوره، فهذا اختلف أهل العلم في لعنه على قولين، والأكثر بل حُكي الاتفاق عليه، على عدم جواز لعنه؛ لإمكان التوبة، وغيرها من موانع لحوق اللعنة، والوعيد مثل ما يحصل من الاستغفار، والتوبة، وتكاثر الحسنات وأنواع المكفرات الأخرى للذنوب، وإن ربي لغفور رحيم. اهـ.

١٣٣٩ لعن الفرد المعيَّن تأديباً له وزجراً:

وردت بعض الأحاديث التي يُستدَلّ بها على جواز لعن المسلم العاصي معيَّناً، منها ما رواه البخاري في «الأدب المفرد» **(١٢٤، ١٢٥)** عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله! إن لي جاراً يؤذيني، فقال: «**انطلق، فأخرج متاعك إلى الطريق**». فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ فقال: «**انطلق، فأخرج متاعك إلى الطريق**»، فجعلوا يقولون: اللَّهُمَّ! العنه، اللَّهُمَّ! أخزه. فبلغه، فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله! لا أؤذيك.

وعن أبي جحيفة قال: شكا رجل إلى النبي ﷺ جاره، فقال: «**احمل متاعك، فضعه على الطريق، فمن مر به يلعنُه**». فجعل كل من مرّ به يلعنه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: ما لقيت من الناس؟ فقال: «**إن لعنة الله فوق لعنتهم**». ثم قال للذي شكا: «**كُفيت**»، أو نحوه.

وروى مسلم (٢١١٧) أن النبي ﷺ مرَّ عليه حمارٌ قد وُسِمَ في وجهه، فقال: «**لعن الله الذي وسمه**».

وروى أحمد (٢/ ٢٢٣) حديثاً ـ صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٨٣) ـ ذَكَرَ فيه النبي ﷺ النساء الكاسيات العاريات، وقال: «**العنوهنّ فإنهنّ ملعونات**».

وذكر العلامة الألباني حديث الرجل الشاكي جاره ـ في تعليقه على رسالة «الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية (ص٥٧) ـ وقال: جرى الصحابة رضي الله عنهم على جواز لعن الفرد المعيَّن تأديباً له وزجراً، إذا عُلِمَ أنّه أهلٌ لذلك، وأقرّهم النبي ﷺ على ذلك. اهـ.

وقال الألباني (ص٥٩) ـ بعد أنْ ذكر أثرين عن الصحابة في لعن المعيَّن ـ: وبالجملة، فلعن المعيَّن تأديباً له، وزجراً لغيره أن يفعل فعله، ممّا لا دليل على المنع منه، بل فيما ذكرنا ما يدلّ على جوازه، ولدينا مزيد لولا ضيق المجال. اهـ كلام الألباني.

وروى ابن حبان في «صحيحه» (٣٠٢١) عن مجاهد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ما فعل يزيد بن قيس لعنه الله؟! قالوا: قد مات. قالت: فأستغفر الله. فقالوا لها: ما لَكِ لعنته ثم قلتِ أستغفر الله؟ قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا**». (وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥١٨)).

وقد وقفتُ بفضل الله على تحديد نسب الرجل، وعلّة استحقاقه للعن: فروى الخطيب في «**الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**» عن مسروق بن الأجدع قال: دخلت على عائشة فقالت: ما فعل يزيد بن قيس الرحبي لعنه الله؟ قال: قلت: يا أم المؤمنين مات! قالت: أستغفر الله. مرتين. قلت: يا أم المؤمنين بِمَ استحللتِ لعنته ثم استغفرت؟ قالت: استحللت لعنته؛ لأنه كان سفيراً بيني وبين علي بن

أبي طالب فبلَّغ عني ما لم أقل! وأما استغفاري فإن رسول الله ﷺ نهانا أن نلعن الأموات أو قال: موتانا!اهـ. ورواه الطبراني في «الدعاء» من طريق آخر عن مسروق.

١٣٤٠ استتابة المرتد وسجنه:

روى البيهقي في «السنن الكبير» (٨/ ٢٠٧) من طريق مالك بن يحيى، ثنا علي بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن عامر، عن أنس بن مالك قال: لَمَّا نَزَلْنَا عَلَى تُسْتَرَ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي الْفَتْحِ وَفِي قُدُومِهِ على عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي اللهُ عَنْهُ، قال عُمَرُ: يَا أَنَسُ، مَا فَعَلَ الرَّهْطُ السِّتَّةُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلَامِ فَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: فَأَخَذْتُ به في حَدِيثٍ آخَرَ لِيَشْغَلَهُ عَنْهُمْ، قال: مَا فَعَلَ الرَّهْطُ السِّتَّةُ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلَامِ فَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُتِلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، قَالَ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلْ كَانَ سَبِيلُهُمْ إِلَّا الْقَتْلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا الإِسْلَامِ، فَإِنْ أَبَوْا اسْتَوْدَعْتُهُمُ السِّجْنَ.

وحسّن إسناده الألباني في «التعليقات الرضيّة على الروضة الندية» (٣/ ٣٤٢/ حاشية).

ورواه سعيد بن منصور في «سننه» قال: حدثنا خالد بن عبد الله، عن داود... فساق الأثر.

١٣٤١ مشروعية مبايعة غير المسلم وقبول إسلامه وإنْ شَرَط شروطاً غير صحيحة:

قال محمد سعيد بن عبد الرحمٰن الباني (١٢٩٥ ـ ١٣٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق» (ص١١٨/ ط. المكتب

الإسلامي): رأيت في إحدى المقدمات سياسته ﷺ مع مَن يريدون الدخول في دين الإسلام كقبيلة ثقيف، وقد دَلَّ حديث ثقيف وغيره من الأحاديث الشريفة على مشروعية مبايعة غير المسلم وقبول إسلامه وإنْ شرَط شروطاً غير صحيحة، وفي هذا من تسامح الدين ويسره وسعته وسياسة نبينا ﷺ وحسن تصرفه وتيسيره أكبر عبرة لمَن اعتبر، وأعظم عِظَة لمَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، بخلاف أحد المتفقهة الذي لم يفكر لجهله بسيرة الرسول ﷺ وكون شريعته منوطة بالمصالح، ولم يتدبر بالعاقبة حينما سأله عظيم أمّة عظيمة قبوله وشعبه اعتناق دين الإسلام على شريطة أن لا يتركوا بعض المحظورات في الإسلام لاضطرارهم إليها على زعمهم، فرفض المتفقه الغر إسلامهم على هذا الشرط! وهو رفض فظيع غريب في بابه فيما إذا صحَّت هذه الرواية التاريخية.

إماطة النقاب عن هذه الرواية ما ورد في الجزء الرابع من «**تاريخ مراد بك الداغستاني**» الشهير، وخلاصته أنّ الروسيين كانوا وثنيين فحاول البرنس (فلاديمير/Vladimir) أحد أمراء (كيف) الروسية (قال **البيروتي**: هي عاصمة أوكرانيا الآن) أنْ ينخلع هو وشعبه من الوثنية، ويعتنقون ديناً غير عبادة الأوثان، فأنفذ سفراءه إلى أنحاء العالم ليبحثوا له عن جميع الأديان ويرفعوا إليه خلاصة ما اكتشفوه بالإيضاح التام والتفصيل الوافي فيما يتعلّق بحقيقة كل دين على حدته، وحينما اطلع على جميع ما رُفِع إليه من حقائق الأديان وقع اختياره على دين الإسلام، وقرر بادئ بدء اعتناقه، فاستدعى أحد **متفقهة قزان** وأخبره بذلك، لكن بيَّن له أنّ الروسيين لا يمكنهم أن يعيشوا في إقليمهم ذي البرد القارص بدون تعاطي شرب الخمر وأكل الخنزير، فلم يُجَوِّز المتفقه القزاني ذلك، فاعتذر الأمير (فلاديمير) أن الضرورة تحملهم على ذلك لشدة برودة الأقاليم، وصرف النظر آسفاً عن اعتناق الإسلامية، واعتنق النصرانية

الأرثوذكسية هو وشعبه، ثم انتشرت في جميع الأنحاء الروسية!

كنتُ أسمع هذه الرواية مجملة من أفواه الناس فلا أثق بصحتها، حتى جمعتني الأقدار في قصبة بيله جك (أرطغرل) برفيقي في التغريب وصديقي في توارد الخواطر أحد أركان حربية الجيش العثماني أمير اللواء **إسماعيل حقي باشا** مبعوث أماسية ورئيس فرقة حزب الحرية والائتلاف في المجلس النيابي العثماني في الدورة الأولى، فاستفسرت منه عن صحة هذه الرواية لِما شهدته من اضطلاعه بالتاريخ، إذْ أطلعني على مصوراته في التاريخ المعلّقة على الجدران بألوان مختلفة باختلاف الأمم والدول مثل مصورات تخطيط البلاد، فأجابني أنّ هذه الرواية ليست مِن قبيل ما تتناقله ألسن العوام، بل هي ثابتة في كتب التاريخ، وأطلعني فوراً على التاريخ المذكور، فطفقتُ حينئذٍ ألوم هذا المفتي القزاني وأضرابه، وأخبرتُ هذا النابغة العظيم الجامع بين التدين والتمدن أنّ هذا المتفقه لو كان من أهل البصيرة في الدين والفقه في شريعة خاتم المرسلين والوقوف على تصرفاته ﷺ لِما اقترف هذا الخطأ المشين، ولعرف أنهم بعد إسلامهم يُقلِعون عن تعاطي شرب الخمر وأكل لحم الخنزير متى تمكّنت بشاشة الإيمان من قلوبهم؛ لأن أمة الإجابة لا يتفق جمهورها على الضلالة، لكن الذي أفضى بالأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه هو الجمود والوقوف عند ظواهر نصوص الفقهاء، وتعطيل قوى المدارك والمواهب، وإغلاق باب الاجتهاد بدون قيد ولا شرط، فأقرّني على ذلك، وخُتِمَتُ جلسَتُنا بترديد الحوقلة وتبادل عبارات الأسف فيما بيننا. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: اعتنقت روسيا تحت حكم **فلاديمير الخامس** (٩٧٢ ـ ١٠١٥م) «دوق كيف الأكبر» النصرانية سنة ٩٨٩م، ويُقال أنّ هذا الأمير اعتنق الإسلام، ثم ارتد عنه إلى النصرانية كما جاء

في إحدى أقدم المخطوطات الروسية (المخطوطة المعروفة تحت عنوان «قصة السنين الغابرة» (POVEST VREMENNYKH LET)).

وقد روى أبو داود في «سننه» (٤٢٨) ـ بإسنادٍ صححه الألباني ـ عن فضالة الليثي قال: علَّمني رسول الله ﷺ، وكان فيما علَّمني أنْ قال لي: «**حافظ على الصلوات الخمس**». فقلت: إن هذه ساعات لي فيها أشغال، فمُرْني بأمرٍ جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني، قال: «**حافظ على العصرين: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها**».

علَّق الحافظ **ابن رجب** (ت٧٩٥هـ) في «**فتح الباري**» على الحديث السابق قائلاً: كان النبي ﷺ أحياناً يتآلف على الإسلام مَن يريد أن يسامح بترك بعض حقوق الإسلام، فيقبل منهم الإسلام، فإذا دخلوا فيه رغبوا في الإسلام فقاموا بحقوقه وواجباته كلها.

وفي «المسند» من حديث قتادة، عن نصر بن عاصم الليثي، عن رجل منهم، أنه أتى النبي ﷺ «**فأسلم على أنْ يصلِّي صلاتَين، فقَبِل منه**». وفي رواية: «**على أن لا يصلِّي إلا صلاتين، فقبل منه**». (صححه الألباني في «الثمر المستطاب» على شرط مسلم، وعلّق قائلاً: ويجوز لولاة الأمر أن يقبلوا إسلام الكافر ولو لم يرضَ بإقامة كل الصلوات الخمس).

وفيه ـ أيضاً ـ عن جابر، أن ثقيفاً إذ بايعت اشترطت على رسول الله ﷺ (أنْ لا صدقة عليها ولا جهاد، قال رسول الله ﷺ: «**يصدقون ويجاهدون إذا أسلموا**»). (صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٨٨)).

قال الإمام **أحمد** في رواية ابنه عبد الله: إذا أسلم على أن يصلي صلاتين يُقبَل منه، فإذا دخل يُؤمر بالصلوات الخمس. وذكر حديث قتادة عن نصر بن عاصم الذي تقدم.اهـ. النقل من «فتح الباري» لابن رجب.

فائدة: في «البدر الطالع» للشوكاني: لما أسلم **غازان بن أركون** (سلطان التتار) قيل له إن دين الإسلام يحرِّم نكاح نساء الآباء، وقد كان استضاف نساء أبيه إلى نسائه وكان أحبهنّ إليه خاتون وهي أكبر نساء أبيه. فهَمَّ أن يرتد عن الإسلام، فقال له بعض خواصه: إن أباك كان كافراً، ولم تكن خاتون معه في عقد صحيح، إنما كان مسامحاً بها، فاعْقدْ أنتَ عليها، فإنها تحلّ لك، ففعل. ولولا ذلك لارتدَّ عن الإسلام. واستحسن ذلك من الذي أفتاه به لهذه المصلحة، بل هو حسن ولو كان تحته ألف امرأة على سفاح. فإنَّ مثل هذا السلطان المتولّي على أكثر بلاد الإسلام في إسلامه من المصلحة ما يسوغ ما هو أكبر من ذلك حيث يؤدي التحريج عليه، والمشي معه على أمر الحق إلى ردته. فرحم الله ذلك المفتي! (أفادها الأخ أحمد صبري).

١٣٤٢ من البدع المنكرة في رمضان الإمساك عن الطعام والشراب قبل دخول الفجر الصادق بثلث ساعة للاحتياط زعموا:

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فيُستَحب تأخير تناول السّحور إلى قرب دخول الفجر الصادق، لقول النبي ﷺ: «**إنّا معشر الأنبياء أُمِرنا بتعجيل فِطرنا، وتأخير سحورنا، وأن نضَع أيماننا على شمائلنا في الصلاة**». (رواه ابن حبان، وصحح إسناده الألباني).

قال العلّامة **ابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المحلّى» (٦/ ٣٤٢): «ولا يلزم صومٌ في رمضان ولا في غيره إلا بتبيُّن طلوع الفجر الثاني، وأمّا ما لم يتبيّن؛ فالأكل والشُّرب والجماع مباح، كلُّ ذلك كان على شكّ من طلوع الفجر، أو على يقين من أنه لم يطلع».

وقال الحافظ **ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (٤/ ١٩٩): «من

البدع المنكَرة ما أُحدِث في هذا الزّمان؛ من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جُعلت علامةً لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام؛ زعماً ممّن أحدثه أنّه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك إلا آحاد النّاس.

وقد جرّهم ذلك إلى أنْ صاروا لا يؤذِّنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا، فأخَّروا الفِطر وعجَّلوا السّحور وخالفوا السُّنَّة، فلذلك قلَّ عنهم الخير وكثر فيهم الشرّ، والله المستعان».

١٣٤٣ بعض القواعد الفقهية التي ذكرها الحافظ ابن حجر في «الفتح»:

١ ـ الضرورات تبيح المحظورات.

٢ ـ ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

٣ ـ العادة محكمة.

٤ ـ اليقين لا يزول بالشك.

٥ ـ بقاء حكم الأشياء على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك.

٦ ـ التأسيس أولى من التأكيد.

٧ ـ دفع المفاسد مقدَّم على اجتلاب المصالح.

٨ ـ إن المفسدتين إذا تعارضتا اقتصر على أخفهما.

٩ ـ إذا تزاحمت المصلحتان قدّم أهمهما.

١٠ ـ الاحتياط للمقاصد أولى من الاحتياط للوسائل.

١١ ـ لا ينسب لساكت قول.

١٢ ـ المعلق بالشرط لا يصح إلا بوجود ذلك الشرط.

١٣ ـ الكتابة تقوم مقام النطق.

١٤ ـ العبرة بالأصول لا بالأتباع.

١٥ ـ تحتمل أخف المفسدتين لحصول المصلحة العظيمة.

• منقولة من «توجيه القاري إلى القواعد والفوائد الأصولية والحديثية والإسنادية في فتح الباري» لحافظ ثناء الله الزاهدي.

١٣٤٢ نهي بائعي الخضار عن المبالغة في مدح بضائعهم وتسمية الأشياء بغير مسمّياتها كذباً:

روى **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» **(٣٥/ ٢٠٤)** عن خيثمة بن سليمان قال: سمعت العباس بن الوليد بن مزيد يقول سمعت أبي يقول: كان **الأوزاعي** على باب دكان بحذاء درج مسجد بيروت وحذاءه صاحب دكان يبيع فيه ناطفاً، وإلى جانبه صاحب دكان يبيع بصلاً وهو يقول: ما أحلا من الناطف، فقال **الأوزاعي**: «سبحان الله ما يرى هذا بالكذب بأساً!». اهـ.

وقال **محمد بن محمد ابن الحاج الفاسي المالكي (ت٧٣٧هـ)** في كتابه «المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها»: ينبغي له أن لا يمدح سلعته ولا يثني عليها بلفظ ولا كناية، ويكفي في ذلك مشاهدة المشتري وغيره لها، لأنه إنْ فعل ذلك فالغالب عليه الخروج عن الحد في الإخبار بخلاف ما هي عليه، فيقع عليه العتب من جهة الشرع الشريف، وقد تقدم أن مدح البائع لسلعته مع صدقه في ذلك لم يكن من عمل السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين، وبعض الناس في هذا الزمان يمدح سلعته بالكذب! **حتى إنّ بعضهم لينادي عليها ويذكر لها اسماً غير اسمها المعروف بين الناس**، فمَن سمعه ممّن لا يعرف يظن أنه كما قال، والأمر بخلافه، مثاله مَن يبيع الفقوس ينادي عليه (يا لوبيا)، فمَن سمِعَه ممّن لا يعرف يظن أن ذلك منه صحيح. اهـ.

وقال **أبو حامد محمد بن أحمد المقدسي الشافعي** في «بذل

النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية»: ينبغي على الخضري أنْ لا يتغالى في مدح سلعته ويسمِّي الأشياء بغير مسمياتها كذباً، كأنْ يقول في القثّاء (أطول من الخيار): يا لوبيا - ويا فستق. وفي الجمِّيز (نوع من شجر التين): يا كُنافة، ويا عسل، ويا أحلى من التين. اهـ. (نقلها محمد خير رمضان يوسف).

• قال أبو معاوية البيروتي: كتاب «بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية» وجدته منسوباً أيضاً لأحمد ابن الرفعة الشافعي المصري (ت٧١٠هـ)، ووجدتُ البغدادي في «هدية العارفين» ترجم لأبي حامد المقدسي مرتين؛ مرة ذكر وفاته في حدود سنة ٨٦٨/ ثمان وستين وثمان مئة، والثانية ذكر وفاته سنة ٨٩٣/ ثلاث وتسعين وثمان مئة!

١٣٤٥ فتوى مفتي بيروت مصطفى نجا (١٢٦٩ - ١٣٥٠هـ/١٨٥٣ - ١٩٣٢م) في حكم التمثيل:

الحمد لله تعالى، **الحق أن التمثيل لا يخلو عن المنكرات، وحيث كان مشتملاً على شيء منها فلا يجوز النظر إليه** خصوصاً عند عدم أمن الفتنة بالنظر إلى المرد الممثلين، فيجب اجتنابه والامتناع من حضوره، كما يجب النهي عنه على كل ذي قدرة، والظاهر أن تمثيل الروايات الأدبية إذا رُوعِي فيه عدم المحظور ولم يترتب عليه مفسدة لا بأس به، وإلا فهو ممنوع، ولو فرضنا أن فيه مصلحة فإنّ درأ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح. وقد قال العلماء: «من علم وقوع شيء من الشر ولو في خير يريد فعله تعيَّن عليه أن يجتنب فعل ذلك الخير، وإلا فهو عاصٍ آثم».

أما تفسير القرآن بالرأي فهو حرام لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**»، رواه أبو داوود والترمذي وحسّنه، وله طرق متعددة، وأما ظهور الغلمان المرد على الصورة التي ذُكِرَت في السؤال فليس من مكارم الأخلاق ومحاسن

الأعمال، وكذلك التخنث والتشبه بالمخنثين والإفرنج في لبس البرنيطة وكل ذلك محظور شرعاً.

والطبع سراق فإن ير صالحاً ... يصلح وإن ألف الفساد تفسدا

ولا شك أن الولد الذي يتربّى بمثل هذه التربية يكون بلية على نفسه وعلى الأمّة، فعلى الآباء أن يجتنبوا هذا الخطر ويصونوا أبناءهم عن الضرر ويحسنوا إليهم بالتربية على ما يرضي الله تعالى، إن الله يحب المحسنين. وليعلموا أن الشريعة الإسلاميّة قد جاءت بأفضل الآداب وأكمل الأخلاق على الإطلاق، فآدابها هي الآداب الحقيقية وتهذيبها هو التهذيب الصحيح لمن أراد سعادة الدارين.

وبالجملة فإنَّ الاعتبار هو الاتعاظ (بما) أمرنا الله به في قوله تعالى ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝٢﴾ [الحشر: ٢] لنجتنب ما نهى عنه ونبتعد عن المعاصي، والمعنى فاتّعظوا بما جرى على بني النضير من الأمور الهائلة فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله ﷻ، فهو أمر بالطاعة والتمثيل ليس بطاعة فكيف يكون فرضاً جاء به القرآن، وأما تفسير الاعتبار به فهو باطل ومخالف لمذاهب الصحابة الكرام الذين شاهدوا التنزيل والوحي، فمن اتبع هواه في تفسير الكتاب العزيز وعدل عن تفسيرهم كان مخطئاً، بل مبتدعاً! لأنهم كانوا أعلم الناس بتفسير القرآن ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث به رسوله ﷺ، والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

محل الختم

مصطفى نجا

• مجلة الحقائق (الدمشقية)/ العدد ١٥/ بتاريخ: ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٩١١م.

١٣٤٦ فتوى مفتي بيروت مصطفى نجا (١٢٦٩ ـ ١٣٥٠هـ/١٨٥٣ ـ ١٩٣٢م) في حكم إقامة التماثيل والأنصاب:

هذا جواب على سؤالكم المؤرخ في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٠، حرَّرناه ونحن نثني على آدابكم وندعو لكم بمزيد التوفيق،

حرّر في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٨ الموافق ٧ ت٢ سنة ١٩١٠.

(الختم).

الحمد لله تعالى، لا يجوز وضع التماثيل والأنصاب في البلاد الإسلامية؛ لأنها عُبِدَت من دون الله، ولذلك هدمها الإسلام ولم يجوِّز إعادتها بعد ذلك لأحد سدًّا للذريعة ومنعاً للتشبّه بالوثنيين، **واتخاذها حرام بالإجماع للنهي عنه**، وكذلك تعظيمها؛ لأنه يفتح باب عبادة الأصنام وينوه أمر الوثنية، وهذا التحريم بإطلاقه شامل للسياسة وغيرها، ولذا منع ناظر الداخلية من وضع تمثال مدحت باشا في مدينة البصرة وأجاب بأنه مخالف للشرع الشريف كما نقلته الجرائد من عهد قريب.

والحكومة التي تجيب بهذا الجواب لا تجيز إقامة التماثيل للموتى في المقابر وهي لا توجد في مقابر المسلمين، وأما نصب تلك التماثيل لمحمد علي باشا وغيره فلم يكن عن فتوى صادرة عن مقام الإفتاء في مصر لِمَا علم من أن الشرع الشريف يمنع ذلك، وقد أفتى العلامة **العباسي** مفتي الديار (يقصد **محمد المهدي العباسي (١٢٤٣ ـ ١٣١٥هـ/ ١٨٢٧ ـ ١٨٩٧م)**) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوجوب إزالة الصنم الموضوع بالأزبكية وكسر رؤوس الصور الموجودة في فتحتي كبرى قصر النيل حين سُئِل عنها كما في فتاويه، والله تعالى أعلم.

حرر في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٨
الفقير إليه سبحانه
مفتي بيروت مصطفى نجا
(مكان الختم)

• مجلة الحقائق (الدمشقية)/ العدد ٦/ بتاريخ: ٣ ـ ١ ـ ١٩١١م.

١٣٤٧ الأذان عبر الأشرطة المسجلة بدعةٌ منكَرَةٌ!

قرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، المنعقد بدورته التاسعة في مكة المكرمة، من يوم السبت ١٢/ ٧/ ١٤٠٦:

«إن الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد، عند دخول وقت الصلاة، بواسطة آلة التسجيل ونحوها، لا يُجزئ ولا يجوز في أداء هذه العبادة، ولا يحصل به الأذان المشروع، وأنه يجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت من أوقات الصلوات، في كل مسجد، على ما توارثه المسلمون من عهد نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى الآن، والله الموفق). اهـ.

قال العلامة الفقيه **محمد بن صالح العثيمين** (ت١٤٢١هـ) رحمه الله في «الشرح الممتع على زاد المستقنع»: . . . وكذلك الأذان بالمُسَجّل غير صحيح؛ لأنَّه حكاية لأذان سابق، ولأنَّ الأذان عبادة، وسَبَقَ أنه أفضل من الإمامة، فكما أنَّه لا يصحُّ أن نسجِّل صلاة إمام ثم نقول للناس ائتمُّوا بهذا المسجِّل، فكذلك لا يصح الاعتماد على المسجِّل في الأذان، فمَن اقتصر عليه لم يكن قائماً بفرض الكفاية. اهـ.

وقال: إذا كان الأذان مسجّلاً وليس أذاناً على الوقت فإنه لا يجيبه؛ لأنّ هذا ليس أذاناً حقيقيًّا ـ أي: أنّ الرجل لم يرفعها حين أُمِرَ برفعه ـ وإنما هو شيء مسموع لأذان سابق. ـ وإن كان لنا تحفّظ على كلمة: يرفع الأذان ـ ولذا نرى أن يقال: (أذن فلان)، لا: (رفع الأذان). (فتاوى ورسائل ابن عثيمين/ سؤال رقم (١٢٠)). اهـ.

قال الشيخ **طه الولي** (ت١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) في «تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت» (ص١٢٤/ ط. ١٩٧٣م): . . . بل إنّ الكثيرين من هؤلاء المؤذنين صاروا لا يكلِّفون أنفسهم مشقة الأذان بأصواتهم الشخصية، وإنما هم يكتفون بالأذان المسجّل بأصوات غيرهم، الأمر الذي يخالف الشرع الحنيف في شكله وروحه، وإنها لحالة مؤلمة تثير في القلوب الغصّة والجزع على مصير الشعائر الإسلامية في هذا البلد. ولعل المشرفين على الأوقاف في بيروت وعلى رأسهم صديقنا الجليل سماحة الشيخ حسن **خالد** مفتي الجمهورية اللبنانية يستدركون هذا

الوضع الخطير قبل أنْ يسبقهم الزمن فيصبح من المتعذَّر عليهم العثور على رجل من أهل بيروت يُحْسِن رفع الأذان على الوجه الشرعي المطلوب، فتتحوَّل شعائرنا الدينية إلى أصوات مسجلة على الأشرطة الكهربائية.. وفي ذلك ما فيه من التنكّر للدين الإسلامي والإهمال لِما ورد في هذا الصدد من الأحاديث النبوية الشريفة.اهـ.

١٣٤٨ موقف دار الإفتاء اللبنانية من فيلم «الرسالة» لمصطفى العقاد:

نشرت الصحف اللبنانية صباح ١٨ و١٩ تشرين الثاني الماضي (سنة ١٩٧٨م) ما كانت دار الفتوى قد عَمَّمَته على وسائل الإعلام من موقفها من فيلم «الرسالة»، وقد جاء في هذا التعميم الذي صدر من المديرية العامة لشؤون الإفتاء ما يلي:

بيان ديني رسمي بشأن فيلم «الرسالة»

جاءنا من «المديرية العامة لشؤون الإفتاء في لبنان» بيانٌ يُشير إلى أنّ المديرية قد أرسلت كتاباً إلى «المديرية العامة للأمن العام» تتمنّى عليها فيه **منع عرض فيلم «الرسالة»** (أو محمد رسول الله) الذي أخرجه وأنتجه مصطفى العقاد، وتلقّت جواباً منها بالالتزام بذلك، وقد أعلنت المديرية العامة لشؤون الإفتاء في البيان أنّ دار الفتوى بتوجيه من سماحة مفتي الجمهورية ملتزمة التزاماً نهائيًا بالقرار الإجماعي الذي صدر عن رابطة العالم الإسلامي بشأن الفيلم المذكور، والقرار يقضي بعد أن يفند بعض ما يطرحه الفيلم (من تحدٍّ صارخٍ لمشاعر المسلمين في كلٍّ مكان) يقضي بالاستمرار بتمسّك المجلس بقراره السابق بتحريم عرض فيلم محمد رسول الله (سواء باسمه الأصلي أو باسم الرسالة أو بأي اسم آخر)، وكذا أي فيلم آخر يتعرّض لشخصيات الأنبياء والصحابة، وجاء في البيان أنّ المجلس (يحذِّر كل التحذير من مغبّة تجاهل مشاعر

المسلمين في هذا الموضوع، ويحمِّل المسؤولية كاملة للشركات والمؤسسات والحكومات والأفراد الذين يقدِمون على مثل هذا العمل، ويعتبرهم مسؤولين مسؤولية كاملة على كل ما يترتّب عليه من نتائج).

• نقلته من مجلة «الفكر الإسلامي» (السنة السابعة/ العدد ١، محرم ١٣٩٨هـ/ كانون الثاني ١٩٧٨م).

١٣٤٩ حكم دم البواسير:

قال الشيخ **محمد المختار الشنقيطي** في «شرح زاد المستقنع»:

حكم دم البواسير

الخارج الثالث من الدبر: دم البواسير: ودم البواسير يأتي على صور: إن كانت ثآلِيله أو جروحه على الحلقة نفسها فهذا ليس بخارج؛ لأنه ليس من الموضع، ويقع الخلاف فيه في مسألة وهي: إذا خرج الدم من غير القُبُل والدُّبُر، هل ينقض الوضوء؟ وسنبيّنها إن شاء الله.

والصحيح: أنّه إذا كانت البواسير قروحها أو دماملها على الحلقة أو على أطراف الحلقة الخارجية، فخروج الدم لا يوجب انتقاض الوضوء.

أما إذا كانت من الداخل، وينبعث دمها إلى الخارج، فإنه يأخذ حكم دم الاستحاضة، فإن غلب الإنسان حتى استرسل معه في وقت الصلاة، فإنه يغسل الموضع ويضع قطنة، ويتوضأ عند دخول وقت كل صلاة، وأما إذا كان الدم يسيراً ويمكن التحرز منه وجب غسله كالبول والغائط سواء بسواء.

إذاً دم البواسير له حالتان: **الحالة الأولى**: أن يسترسل ويصبح آخذاً الوقت أو أكثرَ الوقت، فهذا إذا دخل عليه الوقت غَسَل الموضع ثم شَدَّه بقطنة ـ إذا أمكن ـ كالمستحاضة، وذلك للمشقّة، ثم يصلّي ولو جرى معه الدم، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الحالة الثانية: أن يكون دم البواسير يخرج نَزْراً قليلاً، بحيث يتأتى منه أنه لو أنقى موضعه استقام له أن يصلي دون أن يخرج شيء، فهذا يجب عليه إنقاء الموضع واللباس الذي يليه، ثم يتوضأ ويصلّي.

• وُلدَ الشيخ **محمد بن محمد المختار الشنقيطي** في المدينةِ النبويّةِ سنةَ ١٣٨١هـ، توفيَ والدُه في سنةِ ١٤٠٦هـ، وله من العمرِ ٢٥ عاماً، وحينَ وفاتهِ أجازهُ بالفُتيا والتدريس، وكان ابتداءُه بالقراءةِ على والدهِ وعمرُه عشرُ سنواتٍ، كما أخبرَ بذلكَ في دروسهِ.

١٣٥٠ والد الأديب مصطفى الرافعي يضرب رجلاً تعزيراً لإفطاره في نهار رمضان!

والد الأستاذ الرافعي هو الشيخ **عبد الرازق الرافعي**، كان رئيساً للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم، وهو واحد من أحد عشر أخاً اشتغلوا كلّهم بالقضاء من ولد الشيخ سعيد الرافعي، وكان آخر أمر الشيخ عبد الرازق رئيساً لمحكمة طنطا الشرعية، وفي طنطا كانت إقامته إلى آخر أيامه، وفيها مات ودُفِنَ. . .

قال الأستاذ **محمد سعيد العريان** (١٣٢٣ ـ ١٣٨٤هـ) في كتابه «حياة الرافعي (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧م)» (ص٤٠/ط. مكتبة الأصالة والتراث): حدثني نسيبٌ لي قال: كنتُ غلاماً حدثاً، وكان الشيخ **عبد الرازق الرافعي** من جيراننا وأحبابنا الأجلّاء، وكان يتّخذ مجلس العصر أحياناً في متجر جاره وصديقه حسن بدوي الفطاطري في شارع درب الأثر، ودربُ الأثر يومئذٍ هو شارع المدينة وفيه أكبر أسواقها التجارية، وفي عصر يومٍ من رمضان؛ كان الشيخ عبد الرازق يجلس مجلسه من متجر صديقه، فمَرَّ رجلٌ ينفُثُ الدخان من فمه وبين أصبعيه دخينة، فما هو إلّا أنْ رآه الشيخ عبد الرازق، حتى اندفع إليه، فانقضَّ عليه، فأمسك بثيابه، ودعا الشرطي أنْ يسوقه إلى «القسم» لينال الحدّ على إفطاره في رمضان في شارع عام. وما أجدى رجاءُ الرجل ولا

شفاعة الشفعاء؛ فسِيقَ الرجل إلى القسم في (زفة) من الصبيان، ليتولّى الشيخ حَدَّه بنفسه على إفطاره. وما كان القانون يأمر بذلك، ولكن الشرطة ما كانوا ليخالفوا أمر قاضي المدينة، وما كانوا يعرفون له عندهم إلّا الطاعة والاحترام.

وحوادث الشيخ عبد الرازق من مثل ذلك كثيرة؛ يعرفها كثير!

• قلت: نبهني الأخ جعفر الغامدي إلى إضافة (تعزيراً) في العنوان؛ جزاه الله خيراً.

١٣٥١ الفروق بين الحد والتعزير:

الفروق بين الحد والتعزير قد ذكرها أهل العلم على النحو التالي، كما ورد في «رد المحتار»: الفرق بين الحد والتعزير أنَّ الحدَّ مقدَّرٌ والتعزير مفوَّضٌ إلى رأي الإمام، وأن الحدَّ يُدرَأ بالشبهات والتعزير يجب معها، وأن الحدَّ لا يجب على الصبي والتعزيرَ شُرِعَ عليه. والرابع أن الحد يُطلَق على الذمي والتعزير يسمى عقوبة له لأن التعزير شرع للتطهير. وزاد بعض المتأخرين أن الحدَّ مختصٌّ بالإمام والتعزير يفعله الزوج والمولى وكلٌّ من رأى أحداً يباشر المعصية، وأن الرجوع يعمل في الحد لا في التعزير، وأنه يحبس المشهود عليه حتى يسأل عن الشهود في الحد لا في التعزير، وأن الحد لا تجوز الشفاعة فيه وأنه لا يجوز للإمام تركه، وأنه قد يسقط بِالتَّقَادُمِ بخلاف التعزير. فهي عشرة. انتهى من «رد المحتار» بتصرف يسير.

وأما الفرق بينهما من حيث العقوبة، فالحد يكون بالقتل والصلب وجلد مئة أو ثمانين جلدة وقطع اليد والسجن والنفي ونحو ذلك، بحسب الذنب الذي اقترفه الشخص، وأما التعزير فليس فيه شيء محدد، وإنما يُوكَل إلى اجتهاد الإمام؛ فيضرب أو يسجن أو يفعل غير ذلك مما يراه رادعاً عن المعصية، ولكن لا ينبغي له الزيادة في الجلد على عشرة

أسواط، لقوله ﷺ: «**لا يجلد فوق عشر جلدات، إلا في حد من حدود الله**». رواه البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخاري.

ومن ذلك يتبيّن لك أن عقوبة الحد أعلى من عقوبة التعزير، والله أعلم.

- نقلته من موقع «إسلام ويب».

١٣٥٢ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما... وتعليمه الناس الخير:

حثّ رسولُ الله ﷺ على طلب العلم وتعلّمه وتعليمه للناس، كما ورد في عدّة أحاديث، وسيدنا **معاوية** رضي الله عنه (١٣ق.هـ. - ٦٠هـ) من تلك الفئة التي اهتمّت بتعليم الناس دينهم، وكيف لا يهتم بتعليم الناس دينهم وهو الراوي لحديث النبي ﷺ: «**من يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدين**» (رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧))، وكان قلّما يخطب إلّا ذَكَر هذا الحديث في خطبته ليحثَّ الناسَ على التفقهِ في الدين (رواه أحمد (١٦٩٥٤) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٩٦)).

ولهذا الصحابي الجليل **١٣٦** حديثاً مسنداً إلى رسول الله ﷺ، بعضُها في الصحيحين والسنن الأربعة، وهذا يدلّنا على اهتمامه بنشر العلم والسُّنَّة، وقد شهد له أهل عصره بالفقه والأمانة في نقل الحديث، وحدَثَ أنْ شكا غلامٌ لابن عباس إلى **ابن عباس** رضي الله عنهما أنّ **معاوية** أوتر بعد صلاة العِشاء بركعة واحدة، فقال له ابن عباس: «إنه فقيه»، وفي رواية: «إنه قد صَحِبَ رسول الله ﷺ»، (رواه البخاري (٣٧٦٤) و(٣٧٦٥))، وقال ابن سيرين: كان معاوية لا يُتّهم في الحديث عن رسول الله ﷺ. (رواه أبو داود (٤١٢٩)).

ولم يكن سيدنا معاوية رضي الله عنه من المُكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، قال الإمام **الدارمي** (ت٢٨٢هـ) في «نقضه على المريسي الجهمي» (٢/ ٦٣٢/ ط. الرشد): كان معاوية معروفاً بقلّة الرواية عن

رسول الله ﷺ، ولو شاءَ لأكثر، إلا أنّه كان يتّقي ذلك ويتقدّم إلى الناس ينهاهم عن الإكثار على رسول الله ﷺ؛ حتى إنه كان ليقول: «اتقوا الروايات عن رسول الله ﷺ، إلا ما كان يُذكَر منها في زمن عمر رضي الله عنه، كان يُخَوِّف الناس في الله». اهـ.

وقد وفَّقني الله عز وجل سنة **١٤٢٣**هـ إلى تأليف كتيِّبٍ بعنوان «**صفحات من سيرة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنهما» وطبعتُ منه في **مطبعة القماطي في ضاحية بيروت** ثلاثة آلاف نسخة وزّعناها مجّاناً، جزى الله مدير المطبعة **أبا طارق أحمد القماطي** خيراً على مشاركاته العديدة في نشر الخير، وإتماماً للفائدة أنقل من الكتيِّب الفصل الذي يتحدّث عن الأحاديث التي رواها سيدنا معاوية رضي الله عنه لتعليم الناس الخير:

١ ـ تحذيره من التكلم بأمور الغيب بلا استنادٍ إلى الكتاب والسُّنَّة:

عن محمد بن جبير بن مطعم قال: بَلَغ **معاوية** وهو عنده في وفدٍ من قريش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يُحَدِّث أنه سيكون ملكٌ من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدّثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تُؤثَر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جُهّالكم، فإيّاكم والأمانيّ التي تُضِلُّ أهلها، فإني سمعتُ رسول اللهِ ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش، لا يُعاديهم أحد إلّا كَبَّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين**». (رواه البخاري (٣٥٠٠)).

٢ ـ نهيه عن رواية الأحاديث من غير تثبّت: عن عبد الله بن عامر اليحصبي قال: سمعتُ **معاوية** رضي الله عنه يقول: إيّاكم وأحاديث، إلّا حديثاً كان في عهد عمر، فإن عمر كان يُخيفُ الناس في الله عزّ وجلّ، سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يقول: «**من يُرِد الله به خيراً يُفَقّهه في الدين**». (رواه مسلم (١٠٣٧)).

فقه الحديث: قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٣٦٥/

بتعليقي): ومراد معاوية النهي من الإكثار من الأحاديث بغير تثبّت، لِمَا شاع في زمنه من التحدّث عن أهل الكتاب وما وُجِدَ في كتبهم حين فُتِحَت بلدانهم، وأمرهم بالرجوع في الأحاديث إلى ما كان في زمن عمر رضي الله عنه لضبطِه الأمر وشدَّتِه فيه وخوف الناس من سطوته، ومنعه الناس من المسارعة إلى الأحاديث، وطلبه الشهادة على ذلك حتى استقرّت الأحاديث واشتهرت السنن. اهـ.

٣ ـ **تعليمه كيفية وضوء النبي ﷺ**: عن أبي الأزهر قال: أن **معاوية** ذَكَرَ لهم وُضوء رسول الله ﷺ، وأنه مسح رأسه بغرفة من ماء حتى يقطر الماء من رأسه أو كاد يقطر، وأنّه أراهم وضوء رسول الله ﷺ، فلمّا بلغ مسح رأسه وضع كفّيه على مقدّم رأسه، ثم مرّ بهما حتى بلغ القفا، ثم ردّهما حتى بلغ المكان الذي بدأ منه. (رواه أحمد (١٦٩٠٥) وأبو داود (١٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٥)).

٤ ـ **نهيه عن الركعتين بعد العصر**: عن حمران بن أبان، عن **معاوية** قال: إنكم لتصلّون صلاةً لقد صحِبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يُصَلّيها، ولقد نهى عنها. يعني: الركعتين بعد العصر. (رواه البخاري (٥٨٧)).

٥ ـ **بيانه لحكم صيام يوم عاشوراء**: عن حميد بن عبد الرحمٰن؛ أنه سمع **معاوية** رضي الله عنه عام حَجَّ على المنبر يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائمٌ، فمن شاء منكم فليَصُم، ومن شاء فليفطر**». (رواه البخاري (٢٠٠٣) ومسلم (١١٢٩)).

٦ ـ **نهيه عن الشِّغار**: عن عبد الرحمٰن بن هرمز الأعرج قال: إن العباس بن عبد الله بن العباس أنكَحَ عبدَ الرحمٰن بن الحكم ابنته، وأنكحه عبدُ الرحمٰن ابنته، وكانا جعلا صَداقاً، فكتب **معاوية** إلى مروان

يأمره بالتفريق بينهما، وقال في كتابه: هذا الشِّغار الذي نهى عنه رسول الله. (رواه أبو داود (٢٠٧٥)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٨٩٦)).

٧ ـ **بيانه لتحريم وصل الشعر**: عن سعيد بن المسيّب قال: قدم **معاوية بن أبي سفيان** المدينة آخر قدمة قدِمَها، فخطبنا، فأخرج كُبَّةً من شَعَرٍ، فقال: ما كنتُ أرى أن أحداً يفعل هذا غير اليهود! وإن النبي ﷺ سمّاه **الزّور**؛ يعني: الوِصال في الشَّعَر. (رواه البخاري (٣٤٨٨) ومسلم (٢١٢٧)).

فقه الحديث: وصل الشعر: أي: الزيادة فيه من غيره، كالباروكة وأمثالها.

٨ ـ **نهيه عن قيام الرجل للرجل تعظيماً**: عن أبي مِجلز قال: خرج **معاوية** على ابن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس! فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من أحبَّ أن يَمْثُلَ له الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار**». (رواه أبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٩١٥)، وصححه الألباني).

٩ ـ **نهيه عن وصلِ صلاةٍ بصلاة**: عن ابن أخت نمر قال: صليت مع **معاوية** الجمعة في المقصورة، فلما سلَّم الإمام قمتُ في مقامي فصلّيت، فلما دخل أرسل إليّ فقال: لا تَعُدْ لِما فعلتَ، إذا صليتَ الجُمُعة فلا تَصِلْها بصلاة حتى تكلَّم أو تخرُج، فإن رسول الله ﷺ أمرنا بذلك، **أَنْ لا تُوصَل صلاةٌ بصلاةٍ حتى نتكلَّم أو نخرُج**. (رواه مسلم (٨٨٣)).

١٠ ـ **تعليمه كيفية إجابة المؤذّن**: عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف قال: سمعتُ **معاويةُ** ـ وهو جالسٌ على المنبر ـ، أَذَّن المؤذّنُ قال: **اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ**. قال معاويةُ: **اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ**. قال: **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ معاويةُ: وَأَنَا**. فقال: **أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ**.

فَقَالَ معاويةُ: وَأَنَا. فَلَمَّا أَنْ قَضَى التَّأْذِينَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى هَذَا الْمَجْلِسِ حِينَ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ يَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ مِنِّي مِنْ مَقَالَتِي. (رواه البخاري (٩١٤)).

١٣٥٣ ما هو الحبس الشرعي؟ وهل سجون هذه الأيام شرعية؟

قال العلّامة الفقيه **ابن قيّم الجوزية** (ت٧٥١هـ) في «الطرق الحُكْمِيَّة في السياسة الشرعية»: الحبسُ الشرعي لَيْسَ هُوَ السَّجْنُ فِي مَكَان ضَيِّقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْوِيقُ الشَّخْصِ وَمَنْعُهُ مِنْ التَّصَرُّفِ بِنَفْسِهِ؛ سواء كان في بَيْتٍ أو في مَسْجِدٍ، أَوْ كَانَ بتوكيل نفس الخصم أو وكيله عليه، وملازمته له، ولهذا سمّاه النبيُّ ﷺ **«أسيراً»**، كما روى أبو داود وابن ماجه (وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود ٧٨٣) عن الهرماس بن حبيب عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ بغريم لي، فقال لي: **«الْزَمْهُ»**، ثم قال لي: «**يا أخا بني تَمِيم مَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ بِأَسِيرِك؟**»، وفي رواية ابن ماجه: ثم مَرَّ رسول الله ﷺ في آخر النهار فقال: «**ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم؟**»، وكان هذا هو الحبس على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يكن له محبَس معدّ لحبس الخصوم، ولكن لَمَّا انتشرت الرعيَّة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابتاع بمكة داراً وجعلها سجناً يحبس فيها. (علّقه البخاري، ووصله عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي من طرق عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمٰن بن فروخ به، وعبد الرحمٰن هذا أشار الذهبي إلى أنه مجهول، لم يروِ عنه غير ابن دينار؛ قاله الألباني).

ولهذا تنازع العلماء من أصحاب أحمد: هل يتَّخذ الإمامُ حَبساً؟ على قولين.

فمن قال: **لا يتخذ حَبساً**. قال: لم يكن لرسول الله ﷺ ولا لخليفته بعده حبس، ولكن يُعَوّقه بمكان من الأمكنة، أو يقيم عليه حافظاً ـ وهو الذي يُسَمّى الترسيم ـ أو يأمر غريمه بملازمته كما فعل النبي ﷺ.

ومن قال: **له أن يتَّخذ حَبساً**. قال: قد اشترى عمر بن الخطاب من صفوان بن أمية داراً بأربعة آلاف، وجعلها حَبساً. اهـ.

قال **محمد عبد الحي الكتّاني** (ت١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) في «التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنوّرة العليّة»: وأما الحبس الذي هو الآن فإنه لا يجوز عند أحد من المسلمين، وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكّنين من الوضوء والصلاة، وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم.

١٣٥٤ ماذا يفعل من دخل المسجد فوجد صفَّ المصلّين مقطوعاً بسواري؟

سأل الشيخ **علي الحلبي** العلامة **الألباني**: شيخنا، أريد أن أسأل سؤالاً يقع كثيراً، ويحتار فيه الإنسان على بساطته ويسره، وهو قضية الصفوف المقطوعة، إذا الإنسان قدم إلى مسجد ووجد صفاً مقطوعاً غير تامٍّ ـ؛ يعني: فيه مجال ـ ثم قدم، فهل يصلي في الصفِّ المقطوع؟ أم لا يعُدُّه صفًّا ويصلِّي منفرداً في صفٍّ ليفتتح نواة صفٍّ جديد؟

فأجاب الشيخ **الألباني** رَحِمَهُ اللهُ: أنا أقول هذا يختلف فيما إذا كان الصفُّ المقطوع فيه فراغ؛ يعني: ما بين الساريتين النصف ممتلئ، والنصف الثاني فارغ بعد، يختلف عمَّا إذا كان ما بين الساريتين ممتلئ ثم هو سيصف على جانب إحدى الساريتين إمَّا يميناً أو يساراً، **في هذه الصورة الثانية قطعاً لا يصُفّ؛ وإنَّما يُشكِّل صفًّا لوحده**، أمَّا في حالة الأولى ينظر؛ إن كان يغلب على الظن أنَّ هذا الصف الذي فيه هذا الفراغ لا يكتمل، كأن يكون الوقت صبح مثلاً والضيوف والزبائن

محصورين فيغلب على ظنِّه أن هذا الفراغ سوف لن يكتمل بالمصلِّين، فهو هنا يكمل أو يصفُّ معهم؛ لأننا نحن ننظر إلى النهي عن الصفِّ بين السواري أنَّه معقول المعنى، ومعقولية المعنى هو ما يحصل من قطع الصفِّ، هنا في هذه الحالة لن يحصل قطع الصفِّ، عكس الحالة الأولى.

• فرّغه أبو عبد الله الآجري من «سلسلة الهدى والنور» الشريط (٢٦٣).

١٣٥٥ من البدع التي حَذَّر منها مفتي ولاية بيروت عبد الباسط آل فاخوري رَحِمَهُ اللَّهُ:

في «المجلس السادس» من المجالس التي ألقاها المفتي الشيخ **عبد الباسط الفاخوري** (١٢٤٠ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٢٤ ـ ١٩٠٥م) في الجامع العمري الكبير في رمضان سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م قال: «وليحذر وقت الوفاة ما يفعله بعض الجهلة في هذا الزمان من **اختلاط النساء بالرجال وكشف وجوههن وتسويدها**، ونشر الشعور والدعاء بالويل والثبور، ولباس نحو الأسود وسكب التراب على الرؤوس وتلطيخ البيوت بالسواد والحداد أكثر من ثلاثة أيام. وليحذر من الندب والنياحة، وكذا ما اعتادته النساء إذا دخلت واحدة منهن لمحل الميت تدعو بالويل والثبور برفع الصوت وتتلقاها النساء كذلك، فهذا وما شابهه من الأفعال القبيحة تكون سبباً لتعذيب الميت. ومن البدع أيضاً أنه **إذا مات الميت ليلاً أوقدوا له شمعة أو سراجاً** ووضعوه وحده حتى يصبح، وهذا بدعة في الدين وإسراف خصوصاً إذا كان قيمة ذلك من مال الميت وله قصّار أو يحله دين. ومن البدع أنهم إذا أخرجوا الميت يقيمون الصيحة العظيمة ويسمون ذلك وداعاً للميت، وكذا رفع الأصوات عند دخول الغاسل أو الكفن. وما يفعله أكثرهم أن مَن مات له ميت بموضع وكان بقربه مسجد يجلسون فيه، **مع أن المسجد إنما بُنِيَ للصلاة والعبادة لا للجلوس لانتظار الموتى**».

ويتابع المفتي في انتقاد ما كان يحصل: «ومن البدع ما يفعلونه الآن؛ **يأتون بجماعة من الناس قرّاء وفقراء يسمونهم بالذاكرين يرفعون أصواتهم أمام الجنازة** كل جماعة بصوت، ويجب تجنّب التحدث في الجنازة خصوصاً عند وصولهم إلى المقبرة. ويجب التنبيه عما يقع من بعض الناس حال دفن الميت؛ يجلسون ويتحدثون بكلام الدنيا وربما يتكلمون في زيد وعمرو ويغتابون وربما يتضاحكون. **وكذلك ما يفعلونه من تفرقة الملح والخبز والدرهم ورفع الأصوات والضجة** لأجل ذلك وما ذلك إلّا للرياء والمباهاة، وما يفعلونه من جمع الفقراء في المساجد ويسمون ذلك ختماً وأسبوعاً يرفعون أصواتهم بالقراءة والذكر ويشوشون على المصلين والذاكرين والمتعلمين. والحذر من المغالاة في الكفن وكذلك نحو وضع طرّاحة أو وسادة في القبر.

تُمنَع النساء من الذهاب مع الجنازة أو قبلها أو بعدها ولا يستحب لهن زيارة القبور كما اعتيد الآن، ويجب منعهن مع ما فيه من المفاسد، ومن البدع القبيحة بناء القبور وكذا البناء حولها كجدار».

ويقول المفتي المذكور ـ كما في مخطوط «فرائد الفوائد» ـ بعد ذكره نهي النبي ﷺ عن بناء القبور ورفعها: «ما أحق العلماء والصلحاء أن يكون شعارهم الشعار الذي أرشدهم إليه النبي ﷺ وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لا يناسب العلم والفضل، **لأنهم لا** يرضون أن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، **ومن يجعل على قبره بناء أو يزخرف فهو غير فاضل والعالم يزجره علمه على أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدي نبيه، فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور وتشييدها**، وما أسرع ما خالفوا وصية رسول الله. وقد شَدَّ من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها **لأهل** الفضل حتى دوّنوها في كتب «الهداية»! **ومثل هذا التسويغ الكتابة على**

القبور بعد ورود صريح النهي عن ذلك في الأحاديث الصحيحة، كأنه لم يكفِ الناس ابتداعهم في مطعمهم ومشربهم وملبوسهم وسائر أمور دنياهم فجعلوا على قبورهم شيئاً من هذه البدع لتنادي عليهم بما كانوا عليه حال الحياة، وتغالوا في ذلك حتى جعلوه مختصًّا بأهل العلم والفضل. . . ».

نقل السابق المحامي والمؤرخ **عبد اللطيف بن مصطفى آل فاخوري** من مخطوط «فرائد الفوائد» للمفتي عبد الباسط فاخوري، ثم قال المحامي عبد اللطيف: «وما اعتادوه من تفرقة أجزاء (الربعة) حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة، فإذا كان عند الأذان قام الذي يفرّقها ليجمع الأجزاء فيتخطّى رقاب الناس بسبب أخذها، والربعة بمعنى صندوق فيه أجزاء المصحف الشريف، فإن الربعة مولدة لا تعرفها العرب بل هي اصطلاح أُطْلِق أيام المماليك على أجزاء المصحف. وقد وجدتُ في سجلات المحكمة الشرعية للسنوات **١٨٤٣**م وما بعدها اسم الحاج محمد «**حمّال الربعة**»، ويبدو أنه **عند إجراء إحصاء النفوس سنة ١٩٣٢م** كانت مهمة حمل الربعات الشريفة وتوزيعها قد زالت بفعل طباعة المصاحف والأجزاء فتمّ تسجيل الشهرة بالربعة دون «**حمّال**»».

ومن البدع التي انتُقِدَت: «**قراءة الأعشار من القرآن بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أو الجماعة لِمَا فيه من التشويش المنهي عنه**، وكذلك يُمنَع مَن يسأل الصدقة في المسجد، ويُمنَع من النخامة والبصاق في المسجد، وما يفعلونه في هذه الأوقات من الحِلَق والجلوس مجتمعين في المسجد للتحدث في آخر [أمور؟] الدنيا وما جرى لفلان وما جرى لعلّان، ومنع البيع والشراء، وكذا خارج المسجد عند بابه كما يفعلونه من بيع نحو الكعك عند الباب لما فيه من التضييق على المصلّين».

وكانت صحيفة «ثمرات الفنون» قد انتقدت سنة **١٨٧٨**م زيارة

النساء للقبور والاجتماع للأحاديث والكلام، وبعد تأسيس «جمعية المقاصد» دعا المؤسّسون علماء بيروت ومدرّسيها وخطبائها للمذاكرة في إبطال العوائد والبدع المخالفة للشرع والآداب، فعُقِد الاجتماع ليلة الجمعة الأولى من شهر تموز سنة ١٨٨٠م، وتَمّ تنظيم محضر موقَّع من الحاضرين بالإجماع على اتخاذ جميع الوسائل: لمنع خروج النساء خلف الميت وذهابهن إلى المقابر، ومنعهنّ من الزيارة إلّا في يوم السبت من كل أسبوع وأيام الأعياد، وذلك بصورة مؤقتة إلى أنْ يتيسر منعهنّ من زيارتها مطلقاً، وإبطال ضوضاء العميان أمام الجنائز؛ لأن من السُّنَّة تشييع الجنازة بالصمت والتفكر، ولبس البياض بدل الأسود في الحداد.

يُذْكَر أن هذه الوصية الأخيرة تدل على أن حداد أهل بيروت كان بلبس البياض وليس السواد، وذلك منذ أيام الإمام الأوزاعي رضي الله عنه الذي بيّن سبب تفضيله البياض على السواد (كما سيأتي في محله)، وكان لبس البياض في الحداد عادة أهل الأندلس، فعند وفاة الشيخ **حسين بيهم** سنة ١٨٨١م أُلْبِسَ تلامذة مدارس المقاصد ألبسة بيضاء على عوائد أهل الأندلس عند الحزن والحداد ومشوا أمام نعشه صفّين.

وتغيير العوائد صعب كما هو معروف، فقد لاحَظَت «ثمرات الفنون» سنة ١٨٩٨م أن نفقات الأتراح فيها مغالاة في النفقات الزائدة عن الحد، ولا سيما بتعمير القبور وزخرفتها ممّا لا فائدة منه للميت ولا للأحياء، وتَمَنَّت لو أنّ ما أُنفِق على القبور منذ عشرين سنة من مبالغ يقوم بنفقات مستشفى عموميًّا للفقراء بغاية السعة والانتظام فيكون صدقة جارية عن روح الميت وسبب مدح لأهله وفائدة للضعفاء والفقراء. اهـ.

• **فائدة**: تولّى الشيخ عبد الباسط بن علي آل فاخوري (المولود عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م) منصب الإفتاء لولاية بيروت من رجب سنة ١٢٩٦ (١٨٧٩م) حتى وفاته عصر يوم الجمعة ٢ صفر ١٣٢٣ (٧ نيسان ١٩٠٥م).

١٣٥٦ السبب الأهم الذي ثنَّى عزمي عن متابعة دراسة علم التاريخ والآثار في الجامعة:

تسجّلتُ في قسم التاريخ وعلم الآثار في جامعة بيروت العربية لعام ١٩٩٦/١٩٩٧م، وأنهيتُ تقريباً السنة الأولى الدراسية، ثم حدث معي ظرفٌ منعني من متابعة الدراسة في الجامعة، وهو استدعائي للخدمة الإجبارية الذي تفاديته لثماني سنوات (١٩٩٧ ـ ٢٠٠٥م) صابراً محتسباً حتى فرّج الله عنّي وأُعفِيت من الخدمة، لكن السبب الأهم الذي ثنَّى عزمي عن متابعة هذا التخصّص بالذات أنني كنتُ جالساً في محاضرة لأحد المشايخ ببيروت، وسأله أحد الحاضرين عن حكم زيارة الآثار (كأهرامات مصر مثلاً)، فذكر الشيخُ حديثَ ابن عمر رضي الله عنهما في البخاري (٤٤١٩) ومسلم (٢٩٨٠) أنهم مرُّوا مع رسول الله ﷺ بالحِجْر (ديار ثمود، قوم النبي صالح) فقال لهم رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين؛ حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم**»، ثم قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حتى أَجَازَ الوادي. وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم المُعَذَّبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم**». اهـ.

وبيَّن الشيخ ـ جزاه الله خيراً ـ أنه عندما نمرّ بمساكن الذين ظلموا أنفسهم مثل ديار ثمود أو مساكن الفراعنة، علينا أن نعتبر من سوء مآل هؤلاء الجبابرة الذين تحدُّوا ربّ العالمين فكانت عاقبتهم الدمار والهلاك، وعلينا أن نمرّ بديارهم باكين متَّعظين حذراً أنْ يصيبنا ما أصابهم، لا أنْ نسرّ برؤية هذه (الآثار) ونعظّمها كما يفعل (علماء الآثار)!

وكان مدير قسم التاريخ وعلم الآثار في الجامعة قد أخبرنا قبل

فترة أن الجامعة ستنظّم كل سنة رحلات لطلّاب التاريخ وعلم الآثار إلى مصر لزيارة آثار الفراعنة من أهرامات وغيرها ليتسنّى لهم دراستها عن قرب! وأنّ جزءاً هامًّا من دراستنا سيكون حولها، فتذكرتُ قولَ رسول الله ﷺ: «**إنك لن تَدَعَ شيئاً لله عَزَّوَجَلَّ إلا بَدَّلَك الله به ما هو خيرٌ لك منه**» (رواه أحمد وصححه الألباني)، فتركت دراسة هذا التخصص لله، وعوّضني الله الكريم خيراً منه، وقد راسلتني إدارة الجامعة بعدها بسنة أو سنتين تُعْلِمني بإمكانية الاستمرار في دراسة التاريخ وعلم الآثار إنْ رغبت، ولكني اتخذتُ قراري ولستُ نادماً عليه، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] [الشورى: ٣٦]، والحمد لله رب العالمين.

١٣٥٧ يوم صلى مفتي لبنان صلاة العيد في مصلى الملعب البلدي ببيروت... لأن صلاة العيد في المصلّى هي السُّنَّة!

روى البخاري (٩٥٦) ومسلم (٨٨٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى.

قال الحافظ **ابن حجر العسقلاني الشافعي** (ت٨٥٢هـ) في «فتح الباري» (٢/ ٤٥٠) عند شرحه للحديث: واستدل على استحباب الخروج إلى الصحراء لصلاة العيد وأن ذلك أفضل من صلاتها في المسجد لمواظبة النبي ﷺ على ذلك مع فضل مسجده. اهـ.

وقال **العيني الحنفي** (ت٨٥٥هـ) في «عمدة القاري شرح البخاري» (٦/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) ـ وهو يستنبط من حديث أبي سعيد الخدري السابق ـ قال: وفيه البروز إلى المصلى والخروج إليه، ولا يصلِّي في المسجد إلّا عن ضرورة. اهـ.

وقال **ابن قدامة الحنبلي** (ت٦٢٠هـ) في «المغني» (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠): السُّنَّة أن يصلي العيد في المصلى؛ أمر بذلك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستحسنه الأوزاعي وأصحاب الرأي، وهو قول ابن المنذر. اهـ.

وقال الإمام **البغوي** (ت٥١٦هـ) في «شرح السُّنَّة»: السُّنَّة أن يخرج (الإمام) إلى المصلَّى لصلاة العيد، إلا من عذر فيصلِّي في المسجد. اهـ.

وقال العلّامة **ابن قيّم الجوزية** (ت٧٥١هـ) في «زاد المعاد في هدي خير العباد»: كان النبي ﷺ يُصلّي العيدين في المُصَلَّى، وهو المصلَّى الذي على باب المدينة الشرقي، وهو المصلَّى الذي يُوضع فيه مَحْمِلُ الحاج، ولم يُصلِّ العيدَ بمسجده إلا مرةً واحدة أصابهم مطر، فصلَّى بهم العيدَ في المسجد ـ إنْ ثَبَت الحديث ـ، وهو في سنن أبي داود وابن ماجه، وهديُه كان فِعلهما في المصلَّى دائماً. اهـ.

ومن مناقب مفتي لبنان (المقتول غدراً) **حسن بن سعد الدين خالد** (١٣٤٠ ـ ١٤٠٩هـ/ ١٩٢١ ـ ١٩٨٩م) رحمه الله أنه طبّق هذه السُّنَّة وأقام صلاة عيد الفطر عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) في ساحة الملعب البلدي في بيروت ـ بعد اجتياح اليهود للبنان عام ١٩٨٢م ـ حيث حضر الألوف من المصلّين لأداء صلاة العيد، قال الشيخ **زهير الشاويش** (١٣٤٤ ـ ١٤٣٤هـ/ ١٩٢٥ ـ ٢٠١٣م) رحمه الله: وكان أنِ استجاب المفتي **حسن خالد** إلى طلبي فأقام صلاة العيد في المصلّى (في) الملعب البلدي خارج بيروت، رغم عدم موافقة بعض السياسيين يومها، وألقى سماحته خطبة بليغة، استمع إليها الألوف، والتزم فيها ما كانت عليه خطب سيدنا رسول الله ﷺ في الأعياد. اهـ.

قال **أبو معاوية البيروتي**: وللأسف الآن ـ بعد مرور ثلاث وثلاثين سنة ـ لم تُقَم أبداً في بيروت صلاة عيد موحّدة في ساحة (الملعب البلدي) أو (المدينة الرياضية)؛ لأن اجتماع أهل السُّنَّة والجماعة في صلاةٍ خلف إمام واحد يدلّ على وحدتهم ويخيف أعداءهم، وقال رسول الله ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**». (رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٤/ ٢٧٨) بإسناد حسن).

١٣٥٨ خطبة مفتي بيروت احمد الأغر في عيد الفطر قبل مئتي سنة... وفائدة حول زكاة الفطر انها تؤدّى من قوت البلد وليس بالمال:

قال المحامي والمؤرخ **عبد اللطيف فاخوري**: الشيخ **أحمد الأغر** (١٧٨٢ ـ ١٨٥٨م) الذي ننشر خطبته هو من أسر بيروت التي تعود أصولها إلى مصر والتي نزحت منها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، سكن في المحلة المواجهة شمالاً للجامع العمري الكبير، تفقّه على علماء زمانه في بيروت ودمشق، وعُيِّن قاضياً لبيروت سنة ١٨١٠م. وفي سنة ١٢٤٠هـ (ربيع الأول)/ ١٨٢٥م وُجِّهَت إليه وظيفة إفتاء بيروت الى جانب القضاء. وكان جريئاً في مواجهة الحكام، وله «ديوان شعر» نعدّه للطبع. وكان خطّه جميلاً شُبِّه بخط ابن مقلة، واحتفظ حفيده الأخ المهندس كريم الأغر له بخطبتين كتبهما وألقاهما الشيخ الأغر؛ واحدة في عيد الفطر سنوردها هنا، وهي تُنشَر لأول مرة، والثانية في عيد الأضحى، سنذكرها في حينه.

ويرجح أنْ يكون الشيخ الأغر قد ألقى هذه الخطبة في **ساحة المصلى** التي كانت تتَّسع للمصلين، وفي «ذكريات» الشيخ **عبد القادر قباني** (١٨٤٨ ـ ١٩٣٥م) أنّ البيارتة كانوا يقيمون الصلاة في ساحة باب المصلى (وتسمى ساحة باب السراي، وتقع وسط البلد ببيروت) وكانوا يؤمّون المصلى، ويرجح أيضاً أنْ تكون الخطبة قد أُلْقِيَت في أول يوم من أحد أعياد الفطر المبارك في المدة بين سنتي ١٨٢٥ و١٨٣٤م، وهي الفترة التي جمع فيها الشيخ **أحمد الأغر** بين القضاء والإفتاء. ومما قاله المفتي في خطبة الفطر:

«. . . بادروا رحمكم الله الى فعل مأموراته التي أوجبها، وترك منهياته التي جنّبها، من ذلك زكاة الفطر. . فبادروا إلى إخراجها من خالص أموالكم وأطيبها وأحلّ مكاسبكم وأعذبها، عن كل كبير وصغير وجليل وحقير ممّن تجب عليكم نفقته وتلزمكم مؤونته من رجالكم

ونسائكم وعبيدكم وإمائكم، ما يكون كفّارة لذنوبكم وآثامكم وصِلَة إن شاء الله تعالى لقَبول صيامكم، **فيخرج الإنسان عن نفسه وعن كلٍّ من هؤلاء صائماً من قوت بلده من بُرّ أو غيره. لكن البرّ معينٌ في بلدنا هذا ولا يجزىء عند السادة الشافعية سواه لأنّا لا نقتات إلا إياه** (قال **البيروتي**: ويُستفاد من هذا أنّ زكاة الفطر تكون من قوت البلد فقط وليس مالاً، لأن المفتي لم يذكر للناس إخراجها مالاً)، ومن أخّرها عن هذا اليوم فقد أثم وتعرض للوعيد، والأفضل إخراجها قبل غدوٍّ لصلاة العيد ولا يُجزئ فيها المسوّس ولا المعيب. ومن جعل لله ما يكره فليس له من الإنصاف نصيب، هكذا أوجبه عليكم ربكم الملك الدّيان، والصاع بكيل مصر تقريباً قد حان، وهو بالكيل الدمشقي نصف مدّ أو أرجح بشيء يسير، وبالوزن الدمشقي رطلٌ وأوقيّتان للاحتياط والتقدير، وقدّر بأربع جفنات رجلٍ معتدل الكفيّن للتسهيل والتيسير».

• نشر الأستاذ فاخوري مقالته التي بعنوان **«إحياء السُّنَّة وإقامة صلاة العيد في ساحة عامة وسط بيروت، خطبة مفتي بيروت الشيخ أحمد الأغر في عيد الفطر المبارك بساحة المصلّى»** في جريدة **«اللواء»** بتاريخ ٢٤ رمضان ١٤٣٦هـ/ الموافق ١١ تموز ٢٠١٥م.

١٣٥٨ من وجد ضالة تافهة القيمة في الطريق فعليه أن... (من أحكام اللُّقَطَة):

السؤال: إذا لقيتُ على الطريق العامة ضالة تافهة فأخذتها ولا أعرف مَن صاحبها أو مكانه، فهل عليَّ شيء؟

أجاب الشيخ **صالح بن غصون** (١٣٤١ ـ ١٤١٩هـ) رحمه الله: **إذا كان تافهاً، ومثله لا تتبعه أوساط الناس، فإنّ أخذَه لا بأس به، مثل خشبة أو حبل أو ماسورة أو شيء من هذا القبيل. وهذه أشياء غالباً لا تُطلَب، ولا يُفَتَّش عنها، وقد تُرِكَت في مكان، أمّا إنْ كانت أشياء لها قيمة، وربما أنّ أهلها يبحثون عنها، فهي لُقَطَة، فعليه أن يعرّفها حولاً كاملاً في**

مظانها وفي مجامعها، فإنْ لم يجد لها أحداً فيما بعد، فله أنْ ينتفع بها بعد معرفة أوصافها تماماً، والمكان الذي وُجِدَت فيه، فمتى جاء صاحبها دفعها إليه، كما ذكر ذلك أهل العلم.

- «الدر المصون في سيرة الشيخ صالح بن غصون» للشيخ طارق الخويطر.

١٣٦٠ الحشيش... واقدم الفتاوى فيه:

لعل أول فتوى في تحريم الحشيش كانت للقاضي **محب الدين بن عبد الظاهر**... أما أول أمير شَدَّد في تحريم الحشيش وأنزل العقاب الصارم بالمتعاطين والمروجين، فهو الأمير **سودون الشيخوني** عام ٧٨٠هـ.

والحشيش هو اسم لمخدر شرقي، يُسْتَخْلَص من القنب الهندي كما يقول ابن البيطار، وقد عُرِف الحشيش منذ أقدم العصور، عرفه المصريون، كما عرفه الهنود واليونان، وذُكِر لأول مرة في كتاب «هيرودوت»، فقد ذكر بأن «الاسكرذيون» أَلِفوا استنشاق بخار ثمرته المحمّاة في غلاية، فتحصَّل لهم من ذلك نشوة، لكن المسلمين هم الذين اكتشفوا مضار الحشيش الدينية والاجتماعية والصحية، والحشيش من المخدرات السامة التي تُحْدِث نشوة كاذبة، مصحوبة بضحك متواصل يتبعها هذيان ووجد وأوهام، لهذا عمد بعض اليهود إلى تشجيع بعض الفرق الصوفية على تعاطيها، ففشا استعمال الحشيش بين الدراويش وقضى على عقولهم؛ وعُرِفوا بـ«المجاذيب»! وحينما ذهب الحشيش بعقول بعض العباد، ساحوا في الأرض، وانتشروا في القرى والمراكز، وهجروا نساءهم وأبناءهم، وخلطوا في هذيانهم العبادات بالجنون، فأُطْلِق عليهم اسم «الأولياء المجانين» كما يقول صاحب «الموسوعة الإسلامية»، وهؤلاء عظمتهم الدهماء، وأُطْلِق عليهم اسم «المجاذيب».

لقد استغلّ بعض الأشرار القوة المخدّرة للحشيش في أغراضهم

الإجرامية في القرن السادس الهجري، واستخدم «النيزاريون» ـ وهم فرع من الباطنية ـ الحشيش فعُرِفوا بـ«الحشاشين»، ولقد وظّفت هذه الفرقة الحشيش في الحض على القتل واحتقار الموت في سبيل أغراض سياسية، وظهروا في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي تعقّبهم ودمّر قواعدهم، وارتبطت هذه الفرقة بالأعمال الإرهابية، وفيها انتقل الاسم إلى اللغة الانجليزية، وأطلقوا على هذا المعنى كلمة (Assassin)، ومنها جاءت كلمة (Assassination). . .

لقد بيَّن العلم الحديث عِظَم خطورة المخدرات التي لم يعد بجانبها ذكر للحشيش، فهي أشدّ فتكاً بالعقول، وأكثر تدميراً للقيم، لهذا جاءت القوانين الدولية بأحكام صارمة توقع أقصى العقوبات على التجار والمروّجين.

• كتبه د. **أنور ماجد عشقي** في جريدة «المسلمون»، العدد (٦٥٥)، الجمعة ١٩ ربيع الآخر ١٤١٨هـ (٢٢/٨/١٩٩٧م)، ونقلته بتصرف، وفي بعض الدول العربية ـ وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ـ يتم إعدام المتاجرين بالمخدرات، وحسناً فعلوا! لأنهم من المفسدين في الأرض.

١٣٦١ الأَولَى في خطبة الجمعة أن تكون مرتجلة.. لا أنْ تُقرَأ من ورقة:

قال د. **عبد العزيز الحربي** حفظه الله في كتابه «خاطرات» (ص١١٦/ ط. ابن حزم): الأَولَى في خطبة الجمعة أن تكون مرتجلة بعد إعداد عناصرها في النفس، وأهمُّ عناصرها: الافتتاح بعد الحمد والتسليم، واستحضار النصوص من الكتاب والسُّنَّة وأقوال أهل العلم. . والتفكير لا سيما قُبيل الخطبة، وقراءة الخطبة في ورقة مرجوحٌ لأمور، منها:

أنّ قراءتها مخالفٌ لهدي السلف الصالح، وإلقاؤها غير مقروءة موافق لفعل النبي الأمّي ﷺ، وموافقته ـ ولو كان أمّيًا ـ أفضل من مخالفته.

ومنها: أنّ الخطيب حين يكون منشغلاً بأوراقه يكون بمعزلٍ عن المصلين، والواقع شاهدٌ على ذلك، فإنّ منهم مَن ينام أثناء قراءة الخطيب لأنّه يعلم أنّ خطبة الخطيب دُبِّرَت بليل، وأنّه قد نسخها في الغالب من كتاب، فيحصل لديهم شعورٌ بانفكاك الجهة بين مشاعر الخطيب، وما ترمي إليه الخطبة.

ومنها: أنّه لا يرقب انفعالهم ولا تلحظ عينه تصرّفاتهم المخالفة، وقد يحدث منكرٌ أمامه ولا ينبّه عليه؛ لأنّ العادة التي سار عليها لا تصرفه إلى ذلك.. وقد رأى عمرُ بن الخطاب عثمانَ بن عفان رضي الله عنهما دخلَ المسجدَ متأخّراً، وعمر يخطب، فتكلَّم في ذلك، وخاطب كلٌّ منهما الآخر، وقبل ذلك فعل النبي ﷺ في خطابه وهو على منبره غير مرَّة.

ومنها: انفعال المرتجل أقوى وأكبر تأثيراً وعاطفته تنطلق بلا تقييد.

ومنها: أنّ المرتجل يُفتَح له في ذلك المقام المبارك فوائد ولطائف، وتَرِد عليه خواطر نافعة.

ومنها: أنّ الناس يثقون بالمرتجل ما لا يثقون بغيره، ويأملون منه ما لا يأمّلون من غيره.

١٣٦٢ من فتاوى الشيخ علي الحلبي الأثري حفظه الله:

١ ـ هل يجوز أن يصلّي المرء العِشاء قبل دخول وقته في التقويم إنْ ثبت دخوله قبل وقت التقويم؟

جواب الشيخ الحلبي: إذا كان الأمر كما تقول على وجه اليقين؛ فلا بأس، بشرط أن يكون التخلف عن الجماعة لعذر شرعي.

٢ ـ ما هي السن التي يجب على الأهل أن يُقَصِّروا فيها سراويل أولادهم إلى الكعبين؟ وما هي السن التي يجب أن يوقظ فيها الأولاد ليصلّوا الفجر؟ (هذا السؤال أنا وجّهته إليه).

جواب الشيخ: سن السابعة سن تعليم واستجابة.. لكن؛ دون ضغط، وبالرفق واللين.. إلى سن العاشرة؛ فحينئذ يرفع مستوى التركيز والضغط، وبرحمة.

٣ ـ هل انتصاب الذكر من دون شهوة ودون خروج أي سائل ينقض الوضوء؟

جواب الشيخ: لا ينقض.

٤ ـ هل ورد أثر عن أحد الصحابة أو التابعين أنه تحرّك من مكانه إذا كان مسبوقاً لتحصيل سترة؟

جواب الشيخ: لم يرِد أي أثر في هذا المعنى ـ فيما أعلم ـ، وأرى أن تقدُّم المسبوق للسترة لا يجوز إلا إذا كان لمصلحة الصلاة؛ حتى يفسح مجالاً للمارّين بين يديه أن لا يقطعوا صلاته ـ أو ما أشبه ـ.

٥ ـ ما حكم وضع الستائر على الأبواب والشبابيك والجدران؟

جواب الشيخ: جائز إذا كانت لتغطية شباك أو باب أو نحو ذاك، أما إذا كانت لتغطية جدار أصم: فلا يجوز.

٦ ـ هل صَحَّ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقطع يد السارق عندما كان هناك مجاعة؟

جواب الشيخ: نعم صحّ، ولابن القيم مناقشة لطيفة ـ في «إعلام الموقعين» ـ لأسباب ذلك.

٧ ـ ما صحّة زيادة «ومغفرته» في صيغة السلام؟ وسمعت بعض المشايخ يقول: إنّ لها شاهداً من الكتاب العزيز: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ [النساء: ٨٦]؟ ما هو توجيهكم لهذا شيخنا؟

جواب الشيخ: قرأت بخط شيخنا الإمام الألباني رحمه الله:

أ ـ تراجعه عن تحسين (سند) البخاري في «التاريخ الكبير».

ب ـ تحسين (المتن) بأثر موقوف عن ابن عمر، وعموم النص القرآني. .

ت ـ من نَسَب إلى شيخنا تراجعه عن التحسين ـ مطلقاً ـ؛ فقد أخطأ. . .

٨ ـ رجل استيقظ متأخراً لصلاة الفجر ووجد أنه محتلمٌ، لكن لا يوجد إلّا دقائق قليلة قبل طلوع الشمس، بحيث إنِ اغتسل فلن يدرك الفجر؛ فهل يتيمَّم ويصلِّي الفجر في وقته؟ أم الأَولَى أن يغتسل ومن ثم يصلي، وإنْ كان الوقت سيخرج حينها لا محالة؟

جواب الشيخ: صح عن رسولنا ﷺ أنه قال: «**لَيْسَ التَّفْرِيطُ فِي النَّوْمِ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ**». . فليغتسلْ، وليُصَلِّ، وهو معذور.

٩ ـ شيخنا: ما حكم استقبال المصلِّين الجنازة بصلاة الفريضة؟ وجزاك الله خيراً.

جواب الشيخ: ذكر العلامة علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (١٧٨/٤) أحاديث النهي عن الصلاة على القبور، ثم قال: «ولو كان هذا التعظيم حقيقة للقبر أو لصاحبه لكَفَرَ المعظِّم، فالتشبّه مكروه، وينبغي أن تكون كراهةَ تحريم، وفي معناه بل أَوْلَى منه الجنازة الموضوعة، وهو ممَّا ابتلي به أهلُ مكةَ حيث يضعون الجنازة عند الكعبة، ثمَّ يستقبلون إليها».

١٠ ـ سمعت قصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أنه عندما كان في الجاهلية، كان عنده صنم صغير مصنوع من تمر يأخذه معه في سفره، فكان إذا جاع أكل هذا الصنم الذي كان إلهه في الجاهلية. ما صحّة هذه القصة أو القول المنسوب إلى عمر بن الخطاب؟

جواب الشيخ: رأيت ذلك في بعض كتب الأدب ـ «نثر الدر» ـ!!! بغير سند.

• نقلتُ الفتاوى من موقع الشيخ حفظه الله، إلا آخر أربعة أسئلة فنقلتها من «منتدى كل السلفيين».

١٣٦٣ فوائد منتقاة من «لقاءات الباب المفتوح» للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

ـ إذا كان هناك رجل يصلي تحية المسجد أو النافلة، وفي أثناء ذلك أُقيمت الصلاة، فإنْ كان في الركعة الثانية، أتمَّها خفيفة، وإنْ كان في الأولى قطعها.

ـ لا يجوز امتهان الأكياس التي يوجد فيها اسم الله مثل (عبد العزيز)، وذلك بوضع الأشياء النجسة بداخلها أو رميها أو غير ذلك.

ـ إذا أعجب المأموم بقراءة الإمام وقال عفويًّا «ما شاء الله» وهو في صلاته، أو سقط على رجل حجر أثناء الصلاة فقال: «أحححِ» عفواً وبدون قصد فلا شيء عليه.

ـ الأصحّ إذا كان الإنسان يخاف أن عينه تصيب أحداً أن يقول: «تبارك الله عليك» لقول الرسول ﷺ: **«هلا برَّكت عليه»**، أما «ما شاء الله» فهذه يقولها إذا أعجبه مُلْكُه ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف: ٣٩].

ـ قضاء رمضان لمن تركه تهاوناً لا يُقبَل منه ولا يجزئ ولو صامه ألفَ مرة، قاعدة: «كل عبادة مؤقتة بوقت إذا أخَّرها الإنسان عن وقتها بدون عذر شرعي ثم فعلها لم تقبل منه».

ـ الأصل في الحيوانات الحل، والأصل في اللحوم التحريم إلا أن يغلب على الظن أنها حلال مذكاة، لكن ذبيحة المسلم والنصراني أو اليهودي لا يُسْأَل عنها فهي حلال.

ـ إذا كان الإمام لا يستطيع أن يصلِّي قائماً فصلَّى قاعداً، فعلى المأمومين الذين خلفه أن يصلُّوا قعوداً وإنْ كانوا قادرين على القيام، حتى لا يكونوا متشبّهين بالأعاجم في القيام على ملوكهم.

ـ الذي نُهِي عن قتله من الحشرات، مثل: النملة، والنحلة، والهدهد (قال البيروتي ذكره الشيخ لأنه ذُكِرَ في حديث النهي، لا لأنه من الحشرات)، ثم إن بعض العلماء قال: إنها ما دامت في حياة فهي تسبح الله ﷻ، وإذا ماتت انقطع التسبيح، فقتلك إياها؛ يعني: إتلافها بحيث لا تسبح، لكن إنْ كانت مؤذية تُقْتَل.

ـ لا يسنّ للإنسان إذا تثاءب أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر عند التثاؤب بأن يكظم الإنسان ما استطاع، فإنْ لم يستطع يضع يده على فيه.

ـ الإنسان إذا رَدَّ التهنئة في قدوم العام الجديد لا بأس بها، ولكنها ليست مشروعة، وأرى أن بداية التهنئة أن يسأل الله له أن يكون عام خيرٍ وبركة.

ـ لا يجوز لبس الملابس التي فيها صور ذوات الأرواح مطلقاً؛ وذلك لأن استعمال الصور محرم. أما صحَّة الصلاة فالصحيح أن الصلاة صحيحة؛ وذلك لأن اللباس المحرَّم لا يبطل الصلاة، لكنه آثم بلبس هذه الألبسة التي فيها الصور.

ـ إذا نسي الإنسان سجود السهو حتى سلم فَلْيَسْجُد، أما إذا طال الفصل، فإنه يسقط عنه عند أكثر العلماء، أما إذا كان أربع أو خمس دقائق فيسجد ويسلم.

ـ «دع الأيام تفعل ما تشاءُ»، نقول: لا ينبغي للإنسان أن يقول هكذا، وأن يضيف الحوادث إلى زمنها.

ـ العمرة في أشهر الحج أفضل منها في رمضان عند كثير من العلماء، واحتجوا لهذا القول بأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يعتمر في رمضان قط، وإنما كانت عُمره في أشهر الحج.

ـ المصاحف التالفة تُحْرَق كما فعل الصحابة ﷺ حين أحرقوا المصاحف الزائدة عن مصحف عثمان.

• انتقت الفوائد الأخت أم سلمى حفظها الله.

١٣٦٤ هل يجوز صيام يوم الجمعة منفرداً إذا كان بنية صيام عاشوراء؟

صيام يوم الجمعة منفرداً نهى عنه النبي ﷺ إذا كان صومه لخصوصيته؛ لأنه ﷺ دخل على امرأة من نسائه فوجدها صائمة يوم الجمعة، فقال: «**أكنتِ صمتِ أمس؟**» قالت: لا، فقال: «**أتريدين أن تصومي غداً؟**» قالت: لا. قال: «**فأفطِري**». (رواه أحمد). وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يصومنَّ أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده**». لكن إذا صادف يوم الجمعة يوم عرفة فصامه المسلم وحده فلا بأس بذلك؛ لأن هذا الرجل صامه؛ لأنه يوم عرفة لا لأنه يوم جمعة. وكذلك لو كان عليه قضاء من رمضان ولا يتسنَّى له فراغ إلا يوم الجمعة فإنه لا حرج عليه أن يفرده؛ وذلك لأنه يوم فراغه. وكذلك لو صادف يوم الجمعة يوم عاشوراء فصامه فإنه لا حرج عليه أن يفرده؛ لأنه صامه لأنه يوم عاشوراء لا لأنه يوم الجمعة، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا تخصُّوا يوم الجمعة بصيام ولا ليلتها بقيام**». (رواه البخاري ومسلم)، فنَصَّ على التخصيص؛ أي: على أنْ يفعل الإنسان ذلك لخصوص يوم الجمعة أو ليلتها.

• منقول من الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

١٣٦٥ الدعاء بين الأذان والإقامة أولى من قراءة القرآن:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: كثيرٌ من الناس يهملون الدعاء بين الأذان والإقامة ويشتغلون بتلاوة القرآن، تلاوة القرآن لا شك أنها عمل جليل، ولكن تلاوة القرآن لها وقت آخر، كونك تستغل هذا الوقت

بالدعاء والذكر أفضل؛ لأن الدعاء المقيّد في وقته أفضل من الدعاء المطلق، تلاوة القرآن مطلقة في كل وقت، وهذا الوقت مخصّص للدعاء.

فكونك تشتغل بالدعاء والذكر والاستغفار أفضل من تلاوة القرآن في هذا الوقت، هذا ينبغي أن يفطن له.

• «تسهيل الإلمام بفقه الأحاديث من بلوغ المرام».

١٣٦٦ تنبيه على خطأ شائع في تكبيرات الانتقال في الصلاة:

قال العلّامة الأصولي **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ في «الشرح الممتع» (٣/ ٨٧): وقوله: (مكبِّراً) حال من فاعل (يركع) حال مقارنة، يعني: في حال هويه إلى الرُّكوعِ يكبِّرُ فلا يبدأ قبل، ولا يؤخِّره حتى يَصِل إلى الرُّكوعِ، أي: يجب أن يكون التَّكبيرُ فيما بين الانتقالِ والانتهاءِ، حتى قال الفقهاءُ رحمهم الله: «لو بدأ بالتَّكبير قبل أن يهويَ، أو أتَمَّهُ بعد أن يَصِلَ إلى الرُّكوع؛ فإنه لا يجزئه». لأنهم يقولون: إنَّ هذا تكبيرٌ في الانتقال محلُّه ما بين الرُّكنين، فإنْ أدخلَه في الرُّكن الأول لم يصحَّ، وإن أدخله في الرُّكن الثاني لم يصحَّ؛ لأنه مكان لا يُشرع فيه هذا الذِّكرُ، فالقيامُ لا يُشرع فيه التَّكبيرُ، والرُّكوع لا يُشرع فيه التكبيرُ، إنما **التكبيرُ بين القيام وبين الرُّكوعِ**.

ولا شَكَّ أن هذا القولَ له وجهة مِن النَّظر؛ لأن التَّكبيرَ علامةٌ على الانتقالِ؛ فينبغي أن يكون في حالِ الانتقال.

ولكن؛ القول بأنه إن كمَّلَه بعد وصول الرُّكوع، أو بدأ به قبل الانحناء يُبطلُ الصَّلاةَ فيه مشقَّةٌ على النَّاس، لأنك لو تأملت أحوال الناس اليوم لوجدت كثيراً مِن النَّاسِ لا يعملون بهذا، فمنهم من يكبِّرُ قبل أن يتحرَّك بالهوي، ومنهم مَن يَصِلُ إلى الرُّكوعِ قبل أن يُكمل.

والغريب أن **بعض الأئمة الجُهَّالِ** اجتهد اجتهاداً خاطئاً وقال: «لا أكبِّرُ حتى أصل إلى الرُّكوع»، قال: «لأنني لو كبَّرت قبل أن أَصِلَ إلى الرُّكوع لسابقني المأمومون، فيهوُون قبل أن أَصِلَ إلى الرُّكوع، وربما وصلوا إلى الرُّكوع قبل أنْ أَصِلَ إليه!» **وهذا مِن غرائب الاجتهاد؛ أن تُفسد عبادتك على قول بعض العلماء؛ لتصحيح عبادة غيرك؛ الذي ليس مأموراً بأن يسابقك، بل أُمر بمتابعتك**، ولهذا نقول: هذا اجتهادٌ في غير محلِّه، ونُسمِّي المجتهدَ هذا الاجتهاد: (جاهلاً جهلاً مركَّباً)؛ لأنه جَهِلَ، وجَهِلَ أنه جاهلٌ.

إذاً؛ نقول: **كَبِّرْ مِن حين أن تهويَ، واحرصْ على أن ينتهي قبل أن تَصِلَ إلى الرُّكوع**، ولكن لو وصلت إلى الرُّكوع قبل أن تنتهي فلا حرجَ عليك، والقولُ بأن الصَّلاةَ تفسدُ بذلك حَرَج، ولا يمكن أن يُعملَ به إلا بمشقَّةٍ، فالصوابُ: أنه إذا ابتدأ التَّكبيرَ قبل الهوي إلى الرُّكوعِ، وأتمَّه بعدَه فلا حرج، ولو ابتدأه حين الهوي، وأتمَّه بعد وصولِهِ إلى الرُّكوعِ فلا حَرَجَ، لكن الأفضل أن يكون فيما بين الرُّكنين بحسب الإمكان. **وهكذا يُقال في: (سمعَ الله لمن حمده) وجميعِ تكبيرات الانتقال. أمَّا** لو لم يبتدئ إلا بعد الوصول إلى الرُّكن الذي يليه، فإنه لا يعتدُّ به.

• نقله جعفر الغامدي.






باب
العلم وطلبه وآدابه

١٣٦٧ نحن أصحاب الحديث، الناسُ على مذاهبنا، ولسنا على مذهب احد!

قال الحافظ خميس **الحوزي** (ت٥١٠هـ) في إجاباته على «سؤالات» الحافظ **أبي طاهر السِّلَفي** (٤٧٤ ـ ٥٧٦هـ) (١١٣/ ط. دار الفكر): قال بركة بن حسان الحوزي: ناظرتُ أبا الحسن المغازلي في التفضيل بين مالك والشافعي، ففضَّلتُ الشافعي؛ لأني أنتحلُ مذهبَه، وفَضَّلَ مالكاً؛ لأنه كان ينتحلُ مذهبَه، فاحتكمنا الى أبي مسلم الليثي البخاري (ت٤٦٦هـ)، ففَضَّل الشافعيَّ، فغضب أبو الحسن وقال: لعلَّك على مذهبه؟ فقال: «**نحن أصحاب الحديث، الناسُ على مذاهبنا، ولسنا على مذهب أحد، ولو كنَّا ننتسبُ الى مذهب أحدٍ لقيل: أنتم تضعون له الأحاديث!**» اهـ.

قلتُ: أثنى الإمام الذهبيُّ على أبي مسلم عمر بن علي الليثي البخاري في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٠٧) فقال: الشيخ، الإمام، المحدث، المفيد، الرحَّال، الطواف. اهـ. وقال عنه في «تاريخ الإسلام»: كان من بقايا الحفاظ. اهـ.

وكلمة الحافظ أبي مسلم هذه تذكّرني بقول العلماء: «علم الحديث خادم وبقية العلوم مخدومة».

١٣٦٨ قال العلماء: علم الحديث خادم وبقية العلوم مخدومة

قال الشيخ **أبو إسحاق الحويني** حفظه الله: علم الحديث علم جليل بُنيت عليه شريعتنا كلها، لهذا يقول العلماء: علم الحديث خادم وبقية

العلوم مخدومة، والخادم هو الذي له ميزة، فلو أن ملكاً لا يعرف أن يفعل شيئاً، يحضر خادماً ليفعل ما يحتاجه أم لا؟ الخادم هذا إذا غاب، ماذا يفعل؟ فهو بالخادم أم لا؟ هو بالخادم، فعلم الحديث علم خادم، بمعنى أن كل العلوم تحتاج إليه، وهو لا يحتاج إلى أيّ علمٍ من العلوم.

أنا رجل فقيه، أشتغل بالفقه، والفقيه رأس ماله الأدلة، والأدلة كما قلنا الكتاب والسُّنَّة، الكتاب والحمد لله في أعلى درجات التواتر، تبقى السُّنَّة التي فيها ألوف الأحاديث، قبل أن يشتغل الفقيه، وقبل أن يصدر حديثاً شرعيًّا باللفظ يقول: أيها المُحَدِّث! هل هذا اللفظ الذي سآخذ منه الحكم الشرعي ثابت أم لا؟ يقول: قف. ثم يبدأ المُحَدِّث يشتغل، يحضر الطرق والرواة، وفي الآخر يقول له: امضِ على بركة الله واستنبط فقد ثبت اللفظ، فإذا قال له: لا، بعد الشغل الذي اشتغله، يقول له: لا، هذا اللفظ منكر. فلا يجوز للفقيه أن يأخذ منه حكماً، وهذا ما أخلَّ به جماهير الفقهاء، حيث وَجَدَ أيَّ روايةٍ يأخذها ويخصِّص بها العام، ويقيد بها المطلق، ويشتغل بها، واللفظ منكر عند علماء الحديث، فلو أنه التفت إلى المُحَدِّث وأخذ رأيه فقال: هذا منكر فأسْقِطْهُ، كان أراحنا من التأويلات. ففي النهاية لا يستطيع الفقيه أن يتحرك إلَّا أن يقول له المحدِّث صح أو خطأ.

التفسير: نأخذه بالأسانيد، قال ابن عباس كذا، طيب ابن عباس له خمسة أسانيد، اثنان منهما مقبولان، وثلاثة مردودة، وواحد من الثلاثة يمكن تسليكه، ولكنه إلى الضعف أقرب. فحين تقول: قال ابن عباس، هل تعلم أنقل هذا الكلام بالسند الصحيح أم بالسند الضعيف؟ لا تعرف، إذن التَفِتْ للمُحَدِّث فقُلْ: حَقِّق هذا القول لابن عباس وانظر؛ هل الإسناد هنا لابن عباس مقبول أم مردود، قال: مقبول. انطلق، أو مردود توقف، فإذن احتجت المُحَدِّث أم لا؟

العقيدة: تأتي عن طريق السُّنَّة كالفقه بالضبط. فقبل أن أنسب لله ﷻ صفة من الصفات التي لم تأتِ في الكتاب، مثل (حيي) و(سِتّير)، فهذا حديث في النسائي: «**إن الله حيي ستير، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**» فلا يأتي أحد يقول: يا سَتّار يا رب. فالسَتَّار ليس اسماً لله أصلاً، فلا ينفع نسبتها إلى الله تعالى، ومَن اسمه (عبد الستار) فليغَيِّر اسمه، فينادونه باسم آخر؛ عبد الستِّير مثلاً.. فلا أستطيع أن أنسب لله ﷻ اسماً ليس له. «**إن الله جميل يحب الجمال**»، فجميل صفة من صفات الله ﷻ، مِن أين جاءتنا؟ في حديث في صحيح مسلم. فقبل أن أنسب إلى الله ﷻ صفة من صفاته لا بد أن أتحقَّق من هذه الصفة، فمن يحقِّقها ويقول صحيحة أو ضعيفة؟ المُحَدِّث. فكل واحد صاحب علم من العلوم يلتفت إلى المُحَدِّث ويسأله أم لا؟ فهو خادم للكل أم لا؟

... فعلم الحديث هذا علم خادم، علم جميل خادم.

● مفرَّغ من محاضرة «سلسلة شرط البخاري ومسلم».

١٣٦٩ موقف الإمام عامر بن شراحيل الشعبي من الرأي وأهله:

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: **عامر بن شراحيل الشَّعبي، أبو عمرو**، ثقة مشهور، فقيه فاضل من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المئة، وله نحو من ثمانين، روى له الجماعة. اهـ. وكان سلفيًّا متَّبعاً للآثار يُبغض الآراء وأهلها، ومن أقواله رحمه الله في ذمّ الرأي وأهله:

ـ قال: «**ما كلمة أبغض إليَّ من: (أرأيتَ)**». (صحيح/ **جامع بيان العلم**).

ـ وقال: «**لعن اللهُ أرأيت!**» (**حلية الأولياء**).

ـ وقال: «**ما حَدَّثُوكَ عن أصحابِ محمد ﷺ؛ فَخُذْهُ، وما قالوا برأيهم؛ فَبُلْ عليه**». (صحيح/ **عبد الرزاق وغيره**).

ـ وسُئِلَ عامرٌ الشعبي عن شيء، فلم يكن عنده فيه شيء، فقيل له: قُلْ بِرَأْيِكَ، قال: «**وما تصنع برأيي؟! بُلْ عَلَى رَأْيِي!**» (**طبقات ابن سعد**).

ـ وقال صالح بن مسلم: سألت الشعبي عن مسألة، فقال: «**قال فيها عمر بن الخطاب بكذا، وقال علي بن أبي طالب فيها كذا**»، فقلت للشعبي: ما ترى؟ قال: «**ما تصنع برأيي بعد قولهما؟ إذا أخبرتك برأيي فَبُلْ عليه!**» (**حلية الأولياء ٤/٣١٩**).

ـ وقال مالك بن مغول: قال لي الشعبي ـ ونظر إلى أصحاب الرأي ـ: «**ما حَدَّثك هؤلاء عن أصحاب محمد ﷺ فاقْبَله، وما خَبّروك به عن رأيهم فارْمِ به في الحش!**» (**تأويل مختلف الحديث** لابن قتيبة).

ـ وقال صالح بن مسلم: كنتُ مع الشَّعبي، ويدي في يده، أو يده في يدي، فانتهينا إلى المسجد؛ فإذا حَمَّاد في المسجد، وحوله أصحابه، ولهم ضوضاة وأصوات، قال: فقال: «**لقد بغَّضَ إليَّ هؤلاء هذا المسجد، حتى تركوه أبغض إليَّ من كناسة داري؛ معاشر الصعافقة**».

فانصاع راجعاً، ورجعنا.

وفي رواية: فقلتُ: مِمَّ يا أبا عمرو؟

قال: «**هؤلاء الرَّائيُّون أصحاب الرأي، لمَّا أَعْيَتهُمْ أحاديث رسول الله ﷺ أن يحفظوها؛ يجادلون**». (**صحيح/ طبقات ابن سعد**).

١٣٧٠ هل للنسيان من علاج أو دواء؟

قال العلامة **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه على البيقونية»: إنْ قال قائل هل للنسيان من علاج أو دواء؟

قلنا: نعم له دواء ـ بفضل الله ـ وهي الكتابة، ولهذا امتنّ الله عَزَّوَجَلَّ على عباده بها فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: ١ ـ ٤]. فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، ثم قال: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾؛ يعني: اقرأ من حفظك، فإن لم يكن فمِن قلمك، فالله تبارك وتعالى بَيَّن لنا كيف نداوي هذه العلة ـ وهي علّة النسيان ـ وذلك بأن نداويها بالكتابة، والآن أصبحت الكتابة أدقُّ من الأول؛ لأنه وُجِدَ ـ بحمد الله ـ الآن المسجِّل.

١٣٧١ الماءُ الصبّاب، وإطلاقُ الكلاب... لتأديب الطلّاب!!

قال **محمد بهجة البيطار** (١٣١١ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٤ ـ ١٩٧٦م): كنّا نقرأ على السيد الخضر الحسين التونسي «المستصفى» و«صحيح مسلم»، وكان منزله جانب الجامع في باب السريجة، فإذا فرغ من الصلاة ورأى بعض الطلاب جلس للدرس، وإنْ لم يرَ أحداً دخل منزله ولم يخرج، فوافق أَنْ حضرتُ أنا والشيخ حامد التقي ومصطفى الحلاق، فوجدناه قد ذهب لداره، فطرقنا عليه الباب، فأَطَلَّ من غرفة فوق الباب، فلمَّا رآنا قال: انتظروا، ثم دخل فظننا أنّه نزل يفتح الباب، فلم نشعر إلّا وسطل الماء البارد علينا ينصب علينا، وقال: هذا جزاء من يتأخّر عن الدرس!

● من مقالة لتلميذ البيطار الشيخ مسلم الغنيمي، أوردها الأستاذ مجد مكي في «رجال فقدناهم» (٢/ ٧٠٩).

وهناك العديد من الأمثلة قسا فيها مشايخ على طلابهم لتأديبهم، فعلى سبيل المثال جاء في «تاريخ بغداد» (ترجمة الفضل بن دكين) عندما أدخل يحيى بن معين بعض الأحاديث على أبي نُعيم الفضل بن دكين ليمتحنه، . . . وفي آخر القصة: ثم أخرج أبو نعيم رجله فرفس يحيى بْن معين، فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره، فقال أَحْمَد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك من الرجل وأقل لك إنه ثبت، قال: وَاللهِ لرفسته لي أحبّ إليَّ من سفري.

وانظر للفائدة الفقرة السابقة (٩٠٦): **من صبر طلاب العلم: كلب يهاجمهم كلّما يراهم ذاهبين إلى شيخ، ولا تنثني عزيمتهم!!**

١٣٧٢ همّة الإمام الذهبي العالية في القراءة! أين نحن منها؟!

ذكر الشيخ **إبراهيم الهاشمي الأمير** حفظه الله في كتابه النفيس «المصنفات التي تكلّم عليها الحافظ الذهبي نقداً أو ثناءً» قرابة (١٣٥٠) كتاباً تكلم عليها الذهبي، ممّا يدل على اطّلاع الذهبي عليها وقراءته لها قراءة فهم ونقد، ومن هذه الكتب طوال؛ كتفسير الطبري، وابن أبي حاتم، والرازي، وتواريخ بغداد ودمشق ونيسابور، وتهذيب الكمال وتحفة الأشراف للمزّي، وغيرها الكثير من الكتب والأجزاء، ولم يكتفِ الإمام بقراءة الكتب، بل اختصر منها ما يزيد على خمسين كتاباً، أكثرها من الطوال؛ كاختصاره لـ«أسد الغابة»، و«تهذيب الكمال» و«تحفة الأشراف»، و«الأنساب» للسمعاني، وتواريخ «بغداد» و«نيسابور» و«دمشق»، وقام بالتعليق والاستدراك عليها، وتصحيح الأخطاء والأوهام فيها، والإضافة عليها من مؤلفات أُخَر، ممّا يدل على قراءته لها قراءة تمعّن وفهم.

عاش الإمام ٧٥ سنة، وكان ابتداؤه بطلب العلم عند بلوغه ١٨، وبلغت مصنفاته ما يزيد على المئتين في مختلف العلوم والفنون، يلهف إلى تحصيل المطبوع منها عشّاق الذهبي لجودتها وإتقانها، وهذا من بركة علمه وإخلاصه، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

١٣٧٣ الأخبار محرقة الأعمار!! (تابع للفقرة ١٢٦٠)

قال الشيخ **عبد الله الهدلق** في «ميراث الصمت والملكوت»: الإغراق المبالَغ فيه في تتبع الأحداث ربما حمل الإنسان على اليأس، وشدة تحسس خطرات النفس خوف السقوط ربما أسرعت بالإنسان نحو الهاوية. . كالذي يتعلم قيادة الدراجة؛ إذا رأى حجراً من بعيد حمله لا شعوره ـ من فرط الخوف ـ على التوجه إليه.

قال أبو معاوية البيروتي: وصدق الشيخ حفظه الله! فما هي مآل

حال مَن لا يسمع ليل نهار إلّا القتل والمكر والتنكيل بأمّته ومَن حوله، من أين سيبقى في روحه بصيص أمل في مستقبلٍ مشرق؟!!

فالمطلوب: التخفيف من متابعة الأخبار إلا ما لا بدّ منه.

بل ولا حرج على مَن لا يسمع الأخبار بتاتاً! فسيصبح ويمسي في نفسية جيدة ولن يضيع عليه شيء من عمره، بل على العكس! سيكسب الكثير من أوقات عمره ليستغلها في عمل ينفع فيه نفسه وأمّته ومن حوله.

١٣٧٤ عجباً ممّن يشكو من ضيق الوقت! وهل يضيّق الوقتَ إلّا الغفلة أو الفوضى؟!

قال الشيخ **علي الطنطاوي** في «صور وخواطر» ـ وقد ذكر أن مجلة طلبت منه كتابة مقال ـ: حتى إذا دنا الموعد ولم يبقَ إلا يوم واحد أقبلت على الوقت أنتفع به، فكانت الدقيقة ساعة والساعة يوماً، فكأنها العلب الصغيرة المترعة جوهراً وتِبراً، واستفدتُ من كل لحظة، حتى لقد كتبتُ أكثره في محطة «باب اللوق» (في مصر، وقد كنت سنة **١٩٤٧** مقيماً فيها) وأنا أنتظر الترام في زحمة الناس وتدافع الركاب، فكانت لحظة أبرك عليّ من تلك الأيام كلها، وأسفت على أمثالها!

فلو أني فكَّرتُ ـ كلما وقفت أنتظر الترام ـ بشيء أكتبه (وأنا أقف كل يوم أكثر من ساعة متفرقة أجزاؤها) لربحت شيئاً كثيراً. ولقد كان الصديق الجليل الأستاذ الشيخ **بهجة البيطار** يتردد من سنوات بين دمشق وبيروت، يعلّم في كلية المقاصد وثانوية البنات، فكان يتسلى في القطار بالنظر في كتاب «قواعد التحديث» للإمام القاسمي، فكان من ذلك تصحيحاته وتعليقاته المطبوعة مع الكتاب. والعلامة **ابن عابدين** كان يطالع دائماً، حتى إنه إذا قام إلى الوضوء أو قعد للأكل أمَرَ مَن يتلو عليه شيئاً من العلم، فألّف الحاشية. و**السَّرَخْسي** أملى وهو محبوس في الجُبّ كتابه «المبسوط»، أجَلّ كتب الفقه في الدنيا.

وأنا أعجب ممّن يشكو ضيق الوقت! وهل يضيّق الوقتَ إلا الغفلةُ أو الفوضى؟! انظروا كم يقرأ الطالب ليلة الامتحان، تروا أنه لو قرأ مثله، لا أقول كل ليلة بل كل أسبوع، لكان علّامة الدنيا. بل انظروا إلى هؤلاء الذين ألّفوا مئات الكتب كابن الجوزي والطبري والسيوطي والجاحظ، بل خذوا كتاباً واحداً كـ«نهاية الأرَب» أو «لسان العرب» وانظروا: هل يستطيع واحدٌ منكم أن يصبر على قراءته كله ونَسْخه مرة واحدة بخطه، فضلاً عن تأليف مثله من عنده؟

١٣٧٥ إلى كلِّ مَن افتتن بعلم الطب وسائر العلوم الدنيوية فقَدَّمه على علم القرآن والسُّنَّة:

ذكر النووي (ت٦٧٦هـ) عند شرحه لحديث مسلم (٢٢٠٥/ ٧١) ـ عن التداوي بالحجامة والعسل والكي ـ كيف يُعالَج بعض أنواع الإسهال بالعسل، ثم قال: ثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ الْعَسَل جَارٍ عَلَى صِنَاعَة الطِّبّ، وَأَنَّ الْمُعْتَرِض عَلَيْهِ جَاهِل لها، ولسنا نَقْصِد الاسْتِظْهَار لِتَصْدِيقِ الحديث بِقَوْلِ الْأَطِبَّاء، بَلْ لَوْ كَذَّبُوهُ كَذَّبْنَاهُمْ وَكَفَّرْنَاهُمْ، فَلَوْ أَوْجَدُوا الْمُشَاهَدَة بِصِحَّةِ دَعْوَاهُمْ تَأَوَّلْنَا كَلَامه ﷺ حِينَئِذٍ، وَخَرَّجْنَاهُ على ما يَصِحّ، فَذَكَرْنَا هَذَا الْجَوَاب وما بعده عُدَّة لِلْحَاجَةِ إليه إِنْ اِعْتَضَدُوا بِمُشَاهَدَةٍ، وَلِيَظْهَر بِهِ جَهل الْمُعْتَرِض، وَأَنَّهُ لَا يُحْسِن الصِّنَاعَة الَّتِي اِعْتَرَضَ بِهَا وَانْتَسَبَ إِلَيْهَا. اهـ.

قلتُ: كلام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ موجَّهٌ لكلِّ مَن افتتن بعلم الطب وسائر العلوم الدنيوية فقَدَّمه على علم القرآن والسُّنَّة، فكيف يُرَدُّ عِلْمٌ إلهي نزل من السماء ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤] بعلمٍ اكْتُسِبَ عن طريق (التجربة والخطأ/ Trial and error)؟!

قال العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٩٩) ـ في معرض

ردِّه على مَن طعن بصحة حديث الذبابة ـ: فهل العلم الحديث ـ أيها المسكين ـ قد أحاط بكل شيء علماً، أمْ أنّ أهله الذين لم يُصابوا بالغرور ـ كما أُصِيبَ مَن يقلِّدهم منّا ـ يقولون: إننا كلَّما ازددنا علماً بما في الكون وأسراره، ازددنا معرفة بجهلنا! وأنّ الأمر بحق كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

١٣٧٦ نصيحة إلى المكثرين من إرسال الفوائد والمواعظ يوميًّا عبر «وسائل التواصل الاجتماعي»

أقلوا ـ بالله ـ علينا وعلى المسلمين من رسائلكم في كل آنٍ وفي كل حين. . . لقد أذهبتم رونق وزخرف ما كانت أكباد الإبل تُضرَب في طلبها أياماً وشهوراً وسنين، وما كانت القلوبُ ترقص فرحاً للوقوف عليها أو استخراجها بعد كد وجهد وتعب وأنين، وما كان في سبيلها من تحمل جوع وعطش وطول سفر ودمٍ قد بيل من أسلافنا الصالحين، لقد ـ والله ـ أقللتم من قيمة الذي تنقلون عمّن لو قُدِّرَ لهم أن يروا صنيعكم لما تردَّدوا في وصف حالكم بحالِ مَن في الليل يحتطبون! لقد أكثرتم فأمللتم، وبغضتم فصددتم، وصنيعاً حسناً تحسبون أنكم فاعلون؟! هلا اكتفيتم بما كان يفعله نبيكم ﷺ سيد الدعاة والواعظين؟ لقد كان يتخول أصحابه بالموعظة خشية السآمة عليهم من حين إلى حين، فالزموا غرزه واقتفوا أثره وآثار صحبه الميامين، وكذا من تبعهم بإحسان ممّن عرفوا للعلم قدره وللوعظ وقته إلى يوم الدين.

• كتبه أبو حذيفة، محمود جمعة، في ٦ صفر ١٤٣٦هـ (الموافق لـ ٢٨/ ١١/ ٢٠١٤م).

١٣٧٧ الاستعاذة بالملك العلّام من تعدّيات العوام!! (نصيحة ابن عقيل)

قال الفقيه ابن عقيل الحنبلي (٤٣١ ـ ٥١٣هـ) في كتاب «الفنون»:

وَيْلٌ لِعَالِمٍ لا يَتَّقِي الْجُهَّالَ بِجَهْدِهِ، قال: وكما يَجِبُ عَلَيْهِ التَّحَرُّزُ

مِن مَضَارِّ الدُّنْيَا الْوَاقِعَةِ من جُهَّالِ أَهْلِهَا بِالتَّقِيَّةِ، وَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَحْلِفُ بِالْمُصْحَفِ لِأَجْلِ حَبَّةٍ، وَيَضْرِبُ بِالسَّيْفِ مَنْ لَقِيَ بِعَصَبِيَّتِهِ، ويرى قَنَاةً مُلْقَاةً فِي الْأَرْضِ فَيُنَكِّبُ عَنْ أَخْذِهَا، وَالْوَيْلُ لِمَنْ رَأَوْهُ أَكَبَّ رَغِيفاً عَلَى وَجْهِهِ، أَوْ تَرَكَ نَعْلَهُ مَقْلُوبَةً ظَهْرُهَا إِلَى السَّمَاءِ، أَوْ دَخَلَ مَشْهَداً بِمَدَاسِهِ، أَوْ دَخَلَ وَلَمْ يُقَبِّلْ الضَّرِيحَ ـ إِلَى أَنْ قَالَ: ـ هَلْ يَسُوغُ لِعَاقِلٍ أَنْ يُهْمِلَ هَؤُلَاءِ وَلَا يَفْزَعُ مِنْهُمْ كُلَّ الْفَزَعِ؟ وَيَتَجَاهَلُ كُلَّ التَّجَاهُلِ فِي الْأَخْذِ بِالِاحْتِيَاطِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الذُّنُوبَ مِمَّا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ عَنْهَا، ولا إِقَالَةَ لِلْعَالِمِ مِنْ شَرِّ هَؤُلَاءِ إذا زَلَّ في شَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُونَ وَيُنْكِرُونَ، وَإِنْ ظَهَرَ مِنْهُ هَوَانٌ، وأبى إِلَّا إِهْمَالَهُمْ، نَظَراً إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الِازْدِرَاءِ لَهُمْ، فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ، فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ أَهْوَنُ، وَهُمْ مِنْهُ أَكْثَرُ، وَعَلَى الْإِضْرَارِ بِهِ أَقْدَرُ، وَهَلْ تَقَعُ الْمَكَارِهُ بِالْمُسْلِمِ إِلَّا مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ؟ فَإِذَا احْتَشَمَ الْإِنْسَانُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ تَوْقِيراً لَهُمْ وَتَعْظِيماً، أَوْجَبَ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ احْتِشَامَ هَؤُلَاءِ تَحَذُّراً وَاتِّقَاءَ فَتْكِهِمْ، وَهَلْ طَاحَتْ دِمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ إِلَّا بِأَيْدِي هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ؟ حَيْثُ رَأَوْا مِنْ التَّحْقِيقِ مَا يُنْكِرُونَ، فَصَالُوا لِمَا قَدَرُوا عَلَيْه، وَغَالُوا لِمَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَهُمْ بَيْنَ قَاتِلٍ لِلْمُتَّقِينَ مُكَاشَفَةً حَالَ الْقُدْرَةِ، أَوْ غِيلَةً حَالَ الْعَجْزِ، فَاسْمَعْ هَذَا سَمْعَ قَابِلٍ فَإِنَّهُ قَوْلٌ مِنْ نَاصِحٍ خَبِيرٍ بِالْعَالِمِ، وَلَا تُهَوِّنْ بِهِمْ فَتُهَوِّنَ بِنَفْسِك، وَيَطِيحُ دَمُك مِمَّا رَأَيْت مِنْ جَهْلِهِمْ...

• نقلته من «الآداب الشرعية» لابن مفلح الحنبلي، وانظر نماذج لتعديات العوام على العلماء في «الكناشة» (٩٠٥).

١٣٧٨ بيروت مقبرة العلوم! وليس لأهلها همّة إلّا في التجارة!!

كنتُ في زيارة للمحامي المؤرخ **عبد اللطيف آل فاخوري** (٩/ ١/ ٢٠١٥م)، فأفادني بعبارة قيلت منذ قرابة مئة سنة تلخّص الحالة العلمية في بيروت! فقد جلب لي الأستاذ فاخوري نسخة مصورة عنده من

«اتحاف ذوي العناية ببعض ما لي من المشيخة والرواية» للسيد **محمد العربي العزوزي الفاسي الإدريسي الحسني** (ت١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية، وهذا الكتاب عبارة عن ثَبْتِهِ، وطبعته مطبعة الإنصاف في بيروت عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م)، وجاء فيه (ص٦٩) عند ذكر العزوزي مجيئه لبيروت أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م): اجتمعتُ بسيدي محمد أبو طالب الإدريسي الحسني الجزائري (صهر الأمير عبد القادر الجزائري) أولاً في المدينة المنورة وثانياً في مدينة بيروت في مسجدها العمري، وسألته عن المشهورين من علماء بيروت، فأجاب بحدّة مغربية: «**بيروت مدينة تجارة لا مدينة علم! اذهب إلى الشام إنْ كُنتَ تريد الاجتماع بالعلماء**». اهـ.

ولم يتفرّد محمد الجزائري برأيه في أنّ بيروت ليست بمدينة علم، فسابقاً نقلتُ في «الكناشة» (٥٦٠) أنّ الشيخ **أحمد بن عبد اللطيف البربير الحَسَني** (١١٦٠ - ١٢٢٦هـ) العَلَم الشهير، الذي هاجر من بيروت لعدم صفاء العيش له فيها، صنع في هجو أهلها بيتَين، وهما:

بيروت مقبرة العلوم وحفرة ... أضحت على أهل العلوم سعيرا
كم عالِم قد مات من ضغطاتها ... ورأى هنالك منكراً ونكيرا. اهـ.

ونقلتُ أيضاً في «الكناشة» (٢٢٧) أنّ **عبد الرحمٰن بك سامي** (ت١٣٠٩هـ) ذكر حبّ أهل بيروت للتجارة وتمكّنهم فيها وشدّة تعلّقهم بها في كتابه «القول الحق في بيروت ودمشق» (ص٢٥/ ط. ١٨٩٢م)، فقال: «**ولأهل بيروت براعة ومهارة في التجارة، ولا يخلو مجلس لهم من ذكر الأمور التجارية**». اهـ.

١٣٧٩ أليس كثيرٌ منّا هذا الشخص... يا طلبة العلم؟!!

قبل سنوات.. كان الموضوع عن الاحتساب والدعوة والعلم و(قيام الليل)..

بعدها تحول الموضوع إلى (السنن الرواتب). .

ثم انحدر الحال إلى أن صار الحديث حول (تكبيرة الإحرام). .

فانتهى الأمر إلى (الفريضة). . قد تُدْرَك وقد لا تُدْرَك. . !

ولا يزال مَن هذا حاله يُعَد (مستقيماً) أو (ملتزماً)!!!

نعم. . اللحية كما هي. . الثوب القصير كما هو. .

ولكن الفرائض والنوافل والحرص عليها والتواصي بها ليست كما كانت. . !

يأتي يوم الجمعة متأخراً فيجد له مكاناً في الصف الأول. . !!

ليس بمحض حرصه. . ولكن بسبب تقصير غيره. . !

فأين أصحاب (الاستقامة) و(الالتزام)؟!

متى نكون قدوة لغيرنا؟!

متى نعود إلى سيرتنا الأولى؟!

متى نصلح حالنا حتى نصلح غيرنا؟!

مجالسنا. . !

كان المجلس لا ينفك عن كتاب يأخذ حيزاً من الوقت. .

فتقَلَّص ذلك الوقت شيئاً فشيئاً حتى أصاب الكتاب (كسوف كلي). . !

فلا مجالس ذكر ولا مجالس وعظ، وإنما مجالس ضحك وأكل وشرب، الحديث الرسمي فيها عن حطام الدنيا وملذاتها. .

ساعة في موضوع العقار. . وساعة حول مشروع استثماري. .

ونصف ساعة عن مواصفات مركبة حديثة الصنع. . . !

عزوف عن مجالس العلم والذكر. . وهمّة متوقّدة نحو رحلة سياحية بمئات الأميال وآلاف الريالات. . !

ثم بعد ذلك نستنكر: فلان حلق لحيته.. فلان انتكس!

حلق اللحية إنما هو إعلان للانتكاس.. أما الانتكاس الفعلي فقد حدث قبل ذلك بسنين..!

هل الحال مهيَّئٌ لاستقبال الفتن والابتلاءات؟!

أم أنها تكفي الدعاوى الفضفاضة والعزف على وتر الانتماء إلى الصلاح والاستقامة؟!

أما آن لنا أن نفيق..؟!

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]... إلا من رحم الله.. والله المستعان.

١٣٨٠ رواية العلماء عن أبنائهم، ثقةً فيهم، ولحثِّهم على الازدياد من الخير:

ذكر **السخاوي** (ت٩٠٢هـ) في «فتح المغيث» رواية بعض العلماء عن أبنائهم، ومنهم:

١ ـ **الحافظ أبو سعد ابن السمعاني** (ت٥٦٢هـ) صاحب «ذيل تاريخ بغداد» عن ابنه **عبد الرحيم** (ت٦١٧هـ) مما رواه ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) عنه لفظاً قال: أنبأني والدي عليّ فيما قرأت بخطه قال: حدثني ولدي أبو المظفر عبد الرحيم من لفظه وأصله، فذكر بإسناده...

٢ ـ وروى **محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار** (ت٣٣٩هـ) عن ابنه **أبي بكر** أبياتاً قالها.

٣ ـ وروى **أبو عمر بن عبد البر الحافظ** (ت٤٦٣هـ) عن ابنه **أبي محمد عبد الله** (ت٤٥٨هـ) البيتين لنفسه، وهما:

لا يكثرن تأملك ... وأملك عليك عنان طرفك

فلربما أرسلته ... فرماك في ميدان حتفك

٤ ـ **والسراج عمر البلقيني** (٧٢٤ ـ ٨٠٥هـ) عن ابنه القاضي

جلال الدين أبي الفضل (٧٦٢ ـ ٨٢٤هـ) بيتين قالهما شفاهاً معزِّياً للملك الظاهر في ولده محمد، وهما:

أنت المظفر حقًّا ... وللمعالي ترقى
وأجر من مات تلقى ... تعيش أنت وتبقى

سمعهما من السراج الوليُّ أبو زرعة ابن المصنف (أي: الحافظ العراقي صاحب الألفية في الحديث)، وقال له: أروي هذا عنك عن ولدك فيكون من رواية الآباء عن الأبناء؟ قال: نعم.

٥ ـ **وكأبي الشيخ ابن حيّان** (٢٧٤ ـ ٣٦٩هـ) عن ابنه **عبد الرزاق** (ت٣٥١ ـ ٣٥٣هـ) حكاية. (قال أبو معاوية البيروتي: رواها أبو الشيخ في كتابه «طبقات المحدّثين بأصبهان» ـ مع رواياتٍ أُخَر ـ في ترجمة ابن أبي عاصم النبيل. ومن الرواة عن أبي الشيخ حفيده محمد بن عبد الرزاق/ت ٤٣٠هـ).

٦ ـ والمصنِّف (أي: الحافظ **العراقي** صاحب الألفية في الحديث) (٧٢٥ ـ ٨٠٦هـ) عن ابنه **أبي زرعة أحمد الولي** (٧٦٢ ـ ٨٢٦هـ) فائدة وهي أنه قال: لا أعلم حديثاً كثير الثواب مع قلَّة العمل أصحّ من حديث «**من بكَّر وابتكر، وغسَّل واغتسل، ودنا وأنصت، كان له بكل خطوة يمشيها كفارة سنة...**» الحديث، سمع ذلك شيخنا (أي: ابن حجر) من شيخه المصنف (العراقي)، وحدّثنا به كذلك غير مرة.

٧ ـ وكذا حدّثنا أن شيخه **ناصر الدين بن الفرات** (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ) حكى في تاريخه عن ولده العز **عبد الرحيم** (٧٥٩ ـ ٨٥١هـ)؛ يعني: شيخنا مسند عصره.

٨ ـ ويلتحق بهذا رواية المرء عن ابن بنته؛ وفيه قصة الحبّال عن **عبد الغني** أنه أرسل ابن ابنته **أبا الحسن بن بقا** إلى بعض الشيوخ بمصر

في حديث، فحدَّثه به، فقرأه عبد الغني عن ابن ابنته عن ذلك الشيخ. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وأضاف السخاوي في «الأجوبة المرضية» (٢/ ٨٨٧/ ط. دار الراية) على ما ذكر هنا:

٩ ـ ثناء **التقي السبكي** (٦٨٣ ـ ٧٥٦هـ) على دروس ولده الشيخ **بهاء الدين أبي حامد أحمد** (٧١٩ ـ ٧٦٣هـ) بقوله:

دروس أحمد خير من دروس علي ... وذلك عند عليٍّ غاية الأملِ

بل ودَوَّن عنه من مباحثه وإنشائه (طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ١٩١).

١٠ ـ كان القاضي **شمس الدين ابن الديري** يقول ـ كما سمعته من الثقة عنه ـ: ابني **سعد** أفقه مني.

(قال السخاوي): وذلك من كلِّهم للوثوق بأبنائهم في عدم الزهو بذلك، والرغبة في الازدياد من الخير، وأعلى من هذا محبة غير واحد من الأكابر تلبّس أبنائهم بالوظائف الدينية في حياتهم.

١٣٨١ منع المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي من تدريس علم المنطق:

قال علامة الحنابلة **عبد الله بن عبد العزيز ابن عقيل الحنبلي** (١٣٣٥ ـ ١٤٣٢هـ): طلبت من الشيخ **الشنقيطي** دروساً في المنطق، فقال: أنت لا تحتاج إلى دروس في المنطق، يكفيك جلستان أو ثلاثة أبيّن لك قواعده، ومستعد بذلك، لكن استأذن من الشيخ محمد بن إبراهيم، فإنه منعني من تدريس علم المنطق للطلاب، وأدباً مع سماحته أحتاج إلى إذنه.

قال الشيخ **ابن عقيل**: ولكن بحكم ارتباطي مع سماحته في دار

الإفتاء لم أتجرّأ على الاستئذان منه خشية أن لا يأذن فتكون في النفس، فتوقفت لذلك.

• «مجموع فيه من آثار سماحة الشيخ ابن عقيل» (ص٥٨/ط. مكتبة ابن حزم).

١٣٨٢ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾:

طُلِبَ من الإمام **الألباني** أن ينصح السلفيين بالتزام الرفق في الدعوة إلى الله، فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بارك الله فيك، توجيه النصيحة ما يحتاج من واحد مثلي أن يوجه نصيحة، والسلفيون وغير السلفيين يعلمون الآية التي ذكرناها آنفاً: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقرؤون أكثر من غيرهم حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها؛ حينما جاء ذلك اليهودي مُسلّماً على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، لاوياً لسانه قائلا: السام عليكم، فسمعت السيدة عائشة هذا السلام الملوي فانتفضت وراء الحجاب حتى تكاد تنفلق فلقتين ـ كما جاء في الحديث ـ غضباً فكان جوابها: وعليكم السام واللعنة والغضب إخوة القردة والخنازير! أما الرسول فما زاد على قوله له: «**وعليك**»، ولمّا خرج اليهودي من عند الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنكر عليه الصلاة والسلام عليها وقال لها: «**يا عائشة ما كان الرفق في شيء إلّا زانه، وما كان العنف في شيء إلّا شانه**»، قالت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قال؟ قال لها: «**ألم تسمعي ما قلتُ؟**»

فإذن السيدة عائشة التي رُبّيت منذ نعومة أظفارها في بيت النبوة والرسالة ما وَسِعَها إلّا أن تستعمل الشدة مكان اللين، فماذا نقول في غيرها من السلفيين ـ كما تقول ـ وهم لم يُربّوا في بيت النبوة والرسالة؟ بل أنا أقول الآن كلمة ربما طرقت سمعَك يوماً ما من بعض الأشرطة المسجلة من لساني أو لا، أنّه **آفة العالم الإسلامي اليوم مقابل ما يقال**

بالصحوة الإسلامية هو أنّ هذه الصحوة لم تقترن بالتربية الإسلامية، ما في تربية إسلامية اليوم. ولذلك فأنا أعتقد أن أثر هذه الصحوة العلمية سيمضي زمن طويل حتى تظهر آثارها التربوية في الجيل الناشىء الآن في حدود الصحوة الإسلامية، إنما هي تصرفات أفراد، لكن هؤلاء الأفراد يعيشون تحت رحمة الله ﷻ؛ فمنهم القريب، ومنهم البعيد، ولذلك فمن الناحية الفكرية والعلمية سوف لا تجد من يخاصمك ويخالفك في أن الأصل في الدعوة أن تكون باللين والموعظة الحسنة، لكن المهم التطبيق، والتطبيق هذا يحتاج إلى مرشد، إلى مربِّي يربِّي تحته عشرات من طلاب العلم، وهؤلاء يُخَرِّجون من يدِ هذا المربي مربِّين لغيرهم، وهكذا تنتشر التربية الإسلامية رويداً رويداً بتربية هؤلاء المرشدين لمن حولهم من التلامذة. وبلا شك الأمر كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥]. ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الأمة الوسط لا إفراط ولا تفريط.

• نقلته من تفريغ الشريط (٥٩٥) من «سلسلة الهدى والنور».

١٣٨٣ من أُعْطِيَ الجدل غالباً يُحْرَم بركة العلم!

قال الشيخ **ابن عثيمين** رحمه الله: الخصومات في الغالب لا يكون فيها بركة؛ وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**». (رواه البخاري/ ٢٤٥٧)؛ أي: الإنسان المخاصم المجادل بالباطل ليدحض به الحق؛ وما من إنسان في الغالب أُعْطِي الجدل إلا حُرِمَ بركة العلم؛ لأن غالب مَن أوتي الجدل يريد بذلك نصرة قوله فقط؛ وبذلك يحرم بركة العلم؛ أما من أراد الحق فإن الحق سهل قريب لا يحتاج إلى مجادلات كبيرة؛ لأنه واضح؛ ولذلك تجد أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم علومهم ناقصة البركة لا خير فيها؛ وتجد أنهم يخاصمون، ويجادلون، وينتهون إلى لا شيء؛

لا ينتهون إلى الحق؛ لأنهم لم يقصدوا إلا أن ينصروا ما هم عليه؛ فكل إنسان جادل من أجل أن ينتصر قوله فإن الغالب أنه لا يوفق، ولا يجد بركة العلم؛ وأما من جادل ليصل إلى العلم، ولإثبات الحق، وإبطال الباطل فإن هذا مأمور به؛ لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

• تفسير سورة البقرة (٢/ ٤٤٤).

١٣٨٤ حُكمُ مَن يخرجُ مِن المسجدِ دون الاستماعِ للمَوعظةِ والفائدةِ:

قال الشيخُ العَلاّمةُ **عبد العزيز ابن باز** رحمه الله تعالى: «يَنبغي للمُصلّين أن لا يخرجوا من المسجدِ إذا وَعَظ الواعظُ، ويُخشى على مَن خرجَ ولم يسمع الموعظةَ لغيرِ ضرورةٍ أن يكونوا مِن الذين قال فيه النبي ﷺ: «**وَأَمَّا الآخَرُ** (يعني: الذي ذهب دون الجلوسِ مع النبي ﷺ ومَن معه في المَسجد) **فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»، من حديثٍ صَحيحٍ؛ رواه البخاريُّ في «صحيحه» برقم: ٦٦ و٤٧٤، ومسلم برقم: ٢١٦٧». انتهى.

• «الفَوائدُ الجَلِيَّةُ مِن دروسِ ابنِ باز العِلْميَّة» (ص١٠٤).

١٣٨٥ إنجيل مجاناً!!

رأيت بمنطقة الكولا/ بيروت سيارة أجرة، وقد وُضِعت ورقةٌ على الزجاج الخلفي وكُتِبَ عليها:

«إنجيل مجاناً»

فالتفت إليّ صاحبي وقال لي: هل رأيت مرة لافتة على سيارة كُتِب عليها: «قرآن مجاناً»؟!!

للأسف.. أهل الباطل يسعون جهدهم لنشر باطلهم، وأهل الحق في سبات نائمون... إلا من رحم الله!!

• بيروت، ٢٦ رجب ١٤٣٧هـ، الموافق ٣/ ٥/ ٢٠١٦م.

١٣٨٦ أي شهادة كانوا يطلبون في معهد الحرم المكي؟

تَمَّ تعيين الشيخ **أحمد بن محمد الأمين المحضري الجكني الإبراهيمي** (١٣٤٤ ـ ١٤٣٤هـ) مدرِّساً في معهد الحرم المكي في رمضان ١٣٨٩هـ.

قال الشيخ **عبد الله بن حميد** (ت١٤٠٢هـ) حين سأله الشيخ أحمد الجكني عن وجود وظيفة في معهد الحرم: «هل عندك شهادة نظامية؟» فأجابه الشيخ أحمد: «أنا تعليمي تقليدي». وأخبره أنه من طلاب الشيخ **محمد الأمين**. فقال ابن حميد: «لا نريد غير هذه الشهادة!»

وقال الشيخ **عبد العزيز السبيل** (ت١٤٠٢هـ): «لقد جاءنا بشهادة لا تساويها أي شهادة دكتوراه» أو «هي أفضل من أي شهادة دكتوراه».

• «اتحاف ذوي البصائر بتراجم العلماء الأفارقة الأكابر» (ص٧٤ ـ ٧٥/ ط. مؤسسة الضحى ـ بيروت).

فائدة أخرى: قال الشيخ **أحمد الجكني**: لولا فضل الله عليَّ بتعييني مدرساً في معهد الحرم لتبخَّرت كثير من معلوماتي؛ لأنه لا شيء أضر على طالب العلم من العمل الوظيفي!

١٣٨٧ الطالب الشنقيطي تجد كتابه دائماً معه وتحت إبطه!

قال الشيخ **عصام هادي** حفظه الله: زرت المرأة الصالحة **عائشة** أخت شيخنا **أحمد السالك**، فقالت لي: والله يا عصام ظننت أنك قد استفدت من صحبة الشناقطة!

فقلت لها: كيف؟

فقالت: **الشنقيطي لا يترك كتابه! دوماً تجده معه وتحت إبطه.**

قال الشيخ عصام هادي: **فوقعت كلمات والدتنا وشيختنا في نفسي**

موضعاً حسناً، ثم صرت لا أترك الكتاب أينما ذهبت أو نزلت، وبقيت هذه عادتي حتى ابتلينا بالكومبيوتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

• نقلتها من كتاب «اتحاف ذوي البصائر بتراجم العلماء الأفارقة الأكابر» (ص١٠٤/ط. مؤسسة الضحى ـ بيروت)، وكان من هدي السلف الصالح توسيع الأكمام لوضع الكتب فيها، وكان للحافظ **أبي داود السجستاني** (ت٢٧٥هـ) كم واسع وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه. (رواها الخطيب في ترجمته في «تاريخ بغداد»).

١٣٨٨ عجيبة تشييع جنازة عالم وجنازة فنان في يومٍ واحدٍ!!

قال اللواء **محمود شيت خطاب** رَحِمَهُ اللهُ (١٩١٩ ـ ١٩٩٨م) في «الوسيط في رسالة المسجد العسكرية» (ص٢٢١): شهدتُ تشييع جنازة المرحوم الشيخ محيي الدين عبد الحميد في القاهرة، ومن الأقدار العجيبة أن أحد الفنانين توفي في نفس اليوم الذي مات فيه الشيخ **محيي الدين عبد الحميد** (١٣١٨ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٧٣م)، وكان سرادقا الراحِلَين متجاورَين، فكان في سرادق الشيخ أقل من عشرة أشخاص، وكان سرادق الفنان يموج بالآلاف، وشَيَّع جثمان الشيخ عددٌ قليل من الناس، وشَيَّع جثمان الفنان أكثر من عشرة آلاف، وكان الشيخ في حياته المباركة من أكبر علماء اللغة والدين، وقد حقَّق كثيراً من التراث العربي الإسلامي، وخدم العربية والإسلام خدمة باقية لمدة خمسين عاماً، أما الفنان فقد أفنى هو الآخر خمسين سنة من عمره في إفساد الأخلاق وتشجيع التخنّث والانحلال!

أهكذا يجازي العرب والمسلمون من يخدم العربية والإسلام خدمة صادقة بالعقوق والإهمال، ويكرِّمون من ازدرى العربية وحطّم الخلق الكريم كما يُكَرَّم الأبطال والفاتحون؟! انتهى.

ـ **وفاة وجنازة اللواء محمود شيت خطاب** رَحِمَهُ اللهُ: في صباح اليوم الثالث عشر من كانون الأول ١٩٩٨م كان يجلس اللواء خطاب في

مجلسه المعتاد: تحت درج منزله على كرسيّ عتيق، وجاءت ابنته تودّعه قبل أن تغادر المنزل إلى الجامعة، فطلب منها أن تجلس معه، لتقرأ معه سورة (يَس)، حاولت الطالبة الاعتذار من أجل حضور المحاضرات، فأشار إليها: أن اجلسي، فجلست، وجاءت زوجته الصالحة الصابرة، وجلست، وقرأت (آمنة) سورة (يَس)، وكان الوالد يقرأ معها، فأحسّ بجفاف في حلقه بعد الانتهاء من قراءة السورة، فطلب من زوجته أن تأتيه بكأس من الشراب، وأسرعت الزوجة إلى المطبخ، وهي تسمع زوجها يردّد: أشهد أنْ لا إلٰه إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله.. وكرّرها مرة وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ثم سكت، وابنتُه تنظر إليه، وتردّد معه شهادة الحقّ، فأسرعت زوجته إليه، لتراه كالنائم، قد أسلم روحه لبارئها.. رحمه الله رحمة واسعة. وحُملت جنازته، ودُفن، دون أن يدري بوفاته ودفنه أكثر أصحابه ومحبّيه الكثر من أبناء الشعب العراقي، ولو علموا لكانت من الجنازات المشهودة في تاريخ بغداد.

ذكرها عبد الله الطنطاوي في كتابه «اللِّواء الرّكن مَحمُودْ شيْت خَطَّابْ المُجَاهِدُ الَّذِي يَحمِلُ سَيْفَهُ في كُتُبِهِ» (ص٢٢).

ـ قَالَ محمد **تَقِيُّ الدِّين الحِصْنِيُّ** نَقْلاً عن أَحدِ أُدباءِ دِمَشْقَ: «وَإِنَّهُ لَيُؤْلِمَكَ كَثِيراً أن تَعْلَمَ أَنَّ العلّامة **عبد القادر ابن بدران** (ت١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) رَحِمَهُ اللهُ، هذا الفَاضِلَ الرَّاحِلَ قَدْ تُوُفِّيَ فِي مَدْرَسَةٍ مِنْ مَدَارِسِ الْأَوْقَافِ فِي غُرْفَةٍ حَقِيرَةٍ، وَإِنَّ الأَلَمَ لَيَزْدَادُ في نَفْسِكَ إِذْ تَعْلَمُ أَنَّ جَنَازَةَ هَذَا الْعَالِمِ الشَّيْخِ اِبْنِ بَدْرَانَ لم يَمْشِ وَرَاءَهَا أَدِيبٌ أَوْ عَالِمٌ، ولم يَحُسَّ بِهَا أَحَدٌ على الأَرْجَحِ، تِلْكَ هي حَالَةُ هذا العَالِمِ الأَدِيبِ؛ عَاشَ شَرِيفاً فَقِيراً، وَمَاتَ كَمَا عَاشَ». انْتَهَى كَلَامُهُ.

أَقُولُ ـ؛ أَيْ: الْحِصْنِيُّ ـ: ما ذَهب إليهِ الكَاتِبُ الفَاضِلُ هو الصَّوَابُ، والرَّاجِح أَنَّ وَفَاتَهُ لم تَبْلُغْ النَّاسَ لِيُشَيِّعَ جِنَازَتَهُ العَالِمُ وَالتَّاجِرُ

وَالْأَدِيبُ، وَالَّذِي عَلِمْتُهُ أَنَّهُ مَاتَ فِي مُسْتَشْفَى اَلْغُرَبَاءِ! رَحِمَ اللهُ ابْنَ بَدْرَانَ فَقَدْ عَاشَ غَرِيباً، وَمَاتَ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ. (نقله الشيخ محمد بن ناصر العجمي في «علّامة الشام عبد القادر بن بدران، حياته وآثاره» (ص٦٤ ـ ٦٥/ ط. البشائر).

ـ وقال **علي الطنطاوي** في مقال «تكريم الأحياء» (نُشِر سنة ١٩٦١م): مات بالأمس شيخ المربّين وأستاذ الأساتذة، **مصطفى تمر**، فما مشى في جنازته مئة إنسان. اهـ.

• قال أبو معاوية البيروتي: ولم أجد له ترجمة، والله المستعان!!!

ـ العلّامة اللغوي **مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي** (١٣٠٣ ـ ١٣٦٤هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٩٤٤م): من أعضاء المجمع العلمي العربي، نُصِبَ ـ في آخر حياته ـ رئيساً للمجلس الاسلامي في بيروت، وقاضياً شرعيًّا إلى أن توفي. قال د. **أسامة عانوتي** في ترجمته في «شخصيات وأعلام من لبنان» (ص١٢٠/ ط. المركز الثقافي الإسلامي ـ بيروت): **حدَّثني من مشى في جنازته أن مشيّعيه كانوا قلّة!**

ـ الشيخ الرحالة **خليل الخالدي** (ت١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م): ذكره **عبد الله بن الصدّيق الغماري** في كتابه الذي ترجم فيه لنفسه «سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصدّيق»، وذكر أنه استجازه فأجازه، واجتمع معه بمصر مرات، وذكر علمه وفضله واهتمامَه ومعرفته بالكتب الخطية، وارتياده لمكتباتها في البلاد الإسلامية والأوروبية، ثم قال: «**وتوفي بمصر سنة ١٣٦٠ هـ، ورغم علمه وفضله ورحلاته كان غريباً بمصر لا يُعْرَف! حتى إنه لمّا مات لم يحضر جنازته أكثر من أربعة أو خمسة رجال!**».

(ذكرها محمد خالد كلاب في كتابه «الشيخ الرحالة خليل الخالدي المقدسي» (ص٤٩/ ط. دار البشائر الإسلامية ـ ١٤٣٦هـ)).

١٣٨٩ عجيبة تشييع جنازة علّامة العراق المحقق صبحي السامرائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي شهدتُّها!

ذهبت إلى جنازة الشيخ **صبحي السامرائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصلَّينا عليه بعد صلاة الظهر في **مسجد الخاشقجي** ببيروت، وحضر الصلاة عليه ـ وعلى امرأة متوفاة ـ في المسجد سبعة صفوف من المصلين فقط!! فتذكرت مقالي السابق!

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كبار محققي أهل الحديث في عصرنا، وكان قد هاجر ـ بدينه ـ من العراق إلى لبنان ليسكن ـ مضطرًّا ـ في مناطق النصارى، وتوفي بعد بقائه في غرفة العناية في المستشفى لأكثر من شهر!! فمن عرفه؟! ومن سعى إليه؟! ومن عاونه وعرف له حقَّه كعالم ووَقَّره؟! وصدقت فينا مقولة السلف: «**أزهدُ الناسِ في عالِم أهله وجيرانه!**» (انظر تخريجها في «الكناشة» (٤٥٤)).

وتكلم الشيخ أمين الكردي ـ أمين دار الفتوى ـ قبل أن يصلِّي على الشيخ صبحي مُعَرِّفاً به، ثم صلّينا على الشيخ **صبحي** وعلى المرأة المتوفاة رحمهما الله وحملنا نعشه حيث وضعوه ـ خلاف السُّنَّة للأسف ـ بسيارة أخذته إلى مدافن شاتيلا، ودفناه في نفس المقبرة التي دفن فيها الشيخ **زهير الشاويش** ـ رحمهما الله وجميع أموات المسلمين ـ، ولعلَّ مَن تجمع حول قبره لم يبلغ عددهم المئة! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- كتبه أبو معاوية البيروتي، الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤٣٤هـ/ ٢٥ حزيران ٢٠١٣م.

وفي يوم ٩ أيلول ٢٠١٥م بلغنا وفاة **أم عبد الرحمٰن** ـ زوجة الشيخ صبحي ـ رحمهما الله.

١٣٩٠ بَيننا وبَينهم الجَنَائزُ!!

قال د. **عبد العزيز الحربي** في «لحن القول»: **هذه جملةٌ مشهورةٌ، قالها أوَّل قائليها ـ فيما قيل ـ حين موت الإمام الجليل أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فأرسلها مثلاً للآخرين، وصار في الناس مَن جَعلها مقياساً**

يَزِنُ به قَبول الميت عند الله تعالى؛ فمن كان مشيّعوه أكثر كان ذلك علامة على رِفْعته، وكمالِ صلاحه، وفضلِه على مَنْ سواه.. حقيقةٌ شرعية لديهم لا جدلَ فيها، ولا مِراء!! وللجُمل الشائعة إذا قارنَ معناها شيءٌ من التعصب وَقْعٌ في النفس يُغلق نافذةَ التفكير، ويُدهشُ الحِسَّ عن النظر في الواقع؛ فإن الواقع شاهدُ حقٍّ على خَيبة هذه العبارة، وأنه لا حَظَّ لها إلا التعصب، وإنْ وافقت الواقع في حين من الأحيان، والداعي لكثرة الحاضرين في الجنائز الشّهرةُ وحدَها؛ عن حبٍّ، أو إعجاب. وأما القبول فلا نعرف له ضابطاً معيَّناً نُميّز به مَن لم يُرزَق القبولَ من المسلمين، وفي الصدّيقين، والشهداء، والصالحين مَن مات، أو قُتِل، ولم يُشيّع جنازتَه ـ إنْ كان ذلك ـ إلا عددٌ يسيرٌ، وفي عامة المسلمين مَن حضرها خلقٌ لا يُحصَوْن كثرةً. ولعلّ جنازة الحجاج بن يوسف الثقفي كانت أكثر شهوداً من جنازة سعيد بن جبير، نعم، وكانت جنازة **أم كلثوم** أكبرَ عدداً وأعزّ نفراً من جنازة **شيخ الأزهر** في وقتها، ومِن الصالحين الذين آمنوا وكانوا يتّقون مَن تَبِعْنا جنائزَهم في نفرٍ لا يزيدون على العشرة، ورَأَيْنا مِن أهل الضلال من تَبعَ جنازتَه ملايين.. ويُشبِه هذا جماهير الدعاة، والخطباء، والعلماء؛ فإن كثْرتهم لا سبب لها سوى التميز بنوع من الإلقاء، والأسلوب، أو العلم، أو الحال، أو كل ذلك، ولا تلازُمَ بين عَدم القبول والقلَّة.

الخلاصة: كثرة المشيّعين في الجنائز ليست هي العلامة الفارقة بين الصالحين وغيرهم.

١٣٩١ فقال الأساتذة: لو رسبتَ سنُقفِل أبوابَ الجامعة!

مما يدل على مكانة الشيخ **إحسان إلٰهي ظهير (ت١٤٠٧هـ)** العلمية وهو في مراحله الجامعية ما حدث معه حينما كان في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، حينما ألَّف عن القاديانية، قال الشيخ إحسان: «عندما

أَلَّفتُ كتابي الأول «القاديانية» استأذنتُ من رئاسة الجامعة ـ وكان على رأسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ أن أكتب عليه بعد اسمي (خريج الجامعة الإسلامية) ولم أكن بعد تخرَّجت، فأذِنوا لي، قلت لهم: لكن لو رسبت؟ فقالوا: **لو رسبتَ سنقفل أبواب الجامعة!**»

وذلك على سبيل المداعبة، وكأنهم يقولون: إذا رسب إحسان وهو الطالب المجد فسنغلق الجامعة! وهذه شهادة قوية للشيخ إحسان رحمه الله تعالى.

وقيل إن القائل لتلك العبارة هو الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، وهذا يدل على ثقة الشيخ ابن باز في تلميذه إحسان إلٰهي ظهير، وذلك للمكانة العلمية التي حظي بها الشيخ.

- «الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة»، تأليف: د. علي بن موسى الزهراني، (ص٩٢/ ط. دار المسلم).

١٣٩٢ المنافسة بين الكلية الشرعية في بيروت ومدرسة المقاصد!

قال الشيخ الأديب **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) في «ذكرياته» (٤/ ٥٩) ـ وكان مدرِّساً في الكلية الشرعية في بيروت سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م ـ:

كان بين الكلية الشرعية وبين مدرسة المقاصد شيءٌ من المنافسة، فجاء وفدٌ من مصر على رأسه أحد كبار رجال التعليم (أظنه العشماوي باشا)، فزار «المقاصد» فاحتفوا به، وصفّوا الطلاب لاستقباله، ودقّوا له الموسيقى ونصبوا له الموائد، ثم جاء يزورنا. فألقيتُ كلمةً هدَّمتُ عليهم بها ما بنوا. قلتُ فيها: لا تؤاخذنا إنْ لم نطبّل لقدومك، ولم نزمّر ولم نرفع الرايات، فما عندنا هنا إلّا العلم! فإنْ أردته خالصاً فمرحباً بك في دار العلم، في دارك، وإنْ شِئتَ طبلاً وزمراً فإنك واجده هناك!

١٣٩٣ مختارات من أقوال العلّامة المحدّث حماد الأنصاري (١٣٤٤ ـ ١٤١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدّة فنون:

١ ـ في طلب العلم:

ـ طلب العلم عبادة، فلا يجوز تركُه من أجل فساد النية؛ لأن مع الوقت يدلّك على الخير.

ـ الذي يقرأ من الكتب ولا يقرأ على العلماء في تخصّصاتهم يسمّى: صُحُفيًّا. إنّ الذي يقرأ من الكتب ويتعلم منها فقط يسميه أهل العلم «صُحُفِي»؛ أي: غير ضابطٍ، ويكثر خطؤه.

ـ ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بجمع الفوائد والاستفادة منها قبل أن يذهب عمره بلا فائدة فيتعب.

ـ أدركتُ في وقتي طلبة علم؛ كان أحدهم إذا كَتب عَرَض ما كتبه على كبار طلبة العلم في زمانه، فينظر أيُقِرُّونَه، فإن لم يُقرّوه حرق ما كتبَه.

ـ كنت أكتب وأقيّد كلّ فائدة علمية أقرؤها.

ـ إن كتبي القديمة يجد الناظر فيها أني أدوّن ما فيها من الفوائد على الغلاف.

ـ قرأتُ من المخطوطات ونسختُ ما يُعجز عن قراءته ونسخه، وما أضعف بصري إلّا هي، مكثتُ مرة شهراً لا أبصر بعيني، وأظن أنّ السبب قراءة المخطوط.

٢ ـ ذكريات ومشاهد:

ـ لَمّا وصلتُ إلى مكان قرب مكة (لم يُذكَر اسمه في الكتاب) فالتقيت بناس أهل بادية، فسألتُ رئيسهم: ما أركان الإسلام؟ فقال: الشافعي، وأبو حنيفة، ومالك، ونسيت الرابع؟ فقلت للذين عنده:

اذكروه ـ يعني: اذكروا الرابع ـ، فقالوا: نسينا، فقلت لهم: أحمد، فقالوا كلهم: نعم! هو هذا. وذلك عند خروجنا للدعوة سنة ١٣٧٥هـ.

ـ لما جئتُ إلى هذه البلاد السعودية كانت اللغة التركية سائدة، فمنع الملك **عبد العزيز** من الكلام بها وبكلماتها.

ـ الموقع المسمى (باب لُد) الذي يَقتُل فيه **عيسى** ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ الدجّالَ، اتخذه اليهود اليوم مطاراً.

ـ الملك **عبد العزيز آل سعود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو فوق الذكاء، بل هو عبقري.

ـ زرتُ **(أبا الأعلى) المودودي** أنا وبعض الإخوة أثناء وجوده في الرياض في فندق البطحاء عصراً، دخلنا عليه وهو يصلي العصر، فأخذت ألاحظ صلاته، فقلت له بعد فراغه من الصلاة: صلاتُك هذه تحتاج إلى مدارسة فإنك لا ترفع يديك، ولا تطمئنّ وغير ذلك؟ فقال: أنا حنفي المذهب، فقلت له: هذه أطمّ من الأولى، فإنه لا يجوز لك أن تقول هذا، فإنك فوق هذه العبارة. فقد عرفنا من خلال كتاباتك أنك حرّ الفكر، فظهر لنا الآن أنك مقيَّد الفكر، ثم قلت له: إن الإمام أبا حنيفة أنت تقلده، فمن الذين يقلِّدهم الإمام أبو حنيفة؟ فسكت، والله المستعان.

ـ كنت أُدَرِّس في الجامعة الإسلامية مادة العقيدة في إحدى الكليات، فأخذت أتكَلَّم عن الأشاعرة ومخالفتهم للسلف الصالح في العقيدة، فاعترض عليَّ **عبدُ الرحيم الطحان** ـ وكان من الطلاب ـ، قال: يا شيخ لا تتكلم في الأشاعرة! ورفع صوته، فأردتُ أنْ أفهمه، فقال لي: أنت تعلِّمنا العقيدة الوهابية! فأمرته بالإنصات إليَّ، ولكنه أبى، فأمرت أحد الطلبة بإحضار المراقب، فقال الطحان للمراقب: أنت وهابي، ثم حضر الشيخ **عبد العزيز بن باز** فأخذ يُعَلِّمَهُ ولكن لا فائدة،

وطوى قيده من الجامعة فسافر إلى مصر ودرس في الأزهر.

ـ إن هذا العصر وخاصة من بعد فتنة ١٤٠٠هـ عصر مريب، أعمل فيه بالحديث الضعيف وهو «**احترسوا من الناس بسوء الظن**»، وأنا أتحفظ كثيراً من أهل هذا العصر، وبالأخص من الشباب.

ـ استأجر حجاجٌ من لبنان بيتاً لي في المدينة النبوية، ولاحظت أنهم لا يصلّون! فسألتهم عن عدم صلاتهم، فقالوا: نحن نتوب الآن من عدم الصلاة، والشباب عندنا في لبنان لا يصلون حتى يشيبوا!

ـ قال لي رجل كبير في السن مرَّة: إن المدينة ومكة شديدتا الحر والبرد، والهواء فيهما جاف؟ فقلت له: الحكمة في هذا الحال أن هاتين البلدتين جعلهما الله للعبادة وطلب الخير لا للنزهة، فلو كانتا خضراويين الأرض لأتاهما الناس للنزهة لا للعبادة.

ـ إنّ الشيخ **تقي الدين الهلالي** كان جاري في حيّ المصانع، وقد سافر إلى دولة السويد، وما ترك بلداً إلّا ساح فيه سواءً شرقاً أو غرباً، وقد وصل إلى الصين، وشاهد في سياحته هذه أموراً عجيبة كان يحكيها لي. لم ألتقِ مع رجل يحوي علماً جمًّا في فنون عديدة مثل الدكتور الهلالي، وقد مضت عليَّ الآن خمس وأربعون سنة لم أرَ مثله. وكان يعرف من اللّغات: اليهودية، والألمانية، والانجليزية، والأسبانية؛ بجانب العربية، بحيث لو أنه كان في زمن الأصمعي لسلم له بأنه إمامٌ في العربية، والله تعالى أعلم. **وقد ضَيَّعهُ تلامذته**. (يعني: لم ينشروا علمَه ولم ينقلوا أخباره).

٣ ـ في الكتب وأخبارها:

ـ إن مكتبة الحرم المكي أعرفها تماماً، أخذت فيها سبع سنوات أنقل ما فيها من المخطوطات وغيرها، وفي ذلك الوقت لا يوجد تصوير.

ـ الكتب عندي أفضل من قصور الملوك.

ـ كان معي كتاب «كنز العمّال» دخلتُ به المطار، فلما رأوه مكتوباً عليه «كنز العمّال» قالوا: هذا كتاب من كتب الشيوعية، فقلت: عجباً! وأبوا أن يعطوني إيّاه، فلما ذهبتُ إلى مكة توسّط لي أحد الوجهاء حتى سلّموني الكتاب.

ـ إنّ الهنود الذين طبعوا كتب الحديث وغيرها كانت قلّة الورق سبب في أن يجمعوا أكثرَ من كتابٍ ورسالة في مجلّد واحد أو أكثر، وطبعُهم للكتب يُعدُّ عملاً جبّاراً عظيماً، جزاهم الله خيراً.

ـ أتمنى العثور على «تاريخ نيسابور» لأهميته ـ ثم قال ـ: وإن هذا التاريخ كان في القرن العاشر موجوداً وأنا أكاد أجزم أنه موجودٌ الآن في إيران، والبرهان على هذا أنَّ أحد الروافض من طهران قام باختصار التاريخ، وهذا الاختصار في مجلد موجود عندي بالمكتبة، وله مقدمة بالفارسية. (قال أبو معاوية البيروتي: انظر ما كتبته عن التاريخ في الكنانيش الثلاثة).

ـ «فنون العجائب» للنقّاش من أعجب الكتب.

ـ قرأتُ كتاب ابن تيمية «نقض التأسيس» فوجدتُ أنّ هذا الكتاب لا يقدر عليه من ناحية الفهم إلّا من له لسان الفلسفة، فإنّ الشخص يقرأ فيه أكثر من صفحة، فينتهي من قراءته لم يفهم شيئاً بسبب كثرة الفلسفة في الكتاب.

ـ كتبتُ على نسخة «الكشّاف» للزمخشري الحكمة المشهورة: (رُبَّ أمٍّ لولا ابنها طُلِّقت)، وذلك أنّ هذه النسخة طُبعت قديماً وفي حاشيتها كتابٌ نفيسٌ للحافظ ابن حجر وهو «تخريج أحاديث الكشّاف»، فلهذا اقتنيتُ كتاب «الكشّاف»، وإلّا فهو كتاب صاحبه معتزليٌّ يَدُسُّ السُّمَّ في الدّسَم.

ـ «مسائل الإمام أحمد» أغلبُها فيها أسئلة عن العقيدة، ما عدا المسائل لابنِه عبد الله فأغلبها في الفقه.

ـ قرأتُ «الإصابة في الصحابة» أكثرَ من مئة مرّة؛ لأنه أفضلُ كتاب في هذا الباب، وأغلب الكتب في تراجم الرجال مرتّبة على الحروف الهجائيّة. قد كتبتُ دُفيتراً فيه تعليمات عن كيف يتعامل الطالب مع «الإصابة» للحافظ ابن حجر.

ـ كتاب الشيخ تقي الدين الهلالي «سبيل الرشاد» ما أُلِّف في عصرنا مثله في التوحيد.

ـ أحسن ما أُلِّف في الفتن وأشراط الساعة «كتاب الفتن» لابن كثير (الحافظ)، وذلك أنه يبيِّن الضعيف والصحيح، وغيره من الكتب فيه كل ما هبَّ ودب.

ـ إن الاعتماد على «الفتاوى» (لابن تيمية) التي في خمسة وثلاثين مجلداً لا ينبغي، وتحتاج إلى إعادة النظر، وقد وجدت فيها تصحيفاً وتحريفاً. إن فتاوى ابن تيمية التي جمعها الشيخ ابن قاسم ـ رحمه الله تعالى ـ كنتُ ممَّن شارك في ترتيبها وذلك سنة ١٣٧٥هـ أنا وجماعة، وكتبنا عليها ملاحظات منها:

١ ـ عدم الأصول.

٢ ـ كثرة الأخطاء والتصحيفات.

(قال عبد الأول ابن الشيخ حماد: وقد كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ لا يطالع في الفتاوى المذكورة، ويقول: إن بها تصحيفاً وكلاماً ليس لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويطالع الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية بدلاً منها).

ـ «تفسير الشعراوي» للقرآن عبارة عن فلسفة، ويجتمع عندَه عددٌ كبيرٌ من الناس يصفقون له ويهلّلون ويكبّرون.

ـ سأله أحدُ الطلبة: لِمَ لا يوجد في مكتبتكم «كتاب الفروق» لأبي هلال العسكري؟ فقال الشيخ حمّاد الأنصاري له: لو أردتُ أن أشتري كل كتاب لاحتجت إلى ميزانية تعادل ميزانية قارون! فضَحِكَ مَن في المجلس.

ـ كان عندي كتاب «تفسير سيد قطب» في المكتبة، ثم أخرجته منها، بعد أن اطلعت على أشياء فيه تخالف العقيدة السلفية. (قال أبو معاوية البيروتي: وقد عُرِضَ عليّ الكتاب مجاناً عدة مرّات، وأحياناً بأبخس الأثمان، ورفضته!)

ـ ترتيب الساعاتي لمسند الإمام أحمد (المسمّى بالفتح الرباني) أنا أجزم بأنه وقف على كتاب «الكواكب الدراري» ونقل منه الكثير، وقد تبيَّن لي ذلك حيث قابلت بينه وبين كتاب الدراري، و**الساعاتي البنّا** المؤلف ليس هو الذي ألَّف هذا الكتاب وإنما لديه لجنة مَوَّلَها فكَتَبت وألَّفت، وقد أخبرني بذلك رئيس هذه اللجنة بعد وفاة البنا بوقت. (قال البيروتي: غير صحيح هذا! ففي «ذكريات» ابن الساعاتي عن والده تفصيلٌ لمراحل تأليف الساعاتي للشرح وطبعه ـ خلال ثلاثين سنة ـ حتى أنهى نصف الجزء (٢٢) عند وفاته، ثم تشكّلت لجنة وأتمّت نصف الجزء (٢٢) و(٢٣) و(٢٤)، والتفاصيل أوردتها في «الجزء الرابع» من «الكناشة»).

ـ «معجم الطبراني الكبير» ناقص منه أربع مجلدات مخطوطة، منها (مسند علي رضي الله عنه)، و(أبو هريرة رضي الله عنه).

ـ إن محقق كتاب ابن الكيال في المختلطين (يقصد كتاب «الكواكب النيرات في معرفة مَن اختلط مِن الرواة الثقات») أخذ بحثي في المختلطين وفرَّغه في أثناء تحقيقه، البحث الذي كتبتُه في المختلطين لم يؤلِّف أحدٌ في موضوعه سواي.

٤ ـ علم الحديث:

ـ كنتُ قد عزمت قديماً على جمع مَن بيّض له **ابن أبي حاتم** في كتابه «الجرح والتعديل».

ـ درَست كتاب «ميزان الاعتدال» للحافظ **الذهبي** دراسة وافية، ولعلّي قرأته أكثرَ من مئة مرّة، وذلك لعدم وجود غيره عندي في أول طلب علم الحديث.

ـ كتاب «الأحاديث المعلولة في صحيح مسلم» دَرَس صحيح مسلم دراسة عندي هي أحسن من دراسة الدارقطني، وهو كتابٌ مع صغرِه فيه فوائد. (مؤلفه: ابن عمّار الشهيد).

ـ قمتُ مرةً بجمع صيغ التشهد ورواياته، فقابلتني رواية عزاها الحافظ **ابن حجر** إلى الإمام مسلم في صحيحه، فأخذت صحيح مسلم أقلّبه من أوله إلى آخره أبحث عن الرواية، فلم أعثر عليها، وأخذت سنتين أبحث حتى عثرتُ عليها في سنن النسائي! فما أدري الحافظ أخطأ أم الطابع.

ـ إن **عاصم بن عمر بن قتادة** عجزنا أن نجد أحداً تكلم فيه. (قال ابنه عبد الأول: أظنه يعني: جرحاً).

ـ صلاة التسابيح باطلة سنداً ومتناً، وقد تكلّف بعضُ الناس في بيان صحة حديثها فما كان ينبغي له.

ـ إن الحافظ **ابن حجر** تتبَّع ما تتبعه **الدارقطني** على **البخاري** فوجد أنَّ ما تتبعه الدارقطني على البخاري الصواب فيه مع الإمام البخاري إلا القليل لم يجد فيه جواباً، وأما تتبُّع الحافظ الدارقطني لِما في «صحيح مسلم» فالصواب فيه مع الدارقطني في الغالب.

٥ ـ التاريخ والأنساب والتراجم:

ـ إنَّ الحافظ **ابن عبد البر** رحمه الله تعالى أَكّد بعد البحث أنَّ الأكراد من أصل عربي في كتابه «القصد والأمم».

ـ قطلوبغا: كلمة تركيّة، وهي رُتبةٌ عسكريّة.

ـ الأوصاف والألقاب التي تُذكر في أول تراجم بعض العلماء من اختراع العجم، ولا فائدة منها.

٦ ـ الفقه:

ـ أنا لا أفاضل بين المدينة ومكة، إنما أقول: إن مكةَ أكثرُ أجراً في العبادة من المدينة.

ـ حديث **معاذ بن جبل** مدرسة؛ تبدأ بعلم العقيدة، ثم الصلاة، وهكذا. (يشير إلى حديث أنّ النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن ليعلِّمَهم أمور الدين).

ـ تحويل القبلة حجَّة قويَّة جدًّا في قبول خبر الواحد.

ـ الحكمة من الغسل من ولوغ الكلب أن فم الكلب متعلق به ديدان صغار ناتجة عن لحسه لدبره، فالغسل بالتراب يميت تلك الديدان.

● جميع النقولات السابقة من كتاب «**المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري**» لابنه عبد الأول، وهو مطبوع في مجلدين.

١٣٩٤ فوائد من مجلس سماع «الموطأ» على الشيخ عبد المحسن المطيري الكويتي:

ـ الموطأ، من أكثرِ الكتب نسخاً، وأكثرها اختلافاً؛ لكثرة الرواة له.

ـ أكثرُ النساء الراويات من تابعي التابعيّات ضعاف، وراجع فصل النساء من «تقريب التهذيب» لابن حجر ستجد ذلك.

ـ الأمر بالوضوء مما مسّته النار منسوخٌ للاستحباب، أما لحمُ الإبل فحديثٌ مستقلٌّ لا علاقة له بنسخ الوضوء ممّا مسّته النار؛ لأن لحم الإبل ينقض ولو نيًّا، واختلفوا في إبله وبوله ومرقه.

ـ كلّما كثر ترف الإنسان، زاد احتلامُه؛ لارتخاء العروق، فيسهل

الاحتلام، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لمّا أصابنا الودك لانت العروق»، وقال: «لقد بلاني الله بالاحتلام منذ وليت أمر المسلمين».

- نُدُور احتلام المرأة، وصِغَر عائشة، جعلَها - والله أعلم - تنفي الاحتلام للنساء.

- ذكر لنا الشيخ أن الرجالَ يحبّون المرأة ذات حيضة اليوم في الشهر، ثم عقّب بقصة فتاةٍ مدرسية كانت تحيضُ يوماً في كل شهر، فتناقل الخبر زميلاتُها، حتى أصيبت بالعين، فصارت تحيض سبعة أيام!

- ذكر لنا الشيخ عن العلامة ابن عثيمين رحمه الله أن امرأةً اتصلت به، فقالت: يا شيخ، إني أحيضُ ثماني عشر يوماً، وأطهر اثنا عشر، فما حكمي؟ قال: إن كان دمَ حيض فهو حيض ولو جاوز خمسة عشر يوماً، فلما انتهى قال لتلاميذه: الله يعين الزوج. فضج المكان بضحك التلاميذ!

- الإسراع ثابتٌ عند سماعِ الإقامة، كما حصل لابن عمر رضي الله عنه، وأما حديث «**إذا سمعتم الإقامة فلا تأتوها وأنتم تسعون**» فالمراد به: الركض، لا مطلق الإسراع في توسيع الخطوة والأخرى.

● دوّنها أبو الهمام البرقاوي أثناء رحلته إلى الكويت في أوائل سنة ٢٠١٢م، وهذا ما انتقيتُه منها.

١٣٩٥ حبُّه للعلم كان أكبر من حُبِّه لزوجة، فطلّقها قبل أنْ يدخل بها!

عاش الرحالة **خليل الخالدي المقدسي** (١٢٨٢ - ١٣٦٠هـ) عزباً لم يتزوّج مع الغِنَى واليسار، وفي أواخر عمره ألحّ عليه أهلُه بأنْ يتزوج، فتمنّع كثيراً، فأصرُّوا عليه، فأظهر لهم الموافقة ونزل على رأيهم، فاختاروا له زوجة وعقدوا له العقدَ عليها، وزفُّوها إليه، فاستقبلها مع مَن زفَّها إليه من أهله، ثم استأذنها إلى غرفة كتبه؛ ليراجع بعض الكتب، واستغرق في مراجعته، وطال انتظار الزوجة له! فذُكِّر بها وأنها على

انتظار عودته إليها، فأجاب قائلاً: إنّي عنها في شُغُل. ثمّ طلّقها وبقي عَزباً!

وقد دخلت العروسُ بيته، وصارت تحت كفّه ومرأى عينيه، وأقرب إليه من كلِّ قريب، ولكنّه كان تعلّقه بالعلم ومسائلِه وإيثاره له أقوى من تعلّقه بالعروس وزينتها، وكان تحصيل المسألة أحبّ إليه وأسرّ في نفسه من اقتراب الزوجة والأُنسِ بها، فللّهِ دَرّه ما أغلى العلم عنده، فمات عاشقاً للعلم وصادق الإيثار له، عوَّضه الله الحورَ العين في جنّات النعيم.

• نقلتها من كتاب «الشيخ الرحالة خليل الخالدي المقدسي» (ص٤٧/ ط. دار البشائر الإسلامية ـ ١٤٣٦هـ)، لمحمد كلّاب.

١٣٩٦ أزهدُ الناسِ في العالِم أهلُه وجيرانُه!

وردت هذه المقولة عن بعض التابعين، وهي واقع مرير يعيشه بعض العلماء وكثير من طلاب العلم، بل قد يجدها أحدنا واقعةً في حياته الخاصة، والله المستعان! فقد يزهد بالاستفادة من علمك أهلُك أو أولادك أو أقرباؤك أو جيرانك، فلا تحزن، وتذكّر أنه يأتي النبيُّ يوم القيامة ومعه الرجلان، ويأتي النبيُّ ومعه الرجل، ويأتي النبي وليس معه أحد ـ كما ورد في حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠) ـ، فهذا لم يكن من تقصير النبي في الدعوة، بل يكون أدّاها على أكمل وجه، ولكن هداية البشر بيد الله ﷻ.

وهاكم تخريج المقولة من «السلسلة الضعيفة» (٢٧٥٠):

١ ـ رواها ابن أبي خيثمة في «العلم» (٩١) بسند صحيح عن عروة بن الزبير. (قال البيروتي: الصواب رواها والده أبو خيثمة زهير بن حرب (ت٢٣٤هـ) في «العلم»).

٢ ـ ورواها السهمي في «تاريخ جرجان» (٣٦٨) عن عون بن عبد الله.

٣ ـ وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٩٠/ ١) بسند صحيح عن سليمان الأحول قال: لقيتُ عكرمة ومعه ابنٌ له، فقلتُ: أيحفظ هذا من حديثك شيئاً؟ فقال: إنه يقال: . . . فذكره. اهـ.

٤ ـ قال أبو معاوية البيروتي: قال البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى»: أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أبنا أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا زكريا بن نافع الرملي، ثنا السري بن يحيى، عن عبيد الله بن العيزار، عن كعب، قال: إني لأجد في كتاب الله المنزل أنَّ أزهدَ الناس في عالِم جيرانه. اهـ.

وكان للإمام **مالك** ابنة تحفظ علمه (يعني الموطأ)، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه، وكان ابنه محمد يجيء ـ وهو يحدِّث ـ وعلى يده باشق ونعل كتب فيه، وقد أرخى سراويله، فيلتفت **مالك** إلى أصحابه ويقول: «إنما الأدب مع الله، هذا ابني وهذه ابنتي». قال الفروي: كنا نجلس عنده، وابنه يدخل ويخرج ولا يجلس، فيُقبِل علينا ويقول: «إنّ ممّا يهوِّن عليّ أنّ هذا الشأن لا يورَّث». اهـ.

ذكرها القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ١٠٩).

وقال محمد بن إبراهيم بن أبي العنبس: أخبرني يحيى بن سلمة، قال: كان **سفيان الثوري** يجيء إلى أبي وهو غلام عليه أقبية يسمع منه، فكان أبي يعيرني به ويقول: انظر إلى هذا الغلام، يجيء من بني ثور رغبة في الحديث، وأنت ها هنا لا ترغب فيه!

ذكرها الذهبي في ترجمة يحيى بن سلمة في «ميزان الاعتدال».

وأفادني جاري **جهاد حلّس** أنّ الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله قال في «ذكرياته» (١/ ١٩٢) ـ مبيناً ما قد يكون سبباً من أسباب الزهد في العالِم ـ: «لأنهم يرونه في جدِّه وهزله، وغضبه ورضاه، والبعيدون

عنه لا يرونه إلا في أحسن حالاته، ولا يبصرون منه إلا أجمل جوانبه». اهـ.

وقال د. **عبد العزيز الحربي** حفظه الله في كتابه «خاطرات» (ص١٣٩/ط. دار ابن حزم ـ ٢٠١٥م): «إنّ العالِم في بيته بين أهله وولده لا يكون حاله كحاله بين الناس، فأهله في البيت يرون جِدّه وهزله وخطأه وعمدَه، وكلّ ذلك عنده، ويرون من عيبه وتقصيره ما لا يراه الناظرون، وهو فوق ذلك ثقيلٌ عليهم بأمره ونهيه، وانشغاله بالعلم وبالقراءة والكتابة، وحملهم على ذلك، وقد يجدون في خطابه للناس من كلام الزهد والورع والتخويف والخشية والتباكي وغير ذلك ممّا يحرّك وجدانه في مقامه ذاك، ما لا يجدونه وهو معهم، ويرون فيه من اللطف والحكمة ما لا يشعرون به وهو يخالطهم. . وقلَّ أنْ يكون في العلماء مَن حالُه بين الناس وفي بيته على سَواء، وأقلّ من ذلك أنْ يكون حاله في بيته أفضل، قال ابن حزم في «رسائله»: (وقرأتُ في الإنجيل: «لا يفقد النبي حرمته إلّا في بلده»).

إضافة: قال الشيخ **عبد الله الهَدْلَق** في بعض تغريداته ـ معلِّقاً على المقولة ـ: لعل الأهل يزهدون في والدهم ـ وإنْ كان على شيءٍ من العلم أو الثقافة ـ لأنهم يرونه على حقيقته بلا رتوش!

وانظر ـ للعبرة ـ وصفي لجنازة الشيخ **السامرائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيروت في «الكناشة» (١٣٨٩).

١٣٩٧ من فوائد الردود أنها تُعمل فيها عقلك وتحرِّره من الجمود!

«ألَا تنزعج ـ يا إبراهيم ـ ويضيق صدرك من الردود عليك بحق وبغير حق؟»

أشفَق عليَّ أحد الأبناء الباحثين النجباء عندما رأى عشرات الردود

عليَّ من أدعياء النسب والمتسلّقين على هذا العلم ومن دبَّ في قلبه الحسد والغل؛ فسألني هذا السؤال.

فقلت له: اليوم لا. أما عندما كنت فتى فنَعم، انزعجتُ وتألمتُ لضيق صدري برأي المخالف والمؤالف.

أما اليوم فوالله أتلذذ بالرد على من تعقَّبني بهوى سواء كان من الصرحاء أو الأدعياء، فالردود ـ يا ابني ـ تُعمل فيها عقلك وتحرره من الجمود؛ لاستحضار الحجج على دفع تلك الشبه والفهم السقيم، وتظل تفكر ليل نهار؛ لتستنبط قاعدة من هدْي علماء التاريخ والأنساب، وتجهز على أخرى؛ لأن علم النسب لم تُفرد قواعده في مؤلف كقواعد علم الحديث أو أصول الفقه، وأذكر أنني كنت أقوم من نومي؛ لتدوين الجواب على جزئية من شبهة المخالف، بل تحسب لجوابك ألف حساب؛ لئلا يُجهز عليك المخالف. ومن ولج هذا الباب وافقني ولم يخالفني، بل الردود تمكّن الباحث وترتقي به لمصاف العلماء كما قال الحافظ الذهبي: «ومن الردود يتفقه العلماء».

أما التأليف فلا يحتاج منك هذا العناء فجُلّه اليوم وللأسف: «خذ من هنا وضع ها هنا وقل مؤلّفه أنا»!

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- كتبه الشيخ النسّابة إبراهيم بن منصور **الهاشمي الأمير** حفظه الله في ١٥ شعبان ١٤٣٦هـ.

١٣٩٨ صبر العلّامة أبي الثناء الآلوسي على طلب العلم، ونصيحته لولده في ذلك:

قال الأستاذ **إبراهيم الدروبي**: وبخط السيد **محمود الآلوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ)** ـ؛ يعني: المفسِّر صاحب روح المعاني ـ مئات من الكتب منها كتاب حاشية المطول لعبد الحكيم والسيد الشريف، وقد

عثرنا عليه في مخطوطات المكتبة القادرية، ورقمه في المكتبة **٤٣٢**، وقد كتب المرحوم الآلوسي بخط يده على ظهر المخطوط ما نصه حرفيًّا:

«عبد الحكيم علي المطول، والسيد شريف وهو أحسن الحواشي وأتمها كما يظهر ذلك للناظر المنصف، وهو من عوادي الزمان عندي، وأنا الفقير إليه عزَّ شأنه **محمود الآلوسي**».

ثم كتب بذيله بخط يده أيضاً تحت عنوان نصيحة من السيد **محمود** إلى ولده **عبد الباقي** (**١٢٥٠ ـ ١٢٩٨**هـ) مؤرّخة سنة **١٢٥٢**هـ، وهذا نصها:

«يا ولدي إني حين أردت الشروع في قراءة المطول، لم تكن نسخة عندي، فذهبت لاستعارتها من المرحوم خليل أفندي الرحبي المفتي السابق ببغداد، فاستغرب لصغر سني قراءتي المطول مع مزيد سروره ـ رحمه الله تعالى ـ فوعدني بنسخة ادّعى أنه قرأ بها، فأتيتُ والدي ـ عليه الرحمة ـ (قال أبو معاوية البيروتي: هو الشيخ **عبد الله الآلوسي**، كان من مدرِّسي جامع أبي حنيفة، توفي لمّا اجتاح الطاعون بغداد سنة **١٢٤٦**هـ/ **١٨٣٠**م) وطلبتُ منه كاغداً أكتب فيه حواشي عبد الحكيم، فأعطاني ثمن طبقتين، فقلت له: «يا أبتِ الكتاب يحتاج أكثر من ذلك»، وألححت عليه، فحلفَ لا يعطيني أكثر من ذلك، مع عدم تهيّؤ أسبابه، فبعث غلالة لي بثلاثة قروش ونصف، واشتريت بذلك كاغداً، وكان الوقت شتاء، فمرضت من شدِّة البرد، وعدم ما يقوم مقام الغلالة، وأنا أشكر الله تعالى الآن كما ينبغي له سبحانه على أن وسَّع عليَّ بما هو جل شأنه أهله، وإنما ذكرت ذلك لك يا ولدي لترى نعمة الله تعالى عليك إذ كنت غير محتاج إليه، وتصبر كما صبرتُ، وتشتغل بالعلم كما اشتغلت، انتظرْ فضل الله كما انتظرتُ إنْ كنتَ محتاجاً لنحو ما كنتُ محتاجاً إليه، فلعلَّ الله ﷻ أن يمنّ عليك كما منَّ عليّ، والله تبارك وتعالى ذو الفضل العظيم.

حُرِّر في شوال سنة ١٢٥٢هـ. . . . . **محمود الآلوسي**).

• «البغداديون أخبارهم ومجالسهم»، (ص٢٨ ـ ٢٩)، إبراهيم الدروبي، طبع في مطبعة الرابطة بغداد، ١٣٧٧هـ.

١٣٩٩ اثبتْ ما دُمْتَ على الحق.. ولا تقُلْ: الناس كلّهم على خلاف ذلك!

قال الشيخ **ابن عثيمين** رحمه الله تعالى: «اثبتْ، لا تتغيَّر بكثرة الهجوم عليك أو التشنيع على قولك، ما دمت على حق فاثبت، فالحق لا يمكن أن يزحزح، ثم بعد ذلك دافع إذا كنت في مقام الضعف، فلا أدنى من المدافعة، أما إذا كنت في مقام القوة فعليك بالهجوم، والأيام دُوَل.

لكن أهمّ شيء أنك في مقام الضعف يجب أن تثبت، ولا تقل الناس كلّهم على خلاف ذلك؛ بل اثبت: فالله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان، ولا بُدَّ من الأذى، فهذا الإمام أحمد يُجَرُّ بالبغلة في السوق ويُضرَب بالسّياط، وهو صابر ثابت. وهذا شيخ الإسلام يُطافُ به على العربة في السوق ويُزَج بالسجن وهو ثابت. ولا يمكن أن تُفرَش الأرض وروداً وزهوراً لإنسانٍ متمسّكٍ بالسُّنَّة أبداً، فمن رامَ ذلك فقد رام المحال».

• فائدة منقولة من «شرح النونية» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٢/ ٣٧٠).

١٤٠٠ طعن ابن الجوزي في السمعاني... ورد الذهبي عليه الصاع صاعين!!

قال **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ) في «المنتظم» في ترجمة شيخه محمد بن ناصر، أبي الفضل السلامي (ت٥٥٠هـ) ـ معلّقاً على قول **السمعاني** (ت٥٦٢هـ) فيه **(كَانَ يحبّ أن يقع في النّاس)** ـ: وهذا قبيحٌ من أَبِي سعد، فإنّ صاحب الحديث ما يزال يجرّح ويعدّل، فإذا قال قائل: إن هذا وقوعٌ في الناس، دلَّ عَلَى أنّه لَيْسَ بمحدِّث، ولا يعرف الجرحَ من الغَيْبة. ومُذَيِّل ابن السّمعانيّ ما سمّاه إلّا ابن ناصر، ولا دلَّه عَلَى

أحوال الشّيوخ أحدٌ مثل ابن ناصر، وقد احتجّ بكلامه في أكثر التّراجم، فكيف عوَّل عَلَيْهِ في الْجَرْح والتّعديل، ثمّ طعن فيه؟ ولكنّ هذا منسوبٌ إلى تعصُّبُ ابن السّمعانيّ عَلَى أصحاب أحمد، ومن طالَعَ كتابه رَأَى تعصُّبه البارد وسوء قَصْده، ولا جَرَم لم يمتّع بما سمع، ولا بلغ مرتبة الرواية. اهـ.

فردَّ عليه الحافظ **الذهبي** (ت٧٤٨هـ) في «تاريخ الإسلام» قائلاً: يا أبا الفَرَج، **لا تنهَ عَنْ خُلق وتأتي مثله!** فإن عليك في هذا الفصل مؤاخذات عديدة، منها أنّ أبا سعد لم يقُلْ شيئاً في تجريحه وتعديله، وإنّما قَال: إنه يتكلم في أعراض الناس، ومن جرّح وعدّل لم يُسَمَّ في عرف أهل الحديث أنه يتكلم في النّاس، بل قال ما يجب عَلَيْهِ، والرجل فقد قال في ابن ناصر عبارتك بعينها الّتي سَرَقْتَها منه وصَبَغْتَه بها، بل وعامَّة ما في كتابك «المنتظم» من سنة نيّفٍ وستين وأربع مئة إلى وقتنا هذا مِن التّراجم، إنّما أَخَذْتَهُ من «ذيل» الرجل، ثم أنت تتفاخم عليه وتتفاجج، ومَن نظر في كلام ابن ناصر في الجرح والتعديل أيضاً عرف عترسته وتعسّفه بعض الأوقات.

ثمّ تَقُولُ: فإذا قال قائل: إن هذا وقوع في الناس دل على أنه ليس بمحدِّث، ولا يعرف الجرح من الغَيْبة، فالرجل قال قوله، وما تعرّض لا إلى جرح ولا غيبة حتى تلزمه بشيء ما قاله، وقد علم العالمون بالحديث أنّه أعلم منك بالحديث، والطُّرق، والرجال، والتّاريخ، وما أنت وهو بسواء. **وأين مَن أفنى عُمره في الرحلة والفنّ خاصَّة، وسمع من أربعة آلاف شيخ، ودخل الشّام، والحجاز، والعراق، والجبال، وخُراسان، وما وراء النّهر، وسمع في أكثر من مئة مدينة، وصنَّف التّصانيف الكثيرة، إلى مَن لم يسمع إلّا ببغداد، ولا روى إلّا عَنْ بضعةٍ وثمانين نفْساً؟!** فأنت لا

ينبغي أن يُطلق عليك اسمُ الحِفْظ باعتبار اصطلاحنا، بل باعتبار أنّك ذو قوّةٍ حافِظَة، وعلْمٍ واسع، وفنون كثيرة، واطّلاعٍ عظيم، فغفر الله لنا ولك.

ثمّ تنسبه إلى التّعصُب عَلَى الحنابلة، وإلى سوء القَصْد، وهذا - والله - ما ظَهَر لي من أَبِي سعد، **بل والله عقيدتُهُ في السُّنَّة أحسن من عقيدتك، فإنّكَ يوماً أشْعَرِيّ، ويوماً حنبليّ، وتصانيفك تُنْبئ بذلك، فما رَأَينا الحنابلة راضين بعقيدتك ولا الشّافعية**، وقد رأيناك أخرجت عدَّة أحاديث في الموضوعات، ثمّ في مواضع أُخَر تحتجُّ بها وتحسِّنها، فخِلنا مساكتة!

١٤٠١ من عجيب حرص العلامة أبي عمر ابن عبد البر على نشر العلم، حتى بعد موته!

قَالَ **أَبُو القاسم السُّهَيْلِي** (ت٥٨١هـ) فِي «الرَّوض الأُنف»: . . . رُفَيْدَة، وهي امْرَأَةٌ مِنْ أَسْلَمَ الّذِي كان سَعْدٌ يُمَرّضُ في خَيمَتِهَا، لم يَذْكُرْهَا أَبُو عُمَرَ (يقصد الحافظ ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في كتابه الاستيعاب)، وَزَادَهَا أَبُو عَلِيّ الْغَسّانِيّ (ت٤٩٨هـ) في كِتَابِ أَبِي عُمَرَ.

حَدّثَنِي بِتِلْكَ الزّوَائِدِ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ (ت٥٤٢هـ) عَنْهُ.

وَحَدّثَنِي عَنْهُ أَيْضاً عن **أَبِي عُمَرَ أَنّهُ قَالَ لِأَبِي عَلِيّ: أَمَانَةُ اللهِ في عُنُقِك، مَتَى عَثَرْت عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الصّحَابَةِ لم أَذْكُرْهُ إلّا أَلْحَقْته في كِتَابِي الّذِي في الصّحَابَة**. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: والحافظ ابن عبد البر قَصَد أن يزيدها الغسّاني بعد موته، **وهذا من عجيب حرصه على نشر العلم حتى بعد موته، رحمهم الله**.

١٤٠٢ ازدحامُ العُلومِ مضلّةٌ للمَفهوم!

قال أبو حيان الأندلسي النحوي (ت٧٤٥هـ) في أثناء كلامٍ له: . . . وأما إنْ كان صاحب تصانيف وينظر في علوم كثيرة فهذا لا يُمكن أن يبلغ الإمامة في شيءٍ منها، وقد قال العقلاء: «ازدحام العلوم مضلة للمفهوم»، ولذلك تجد مَن بلغ الإمامة من المتقدِّمين في علمٍ من العلوم لا يكاد يشتغل بغيره ولا ينسب إلى غيره، وقد نظمت أبياتاً في شأن من ينهز بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه:

يظن الغمر أن الكتب تهدي ... أخا فهم لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس العلوم عليك حتى ... تصير أضل من توما الحكيم

• «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح الحنبلي (ت٧٦٣هـ).

١٤٠٣ معلّمو المدارس... الجنود المجهولون!

كتب الأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات (١٣٠٢ ـ ١٣٨٨هـ/ ١٨٨٥ ـ ١٩٦٨م) مقالة «حول التعليم الالزامي، جنود مجهولون. . .» قال فيها:

في ميدان الجهاد الثقافي مجهولون لا يشكرهم شاكر، ولا يكاد يذكرهم ذاكر: أولئك هم فرق الأساس الذين يمَهِّدون الأرض للدفاع، ويُعدُّون الجيش للعمل، ويهيّئون الشعب للنهوض. وهم الذين يعيشون على عشرات القروش وينفقون من ومضات أرواحهم ونبضات قلوبهم وذخائر قواهم، ما يضمن للقادة يوم النصر أكاليل الغار وألقاب الفخار وأكياس الذهب. فإذا فشلت الخطط وطاشت المعارك رَبأ الناس بالقادة عن التهم، ورموا هؤلاء المجهودين المجحودين بنقص الكفاية وسوء الدُّربة.

هؤلاء الجنود المجهولون هم المعلِّمون الإلزاميون! كتب الله عليهم جهاد الأميّة ونشر المعرفة بين الطبقات الفقيرة بالقدر الذي يساعد الإنسان على استكمال حظه من العلم الضروري، فأبلى هؤلاء الجنود الصابرون أحسن البلاء في معركة الأمية...

ما ذنب المعلم إذا أخفق نظامٌ لم يصنعه، ومنهاجٌ لم يَشْرَعه، وكتاب لم يؤلّفه؟ هل هو إلا جنديٌّ كسائر الجنود، يكون أداة للنصر أو للهزيمة على حسب ما يصدر عن القيادة من حكمة أو أفق؟

نحن لا نزعم أن المعلّمين منزَّهون عن صفة النقص، ولا مبرّأون من تبعة الفشل، فإنهم ناسٌ كسائر الناس، فيهم الضعيف بفطرته والقاصر في أداته؛ ولكنا نزعم أن نصيبَهم من إخفاق التعليم أقل الأنصبة، وأن حظَّ الإلزاميين من هذا النصيب أضعف الحظوظ.

المعلم الإلزامي والطالب الأزهري هما الشعاع المنبعث من نور الدين والعلم إلى القرية، ولولاهما لتدجَّى على القرى ظلام من الضلال والجهل لا يمتد فيه بصر ولا بصيرة. ذلك لأنهما يُعايشان سواد الشعب وعامته من الزرّاع والصنّاع، فيوقظان فيهم العقل، ويحييان الضمير، ويعقدان الصلة الاجتماعية بين حياة المدينة وحياة القرية.

• نقلتها بتصرف من «مجلة الرسالة»، العدد ٤٢٢ (بتاريخ ٤/٨/١٩٤١م).

خاطرة: اقتراح إلغاء المرحلة الثانوية في الدراسة!

مما جال في الخاطر بعد زيارة بيروت أن منهاج التعليم الابتدائي والثانوي يستغرق وقتاً طويلاً من العمر، بحيث لا ينتهي الطالب من الصفوف الثانوية إلّا وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره، فإذا أراد أن يتخصص في الطب أو الحقوق أو غير ذلك لا يخرج إلى العالم قبل الثلاثين من عمره! وهذا إسراف لا ضرورة له، فخطر لي أنه لابد من تقصير أمد التعليم ليبكّر الطالب في الخروج إلى العالم في

العشرين من عمره على الأكثر، ولا سبيل لذلك إلّا بإلغاء الدروس الثانوية والاكتفاء بالابتدائية، مع التوسع قليلاً فيها والاقتصار على ما تقتضيه الحاجة، وأما التوسّع والتقصّي في العلوم مثل التاريخ والجغرافيا والرياضيات وسائر المعلومات فهذا يُترَك أمره إلى مطالعات الطالب بعد خروجه من المدرسة، لا إلى دروس يتلقّاها في المدرسة، وسأعيد النظر في هذا الموضوع.

كتب الخاطرة الأديب الفلسطيني **خليل السكاكيني (١٨٧٨ ـ ١٩٥٣م)** في ٨/ ١٠/ ١٩٤١م.

فائدة: القصاص في مدارس أيام زمان!

قال الأديب اللبناني **أبو محمد مارون عبود (١٨٨٦ ـ ١٩٦٢م)** ـ وهو يتحدث عن مدرسته الأولى في قريته عام ١٨٩١م ـ: أما القصاص فكان يختلف باختلاف الجرائم، فمِن ضَرْبٍ بالقضيب أو المخفقة على بطن الراحة... إلى الركوع على الحصى، وكما أن آخر الدواء الكي كذلك كان آخر القصاص (الفلق)! وهناك قصاص أمَرّ؛ وهو تزيين صدر المقصِّر بورقة مكتوبٌ عليها (حمار الصف)!! وإذا قصّر أحد عند الامتحان في قراءة كلمة أمَرَ المعلّم مَن فوقه أن يضربه كفًّا أو يفرك إذنه... إلخ. «رواد النهضة الحديثة».

قال أبو معاوية البيروتي: كان الأب يسلّم ابنه للمعلّم قائلاً له المثل المشهور: (اللحمات لك، والعظمات لي!)؛ أي: اضرب على لحمه كما تريد لكن لا تكسر عظامه! لكن رغم قساوة تلك التربية إلا أنها رَبَّت رجالاً، لا كجيل هذه الأيام النواعم!

١٤٠٤ الناس أعداء ما جهلوا! ومن جهل شيئاً عاداه!

تُذكَر المقولة الأولى عن سيدنا **عليٍّ** رضي الله عنه، ذكرها عنه **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ) في «التمثيل والمحاضرة» وغيره من كتبه بلا إسناد، وشرحها

ابن أبي الحديد (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ) في «شرح نهج البلاغة» فقال: والعلَّة في أنَّ الإنسان عدوّ ما يجهله أنه يخاف من تقريعه بالنقص وبعدم العلم بذلك الشيء، خصوصاً إذا ضَمَّه نادٍ أو جمع من الناس، فإنّه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه وينقص في أعين الحاضرين، وكلّ شيء آذاك ونال منك فهو عدوّك. اهـ.

والمقولة ذكرها **أبو نعيم** (ت٤٣٠هـ) في «حلية الأولياء» من قول ذي النون المصري (ت٢٤٥هـ)، وفي «محاضرات الأدباء» **للراغب الأصفهاني**: قال رجل لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر: الناس أعداء ما جهلوا، فقال: هذا في كتاب الله ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]. اهـ.

وروى الإمام **أبو موسى المديني** (ت٥٨١هـ) في «الشرح المكمل في نسب الحسن المهمل» (ص٤٩/ تحقيق فلاته) بإسناده إلى الأحموسي قال: «العلم عيبٌ عند الجهلة، كما الجهل عيبٌ عند العلماء». اهـ.

ومِن جهل العوام الذي أودى بالعالِم أنْ يلقى حتفه: ما حصل مع العلّامة اللغوي **أبي جعفر بن النحّاس المصري** (ت٣٣٨هـ)، فقد ذكر **ابن خلِّكان** في ترجمته في «وفيات الأعيان» أنّ سبب وفاته أنه جلس على درج المقياس على شاطىء النيل، وهو في أيام زيادته، وهو يقطع بالعَروض شيئاً من الشعر، فقال بعض العوام: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار! **فدفعه برجله في النيل، فلم يوقَف له على خبر!**

وقال **ابن الجوزي** في «أخبار الحمقى والمغفلين»: حكى إسحاق بن إبراهيم قال: حضرتُ جنازة لبعض القبط، فقال رجلٌ منهم: من المُتَوَفِّي؟ فقلتُ: الله. فضُرِبْتُ حتى كدتُ أموت! (قال البيروتي: الصواب أن يُقال للميت: المُتَوَفَّى؛ لأن الله هو المُتَوَفِّي).

١٤٠٥ قُلْ لي ما هو مشروعك؟! أقُلْ لك من أنت!

تأملتُ كثيراً في سير الروّاد من هذه الأمة، وقلّبتُ فكري طويلاً في تلمُّح سرّ نبوغهم واجتلاء حقيقة تفوّقهم، فخلصتُ إلى نتيجةٍ مذهلةٍ فحواها:

أنّ من أراد السُّطوع فليكن لديه مشروع!

فطريقُ المجد يا صاحِ يبدأ بمشروعٍ ترسمه بـ(بنان) همتك، وتشق دروبه بـ(سنانِ) عزيمتك! إن الميلادَ الحقيقي للإنسان ـ كما يقول أحد النجباء ـ ليس تلك اللحظة التي يخرجُ صارخاً إلى الدنيا من رحم أمه!

كلّا..

بل يولد الإنسان في اللحظةِ التي يعثرُ فيها على مشروعه!

بعدها ينطلقُ في خوضِ خطيرات الأمور، ويضطلع بأعباءِ المهمات، ويركب ظهورَ العوائق، ويتخطى رقابَ الموانع من أجل إتمام مشروعه وتحقيق طموحه، وإنَّ هذا لعمرُ الله هو عينُ المجدِ وقمةُ النبوغ.

إنك يا صاحبي إن لم تزدْ على الدنيا شيئاً، كنتَ زائداً عليها، وإن لم تضفْ في الوجود جديداً، كنتَ ضيفاً ثقيلاً فيه!

إنّ مشروعك يبدأُ من أحلامك التي تعيشها اليوم لتكتبَ واقعك غداً في طيّاتِ الأيام مع الناجحين والنابغين والعلماء والمصلحين وحسن أولئك رفيقاً.

إن عمرك الحقيقي ليس تلك الساعات والأيام التي قضيتها في تتبع لذاذات الطعام والشراب، أو أفنيتها في التمتع بشهواتِ اللعب، وإغراءاتِ اللَّهو!

إن حياتك ـ كما يقول **الطنطاوي** رحمه الله ـ ليستْ بطول السنين، وإنما بعرض الأحداث التي تتركها في الأرض!

لقد كان مشروعُ **أبيّ بن كعب** (حفظ وضبط كتاب الله)، فلم يزل عاكفاً على مشروعه حتى بلغ منزلة «**ليَهْنَك العلم أبا المنذر**»!

وكان مشروعُ **حسان بن ثابت** (نصرة العقيدة بالشعر) حتى قال له النبي ﷺ: «**أجِبْ عني، أيّدك الله بروح القدس**»!

ومشروع **أبي هريرة** رضي الله عنه (حفظ سنة رسول الله ﷺ)، فصار راوية الإسلام وحافظ الحديث الأول بلا منازع!

وكان مشروع **البخاري** في حياته (تصنيف كتابٍ جامعٍ للصحيح من سُنَّة الرسول ﷺ)، ومكث **١٦** عاماً لإنجازه وأصبح أصحَّ كتابٍ بعد كتاب الله!

وكان مشروعُ **ابن حجر** (تأليفُ كتابٍ في شرح صحيح البخاري)، فاستغرقَ **٢٥** سنة لإتمام «فتح الباري» الذي قال عنه الشوكاني: **لا هجرةَ بعد الفتح!**

وكان مشروعُ **ابن قدامة** رحمه الله (تقريب الفقه وخدمته)، فصَنَّف كتباً ما زالت إلى يومنا هذا مورداً عذباً للطالبين!

وكان مشروع الشيخ **الألباني** (تقريب السُّنَّة بين يدي الأمة)، فأثمر تصانيف بديعة في الحديث والسُّنَّة زادت عن **١١٣** كتاب ما بين تأليف وتحقيق وتعليق وتخريج!

وكان مشروعُ الشيخ **ابن عثيمين** رحمه الله (تدريس العلم للعامة والخاصة) فأعرضَ عن المناصب وأشاح عن الدنيا وجهه، وبقي يدرّس في مسجده بعنيزة أكثر من خمسين سنة متتالية، ويبلغ عدد الدروس المسجّلة له أكثر من (٥٠٠٠) ساعة، عدا الدروس التي لم تسجّل وهي كثيرة!

وكان مشروعُ الشيخ **عبد الرحمٰن السميط** رحمه الله (الدعوة إلى الله في أفريقيا)، **فأسلمَ على يده ١١ مليون شخص!**

وكان للشيخ **بكر أبو زيد** رحمه الله مشاريع كثيرة، لكن منها هذا المشروع الذي نصَّ عليه وهو كتاب «التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل»، طُبع منه الجزء الأول، فقد قال عنه: «أما بعد، فهذا كتابٌ أُراه من (مشاريع العُمر) سمّيته: «التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل»».

ختاماً يا سادة: قلْ لي ما هو مشروعك؟! أقُلْ لك من أنت!

• كتبه عبد الله أحمد الحويل.

١٤٠٦ ما أهم المشكلات التي تواجه الإنسان في عالم اليوم؟

سئل الإمام **عبد العزيز ابن باز** (ت١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) رحمه الله: ما أهم المشكلات التي تواجه الإنسان في عالم اليوم؟

فأجاب: أهم المشكلات فيما أعتقد قلّة وجود علماء السُّنَّة في بلاد الإنسان المسلم، يوضحون له العقيدة الصحيحة، ويرشدونه إلى أسباب النجاة، ويحذرونه من أسباب الهلاك، على ضوء الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ثم بعد ذلك من أعظم المشكلات التي تواجه المسلم قلّة الأخيار الذين يطمئن إليهم، ويتأسّى بأخلاقهم الفاضلة، وسيرتهم الحميدة، ويعينونه على طاعة الله.

وينبغي لكل مؤمن أن يحرص على سؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والسيرة الحميدة، ويلزمهم؛ حتى يتفقه في دينه ويحرص على صحبة الأخيار، ويحذر صحبة الأشرار، حتى يلقى الله تبارك وتعالى على ذلك.

• نقله الأخ أبو عبد المليك من «مجلة البحوث الإسلامية» (١٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

١٤٠٧ كثيرٌ من علماء الحنفية عملوا بالسُّنَّة وإنْ خالفت المذهب، ولكن...!

قال العلامة **الألباني** في «أصل صفة الصلاة» (٢/ ٦١٧/ ط. المعارف): لم يَخْلُ قرنٌ فيما مضى إلا ووجد فيه كثيرٌ من الحنفية يعملون بالسُّنَّة وإنْ خالفت المذهب، **ولكن موانع ـ يعلمها أهل العلم ـ منعت من وصول أخبارهم إلينا، أو تظاهرهم بها أمام أتباعهم المتعصبين**.

وقد كان الشيخ **صالح الحِمْصي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو من علماء الحنفية ـ يرى سنّيّة الرفع هذا (يقصد رفع اليدين قبل الركوع وبعده)، **ولكنه كان لا يفعل ذلك خوفاً من قيام المتعصبين عليه**، كما صارحني بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومما يؤيّد هذا الرأي أنه وُجِد في القرن الثامن من الهجرة بعض الأئمة الحنفية كان يرفع يديه في كل تكبيرة وهو إمام... اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وتعصّب العديد من الحنفية لمذهبهم على حساب السنن النبوية كثير ومستمر، بل وصل الحال ببعضهم ـ وهم قلة ـ إلى **التحريف والزيادة في الحديث النبوي لصالح مذهبهم** والعياذ بالله! وبل وصل الحال ببعضهم أنْ **ادّعى أن المسيح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **سيحكم بالمذهب الحنفي عندما ينزل في آخر الزمان!!** (انظر «الكناشة» (٨٠٢)).

ومنشأ ذلك الجهل ذكره العلامة **الألباني** (٢/ ٦٢٠) فقال: هؤلاء وأمثالهم في كل عصر كثر، لحصرهم العلم والفقه في كتب معلومة، حتى قال لي بعضهم: إنَّ عِلمنا ـ معشرَ الحنفية ـ محصور في كتابين فقط لا غير: «حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح» و«حاشية ابن عابدين على الدر...»! ولقلة اطلاعهم على غيرها لا تكاد تجد فيهم من يعرف غير ما فيها؛ كيف لا، وكثيرون منهم يعدّون قراءة كتب الحديث ومطالعتها تضييعاً للوقت! بل صارحني بعض المشايخ بقوله: «علم الحديث صنعة المفاليس»! فلا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ.

ثم ضرب الألباني مثالاً على افتراء بعضهم على رسول الله ﷺ

الكذب، ومثالاً آخر على تحريف معاني القرآن الكريم! وانظر الكناشة (٨٠٢) و(١١٩٩).

١٤٠٨ هل أنت من أهل القراءة أم من الخُشُب المُسَنَّدة؟!

قال د. **حامد طاهر** ـ كان نائب رئيس جامعة القاهرة ـ: في سنة ١٩٦١م، دخل فصلنا أستاذٌ جديد لتدريس مادة الأدب العربي، وفوجئتُ بأنه لا يرتدي الزي الأزهري المعهود. كان هو **السيّد أحمد صقر (١٣٣٣ ـ ١٤١٠هـ/ ١٩١٥ ـ ١٩٨٥م)** المحقق الكبير، والذي كان مغضوباً عليه من الأزهريين فعاقبوه بالتدريس في المرحلة الابتدائية، ثم شمله العفو قليلاً فانتقل إلى المرحلة الثانوية!

أحدث هذا الرجل انقلاباً مهمًّا في حياتي، فقد طَرَح على الطلاب سؤالاً مثيراً: ماذا قرأ كلٌّ منكم في الإجازة الصيفية؟

وتعدَّدت الإجابات المضحكة: «كنت ألعب الطاولة مع زملائي بالقرية»، «كنت أساعد أبي في الحقل»، «أعدت قراءة كتب الفقه»، «كنت أقرأ الجريدة في دوار العمدة». ولم يصل الدور إليَّ، فلم أجب. ولم يسمع منّي الأستاذ شيئاً في ذلك اليوم، لكنه ثار ثورة عارمة على كلِّ مَن أجابوا، واصفاً إياهم بأنّهم «**خشُبٌ مُسَنَّدة**»! ثم راح يشرح لهم أن الثقافة العامة شيء، والمقررات الدراسية شيء آخر تماماً.

كان هذا رأيي الذي آمنت به منذ سنوات، ولم أجرؤ أنْ أفاتح به أحداً من زملائي بالأزهر، وها هو الرجل الجريء يعلنه بصراحة، ويحاسب عليه. . . يومها أحسستُ أنني سأكون تلميذه المفضل، بل صديقه.

ولم نلبث أنِ التقينا، ودعاني إلى منزله بشارع محمد علي حيث **أطلعني على حجرة مكتبه التي تمتلئ بأندر المخطوطات، والمطبوعات**

النفيسة. وهناك حدّثني عن أنه يمتلك طبعة دار الكتب أو طبعة بولاق من كتاب كذا وكذا، فعلمتُ أن الكتب مستويات، وهناك علّمني كيف أحترم «الكتاب»، وأُقَلِّب صفحاته بقدسية، دون أنْ يعني هذا عدم نقدي لمؤلفه. وباختصار كان هذا الرجل هو الثورة التي حدثت أمامي داخل الأزهر.

• نقلته من كتاب «كلمات طيبة» للدكتور يعقوب الغنيم (ص١٨٣/ ط. مركز فهد الدبوس/ ٢٠١٥م)، وهاكم فائدة نقلتها في «الكناشة» (١٠١٥):

هو الأستاذ **سيّد بن أحمد بن محمد بن صقر**، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكتب اسمه (السيد أحمد صقر)، فيظن من لا يعرفه أنه (أحمد) وأنّ (السيد) لقب له، وليس كذلك بل هو (سيّد) واسم أبيه (أحمد)، وبعضهم يظن أنّ اسمه مركّب (السيد أحمد)، والصواب ما أثبتناه أولاً، وعلى هذا الوهم الشائع يعلّق الدكتور **محمود الطناحي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بظُرْفِه المعهود: «ولم يبعد عن الصواب من ظنّ هذا، فهو (سيّد) اسماً وصفة».

١٤٠٩ خرّيجان من الأزهر يرتدّان ويصبحان من دعاة البهائية!!

قال الكُتُبي **قاسم الرجب** (١٩١٩ ـ ١٩٧٤م) في «مذكراته» (ص٦٨/ ط. الدار العربية للموسوعات ـ ٢٠٠٩م): أذكر أنّ شخصين من لواء السليمانية هما **فرج الله زكي الكردي ومحيي الدين صبري الكردي** غادرا العراق إلى مصر، فالتحقا بالجامع الأزهر مجاورين فيه يطلبان العلم، فتخرجا منه، وفتح كلّ واحد منهما مكتبة ومطبعة سمّاها «مطبعة كردستان العلمية» (أُسّست سنة ١٩١١م)، ونشرا كثيراً من الكتب الإسلامية القيّمة؛ مثل كتاب «مُشْكِل الحديث» لابن قُتيبة، وكثيراً من رسائل ابن تيمية، ومؤلفات ابن قيّم الجوزية، وغير ذلك مما لم يسبق لأحد أنْ طبعه طبعة علمية صحيحة ونشره.

ولكنّهما بعد مدّة اعتنقا البهائية وأخذا ينشران الكتب والرسائل البهائية ومؤلفات تولستوي ـ لا سيما كتاب «الآفات الاجتماعية» ـ التي

اعتبرها المحفل البهائي موافقة لمبادئهم ومؤيدة لها، ونشرا خُطب عبد البهاء في أمريكا وغير ذلك، وكانا يُصَدِّران مطبوعاتهما بعبارة (يا إلٰهي بهاء)!!اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ذكر زكي **مجاهد** في «الأخبار التاريخية في السيرة الزكية» أنّ **فرج الله الكردي** توفي سنة **١٣٥٩**هـ، وقال عنه الشيخ **محمد رشيد رضا** في مجلة «المنار»: هو داعية بهائي كبير. اهـ.

وهذه الفاجعة حصل مثلها مع أحمد عطية، قالت أم الفضل ـ كانت زوجة العلّامة الألباني في حياته ـ في لقائها المتداول: الشيخ **أحمد عطية** الذي كان من أقرب الناس للشيخ الألباني آنذاك (في عمّان/الأردن)؛ ثم انفصل عنه وعن منهجه وتصوّف، ثم اعتنق دين البهائية نسأل الله العافية!

نسأل الله الكريم حسن الختام، والوفاة على الإيمان.

١٤١٠ هذا حال دين العوام!

روى الخطيب في «تاريخ بغداد» وابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن عون بْن مُحَمَّد الكندي قال: لعهدي بالكرخ بِبَغْدَادَ وأن رجلاً لو قال: **ابن أَبِي دؤاد مُسْلِم، لقُتِل فِي مكانه!** ثم وقع الحريق فِي الكرخ وهو الَّذِي ما كَانَ مثله قط، كَانَ الرجل يقوم فِي صُبَيْبَة شارع الكرخ فيرى السفن فِي دجلة، فكلَّم ابْنُ أَبِي دؤاد المعتصمَ في الناس، وقال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رعيتك فِي بلد آبائك ودار ملكهم، نزل بهم هَذَا الأمر فاعطف عَلَيْهِمْ بشيء يُفرَّق فيهم يمسك أرماقهم، ويبنون بِهِ ما انهدم عَلَيْهِم، ويصلحون بِهِ أحوالهم، فلم يزل ينازله حتى أطلق لهم خمسة آلاف ألف درهم، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنْ فرَّقها عَلَيْهِمْ غيري خفتُ أن لا يقسم بالسوية، فائذن لي في تولي أمرها ليكون الأجر أوفر والثناء أكثر، قال: ذلك إليك. فقسَّمَها على مقادير الناس، وما ذهب منهم بنهاية ما يقدر عَلَيْهِ من الاحتياط، واحتاج إِلَى زيادة فازدادها من

المعتصم، وغرم من ماله فِي ذلك غرماً كثيراً، فكانت هَذِهِ من فضائله التي لم يكن لأحد مثلها.

قال عون: **فلعهدي بالكرخ بعد ذلك وأنَّ إنساناً لو قال: زر ابْن أَبِي دؤاد وسخ؛ لقُتِل!**

• أفاده الأخوان عبد الإله وعبد المحسن العباسيان حفظهما الله.

١٤١١ من فقه الدعوة وسماحة الإسلام:

قال الشيخ عمر العيد: سألتُ سماحة الشيخ **عبد العزيز بن باز** (ت١٤٢٠هـ) رحمه الله تعالى قبل ما يقارب ١٨ سنة عن دورات المياه وبرّادات المساجد، وأن بعض الكفّار يستفيدون منها؟

فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لا بأس.**

فقال الشيخ عمر: لكن هم كفار يا شيخ ويسرفون في الماء ويضيعونه!

فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لا تشدِّد، لا تشدِّد.**

يقول الشيخ عمر: فما نسيتُ هذه الفائدة.

• نقله سامي المسيطير من محاضرة «ابن باز ومنهجه في الفتوى» للشيخ عمر العيد.

١٤١٢ سبب حدّة العلماء وتقتيرهم!

قالت امرأة **لإبراهيم النخعي** (ت٩٦هـ): يا أبا عمران، أنتم معشر العلماء أحدّ الناس وألوم الناس؟ (عَلَّق د. السباعي في «القلائد من فرائد الفوائد»: أي: أشد الناس تريّثاً في الإنفاق، تعرض بتقتيرهم وإمساكهم).

فقال لها: أما ما ذكرتِ من الحِدّة فإن العلم معنا والجهل مع مخالفينا، وهم يأبون إلا دفع علمنا بجهلهم، فمن ذا يطيق الصبر على هذا؟!

وأما اللوم فأنتم تعلمون تعذّر الدرهم الحلال، وإنّا لا نبتغي الدرهم إلّا حلالاً، فإذا صار إلينا لم نخرجه إلا في وجهه الذي لا بدَّ منه.

• ذكره ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في «جامع بيان العلم وفضله»، ولم أعثر عليه بعد البحث مسنداً في أي كتابٍ آخر!

١٤١٣ إن اسْتَطَعْتَ ألَّا تَحُكَّ رَأْسَكَ إلّا بأَثَرٍ فافعل!

روى **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ) في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» عن الإمام **سفيان الثوري** (ت١٦١هـ) قال: «**إن استطعتَ ألَّا تَحُكَّ رأسَك إلّا بأثَرٍ فافعل!**»

ونسب المقولةَ ابنُ مفلح الحنبلي في «الآداب الشرعية» للإمام أحمد بن حنبل.

قال العلّامة **عبد الكريم الخضير** في إحدى دروسه المفرغة: ليحرص المسلم ـ ذكراً كان أو أنثى ـ على الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام، وأن لا يعمل عملاً يتقرب به إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ إلّا أن يكون لديه فيه دليل يتمسّك به، وقد جاء عن بعض السلف: «**إن استطعت ألّا تحك رأسك إلا بأثر فافعل**»، وفي هذا مبالغة في الاتّباع، وتنفير من الابتداع، كما يقول ابن مسعود: «**اتَّبِعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم**»؛ يعني: الإنسان لو يعمل طول عمره في تحقيق ما خُلِقَ من أجله، وهو العبودية لله ـ جل وعلا ـ مقتصراً في ذلك على ما جاء عنه في كتابه، وما صَحَّ من سنة نبيه عليه الصلاة والسلام لِما كفاه العمر؛ لأنه ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة جدًّا، فعلى الإنسان أن يعمل بجميع ما بلغه عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن العمل هو الثمرة المرجوَّة من العلم، فعِلْمٌ بلا عَمَل كشَجَر بلا ثَمَر.

١٤١٤ نعوذ بالله من مجالسة الحمقى!!

قال أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي اللغوي النحوي (ت٤١٥هـ) ـ وقد سأله رجلٌ مسألة من مسائل النَّوكى (أي: الحمقى) ـ: حضرَ مجلسَ **أبي عبيدة معمر بن المثنى** (ت٢٠٨هـ) رجلٌ فقال: رحمك الله أبا عبيدة، ما العنجيد؟ قال: رحمك الله ما أعرف هذا، قال: سبحان الله! أين يذهب بك عن قول الأعشى:

يومَ تُبدِي لنا قُتَيلَةُ عن جيـ ... ـدٍ تـلـيـع تـزِيـنُـه الأطـواقُ

فقال: عافاك الله، (عن): حرف جاء لمعنى، والجيدُ: العنُقُ.

ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة ـ رحمك الله ـ ما الأودع؟ قال: عافاك الله، ما أعرفه! قال: سبحان الله! أين أنت عن قول العرب: (زاجِم بعَوْدٍ أو دَعْ)، فقال: ويحك! هاتان كلمتان، والمعنى: أو اترك، أو ذر؛ ثم استغفر الله وجَعَل يدرس.

فقام رجل فقال: رحمك الله، أخبرني عن (كوفا)! أمِن المهاجرين أم من الأنصار؟

قال: قد رويت أنسابَ الجميع وأسماءَهم، ولست أعرف فيهم (كوفا)، قال: فأين أنت عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥]؟!

قال: فأخذ أبو عبيدة نعليه، واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: **مِن أين حُشِرَت البهائمُ عليَّ اليوم؟!**

• «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» (٤/١٨١٧ ـ ١٨١٨)، والقصة نقلها ياقوت من كتاب «المفاوضة» للأديب محمد بن علي بن نصر البغدادي (ت٤٣٧هـ)، وهو مفقود للأسف!

١٤١٥ عقوبة من آذى أحد الأولياء الصالحين:

كان مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) شيخاً خيِّراً فاضلاً متواضعاً متديناً، مشهوراً بالصلاح وإجابة الدعوة، وكان يؤذيه رجل فيه حدّة، فيدنو منه إذا خطب بالمسجد ويحصي عليه سقطاته، فيتلعثم الشيخ كثيراً

ويتوقف، فجاء ذلك الرجل في بعض الجُمع وجعل يحد النظر إلى الشيخ ويتكلم فيه، فقال الشيخ لتلاميذه: «أمّنوا على دعائي»، ثم رفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ اكفنيه، اكفنيه!» فأمَّنَّا، فأُقْعِدَ ذلك الرجل (أي: أصيب بالشلل)، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم!!

• نقلته من «انباه الرواة على أنباه النحاة» (٣/ ٣١٤) بتصرف.

١٤١٦ اترك مجادلة أهل الأديان أو أهل البدع لأهل العلم الراسخين:

ذكر القاضي **عياض** (ت٥٤٤هـ) في كتابه «ترتيب المدارك» أن رجلاً من أصحاب الإمام محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) دخل بمصر حمّاماً عليه رجل يهودي، فتناظر مع الرجل، فغلبه اليهوديُّ لقلة معرفة الرجل، فلما حجَّ محمد بن سحنون صَحِبه الرجلُ؛ فلما دخل ابن سحنون مصر، قال له: امضِ بنا أصلحك الله إلى الحمام الذي عليه اليهودي؛ فلما دنا خروج محمد بن سحنون، سبقه الرجلُ، وأنشب المناظرة مع اليهودي، حتى حانت صلاة الظهر، فصلى محمد، ثم رجع معه إلى المناظرة، حتى كانت العصر، فصلّاها، ثم كذلك المغرب، ثم إلى العشاء، ثم إلى الفجر، وقد اجتمع الناس، وشاع الخبر بمصر: **الفقيه المغربي (ابن سحنون) يناظر اليهودي**، فلما كانت صلاة الفجر، انقطع اليهودي، وتبيّن له الحق وأسلم، فكبّر الناس وعَلَت أصواتهم، فخرج محمد وهو يمسح العرق عن وجهه وقال لصاحبه: لا جزاك الله خيراً! كاد أن يجري على يديك فتنة عظيمة، تُناظِر يهودياً، وأنت بضعف، فإن ظَهَر عليكَ اليهودي لضعفك، افتتن من قدّر الله فتنته!

• «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» (١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

١٤١٧ مقتطفات من «سلسلة الآثار الصحيحة» للداني آل زهوي:

الكتاب صدر منه جزءان عن دار الفاروق/ بيروت، الأول عام ١٤٢٤هـ، والثاني عام ١٤٢٧هـ، يسّر الله صدور باقي أجزائه، والترقيم التالي هو لرقم الأثر:

(٧٦) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**العالم والمتعلّمُ في الأجر سواء، وسائر الناس هَمَجٌ لا خير فيهم**». (حسن/ رواه أحمد في «الزهد»).

(٧٩) قال مسلم بن يسار: «**إياكم والمِراء، فإنها ساعة جَهْلِ العالِم، وبها يبتغي الشيطان زلَّته**». (صحيح/ سنن الدارمي).

(٨٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**لا تكون عالِماً حتى تكون بالعلم عاملاً**». (رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء»).

(١١٠) دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نُحَدِّثُكَ بحديث؟ قال: **لا**، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: **لا، لتقومان عني أو لأقومنّ!** قال: فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرءا عليك آية من كتاب الله؟ قال: **إني خشيت أن يقرءا عليَّ آيةً فيحرِّفانها، فيقرُّ ذلك في قلبي**. (صحيح/ سنن الدارمي).

(١٤١) عن أبي جَمرة قال: قلتُ لابن عباس: إني سريعُ القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث. فقال: «**لأنْ أقرأُ البقرة في ليلة فأدَّبَّرَها؛** (أي: أتأمل فيها) **وأُرَتِّلَها أحبُّ إليَّ من أنْ أقرأ كما تقول**». (صحيح/ فضائل القرآن لأبي عبيد، وأدَّبَّرَها: **أي: أتأمل فيها**).

(١٥٧) قال ابن عمر رضي الله عنهما: «**لقد عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَثَنَا يُؤْتَى الإيمان قبل القرآن، وتنزلُ السورةُ على محمد ﷺ فيتعلَّم حلالَها وحرامَها، وما ينبغي أن يُوقَفَ عنده فيها، كما تَعْلَمُونَ أنتم القرآن**»، ثم قال: «**لقد رأيتُ رجالاً يُؤتَى أحدَهم القرآنُ؛ فيقرأُ ما بين فَاتِحَتِهِ إلى خاتمته ما يدري ما أَمْرُهُ ولا زَاجِرُهُ، ولا ما ينبغي أن يُوقَفَ عندَه منه، ينثُره نثرَ الدَّقل**». (مستدرك الحاكم، والدقل هو رديء التمر).

وعن جندب رضي الله عنه قال: «**كنا غِلماناً حَزَاوِرَةً مع رسول الله ﷺ، فيُعَلِّمنا الإيمانَ قبلَ القرآن، ثم يُعَلِّمنا القرآن، فَازْدَدْنَا به إيماناً، وإنكم اليوم تَعَلَّمُونَ القرآن قبل الإيمان!**» (صحيح/ ابن ماجه والبيهقي في

الكبير، والحزاورة جمع الحزور؛ وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم).

(١٦٣) عن قيس بن عباد قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رَفْعَ الصوتِ عند الجنائز، وعند القِتال، وعند الذكر. (صحيح/ سنن أبي داود).

(٢١١) عن أبي عثمان النهدي قال: سمع ابنُ مسعود رجلاً يَنشُدُ ضالَّةً في المسجد، فغضب وسَبَّهُ، فقال له رجل: ما كُنتَ فَحَّاشاً يا ابن مسعود! قال: **«إنا كنا نُؤْمَرُ بذلك»**. (صحيح/ابن خزيمة).

(٢٨١) قال عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: كنتُ جالساً عند **سالم** (بن عبد الله بن عمر بن الخطاب)، فسأله رجل فقال: يا أبا عمر، الزنا بقدر؟ قال: **نعم**، قال: كتبه الله عليَّ؟ قال: **نعم**، قال: كتبه الله عليَّ ويعذّبني به؟! قال: **فأخذ سالم الحصى وضرب به وجهه**. (صحيح/ «السُّنَّة» للخلال واللالكائي، قال أبو معاوية البيروتي: وهكذا يُعامَل مَن يُكَذِّب بالقدر! وروى أحمد وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **«لن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«القدر على هذا، من مات على غير هذا دخل النار»**).

(٤١١) عن قرة بن إياس، قال: رآني عمر وأنا أصلّي بين أسطوانتين، فأخذ بقفائي، فأدناني إلى السترة، فقال: **«صَلِّ إليها»**. (حسن/ابن أبي شيبة، وعلّقه البخاري).

(٤٧٤) قال ابن عمر رضي الله عنهما: **«كُنَّا إذا افْتَقَدْنَا الرَّجُلَ في صلاة الصُّبح والعِشاء أَسأْنا به الظَّنَّ»**. (صحيح/ابن أبي شيبة والبزار وغيرهما).

(٥٨٧) قال ابن مسعود رضي الله عنه: **«إن الذي يُفْتِي الناسَ في كلِّ ما يُسْتَفْتَى لمجنونٌ»**. (صحيح/الدارمي وغيره).

(٦١١) قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**لا تَسُبُّوا الشيطانَ؛ فإنه يغتبط، ولكن تعوَّذوا بالله من شرِّهِ**». (صحيح/ابن معين في فوائده).

(٦٤٨) عن يحيى بن وثَّاب، قال: سُئِلَ ابنُ عباس عن رجلٍ خرج إلى الصلاة، فوطأ على عَذِرَة (نجاسة)؛ قال: «**إنْ كانت رطبة؛ غسَلَ ما أصابه، وإن كانت يابسة؛ لم تضرّه**». (صحيح/ابن أبي شيبة).

١٤١٨ كثير من الملوك والأمراء يرون مذهب أبي حنيفة أقرب إلى أهوائهم!

قال العلامة **عبد الرحمٰن المعلمي اليماني (١٣١٢ ـ ١٣٨٦هـ)** في «مجموع الرسائل الحديثية» (ص٣٣١/ط. عالم الفوائد): «الملوك والأمراء يرون مذهب أبي حنيفة أقرب إلى أهوائهم لتحليل بعض المسكر وغيره، ولا سيما مع ما فيه من الحيل التي كان يتقرب بها القضاة إلى الأمراء». اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: تذكرت كلاماً للعلامة الألباني سمعته بإحدى أشرطته، قال أنه وُجِدَ في القرن الماضي مفتٍ حنفي قال لأحد سلاطين الدولة العثمانية: سن أي قانون تريده ونجد له فتوى في مذهبنا! وضرب الشيخ الألباني مثالاً بإباحة بعض وجوه الربا!

وقد أفادني الأخ **خباب الحمد** بالتالي:

قال الشيخ **مصطفى المراغي (١٢٩٨ ـ ١٣٦٤هـ/ ١٨٨١ ـ ١٩٤٥م)** لأعضاء لجنة وضع لائحة الأصول للأحوال الشخصيَّة ـ وكان رئيسها ـ: «ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنَّه موافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أنْ آتيكم بنص من المذاهب الإسلاميَّة يطابق ما وضعتم». («تراجم الأعلام المعاصرين» لأنور الجندي/ص٤٢٨). اهـ.

فائدة: صدر سنة ١٤٣٣هـ كتاب «قوانين الدولة العثمانية وصلتها

بالمذهب الحنفي»، تأليف أورهان صادق جانبولات، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

١٤١٩ زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ فِي الطِّيْنِ!

هذا شطر بيت من قصيدة كتبها الإمام **عبد الله بن المبارك** (ت١٨١هـ) إلى الحافظ **إسماعيل بن إبراهيم ابن عليّة البصري** (ت١٩٣هـ) يعنّفه فيها على تولّيه الصدقات، فذكر **الخطيب** - في «تاريخ بغداد» - وغيره أن الإمام **عبد الله بن المبارك** كان يخرج فيتجر إلى خراسان، فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج، والباقي يصل به إخوانه الخمسة، قال: فقدم سنة، فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم فركب إليه وتنكّس على رأسه فلم يرفع به عبد الله رأساً، ولم يكلمه فانصرف، فلما كان من غد كتب إليه رقعة: بسم الله الرحمٰن الرحيم، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاطك بحياطته، قد كنت منتظراً لبرّك وصِلَتك أتبرّك بها وجئتك أمس فلم تكلّمني ورأيتك واجداً عليّ، فأيّ شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه؟

فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس، وقال: يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا، ثم كتب إليه: بسم الله الرحمٰن الرحيم:

يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِياً ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَسَاكِيْنِ
احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيْلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّيْنِ
فَصِرْتَ مَجْنُوْناً بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِيْنِ
أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيْمَا مَضَى ... عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيْرِيْنِ؟
وَدَرْسُكَ العِلْمَ بِآثَارِهِ ... فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلَاطِيْنِ؟
تَقُوْلُ: أُكْرِهْتُ، فَمَاذَا؟ كَذَا ... زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ فِي الطِّيْنِ!

١٤٢٠ حقيقة داء العرب اليوم... الكسل!!

قال الشيخ **مشهور سلمان** حفظه الله في درسه (يوم الجمعة **٢٥/ ٣/ ٢٠١٦م**): حقيقة داء العرب اليوم، وهذه العبارة وجدتها للشيخ (تقي الدين الهلالي) يردِّدها كثيراً في رسائله، ولا سيما لأخيه (محمد العربي أبو منصور)، كان دائماً يزجره ويقول له: «**إياكَ وأن يُصيبك داء العرب !**».

اليوم داء العرب (الكسل)، داء الناس اليوم الكسل، الناس تشكو من الوقت وتُضيع الوقت، وللأسف لم أرى زهداً في شيء كزهد الناس في أوقاتهم، والله الذي لا إلٰه إلا هو! أنا أقول عن نفسي، أني أخاف الناس وأخاف أن أجتمع معهم، وأن أنبسط، مخافة أن يُصيبني ما أصاب الناس من داء تضييع أوقاتهم، فبقدر استطاعتي ألجم نفسي أن لا أنبسط مع الناس، وأن لا أنقطع عن كُتبي ومكتبتي، لأنَّك إنْ رأيتَ أحوال الناس تستغرب جدًّا! جلُّ الخير الذي عند الناس ـ في العلم خاصة ـ أماني، يُحدِّث نفسه أنه «راح أكون طالب علم»، طالب العلم إنْ لم يستفد من وقته لم يُفلح، طالب العلم يمتاز عن غيره ببخله في وقته، فإذا رأيتَ طالب العلم بخيلاً بوقته فاعلم أنه طالب علم، وأنّه جاد، وأنه صادق.

وإذا رأيتَ طالب علم يبذل وقته لمن هبَّ ودب، ولمن عرجَ ودرج، ويمشي مع الناس، ويشم الهواء، ويروح جهات، ويروح يمين ويروح شمال، فاعلم أنه زاهد بالوقت، وزاهدٌ بالطلب.

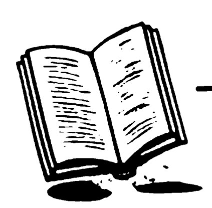
طالب العلم لن يبزّ أقرانه، ولن يتفوَّق عليهم إلا بحفظه لوقته، فطالب العلم له حياته، هو يعلم حقيقة ما كان يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أحسن تعريف حضاري للإنسان، وأسوأ تعريف للإنسان هو تعريف المناطقة حيث قالوا «أن الإنسان حيوان ينطق»،

فأحسن تعريف حضاري للإنسان قول الحسن البصري: «**ابْنَ آدم إنما أَنْتَ أَيَّامٌ، إذا ذهب يومك ذهب بعضك**» (رواه أحمد في الزهد)، فأنتَ أيام، هذه الأيام استفد منها.

أنا أقول عن نفسي: ولله الحمد استفدت كثيراً؛ علماً وخُلقاً، وتربيةً، من شيخنا **الألباني** رحمه الله تعالى، لكني أكثر ما استفدته منه رحمه الله تعالى من حرصه على وقته، فالحرص على الوقت لا تعرفه إلا إنْ خالطتَ عالماً، إنْ خالطتَ عالماً صادقاً تعرف أهمية الوقت، وتعرف أهمية الحرص على الوقت. طالب العلم ينبغي أن يحرص على الوقت، انظر للنبي ﷺ يقول: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسْأَل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه...**»، نصف الأسئلة عن الوقت، تُسأَل عن عمرك فيما أبليت، وعن شبابك فيما أفنيت، فالشباب والعمر هما الوقت، لذا موضوع الوقت عند كثير من الناس يضيع هدراً، والنبي ﷺ في «صحيح البخاري» يقول: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»، أن تكون صحيحاً سليماً، (و)أن تكون فارغاً، والله أنك مغبون، ما معنى مغبون؟ يعني: شيء ثمنه عشرة قروش تشتريه بعشرة دنانير يقول لك أنت غُبنت، أنتَ مغبون تشتريه بهذا السعر، أنتَ عندك صحة، وعندك فراغ، فاصرفها للقرآن وللسُّنَّة، وأنْ تتعلَّم، وأن تعبد الله تعالى، أنت مغبون إن لم تستفد من وقتك، والذي يقرأ تراجم العلماء يجد والله عجباً في المحافظة على الوقت.

● فرّغها واعتنى بها أنور الشوابكة، جزاه الله خيراً.



باب
السيرة والتاريخ والأنساب

١٤٢١ تَحْقِيق حوادث التَّارِيخ الإسلامي وتنقيته مِمَّا لحق بِهِ من الدس والافتراء:

قال الشَّيْخ **ممدوح فخري**: لقد سَأَلت الشيخ **محب الدين الخطيب** (١٣٠٥ ـ ١٣٨٩هـ) مرّة رَحمَه الله عَن أفضل كتاب فِي التَّارِيخ الإسلامي؟ فَأجَاب: بِأَن التَّارِيخ الإسلامي لم يُكْتَب بعد، وَأفضل مَا كتب فِيهِ: تَارِيخ «الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» لِابْنِ كثير رَحمَه الله، وَكَانَ يعْتَقد بِأَن تَشْوِيه تَارِيخ الْإِسْلَام وَالْمُسْلِمين كَانَ مَقْصُوداً كتشويه عقائده وشرائعه، وَكَانَ يُؤمن بِأَن إِدْرَاك الْأمة لأمجاد ماضيها مفاخرة من أعوانها على تَقْوِيم حاضرها. ولنفي الدسائس والافتراءات اللصيقة بتاريخ الْمُسلمين، وللإجلاء عَن عَظمَة ذَلِك التَّارِيخ وصانعيه كَانَ يَدْعُو إِلَى دراسة التَّارِيخ على طَرِيقَة الْمُحدثين بالتثبت من الرِّوَايَات التاريخية وأسانيدها الصَّحِيحَة، على ضوء مَا هُوَ مَشْهُور ومعروف من سلوك صانعي التَّارِيخ من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ، ولابد من تَجْرِيد التَّارِيخ من الخبث الَّذِي لحقه على أَيدي أَعدَاء الْإِسْلَام، وعَلى رَأس هَؤُلَاءِ: **الرافضة**، وَفِي هَذَا المجال يَقُول رَحمَه الله: «والْإِسْلَام الَّذِي لم تفتح الإنسانية عينيها على أَعلَى مِنْهُ رُتْبَة وَأعظم مِنْهُ محامد يجْتَهد مؤرّخوه فِي تَشْوِيه صفحاته والحط من قدر رِجَاله! لِأَن الَّذين دوّنوا تَارِيخ الْإِسْلَام كَانُوا أحد

رجلَيْنِ: رجل جَاءَ بعد سُقُوط دولة فتقرَّب إِلَى رجال الدولة الجديدة بتسويء محَاسِن الدولة الْقَدِيمَة، ورجلٌ اتخذ من الشموس الْأَرْبَعَة: **أبي بكر وَعمر وَعُثْمَان وَعلي**، مثلاً أعلَى، فَكلّ قمر من أقمار الْعَرَب مَذْمُوم عِنْده مَوْصُوفاً بالضآلة وَالنَّقْص؛ لِأَنَّهُ لَا يرَاهُ إِلَّا على نور تِلْكَ الشموس الَّتِي لَا تقاس مواهب غَيرهم بهم، بل إِن **عُثْمَان** وتضحياته الملائكية محيت فضائلها من أدمغة الْمُسلمين لسوء بَيَان المؤرخين، **ومُعَاوِيَة** الَّذِي تتمنى أَيَّة أمة من عِظَام الْأُمَم أَن يكون لَهَا رجل يَتَّصِف بِعُشر مواهبه وفضائله، صرنا نسْمع ذمَّه من أقذر النَّاس وأحطّ السوقة، والأمين (الظاهر يقصد سيدنا معاوية) الَّذِي كَانَ كبار الصَّحَابَة يجاهدون تَحت قيادته طائعين مختارين لصقت بِهِ أكاذيب تقرَّب الكثيرون بهَا إِلَى الله جهلاً وتعصباً، أَقُول هَذَا وَأَنا علوي، ولكني أَخَاف أَن يقوّض الْمُسلمُونَ صروح فضائلهم وَأَن يهدموا قلاعاً هِيَ من دواعي الْفَخر، بَيْنَمَا أَبْنَاؤُنَا يتعلمون من الأوربيين وصنائعهم تمجيد رجال لَو كشف الغطاء عَن تاريخهم الْحَقِيقِيّ لشممنا نَتنه». (مُقَدّمَة ديوَان مجد الإِسْلَام).

وَيبين الخطيب أهمية تَصْحِيح التَّارِيخ فَيَقُول: «أَنا مُؤمن من صميم قلبِي أَن رِسَالَة الْإِسْلَام جديرة بِأَن تسْتَقْبل من مظَاهر العظمة فِي تَهْذِيب الإنسانية أبهر وأزهر مِمَّا كَانَ لَهَا فِي الْمَاضِي، وَلنْ تستوفي هَذِه الرسَالَة مهمتها إِلَّا بإرجاع الإنسانية كلّهَا إِلَى نظام الْفطْرَة الطاهرة، وَذَلِكَ متوقّف على شَيْء وَاحِد هُوَ أَن يعرف الْعَرَب والمسلمون مَن هم ومِمَّنْ هم وَمَا هِيَ رسالتهم فِي الْحَيَاة. وَلنْ يكون ذَلِك إِلَّا إِذا بنوا مناهج تعليمهم وَأسسَ ثقافتهم ومعالم أدبهم على هَذِه المعرفَة والإِيمَان بلوازمها وتعميم طريقهم نَحْو أهدافها. وَرَأس ذَلِك وعموده تَصْحِيح تَارِيخ الْعرُوبَة وَالْإِسْلَام وَتَجْرِيده مِمَّا دُسَّ فِيهِ».

• نقلتها من مقالته «محب الدّين الْخَطِيب لمحات من حَيَاته وقبسات من أفكاره» الواردة في مجلة «الجامعة الاسلامية» بالمدينة النبوية، العدد الثالث/ السنة الثانية/ محرم ١٣٩٠هـ.

وانظر حول الموضوع «الكناشة» (٨٤١): **هل يُطَبَّق منهج علماء الحديث وقواعدهم على كتب التاريخ؟**

١٤٢٢ بعض الفوائد من ترجمة الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ) اقتطفتها من تجميعي لكتابه «تاريخ نيسابور»

١ ـ **دفاع الحاكم عن ابن حبان**: قال الحاكم في «تاريخ نيسابور» (ترجمة ٦٩٣): سمعت أبا علي الحافظ، وذكر كتاب «المجروحين» لأبي حاتم بن حبان البستي، فقال: كان لعمر بن سعيد بن سنان المنبجي ابن رحل في الحديث وأدرك هؤلاء الشيوخ، وهذا تصنيفه.

وأساء القول في أبي حاتم.

قلت: أبو حاتم كبير في العلوم، وكان يُحسَد لفضله وتقدمه. اهـ.

٢ ـ **وقف الحاكم النيسابوري أحد تصانيفه على أصحاب الحديث**: قال أبو عبد الله ابن السمرقندي: نقلت هذه النسخة (يقصد كتاب الحاكم «معرفة علوم الحديث») بنيسابور من أصل الحاكم أبي عبد الله الذي وقفه على أصحاب الحديث ودفعه إلى وصيّه الشيخ المعتمد أبي عبد الرحمٰن السلمي.

قال أبو معاوية البيروتي: هذا يدل على اهتمام الحاكم بنشر العلم ومراعاته لأحوال الطالب المادية.

٣ ـ **إنكار الحاكم على شيخه تخليطه**: قال الحاكم في «تاريخ نيسابور» (ترجمة ٦٤٦): عرض عليَّ محمد بن إبراهيم بن محمش النيسابوري فوائد جمعها، فنظرت في جزء منها، فوجدته قد خلط تخليط من لم يكتب حديثاً قط! فنبهته في ورقة، فقال: حسدتني! وخرج إلى بخارى يحدث بتلك المعضلات.

٤ ـ **تعظيم الحافظَين أبي علي والذهبي للحاكم النيسابوري**: قال الحاكم في ترجمته الطويلة لشيخه أبي علي الحافظ (ت٣٤٩هـ) في «تاريخ نيسابور» (ترجمة ٢٤٦):

حمل بعضهم عليَّ (أثناء قراءته لما روى سليمان التيمي عن أنس، وكان الحاكم في العشرين من عمره)، فقال أبو علي له: لا تفعل، فما رأيت أنت ولا نحن في سنه مثله.

فعلَّق الذهبي قائلاً: وأنا أقول: إذا رأيته رأيت ألف رجل من أصحاب الحديث!

١٤٢٣ التمييز بين الحَسَنين العسكريين المُحَدّثَين:

الحسن بن عبد الله العسكري أبو أحمد اللغوي، صاحب كتاب التصحيف، **والحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال**، صاحب كتاب الأوائل، اسم كليهما الحسن بن عبد الله العسكري.

لكن الأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، والثاني كان حيًّا في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعلم، وتقاربا في الزمان، ولم يفرق بينهما إلا بالكنية؛ لأن الأول أبو أحمد والثاني أبو هلال، والأول ابن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل، والثاني ابن عبد الله بن سهل بن سعيد، ولهذا كثير من أهل العلم بالتاريخ لا يفرقون بينهما، ويظنون أنهما واحد.

• هذه الفائدة كتبها محمد بن محمد بن السابق الحموي الحنفي، ضمن أوراق ألحقها في نسخته من المجلد الأول من «بغية الطلب من تاريخ حلب»، وطبع الفوائدَ محققُ الكتاب في مقدمة المجلد الأول.

١٤٢٤ الذب عن العلامة أحمد فارس الشدياق فيما افتراه عليه النصراني الحاقد لويس شيخو اليسوعي

لا بد من التنبيه على كذب ما افتراه الراهب **لويس شيخو** (١٢٧٥ ـ ١٣٤٦هـ/ ١٨٥٩ ـ ١٩٢٧م) في كتابه «تاريخ الآداب العربية» على العلامة

أحمد فارس الشدياق (١٢١٩ ـ ١٣٠٤هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٨٨٧م)، ولن أنقل ما تقيّأه شيخو في كتابه، بل سأنقل ما ردَّ عليه الدكتور **عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر** في مقالته «من أعداء الإسلام الحاقدين: لويس شيخو اليسوعي»، قال الدكتور العسكر:

ومن آثار تعصبه حملته الظالمة على العالم اللغوي الأديب أحمد فارس الشدياق المتوفى سنة **١٣٠٤**هـ حين اعتنق الإسلام وخلع النصرانية، فكان شيخو يعرض به، ويغمز من قناته، ويسميه الضال، ويسوق شعراً في هجائه، ثم يجعل اعتناقه للإسلام منبعثاً عن طمعه بالمناصب والأموال، وهداه تعصبه بآخرة ـ أعني: شيخو ـ إلى أن يدعي أن الشدياق تقهقر عن دينه الإسلام إلى النصرانية عند وفاته (تاريخ الآداب العربية لشيخو/ ١١١)!

أقول: وهذه من أعظم الفرى على التاريخ وعلى الشدياق نفسه، وهو كذب مكشوف، ولم يذكر هذا الخبر سوى شيخو متفرداً به، وقد ردَّ عليه ودحض زعمه الأستاذ **زكي محمد مجاهد** في كتابه «الأعلام الشرقية» (٣/ ٩٨٧). وأفادنا **مارون عبود** ـ وهو من أكثر الناس إعجاباً بالشدياق وإجلالاً له واطّلاعاً على أخباره ـ أنه زار ضريح الشدياق ورأى فوقه هلالاً، وتلك علامة صريحة بأن صاحب الضريح مسلم عند القوم، ولو كان نصرانيًّا لنصب فوقه الصليب. (ذكرت ذلك للاستدلال به، وإلا فشريعة الإسلام تمنع من الكتابة على القبور والرسم عليها والبناء فوقها). اهـ.

وقال **زكي مجاهد** في «الأعلام الشرقية» (٣/ ٩٧٨): وفي سنة ١٨٨٦م زار الشدياق مصر في عهد توفيق باشا، فنال منه كل رعاية وإكرام، وعاد إلى تركيا وبها توفي، ومات على الإسلام، وإنْ كان الأب شيخو يزعم أنه مات على النصرانية؛ لكنه زعم يفتقر إلى دليل، وفضلاً

عن أن الأب مشهورٌ بولعه بنسبةِ النصرانية لكثيرين ممّن لم يعتنقوها، بل ولم يعرفوها، ولم يذكر هذه الرواية أحدٌ من الكتّاب. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ونقده العلامة **الزركلي** في «الأعلام» ـ في ترجمة يعقوب بن إسحاق الكندي ـ فقال: وأراد الأب لويس شيخو أن يجعله «نصرانيًّا» على عادته في كثير من الجاهليين وبعض الإسلاميين. اهـ.

وكتب د. **محمد زهير البابا** في ترجمة الشدياق: لما وصل النعش إلى بيروت سار خلفه حملة الرايات، ومشايخ الطرق أمامه، وهم يهللون ويكبرون، وسار وراءه المفتي والعلماء ورجال الشرطة وابنه سليم. ولما وصلوا إلى الجامع الكبير وتمت الصلاة عليه، قام بعض أصدقائه بإلقاء الخطب والقصائد في رثائه. ثم وضع النعش بعد ذلك على عجلة الأموات ليصار إلى دفنه في قرية الحدث.

١٤٢٥ كيف عالج المجتمع الطرابلسي قديماً لبس امرأة للثوب القصير!

قال **عدنان خلوف** في «تراث الحارات الطرابلسية» (ص١٤٨/ ط. دار ومكتبة الإيمان):

حدّثتني إحدى السيدات العجائز ـ واسمها الحاجة حليمة أم سعد ـ بأنّ إحدى السيدات ارتدت في أحد الأيام حبرة قصيرة، فلم يُعجب ذلك بعض الناس، لذلك أرسل أحدهم أحد الصبية ورمى عليها ماء الفضة فأحرقت لها ساقها!

وألّفوا عنها أغنية:

يا راحتنا عا بغداد ... يا جايتنا من بغداد

حرقوا حبرة أم رأفت

بنص السوق يا جاره ... وأنقر يا دف ع الطاره!

قال أبو معاوية البيروتي: ديننا لا يقرّ هذه الطريقة في إنكار

المنكر! ولو أراد هؤلاء الإنكار على النساء المتعريّات في بيروت، لاحتاجوا أنْ يفتحوا صهاريج من ماء الفضة في الشوارع!!

١٤٢٦ بقاء ذرية قنبر مولى سيدنا عليّ رضي الله عنه حتى القرن الخامس:

قال **أبو عبد الله الحاكم** (ت٤٠٥هـ) في «تاريخ نيسابور» (مختصره/ ١٤ أ): علي بن جمعة بن هانئ بن قنبر، مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهو ممّن ولد بنيسابور، فإن هانئ سكنها عند وروده مع جعدة بن هبيرة، وآل قنبر عندنا بنيسابور بيت كبير، وخطتهم بباب الري. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نقلت السابق من مخطوط المختصر لـ«تاريخ نيسابور»، وقد نقل النص الحافظ **ابن نقطة البغدادي** (ت٦٢٩هـ) في كتابه «تكملة الإكمال» (٤/ ٦٥١/ تحقيق عبد القيوم)، وزاد: وآل قنبر بنيسابور عندنا بيت كبير؛ منهم السليطيون. اهـ.

وترجم **علي بن زيد البيهقي** (ت٥٦٥هـ) في «تاريخ بيهق» (ص١٢٢/ ط. اقرأ) لقنبر فقال: استوطن بيهق مدة، وتزوج فيها، وقبره بنيسابور حيث مسجد هاني، وهاني الذي سُمِّي ذلك المسجد باسمه، هو من أولاد قنبر، وهو هاني بن قنبر، ومن عقبه علي بن جمعة بن هاني، والسليطيون بنيسابور هم من أولاده، وهذا البيت معروف، وقد ولد لقنبر في سبزوار ولد اسمه شادان بن قنبر، وإليه ينسب مسجد شادان بسَبْزَوَار، وقد ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في المجلد السادس من «التاريخ»، وكان من أعقاب شادان ببيهق جعفر بن نعيم بن شادان بن قنبر. اهـ.

١٤٢٧ أمّن الملك عبد العزيز الناس في الحجاز على أرواحهم وأموالهم بشيئين، بقطع يد السارق، وبالتصْبيحة:

قال الأديب **إبراهيم عبد القادر المازني** (١٣٠٨ ـ ١٣٦٨هـ/ ١٨٩٠ ـ ١٩٤٩م) في «رحلة الحجاز، أو الفكاهة إذا اعتمرت» (ص٧٩/ ط.

البشائر - ١٤٣٥هـ): أمّن الملك عبد العزيز الناس على أرواحهم وأموالهم بشيئين؛ بقطع يد السارق، وبما يسمّونه التصْبيحة!

فأمّا السرقة وقطعُ اليد فأمرهما ظاهرٌ لا يحتاج إلى بيان، وقد قسا (عبد العزيز) في أول الأمر ليزجر اللصوص، حتّى لقد حكوا لي أنّ رجلاً جاءه بكيس بُن وقال له: «هذا كيس بُن وجدته في الطريق». فسأله: «ومَن أدراك أنّ فيه بُنًّا؟ جسَستَهُ أو فتحته ونظرتَ فيه، ولو وجدتَ فيه مالاً بدلاً من البُنّ لأخفيته ولم تُظهره ولم تَسْعَ به إليّ، كلا! حتى الجسّ لا يجوز، اقطعوا يده».

من أجل ذلك يقع الناس على الشيء في الطريق فلا يقربونه أبداً (قال البيروتي: ذكر المازني قبلها أمثلة رآها بنفسه)، بل بلغ من ازدجارهم أنّهم ربّما مالوا إلى طريق آخر غير الذي فيه هذا الشيء المطروح حتى يمرّ شُرَطِي فيحمله ويبحث عن صاحبه، أو يمرُّوا هم بالشُّرَطِي فيُبلغوه، وإذا لم يقعوا على صاحبه نشروا في «أُمّ القرى» إعلاناً تحت عنوان: «لُقطات».

أما «التصبيحة» فشيءٌ آخر؛ تكون هناك عشيرة ضَرِيَت بالسطو، فيُنذرها (عبد العزيز) مرّةً ثُمّ أُخرى وثالثة، فإنْ كَفَّت وتركت الناس آمنين واستقامت على الهدى، فبها ولله الحمد، وإلا همس في أُذُن واحدٍ من قوّاد جيشه أن يُصَبِّحَها، فيذهب الرجل في فرقةٍ من الجيش من غير أنْ يُفْضي إلى أحدٍ بغايته ومقصده، ويُجَنَّب في طريقه إلى العشيرة مواضع الماء، ويضرب بجيشه في الصحراء التي لا تَطَؤُها قدم، ليظل أمره خافياً وغايته مكتومةً، ويقع على العشيرة في الفجر، فيُصَلّي بجيشه ثم يُطلِق عليها رجاله فيُصَبِّحونها وهم يُصيحون: «هَبَّت هَبوب الجنة، أين أنت يا باغيها»، «خَيَّالة التوحيد إخوان مَن أطاع الله»، فلا يبقون ولا يذرون، ولم يُصَبِّحْ (عبد العزيز) سوى عشيرة واحدة قرب المدينة منذ دخل

الحجاز؛ لأنّ الأمر بعد ذلك لم يُحْوِجْهُ إلى تَصبِيحةٍ أخرى.

١٤٢٨ تعريف العلامة الزركلي بنسبه وتاريخ أسرته:

قال العلامة خير الدين بن محمود الزِّرِكْلِي (١٣٠٩ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الزِرِكْلية (بكسر الزاي والراء وسكون الكاف)، . . . كما تعرف في داخل مدينة دمشق، أو الزِرّقِيَّة كما تُسَمَّى في محلّة الأكراد بصالحية دمشق؛ أسرة واحدة، فرَّقت بينهما لام النسبة التركية (كعثمانلي وشاملي، في عثماني وشامي)، مع ترقيق القاف في الأولى وجعلها كافاً، ويقول الشيخ عبد القادر بدران الحنبلي في كتابه «الكواكب الدرّية ـ ط» إنها كردية من أصل عربي.

وفي كتاب «الشرفنامه» للبدليسي في تاريخ الدول والإمارات الكردية. . . (قال البيروتي: يوجد كلام ملْحَق لكنه غير واضح) للترجمة العربية، ص٢٤٤ الفصل السابع، في البحث عن الأمراء الزرقية وتقسيمهم إلى أربع شعب، أنّ أصلهم من إحدى القبائل العربية في الشام (كذا)، وأن أول من دخل بلاد الكرد منهم، رجل يُدْعَى «السيد حسن عبد الرحمٰن» استقر في ماردين، واشتُهِر بالشيخ «الأزرقي» وَلِيَ سلطنة ماردين و(ناط؟) (هكذا قرأتها) بأربعة من أولاده حكم الإمارات التي كانت تحت سلطانه.

وعلّق مترجم الكتاب بترجيح نسبتهم إلى «الأزارقة» جماعة نافع بن الأزرق الذين شتَّتهم المهلب بن أبي صفرة في العراق.

وقابلتُ شاعراً كرديًا، تعلّم العربية، وقدم الشام، فأخبرني بأن «عشيرة» الزرقية في كردستان يزيد عددها على مئتي ألف مقاتل. وارتجل:

نجمك في أوج العلى تعلقْ

يا خير دين اللَّه، يا ابن الأزرقْ

فعلمتُ أنّ المعروف عندهم، كما في الشرفنامه أن الزرقيين أزرقيون. .

وتحقيق هذا يقتضي رحلة إلى تلك البلاد وتنقيباً في أوراق العشيرة. .

وما أحسب أنّ انتقالنا إلى دمشق، يرجع إلى أكثر من ١٥٠ عاماً.

• قال أبو معاوية البيروتي: نقلته من كتاب «خير الدين الزركلي، ببلوغرافيا ـ صور ووثائق، وبعض ما لم ينشر من كتبه»، حيث أورد الأستاذ أحمد العلاونة ما كتبه الزركلي عن نسبه بخطّ يده، وما أبهم عليّ أو كان مطموساً نَبَّهتُ عليه.

وللفائدة، جاء في «هدية العارفين»: شرف البدليسي: شرف خان ابن الأمير شمس الدين البدليسي من أمراء الأكراد، ولد سنة ٩٤٩ تسع وأربعين وتسع مئة. صنَّفَ شرفنامة فارسي في التاريخ، فرغ من تأليفه سنة ١٠٠٥.اهـ. وقال الزركلي في «الأعلام» عن الطبعة التي اعتمد عليها: ترجمه إلى العربية ملا جميل بندي روزبياني، طُبِعَ في بغداد ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

١٤٢٩ صور مبكية من خوف المسلمين وتخاذلهم أمام اجتياح التتر في القرن السابع الهجري!

قال المؤرخ **علي بن محمد ابن الأثير الشيباني** (ت٦٣٠هـ) في كتابه «الكامل في التاريخ» (١٠/ ٤٩٤): لقد حُكِيَ لي عن التتر حكايات يكاد سامعها يكذِّبُ بها، من الخوف الذي أَلْقاه الله ﷻ في قلوب الناس منهم،

حتى قيل إنّ الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب، وبه جمعٌ كثيرٌ من الناس، فلا يزال يقتلهم واحداً بعد واحد، لا يتجاسر أحدٌ يمدُّ يده إلى ذلك الفارس.

ولقد بلغني أنّ إنساناً منهم أَخَذ رجلاً، ولم يكن مع التتري ما يقتله

به، فقال له: ضَعْ رأسك على الأرض ولا تبرح. فوضع رأسه على الأرض، ومضى التتريُّ فأحضر سيفاً فقتله به.

وحكى لي رجل قال: كنتُ أنا ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق، فجاءنا فارسٌ من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم، فقلت لهم: هذا واحد، فلِمَ لا نقتله ونهرب؟! فقالوا: نخاف، فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله، فلعلَّ الله يخلِّصنا. فواللهِ ما جَسَرَ أحدٌ يفعل ذلك، فأخذتُ سكيناً فقتلته، وهربنا فنجونا... وأمثال هذا كثير.

وقال في «الكامل» (١٠/ ٤١٢): اختفى بعض الناس منهم، فكانوا يأخذون الأسارى ويقولون لهم: نادوا في الدروب أنَّ التتر قد رحلوا، فإذا نادى أولئك خرج من اختفى، فيُؤخَذ ويُقتَل.

وبلغني أنَّ امرأة من التتر دخلت داراً وقتلت جماعة من أهلها، وهم يظنُّونها رجلاً، فوضعت السلاح، وإذا هي امرأة، فقتلها رجلٌ أخذته أسيراً.

وسمعتُ من بعض أهل مراغة أنَّ رجلاً من التتر دخل درباً فيه مئة رجل، فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم، ولم يمدّ أحدٌ يده إليه بسوء! ووُضِعَت الذلَّةُ على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ولا كثيراً، نعوذ بالله من الخذلان.

وقال في «الكامل» (١٠/ ٤١٥): ملك التتار بيلقان عنوةً في شهر رمضان سنة ثمان عشرة (أي: وست مئة)، ووضعوا السيف، فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة، حتَّى إنَّهم يشقُّون بُطُون الحبالى ويقتلون الأجنّة، وكانوا يفجُرون بالمرأة ثم يقتلونها، وكان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة، فيقتلهم واحداً بعد واحد حتى يفرغ من الجميع، لا يمدّ أحد منهم إليه يداً.

وقال في «الكامل» (١٠/ ٤٠٥): وارتكبوا من النساء العظيم، والناس ينظرون ويبكون، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم، فمنعهم من لم يرضَ بذلك، واختار الموت على ذلك، فقاتل حتى قُتِل. اهـ.

وقال **الموفق عبد اللطيف البغدادي** (ت٦٢٩هـ): كلُّ من هرب منهم تَحَيّلوا في قَتْله بكُل مُمْكنٍ، وإذا اجتمعوا في مجالس أُنْسهم ونُزْهة قلوبهم أحضروا قوماً من الْأُسارى، وأخذوا يمثّلون بواحدٍ، واحدٍ، بأن يقطعوا منه عضواً بعد عُضو، وكلّما اضطرب وصاح تضاحكوا وأُعجبوا، وربما حطُّوا السيف في جوفه أو ليته قليلاً، وَمَتَى التمس الشخص رحمتهم ازدادوا قساوة. وَإِذَا وقع لهم نساء فائقات في الحُسن تمتَّعوا بهنّ أياماً ثُمَّ قتلوهن. وحكت لي امْرَأَة بحلب أَنَّهُم ذبحوا ولدها وشربوا الدم، ثُمَّ نام الذابحُ فقامت فذبحته، وهربت هِيَ وزوجها. (نقله الذهبي في «تاريخ الإسلام» (أحداث سنة ٦١١ ـ ٦٢٠هـ)).

• النقول السابقة اقتطفتها من إحدى فصول كتابي «تأريخ المحدّثين لمدن المشرق والشام (حتى اجتياح التتار لها بالقرن السابع الهجري)» (ص١١ ـ ٢٧/ ط. دار البشائر الإسلامية).

١٤٣٠ العباسيون من غير آل البيت:

قال الشريف النسابة **أبو عبد المحسن حاتم بن أحمد العباسي** حفظه الله في مقالته «الأشراف العباسيون، مؤتلف ومختلف النسبة»: العباسيون من غير آل البيت:

١ ـ ذرية العباس بن مرداس السلمي:

ومنهم الإمام العلامة أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن الصحابي عباس بن مرداس السلمي العباسي الأندلسي القرطبي المالكي.

٢ ـ محمد بن محمد بن محمد بن محمد الجلال أبو البركات بن الشمس بن النجم المناوي الأصل ـ نسبة لمنية الرخا من الشرقية ـ الشافعي، ويُعرَف كأبيه بالعباسي نسبة لفقيه أبيه لكونه كان من **قرية العباسة بالشرقية** بالديار المصرية.

٣ ـ الشيخ عبد الله الطاشكندي العباسي، وسُمِّيَ بالعباسي لكثرة جلوسه في **المسجد العباسي بالطائف** (مسجد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما للتعلم والتدريس فيه، وهذا سبب تسميته بالعباسي) (قال أبو معاوية البيروتي: وقد زرت المسجد أثناء رحلتي إلى الطائف عام ١٤٣١هـ).

٤ ـ **العباسي الغامدي**، الانتساب لقرية في بلاد غامد، وهم منتشرون في الطائف والمدن الأخرى، ومنهم صاحب المطعم الشهير بالشهداء الشيخ أحمد حبيب العباسي الغامدي.

٥ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد العباسي، نسبة إلى **قرية العباسة من الشرقية** بالديار المصرية.

وأما **العباسيون من غير المسلمين** وينتسبون لأماكن سكناهم (وهم نصارى):

١ ـ العباسي من قرية الحصن في إربد بالأردن ومنسوبون لمحلة العباسية بالشام.

٢ ـ وكذلك في مصر يحملون نفس الاسم.

● كاتب المقالة هو المشرف على موقع «الأشراف العباسيون حول العالم»، وقد زرتُه وولديه عبد المحسن وعبد الإله ـ حفظهم الله ـ في بيتهم في جدّة مراراً.

١٤٣١ حد جزيرة العرب:

قال ابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ) في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٣٧٧/ ط. ابن حزم): **حد جزيرة العرب**. وقال عبد الله بن حنبل: حدثني أبي قال: قال عمي (أي: الإمام أحمد): جزيرة العرب؛ يعني:

المدينة وما والاها؛ لأن النبي ﷺ أجلى يهود، فليس لهم أن يقيموا بها. اهـ.

وقال (١/ ٣٨١): وقول الإمام أحمد (**جزيرة العرب المدينة وما والاها**) يريد مكة واليمامة وخيبر وينبع وفدك ومخاليفها وما والاها، وهذا قول الشافعي؛ لأنهم لم يجلوا من تيماء ولا من اليمن. اهـ.

وقال (١/ ٣٩٢): وقال الشافعي: «يُمْنَعون من الحجاز، وهو مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها، وهي قراها».

١٤٣٢ ماذا فعل الصفويّون الروافض عندما دخلوا بغداد؟

قال **المحبي** (١٠٦١ ـ ١١١١هـ/ ١٦٥١ ـ ١٦٩٩م) في «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١/ ٢٤٠) عن دخول الشاه عباس الصفوي بغداد سنة ١٠٣٢هـ:

وأحضر الملّا علي وكان سنيًّا حنفيًّا شيخاً كبيراً، فأحضره إليه وقال له: الْعَن الشيخين، فقال: يا شاه، أنا عشت هذا العمر، ما بقي لي غرض في الحياة، لعنة الله على من يلعن أصحاب رسول الله ﷺ!

فأخذ الشاه السيف بيده وضربه ضرباً متوالياً حتى قُتِل شهيداً سعيداً.

... وأهان جميع أهل السُّنَّة، وحُكِيَ أنّ البغداديين الشيعة كانوا إذا وقفوا يقرؤون الفاتحة عند قبر الشيخ عبد القادر أو قبر أبي حنيفة يقولون: يا عار يا عار.... يا أنجس من الفار.... إن كان الله حرمك من الجنة لا يحرمك من النار.

وبَدَّل الجمعة بخطيب يصعد إلى المنبر ويذكر أئمة البيت الاثني عشر ويلعن أصحاب محمد ﷺ وعليهم، ويلعن الأئمة الأربعة والعلماء الموجودين في الأحياء، وينزل ويصلون فرادى وينتظرون خروج المهدي،

ويؤذِّنون ويقولون بعد الحيعلتين (حي على خير العمل، محمد وعليٌّ خير البشر). انتهى.

قال الأخ **عبد الإله العباسي**: ثم بعد ذلك في سنة ١٠٤٨هـ تمكن سلطان الروم **مراد الرابع بن أحمد الأول العثماني** (حَكَم ١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ) من فتحها وقتل جميع من فيها من الروافض. «البدر الطالع» (٢/ ٢٩١) للشوكاني.

١٤٣٣ من حقد بعض اللبنانيين (من غير المسلمين) على جيش الدولة العثمانية:

خرجت عساكر الدولة العثمانية من بلاد الشام وسواها دون عودة عام ١٩١٨م، وذلك بسبب هزيمتها النكراء في الحرب العالمية الأولى.

وعلى أثر انسحاب الجيش العثماني من بلاد الشام في نهاية الحرب العالمية الأولى وخروجه منها، اغتنم أهالي هذه البلاد (أي: نصارى شمال لبنان) الفرصة فنكّلوا به، ونصبوا له الكمائن، حيث قتلوا العديد منه، وأنزلوا بأفراده السلب والنهب والقتل، باستثناء أهالي قرية **المنية** الذين عطفوا عليهم، ولم يأخذوا منهم السلاح والملابس، بل أطعموهم، وذلك لكونهم مسلمين.

• كتبه الأستاذ حسين الذهيبي في «تاريخ المنية الحديث» (ط. دار مكتبة الإيمان ـ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، وأسند هذا الخبر بقوله في الحاشية: هذا ما اتفق عليه المسنّون؛ منهم: الحاج فوزي حسين علم الدين.

١٤٣٤ «النَّبُّوتُ في رأس أهل بيروت»، ومحاربة المفتي عبد الباسط الفاخوري للبدع في بيروت:

كتب المحامي والمؤرخ **عبد اللطيف فاخوري**: في سنة ١٩٠٢م أصدر المفتي **الفاخوري** نشرة بَيَّن فيها فضائل العشر الأخير من شهر رمضان وإحياء السلف الصالح لياليه الشريفة بالعبادة، ثم نَبَّه على البدع

التي كانت تقام أواخر الشهر في المآذن التي إنما شيّدت للأذان والدعاء (؟) لا لغير ذلك، مما اعتيد فعله، وكان ينبّه في كل مناسبة إلى نبذ البدع التي تحصل في المساجد والبناء على القبور. وقد وضع مؤلفاً في التصوف سببه ما وجده في عصره من جماعة ينتمون الى التصوف يبيحون ما حرم الله ويحقرون ما عظَّم الله ويسعون في الأرض بالفساد ويأكلون بالباطل أموال العباد، يدعون الوصول ويقولون بالحلول والاتحاد والإلحاد.

وقد أشار في أحد مخطوطاته الى أبيات لأبي حيان قالها في متصوفة زمنه المدعين بالدعاوى الباطلة ممَّن ليس من القوم ولا من أهل الصلاح، وعَلَّق (المفتي) الفاخوري على ذلك بقوله:

وُجِد في مدينتنا بيروت رجل يُدعى يحيى ادَّعى التصوف، وقد جمع هذه الصفات واتبعه الجهلة من أهل البلد، فأنكرتُ على ذلك أشد الإنكار، وساعده على أحواله بعض أهل الفسوق وأصحاب الغايات والشهوات، فعمل بعض أدباء من أهل بيروت بيتين وأرسلهما إليّ وهما:

عجبت لبلدة رشقت بنوها ... أساطين العلوم بمنجنيق

فكم أسد يموت بها ويحيى ... بها كلب عقور في الطريق. اهـ.

ثم أورد (المفتي) بعد ذلك ما سبق أن قاله الشيخان عبد اللطيف فتح الله وأحمد البربير في بيروت، ولعل الحادثة المشار إليها ـ وغيرها؛ كانتقاده لبعض العقائد الباطلة ـ كانت سبباً لما تعرّض له، فقد أقدم مجهولون على ذبح فرسه (أي: نسف سيارته بمفهوم اليوم)، واتهام حسّاده له بالتسبب بفتنة وسعيهم لدى الأستانة في عزله، فتمَّ استدعاؤه من قبل والي سورية الى دمشق في واقعةٍ أشرنا إليها سابقاً.

أقول (أي: المحامي الفاخوري): لعل هذه الحوادث دفعته الى تأليف كتاب بعنوان «النَّبُوتُ في رأس أهل بيروت».

قال أبو معاوية البيروتي: **النَّبُوتُ**: الفَرْعُ النّابِتُ من الشَّجَرِ، ويُطْلَقُ عَلَى العَصَا المُسْتَوِيَة، لُغَةٌ مصرية. (تاج العروس).

• كتبه المحامي عبد اللطيف الفاخوري في مقالٍ له في جريدة «اللواء» بعنوان: «من تراث مفتي بيروت الشيخ عبد الباسط علي الفاخوري»، بتاريخ السبت ٢٧ شعبان ١٤٣٤هـ/ ٦ تموز ٢٠١٣م.

١٤٣٥ قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه تتكرّر في القرن الثامن الهجري!

قال **عبد الله الترجمان الميُورقي التونسي** (القسّيس انسلم تورميدا سابقاً) (٧٥٦ ـ ٨٣٢هـ) في كتابه «تحفة الأريب في الردِّ على أهل الصليب» (ص٧٣/ ط. البشائر) ـ عند كلامه عن قدومه على سلطان تونس الأمير أحمد الحفصي قرابة سنة ٧٩١هـ ـ: اجتمعت بيوسف الطبيب وذكرتُ له شرح حالي وسبب قدومي لدخولي في الإسلام، فسرّ الرجلُ بذلك سروراً عظيما بأنْ يكون تمام هذا الخير على يديه، ثم ركب فرسه وحملني معه لدار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثي واستأذنه لي فأذن لي، فمثلتُ بين يديه، فأول ما سألني عن عمري، فقلتُ له: خمسة وثلاثون عاماً. ثم سألني عمّا قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لي: قدمت قدوم خير فأسلم على بركة الله تعالى. فقلت للترجمان ـ وهو الطبيب المذكور ـ: «قُلْ لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دينه إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن عليه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم وتسألوهم عني وتسمع ما يقولون في جنابي، وحينئذٍ أُسْلِم إن شاء الله». فقال لي بواسطة الترجمان: «أنت طلبت ما طلب **عبد الله ابن سلام** من النبي ﷺ حين أسلم».

ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجّارهم وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه قال لهم: «ما تقولون في هذا القسّيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟» قالوا له: «يا مولانا هذا

عالم كبير في ديننا، وقالت شيوخنا إنهم ما رأوا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا». فقال لهم: «وما تقولون فيه إذا أسلم؟» قالوا: «نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل هذا أبداً». فلمَّا سمع ما عند النصارى بعث إليَّ، فحضرتُ بين يديه وشهدت شهادَتي الحق بمحضر النصارى، فصَلَّبُوا على وجوههم، وقالوا: «ما حمله على هذا إلّا حبّ التزويج، فإنّ القسّيس عندنا لا يتزوج!» وخرجوا مكروبين محزونين.

فرتَّب لي السلطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربع دينار في كل يوم في دار المختص، وزوَّجني ابنة الحاج محمد الصفار، فلما عزمتُ على البناء بها أعطاني مئة دينار ذهباً وكسوة جيدة كاملة، فبنيتُ بها، ووُلِد لي منها ولدٌ سمَّيته محمداً على وجه التبرك باسم نبينا محمداً ﷺ. اهـ.

• انظر قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه في «صحيح البخاري» (٣٣٢٩).

١٤٣٦ تأثير المسلمات في آسيا الوسطى على عقيدة أزواجهن من المغول:

لا يبعد أن تكون سبايا المسلمين قد قمن بدور هام في تحويل المغول في الإسلام، ويظهر أن المرأة شغلت مركزاً كبيراً لدى هؤلاء القوم.

قال الكاهن وليم روبروك (مبشِّر نصراني في القرن الثامن الهجري): في عيد العنصرة أتى أحد المسلمين، وعندما أخذنا في شرح تعاليم الدين (النصراني) في أثناء حديثنا معه عن التجسد وبعث الموتى ويوم الحساب ومحو الخطايا عن طريق التعميد، رغب هذا الشخص في أن يعمّد، لكن بينما كنا نعد العدة لتعميده امتطى صهوة جواده على حين غفلة قائلاً إنه لا بد من أن يذهب إلى بيته لاستشارة زوجته. . .

وفي اليوم التالي قال لنا في أثناء حديثه معنا أنه لم يستطع أن يجرؤ على أن يعمَّد، لأنه لا يستطيع عندئذ أن يشرب من لبن الفرس! أي: لا يستطيع الاتصال بزوجته التي كانت على الإسلام؛ لأن هذا الدين يفسخ زواج المرتد من زوجته المسلمة!

• «صفحات من تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد السوفيات» (ص٧٦/ ط. دار الفكر الجديد) للشيخ طه الولي.

١٤٣٧ من جبن الإيطاليين الكفّار عند غزوهم لليبيا:

كتب المؤرخ **عبد اللطيف فاخوري** في مقالٍ له في جريدة «اللواء» بتاريخ (١٢/ ٣/ ٢٠١١م):

أثارت الحرب على طرابلس الغرب نخوة الشباب وهممهم، فهبُّوا للتطوع، وبلغ عدد المجاهدين من بلاد الشام ثلاثة آلاف شاب، وكان على رأسهم الأمير **شكيب أرسلان** الذي توجّه إلى مصر للالتحاق بالمجاهدين، ومنعه الانكليز، فانضم إلى رجال الهلال الأحمر المصري واشترك بالحرب متسلِّلاً عن طريق البر، وتطوّع العديد من البيروتيين، منهم **خضر آغا جمال الدين** الذي حارب في طرابلس الغرب ودرنة وأُصيب بعدة جروح، وقد عثرنا على **رسالتين** من رسائل خضر آغا المذكور أرسلهما خلال شهر كانون الأول سنة **١٩١١**م من طرابلس الغرب ودرنة يصف فيها وقائع الحرب وأخبار المجاهدين.

وقد روى خضر آغا جمال الدين محادثته لأحد الأسرى الإيطاليين الذي حدّثه عن معنويات رفاقه، فقال: اتفق لي أن حادثت أسيراً إيطاليًّا باللغة الإيطالية لأني أعرفها، فقال لي أنه حضر مع كثير من إخوانه إلى بنغازي مكتَّفين، وأن أكثر العساكر الإيطاليين لا يريدون النزول من الوابورات (قلتُ: أي السفن) ما لم يجبرهم ضباطهم، وأن بعض ضباطهم يتمارضون ويبلعون حبوباً مسهلة لإثبات مرضهم.

وقال **خضر** في رسالة أخرى:

ثبت للطليان اليوم أن منازلتنا تتحول كل مرة إلى مأتم وحداد!

١٤٣٨ ماذا كان العرب لولا الإسلام؟!

يقولون لنا: لا تذكروا الدين، بل اذكروا الوطنية، اذكروا العروبة، نحن عرب قبل أن نكون مسلمين... ولكن أخبروني أيّها الأذكياء:

ماذا كان العرب لولا الإسلام؟! وأيّ مجدٍ لهم لولاه؟! أليس بالإسلام قد فتحوا العالم ودكّوا العروش؟ أليس بالإسلام قد أنشؤوا الحضارة وشادوا العمران؟ أكانت هذه اللغة ـ وهي ركن العروبة ـ تبقى حيّة لولا القرآن كتاب الله الخالد؟ أكانت تَسْلَم لكم لو لم يُنشئ القرآنُ هذه الأمة المجاهدة، التي رفعت دعائم حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من بداوة لم يكن في البداوة أعرق منها، وشادت مَدَنيّة دونها كل مدنية من بَيداء قاحلة ومَهْمَهٍ قَفْر، ثم أورثتكم صرحَ مجدٍ شامخ الذرى أقامت أركانه على دماء أبنائها وأرواحهم ورفعت أسسه على الإسلام وتعاليمه، فنزعتم منه حجر الأساس حين نزعتم من رقابكم ربقة الإيمان، فهوى وتفرقتم تحته، فأصبحتم مختلفين بعد الاتفاق، ضعفاء بعد القوة، أذلّاء بعد العز، وطمع فيكم العدو فامتلك أزمَّتكم وصَرّفَكم تصريف العَجْماوات؟ فأولى لكم ما أنتم فيه وأجمل بكم!

• كتبه الشيخ علي الطنطاوي (١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م)، ونُشِرَ سنة ١٩٣١م، ونقلته من كتاب «البواكير» (ص١٦٤/ ط. المنارة) الذي جمعه حفيد الطنطاوي مجاهد ديرانية.

١٤٣٩ انقراض ولد سيدنا أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

قال العلامة النسابة **الزبير ابن بكار (ت٢٥٦هـ) في** كتابه «نسب قريش» (١٢/ ٤٤٥/ ط. المعارف): ولد أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح: يزيد؛ وعميراً، وأمهما: هند بنت جابر بن وهب بن ضباب؛ وقد انقرض ولد أبي عبيدة بن الجراح وإخوته. اهـ.

قال الحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ) في «الأجوبة المرضية»

(٥٠٨/٢/ط. الراية): وتبعه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ثم الذهبي في مختصره له... ولمّا عقد أبو سعد ابن السمعاني في «أنسابه» ترجمة الجراحي لم يذكر فيها أحداً ممّن ينتسب إلى أبي عبيدة، بل قال فيها: هذه النسبة إلى الجرّاح وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه،... والحاصل أن أحداً لم يذكر في هذه النسبة أحداً ينتسب إلى أبي عبيدة، فهذا مشعر باعتماد الزبير وعدم النقض عليه، وكفى به في ذلك عمدة، وإذا كان الأمر كذلك حصل التوقف في دعوى مَن ينتسب إليه إلّا إنْ أظهر مستنداً يعتمده أئمة النقل في ذلك، وبالله التوفيق. اهـ.

قلت: وذكر هذا القول علي ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في «أسد الغابة في معرفة الصحابة».

١٤٤٠ أيها المؤرخون: لا تظلموا (الخلفاء) العثمانيين المسلمين!

الفرية اللئيمة التي لا يكاد يخلو منها إلا النزر اليسير من الكتب التي تؤرّخ للعثمانيين المسلمين، والتي تزعم أن السلاطين العثمانيين كانوا يملكون الحق، بموجب فتوى شرعية إسلامية، في قتل من يشاؤون من إخوانهم أو بني رحمهم، أو أقاربهم، بحجّة الحفاظ على وحدة المسلمين، ولقطع الطريق على أية فتنة يمكن أن تبرز إذا حاول أحدهم المطالبة بالسلطة لنفسه.

وإن كنتُ لا أنفي ولا أنكر وقوع العديد من حوادث التصارع بين بعض السلاطين العثمانيين وبين بعض إخوانهم، بل وأحياناً بينهم وبين أبنائهم، وأن بعض هذه الصراعات كانت تنتهي بمقتل أحد الأطراف المتصارعة، إلا أنني أنفي، وبكل شدة، وبإصرار، ما يزعمه الزاعمون من وجود فتوى شرعية إسلامية تبيح لكل سلطان عثماني جديد أن يقتل من يشاء من إخوانه، أو بني رحمه، بحجّة المحافظة على وحدة المسلمين منعاً لوقوع الفتنة.

أقول هذا . . وأتساءل:

أليس من مقتضيات أمانة التوثيق العلمي والتاريخي أن يقدَّم بين يدي أية رواية تاريخية بالبيّنات التي تدعم صحتها، من تحديد للأسماء والأمكنة والأزمنة، وتبيين سلسلة الرواة الذين تناقلوا الرواية، إلى أن وصلت إلى راويها الأخير؟

ثم أليس من مقتضيات أمانة التوثيق العلمي والتاريخي، أن لا يُكتَفى بالتعميم المبهم، بعبارات مبهمة، في رواية تحمل تهمة خطيرة لشعب بأسره هو الشعب التركي المسلم، بل الأمة بأسرها، هي أمة الإسلام، بل للإسلام ذاته الذي كان العثمانيون يحملون لواءه ويمثّلونه آنذاك . . ؟

أين نصّ الفتوى الشرعية التي يزعم الزاعمون أنها تبيح للسلاطين العثمانيين قتْل بني رحمهم من غير أي مسوغ شرعي؟

أين أسماء العلماء المسلمين الذين أفتوا الفتوى المزعومة هذه؟

وفي زمن أيٍّ من سلاطين بني عثمان على التحديد صدرت؟

لقد قرأت بضعة وعشرين مرجعاً، عربيًا وتركيًا وإنجليزيًا، تؤرّخ للعثمانيين المسلمين، فما وجدت من بينها مرجعاً واحداً يذكر نص الفتوى المزعومة، أو يذكر اسماً لعالم واحد تنسب الفتوى إليه، بل لقد اكتفى كل مرجع عند ذكر هذه الفرية بسردها وكأنها يقين لا يرقى إليه شك، فلا يحتاج إلى توثيق.

وقبل أن أتحدّث بشيء من التفصيل عن تلك الأحداث التي تشبث بها الزاعمون ليرفدوا بها فريتهم، يجدر بي أن أؤكد أن الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً هذا الهراء، ولا يقبل مطلقاً أن تهون حياة المسلم؛ أي: مسلم، إلى درجة تباح فيها حياته لمجرد شبهة، أو من أجل وساوس وأوهام تتستر وراء الزعم بالغيرة على جماعة المسلمين من أن تقع فتنة

مزعومة لم يقم على وقوعها، أو على مجرد الشك بوقوعها دليل شرعي...

فمن أين جاءت هذه الفرية إذن؟

وما هي دوافعها، وماذا يقصد مروّجوها من ورائها؟

أما الدوافع التي تكمن وراء ترويج هذه الفرية، فلا أملك إلا أن أقول: إنها نابعة من الحقد الأسود الذي تمتلئ به قلوب العديد من المؤرخين الصليبيين من أعداء الإسلام، ضد الإسلام والمسلمين، فلقد انتهز بعض المؤرخين الصليبيين الحاقدين ـ وقلَّدهم في ذلك عن قصد أو عن غير قصد بعضُ المؤرّخين الذي يحملون أسماءً إسلامية ـ وقوع بعض حوادث الصراع الدموي على السلطة في الدولة العثمانية، وهو أمر لم تسلم منه أمَّة مِن الأمم على مدار التاريخ، فوجدوا في تلك الأحداث متنفِّساً لينفثوا من خلالها أحقادهم الدفينة ضد الإسلام والمسلمين، فوجهوا سهام افتراءاتهم ضد العثمانيين المسلمين، وهم في حقيقة الأمر يوجهونها إلى الإسلام الذي كان العثمانيون يمثلونه آنذاك.

أقول هذا، وبين يدي أكثر من دليل...

• كتب المقالة زياد محمود أبو غنيمة في مجلة «الأمة» (العدد ٥٣/ جمادى الأول ١٤٠٥هـ)، والمقالة طويلة، فاقتبست منها بعض الفقرات، فمَن أرادها كاملة مع أدلتها فليراجعها في العدد ٥٣ من المجلة، وهي مرفوعة على الشبكة.

١٤٤١ ليتنا كنّا صبرنا قليلاً ولم نكن معاول في هدم دولة العثمانيين!!

ذكر الأستاذ **سعيد الأفغاني** (١٣٢٧ ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩٩٧م) تشويه اليهود لسمعة السلطان عبد الحميد الثاني وتزييفهم لسيرته، ثم قال: وقد تلقّينا هذا التزوير في دروس التاريخ ونحن أطفال، وبقينا عليه السنين الطوال، حتى أزالت حوادث فلسطين الصارخة؛ وما ظهر من خفايا السياسة الدولية؛ وما نشر المؤرِّخون الأوروبيون والأمريكيون من

وثائق وكتب.. أزالت زيف التزوير ورفعت الغشاوة، فرأى الناس ما كان أسراراً حقائق بادية للعيان.. فصحّحنا ما نشأنا عليه من تاريخ مزوّر للسلطان رَحِمَهُ اللهُ، وترحّمنا على الأمير **شكيب** إذ فتح الله بصيرته على ما لم نرَ حقيقته إلّا بعد خمسين سنة من وقوعه! بل صرنا نقول في حسرة: **ليتنا كنّا صبرنا قليلاً ولم نكن معاول في هدم دولة العثمانيين**، بل ليت حكمهم ـ على علّاته ـ دامَ ولم نرَ مصائب الاحتلالين الفرنسي والانجليزي، ولا ذلك اليوم الأسود؛ يوم إنشاء (إسرائيل) على جماجم الشهداء والضحايا من إخواننا الفلسطينيين، الذين طردتهم وشرّدتهم وسلخت جلودهم وأموالهم حليفتنا العزيزة (انكلترا) التي استنصَرَت بنا في شدّتها على العثمانيين فنصرناها ببلاهتنا، وبارك ولادتها وسابَقَ إلى الاعتراف بها حبيبتانا من بين الدول (روسيا وأميركا!!)

رحمة الله لنا ما كان أشدّ غفلتنا حينئذ! وما أبعدنا عن السلوك الواعي اليوم!

• كتبها ضمن مقالٍ له بعنوان «الأمير شكيب والشيخ رشيد رضا، وثيقة وعبرتها»، في مجلة «الفكر الإسلامي» (السنة الثالثة/ العدد ٦/ جمادى الأول ١٣٩٢هـ/ حزيران ١٩٧٢م).

١٤٤٢ موقف العلامة المؤرخ د. عمر فرّوخ المُنصِف من الدولة العثمانية:

قال الأستاذ **أحمد العلاونة** في كتابه «عمر فروخ رَحِمَهُ اللهُ في خدمة الإسلام»: **يصف عمر فروخ (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧م)** رَحِمَهُ اللهُ العصر العثماني، بأنه عصر إسلامي الإيمان، عربي الثقافة. ويقول: إن الذين يذمّون هذا العصر يجهلون التاريخ السياسي للدولة العثمانية، والتاريخ العربي، والتاريخ الأوربي، ومجرى التاريخ، ويشير إلى أن الأمم كلها تمر في أطوار مختلفة في تاريخها: من قوة وضعف، ومن صعود وهبوط، ومن غنى وفقر، ومن ازدهار وانحطاط. والحكم الصحيح في منطق التاريخ أن نصف كل طور بخصائص ذلك الطور.

ويبيّن فرّوخ أن الدولة العثمانية - ككل دولة أخرى - شهدت في أولها عهود قوة ثم خضعت في آخر أيامها لعوامل ضعف، والأمم في أيام ضعفها تكون عرضة لكل تهمة، وكثيراً ما تصدق تلك التهم عليها. ويذكر بأن الذين يحملون على الحكم العثماني في البلاد العربية منذ مطلع القرن العشرين يغفلون عن جوانب كثيرة من حقائق التاريخ، منها:

- أن الدولة العثمانية قد ضعفت فعلاً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فاضطربت أحوالها. وفي الأحوال المضطربة تحدث عادة حوادث من الظلم، ومن سوء الحكم، ومن التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي.

- في مثل هذه الأحوال تنشأ في الأمم عناصر تنتسب في الظاهر إلى الأمة الضعيفة، ثم تكون في الحقيقة من أعداء تلك الأمة الضعيفة.

- ويكثر أولئك المؤرخون الغافلون الكلام في أمرين: التخلف الذي لحق بالعرب (من أثر الحكم العثماني في رأيهم)، ثم حوادث الإعدام التي قام بها العثمانيون في البلاد العربية بشنق نفر من العرب القوميين.

ويثبت فرّوخ أن الكلام في نسبة تخلف العرب إلى الحكم العثماني ساقط مرة واحدة. فقد ترك العثمانيون بلاد العرب، ولم يزل أهل هذه البلاد منذ تركها العثمانيون حيث كانوا، أو قد أصبحوا أسوأ مما كانوا، ثم إن العثمانيين لم يدخلوا المغرب الأقصى وموريتانيا، ولم يحكموا المسلمين في الهند وأندونيسيا، ولم يحكموا الحبشة وليبيريا، وكل هذه الشعوب لا تختلف في تخلفها عن العرب في تخلفهم.

وأما شنق نفر من العرب في أثناء الحرب العالمية الأولى، فيعدّه عمر فروخ رحمه الله من أخطاء الدولة العثمانية الضعيفة، إذ أن الجماعات الضعيفة تعتقد أن قتل فرد واحد أو أفراد كثيرين يمكن أن يبدّل مجرى

التاريخ، ويلفت الانتباه إلى أن الذين يكرهون الحكم العثماني، وفي الطور الذي كان الحكم العثماني حكماً صالحاً، هم الذين يذهبون في السياسة مذهب القومية، **ذلك الاختراع الذي جاءت به الدول الأوربية من قرن ونيف لتسهيل تجزئة البلاد العثمانية وتقاسم منافعها.**

ويتساءل: «وإذا كانت الدعوة إلى قومية عربية دعوة صحيحة، غايتها كما قيل، توحيد البلاد العربية واستقلالها، فلماذا نجد في البلاد العربية اليوم نحو عشرين دولة، قَلَّ أن تجد دولتين منها على وفاق؟ أنا لا أقول: إن العرب مخطئون في السير على منهاج قومي، ولا أنا قلت أيضاً: إنهم مصيبون، ولكني أقول شيئين اثنين:

- إن العرب لم يصلوا من طريق القومية إلى الأمل الذي أرادوا تحقيقه.

- إن العرب كانوا مخطئين - في جميع ميادين حياتهم السياسية والاجتماعية - لما تركوا الإسلام، الذي نهض بهم من قبل، ثم تبدَّلوا به نظرياتٍ قوميةً أو سياسية انحدرت بهم إلى حيث هم الآن».

١٤٤٣ رحلة الإمام الطبراني إلى لبنان:

أبو القاسم **سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني الشامي** (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) هو - كما وصفه الحافظ الذهبي - الإمام، الحافظ، الحُجَّة، الثِّقة، الرّحّال، الجوّال، محدِّث الإسلام، مسند الدنيا، عَلَمُ المُعَمّرين.

مولده بمدينة طبرية الأردن (قال البيروتي: ذكر هذا السمعاني في الأنساب وغيره، وقال الذهبي: ولد بمدينة عكا!) في شهر صفر سنة ستين ومئتين، وأول سماعه في سنة ثلاث وسبعين ومئتين (قال البيروتي: قال الطبراني في «المعجم الصغير»: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني أبو سعيد سنة ٢٧٣ ثلاث وسبعين ومئتين)، وارتحل به أبوه، وحَرَص عليه،

فإنه كان صاحب حديث، من أصحاب دحيم، فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين، فبقي في الارتحال ولقي الرجال ستة عشر عاماً، وكتب عمّن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنف، وعَمَّر دهراً طويلاً، وازدحم عليه المحدِّثون، ورحلوا إليه من الأقطار. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: قول الحافظ **الذهبي** (فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين)، يردّه قول الإمام **الطبراني** في «المعجم الصغير»: «حدثنا أحمد بن مسعود المقدسي الخياط ببيت المقدس سنة ٢٧٤ أربع وسبعين ومئتين»، **فالصواب أنّ أول ارتحاله كان سنة ٢٧٤هـ** وهو في الرابعة عشر من عمره، فزار بعض قرى فلسطين مثل الرملة وقيسارية وعكا، وحَدَّث عن أحمد بن عبد الله اللحياني العكاوي بمدينة عكاء سنة **٢٧٥** خمس وسبعين ومئتين، ثمّ رحل بعدها إلى ساحل لبنان، وبالعودة إلى معجمَيه الأوسط والصغير وجدناه يذكر رواياته في المدن التالية (وكلُّها على ساحل لبنان ما عدا بعلبك):

أ ـ **صور** (في جنوب لبنان):

روى فيها عن أبي ميمون أيوب بن أبي سليمان الصوري، والحسن بن جرير الصوري، وأبي عامر محمد بن إبراهيم النحوي الصوري، ومحمد بن أحمد بن راشد الصوري، ومحمد بن عبدوس بن جرير الصوري (هو أبو عبد الملك محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبدوس بن جرير الصوري)، ونعيم بن محمد الصوري.

ب ـ **صيداء** (في جنوب لبنان):

روى فيها عن محمد بن المعافى بن أبي حنظلة الصيداوي (ت٣١٠هـ).

ت ـ بيروت:

روى فيها عن أحمد بن بشر بن حبيب البيروتي، وعبد الله بن

العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي، ومحمد بن أحمد بن لبيد البيروتي (هو إمام جامع بيروت، يُلَقَّب بوَرد، توفي سنة نيف وثمانين ومئتين)، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي ـ مكحول ـ (ت**٣٢١**هـ).

ث ـ **جونية** (في شمال لبنان):

قال في معجمَيه الأوسط والصغير: حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد السلمي بمدينة جونية (وأهلها الآن كلّهم نصارى!).

ج ـ **جُبَيل** (في شمال لبنان):

روى فيها عن محمد بن الحارث الجبيلي، وعن محمد بن ياسر الحذاء الدمشقي الجبيلي (هكذا ذكره في «المعجم الأوسط»، وورد في مطبوعة «المعجم الصغير»: حدثنا محمد بن ياسر الحذاء الدمشقي بمدينة حسل!! وهذا تصحيف لجبيل. وترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات» وقال: محمد بن ياسر بن عبد الله بن عبد الخالق أبو بكر الحداد من أهل بغداذ، سكن جبيل وكان إمام جامعها ونُسِب إلى دمشق، . . . وروى عنه. . . سليمان الطبراني).

ح ـ **بعلبك** (في سهل البقاع شمال لبنان):

روى فيها عن أحمد بن محمد بن هشام البعلبكي، وعلي بن محمد بن حفص الفارسي، وأبي عبد الله محمد بن زكريا البعلبكي.

هذا ما وقفتُ عليه من **رحلة الإمام الطبراني إلى لبنان**، وكنتُ قد طالعتُ مقالة د. عمر التدمري في مجلة «الفكر الإسلامي»: «الطبراني، المحدِّث الرحّالة من خلال معجمه الصغير»، وذكر فيها المشايخ الذين لقيهم الطبراني في مدن لبنان والشام، فبحثتُ بنفسي عنهم ورتّبتهم وعلّقت وأفدت بما تيسّر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

١٤٤٤ يهود لبنان، الطائفة المنسية:

حرص يهود بيروت على مدى العقود الماضية على إخفاء هوياتهم ودياناتهم، ولجأوا إلى هويات بديلة مزورة بأديان أخرى، خوفاً من التمييز ضدهم أو اتهامهم بالعمالة أو النظر إليهم بحقد وتعصب بسبب الممارسات الصهيونية في فلسطين المحتلة، ووفق إحصاءات رسمية عام ٢٠٠٣م، يوجد في لبنان حاليًا قرابة ١٥٠٠ يهودي، إلّا أن ٦٠ منهم مسجلين كيهود فقط، والباقين تحولوا إلى ديانات أخرى، ويقيمون في الأغلب في ضواحي بيروت الشرقية. والجدير بالذكر أن ممثّل هذه الطائفة الأخير المدعو **جوزف مزراعي** كان يقيم في بيروت لغاية العام ٢٠٠٣م قبل أن يغادر إلى فرنسا.

وكانت بيروت تحتضن الكثير من المدارس والجمعيات اليهودية، وقد وصل عدد الكنس إلى ١٧ كنيساً في بيروت وفي بلدات دير القمر وعاليه وبحمدون؛ أشهرها كنيس المن، والكنيس الإسبانيولي، وكنيس دانا، وكنيس دير القمر، وكنيس صيدا، بالإضافة إلى وجود عدد من المقابر، ما زالت رفات اليهود تدفن فيها حتى اليوم، ولهم مقبرة في بيروت في محلة رأس النبع/ طريق الشام.

وكان «الإسرائيليون!» أول من ضرب الكنيس بشراسة وسرقه وكسره بأمر من أرييل شارون خلال الاجتياح «الإسرائيلي» لبيروت عام ١٩٨٢م، لأنه أراد تخويفهم كما فعل في العراق، فهرب الكثير منهم فترة الاجتياح، ومن لم يؤمن بـ«إسرائيل»، هاجر عبر البحر إلى أوروبا والولايات المتحدة، ومنذ ذلك الوقت أصبح حي اليهود في وادي أبو جميل خالياً وكنيسه مهدم، لكن الآن أعلنوا عن إعادة فتح كنيس «ماغن أبراهام» في حي وادي أبو جميل في وسط بيروت ـ الحي الذي احتضن العدد الأكبر من اليهود ـ بعد عمليات ترميم أعادت إصلاح ما طاله من دمار خلال سنوات الحرب الأهلية.

تواجدت الجاليات اليهودية في بيروت في وادي أبو جميل ورأس بيروت وبشكل أقل في منطقة الشوف ودير القمر وعاليه وبشامون وبحمدون وصيدا وحاصبيا، ومن عائلاتهم: يرور (سرور)، فارحي، ديشي بي، حراري، أتيه، ساسون، مزراحي، أرازي، دنون، مسلاتون، تاغير (صغير)، باحبوت، هراري، ليشتمان، شزيم، المن، بايون، خاسكي، دانا، بيجوتو، الفندري، ليفي، المغربي، بيلساتو، رومانو، يديد.

ونظراً لعددهم الكبير في الماضي، كان لكل منطقة مختار يهتم بشؤون الطائفة لتسهيل معاملاتهم الرسمية وإصدار الوثائق الرسمية لهم، كجوازات السفر وإخراجات القيد التي يُدوَّن عليه اسم الطائفة، ومن أشهر مخاتير اليهود في لبنان وآخرهم المختار **سعد المن**، الذي كان يمثل منطقة ميناء الحسن (وليس ميناء الحصن)، التي تشمل وادي أبو جميل. وفي الماضي، كان عدد الناخبين من أبناء الطائفة أكثر من سبعة آلاف شخص، وشغل لبنانيون يهود مناصب كبيرة حتى في الشرطة اللبنانية، في حين أن مساهمة اليهود في الانتخابات انخفضت اليوم إلى اثنين في المئة فقط.

• استفدت في صياغة مقالتي من: مقالة «يهود بيروت.. إلى دائرة الضوء» لهبة صيداني، و«يهود لبنان المنسيّون، الطائفة الثامنة عشرة» لروني شطح، وكتاب «تاريخ القضاء الشرعي في بيروت» (ص٢٥٤ ـ ٢٥٩) للمحامي المؤرخ عبد اللطيف فاخوري.

طُرفة: قال المحامي المؤرخ عبد اللطيف فاخوري في كتابه الموسوعي «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص١٨٣): وقد تناقل البيارتة أخبار اليهود وطرائف عنهم، منها أن واحدهم كان إذا لقيك صباحاً سلَّم عليك وقال: «بُولادي برقبتي لا تشوف يلّي شفته ولا تدوق يلّي دُقْته». فنظن أنّه يقسم بأولاده ورقبته؛ بينما يعني: «بولادي

برقبتي»: المقص المعلَّق في رقبته ليقصّ به القماش، و«لا تشوف يلّي شفته»: يكون قد شاف الليرات الذهبية قبل أن يخرج من بيته، و«لا تدوق يلّي دُقْته»: يكون قد تناول طعاماً طيباً. اهـ. **قلتُ**: هذا من خبثهم!

فائدة: شأن يهود بيروت منذ مئة سنة: قال إبراهيم حلمي العمر - ضمن مقالٍ له بعنوان «بين الشام والعراق» - في مجلة «المقتبس» (العدد ٩٥ - بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩١٤م): أما اليهود فلا شأن لهم يُذْكَر في بيروت ودمشق، ولكن سطوتهم ظاهرة في فلسطين، فقد أصبح زمام التجارة في قبضتهم، كما هي الحال في بغداد والبصرة. اهـ.

وانظر - للفائدة - «الكناشة» (١٢٤٤): **تسمية دولة اليهود بـ«إسرائيل» تسمية منكرة!**

١٤٤٥ المفهوم الخاطئ لـ«سيبانة» رمضان!

ذكرتُ سابقاً في الكناشة «٩٤٤» أنّ من التقاليد الرمضانية عند أهل بيروت ما يُعْرَف اليوم بـ «سِيبَانة رمضان»، وهي عادة بيروتية قديمة لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، وتتمثل بالقيام بنزهة على شاطىء مدينة بيروت تخصّص لتناول الأطايب والمآكل في اليوم الأخير من شهر شعبان المعظم قبل انقطاع الصائمين عن الطعام في شهر رمضان.

وذكرتُ هناك أنّ «سيبانة رمضان» كانت في الأصل عملية استهلال للشهر المبارك، كانت تسمى «استبانة» بمعنى التبيان لحقيقة حلول شهر الصوم، إلا أن أهالي بيروت حرَّفوا الكلمة مع مرور الزمن إلى «سيبانة» تسهيلاً للفظها.

لكن قال الحافظ **ابن رجب الحنبلي** (ت٧٩٥هـ) في «**لطائف المعارف**»: لربما ظَنَّ بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يُراد به اغتنام الأكل، لتأخذ النفوسُ حظَّها من الشهوات، قبل أن تُمنع من ذلك

بالصيام! ولهذا يقولون: هي أيام توديع للأكل، وتُسمى «تنحيساً»، واشتقاقه من «الأيام النحسات». . . أصل ذلك متلقًى من النصارى، فإنهم يفعلونه عند قرب صيامهم، وهذا كله خطأٌ وجهلٌ ممن ظنه، وربما لم يقتصر كثيرٌ منهم على اغتنام الشهوات المباحة، بل يتعدى إلى المحرمات! وهذا هو الخسران المبين.

١٤٤٦ الإمامة في المسجد الحرام... حاضرها وماضيها:

قال إمام الحرمين **عبد الظاهر أبو السمح (١٣٠٠ ـ ١٣٧٠هـ)** رَحِمَهُ اللهُ:

كانت الإمامة في المسجد الحرام زمن الترك وأحكامهم في الحجاز مثال الفوضى والعبث، والتفرق في الدين، وذلك أن الإمامة كانت وظيفة يتوارثها الأبناء عن الآباء، والآباء عن الأجداد، وكان مَن يصلح من أولئك الأبناء للإمامة أقام نائباً عنه للقيام بالوظيفة. وكان في المسجد الحرام أئمة كثيرون يعدّون بالعشرات، بل بالمئات، قائمة المذهب الحنفي ـ مثلاً ـ بلغوا خمسين ومئة أو كثير، وأئمة الشافعية كانوا مثل ذلك أو قريباً، وأئمة المالكية والحنابلة، غير أنّ الحنابلة كانوا أقل الطوائف وأقل الأئمة.

ولقد كانت تُقام الصلاة في المسجد فيتقدَّم أحد أئمة الشافعية ويصلِّي أول الوقت في الفجر، والمالكية والأحناف جلوسٌ ينتظرون حتى تنتهي الشافعية، ويصلّون عند الإسفار، ولا تَسَلْ عمّا كان منهم في رمضان؛ فإنك كنت ترى جماعات كثيرة متعددة مختلفة العدد، وكان كلّ حافظ شيئاً من القرآن يقوم لثلاثة أو أربعة أو أكثر من جماعة فيصلِّي بهم التراويح، **ولا ريب أنّ هذا تفرّق في الدين منهيٌّ عنه**، وكان قد وقع في زمن عمر مثله فجمع الناس على إمامٍ واحد وانتهى التفرّق والحمد لله.

ولمّا جاء الإمام العادل الملك عبد العزيز (١٢٩٣ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٥٣م) ـ وفقه الله تعالى ـ ورأى هذه الفوضى والتفرق في

أعظم مساجد الدنيا، هاله الأمر، وانتخب من كلِّ مذهبٍ عدداً من الأئمة يتناوبون الصلاة فيما بينهم، فإذا صلَّى منهم إمام صلَّى جميع مَن في المسجد خلفه، وانتهى بذلك التعدد، واقتضت حكمة هذا الملك المتمسك بدينه المصلح لِما فسد أنْ ينقص من هؤلاء الأئمة عدداً بالتدريج كل عام حتى صار الإمام واحداً والجماعة واحدة في رمضان وغير رمضان؛ غير أنّ لهذا الإمام مساعدين إذا غاب لمرضٍ أو نحوه صلّى بدله النائب الأول، فإنْ غاب صلَّى النائب الثاني، وأصبحت الجماعة في المسجد الحرام ممّا يسرّك منظره ويبهرك رواؤه وجلاله، ولله الحمد والمنة، وجزى الله مليكنا خير الجزاء على اجتثاث هذه الفتنة وذلك المنكر؛ الذي لم يقرّه كتاب ولا سنَّة ولا مذهب.

• «مقالات عبد الظاهر أبو السمح» (ص١٢٧)، وكان الشيخ رَحِمَهُ الله قد نشرها في مجلة «الحج»، جمادى الثانية ١٣٦٧هـ.

١٤٤٧ معنى كلمة (أرناؤوط):

قال الشيخ **محمد بن ناصر العبودي** في «كنت في ألبانيا» (ص١٢٢/ ط. ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م): كان الإخوة في ألبانيا يسارعون بقولهم: (إنهم الألبان؛ لأن الأرناؤوط هم الألبان)، وهذا أمر نعرفه منذ سنين طويلة، ولكنني لا أعرف معنى كلمة (أرناؤوط)، وقد سألتُ عنها عدداً من الإخوة الأرناؤوط الموجودين في سوريا قبل عشرات من السنين ـ ومنهم صديقنا الشيخ ناصر الدين الألباني والشيخ عبد القادر الأرناؤوط من علماء سوريا ـ فكانوا يجيبونني وهم يبتسمون ـ علامة على أنهم لا يعتقدون بصحة ما يقولون ـ بأنّ أصلها جملة عربية هي (عار أن نعود)، ويقولون إن طائفة من العرب المسلمين كانوا يقاتلون الكفار فلقوا عدداً من المقاتلين أكثر من أن يكون في طاقتهم أن يقاتلوهم، فأرادوا الهروب من ذلك وعدم قتالهم، غير أنهم تشاوروا وقال بعضهم (عار أن نعود)

عن القتال، فاجتمعت كلمتهم على ذلك وصاروا يردّدون هذه الجملة التي تحولت على الأيام إلى كلمة (أرناؤوط) بدافع الاختصار عند التكرار.

ولكن الذين حدّثوني بذلك لم يكونوا يجزمون بصحته وإنْ كان فخراً من الفخر لهم، وإنما يقولون: هكذا يقول الناس، وبعضهم يضيف: والله أعلم.

وسألت الإخوة هنا عن معنى الكلمة فلم أجدهم يعرفون بما قيل عن أصلها، وإنما كانوا يذكرون لنا أنها اسمٌ للألبانيين، سمّاهم الأتراك به، وقد نقلوا هذا الاسم عن اسم قديم للألبان قريبٌ من هذا اللفظ عُرِفَ عن اليونان والرومان أنهم سمّوا الألبان به في عصر من العصور التاريخية.

وانظر: «كناشة البيروتي» (٢١٥): **بيان الإمام محمد ناصر الدين الألباني للفرق بين كلمة (الأرناؤوط) وكلمة (الألباني).**

١٤٤٨ مقتطفات من رسائل المستشرق الروسي كريمسكي عن بيروت المكتوبة بين عامَي ١٨٩٦ و١٨٩٨م:

أقام المستشرق الروسي **أغاتانغيل كريمسكي** (١٨٧١ ـ ١٩٤١م) في بيروت وجبل لبنان في الفترة الممتدة ما بين أواخر عام ١٨٩٦ وأواسط ١٨٩٨م، ودوّن مشاهداته وانطباعاته في رسائل وجّهها إلى عائلته في روسيا، وقد طُبِعَ كثيرٌ من رسائله في موسكو عام ١٩٧٣م، وتُرْجِمَت إلى العربية وانتُقِي منها، وأصدرها د. مسعود ضاهر في كتاب «بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين» المطبوع في دار المدى/ بيروت عام ١٩٨٥م، وقد قرأته واقتطفتُ منه بعض الفقرات:

١ ـ متسوّلو بيروت ـ في الواقع ـ على جانب كبير من البراعة، أعرف اثنين منهم يرابطان على قارعة الطريق، حتى إذا مررتُ بهما ألقيا برأسهما إلى الخلف كأنهما على وشك الموت، تجحظ العينان وتحدّقان

إلى السماء، وتضرب إحدى اليدين الصدر، أما الأخرى فممدودة لطلب الصدقة، والشفتان تتمتمان دون انقطاع: «الله يخلّيك». كنتُ في السابق أشفق عليهما، أما الآن فقد توقفتُ عن إعطائهما شيئاً. ثمّة متسولون أسوأ؛ أولئك الذين إذا لم تناولهم نقوداً تظاهروا بالهستيريا، وأنا أهرب منهم هربي من الطاعون، يتظاهر أحدهم بالجنون دون أن ينسى جميع أعياد الطوائف، ففي أعياد الكاثوليك يحمل صورة البابا، وفي أعياد الأرثوذكس يحمل صورة القيصر نيقولا الثاني... (ص١٥٥).

٢ ـ **بيروت في ١٣ ـ ١٤ حزيران ١٨٩٧م: كلب مسعور عضَّ** أكثر من عشرين شخصاً في بيروت، لذلك أمر الوالي ـ بناءً على نصيحة إحدى الشخصيات المسيحية من عائلة طراد ـ بتسميم جميع كلاب المدينة، وهكذا نَفَقَ عدد كبير منها تَمَّ رميُها بالبحر، ولكن بعضها استطاع الفرار والاختباء، وقامت النسوة المسلمات بإنقاذ عدد من الكلاب (!!) خُبِّئَت في غرفهنّ ـ غرف الحريم، وانتشرت جيف الكلاب فانبعثت منها الروائح الكريهة، وتكاثرت الثعالب قرب المدينة ولم تكن تُشاهَد في السابق إلّا في الجبال والقرى النائية،... كان أحد الكلاب المسعورة قد عضَّ بقرة وأربعة خراف كانت معدَّة للذبح عند أحد الجزّارين، ولكي يتلافى اللحّام الخسارة الكبيرة جرَّ تلك الحيوانات الخمسة إلى المسلخ حيث ذبحها وخلط لحمها بلحوم الحيوانات السليمة، ثمّ وزّعها للبيع ببيروت، وعَرَف أحد المواطنين بالأمر صدفة، فانتشر الخبر سريعاً حتى عَمَّ المدينة كلّها، ونظراً لصعوبة تمييز اللحم المريض من السليم حُرِم اللحّامون من بيع غرام واحد من اللحم في بيروت طيلة ثلاثة أيام بالرغم من تخفيض أسعارهم كثيراً، إذ لم يجرؤ أحد على الشراء حتى فسد اللحم وطُرِح به في البحر. (ص١٨٥).

٣ ـ فيما أخطّ هذه الرسالة كنتُ أسمع حديثاً بين الجيران من

آل طراد. ثمّة **مثل شعبي في بيروت** يقول: «أسرار طرادية»، وتعني تلك التي يتعمّد أصحابها إسماعها للآخرين... أسرعت السيدة عطايا بالدخول إلى غرفتي وقالت: تذكّرتُ الآن مثلاً شعبيًا، فخُذْ القلم وسَجِّلْه، يقول المثل: «ما مقصرو عن الجرد إلّا الحفا»،... بالمناسبة أتابع جمع الأمثال الشعبية بدقة، وعندما علم أصدقائي بذلك هبُّوا لمساعدتي في جمع الأمثال. (ص١٨٧ ـ ١٨٨).

وقال كريمسكي في رسالة أخرى (ص٢٢٦): ليس من المستبعد أن يحصل عراك بين أهالي بكفيا وأهالي الشوير، إذْ ليس صدفة وجود مَثَل يقول: «لولا بكفيا والشوير كانت الدنيا بألف خير».

٤ ـ الشوير في ٧ آب ١٨٩٧م: تبيّن لي أنّ القرويين في جبال لبنان يملكون رأياً سياسيًا غريباً، فهم ساذجون جدًّا في الحقيقة، لا يبالون كثيراً بالسياسة، أما في بيروت فأصغر بقّال ـ لا بل الفتيان الذين لم يبلغوا السابعة عشرة من عمرهم ـ يقرأون الصحف بنهم. (ص٢٣٤).

٥ ـ حمّانا في ٢٤ ـ ٢٥ آب ١٨٩٧م:... وصلنا إلى صوفر حيث **أقام أغنياء بيروت مركزاً للعبة الروليت**، وخصّصوا مبالغ طائلة من المال لبناء فندق كبير، يرتاد المركز أناس كثيرون وبعضهم يخسر كل أمواله في القمار، لكن أغنياء بيروت من آل سرسق وبسترس وغيرهم يرون أنّ ذلك المركز في صوفر لا يؤمِّن لهم كل ما يبغون من الربح، فسَرَت إشاعة تقول إنهم عازمون على تحويل جناح من فندق صوفر إلى بيت للدعارة يجمع الرجال والنساء! وقيل لي أيضاً أنّهم أوصوا على «نساء» من مرسيليا وفيينا وغيرهما من مدن أوروبا. (ص٢٤١).

٦ ـ حمّانا في ٢٤ ـ ٢٥ آب ١٨٩٧م: سألتُ صبيًّا عن عمره، فالتفَتَ إلى أمّه قائلاً: «أمي! قَدّيش عمري؟» فأجابت أنّه وُلِد في السنة الأولى من حرب الموسكوب، وبدأوا يحسبون متى كانت حرب

الموسكوب (حرب روسيا مع الدولة العثمانية)، لم يستطيعوا التذكر بدقة، فقلتُ لهم إنها كانت في العام ١٨٨٧م، لا يعرف عمر العربي بدقة، فالأم هي التي تتذكر فتقول مثلاً: وُلِد في حرب الموسكوب، أو وُلِد في أيام إبراهيم باشا؛ أي: في أيام الحملة المصرية على سوريا، أو تقول: وُلِد في أيام الاضطرابات؛ أي: مذبحة ١٨٦٠م، وهلمّ جرّا. (ص٢٤٥).

٧ ـ أخبرني القاضي إلياس طراد (وهو قاض من بيروت) **أن النساء المارونيات** ـ وكنّا في حمّانا ضيوفاً على عائلة مارونية ـ يتميّزن بسلوكهنّ الطائش وبعدم الوفاء للزوج، في حين عُرِفَت **النساء الأرثوذكسيات** بحصانتهنّ وعفّتهن. (ص٢٤٦).

٨ ـ **الشوير في ٦ أيلول ١٨٩٧م**: زارني اليوم كذلك نسيب التبشراني الطالب في كلية **البروتستانت الأميركية** في بيروت (قال أبو معاوية البيروتي: وأصبحت لاحقاً الجامعة الأميركية)، تحدَّث عن جوّ الفوضى المسيطر عندهم في الكلية، فليس هنالك عقوبات كما قال؛ ذلك لأنّ طلّاب الكلّية مسلَّحون، **ويأتون إليها حاملين سلاحهم**، وهم على استعداد لإطلاق النار حتى على الأساتذة! ذات مرّة أقدم أحد الطلّاب على طلي مقعد الأستاذ بالصمغ، بحيثُ اضطرَّ في نهاية الدرس إلى إرسال مَن يحضر له بنطلوناً آخر لأنّ الأول بقي ملتصقاً بالمقعد! ويكثر الطلّاب من إلقاء النكات والقيام بالحركات البهلوانية، وإذا طرح الأستاذ على طالب سؤالاً، فبدلاً من الإجابة يخلع الطالب سترته قائلاً: «الطقس حار»، وتصل الوقاحة بهم أحياناً للتنكيت على الأستاذ، فإذا حلق أحد الأساتذة ذقنه مثلاً يلحق به بعض الطلّاب وهم يردِّدون عبارة السخرية بصوت عال. الانضباط معدوم إلّا في صفوف التلامذة الصغار. (ص٢٥٧).

٩ ـ **الشوير في ٢٢ ـ ٢٣ أيلول ١٨٩٧م**: حضر الجنازة التي كتبتُ عنها راهب من دير مار إلياس الأرثوذكسي، وهو راهبٌ عربي وليس يونانيًّا، ويُدعى الأب **أنفيم**، جسده النحيل الشاحب يذكّر بالموتى، وله من العمر ما بين الخمسين والستين عاماً، كان **ميخائيل يافث** واحداً من أفضل أصدقائي، وحين لفَتُّ نظَره إلى الراهب قال: «**إنّ منظره المخيف هذا نتيجة ممارسته الفسق والفجور** باستمرار»، ودلَّ كلامه أنّ **أخبار مغامرات رهبان دير مار إلياس** يتحدّث بها أهالي قرية أبو ميزان، وأنّ **عشيقات رهبان دير مار يوحنّا** في الشوير أيضاً يسكنَّ بلدة «الحارة» (؟) القريبة من الدير، وأردف ميخائيل يافث قائلاً: «تلك أخبار يعرفها الجميع، وأنا مسرور جدًّا بذلك! كان عندنا أمراء، ولكننا تخلّصنا منهم ولله الحمد، لكن بقي لدينا الرهبان! ولمّا كان الجميع شاهدين على مسلكهم وتصرفاتهم فلسوف نتخلّص منهم يوماً ما».

ثمّ روى لي القصة التالية: «كان دير مار إلياس في السنة الماضية يضمّ مدرسة للصبيان، وفجأة توقّف الأهالي عن إرسال أولادهم إليها وأظهروا استياءَهم منها. تبيَّن فيما بعد أنّ **بعض الرهبان كان يمارس أعمالاً شنيعة!** وقد استغلّ الأب حنّا مجاعص استياء الأهالي وفتح مدرسته في الشوير». ولم يتورَّع أحد الرهبان ـ وهو الأب **ستيفانوس** ـ أن يطلب منّي ترجمة لرسالة تلقّاها من راهبة في دمشق تنمّ **عن علاقة** غرامية به، كما لم يجد غضاضة في القول: «الستّات بيحِبُّوني». (ص٢٦١ ـ ٢٦٢).

(قلتُ: راسلني أحد الإخوة بالتالي: ذكر الأديب **العقاد** عن راهبات أسوان بمصر، وأن المدينة صغيرة. . فإذا ظهر على إحداهنّ الحَبَل أرسلوها لإيطاليا لكي لا يفتضح الأمر!! يقول: كنّا ونحن صغار إذا رأينا مجموعة منهنّ قلنا لهنّ: مش عاوزين تروحوا إيطاليا؟!)

١٠ ـ بيروت في ٩ شباط ١٨٩٨م: المسلمون صائمون، فهم الآن في شهر رمضان، وطوال النهار لا يأكلون ولا يشربون شيئاً، لحسن حظّهم لا زال النهار قصيراً، مشهد طريف أنْ تراقب المسلمين قبل الغروب وهم يتحلّقون جماعات بانتظار طلقة مدفع رمضان معلنة مغيب الشمس، كلّ شيءٍ قد أعدَّ له مسبقاً، خاصة بالنسبة للمدخّنين المسنّين الذين حضّروا النارجيلة (!) وبجانبها فنجان القهوة، فما أنْ تهدر طلقة المدفع حتى يتناول المدخنون نربيش النارجيلة على الفور ثم يرشفون القهوة (قال أبو معاوية البيروتي: بئس الفعل هذا! فالسُّنَّة الفطر على ماء وتمر، لا على خبيث كالنارجيلة والسيجارة!)، فيما مدخّنون آخرون يحملون السيجارة بيد والكبريتة باليد الأخرى، فيشعلون السيجارة فور سماعهم طلقة المدفع. إنهم لا يُعانون من الجوع كثيراً، فهم يأكلون ليلاً حتى الشبع. فقرابة الثانية والنصف فجراً ـ وهو موعد طلقة المدفع ـ يجلس الناس أيضاً لتناول آخر وجبة طعام؛ ويسمُّونها السّحور. طلقة المدفع التي تدوّي قبل الفجر تعني توقّف الصائمين كليًّا عن الأكل والشراب وخلودهم إلى النوم حيث يستيقظون حوالي التاسعة صباحاً، أما الأغنياء فيستيقظون قرابة الظهر...

لا يجرؤ أيٌّ من المسلمين على الامتناع عن الصيام أمام الناس، حتى أنّ الأطباء المسلمين الذين تلقّوا علومهم في المعاهد الأوروبية يتناولون الطعام سرًّا وحتى خفية عن عائلاتهم، فعبارة «فاطر في رمضان» تُعْتَبَر إهانة قاسية. وأما لو أراد المسيحيُّون عدم الصيام في الأوقات المحدّدة له، فلا يخافون إعلان ذلك ويجاهرون بامتناعهم عن الصوم في بيروت على الأقل. (قال أبو معاوية البيروتي: وهذه منقبة للمسلمين الذين يعظِّمون شعائر دينهم ويخشى المنافقون مخالفتها، ومذمَّة للنصارى الذين يستخفّون بأحكام دينهم المحرَّف، أما أولئك «الأطباء المسلمين» الذين ذكرهم كريمسكي فواضح أنّهم شرذمة قليلة فُتِنَت عن دينها

وانتكست أثناء دراستها في المعاهد الأوروبية). (ص٢٨٢ ـ ٢٨٣).

١١ ـ **بيروت في ٨ ـ ٩ آذار ١٨٩٨م**: تسود بيروت حالة من التوتر بسبب جريمة قتل، ففي سوق الطويلة الأكثر ازدحاماً بالناس دخل فتى دكاناً ليبتاع بعض الخضار، أعطاه البائع أسوأها، ولَمّا رفض الفتى استلامها استشاط صاحب الدكان غضباً فاستلَّ خنجراً، ويقول البعض أنّه تناول آلة حديدية حادة كانت بقربه وطعن بها الفتى فقتله، ثم اختفى البائع بسرعة إذ ساعده أصدقاؤه على الهرب، وبدأ التحقيق. من المحتمل ألّا تتمكّن السلطات من القبض على القاتل لأنّه سوف يختبئ شهرين أو ثلاثة عند أصدقائه ثمّ يفتح دكاناً في مكانٍ آخر وفي شارعٍ آخر. (ص٢٩٢).

١٤٤٩ تاريخ ألمانيا النازية الذي لم يكتبه الحلفاء!

تحدّث العلامة الدكتور **عمر فروخ** (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧م) في ذكرياته الحافلة «غبار السنين» عن ألمانيا الهتلرية ـ وكان قد درس فيها في تلك الحقبة ـ فقال: «**حينما كنت أتابع دراستي في ألمانية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٧م) كانت ألمانية الهتلرية في عنفوان قوتها، وكان قد نشأ فيها جيل يرفع هتلر فوق كل شيء في هذا العالم، كان هتلر خطيباً في جماهير الناس من الطبقة الأولى، كان يطيل، ومع ذلك فإن الناس كانوا يجلسون إلى الراديو لسماعه كأنهم في معبد لهم!**

خطر في بالي يوماً أن أسمع هتلر يتكلم وأنا أراه، كان موعد الخطاب الساعة الواحدة بعد الظهر، وفي ذلك امتحان لتعلق الناس به، ذهبتُ إلى الباحة التي يلقي فيها خطبه في العادة، وكنت سعيداً لأنني وجدت موطئ قدم على بعد متر واحد من الشريط الشائك الذي يفصل جماهير الناس عن الرجال الرسميين وعن الجنود المكلّفين بالحماية، ولم يحن موعد الخطاب حتى كان الناس قد ملأوا الساحات والباحات

والواحات وشرفات المنازل المطلة على مكان الاجتماع. وطال الخطاب ساعتين لم تكن تسمع في أثنائهما صوتاً ولا همساً، وكان إلى قربي امرأة تحمل طفلاً رضيعاً لا أذكر أنه بكى..

إذا كنت تعني أن التنظيم وضبط الأمور هما من الاستبداد؛ فإن ألمانية كانت في ذلك الحين في قمة الاستبداد. يتفق مثلاً أن ينقطع ورود البيض من بلغارية أو تقصر المزارع الألمانية في صنع الزبدة في فصل ما، ثم تدخل أنت دكاناً ليس فيه إلا بيضة واحدة، وربع كيلو من الزبدة، فتشتري تلك البيضة وهذه الزبدة بالثمن الذي كنت تشتري مثلهما بالأمس أو قبل الأمس. وكانت محطة فريدريك بين المنزل الذي أسكنه وجامعة برلين، وكنت أمر من تحت جسر هذه المحطة مراراً في كل يوم، وكانت تلك المحطة تستقبل كل دقيقتين قطاراً أو تودع قطاراً، وكان ذلك الجسر من القرميد.. وخطر للدولة أن تبدل القرميد في الجسر بحديد، وفي أربع وعشرين ساعة أصبح الجسر من القرميد جسراً من حديد، ولم يتأخر قطار عن موعده جزءاً من دقيقة!

أفضل الفواكه البرتقال لأنه لا يختمر في المعدة، وهو عندي فاكهة مفضلة في الحضر والسفر، خرجت في ١٩٣٦/٤/٢٠م أريد أن أشتري شيئاً من البرتقال فلم أجد في السوق حبة منه، فسألت البائع عن سبب ذلك فقال: اليوم مولد هتلر تقام الاحتفالات به في جميع أنحاء ألمانية، والبرتقال اليوم تشتريه الدولة؛ لأن هتلر لا يشرب الخمر ولا يقدم الخمر في مثل هذا المناسبة. يستخدم هتلر سيارة مرسيدس بنتز ذات رقم عادي على لوحة باللون الذي تكون منه جميع لوحات السيارات الأخرى..».

قال الشيخ **عبد الله الهدلق** بعد أن نقل السابق في مقالته «عيون ريتا.. والعزى»: هذا هو التاريخ الذي لم يكتبه الحلفاء.

١٤٥٠ تاريخ زنجبار.. صفحات مجهولة من تاريخنا المعاصر:

قال الشيخ **عبد الله الهدلق** في بعض تغريداته: ابتعتُ كتاباً لحبيبة الهنائي عنوانه «العائدون حيث الحلم ـ مشاهد وذكريات عودة من زنجبار والجزيرة الخضراء إلى عمان». . صدر عن «مؤسسة الانتشار العربي»، ط١، **٢٠١٣**، في **١٠٨** صفحة. . تتحدث فيه مؤلفته عن أحداث ثورة **١٩٦٤** الدامية في زنجبار وعودة أهلها إلى عمان. . وهي مرحلة تاريخية مهمة من مراحل تاريخنا المعاصر، ما ظلم المؤرخون مرحلة من مراحل تاريخنا كما ظلموا هذه المرحلة وهذه البقعة من المكان. . وقد كانت معلوماتي عن **زنجبار** مشوشة متداخلة حتى حملني اقتناء هذا الكتاب على البحث عن تاريخها، وسأسرد شيئاً منه، وأحيل إلى بعض الكتب والروابط الإلكترونية، وسيتعجب المتابع من هذا التجاهل التام لهذه المنطقة بجغرافيتها وتاريخها وأحداثها الدامية المرعبة التي راح ضحيتها آلاف من العرب المسالمين. . .

سأشرح شيئاً يسيراً عن زنجبار. . **زنجبار** مجموعة من الجزر التي تزيد على عشرين جزيرة أكبرها (أونجوجا) ثم (بيمبا)، أدخلها السلطان **سعيد** من آل بوسعيدي في حكمه مع **عُمَان** في منتصف القرن التاسع عشر، وهذه الجزر من أقدم المناطق المأهولة في العالم، وتشتهر بزراعتها وأرضها الخصبة وبالتوابل ولا سيما (القرنفل)، إذْ إنها أكبر دولة تزرع القرنفل، وقد تراجعت زراعته كثيراً هذه الأيام بسبب ظروفها الاقتصادية السيئة (القرنفل الوارد في شعر العرب ومعاجم اللغة، ومنه قول امرئ القيس: **جاءت بريا القرنفل**؛ هو ما نسميه اليوم (المسمار) و(العويدي) الذي يوضع في القهوة، وثمرته حمراء اللون ثم يجفف ويسودّ). . ولكن كانت هناك تجارة سيئة السمعة في **زنجبار** وهي تجارة الرقيق، حيث اسْتُغِلَّ أهل هذه الجزر وصَدَرَ منهم الرقيق إلى أنحاء العالم، وقد قابلتُ في الرياض قبل ثلاث وعشرين سنة رجلاً مسنًّا كان

من الرقيق الذين أُخِذُوا من **زنجبار** طفلاً صغيراً، وهممتُ بتسجيل روايته ونشرها لكن لم يتيسّر لي ذلك. . . فيما بعد قام الإنكليز بالتفريق بين الورثة من أسرة البوسعيدي واستقلَّ كلُّ أخٍ بحكم، أحدهم في **عُمَان** والآخر في **زنجبار**، ثم وَقَعَت تحت نير الاستعمار الإنكليزي. . وفي عام **١٩٦٣** استقلَّت **زنجبار** عن حكم الإنكليز وقامت فيها حكومة منتخبة! برئاسة السلطان جمشيد بن عبد الله من آل بوسعيدي، ثم إن رئيس تنجانيقا استعان بالإنكليز ودَبَّر هو ومرتزقة من **أوغندا** وعبيد كارومي انقلاباً دمويًّا شنيعاً على السلطان والعرب القاطنين هناك وأكثرهم من العُمَانيين المساكين المسالمين، وذلك في سنة **١٩٦٤**، فهرب السلطان جمشيد إلى بريطانيا ـ ما زال هذا السلطان في بريطانيا إلى اليوم! ـ وقامت الكتائب العسكرية بقتل كل عربي ونهب أمواله، وفي يوم المجزرة كانت هناك فرقة تصوير من التلفزيون الإيطالي تصوِّر على الأرض ومن الجو، ثم قام التلفزيون الإيطالي بتوضيح هذا التصوير ونشره، وسأحيل إلى رابطه، وهو تصوير حي لتلك المجزرة البشعة المروعة أبى الله إلا أن توَثَّق وتُنشَر حتى تكون شاهداً على قبح هذه الأنظمة الظالمة الهمجية، ثم إن (عبيد كارومي) تسلم السلطة وقامت بينه وبين بعض الكتائب معارك قُتِلَ فيها من قُتِلَ، واغتيل كارومي بعد ذلك بسنوات، اغتاله أحد الضباط العرب وكارومي زوج أخته. . و**زنجبار** كانت قد دخلت في عهد كارومي في حلف كونفدرالي مع **تنجانيقا** وسُمِّي هذا الاتحاد **تنزانيا**.

وللمغيري كتاب «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» أظنني رأيته مصوراً وأصله نادر. . كما قامت هيئة أبو ظبي بنشر كتاب وليام إنغرامز «زنجبار تاريخها وشعبها»، وكان إنغرامز عاش في زنجبار عدة سنوات وغادر الجزيرة عام . .١٩٢٧ صدر كتابه عن هيئة أبو ظبي ط١، ٢٠١٢، في ٥٢١ صفحة، بترجمة د. عدنان خالد.

• قال أبو معاوية البيروتي: عندي نسخة مطبوعة من كتاب «جُهَينة الأخبار في

تاريخ زنجبار» للشيخ سعيد بن علي المغيري (١٣٠٠ ـ ١٣٧٨هـ) بتحقيق محمد الصليبي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمَان.

١٤٥١ تجهز الأعداء للغزو، فسمعوا... فارتعبوا وهربوا!!

قال **سعيد بن علي المغيري** (١٣٠٠ ـ ١٣٧٨هـ) في «جُهَينة الأخبار في تاريخ زنجبار» (ص١٤٥/ ط. وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عُمَان): في كلوة كسرواني ٣٦٠ مسجداً في أول أيام ازدهارها وعظمتها، وإن دولة من دول ذلك العصر أرادت الهجوم عليها، وقد هيّأت أسطولاً بحريًّا لمهاجمتها صباحاً، والأسطول راسٍ في البحر، فلما طلع الفجر سمعوا ٣٦٠ أذاناً، فاندهشوا، وأخذهم الرعب والخوف فرجعوا على أعقابهم!

وربما أن هذه سياسة من سكان كلوة في الحرب، وإلا فكلوة هذه لا تسع ولا يحتاج سكانها إلى ٣٦٠ مسجداً، والمسجد الباقي يسع مئات المصلين.

قال أبو معاوية البيروتي: كلوة كسرواني تقع في شرق أفريقيا.

وللفائدة؛ قصة أن الصحابة أرادوا فتح أحد الحصون، فاستعصى عليهم، فجلسوا يرتاحون ويستاكون، فرآهم أهل الحصن فقالوا: «هؤلاء يحضِّرون أنفسهم ليأكلوننا!!» فاستسلموا للصحابة... نقلتُ سابقاً في «الكناشة» (٤٣١) عن الشيخ **محمد عبد السلام الشقيري** أنها لا أصل لها.

١٤٥٢ حوادث الاعتداء على الحجر الأسود:

آخرها كان عام ١٣٥١هـ عندما اعتدى رجل من الأفغان على الحجر الأسود، فاقتلع قطعة منه وسرق من ستار الكعبة وقطعة فضة من مدرج الكعبة الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبة، فاعتقلوه واعترف

بما قد قام به، وحكم عليه من المحكمة الشرعية بمكة المكرمة بالإعدام حدًّا بالسيف جزاءً له وردعاً لأمثاله، ثم تشرف الملك عبد العزيز بوضع قطعة الحجر المقلوعة بيديه بعدما صنعوا له معجوناً خاصًّا لتثبيتها في موضعها، ثم أمر بوضع حرس على الحجر والمقام والحِجر، وتُعَد هذه الحادثة السادسة في التاريخ، أما باقي حوادث الاعتداء على الحجر الأسود فهي:

١ ـ حادثة سرقة الحجر الأسود قبل الإسلام.

٢ ـ حادثة القرامطة عام ٣١٧هـ، وردُّوه عام ٣٣٩هـ.

٣ ـ حادثة الرجل الرومي عام ٣٦٣هـ وضربه للحجر، فقتله رجل من أهل اليمن.

٤ ـ حادثة رجل من ملّاحة المصريين عام ٤١٣هـ، فطعنه رجل من أهل مكة، ثم قتله الناس وأحرقوه.

٥ ـ حادثة الرجل الأعجمي عام ٩٠٩هـ وضربه للحجر، فقتله الأمير ناصر جاوش بخنجره.

٦ ـ حادثة الرجل الأفغاني عام ١٣٥١هـ (المذكورة سابقاً).

• من كتاب «الأوائل لمكة في العهد السعودي»، نقلته من موقع «مكاوي».

١٤٥٣ رحلة الفرنسي غي دو موباسان إلى بلاد المغرب العربي عام ١٨٨١م:

قرأتُ رحلة قام بها الفرنسي **غي دو موباسان** (Guy de Maupassant) (١٨٥٠ ـ ١٨٩٣م) إلى بلاد المغرب العربي، حيث غادر فيها باريس في ٦ تموز عام ١٨٨١م ليشاهد «أرض الشمس والرمال في أوج الصيف تحت الحرارة الخانقة»، وسجّل في رحلته مشاهداته بدقة وإنصاف، فدخل في مدينة الجزائر مسجداً ووصف فيه صلاة المسلمين بخشوع ووحدة وفضّلها على صلاة النصارى الصاخبة بالكنائس، فقال

عن المسجد: «كل شيء بسيط، كل شيء عار، كل شيء أبيض، كل شيء وديع، **كل شيء هادئ في ملاجئ الإيمان تلك، والمختلفة كثيراً عن كنائسنا المزينة الصاخبة** عند امتلائها بجلبة القداديس، وحركة الحضور، وأبّهة الطقوس، والأناشيد المقدسة، وعندما تفرغ تصير على درجة من الحزن والإيلام ينقبض معها القلب، وتبدو أقرب إلى حُجرة باردة مبنية من الحجارة حيث لا يزال يسوع المسيح يحتضر.

وبلا انقطاع يدخل العرب من بسطاء وأغنياء، ويدخل عتّال الميناء، والقائد السابق، والشريف في البياض الحريري لبرنسه اللامع، كلّهم حفاة، يؤدّون الحركات نفسها، يصلّون لإلهٍ واحد بإيمانٍ واحد، متحمس وبسيط، من دون انقطاع أو شرود».

ودخل ضريحاً يُعبَد من دون الله في الجزائر، وذكر ما رآه ممّا يُدمي قلب كل مؤمن موحّد لله، وأن النساء «لا يلتفتن صوب مكة بل صوب جسد الولي»!

وزار مدينة تونس. ومما ذكره أن اليهودي فيها كأنه في بلاده ووطنه!

ووجد في تونس حيًّا مخصّصاً للدعارة!

وزار القيروان؛ وفيها جامع سيدي الصاحبي؛ حلّاق الرسول!!

وتحدث عن فرق الصوفية المتعددة كالتيجانية والشاذلية والعيسوية، وما عندها من أذكار وأوراد وشعوذات!! وكيف أن المريد يتربّى على الطاعة العمياء للشيخ!!

وهذا بعض ما في هذه الرحلة من فوائد، قيّدتُه في أواخر محرم ١٤٣٧هـ.

١٤٥٤ الطائف قطعة نُقِلَت إلى الحجاز من الشام، ومن أجمل ما رأيتُ فيها:

قال العلامة خير الدين الزركلي (١٣٠٩ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م) في كتابه «ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة» (ص٤٨/ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ٢٠١٤م): إذا جال الشاعر جولته الأولى في الطائف، ورأى ما حول مدينته من ربيع ونبات، وينابيع وجداول، وفواكه وأزهار، وحدائق وبساتين، لم يشك بصدق ما يتلوه في مقدمات تواريخ الفاكهي (عبد القادر المكي، ت٩٨٥هـ، له كتاب «عقود اللطائف في محاسن الطائف») والعجيمي (إمام الحرم، ت١١١٣هـ) والميورقي (أحمد بن علي المالكي، ت٦٧٨هـ، له رسالة «بهج المهج في بعض فضائل الطائف ووج») وأشباههم ممّن نقل هؤلاء عنهم، كياقوت وابن أبي الصيف (مفتي الحرمين، له كتاب «زيارة الطائف»، (ت٦٠٩هـ))، أو نقلوا عن هؤلاء وأولئك، كالقاري (عبد الحفيظ القاري، من علماء الطائف، له رسالة في الطائف كتبها سنة ١٣٠٨هـ) وغيره، إذ يراهم متفقين، ويكادون يتفقون، على أنَّ **الطائف قطعة نُقِلَت إلى الحجاز مِن الشام**، وفيهم مَن يقول مِن اليمن، يستدلّون على هذا بخصبها واختلافها عن غيرها من بقاع الديار الحجازية بطيب هوائها وعذوبة مائها وجمال نضرتها وحسن خضرتها.

... وقد يأخذ الشاعر أخذ المؤرخ الإفرنجي (سيديو)، فيقول معه: «الطائف بستان مكة»!اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: **وأضم صوتي إلى صوت المؤرخين السابقين، في أن الطائف قطعة نُقِلَت إلى الحجاز من الشام، وذلك انطباعي عنها عندما زرتها مع الأخوين الكريمين عبد المحسن وعبد الإله العباسيَّين في أواخر شعبان عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وقد أفادني عبد الإله حفظه الله أنّ ابن أبي حاتم روى في تفسيره عن الزُّهْرِي قال: «إن الله**

نَقَلَ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الشَّامِ فَوَضَعَهَا فِي الطَّائِفِ لِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ».
ونقل أيضاً عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيِّ قَالَ: «بلغني أَنَّ إِبْرَاهِيمَ - ﷺ - لَمَّا دَعَا لِلْحَرَمِ ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] نَقَلَ اللهُ الطَّائِفَ مِنْ فِلَسْطِينَ». وقال المفسّر الواحدي: وذكر المفسّرون أن الله تعالى بعث جبريل إلى الشام حتى اقتلع الطائف من موضع الأردن، ثم طاف بها حول الكعبة، فسُمِّيَت الطائف، ثم أنزلها تهامة، ومنها يجبى إلى مكة الثمرات. انتهى.

قلتُ: ومن أجمل ما في الطائف ـ في رأيي، وللناس فيما يعشقون مذاهب ـ مكتبة ابن عباس التي أسّسها الوالي العثماني **محمد الشرواني** (ت١٢٩١هـ) لمّا تولى الحجاز، وكان عالماً فاضلاً يجيد العربية، **وكان العلماء والرحّالة يوقِفُون الكتب على طلبة العلم بمسجد ابن عباس قبل إنشاء المكتبة بنحو ستة قرون**، وفي عام ١٣١٧هـ بلغ عدد الكتب فيها قرابة عشرة آلاف مجلد، منها نحو ثلاثين نسخة من صحيح البخاري، ثم أُدْخِلَت إلى مكتبة الحرم المكي عام ١٣٤٦هـ، وتحتوي على كثير من المخطوطات النادرة، ثم أُعِيدَ افتتاحها عام ١٣٨٤هـ بجهود الشيخ حسن عرب رَحِمَهُ اللهُ، ولا تزال إلى يومنا هذا.

١٤٥٥ فوائد من كتاب «ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة» للعلامة الزركلي:

قال العلامة خير الدين الزركلي (١٣٠٩ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م) في كتابه ـ وكانت رحلته إلى الحجاز عام ١٩٢٠م ـ:

ص٢٩ ـ أجلت النظر في ذلك البناء المقدس (يقصد الزركلي المسجد الحرام)، فراقني مشهد الطائفين حول قبلة عالم الإسلام؛ ولأَنَّ مرأى الحمائم تزدحم وتقتحم، وتروح وتغدو آمنات كل أذى راتعات في

كل جانب، حرَّم الله صيدها فتوالدت وتكاثرت وأنست بالإنسان، فمنعها الله ميده وشره، وقديماً ضربت العرب أمثالها بأمنها وألفتها فقالت: «**آمن من حمام الحرم**» و«**آلف من حمام الحرم**»، وقال النابغة شاعر الحجاز:

والمؤمن العائذات الطير، يمسحها ... ركبان مكة بين الفيل والسند!

ص٤٤ ـ للشعراء والأدباء لطائف في وصف جبل كرا (في الطائف)، منها قولهم «**صعود كرا يحرم من الكرى**»!

ص٥٩ ـ قال **العجيمي** عن مسجد ابن عباس في الطائف: وقد زادت القبور في المسجد العباسي، وكثرت حتى امتلأ نصف صحنه بها، ولولا نهي الشريف **زيد بن محسن** عن الدفن فيه لتواصل وصار جميعه مقبرة، وكانت صلاة الجمعة تُقام في مسجد في (السلامة) حتى اتفق في أيام هذا الشريف أنْ كثر القادمون على الطائف، فأمر بإقامة الصلاة في المسجد العباسي، وذلك في ٣ جمادى الأولى سنة ١٠٥٤، ثم قال: وكانوا لا يقيمون الجمعة فيه لاعتباره مقبرة لا مسجداً.

ص٦٥ ـ نُقِل لي وأنا في الطائف عن هيكل (**العزى**)، مِن أنه كان محفوظاً هنالك، حتى كانت وقعة الوهابية ومحمد علي باشا، **فعثر الوهابيون عليه فكسروا رأسه**، ومدّدوه في الطريق على باب المسجد العباسي، إلى أنْ زال منذ عهدٍ قريب.

ص٦٨ ـ تهاوُنُ المؤرخين المتقدّمين في الكلام على الطائف أضاع على ابن هذا العصر تراجم كثير من أبنائه في الجاهلية والإسلام، وما بعده إلى يومنا.

ص٨٢ ـ زُرْتُ دائرة البرق والبريد والتلفون في الطائف، فرأيتُ في صدرها الأعلى هذا البيت (لكعب بن سعد من قصيدة):

ولست بمهدٍ للرجال سريرتي ... ولا أنا عن أسرارهم بسؤول!

فأعجبني حسن اختيار هذا البيت لذلك المكان، ولاح لي أن في الدائرة أديباً، ثم عرفت مديرها الشيخ **عثمان بن عبد الرحيم قاضي**، فإذا هو ذلك الأديب.

ص١٠٦ ـ في جملة ما عثرتُ عليه بالطائف من الكتب المخطوطة قطعة من كتاب للعالم المكي المرحوم الشيخ **عثمان الراضي** (**١٢٦٠ ـ ١٣٣١هـ/ ١٨٤٤ ـ ١٩١٣م**)... وضعه في نقد «الرحلة الحجازية» **لمحمد لبيب بك البتنوني** (مؤرخ ورحّالة مصري، ت **١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م**، واسمها الكامل «الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر»)، (وهي لم تتجاوز ثلث كتاب الرحلة)، وقد توفي الشيخ عثمان قبل أن ينجز هذا الكتاب، فرأيتُ أنْ أُلخِّص ما أصبته منه حرصاً على مادته من الضياع والانتشار...

ص١٠٩ ـ جاء في الرحلة (ص٥٤) من الأولى و(٤٢) من الثانية: «والذي يُؤسَف له أنَّ هذا الخلط وصل إلى لغتهم... إلخ». قال **الراضي**: إنّ ما عابَ به صاحبُ الرحلة المكّيين مِن نطقهم ببعض الكلمات على غير أصلها الصحيح الفصيح، لا تنفرد فيه مكة بل هو شائع في أكثر لهجات البلاد العربية؛ ومصر في جملتها. اهـ.

ثم بحث الشيخ **عثمان راضي** في كلمات ظنَّها **البتنوني** صاحب الرحلة خطأً وعَدَّها ممّا أوجب أسفه، فأبان الراضي تسلسلها عن العربية الفصحى؛ كقولهم (أبيض) للاستحسان ـ مجازاً ـ، و(زل) بمعنى مرّ، و(زَلمه) للرجل، و(أزهم فلاناً)؛ أي: أدعه، و(أندر)؛ أي: أخرج، و(الصمادة) للكوفية، إلخ.

ص١١٠ ـ في الرحلة (ص٨٦) من الأولى و(٩٩) من الثانية: «الحنفي يبتدئ بالصلاة في جميع الأوقات، ويتلوه المالكي، ثم الشافعي، ثم الحنبلي». قال **الراضي**: هذا غير صحيح، وإنما الأوقات

التي يبتدئ فيها الحنفي بالصلاة أربعة: الظهر والعصر والمغرب والعِشاء، ويتلوه في كلّها الشافعي لا المالكي، ثم يصلي المالكي، ثم الحنبلي. أما وقت الصبح فيبتدئ فيه الشافعي، ويتلوه المالكي، ثم الحنبلي، ويتأخر الحنفي في الصبح عن الجميع للإسفار، والمغرب لا يصلّي فيه غير الحنفي ثم الشافعي فقط، وهذه العادة بمكة منذ مئتي سنة، وقد كان الشافعي في السابق يتقدم في الأوقات كلّها.

قال أبو معاوية البيروتي: قول عثمان راضي «**وهذه العادة بمكة منذ مئتي سنة**» **غير صحيح**؛ لأن د. **صالح معتوق** بحث هذه المسألة في كتابه «علم الحديث في مكة المكرمة»، ورجّح أن بداية حدوث هذه المقامات كانت بين سنة ٤٤٢ و٤٩٧هـ؛ لأن ناصر خسرو عندما حجَّ سنة ٤٤٢هـ لم يذكر هذه المقامات، وذكر الفاسي في «شفاء الغرام» أن مقامات الحنفية والمالكية والزيدية كانت موجودة في سنة ٤٩٧هـ.

ص١٢٤ ـ (عندما حاصر العربُ في شعبان عام ١٣٣٤هـ الجنودَ الأتراك في قلعة أجياد بمكة)، لم يكن قادة الجند التركي جاهلين بأوقات وجود الشريف حسين في القصر، **فكانوا ضحى كلَّ يوم يُطلِقون على غرفته قنبلة خاصة**، ثم يوجّهون قذائفهم إلى بقية القصر والبلدة، وأخبرني ثقة أنَّ الشريف حسين كان إذا تأخرت القنبلة عن ميعادها وهو جالس في (المخلوان) يتساءل أمام مَن حوله: **عجباً ما لهؤلاء القوم قد أبطئوا اليوم؟ ألا يزالون نائمين!!**

ص١٤٩ ـ سألتُ بعض العارفين بأخبار القبائل عن شجع عتيبة وثقيف اليوم، فقالوا: **ضاعت الشجاعة بعد وجود البندق!** (قال البيروتي: وصدقوا!).

ص١٥٥ ـ **رأيتُ البدو يبالغون في العري أحياناً** فظننت ذلك بادئ الأمر لشدّة الحرّ في البادية، ثم علمتُ من خبرهم عجباً! **يعتقد ابن**

البادية أنّ الرصاص لا يقتله إذا دخل جسمه؛ لأن أطباءهم يخرجون الرمية من الأضلاع بمهارة اعتادوها تتحملها أجسامهم، ويرى أن الرصاصة إذا أصابته وكان عليه ثوب أدخلت معها قطعة من ثوبه في جسده، فإذا أخرجت البندقية بقيت القطعة الملتهبة من الثوب فتتعفن وتمرضه ثم تقتله، فلهذا يفضّلون العري إذا رحلوا محتاطين لقتال ينشب بينهم وبين أحد في سبيلهم. أما إذا أرادوا اقتحام المعركة فإنهم يتجردون من القميص ويستتر أكثرهم بقطعة ضيقة من القماش يربط بها وسطه ويضع فيها مقداراً يسيراً من الأرز، حتى إذا طال أمد القتال واشتد جوعه أخرج شيئاً منه وهو وراء مترسه فيأكله نيئاً ويطحنه بأضراسه.

ص١٦٠ ـ كان قدماء العرب يقولون للعاثر: لعاً! وأهل مصر يقولون: يا ساتر! وأهل الشام يقولون: الله! وأما في الحجاز فقد أعجبني قولهم للعاثر: سلمت!

ص١٨٦ ـ اضطرب الهاتف (التلفون) في دائرة مدير الرسومات ونحن عنده، وقد أرسلنا الجوازين مع أحد رجالنا، فأخذ السماعة وهو يقول: «خير»، بدلاً من كلمة «آلو» التي لم أسمعها في الحجاز قط! (انظر «الكناشة» (٢٥٢)).

١٤٥٦ من مناقب خلفاء بني أمية رحمهم اللَّه:

قال العلّامة المؤرخ **المقريزي** (ت٨٤٥هـ) في كتاب «المُقَفّى الكبير» (٢/ ١٢٥/ ط. الغرب الإسلامي): كانت عادة خلفاء بني أمية إذا أتتهم جباية الأمصار إلى الشام، أتى معها رجالٌ من خيار تلك الأجناد والأمصار يحلفون بالله: ما فيها درهمٌ إلّا أُخِذَ بحقّه، وأنّه فَضَلَ عن أعطيات ذلك البلد من المقاتلة والذرية بعد أخذ كلّ ذي حقٍّ حقَّه. فإذا حلفوا أُدْخِلَ ذلك المال إلى بيت المال.

فأتى وفدُ إفريقية بخراجها بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس في

زمن **سليمان بن عبد الملك** (حكم ٩٦ ـ ٩٨هـ)، فحَلَف قومٌ من الوفد ونَكلَ **إسماعيل بن عبيد الله** (ت١٠٧هـ)، ونَكَل بنكوله **السمح بن مالك الخولاني**، وقالا: لا نحلف لأنه أُخِذَ على الظلم والغشم! فأمر سليمان بن عبد الملك بردّ المال.

قال أبو معاوية البيروتي: انظر منقبة أخرى في «كناشة البيروتي» (٩٩٠)، وثالثة في «الأحكام الكبير» للحافظ ابن كثير.

١٤٥٧ أول من أطلق صفة «الخضراء» على «أفريقيا»؟

سُئِلَ الشيخ الرحّالة **محمد بن ناصر العبودي** حفظه الله في حوار مع «جريدة الجزيرة»: هل أنت أول من أطلق صفة «الخضراء» على «أفريقيا»؟

فأجاب: نعم.. وأذكر أن فضيلة الشيخ عمر محمد فلاتة الذي تولى الأمانة العامة للجامعة الإسلامية من بعدي ـ وكان مديراً لدار الحديث بالمدينة المنورة ـ قال لي: يا أخي، الناس يقولون عن أفريقية إنها سوداء وأنت تخالفهم وتقول: أفريقية خضراء! وفي كتاب آخر أسميته «جولة في جزائر البحر الزنجي»، وأنا أستنكر من يسمي الزنج ويخلط بينهم وبين السود، فالزنجي ـ عند العرب ـ ليس الأسود، وإنما الزنوج طائفة من الناس عاشت في شرق أفريقيا في مناطق «مومبسا» و«زنجبار».

فسُئِل: إذن لِمَ سميتها الخضراء؟

فأجاب: سمَّيتُ أفريقية الخضراء استناداً إلى اللهجة العامية عندنا بمنطقة القصيم التي أعرفها، حيث نَصِفُ فلاناً بأنه «خضر»؛ أي: نصف أسود، أضف إلى ذلك ما رأيته في بلدانهم من خضرة. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وصرّح العبودي أنّ ما لم يزرُه ٢ ٪ من

بلدان العالم، وألّف قرابة ١٦٠ كتاباً عن رحلاته، طَبَع منها مئة كتاب على نفقته الخاصة، وبقي ستون كتاباً جاهزاً للطبع! هذا عدا عن مؤلفاته في مواضيع أخرى! فيا لها من همّة عالية.

١٤٥٨ بطلان ظاهرة ادعاء الشرف من جهة الأم:

هذه بلوى عظيمة، وقول حادث، شاع في القرون المتأخرة، وأشهر ذيوعه كان في القرن السابع الهجري في المغرب العربي، ثم شاع في الشام في القرن الحادي عشر فما بعده، وصنَّف بعض علماء تلك البلاد مصنفات مفردة في إبطاله.

وقد حذر العلامة **خير الدين أحمد الرملي الفلسطيني الحنفي** (ت١٠٨١هـ) من ظاهرة ادعاء الشرف من جهة الأم في الشام، واعتبرها من الظواهر الفاحشة في زمانه، وأن الناس تركت أنسابها الحقيقية الأصيلة إلى أنساب علوية من طريق الأم، لأجل المكاسب المادية التي تخصِّصها الدولة العثمانية للأشراف، ورفع الغرامات عنه لسيادته وشرفه كما تقدم بيانه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الفوز والغنم في مسألة الشرف بالأم» (ص١٠): «وقد كثر في زماننا وفحش في كل البلاد ولزم اختلاط الأطراف بالأشراف، حتى رأينا في بلدتنا كثير، فمن يضع العلامة بسبب تزوج أبيه قرشيَّة لكثرة ماله أو جاهه عند الحكّام، فلا يفرق بينه وبين من كان متأصلاً عريقاً في النسب، فترفع عنه بسبب ذلك التكاليف العرفية والغرامات السلطانية، وتطرح على غيره زيادة على ما عليه، لئلا تنقص عما هو المطلوب، فاشتد اجتهاد الناس في تحصيل ذلك بصرف الأموال فيه والاجتهاد في تحصيله من كل أحد لما ينتج من المعافات والراحات، وطرح غراماته على أهل بلده وجيرانه ومساويه من إخوانه، فغرم ضعف الغارمين وسلامته من كان في جملة المكلفين، ووقع الضرر والضرار، وتأذى بذلك الأخ المسلم والغريب والجار».

• أفادني بها شيخي إبراهيم الهاشمي الأمير حفظه الله.

١٤٥٩ مقتطفات عن بيروت منذ مئة سنة من كتاب «رزق الله عهيديك الأيام يا راس بيروت»:

الكتاب (ط. ١٩٨٦م) لكمال جرجي ربيز، وهو مختار منطقة راس بيروت، وقد جمعه من شهادات السكان كبار السن، وهاكم مقتطفات منه:

- وصلت أول سيارة إلى الضبيّه في لبنان سنة ١٩٠٥م، فقالوا عنها أنها مسكونة، ويسيّرها الشيطان!

- السيارات لم تظهر في بيروت إلا في سنة ١٩١٣م، كان الناس عند سماع هديرها يهربون ويعلو صراخ الخوف!

- يقول رجل وُلِدَ سنة ١٩٠٠م: حين ولادتي لم يكن هناك من أطباء مولّدين، بل كان هناك دايات قابلات بدون شهادة لديهنّ الخبرة بالممارسة، وكان يأتي الحمّالون بكرسي التوليد وتجلس عليها النِفْسَة الحامل، والداية تلتقط الطفل من أسفل الكرسي المجوّف.

- قبل سنة ١٩١٦م، مرّت بيروت بمجاعة، فكانت النساء يذهبن بسكة الحديد إلى الشام للحصول على كيس من الطحين، وكانت السفرة تستغرق ٩ ساعات!

- سنة ١٩١٢م، ضرب الأسطول الإيطالي البارجة التركية عون الله فأغرقوها وهي كانت داخل الميناء، كما أنهم أغرقوا طرّاداً (كان راسياً) بقربها، عندها تحرّكت حميّة شباب بيروت فهبّوا للدفاع عن كرامة بيروت ظنًّا منهم بأن الطليان سوف يحتلّونها، فنزل الشباب، كلٌّ معه سلاحه الفردي، إلّا أن الأسطول الإيطالي رماهم بالقذائف فمات منهم نحو مئة رجل وجُرِح كثيرون.

ـ من أسرار بحر بيروت: البحر يعلو من الساعة ١١:٤٦ حتى الساعة ١٢:٣٠ ليلاً بمقدار المتر تقريباً؛ هذه حسابات قَلَّ من يعرفها.

ـ أثلجت (أي: نزل الثلج) في بيروت سنة ١٩٢٠م، فكان ذلك حدثاً مهمًّا، حتى صار يُقال: فلان وُلِدَ يوم الثلجة وآخر سافر سنة الثلجة.

* * *




باب
التراجم والمناقب وعلم الرجال

١٤٦٠ حول منهج إمام المؤرخين في عصرنا العلّامة الزِّرِكْلِي في التاريخ والتراجم:

هذه أقوال انتقيتها من مقالة الأستاذ نزار **أباظة** «مشكلات الكتابة في تراجم الأعلام المعاصرين (الزِّرِكْلِي نموذجاً)» تتكلّم عن منهجه في التأريخ:

ـ قال الأستاذ نزار أباظة: الزِّرِكْلِي صاحب مدرسة في كتابة التَّراجِم، ولعل كلَّ من جاء بعده يكون عالَة عليه؛ فقد وضع أسساً صحيحة، ونقاطاً هامَّة في تدوين الترجمة، يَعرفها كلُّ مَن وقَف على كتابه، فيَعرف فيه دِقَّته في ضَبْط الأسماء وفي التَّواريخ، وأمانته في المعلومة، وإحاطته في الخبر، وحكمه على الرجال الحُكْم الصحيح، بعيداً عن الهوى، مُلتزِماً المنهج العلمي المحايد.

ـ حدَّثني صديقي الأستاذ محمود الأرناؤوط نقلاً عن الشاعر محمد سليم الزِّرِكْلِي، قال له: «قلتُ لخير الدين: كيف تكتب عن أشخاص أساؤوا لك وتُثني عليهم؟ فقال لي: يا سليم، هؤلاء أساؤوا إليَّ ولم يُسيئوا إلى التاريخ، فيجب أن يأخذوا حقَّهم».

ـ قال الزِّرِكْلِي في مقدمة «الأعلام» الطبعة الأولى: «جعلت ميزان الاختيار أن يكون لصاحب الترجمة عِلمٌ تشهد به تصانيفه، أو خِلافة، أو مُلْك، أو إمارة، أو منصب رفيع؛ كوزارة أو قضاء كان له فيه أثر بارز،

أو رياسة مذهب، أو فنٌّ تميَّز به، أو أثر في العمران يُذكَر له، أو شعر، أو مكانة يتردَّد بها اسمه، أو رواية كثيرة، أو أن يكون أصْلَ نَسَب، أو مَضرِب مَثَلٍ»، ثم قال: «وضابطُ ذلك كله أن يكون ممن يتردَّد ذِكرُهم، ويُسأل عنهم».

- قال الزِّرِكْلِي في مقدمة «الأعلام» الطبعة الأولى: «لم أتعرَّض للأحياء من المعاصرين مَخافة الوقوع فيما لا أحمد».

- أختم نقلي بمنقبة للزِّرِكْلِي تذكرنا بمقولة الإمام أحمد عندما سُئِلَ «إلى متى تطلب العلم؟ فأجاب الإمام: من المحبرة إلى المقبرة!» فقد ذكر الأستاذ أباظة أنّه عندما مات الزِّرِكْلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، فلمّا حملوه وجدوا في المستشفى تحت وسادته أوراقاً لأعلام راحلين لم يُسْعفه أجلُه أن يُلحِق سيرَهم في كتابه.

١٤٦١ مناهج ترتيب كتب التراجم:

قال د. **أحمد السعيدي** في مقدمة تحقيقه لكتاب «مُترعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس» (ص٨٦/ ط. دار الكتب العلمية): يختلف صانعو التراجم والطبقات في مناهج ترتيب تراجمهم، يقول عبد الله الترغي: (واختلاف طبقات هذه التراجم، وتنوع القواسم المشتركة بين رجالها، والموجبة لذكرها، قد جعل من هذه المصنفات أشكالاً متعددة وتآليف متنوعة من التراجم وكتب الرجال، تتنوع طبقاتها وتتفاوت تراجمها، لتنتج أعمالاً من كتب التراجم). وهذه بعض كتب التراجم التي اعتمدت الترتيب:

- **الهجائي** (حروف الهجاء): مثل «التاريخ الكبير» للبخاري، وكتاب «المجروحين» لابن حبّان.

- **الزماني**: مثل «دوحة الناشر لمحاسن مَن كان بالمغرب من أهل

القرن العاشر» لابن عسكر الشفشاوني (ت٩٨٦هـ)، و«التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار وأعيان المئة الحادية والثانية عشر» لمحمد بن الطيب القادري (ت١١٨٧هـ).

ـ **المكاني**: مثل «جذوة الاقتباس في ذكر مَن حَلَّ من الأعلام مدينة فاس» لأحمد ابن القاضي (ت١٠٢٥هـ)، و«الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة» لمحمد المكي الناصري (كان حيًّا عام ١١٦٨هـ).

ـ **الاسمي**: مثل «المحمدون من الشعراء وأشعارهم» للقفطي (ت٦٤٦هـ).

ـ **المعرفي**: مثل «طبقات فحول الشعراء» للجمحي (ت٢٣١هـ)، و«طبقات النحويين واللغويين» لأبي بكر محمد الزبيدي (ت٣٧٩هـ).

ـ **المِهْني**: مثل «أخبار القضاة» لمحمد بن خلف وكيع (ت٣٠٦هـ)، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ).

ـ **الوصفي**: مثل «المعمّرون والوصايا» لأبي حاتم السجستاني (ت٢٤٨هـ)، و«البرصان والعرجان والعميان والحولان» للجاحظ (ت٢٥٥هـ).

ـ **الانتمائي**: مثل «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة» لعز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، و«الديباج المُذْهب في أعيان علماء المَذْهب» لابن فرحون المالكي (ت٧٩٩هـ).

١٤٦٢ نقد الحافظ ابن حجر لنسب العلامة الفيروزآبادي

قال الحافظ **ابن حجر** في ترجمته لشيخه الفيروزآبادي في «انباء الغمر» (١٥٩/٧): محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، الشيرازي الشيخ العلامة مجد الدين، أبو الطاهر الفيروزآبادي، كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه، ويذكر أن بعد عمر

أبا بكر بن أحمد بن أحمد ابن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق، ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين إلى أن أبا إسحاق لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة فادعى بعد أن ولي قضاء اليمن بمدة طويلة أنه من ذرية أبي بكر الصديق! وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه محمد الصديقي، ولم يكن مدفوعاً عن معرفة إلا أن النفس تأبى قبول ذلك.

١٤٦٣ إسلام صاحب جريدة «الحمراء» الشاعر اللبناني إلياس طعمة:

قد يعرف الكثير العلامة اللبناني اللغوي **أحمد فارس الشدياق** (١٢١٩ ـ ١٣٠٤هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٨٨٧م) الذي كان نصرانيًّا مارونيًّا، وبرع في اللغة العربية وصنّف فيها كتباً لغوية هامة، وأنشأ جريدة «الجوائب»، وقد أنار الله قلبه فأسلم بعد بلوغه الخمسين من العمر، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وغيره الكثير ممّن أنار الحق قلوبهم فأسلموا، ومن هؤلاء:

إلياس بن عبد الله بن إلياس طعمة، المعروف بأبي الفضل الوليد اللبناني (١٣٠٧ ـ ١٣٦٠هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٩٤١م): شاعر، من أدباء لبنان في أميركا، ولد سنة ١٨٨٩م في قرية الحمراء، ونشأ بها نصرانيًّا مارونيًّا، وتخرّج من مدرسة نصرانية كهنوتية، وتعلم في مدرسة القرية ومدرسة عينطورة والحكمة في بيروت، وأتقن اللغة العربية والفرنسية، وفي سنة ١٩٠٨م سافر إلى أميركا وزار عدة دول، ثم استقر في البرازيل وأقام في ريو دي جانيرو ١٢ سنة، وفي سنة ١٩١٣م اشتغل بالصحافة والتحرير وأنشأ جريدة «الحمراء»، وفي سنة ١٩١٦م هداه الله إلى الإسلام، فشهد شهادة الحق وغَيَّر اسمه رسميًّا في سجلات حكومة البرازيل وأصبح اسمه أبو الفضل الوليد، وقال: «إذا لم تكن عروبة إلا بالإسلام فإنني عربي مسلم مؤمن، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وكان من المشتغلين بالعلم والأدب، ونظم الشعر، ومن أعلام

الأدب والفكر في عصره، له عدد من المؤلفات المطبوعة، توفي سنة ١٣٦٠هـ/ شهر نيسان ١٩٤١م، ولم يشعر بموته إلا الأقلون من خلصائه، ولم يهتم بالكتابة عنه غير جريدة الصفاء. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: لخّصت ترجمته من كتاب «الأعلام الشرقية» (٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٥)، والعجيب أن العلامة الزركلي ترجم له في كتابه «الأعلام» (٢/ ١٠) لكنه لم يذكر خبر إسلامه! فلعله لم يقف عليه.

١٤٦٤ من عدل أمير الحسا عبد اللّٰه ابن اجْلوي: إقامته الحد على ابنه:

تحدّث **أمين الريحاني** (١٢٩٣ ـ ١٣٥٩هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٤٠م) في كتابه «ملوك العرب» عن عدل أمراء السلطان عبد العزيز آل سعود، وذكر خاصة **عبد الله ابن اجْلوي** (ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) أمير الحسا وابن عم السلطان عبد العزيز، ووصفه بأنه من أشدِّهم تعصّباً للعدل، عدله عدل عمر وقسوته قسوة البدو، وقال الريحاني: إن اسم عبد الله ليرعب الناس اليوم ويروّع منهم المجرمين، إن له صدى يقوم مقام الشرع في كل الأحساء، من أطراف القطيف شمالاً إلى وادي جبرين جنوباً، إنه ليخيف أكبر البدو وأكثرهم استهتاراً، بل هو اسم تخَوِّف الأمّهات به أطفالها!

ثم ذكر حادثة إقامته الحد على ابنه فقال: جاء عبدَ الله رجلٌ يشكو ولداً ضَرَبَه وشَتَمه، فسأل الأمير عبدُ الله: من الولد؟

فقال الرجل: لا أعرفه.

فقال عبد الله: وهل تعرفه إذا عاينته؟

فأجاب الرجل بالإيجاب، فأمر الأمير أن تُجمَع عنده أولاد ذاك الحي من البلد، فأحضروهم كلهم، وجاء الشاكي فنظر إليهم وأشار إلى غريمه، فهمس أحد الحضور في أذنه: هو ابن الأمير.

فجمجم الرجل بعض الكلمات أراد بها الاعتذار والعدول، فردَّه

الأمير، وسأل الولد فأقَرَّ بذنبه، فأمر العبيد أن يبسطوه أمامه وأن يقدِّموا للشاكي عسيباً أخضر من النخل، فتردّد العبيد وأحجم الرجل، فأخذ الأمير القضيب بيده وشرع يضرب ابنه ويقول: «إذا كنّا لا نبدأ بأنفسنا فكيف نعدل في غيرنا؟!»

فائدة: قال الزركلي في ترجمة ابن جلوي في «الأعلام»: واسم أبيه (جلوي) مشتق من (الجلاء)، وكان قد ولد أيام جلاء آل سعود عن الرياض، فسُمِّي بذلك. وبدو نجد ينطقونه بسكون الجيم وكسر اللام والواو.

١٤٦٥ من أقوال الشيخ محمد نصيف (١٣٠٢ ـ ١٣٩١هـ) في رجال عصره:

قال الشيخ **زهير الشاويش** (ت١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) رَحِمَهُ اللَّهُ في «محمد نصيف، ذكريات لا تنسى» (ص٢٦/ ط. المكتب الإسلامي): كم كنتُ أتمنى لو كانت الظروف تسمح بقولِ كُلِّ ما سمعتُ منه ونشرهِ، فقد سجّلتُ الكثيرَ عنه، أو كتب به إليَّ! ولكن أكتفي بذكر كلمات فيها الدلالة على ذلك، منها:

ـ الشيخ محمد بهجة البيطار: بهجة الشام.

ـ الشيخ محمد رشيد رضا: ثابتٌ في العلم، متقلّبٌ في السياسة، والصغار والكبار، والقضايا عنده في منزلة واحدة.

ـ الدكتور مصطفى السباعي: يطيعُ من كانَ عليهم أن يُطيعوه!

ـ الأستاذ عصام العطار: أرقُّ من النسيم، وأعفُّ مِن أنْ يُخاصم أحداً.

ـ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم: مَلِكُ آل الشيخ.

ـ الشيخ عبد الله القلقيلي: سهلُ الدخول، صعبُ الخروج.

ـ الشيخ كامل القصّاب: حَفِظَ قروشَ الدولة الهاشمية، ثم الدولة السعودية، فبُدِّدَت من بعده.

ـ الشيخ محمد بن إبراهيم: جبلُ علمٍ، يُخيفُ مَن حوله.

ـ الشيخ عبد العزيز بن باز: عالمٌ عارفٌ بزمانه وعصره.

ـ الإمام يحيى حميد الدين: رقمٌ عَجِزَ الغربُ عن حَلِّه وفهمه.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول عن بعض العلماء: كَثُرَ علمهم، وقَلَّ عقلهم، فضاع علمهم، وبقي في الناس شرُّ تصرّفاتهم!! وسفاهة ألفاظهم!! أعاذنا الله منهم.

١٤٦٦ من طوام أمير عربستان (الأهواز) خزعل خان الرافضي (١٢٧٩ ـ ١٣٥٥هـ/ ١٨٦٢ ـ ١٩٣٦م):

قال الأديب اللبناني النصراني **أمين الريحاني** (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠م) في كتابه «ملوك العرب» ـ وهو يتحدث عن زيارته لأمير عربستان خزعل خان الرافضي ـ: من أجمل أزاهر الكرم في هذا العربي تساهله ـ وهو شيعي المذهب ـ، فهو يساعد في بناء كنيسة في بلاده لمنكوبي الكلدان، ويساعد في تأسيس محفل للماسون، ويفتح خزانته لراقصة أو مغنية، كما يفتحها لأولي البرّ والإحسان من الطوائف كلّها جمعاء. وهو على مقامه، بل بالرغم من مقامه يميل دائماً إلى ما فيه لهو أو تسلية أو فكاهة. فإذا انتابه الضجر في القصر، وكان قصر الضيافة فارغاً، ولم يكن ليرغب في زيارة البصرة ليشرف طاولة (البوكر) فيها. . .

والشيخ خزعل من أمراء العرب المحافظين على تقاليد الأجداد في التعريس، ولا سيّما أن شريعة المتعة عند الشيعة تساعده في ذلك، فقد قيل لي أنّ له أكثر من ستين امرأة، وأنّه قلّما يعرف أولادهن، كثيراً ما يجيئه أحد أولئك الصغار فيسأله قائلاً: ومن هي أمك يا وليد؟ ثمّ إذا ناوأه أحد مشايخ القبائل وهَمَّ بالخروج عليه، وكانت له بنت صالحة للنكاح، يزوره السردار أقدس ويشرّفه بالمصاهرة، فتخمد فيه في الحال جذوة التمرد والعصيان!

١٤٦٧ التنبيه على وهم منتشر: العلامة ابن طولون الدمشقي لم يكن من العلماء العزّاب:

في كتاب «متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران» تأليف العلامة **شمس الدين محمد ابن طولون** (٨٨٠ ـ ٩٥٣هـ) انتقاء ابن الملا، المطبوع بعناية الأستاذ **صلاح الدين الموصلي**. في هذا الكتاب يورد ابن طولون تراجم لثلاثة من أولاده وهم:

١ ـ **ست العلماء خديجة** ابنة الشمس ابن طولون:

ولدت في ربيع الثاني سنة ٩١٥هـ، وتوفيت في ذي القعدة سنة ٩٢٠هـ بالطاعون، أجاز لها الخطيب سراج الدين ابن الصيرفي وجماعة. (متعة الأذهان ٢/ ٨٧٠).

٢ ـ **عائشة** ابنة الشمس ابن طولون:

ولدت ثالث عشري ربيع الأول سنة ٩٢٦هـ وأجاز لها كثيرون. توفيت يوم الأربعاء سنة ثلاث وأربعين وتسع مئة. (متعة الأذهان ٢/ ٨٧٦).

٣ ـ **عثمان** ابن الشمس ابن طولون:

ولد في رابع جمادى الأولى سنة ٩٣١هـ، توفي في تاسع ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وتسع مئة. قرأ جانباً من القرآن العظيم، وأخذ في الكتابة، وأجاز له خلق. (متعة الأذهان ١/ ٤٩٢).

وذكر الأستاذ **صلاح الدين الموصلي** في مقدمة تحقيقه لكتاب «متعة الأذهان» (١/ ٢٧) أن ابن طولون تزوج ابنة العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن عون الشاغوري الحنفي المتوفى سنة ٩١٦هـ (له ترجمة في الكواكب السائرة ١/ ١٠١). ولم يذكر الموصلي مصدراً لزواجه من ابنة عون.

هذا ولم تذكر المصادر التي ترجمت لابن طولون عن حياته

الزوجية قديماً وحديثاً حتى صدر كتاب «متعة الأذهان» وفيه ذكر لأولاده، ولذلك فإنّ الذين ترجموا لابن طولون من المحدِّثين ذكروا أنه لم يعقب، ولهذا فقد أورد شيخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ترجمة له في كتابه «العلماء العزاب»، ولبيان حقيقة الأمر ذكرت ما تقدَّم من أن ابن طولون تزوج وأنجب ثلاثة أولاد، ولكنه عندما توفي لم يترك ولداً ولا زوجة.

• كتبه د. محمد مطيع الحافظ، ونُشِر في موقع «الألوكة».

١٤٦٨ من مناقب الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي (ت٥٧٧هـ)

قال **ابن العديم** (ت٦٦٠هـ) في «بغية الطلب»: مرض الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بالقولنج في تاسع شهر رجب من سنة سبع وسبعين (أي: وخمس مئة)، فأخبرني قاضي القضاة (قال البيروتي: لا يصح هذا اللقب! انظر «الكناشة» (٤٧)) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال: في ثالث وعشرين من رجب أغلق باب القلعة لشدة مرضه واستدعي الأمراء وأخذ واحد واحد واستحلفوا لعز الدين مسعود صاحب الموصل.

قال: وفي خامس وعشرين منه توفي رحمه الله، وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس، وكان الملك الصالح رحمه الله قد رُبِّيَ أحسن تربية، وكان دَيِّناً عفيفاً ورعاً كريماً محبوباً إلى قلوب الرعية لعدله وحسن طريقته ولين جانبه لهم.

قال لي والدي رحمه الله إن اليوم الذي مات فيه انقلبت المدينة بالبكاء والضجيج ولم ير إلا باكٍ عليه مصاب به. قال لي: ودُفِنَ بقلعة حلب...

وكان رحمه الله على صغر سنه كثير الاتِّباع للسنة والنظر في العواقب،

وأخبرني والدي قال: حكى لي العفيف بن سكرة اليهودي الطبيب ـ وكان يتولى معالجة الملك الصالح في مرضه الذي مات فيه، وكان به قولنج ـ قال: قلت له يوماً: يا مولانا والله شفاؤك في قدح من خمر، وأنا أحمله إليك سرًّا ولا تعلم به والدتك ولا اللالا ولا شاذ بخت، فقال لي: يا حكيم كنت أظنك عاقلاً! نبينا ﷺ يقول: «**إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها**»، وتقول لي أنت هذا؟! وما يؤمنني أن أشربه وأموت وألقى الله تعالى وهو في جوفي؟! والله لو جاءني جبريل وقال لي شفاؤك فيه لما شربته! وتوفي وله نحو من ثمانية عشر سنة.

١٤٦٩ وهم متكرر في ترجمة عالم القراءات طاهر بن عرب بن إبراهيم أبي الحسين الأصبهاني

ترجمت له سلمى بنت محمد **ابن الجزري** في كتاب والدها «غاية النهاية في طبقات القراء» فقالت: الإمام الفاضل العالم المحقق المدقق المجود المرتل المقرئ الكامل المجيد المفيد أستاذ القراء وصفوة العلماء نخبة المحققين عمدة المقرئين فخر الدين أبو الحسين الأصبهاني، أدام الله النفع به ووصل أسباب شهرة علم القرآن بسببه، وُلِد فيما أخبر في سابع محرم سنة ست وثمانين وسبع مئة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين تقريباً، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وطاف البلاد وساح في الأغوار والأنجاد حتى برع في فنون من العلم سيما العربية، ثم أخذ القراءات عن شيخي ومخدومي **والدي** وقرأ عليه ختام كاملات الأولى جمع فيها القراءات العشر حسب ما تضمنه واشتمل عليه كتب الوالد النشر ومختصره التقريب ومنظمته الأرجوزة المسماة بطيبة النشر، وما وافق ذلك من الكتب المطولات قراءة صحيحة مجودة مرتلة مشتملة على جميع الأوجه والطرق الصحيحة التي اختارها الوالد... (والترجمة طويلة حذفتُ جزءاً منها للاختصار).

وقد شهد الوالد بأنه في هذا العلم المبارك لا يداني ولا يشارك، وقرأ على الوالد جميع كتاب النشر وتقريبه وغير ذلك من تصانيفه، وعرض عليه من حفظه كتاب «طيبة النشر» من غير توقف ولا تلعثم، وسمع منه غير ذلك من الأحاديث المسلسلات والعشاريات وقرأ عليه أكثر صحيح البخاري وأنا حاضرة وبيدي كتاب الوالد، وسمع منه بعضه قبل ذلك بأصبهان سنة ثمان وثمان مئة ونظم قصيدة في قراءات العشر على وزن الشاطبية ورويها، استحسنها الوالد وطالعها وسماها بالطاهرة، وقصيدة في اختلاف الآيات سماها نظم الجواهر على وزن الشاطبية أيضاً، لكن رويها الراء أتى فيها ببدائع، وقرّره الوالد أن يجلس مكانه بدار القرآن التي أنشأها داخل مدينة شيراز وأن يكون خليفته بها قائماً مقامه غاب الوالد أو حضر، فاجتمع عليه الناس ورحل إليه من البلاد. وكتبته سلمى بنت المؤلف. اهـ.

وقد جاء في الترجمة: «وُلِدَ فيما أخبر في سابع محرم سنة ست وثمانين وسبع مئة»، وجاء أيضاً: «وسمع منه بعض «صحيح البخاري» قبل ذلك بأصبهان سنة ثمان وثمان مئة»، ولم تذكر سلمى سنة وفاته التي يظهر كانت بعد وفاة والدها سنة ٨٣٣هـ؛ لأن ابن الجزري ترجم لابنته سلمى في كتابه وذكر أنها «حفظت القرآن وعرضته حفظاً بالقراءات العشر، وأكملته في الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وثمان مئة قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع وجوه القراءات».

فالعجب أن يَهِمَ **مصطفى حاجي خليفة** عند ذكره لثلاثة كتب لطاهر بن عرب في «كشف الظنون» ويذكر في ثلاثتها أن وفاته كانت سنة ٧٨٦هـ!! وتبعه على هذا الوهم **إسماعيل الباباني** في «هدية العارفين» **والزركلي** في «الأعلام» (٣/ ٢٢٢)، وحتى رأيت على الشبكة بعض الباحثين يهِمون ويكتبون وفاته سنة ٧٨٦هـ! ولم أرَ مَن نَبَّه إلى هذا الوهم، والحمد لله على توفيقه.

١٤٧٠ التعريف بآل الأديب اللبناني أبي محمد مارون عبود (١٨٨٦ ـ ١٩٦٢م):

ولد **مارون** ابن **حَنَّا** (ت١٩٣٤م) ابن الخوري **عبد الأحد** آل عبُّود في ٩ شباط ١٨٨٦م (يوم عيد مار مارون، فسُمِّي باسم أبي الطائفة) في قرية **عين كفاع** (إحدى قرى جبيل)، وتوفي في ٣ حزيران **١٩٦٢**م في منزله **بالكسليك**، تزوج **نظيرة عبود** عام ١٩٢١م، وتوفيت عام **١٩٢٩**م، وأنجب منها:

١ ـ ابنته التي سَمّاها **فاطمة** (وينادونها **كاترين** على اسم جدّتها) عام ١٩٢٢م، تزوجت **بطرس شهوان** وأنجبت منه أولاد.

٢ ـ ابنه **نديم** (قاضي) (١٩٢٤ ـ ٢٠٠٤م)، توفي الأربعاء ٢٥ شباط ٢٠٠٤م، وكان الرئيس الأول شرفاً لمحكمة الاستئناف، زوجته **جانيت صليبا**، توفيت الاثنين **٢٣** نيسان **٢٠١٢**م، أولادهما: القاضي **سهيل** وزوجته ريتا خليل، الإعلامي **وليد** وزوجته ماريز خليفة، المحامي **زياد** وزوجته ميرنا بشارة.

٣ ـ ابنه الأوسط **محمد** (١٩٢٦ ـ ٢٠١٠م)، زارته **ضحى شمس** في بيته في قرية عين كفاع عام **١٩٩٧**م، فرأته فلّاحاً في نهاية الكهولة، منصرفاً إلى العناية بالبستان المحيط بمنزل والده، وكان شديد الشبه بوالده مارون، وكان مصاباً بنوع طفيف من التوحّد، بقي في قريته خلال الحرب الأهلية، متفادياً المرور على حاجز البربارة، الذي لو كان قد مَرَّ به لِمَا كان تاريخ وفاته في أوائل أيلول عام **٢٠١٠م!** وكتبت ضحى مقالة عنه بعد وفاته بأيام.

٤ ـ **نظير** (١٩٢٩ ـ ٢٠١١م)، توفيت والدته بعد ولادته بسبعة أيام، عمل في القطاع المصرفي، وأسّس داراً للنشر باسم «دار مارون عبّود» وأعاد طبع مؤلفات والده، وإصدار ما لم يُنشَر سابقاً. وحين أكمل مهمته، أسس داراً ثانية باسمه «دار نظير عبّود» فنشر فيها مجموعات عدد

كبير من الأعلام، إضافة إلى تراجم عالمية. بعد وفاة والده حوَّل الطابق الأرضي بمنزله في عين كفاع إلى مكتبة ضمَّت مؤلفات ومجلدات ومخطوطات مارون عبّود، وحوالي عشرة آلاف كتاب، فهرسها ورتّبها وطبع لها بطاقات تعريف، إضافة إلى قصاصات صحف ومجلات كتبت عن مارون عبّود ونشرت له مقالات، ولوحات تمثّله وتمثّل ضيعته وأصدقاء له. توفي نظير في ٢ حزيران ٢٠١١م. أولاده: **رياض**، طبيب تخصّص في طب الجهاز الهضمي، **عماد**، والصيدلانية **هلا** زوجة ألبيرتو ريتزي.

لماذا سمّى مارون ابنه محمداً؟

قال **مارون** في إحدى «رسائله»: أسميتُ ابني محمداً؛ **لأن** لسميّه النبي العربي مقاماً سامياً في نفسي، وأحبّه حبًّا جمًّا، وأعجب جدًّا بشخصيته الفذة، ولأنّي كرهتُ ـ حتى الاشمئزاز أن تكون أسماؤنا مثل (تذاكرنا/ يقصد الهوية)، نعم، كرهتُ أن يكون اسم ابني طائفيًّا كإسمي، فرأيتُ أن أمزج الاثنين... (و) لم أُعَمِّد أحداً من أولادي... «مارون عبود من خلال ذكرياته» (ص١٦٧/ ط. دار مارون عبود).

ولكن هل أسلم مارون؟ قال **محمد الأحمري** في «مذكرات قارئ» (كتاب الوسادة): **مارون عبود** كان يجعل القرآن كما زعم كتاباً للوسادة يقرأه قبيل النوم رغم مارونيته، وقد زعموا حفظه له، وقد وجدتُ من كتبه العديدة حسن استحضاره للآيات، فتيّقنت أنه كان حسن الصلة به، والله الهادي، **لكني لا أعلم أن (أبا محمد) قد أسلم**، وقد كان أولى به هذا، وأن يتبع سابقه أحمد فارس الشدياق، وكان معجباً به، وقد كتب عنه كتاباً.

١٤٧١ يوم صلُّوا صلاة الغائب على العلامة ابن عقيل وهو حي!!

قال علامة الحنابلة **عبد الله بن عبد العزيز ابن عقيل الحنبلي** (١٣٣٥ ـ ١٤٣٢هـ): كنتُ خرجتُ مع الهيئة التي تحدِّد الحدود بين

المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن في منطقة (جازان)، نحن في منطقة جازان، وهؤلاء في منطقة (مَيْدي وحَرَض) وما حولها من بلاد اليمن، فاتفق الطرفان على أنْ تَخْرُج هيئة تحدِّد الحدود، فانتُدِب لذلك عمّنا الشيخ عبد الرحمٰن بن عقيل قاضي جازان، وأمير جيزان عبد الله بن عُقَيِّل ـ بالتصغير ـ، ومدير مالية جازان عبد الله قاضي، وخرجتُ معهم، وكانت الأمور تلك الأيام تعب ومشقة وكلفة، وهناك مرض الملاريا، أصابتني الملاريا ونحن في قرية يُقال لها (الخَوْبة)؛ بلاد الحرث، مَكَثَت الهيئة مدّة طويلة في مناقشة بين لجنة الحدود اليمنية ولجنة الحدود السعودية، وأنا مرضتُ مرضاً شديداً، وكان معنا في المعسكر واحد من الخوبا يُقال له (ابن عَقيل)، مرِضَ كذلك مرضاً شديداً وتوفي رَحِمَهُ اللهُ، فشاع الخبر أن ابن عقيل توفي، فظنُّوا أنّي الميّت!

وكان ذلك يوم الجمعة، فقام الخطيب بعدما صلَّى الجمعة، وقال: صلُّوا على أخيكم الشيخ عبد الله بن عقيل الذي توفي مع الهيئة! وصلُّوا عليَّ صلاة الجنازة للغائب!

بعد ذلك تبيّن الواقع، فصاروا يتندّرون عليَّ ويقولون: خلاص أنت إذا متَّ ما نصلِّي عليك، قد صُلِّيَ عليك أول مرَّة!

• «مجموع فيه من آثار سماحة الشيخ ابن عقيل» (ص٦٧/ ط. مكتبة ابن حزم).

١٤٧٢ مستشرق أوروبي أسلم! وكان عضواً في البرلمان المجري:

جـولـيـوس جـرمـانـوس (١٣٠١ ـ ١٣٩٩هـ/ ١٨٨٤ ـ ١٩٧٩م)، مستشرق مجري ولد في بودابست ودرس في جامعاتها، وفي اسطنبول وفيينا وغيرها، وأحرز الدكتوراه من جامعة بودابست، وولي التدريس بجامعة البنغال في الهند (١٩٢٩ ـ ١٩٣٣م)، فأسلم أثناءها وتسمى بـ**(عبد الكريم)** بدل جوليوس، ثم التحق بالأزهر ودرس فيه العلوم العربية والإسلامية، وكان يتكلم العربية كأهلها، ثم رجع إلى بلاده واختير عضواً

في البرلمان المجري (١٩٥٨ ـ ١٩٦٦م)، وعضواً بمجامع اللغة العربية بدمشق والقاهرة وعمان، والمجمع العلمي العراقي، وكانت وفاته في بودابست.

من مؤلفاته: الله أكبر، الأدب العثماني، بين فكرين، شوامخ الأدب العربي، منتخب الشعراء العرب، الأدب التركي الحديث.

• نقلته من «التذييل والاستدراك على معجم المؤلفين» (ص١٨٢/ ط. المنارة) لأحمد العلاونة.

١٤٧٣ هل سقطت هذه الترجمة بأكملها من «تاريخ الإسلام» (طبعة د. بشار عواد)؟

جاء في «الوافي بالوفَيَات» (١٧/ ٣٠٠): **ابْن الْقَابِض**، عبد الله بن عبد الْملك بن أَحْمد بن عبد الله بن أَحْمد بن الْقَاسِم بن شبويه بن الْقَابِض، أَبُو زيد الأصبهاني، سمع بهَا الْكثير من أبي طَاهِر أَحْمد بن مَحْمُود الثَّقَفِيّ وَإِبْرَاهِيم بن مَنْصُور سبط بحرويه وَأبي الطّيب عبد الرَّزَّاق بن عمر بن شمسه وَغَيرهم، وَقدم بَغْدَاد وَسمع بهَا من أبي مُحَمَّد الصريفيني وَابْن النقور وَابْن غَالب الْعَطَّار وَابْن البشري وَأبي بكر الْخَطِيب وأمثالهم، وَكَانَت لَهُ معرفَة ودراية وَحدَّث باليسير، وَتُوفِّي بِالْبَصْرَةِ سنة سِتّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَع مِئَة. اهـ.

قال عبد الرحمٰن بن قائد في تحقيقه لـ«رسالة الدقاق» (ص٢٩٥/ حاشية ٤/ ط. المكتب الإسلامي ـ ١٤٣٥هـ) ـ بعد ترجمة الدقاق لرفيقه أبي زيد ابن القابض ـ:

ذكرت محققة «الوافي بالوَفَيات» أن ترجمة أبي زيد ابن القابض في «الوافي بالوَفَيَات» مأخوذةٌ عن «تاريخ الإسلام»، وأحالت على نسخة البدر البشتكي بالمتحف البريطاني، وهي أفضل نسخ التاريخ بعد نسخة

المؤلف، وقد اعتمد الدكتور بشار عواد في تحقيقه للتاريخ على المجلد الذي أحالت عليه (انظر: ١/ ٢٤٩)، إلا أنّه لا أثر للترجمة في مطبوعته. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: قال د. بشار في «مقدمة تحقيقه» (١/ ٢٤٩): مجلد المتحف البريطاني رقم ٥٠ شرقيات (حوادث ٤٥١ ـ ٥٠٠هـ ووفيات ٤٥١ ـ ٤٩٠هـ): وهو المجلد الرابع عاشر من نسخة البدر البشتكي، ويقع في (٢٣٥) ورقة، تنتهي عند الحوادث فيه عند الورقة (٣٨)، وتبدأ وفيات الطبقة السادسة والأربعين عند الورقة (٣٩)، ووفيات الطبقة السابع والأربعين عند الورقة (٧٨)، ووفيات الطبقة الثامنة والأربعين عند الورقة (١٢٩)، ووفيات الطبقة التاسعة والأربعين عند الورقة (١٧٥)، وقد رمزنا له بحرف (ل). اهـ.

فهل يفيدنا أحد بصورة لصفحة مخطوط البدر البشتكي التي قيل إنّ فيها ترجمة أبي زيد ابن القابض؟

١٤٧٤ (بردزبه) لقبٌ وليس اسماً لأجداد البخاري!

قال الشيخ المحقق **نظر الفريابي**: (بردزبه) لقبٌ وليس اسماً لأجداد البخاري! وهو بالبخارية (الدهقان)، كذا وجدتها في بعض النسخ (محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن المغيرة الدهقان)، والصواب في رسم الكلمة (بزركر). وبحثي في هذا منشور في ندوة السمعاني من منشورات مركز الملك فيصل عنوانه (الإمام السمعاني وعنايته بالجامع الصحيح للبخاري) تحدثت عن هذه اللفظة بإسهاب، ولما انتهيت من إلقاء كلمتي قام الدكتور يحيى جنيد ووضع يده على رأسه وقال: «لقد ضيَّعونا ألف ومئتين سنة! ودوّخوا رأسنا ببردزبه!» واحتضنني وقبّلني من وجهي، وهو بخاري الأصل أيضاً.

١٤٧٥ أولاد عبد الله ابن أبي طلحة الأنصاري علماء صالحون:

علّق **النووي** في «شرحه» على حديث مسلم (٢١٤٤) حول ما جرى بين أبي طلحة الأنصاري وأمّ سُلَيم عندما مات ابنهما ثم حملت بعبد الله: . . . وحملت بعبد الله بن أبي طلحة، وجاء من أولاد عبد الله إسحاق وإخوته التسعة صالحين علماء رضي الله عنهم. اهـ.

قال **ابن حجر** في «فتح الباري» (٣/ ١٧١): وله من الولد فيما ذكر ابن سعد وغيره من أهل العلم بالأنساب: إسحاق وإسماعيل وعبد الله ويعقوب وعمر والقاسم وعمارة وإبراهيم وعمير وزيد ومحمد وأربع من البنات.

١٤٧٦ التعريف بآل أبي الدرداء، وفائدة نفيسة عن الدرداء:

أبو الدرداء رضي الله عنه ـ واسمه **عويمر بن زيد بن قيس** ـ من قرّاء الصحابة الذين حثَّ النبي ﷺ على أخذ القرآن منهم، وقد توفي أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتزوّج ثلاث نسوة:

الأولى: مَحَبَّةُ بِنْتُ الرَّبِيعِ بن عمرو بن أبي زهير الأنصارية الخزرجية، وأمها هُزَيْلَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ، وهي أخت سعد بن الرَّبِيعِ ـ النقيب من أهل بدر ـ لأبيه وأمه، تزوجها أبو الدرداء فولدت له بلالاً (؟!)، وأسلمت محبة وبايعت رسول الله ﷺ. (الطبقات الكبير لابن سعد).

الثانية: أم الدرداء الكبرى الصحابية رضي الله عنها، وهي خيرة بنت أبي حدرد، ماتت قبل أبي الدرداء، ولها في «مسند أحمد» (٦/ ٣٦١ و٤٥٢) أحاديث مرفوعة، والغريب أن الحافظ ابن حجر لم يترجم لها في كتابه «تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمّة الأربعة» رغم دخولها في شرطه، وترجم لها في «الإصابة» (٤/ ٢٩٥/ ط. المغرب).

الثالثة: **أم الدرداء الصغرى** التابعية، وهي **هجيمة بنت حيي الوصابية**، مات أبو الدرداء عنها، فلم تتزوّج بعده، وترجم لها المزّي في «تهذيب الكمال» (٨٥٦٩)، وذكر أنها كانت يتيمة في حِجر أبي الدرداء، ولها ترجمة مطوّلة في «تاريخ دمشق»، ونقل ابن عساكر عن «التاريخ الأوسط» للبخاري أنها حجَّت سنة إحدى وثمانين، وأنها كانت فقيهة، وذكر ابن حجر في «تقريب التهذيب» (٨٧٢٨) أنها ماتت سنة إحدى وثمانين.

ولأبي الدرداء من أم الدرداء الكبرى الصحابية ولدان:

أ ـ ابنه **بلال**، روى عن أبيه أحاديث، وكان قاضياً، ترجم له المزِّي في «تهذيب الكمال» (٧٦٨)، وهو أسنّ من أم الدرداء الصغرى، وتوفي سنة ثلاث وتسعين، وله عقب.

ب ـ ابنته **الدرداء**، روت عن أبيها حديثاً مرفوعاً؛ أخرجه البزار (٢١٩٨ ـ مختصر زوائده لابن حجر)، ولها ترجمة في «تاريخ يحيى بن معين» (٣/ ١٢٤/ ت: أحمد نور سيف) و«تاريخ دمشق» (٦٩/ ١١٥)، وتوفّيت قبل أم الدرداء الصغرى، وذكر مسلم في «صحيحه» (٢٧٣٣) أن زوجها هو صفوان بن عبد الله بن صفوان (وهو من الرواة عن أبي الدرداء).

ولأبي الدرداء ابنة اسمها **بُثينة**، ورد ذكرها في «الطبقات الكبير» (٥/ ٨٠) لابن سعد في ترجمة سعيد بن سعد الأنصاري الخزرجي أنها زوجته، لكن كأنّ ابن الجوزي في «صفة الصفوة» يرى أنها نفسها الدرداء، فيقول ـ في ترجمة أم الدرداء ـ: قلت: وكان لأبي الدرداء بنت تسمى الدرداء، وليست من هذه ولا من هذه (يقصد لا أم الدرداء الكبرى ولا الصغرى)، بل من امرأة أخرى على ما ذكر محمد بن سعد! **فالله أعلم**.

١٤٧٧ ذرّية عبد اللَّه بن صيّاد الدجال:

عبد الله بن صيّاد كان أبوه من اليهود، ووُلِدَ على عهد رسول الله ﷺ، وله مواقف مع رسول الله ﷺ تدلّ على أنه مشعوذ أفّاك، وكان النبي ﷺ يشكّ أنه المسيح الدجال، ولم يتبيّن له حاله، بل كان بعض الصحابة يحلف أمام رسول الله ﷺ أن ابن صيّاد هو الدجال ولا يُنكِر عليه النبي ﷺ، ومع العلم أن معرفة حقيقته لا تقرّب العبد إلى الله زلفى، وأن الاشتغال بها مضيعة للوقت، ذلك أن ابن صيّاد مضى ونحن ننتظر الدجال؛ فليكن استعدادنا لِما هو آتٍ، سواء كان هو ابن صيّاد أم غيره. (قاله الشيخ محمود عطية في كتابه «فقد جاء أشراطها»).

وقد تزوّج ابن صيّاد، ووُلِد له ـ فيما وقفتُ عليه ـ ولدان، وقد رويا أحاديث عن النبي ﷺ، وهما:

١ ـ عمارة بن عبد الله بن صياد الأنصاري، أبو أيوب المدني:

ترجم له ابن سعد في «الطبقات الكبير» فقال: كان ثقة قليل الحديث، وكان مالك ابن أنس لا يقدِّم عليه أحداً في الفضل، وروى عنه، وروى عمارة عن سعيد ابن المسيّب... مات عمارة بن عبد الله في خلافة مروان بن محمد. (قلت: هو آخر الخلفاء الأمويين، وكانت خلافته من سنة ١٢٧ ـ ١٣٢هـ).

٢ ـ الوليد بن عبد الله بن صياد المدني:

ترجم له الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة» وقال: روى عن المطلب بن عبد الله بن حنطب... ولم يترجم ابن عبد البر للوليد هذا الذي روى عنه مالك، وأما ابن الحذاء فقال في «رجال الموطأ»: هو أخو عمارة ـ يعني: الذي مضى ذكره ـ؛ قال: ولم يقع ذكره في تاريخ البخاري. قلت: ولا في كتاب ابن أبي حاتم، ولكن ذكره ابن حبان في

الطبقة الثالثة من «الثقات» ولم يزد فيه على ما في «الموطأ» لم يذكر له شيخاً سوى المطلب ولا راوياً عنه غير مالك، وكأنه أصغر من عمارة، فإن عمارة مذكور في التابعين، له سماع من جابر وحديثه عند الترمذي وغيره، روى عنه محمد بن يحيى بن حبان. اهـ.

ووقفتُ ـ بفضل الله ـ على ذكرٍ لحفيد ابن صيّاد، فبِما أن كنية عمارة بن عبد الله بن صيّاد (أبو أيوب)، بحثتُ عن راوٍ باسم (أيوب بن عمارة)،

وقد ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (١٠/ ٤٢٣) في أحد التراجم وسمّاه:

أيوب بن عمارة الأنصاري، وذكر أنه روى عن الإمام مالك.

فبحثتُ عن ذكرٍ له في «أسماء الرواة عن مالك» للخطيب البغدادي ووجدته بفضل الله في «تجريده» للعطار (ص٢٣/ ط. مكتبة الغرباء الأثرية)، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

١٤٧٨ كان لقبه (مصطبانس)!

قال **الخطيب** في «تاريخ بغداد»: **علي بن عَبْد الله بن الفرج المكتب** من أهل البردان، حدث عَن محمد بن محمود السراج الأصم، ونهشل بن دارم الدارمي. حَدَّثَنَا عنه أبو الفتح محمد بن الحسين العطار المعروف بقطيط.

قال لي قطيط: كان هذا البرداني رجلاً صالحاً، وكان يلقّب (مصطبانس)، فسألته عن لقبه، فقال: كنت أصلِّي بقومٍ التراويح في شهر رمضان، فسمع قراءتي قوم من النصارى، فاستحسنوها، وقالوا: كأنّ قراءة هذا الرجل قراءة مصطبانس. يشيرون إلى قسٍّ لهم، فلقبني الناس بذلك.

١٤٧٩ الجانب الإسلامي في كتابات أمير البيان مصطفى لطفي المنفلوطي (١٢٩٣ ـ ١٣٤٣هـ/١٨٧٦ ـ ١٩٢٤م) رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الأستاذ **محمد خير رمضان يوسف** في «الجواهر والدرر» (ص٤٤٨/ط. دار البشائر الإسلاميّة): . . . قَلَّما نجد من يؤكّد لنا وجود الروح الإسلاميّة الحقّة في كتابات المنفلوطي، أجل، إن كتاباته جميعاً تدور حول ركيزة واحدة هي مخافة الله والمثل العليا، والمبادئ السامية، وهذه هي جوهر الأديان السماوية والدين الإسلامي بصفة خاصة. . .

وفي ذلك يقول الأستاذ عمر الدسوقي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان المنفلوطي شديد التديّن، سليم العقيدة، غير متزمّت أو متعصّب، لا يبيع دينه بأيّ ثمنٍ مهما غلا، وكان فيه حياء يمنعه من الحديث في المجالس، حتى ليظن مجالسُه أن بلسانه حبسة وعَيًّا، وأنه ليس ذلك الأديب الذي يسيل الكلام المنمّق على شباة قلمه عذباً جميلاً، ولكنه إذا خلا بأحد خلصائه ممّن يأنس لهم، انطلق على سجيّته، ورأيت فيه المنفلوطي الذي نعرفه!

ومن الشواهد على اهتمام المنفلوطي بترسيخ دعائم الأخلاق ودعوته إلى الفضيلة: شدّة سخطه على الحضارة الغربيّة الماديّة التي جرّت الموبقات والمفاسد إلى الأمّة الإسلاميّة، وباعدت بين الناس والسلوك الديني الطيّب، وأبان للقارئ أنها كانت شركاً وخدعة استعماريّة أتى بها الاستعمار لإشاعة الفحشاء والاتجار بالأعراض وانتهاك الحرمات، فكان همّه محاربة هذه الأباطيل في شتّى صورها. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نشرت جريدة «ثمرات الفنون» البيروتية في العدد (١٦٥٤) بتاريخ (١٣ صفر ١٣٢٦هـ/١٦ آذار ١٩٠٦م) (ص٢ و٣) بحثاً للشيخ **المنفلوطي** رَحِمَهُ اللَّهُ ـ نقلاً عن جريدة «المؤيد» ـ رفض فيه إقامة نصب تمثال لمصطفى كمال باشا؛ لأن التماثيل محرّمة في الإسلام، واقترح إنشاء مدرسة تحمل اسمه وتعلّم المعارف

والأخلاق والآداب الدينية والمذاهب الوطنية. (وانظر: الكناشة ١٤٧٣).

نقلت الأخير من كتاب «الشيخ عبد القادر القباني وجريدة ثمرات الفنون» (ص١٠١/ط. دار العلم للملايين) للباحثة إيمان المناصفي.

وقال **المنفلوطي** رَحِمَهُ اللهُ في «النظرات»: «أنا مسلم قبل كل شيء، أي: قبل أن أكون وطنيًا أو سياسيًا أو مجتمعاً، بل قبل أن أكون نسمة حية في هذا الوجود.

لو علمت أن مآرب هذه الدنيا وأغراضها لا تنال إلا بترك شعيرة من شعائر الدين أو العبث بفريضة من فرائضه لعفْتُها واجتويتها، ونفضت يدي منها وقلت لها كما قال لها علي بن أبي طالب من قبل: إليك عني، غرِّي غيري، ما لي بك حاجة.

لو لم يكن في الأمر إلا أن أخسر ديني فأربح دنياي، أو أخسر دنياي فأربح ديني، لآثرت أخراهما على أولاهما؛ لأني أعلم أنّي إنْ خسرت ديني فقد خسرتُ كلّ شيء، لو علمتُ أن الوطنية وهي أفضل ما حمل امرؤ بين جنبيه من خلال الخير تعترض دون طريقي إلى آخرتي، أو تمتد حجاباً بيني وبين ربي، لخرجت منها كما أخرج من ردائي، ثم خلصت إلى شعفة من شعفات الجبال أو صخرة في منقطع العمران أخلو فيها بنفسي من حيث لا أسمع دعاء غير دعاء القلب، ولا نداء غير نداء الله، حتى يحين حيني، وينقضي أجلي». اهـ.

وقال الشيخ **علي الطنطاوي** في «ذكرياته»: **أحفظ من كلام المنفلوطي في «نظراته» ـ التي كنّا نعكف عليها ونستفيد منها ـ أن أحد العلماء سأل ابنه: من هو مَثَله الأعلى الذي يأمل أن يكون مثله؟**

قال الولد: أنت.

قال الأب: يا مسكين، لقد كان مَثَلي الأعلى أن أكون أحد الصحابة، أو الأئمة الكبار، فبلغتُ ما ترى. اهـ.

دفاع أحمد شوقي عنه: شُنَّت على الأديب مصطفى المنفلوطي حملةٌ ظالمة، قال عنها أحمد شوقي في رثاء الشاعر الكبير:

كم غارةٍ شَنُّوا عليكَ دفعْتَها ... تصِلُ الجهودَ فكُنَّ خيرَ دِفاع

فإذا مضى الجيلُ المِراض صدوره ... وأتى السليمُ جوانبَ الأضلاع

فافزع إلى الزمن الحكيم؛ فعنده ... نقدٌ تنَزَّهَ عن هوى ونزاع

فإذا قضى لك أُبتَ من شمِّ العلا ... بثَنِيَّةٍ بَعُدَت على الطَّلاع

وأجلُّ ما فوقَ الترابِ وتحته ... قلمٌ عليه جلالةُ الإجماع

تلك الأناملُ نام عنهنّ البلى ... عطّلنَ من قلم أشمَّ شجاع

يا مصطفى البلغاءِ، أيّ يراعةٍ ... فقدوا؟ وأيّ معلمٍ بيراع؟

«الشوقيات».

أبو بكر أخو مصطفى المنفلوطي: قال الأديب عباس محمود العقاد في «رجال عرفتهم» ـ وأنقله بتصرف ـ: كنت حوالي سنة **١٩٠٥**م أعمل في دواوين الأقاليم «قنا» ثم «الزقازيق»، وكنتُ أزور القاهرة مرّة كل أسبوعين أو كل شهر عندما كنتُ أعمل في الزقازيق، . . . . ودخلت مكتبة في حي الفجالة لأسأل عن كتابٍ ما. . . فوجدت رجلين يجلسان على كرسيين متجاورين: أحدهما مطربش والآخر معمّم. . . علمت من البائع أن الرجلين المتحادثين هما: جرجي زيدان صاحب «الهلال»، و«أبو بكر لطفي المنفلوطي» أخو «مصطفى لطفي المنفلوطي» الكاتب المعروف، و«أبو بكر» نفسه كاتب لم يشتهر شهرة أخيه، وهو الذي كان يكتب بعد ذلك بسنوات في جمعية «مصر الفتاة» مقالات يحكي بها مقالات أخيه في «المؤيد» بأسلوب كأسلوب «صهاريج اللؤلؤ» في التفخيم والإغراب.

١٤٨٠ فوائد منتقاة من تجميعي لطبقة شيوخ الحاكم من «تاريخ نيسابور» المفقود:

١ ـ مات **أحمد بن الحسين الشاعر** (ت٣٩٨هـ) من السكتة، وعُجِّل دفنه، فأفاق في قبره، وسُمِعَ صوته بالليل، وأنّه نُبِشَ عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر! (ترجمة/ ٢٨).

٢ ـ ترجمة **أبي علي الحسين بن علي الحافظ النيسابوري** (ت٣٤٦هـ) طويلة، وتقع في المطبوع من ص٢٢١ إلى ٢٣١.

٣ ـ أوصى **الحسين بن علي التميمي النيسابوري** (ت٣٧٥هـ) ـ تلميذ ابن خزيمة ـ أن يلحد له لحداً وينصب عليه اللبن نصباً، وأنْ لا يُبنَى فوق قبره. (ترجمة/ ٢٤٩).

٤ ـ (من المعمِّرين فوق المئة): **إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني**، توفي وهو ابن مئة وثلاث سنين. (ترجمة/ ١٦١).

محمد بن إسحاق الصبغي: عاش أزيد من مئة سنة، وكنت أسمع أصحابنا يقولون: عاش مئة وأربع سنين. (ترجمة/ ٦٥١).

محمد بن الحسين الحدادي: توفي وهو ابن مئة وسبع سنين. (ترجمة/ ٦٩٠).

محمد بن علي المؤذن النيسابوري: توفي وهو ابن مئة وثلاث سنين. (ترجمة/ ٧٨٣).

٥ ـ (مَن قُتِلَ ساجداً):

أ ـ حدثني مَن كان مع **الحسين بن يحيى الشافعي** (ت٣٧٤هـ) أنهم كبسوا عليه الدار وقد أفطر في تلك الساعة، وهو يصلي وهو ساجد، فلما سمعت أمه صوت السلاح عَدَت إليه وطرحت نفسها عليه، فأدخل واحد منهم يده تحت أمه وشَقَّ بطنه، واستشهد ﷺ ولعن قاتله. (ترجمة/ ٢٦٢).

ب ـ حكى ابن محمد بن **محمد الحاكم الوزير الشهيد** أن والده الوزير لم يزل يدعو في صلاته وأعقابها بدعوات ثم يقول: «اللَّهُمَّ ارزقني الشهادة»، إلى أنْ سَمِع عشية الليلة التي قُتِل مِن غَدِها جلبة وصوت السلاح، فقال: ما هذا؟ قالوا: غاغة العسكر قد اجتمعوا يؤلّبون ويلزمون الحاكم الذنب في تأخير أرزاقهم عنهم، فقال: اللَّهُمَّ اغفر، ثم دعا بالحلاق فحلق رأسه، وسخن له الماء في مضربه ذلك، فتنوَّر ونظَّف نفسه، واغتسل، ولبس الكفن، ولم يزل طول ليلته تلك يصلي، فأصبح وقد اجتمعوا إليه، فبعث السلطان إليهم يمنعهم عنه، فخذلوا أصحاب السلطان، وكبسوا الحاكم، فقتلوه وهو ساجد! رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واستشهد الحاكم على باب مرو في مضربه، وقد اغتسل ولبس الكفن وصلَّى صلاة الصبح، والكتب بين يديه وهو يصنِّف بضوء الشمع، في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حفظ ستين ألف حديث من حديث رسول الله ﷺ، وتصانيفه تدل على فضله. (ترجمة/ ٨٢٣).

٦ ـ (نقش خاتم الشافعي): أرانا **أبو الوليد حسان بن محمد القرشي** (ت٣٤٩هـ) نقش خاتمه «الله ثقة حسان بن محمد»، وقال: أرانا عبد الملك بن محمد بن عدي نقش خاتمه «الله ثقة عبد الملك بن محمد»، وقال: أرانا الربيع نقش خاتمه «الله ثقة الربيع بن سليمان»، وقال: كان نقش خاتم الشافعي «الله ثقة محمد بن إدريس». (ترجمة/ ٢٦٧). (وعلّق الذهبي قائلاً: هذا إسناد ثابت).

٧ ـ (وُلِدَ له بعد الثمانين ولد!): وُلِد **لمحمد بن أحمد بن بالويه النيسابوري** (ت٣٣٩هـ) بعد الثمانين أبو سعيد؛ وهو أصغر أولاده. (ترجمة/ ٥٧٩).

٨ ـ (سؤال الله بالعمل الصالح لتفريج كربة): سمعت **محمد بن أحمد التاجر اليزدي** (ت٣٧٣هـ) يقول: دُفِعْنَا في حرب الروم عند

متوجهنا إلى الغزو إلى أمر عظيم، وذاك أن الغسانيين صلن في مضيق وأخذ العدو علينا الطريق، فذكرتُ حديث الغار، قلت: اللَّهُمَّ إنْ كنت تعلمُ أنِّي خلَّفت أسباباً كنت أغنيتني بها عن السعي في طلب الرزق، وقد توجَّهت إلى هذا الوجه طلباً لغزو الإسلام؛ فأنقذني اليوم. فأخرجني الله من أيديهم بعد أن كنت أيستُ من روحي، واستنقذ معي جماعة من المسلمين الذين كانوا ساروا تحت رايتي.

٩ ـ (طُرفة وقعت في مجلس السماع): قرأنا على الشيخ **أبي طاهر محمد بن الحسن المحمدآباذي** (ت٣٣٦هـ)، إلى أنْ مَرَّ حديث لعروة عن عائشة، فقال **أبو بشر المتكلم** للشيخ: عروة هذا مكثر عن عائشة، أفكان زوجها؟ فقام أبو طاهر مغضباً، ثم حكى ذلك لأصحابه. (ترجمة/ ٦٦٩).

١٠ ـ (معاتبة شعرية والرد عليها): حضر **أبو عبد الله محمد بن الحسن الفقيه الجرجاني** (ت٣٨٦هـ) مجلس الأستاذ الإمام **أبي سهل** رحمهما الله، فأغلظ له الأستاذ في مناظرة جرت بينهما، فخرج مستوحشاً، فكتب إليه الأستاذ أبو سهل بهذه الأبيات:

أعيذ الفقيه الحر من سطوة السخط ... مصوناً عن الأفكار يجلبها الغلط
يضايق حتى لا يسوغ لفظه ... ويعتب من لفظ يفور على اللَّغط
أحاكمه فيه إليه محكّما ... وأسأله عفواً لبادرة السقط
ومهما عدا وجه الصواب حفاظه ... فإن سداد الرأي يلزمه النمط
ونشري لمطويٍّ خلاف إمامنا ... وطيِّي لمنشورٍ وفاءٌ بما شرط
شددت على باغي الفساد ولم أَدَعْ ... عليه من الحَبِّ اليسير لمن لقط
على رمدٍ جاء القريضُ مرمَّداً ... ورائقه بالبُرِّ قد يملأ السَّفط

فأنشدني أبو عبد الله جوابه عنها:

جفاءٌ جرى جهراً لدى الناس وانبسط ... وعُذرٌ أتى سرًّا فأكد ما فرط

متى طالب الشيخ الفقيه بحقه ... وضيَّع حقًّا لي عليه فقد قسط
سبيلي إذا ضايقته في العلوم أن ... يضايقني فيها ولا يركب الشطط
وعَدَّت أياديه التي خصَّني بها ... فلا حاسب أحصى ولا كاتب ضبط
فمن أجلها في داره إذ حضرتها ... سطا واعتدى في القول والفعل واختلط
فأي ملام يلحق الحر بعدها ... إذا هو من جيرانه أبداً قنط
هجرت اقتراض الشعر لما انقضى الصبا ... ولما رأيت الشيب في عارضي وخط
ولولاه لانثالت قوافٍ محلها ... صدور ذوي الآداب لا فارغ السفط

(ترجمة/ ٦٧٥).

١١ - (هل من العيب النسبة للأم): حضر أبو زكريا العنبري مجلس **أبي منصور محمد بن حامد محمد الغالي** (ت٣٦٧هـ) (وقيل له الغالي نسبة إلى غالية أمه)، وأبو منصور هذا يعاتبه ويقول: لِمَ تنسبني إلى أمي وتقول: ابن غالية؟! فقال أبو زكريا: سبحان الله! كانت غالية تغشى بيوتنا وبيوت أقاربنا البالوية؛ وبها عرفناك، وهذا منصور ابن صفية رجل كبير من التابعين يُنسب إلى أمه في الروايات، وإمام القراء عاصم ابن بهدلة منسوب إلى أمه، ثم من الأمراء بهذه الديار أحمد ابن بانو في جلالته لا يترفع عن هذا، وهذا مزكِّي بلدنا أحمد ابن عبدويه منسوب في أمه، وأجلّ بيت من أهل الثروة بنيسابور منسوب إلى امرأتين بثينة وميكال، فلم تترفَّع أنت من غالية وكانت صالحة عفيفة؟ (ترجمة/ ٦٩٨).

١٢ - (الرد على أهل البدع لإنكارهم حديث): حدّثنا **أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي** (ت٣٦٩هـ)، ثنا عبد الرحمٰن بن أبي حاتم، ثنا سليمان بن داود بن صالح بن حسان الثقفي أبو أحمد، ثنا يحيى بن حفص الأسدي، قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء النحوي، يحدِّث عن جعفر بن زيد العبدي، عن أبي الصدِّيق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل من أهل الجنة ليولَد له كما**

يشتهي، يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة» (رواه الترمذي (٢٥٦٣) وغيره، وصححه الألباني).

قال الأستاذ **أبو سهل**: أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث، وقد رُوِي فيه غير إسناد، وسُئِل النبي ﷺ عن ذاك، فقال: يكون نحو ما رويناه، والله سبحانه يقول: فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته الصفيّ المقرَّب المسلَّط على لذّاته قرة عين، وثمرة فؤاد من أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة، فإنْ قِيل: ففي تأويله أنهن لا يحضن ولا ينفسن، وأنّى يكون الولادة، قلت: الحيض سبب الولادة الممتد أمله بالحمل على الكره والوضع عليه، كما أن جميع ملاذ الدنيا من المآرب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقب كل ما يحذر منه ويخاف من عواقبه، هذه خمر الدنيا المحرَّمة المستولية على كل بلية، قد أعدَّها الله تعالى لأهل الجنة منزوع البلية موفق اللذَّة، فلِمَ لا يجوز أن يكون على مثله ولد؟ (ترجمة/ ٧١٣).

١٣ ـ (كان حنفيًّا فانتقل إلى الحديث): كان **محمد بن طاهر الوزيري النيسابوري** (ت٣٦٥هـ) ينتحل مذهب أهل الرأي، فانتقل إلى الحديث. (ترجمة/ ٧٣٠).

١٤ ـ (رأي عالِم الصريح في ابنه): سمعتُ العبد الصالح محمد بن الفراء يقول: دخلت يوماً على **أبي عبد الله محمد بن دينار النيسابوري** (ت٣٣٨هـ)، فبينا أنا عنده إذ دخل ابنه أبو محمد، فقلت: يا أبا محمد اسقنا ماءً بارداً، فعدا وجاء بكوز جديد ملآن جمداً، فناولني فشربت، فقلت: يا أبا عبد الله، أبو محمد ابنك من نبلاء الرجال، أتحبّه؟ فسكت ولم يجبني واشتغل بعمله حتى خرج ابنه، ثم قال لي: يا أبا محمد كدت أن توقعني في شغل قلب، قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لأن أبا محمد ولدي

يحب الدنيا، والله تعالى يبغضها، وأنا لا أحب من يحب ما يبغضه الله، والله تبارك وتعالى يبغض الدنيا. (ترجمة/ ٧٣٥).

١٥ ـ **(زجر من ادّعى نسباً باطلاً)**: دخلتُ الري سنة سبع وستين (وثلاث مئة) فصادفت **أبا بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي (ت٣٧٦هـ)** بها وهو ينتسب إلى محمد بن أيوب، فأخبرني عبد العزيز بن أبان أنه أملى عليهم محمد بن عبد الله بن محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي، فقلت لعبد العزيز: لا تذكر هذا لأحد حتى ألتقي به، فخلوتُ به، وذكرته عنه، فانزجر وترك ذلك النسب، ولو سمع أهل الري بذلك لتولّد منه ما يكرهه، فإن محمد بن أيوب لم يعقب ولداً ذكراً قط. (ترجمة/ ٧٤٣).

١٦ ـ **(أصبعه في الدعاء أبلغ في النصر من رماحكم هذه!)**: حدَّثني جماعة من أصحاب **أبي منصور محمد بن عبد الله بن حمشاذ النيسابوري (ت٣٨٨هـ)** أنه كان قبل مرضه هذا ينشد كل يوم ما لا يحصى من مرّة قول القائل:

وما تنفع الآداب والحلم والحجى ... وصاحبها عند الكمال يموت

مرض **أبو منصور الفقيه** يوم الأربعاء سادس عشر رجب، واشتد به المرض يوم الثلاثاء السابع من ابتداء مرضه، فبكّرت إليه وقد ثقل لسانه، وكان يشير بأصبعه بالدعاء، ثم قال لي بجهد جهيد: تذكر قصة محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم؟ فقلت: تفيد.

فقال: إن قتيبة كان يجري على محمد بن واسع تلك الأرزاق وهو شيخ هرم ضعيف، فعُوتِب على ذلك، فقال: أصبعه في الدعاء أبلغ في النصر من رماحكم هذه! (ترجمة/ ٧٤٨).

١٧ ـ **(عتاب الشافعي لابنه)**: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الصبغي، عن عبد الرحمٰن ابن أبي حاتم قال: أخبرني أبو محمد ابن

بنت الشافعي قال: حدثنا أبي قال: عاتب محمد بن إدريس ابنه أبا عثمان، فكان فيما قال له في وعظه: يا بُنَي والله لو علمت أن الماء البارد يثلم من مروءتي ما شربت إلا حارًّا. (ترجمة/ ٧٥٣).

١٨ ـ **(كيف جَزَّأ عالِم ليله؟)**: سألتُ أبا النضر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي (ت٣٤٤هـ): متى تتفرّغ إلى التصنيف مع ما أنتَ فيه من هذه الفتاوى والتوسط؟ قال: قد جزَّأتُ الليلَ ثلاثة أجزاء؛ جزءاً للتصنيف، وجزءاً لقراءة القرآن، وجزءاً للنوم. (ترجمة/ ٨١٩).

١٩ ـ **(شعر على قبر كافور الإخشيدي)**: حدَّثني الوليد بن بكر العمري أنه قرأ على قبر كافور (ت٣٥٧هـ) بمصر:

انظر إلى غير الأيام ما صنعت ... أفنَت أناساً بها كانوا وما فنيت

دنياهم ضحكت أيام دولتهم ... حتى إذا فنيت ناحَت لهم وبكت

٢٠ ـ **(انصراف جماهير الناس عن دار العالم بعد موته)**: خرج علينا **أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم** رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤٧ ـ ٣٤٦هـ) ونحن في مسجده، وقد امتلأت السكَّة من أولها إلى آخرها من الناس... فلمّا نظر إلى كثرة الناس والغرباء من كلِّ فجٍّ عميق، وقد قاموا يطرقون له ويحملونه على عواتقهم من باب داره إلى مسجده، فلما بلغ المسجد جلس على جدار المسجد وبكى طويلاً، ثم نظر إلى المستملي فقال: اكتُبْ! سمعت محمد بن إسحاق الصغاني يقول: سمعت أبا سعيد الأشج يقول: سمعت عبد الله بن إدريس يقول: أتيت يوماً باب **الأعمش** بعد موته، فدققتُ الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: ابن إدريس، فأجابتني امرأة يقال لها برة: هاي هاي (هو صوت بكائها) يا عبد الله بن إدريس! ما فعل جماهير العرب التي كانت تأتي هذا الباب؟ ثم بكى الكثير، ثم قال: كأني بهذه السكة ولا يدخلها أحد منكم، فإني لا أسمع، وقد ضعف البصر وحان الرحيل وانقضى الأجل. (ترجمة/ ٨٨١).

٢١ ـ أنشدنا أبو عبد الله ابن الأخرم:

كل العداوة قد تُرجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

(ترجمة/ ٨٨٢).

١٤٨١ المستدرك على «المؤلِّفات من النساء ومؤلَّفاتهن في التاريخ الإسلامي»:

الكتاب للأستاذ محمد خير رمضان يوسف وفّقه الله، طبعه في دار ابن حزم/بيروت، وهو جمعٌ طيِّبٌ لِما وقَفَ عليه من نساء مؤلِّفات في التاريخ الإسلامي حتى نهاية عام ١٢٠٠هـ، وعددهن **٣٦** مؤلِّفة، وهاكم ما وقفتُ عليه من النساء المؤلِّفات غير ما ذكرهُ الأستاذ محمد حتى نهاية عام ١٢٠٠هـ:

أ ـ أم الرضا، ضوء بنت أبي شكر حمد بن علي بن محمد الحبّال: ترجم لها السمعاني (ت٥٦٢هـ) في معجم شيوخه (المنتخب/ ٣/ ١٨٩٤) فقال: امرأة صالحة عفيفة، كثيرة الخير والعبادة، وهي والدة الأخوين المُحَدِّثين ابنَي أبي الوفاء المديني، سمعت جدّة أبيها عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية، وأباها أبا شكر حمد بن علي الحبّال، وزوجها أبا الوفاء محمد بن محمد بن محمد المديني. كتبتُ عنها بأصبهان، ومن جملة ما سمعتُ منها «جزءاً» خرّجه ابنها لها، ومجلس من «أمالي» أبي الحسين ابن الشاه؛ بروايتها عن عائشة. وكانت ولادتها في حدود سنة خمسين وأربع مئة تقديراً منّي، وماتت بأصبهان.

ب ـ تقية بنت غيث الشاعرة الأرمنازية (٥٠٥ ـ ٥٧٩هـ): قال العماد الأصبهاني في ترجمتها في «خريدة القصر وجريدة العصر»: أتحفني القاضي أبو القاسم حمزة بن القاضي علي بن عثمان المخزومي المغربي المصري ـ وقد وفد إلى دمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين ـ بكراسة فيها شعر تقية بنت غيث، قد سمعه منها، وخطّها عليه بسماعه منها، بتاريخ محرم سنة تسع وستين وخمس مئة بالإسكندرية، وأنشدني

ذلك رواية عنها. اهـ. وقال ابن الغزي في «ديوان الإسلام»: تقية بنت غيث بن علي: الأديبة الشاعرة أم علي بنت أبي الفرج المسلمي (؟) الأرمنازي الصوري، لها شعر جيد في ديوان صغير.

ت ـ **جانان بيكم بنت الأمير الكبير عبد الرحيم بن بيرم خان خانجانان** (ت١٠٧٠هـ): ترجم لها عبد الحي الحسني في «نزهة الخواطر» (٥/ ٥١٧/ طبعة دار ابن حزم) فقال: وُلِدَت ونشأت في مهد الإمارة (في الهند)، وبلغت من العلم والكمال رتبة لم تصل إليها الرجال فضلاً عن النساء، زوَّجَها السلطان جلال الدين أكبر بن همايون الكوركاني بولده دانيال ووجّهه إلى أرض كجرات فمات بها، فعاشت بعد ذلك مدّة طويلة ولم ترغب إلى نكاحٍ قط، حتى قيل إن السلطان جهانكير بن أكبر شاه المذكور أراد أن يستنكحها فلم تقبله، وتشرّفت بالحج والزيارة، ولها «تفسير» على القرآن الكريم وأبيات رائقة بالفارسية، توفيت سنة سبعين وألف.

ث ـ **جهان آرا بيكم بنت السلطان شهاب الدين محمد شاهجان الكوركاني** (١٠٢٣ ـ ١٠٩٢هـ): ترجم لها عبد الحي الحسني في «نزهة الخواطر» (٥/ ٥١٨/ ط. دار ابن حزم) فقال: ولدت ليلة السبت لتسع بقين من صفر سنة ثلاث وعشرين وألف، ونشأت في مهد السلطنة، وأخذت القراءة والتجويد عن ستي خانم أخت الآملي، وتعلمت الخط واللغة الفارسية عنها وتأدّبت عليها، وبرعت في الإنشاء والشعر وتدبير المنزل وفنون أخرى، ونالت من والدها منزلة جسيمة حتى صارت محسودة عند إخواتها، كانت أقطاعها تغل ستة ملايين، مئة ألف في كل سنة، وكانت تبذل كلها في الخيرات والمبرات، ولها مصنفات؛ منها «مؤنس الأرواح» كتاب بسيط في أخبار المشايخ الجشتية، ومن مآثرها الجميلة جامع كبير بمدينة آكره خارج القلعة، بنته من حمر الحجارة

المنحوتة أبدع نحت، وأنفقت عليه خمس مئة من النقود، كما في «بادشاه نامه»، توفيت في ثالث رمضان سنة اثنتين وتسعين وألف في أيام صنوها عالمكير، فدفنت بدهلي في حظيرة الشيخ الإمام نظام الدين البدايوني.

ج - **رحمة بنت محمد بن سعيد المرغيثي**: من أهل القرن الثاني عشر تقديراً، وهي ابنة الإمام محمد بن سعيد المرغيثي الأخصاصي السوسي دفين مراكش ت ١٠٨٩هـ، كانت عالمة فقيهة، أَلَّفَتْ مُخْتَصَراً فقهيًّا مُبسطاً (نقلته أم عبد الله الأثرية من «شهيرات نساء بادية سوس» لإبراهيم أعراب، أعمال الدورة الرابعة لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير ١٩٩١م).

ح - **ستّ الكل بنت الزين أحمد بن محمد ابن الزين محمد القسطلاني** ثم المكّي: ترجم لها المقريزي في «درر العقود الفريدة» (٢/ ٩٤/ط. دار الغرب الإسلامي) فقال: أجاز لها يحيى المصري ويحيى بن الفضل وأبو بكر بن الرضي وزينب بنت كمال، وجماعة، وخرّج لها المُحَدِّث صلاح الدين خليل الأفقهسي «جزءاً» حدّثَت به بمكّة، وماتت في سنة ثلاث وثمان مئة. اهـ.

خ - **فاطمة بنت أبي نصر خلف بن طاهر، أم السعد الشحامية**: ترجم لها السمعاني (ت٥٦٢هـ) في «معجم شيوخه» (المنتخب/ ٣/ ١٩٠٨) فقال: امرأة صالحة، من بيت الحديث، سمعت جدّها أبا عبد الرحمٰن الشحامي، وأبا عمرو عثمان المحمي، وأم البنين فاطمة الدقاقية، وأبا الفضل محمد بن عبيد الله الصرام، وأبا الحسن علي بن أحمد النامقي، وأبا بكر بن علي الشيرازي، وأبا سعد ابن رامش، وأبا محمد إسماعيل بن أحمد الحيري، وطبقتهم، سمعتُ منها «جزءاً» خرّجه لها شيخنا أبو القاسم الشحامي. اهـ.

قلتُ: ذكرت حسناء بكري نجار في كتابها القيّم «الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث» (ص١٠٩/ ط. المكتبة العصرية ـ بيروت) أنها قرأت في مخطوط «ثبت السماع» (ق ٦٠ ب) للضياء المقدسي (ت٦٤٣هـ) أنه قرأ على زينب بنت عبد الرحمٰن الشعرية (ت٦١٥هـ) «فوائد فاطمة بنت خلف الشحامية»، ويظهر أنه «الجزء» الذي سمعه منها السمعاني.

د ـ **فتحونة بنت جعفر بن جعفر**: ترجم لها ابن الأبار في «تكملة الصلة» فقال: من أهل مرسية، تُكنى أم الفتح، لها في قيان الأندلس «تأليفٌ» عارضت به كتاب أبي الفرج الأصفهاني.

ذ ـ **مؤنسة بنت محمد شمس الدين بن البيطار المعروفة بالصفدية**: ترجم لها صلاح الدين الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٢٦/ ترجمة ٤١٧) فقال: اجتمعتُ بها في ديوان الإنشاء بدار السعادة بدمشق، في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين (وسبع مئة)، فوجدتها فصيحة بليغة تتفيهق في كلامها وتراعي الإعراب، وسألتها عن مولدها فقالت بدمشق سنة ثمان وتسعين وست مئة، وقالت لي: صنَّفتُ أربع مصنفات: الأول سمّيته «نُصرة العقل وحُقرة الجهل في ذمّ الخمر»، والثاني «الدرّة المضيّة في مدح خير البرية»، والثالث «جوهر البيان في الثناء على أهل الإحسان»، والرابع «التنمية في ازدهار النظام والتشاغل عن غيبة الإمام» (هذا العنوان غير واضح في الأصول). وأنشدتني كثيراً من شعرها، وفيه المقبول والمردود واللحن الخفي، لكنه قليل.

١٤٨٢ الألقاب التي أطلقها زعماء ورؤساء وشعراء وأدباء وسياسيون على الأمير شكيب أرسلان (١٢٨٦ ـ ١٣٦٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زمانه:

ـ **السياسي الكبير**: أعطته صولجانه الصحافة المصرية.

ـ **أمير السيف والقلم**: ناداه به العلّامة سليمان البستاني.

- **أمير الجهاد**: نعته به الأتراك.

- **أمير البيان**: بايعه به الرأي العام الأدبي.

- **حارس الإسلام الأمين**: أطلقه عليه الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس.

- **أبو القنابل**: ألبسه حلّته الحجة الكبير الزعيم العراقي الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

- **نسّابة العرب**: أكسبه إياه كتابه «بيوتات العرب» وأحاديثه التي كانت تنمّ على سعة معرفته بالأنساب.

- **القلعة**: أوردته جريدة «الجامعة الإسلامية» أخذاً عن الأستاذ نعيم أبو ضبة خريج جامعة كاليفورنيا.

• نقلتها مع بعض الاختصار من كتاب «من آثار أمير البيان شكيب أرسلان في الشعر والنثر» (ص٨ ـ ٩/ ط. الدار الجامعية ـ ١٩٩٦م) لنجيب البعيني، وقال: وجميع المعاني التي تستبطنها هذه الألقاب كانت ممثلة فعلاً في الأمير شكيب، فكان سياسيًا محنّكاً، وشاعراً مجيداً، وكاتباً مكثراً، ولغويًا جهبذاً، ونصيراً للعروبة والإسلام أوحد.

١٤٨٣ الشيخ سعيد آل إيّاس البيروتي، مؤلف «الكنز الثمين فيمن كان في بيروت من العلماء والمحدِّثين»:

وَرَدَت ترجمته في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» كالتالي: **محمد سعيد إياس (١٢٩١ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٩٥٣م)**.

سيرة الشاعر: محمد بن (؟) سعيد بن محمد بن عثمان الدمشقي، ولد في بيروت، وفيها توفي، عاش في لبنان، نشأ في كنف أبيه، وفي الثالثة عشرة من عمره بدأ رحلته في طلب العلم فقرأ الآجرومية وشرح الألفية لابن عقيل، إلى جانب تلقّيه لعلوم البلاغة والفقه الشافعي

والحنفي عن يوسف بن علي علايا الدمشقي، كما أخذ الحديث والتفسير والمنهج وشروحه، وقرأ الرسالة القشيرية، وكان ممن أخذ عنهم محمد الكردي الملكاني، وأبو طالب الحسني الجزائري، وغيرهما ممن أجازوه إجازة عامة، عمل في مجال التجارة ببيروت. كان خليفة لسعيد بن علي علايا شيخ الطريقة القادرية. عُرِفَ بحبّه للخير، وتفانيه في خدمة العلم، فبنى المدارس، كما أسهم في بناء المساجد.

الإنتاج الشعري:

- له عدد من الأراجيز منها: «الطرق الجلية للعلم بالقواعد الصحية» - بيروت ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، و«دعوة الأصحاب إلى التحلي بحلى الآداب» (تحقيق محمد خير رمضان) - دار ابن حزم - ١٩٩٥م.

الأعمال الأخرى:

- له عدد من المؤلفات منها: «كشف الغيهب في زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب»، و«سل الحسام في حقوق المرأة في الإسلام»، و«الكنز الثمين فيمن كان في بيروت من العلماء والمحدثين»، و«شرح الصدر بشرح شواهد القطر»، و«كشف الغطاء في إثبات كرامات الأولياء». اهـ.

وذكره **محمد العربي العزوزي الفاسي الإدريسي الحسني** (ت١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) في ثَبْتِه «اتحاف ذوي العناية ببعض ما لي من المشيخة والرواية» - فيمن لقيهم من أهل العلم ببيروت - فقال: ومنهم العالم المثري المنزوي في بيته الآن، الذي آلى على نفسه أن لا يزور ولا يُزار، الأستاذ المطّلع الجَمَّاع لنفائس الكتب الشيخ سعيد إياس الدمشقي البيروتي، تعرّفتُ به بواسطة السيد محمد أبو طالب، وزارني مراراً وقرأ عليَّ في بيتي «الخصائص الكبرى» للإمام السيوطي، وهو الآن في قيد الحياة مشتغلٌ بجمع «طبقات المحدِّثين الذين أنجبتهم بيروت». اهـ.

وترجم له **عمر كحالة** في «معجم المؤلفين» فقال: سعيد إياس (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، من علماء الشريعة، أهدى مكتبته إلى جمعية المقاصد الخيرية، وتوفي ببيروت حوالي سنة ١٩٥٤م عن سن عالية، من آثاره: كتاب في تراجم علماء بيروت وأعيانها، ورسائل، منها في السفور والحجاب. اهـ.

وله ترجمة مختصرة في «الأعلام» (٦/ ١٤٢).

١٤٨٤ اعرفوا قدر ومكانة العلامة الخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ)!

قال الحافظ **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ): «ومن نَظَر فيها ـ أي: كتب الخطيب البغدادي ـ عرف قدر الرجل، وما هُيِّئ له مما لم يتهيَّأ لِمَن كان أحفظ منه كالدارقطني». («المنتظم» ٨/ ٢٦٦).

وقال الحافظ **أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن نُقطة** (ت٦٢٩هـ): «وله مصنفات في علوم الحديث لم يُسْبَق إلى مثلها، ولا شبهة عند كل لبيب أن المتأخرين من أصحاب الحديث عيالٌ على أبي بكر الخطيب». «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد».

وقال **ابن شافع** في «تاريخه»: انتهى إليه الحِفْظ والإتقان والقيام بعلوم الحديث. (نقله الذهبي في ترجمة الخطيب في «تاريخ الإسلام»).

وقال الحافظ **أبو طاهر السِّلَفي** (ت٥٧٦هـ):

تصانيفُ ابن ثابت الخطيب ... ألذ من الصِّبا الغضِّ الرطيب

تراها إذ رواها مَنْ حواها ... رياضاً للفتى اليقظِ اللبيبِ

ويأخذ حُسْنَ ما قد صاغ منها ... بلب الحافظ الفَطِنِ الأريب

فأية راحةٍ ونعيمِ عيشٍ ... يوازي كتبها بل أي طيب؟

نقلها الذهبي في «تاريخ الإسلام» ـ وغيره ـ، وممّا جاء فيه:

قال **أبو علي البرداني**: أخبرنا حافظ وقته أَبُو بَكْر الخطيب، وما رأيت مثله، ولا أظنه رَأَى مثل نفسه.

وقال **السِّلَفي**: سَأَلت **أَبَا غالب شجاعاً الذهلي**، عن الخطيب فقال: إمام مصنف حافظ، لم ندرك مثله. اهـ.

● نقلها د. يوسف السعيد في مقدمة تحقيقه لكتاب الخطيب «القول في علم النجوم» (ص٢٥)، إلّا قول ابن شافع الذي أضفته من كيسي.

١٤٨٥ من مناقب الشيخ اللغوي الأصولي أحمد بن محمد السالك (١٣٤٧ ـ ١٤٣١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

ـ كان يحفظ ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل عليها كما يحفظ اسمه، وهو في السادسة عشر من العمر.

ـ وكان مولعاً بالقراءة، فكان لا ينام إلا والكتاب معه، وكان هذا دأبه إلى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ـ وكان يقول: لم يكن لي أصدقاء من جيلي، كل صحبتي كانت مع الكبار والعلماء.

ـ ولمّا كان الشيخ أحمد السالك بمصر أيام الطلب كان شغفاً بالحصول على «الضوء اللامع» للسخاوي، قال الشيخ: فلما حصلت عليه فرحت به فرحاً شديداً، ودفعته إلى التجليد، وبعد استلامه أخذته إلى البيت، فبينا أنا أقلب أوراقه، إذ ببصري يقع على كلام للسخاوي يصب فيه جام غضبه على بعض معاصريه ومخالفيه، فما أعجبني ذاك الأسلوب ولا راقني هذا اللون في الخطاب، فقمت من فوري، ورددت الكتاب إلى المكتبة رغم حاجتي له، فقال صاحب المكتبة: تخسر فيه، فقلت: وإن يكن!

ـ ومن كثرة محبة الشيخ أحمد السالك لزوجته:

خَطَبَ الشيخ أحمد السالك من الأمير **سالم الشهال** ابنته أم

عبد الرحمٰن، فسأل الإمام الألباني عنه، فقال: «السالك من أهل الكمال، زَوِّجه». فكانت حبّه ورفيقة دربه، وتوفيت قبل وفاته بـ ٢٣ يوماً في ٢٣ رمضان ١٤٣١هـ، فحزن عليها الشيخ حزناً شديداً، حتى لا يشك من رآه أن الحزن قاتله! وقال ابنه الدكتور عبد الرحمٰن: أن والده قَبَّلَ رجليها لما توفيت رحمها الله، وقال: «هذه روحي!»

● انتقيتُها من ترجمة الشيخ أحمد السالك في كتاب «اتحاف ذوي البصائر بتراجم العلماء الأفارقة الأكابر» (ص٨٩ ـ ١٢٨/ ط. مؤسسة الضحى ـ بيروت) لحمزة القرعاني، وقد استفادها من «ترجمة الشيخ أحمد السالك» للشيخ عصام موسى هادي، ومخطوط.

١٤٨٦ المحقق سعيد الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ، جوانب من سيرته وإشارات لبعض مقالاته:

ولد **محمد سعيد بن محمد جان الأفغاني** في دمشق سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، هاجر والده من كشمير واستقر في دمشق، (كانوا يلقّبون القادمين من كشمير بالأفغان؛ لأنها كانت تابعة للأفغان، ولم تدخل في الحكم الهندي إلا سنة ١٥٨٧م، ومع ذلك بقيت نسبتها القديمة)، بدأ تعليمه في مدرسة الإسعاف الخيري، ودخل مدرسة التطبيقات حيث أتمّ دراسته الابتدائية، ثم تابع دراسته الإعدادية والثانوية في (مكتب عنبر)، وتخرّج عام ١٩٢٨م، والتحق بمدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية، وفي نفس السنة عيّنه وزير المعارف محمد كرد علي معلماً في مدرسة ابتدائية، وابتدأت رحلته في التعليم، ثم أُرسِل سنة ١٩٤٦م إلى القاهرة للتحضير لدرجة الدكتوراه موفداً من وزارة المعارف، لكنه عاد إلى دمشق وتدرّج في وظائف تدريس اللغة العربية من أستاذ مساعد إلى أستاذ كرسي، فعميداً لكلية الآداب، وأحيل على التقاعد بتاريخ (٣١/ ١٢/ ١٩٦٨م).

تزوج ـ بعد الخمسين من عمره ـ بابنة صلاح الدين الخطيب التي كان جدّها محدّث الشام بدر الدين الحسني، وشقيقتها زوجة الشيخ علي

الطنطاوي الذي كان صديق عمره ويكبره بسنة واحدة، وكان عنده ابنة وحيدة (بشرى) مقيمة مع زوجها في السعودية، وتوفيت زوجته سنة ١٩٩٤م، وتوفي العلّامة سعيد الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السعودية في ١١ شوال سنة ١٤١٧هـ/ ١٨ شباط ١٩٩٧م.

له قرابة العشرين ما بين تصنيف وتحقيق؛ منها: «أسواق العرب»، «الإسلام والمرأة»، «عائشة والسياسة»، وتحقيق: «تاريخ داريا»، «الإجابة لِما استدركته عائشة على الصحابة»، «مغني اللبيب».

وله عشرات المقالات المنثورة في المجلات؛ كمجلة «مجمع اللغة العربية بدمشق»، ومجلة «مجمع اللغة العربية بالقاهرة»، و«مجلة الرسالة»، و«مجلة التمدن الإسلامي»، وغيرها من المجلات والجرائد، وأيضاً يوجد له أحاديث إذاعية دوّنها، منها:

أ ـ **الشيخ أحمد النويلاتي والخبّازون**: مقال نُشِر بجريدة «العَلَم» بدمشق في ٢١/ ٧/ ١٩٦١م، وكان أُذِيع بعنوان «رغيف ومصلح» أو «مصلح فقدناه» من إذاعة دمشق في ١٢/ ٧/ ١٩٦١م، وهو مقال نقدي يتناول ما وصل إليه الرغيف من سوء ويُقارنه بما كان عليه قبل ثلاثين عاماً، وينقل صورة عمّا كان عليه المسجد الأموي وحلقات الدروس والوعظ فيه، ويقف عند حلقة الشيخ **أحمد نويلاتي**، فيصفه، ويذكر أنه كان يحضر حلقته وهو في سن الطفولة، وأفاد منها ما لم يستفد من جامعة ولا كتاب في نواحٍ عملية، أهمّها الحذر من أرباب الصناعات وغشّهم وفضح أساليبهم، ويفصّل بيان ذلك في أمثلة عملية ذكرها الشيخ تناول فيها غشّ اللحّامين وغيرهم من البائعين وأصحاب الصناعات، وقال: «وأحسّ أنه لو أراد مستمعٌ لدروسه أن يفرد منها أساليب غِشّ الصناعات في دمشق لَتَمَّ له تأليف مجلدٍ كامل»، وتحدّث عن أساليب الغش في الموازين والمكاييل، وقال عن الشيخ: «إن سياطه في ظهور

الدجّالين من المنتسبين إلى الدين أو الوطنية كانت أوجع وآلم، وأثره كان أبعدَ في تنوير أذهان العامة والخاصة».

ب ـ **(صانعو التاريخ العربي) كتاب لفيليب حِتِّي، وترجمة د. أنيس فريحة**: بحثٌ نُشِر في «مجلة كلية الآداب» بجامعة بنغازي (العدد ٦، سنة ١٩٧٤م)، وقف سعيد الأفغاني عند أمور عرضها المؤلف، فناقشها، ورأى صاحبها خاضعاً لآثار كنسية وصليبيّة واستعمارية عملت بدافع الحقد والعداوة للعرب والمسلمين على تزييف الوقائع واختراعها، ورأى الباحث أنّ المؤلف زجَّ بكلمة التاريخ في عنوان الكتاب، والكتاب في حقيقته (انطباعات عن عظماء العرب)، وأنّ ترجمته زادته إساءةً لِمَا اتّصَفَت به من ركاكة وسقم في اللغة.

ت ـ **معاوية في الأساطير**: بحثٌ في اثنتين وعشرين صفحة، ألقاه في ٢٤/ ٤/ ١٩٧٤م في المؤتمر الدولي لتاريخ الشام المعقود في عمّان، تحدّث فيه عن تصوير الأساطير والأحلام والقصص والخرافات التي تشيع بين العامة لما يعجز التاريخ عن وصفه من الحركات الشعبية وخلجات النفس، وتقفنا على منازع العامة وأهوائهم ورغباتهم. وتناول الأحاديث الموضوعة في تأييد مُلْك معاوية وبني أُميّة أو الطعن عليهم، وأخرج ثلاثة أصناف من الروايات المتصلة بمعاوية: **الأول**: ما فيه دعاء الرسول ﷺ له. **الثاني**: ما فيه الثناء عليه وتبشيره بالجنة. **الثالث**: جمع فيه ما لا يخطر على بال من الغلوّ والإغراق، وهذا الصنف هو موضوع البحث. . .

ث ـ **من قصّة العامية في الشام**: بحثٌ نشره أستاذنا في مجلة «مجمع القاهرة»، الجزء ٤١ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، وفيه حديث عن تطور العامية واستمرار قربها من الفصحى على لسان عامة الناس بفضل الغُيُّر من العاملين في خدمة العربية ونشرها.

قال البيروتي: ومن طريف ما روى الأفغاني في مقاله هذا عن

التشدد في التكلم بالفصحى «إن بعضهم يأتيه السائل في مقهى بالمنشم يستجدي، فيعلِّمَه ما يقابل جملته بالفصحى، فإن أدّاها سليمة أعطاه، فصار المستَجْدُون يلقّن بعضهم بعضاً ماذا يقول لهؤلاء الأفندية حتى يحظى بالمَتْلِيك (هو نقد تركي معدني يعادل قرشين ونصف قرش)»

ج ـ **مزاعم الصعوبة في لغتنا**: بحثٌ نُشِر ضمن بحوث العيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء ٣٥، جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/ شباط ١٩٨٤م)، تناول فيه مزاعمَ الصعوبة التي تمثّلت في الحرف العربي، والازدواج بين العامية والفصحى، وصعوبة القواعد العربية، وأوردَ الشبهات والمزاعمَ مفصّلةً في كلٍّ من تلك الموضوعات وردّ عليه.

ح ـ **كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ**: مقال في مجلة «مجمع اللغة العربية بدمشق» (المجلد ١٥/ ١، ٢/ ٧٨ ـ ٨٢/ كانون الثاني وشباط ١٩٣٧م)، عَلَّق الأفغاني فيه على ما كتبه الأستاذ أحمد رضا تحت عنوان «الطموح عند المتنبي»، ويردُّ الأحكام التي أطلقها في ذمّ كافور الإخشيدي والثناء على سيف الدولة الحمداني ويثبت عكسها!

• استفدتُ من بحثي هذا من كتاب «سعيد الأفغاني، حامل لواء العربية وأستاذ أساتيذها» ـ الذي طبعته دار القلم/ دمشق ـ لتلميذه الدكتور مازن المبارك، وتمنى الدكتور في آخره «أن يضطلع بعبءِ الكتابة عن الأستاذ الأفغاني وجهوده في خدمة اللغة العربية واحدٌ من طلابه، أو طلّاب طلّابه من أقسام الدراسات العليا؛ لأن في ذلك وفاءً له وخدمة للعربية». وقد خصَّصَت له مجلة «التراث العربي» عددها (٩٢) ليكون عدداً خاصًّا عنه، شارك فيه العديد من أقرانه وتلاميذه.

١٤٨٧ قصيدة المنفلوطي (١٢٩٣ ـ ١٣٤٣هـ/١٨٧٦ ـ ١٩٢٤م) التي سُجِن بسببها وعمره ٢١ سنة!

قال أحمد شفيق باشا (١٢٧٦ ـ ١٣٥٩هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٩٤٠م) في «مذكراتي في نصف قرن» (٢/ ٢٤٨/ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ

١٩٩٥م) - في حوادث سنة ١٨٩٧م -: قضية الطعن على الخديوي (**عباس حلمي الثاني** (١٢٩١ - ١٣٦٣هـ/ ١٨٧٤ - ١٩٤٤م)):

في ٤ ديسمبر (كانون الأول) أصدرت محكمة جنح السيدة زينب حكماً في قضية عيب في الذات الخديوية، وتتلخص وقائع هذه القضية في أنّ شخصاً اسمه **أحمد فؤاد** (صاحب جريدة الصاعقة) طبع قصيدة كلّها طعن بذيء في الذات الخديوية، ووزّعها على الجمهور يوم عودة سموّه في ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) إلى مصر؛ وكان مطلعها:

عيدٌ ولكن لا أقول سعيد ... وملك وإن طال المدى سيبيد

فقبضت عليه النيابة، ولمّا سألته في شأنها قال إنه ناظمها وطابعها، ولكن ظهر من التحقيق أن الذي نظمها هو الشيخ **مصطفى لطفي المنفلوطي**، بالاتفاق مع السيد **محمد توفيق البكري**، وقد طلبت النيابة عقاب الشركاء وصاحب المطبعة الذي قرر أنه يعرف محتويات القصيدة؛ ولكن المستر اسكوت (المستشار القضائي) تداخل من أجل السيد محمد توفيق البكري، وفي النهاية صدر الحكم بإدانة أحمد فؤاد، فحكم عليه بالسجن عشرين شهراً وبغرامة قدرها ثلاثون جنيهاً مصريًا، وحُكِم على **مصطفى لطفي المنفلوطي** بالحبس سنة وبغرامة قدرها عشرون جنيهاً، وبرئ الشيخ محمد الخيامي صاحب المطبعة، وقد شغلت هذه القضية الأفكار مدى حين. اهـ.

ونقل القصيدة بأكملها **محمد رجب البيومي** (١٩٢٣ - ٢٠١١ م/ ١٤٣٢هـ) في مقالته «المنفلوطي الشاعر الجريء» التي نشرها في مجلة «الرسالة» (العدد ١٠٠٧ - ٢٠/ ١٠/ ١٩٥٢م)، ومما جاء فيها:

علام التهاني، هل هناك مآثر ... فنفرح، أو سعى لديك حميد

فلما توليتم طغيتم وهكذا ... إذا أصبح التركي وهو عميد

فكم سفكت منا دماء بريئة ... وكم ضمنت تلك الدماء لحود

وكم ضم بطن البحر أشلاء جمة ... تمزق أحشاء لها وكبود
وكم صار شمل للبلاد مشتتا ... وخرب قصر في البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا ... له تحت أثقال القيود وئيد
فما قام منكم بالعدالة طارف ... ولا سار منكم بالسداد تليد
كأني بقصر الملك أصبح بائدا ... من الظلم، والظلم المبين يبيد
أعباس ترجو أن تكون خليفة ... كما ود آباء ورام جدود
فيا ليت دنيانا تزول وليتنا ... نكون ببطن الأرض حين تسود

وقال البيومي: وهذه القصيدة وثيقة تاريخية تبيّن ما ارتكبه الطغاة مما أغفله تاريخنا المشوه الممسوخ، فقد سفكوا الدماء البريئة إشباعاً لشهواتهم، وحفروا القبور للضحايا من الشهداء، وملأوا البحار بجثث القتلى تأسياً بطاغوتهم الأكبر عبد الحميد، وفتحوا السجون على مصاريعها لغير المذنبين من ذوي الغيرة والإباء، وتلك فضائح يندي لها الجبين!! وقد ارتاع أولو الأمر أكبر ارتياع لنشر هذا الهجاء الصريح، فصُودِر ما بقي لدى الباعة من أعداد الجريدة، وقدم إلى النيابة رئيس التحرير، والشاعر الغيور بتهمة العيب في الذات المصونة!! ثم حكم عليهما بالحبس مدة طويلة ذاق المنفلوطي فيها أهوالاً لم يتعوّدها من قبل، وعُومِل معاملة غادرة لا تليق بوطني يصدر رأيه عن عقيدة وإيمان، فتكوَّنت لديه ـ في محبسه ـ من الشعر عقدة نفسية، جعلته يعاف قرضه وتجويده، فبعد أن خرج من السجن توجهت همته إلى الكتابة النثرية...

١٤٨٨ من فوائد الشيخ الرحالة الموسوعي خليل الخالدي المقدسي (١٢٨٢ ـ ١٣٦٠هـ/١٨٦٦ ـ ١٩٤١م):

قال الشيخ محمد بهجت البيطار (١٨٩٤ ـ ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته لكتاب «منادمة الأطلال» لابن بدران (صفحة م) أثناء ترجمته له: وكان لي شرف ضيافة الأستاذ المترجَم ـ؛ أي: **ابن بدران** ـ ليلة

مع صديقه الرحالة الجليل الأستاذ **خليل الخالدي المقدسي**، فأخذ الأستاذ بدران يسأله عمّا رأى من نفائس الكتب الإسلامية الخطية في ديار المغرب لا سيما الأندلس، والأستاذ الخالدي يجيبه من حفظه بلا تلعثم ولا تريّث كأنما يملي من كتاب، وقد كنت معجباً بالسؤال والجواب غاية الإعجاب، وأسفت أسفاً شديداً أني لم أسجّل عندي تلك الذخائر والمفاخر الخالدة للعرب والمسلمين. اهـ.

وتحدّث **عبد الوهاب عزام** في مقالته «الشيخ الخالدي» (مجلة «الرسالة»، العدد ٧٨/ بتاريخ: ٣١/ ١٢/ ١٩٣٤م) عن لقائه بالشيخ **خليل بن بدر الخالدي** فقال: لقيت في الأستانة منذ خمسين عاماً شيخاً جليلاً ينقب عن الكتب، ويتحدث عن نوادرها، وعرفت أنه الشيخ خليل الخالدي رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس، ثم شرفت بلقائه في مصر مرات، كان كلّما قدم القاهرة تفضّل فزارني في الجامعة. تقابلنا مرة فتكلم عن الكتب والمؤلفين كلام خبير بحّاثة. فحرصت على لقائه والإفادة منه فراعني علم لا ينفد، وحفظ لا يخطئ، يبدأ حديثه عن الكتب، فيذكر أنه رأى كتاب كذا في مكتبة كذا، ويصف النسخة وما عليها من سماع العلماء، ثم يتكلم عن قيمة الكتاب ومكانته بين أشباهه، ويذكر المؤلف فيبيّن عن تاريخه ومكانته من العلم، ودرجته بين العلماء، وهلم جرًّا، يفضي من حديث إلى حديث، والسامع فرح بما يسمع، معجب متعجب. وقد زار مكاتب الأستانة والأناضول وفيينّا والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، ونقب فيها عن نفائس الكتب، فأحاط بما لم يحط به سواه. والشيخ حفظه الله منقطع النظير في هذا الموضوع ما رأيت ولا سمعت بمثله. اهـ.

وتحسّر **عزام** في إحدى مقالاته على عدم تدوين علم الخالدي، فقال: كم من مجالس للشيخ العلامة لم تدوَّن، ولو كُتِبَت أحاديثه

ونُشِرَت معها كتبه ونتفه في تاريخ العلم والعلماء لاستفاد المسلمون علماً واسعاً، وظفروا بما فقدوه من تاريخ أسلافهم. (الرسالة/ العدد ٨٤/ بتاريخ: ١١/ ٢/ ١٩٣٥م).

أما وفاته، فذكر **محمد غسان** في مجلة «الرسالة» (العدد ٤٨٣/ ٥/ ١٠/ ١٩٤٢م) أنه في عاشر رمضان من السنة الماضية توفي بالقاهرة الأستاذ العالم الجليل خليل الخالدي عن ٧٨ سنة رَحِمَهُ اللهُ... ودُفِن الفقيد ـ برَّد الله مضجعه ـ في باب النصر أمام مدفن أحمد بك عفت. اهـ.

ومن فوائده:

أ ـ ليس كل مَن نشأ في بلاد الفرس (من العلماء) فارسيًّا: فأبو داود السجستاني، والترمذي صاحب الشمائل، والترمذي صاحب المسند (؟)، وابن عبد البر، كلّ هؤلاء من العرب، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري من بني ضبة، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو القاسم صاحب الرسالة القشيرية من بني قشير، والمازري، وابن يونس الصقلي، وعبد الحق الصقلي الذي غلب إمام الحرمين في المناظرة، من بني تميم، والقاضي عياض من يحصب.

ب ـ السلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحّدي: كان من العلماء، كان يحفظ كتاب «المحلى» لابن حزم. سأل بعض الحاضرين عن رسالة صلاح الدين إلى يعقوب بن يوسف فقال: هي في كتاب أبي شامة. وكان أبو شامة حافظاً وقارئاً ونحويًّا وعالماً في الأصول والفروع. ويشبهه في هذا أبو عمرو الداني.

● نقلتُ الفائدتين من مقالة «الشيخ الخالدي» لعبد الوهاب عزام، مجلة «الرسالة» (العدد ٧٨/ بتاريخ: ٣١/ ١٢/ ١٩٣٤م).

ت ـ المدافع: سأل **الخالديَّ** بعضُ الحاضرين، وهو يفيض في حديثه، عن كتاب عن المدافع كتبه أحد الأندلسيين، فحدَّث عنه وقال: وكانوا يسمّون المدافع **الأنفاض**، وقد قال قائلهم:

وجاءوا بأنفاض عظام كثيرة ... تهدم أسوار البلاد المنيعة

• نقلها عبد الوهاب عزام عن الخالدي في مقاله (قصيدة تاريخية خطيرة، أهل غرناطة يستغيثون السلطان با يزيد)، مجلة «الرسالة»، (العدد ٨٧/ بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٣٥م).

ث ـ **الشريف الإدريسي**: قال الخالدي: إني في حيرة من أمر هذا الشريف الإدريسي مؤلف «نزهة المشتاق»، أَعْجَب من رجل شريف يدخل في خدمة ملك صقلية والحروب الصليبية مستعرّة، ويكتب للإفرنج عن البلاد الإسلامية فيصف لهم ثروتها وطرقها ومياهها، ويقول عن كنيسة المسيح: القبة الشريفة، وعن صخرة بيت المقدس: الصخرة التي يعتقد فيها المسلمون!

ولولا أني قرأت هذا الكلام في نسخة صحيحة نُقِلَت عن نسخة بخط المؤلِّف وكانت في خزائن الموحدين ـ وهي اليوم في كتب السلطان محمود في استانبول ـ ما آخذت الرجل بهذا الكلام خشية أن يكون بريئاً منه، والإدريسي في كتابه عالة على الإصطخري وابن خرداذبة، والهمذاني، وابن حوقل، وابن واضح.

ج ـ **مؤلِّفان غير ثقتين**: قال عبد الوهاب عزام: ذكرنا **ابن الأثير** صاحب «المثل السائر» (قال أبو معاوية البيروتي: أبو الفتح نصر الله بن محمد، ٥٥٨ ـ ٦٣٧هـ) فقال الخالدي: أديب كبير ولكنه ليس ثقة ـ والشيخ ينقد المؤلفين على طريقة المحدثين ـ قال: وقد طعن فيه الوزير القفطي وهو وزير عالم ثبت، ومن المؤلِّفين غير الثقاة الفتح ابن خاقان (٤٨٠ ـ ٥٢٨هـ) صاحب «قلائد العقيان». طعن في ابن باجة بغير حق، وابن باجة من أجَلِّ علماء الأندلس وفلاسفته، وكان الفتح رجلاً يعيش في الخانات، وقد جلده القاضي عياض في الخمر، وقد مدح هو عياضاً قليلاً خوفاً منه.

ح ـ **الزمخشري**: قال الخالدي: إن الزمخشري أكثر الأخذ من

كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي، وكتاب الزجاج في القراءات، ومن تهذيب الأزهري؛ وقد عكف عليه ثماني سنين في مدينة مرو، ومنه أخذ كتابه «الفائق» ولم يصرِّح بهذا.

● نقلت الفوائد (ث ـ ح) من مقالة عبد الوهاب عزام (عودة إلى الشيخ الخالدي، مجلس آخر من مجالسه) في مجلة «الرسالة» (العدد ٣٢٢/ بتاريخ: ٤/ ٩/ ١٩٣٩م).

خ ـ العلماء ذوي الخطوط الرديئة: قال الشيخ ـ بعد ذكره لأصحاب الخطوط الجيدة ـ: من أردإ العلماء خطًّا نجم الدين النسفي صاحب العقائد، والإمام الحصيري أستاذ الملك المعظم، وهو شارح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن، والعلامة التفتازاني وابن حجر. ومن علماء الأندلس ثم الإسكندرية الطرطوسي. وأما السيوطي والسيد الشريف الجرجاني والقطب الشيرازي والزمخشري وابن الأثير المحدث وابن مالك وابن هشام وابن عقيل النحويون فخطوطهم وسط بين الجيد والرديء.

... ومن أصحاب الخطوط الرديئة شمس الدين الفنري صاحب فصول البدائع في أصول الشرائع، وهو مجلدان كبيران وشارح مفتاح الغيب لصدر الدين العوكزي، وحسب كتاب البدائع أن الفنري ألَّفه في اثنتين وثلاثين سنة مع أنه شرح إيساغوجي في يوم واحد فيما يُقال. ومن ذوي الخط الرديء أيضاً ابن منظور المصري؛ رأيت بخطه جزأين من مختصر تاريخ دمشق، والدارقطني المحدث؛ رأيت بخطه كتاب الكنى والأسماء للإمام مسلم، ومنهم ابن الصلاح، وابن خلدون. ومن متوسّطي الخط الحافظ السِّلَفي (وقال الشيخ في مقالة «من مزارات الاسكندرية»: وكان الطرطوشي من أصحاب الخطوط الرديئة).

د ـ سر إقامة العلماء في طرسوس: قال الشيخ: كنتُ أعجب حين أقرأ في تاريخ كثير من علمائنا أنهم أقاموا في طرسوس، ولا أدري لماذا عنِي هؤلاء العلماء بالرحيل إلى هذا الثغر القصي، حتى قرأت في تاريخ

أحدهم أنه سافر لأداء فريضة الحج ثم رحل إلى طرسوس للمرابطة، فعرفت أن علماءنا الذين رحلوا إلى طرسوس كانوا يؤدّون سنة من سنن الإسلام في مرابطة العدو على الحدود الإسلامية.

ممّن رحل إلى طرسوس أبو عبيد القاسم بن سلّام، أقام هناك زهاء اثنين وعشرين عاماً، وأبو داود المحدِّث صاحب السنن؛ أقام بها إحدى وعشرين سنة وألَّفَ «السنن» هناك، وعبد الله بن المبارك كان يتردد على طرسوس ويطيل الإقامة بها، والثاني أقام وحدَّثَ فيها طويلاً. وممن رابط هناك أيضاً أبو زيد المروزي صاحب أعلى إسناد للبخاري، والإمام أحمد، ويوسف ابن أسباط وهو محدث عظيم أجلّ من ابن المبارك، أقام بطرسوس أكثر من عشرين سنة، وإبراهيم بن أدهم أقام بها ما لا يقل عن عشرين سنة. ولابن المبارك كتابٌ في مدح طرسوس وأهلها المجاهدين، وكان طرسوس والمصيصة وأذنه والهارونية من مواضع الرباط يكثر العلماء الإقامة فيها.

• نقلتُ الفائدتين (خ، د) من مقالة عبد الوهاب عزام «الشيخ الخالدي أيضاً»، مجلة «الرسالة»، (العدد ٣٢٣/ بتاريخ: ١١/٩/١٩٣٩م).

قال أبو معاوية البيروتي: انظر ـ للفائدة ـ في هذه المجموعة من الكناشة فقرة: «تعريف بالكتاب المفقود «سير الثغور» للقاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي (ت٤٠١هـ)»، ورقمها (١٦٢٩)، وصدر السنة الماضية للباحث **محمد خالد كلاب** كتاب «الشيخ الرحالة خليل الخالدي المقدسي، حياته ومجالسه وأوراقه في الكتب والمخطوطات» عن دار البشائر الإسلامية/ بيروت.

١٤٨٩ التعريف بآل وذرية الإمام الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٧هـ) رحمهم الله:

هذا تعريفٌ بآل وذرية الإمام **أبي عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي** (٨٨ ـ ١٥٧هـ) رحمهم الله، جمعتُ أكثر مادتها من

«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر، ووجدتُ د. **عمر التدمري** قد رسم سلسلة نسب الأوزاعي في كتابه «موسوعة العلماء والأعلام في تاريخ لبنان وساحل الشام» (طبقة التابعين وتابعي التابعين/ ص٢٦٥)، واجتهد في ترجمة آل الأوزاعي وذرّيته في ثنايا موسوعته، فأفادني كثيراً جزاه الله خيراً، إلّا أنني خالفته في تحديد زوج ابنة الأوزاعي رواحة، فقد ذكر أنه عفان البيروتي، والذي أراه أنه ابنه عبد الغفور، والله أعلم، وأبدأ باسم الله:

١ ـ والده عمرو بن يُحمَد:

قال د. **عمر التدمري** في (طبقة التابعين وتابعي التابعين/ ص٣٤٣) في ترجمته: سكن مع زوجه في بعلبك، وفيها وُلِد ابنه أبو عمرو عبد الرحمٰن سنة ٨٨هـ، وتوفي ابنه وهو صغير. وذكر الحافظ غيث بن علي الصوري بسنده إلى محمد بن كثير قال: سمعتُ الأوزاعيَّ يوماً ـ وذكروا أباه ـ فبكى بكاءً خفيفاً لم ينتبه (إليه) إلّا من قَرُبَ منه وتأمله، ثم دعا له وجعل يترحم عليه، ثم قال: حدثني أبي قال: كنا أغيلمة أتراباً نلعب في ميدان الأوزاع (تُسمّى محلة الأوزاع؛ وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق) بربض مدينة دمشق، فمر بنا راكبٌ مسرع، فاعترضه رجل فسأله وأنا أسمع، فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة، قال: هل وراءك من خبر؟ قال: نعم، قُتِلَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!

وروى **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ٤٥٤) بسنده إلى محمد بن شعيب البيروتي أن يحيى بن أبي عمرو السيباني قال: **إنْ حَدَث بي حَدَثٌ فأقعدُ الناسِ بي وأحقّهم بميراثي عبد الرحمٰن بن عمرو بن يحمد، ويحمد جاهلي، وعمرو ولد في الإسلام**. اهـ.

قلت: نقل الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٠٩) عن الهيثم بن

خارجة قال: سمعت أصحابنا يقولون: ليس هو من الأوزاع، هو ابن عم يحيى بن أبي عمرو السيباني **لحا** (يقال: هو ابن عمي **لحا**: إذا كان لازق النسب)، إنما كان ينزل قرية الأوزاع، إذا خرجت من باب الفراديس.

٢ ـ والدته أم عبد الرحمٰن:

قال د. **عمر التدمري** في (طبقة التابعين وتابعي التابعين/ ص٥٥٦) في ترجمتها: امرأة عاقلة، اهتمَّت بتربية ابنها بعد وفاة زوجها عَمرو بن يُحمَد، وقد ولدت ابنها عبد الرحمٰن الأوزاعي في بعلبك سنة ٨٨هـ، وتوفي زوجها بعد مولده بقليل، فاعتنت به، ونشأ في حجرها يتيماً، ثم راحت تنتقل به من بلد إلى بلد، حتى أخذ العلم في كرك نوح بالبقاع، ثم انتقلت به إلى بيروت وسكنتها معه. (استخرجها د. عمر من ثنايا ترجمته للإمام الأوزاعي).

٣ ـ أخوه عبد الله بن عمرو بن يحمد الأوزاعي:

ترجم له **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» فقال: أخو أبي عمرو الأوزاعي الفقيه، حكى عن القاسم بن مخيمرة، حكى عنه أخوه الأوزاعي.

أنبأنا أبو محمد هبة الله بن أحمد وعبد الله بن أحمد قالا: نبأ عبد العزيز بن أحمد، أنا أبو الحسن علي بن موسى بن الحسين، نا أبو سليمان بن زبر، نا أبي، نا محمد بن أيوب بن سويد قال: سمعت أبي يقول: سمعتُ الأوزاعيَّ يقول: حدثني أخي عبد الله أنه شهد قارئ عمر بن عبد العزيز يقرأ والقاسم بن مخيمرة يسمع، فإذا مَرَّ به ما يعجبه يقول: وا بأبي شجته.

صوابه: (كتاب عمر يقرأ)، كذا وجدته في سماع رشأ من ابن السمسار. اهـ.

٤ ـ **زوجته جويرية**:

ورد اسمها في ترجمة الأوزاعي في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١٩٦)، فروى **ابن عساكر** بسنده إلى العباس بن الوليد البيروتي قال: حدثني إسحاق بن حماد النميري عن أمِّه ـ وكانت تداخل أهل الأوزاعي ـ قالت: دخلتُ عليها بعد صلاة الصبح، وإذا في المسجد بلل (تقصد مكان صلاة الأوزاعي)، قالت: قلت: **جويرية**، ثكلتك أمك! أراكِ غفلتِ عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ! فشُغِلَت عنِّي، فكَرَّرتُ عليها المسألة، قالت: فلمّا كرّرتُ عليها قالت: هكذا يُصبح كل يوم. (تقصد يتبلل المكان من كثرة بكاء الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ في صلاته). اهـ.

وكانت زوجة الأوزاعي متزوّجة قبله من عبد الله بن الضحاك الحراني البابْلُتّي (بابْلُتّ قرية بين حَرّان والرَّقّة)، وأنجبت منه المحدِّث أبا سعيد يحيى (ت٢١٨هـ)، فروى **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٢٩٧) ـ في ترجمة يحيى البابلتي ـ بسنده عن الهيثم بن خلف الدوري قال: كان البابلتي زوج أم أبي شعيب الحراني، وكان الأوزاعي زوج أم البابلتي.

٥ ـ ابنه **محمد** (ت١٧٧هـ):

ترجم له **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» فقال: سمع أباه أبا عمرو. روى عنه المغيرة بن تميم الكلاعي ومحمد بن عبد الرحمٰن السلمي البيروتي وأبو مسهر الغساني ومحمد بن هلال وعبد الغفار بن عفان البيروتيان، وحدث سعد بن محمد عن وجوده في كتابه. اهـ.

وذكره **ابن أبي حاتم** في «الجرح والتعديل» فقال: محمد بن عبد الرحمٰن بن عمرو الأوزاعي، روى عن أبيه، روى عنه محمد بن هلال وعبد الغفار بن عفان؛ شيخان للعباس بن الوليد البيروتي. سألت

العباس بن الوليد بن مزيد عنه فقال: أدركته وأدركت أهل زمانه، وهم لا يشكون أنه من الأبدال. اهـ.

وقال الذهبي عنه في ترجمة والده الأوزاعي في «تاريخ الإسلام»: عاش محمد بعد أبيه عشرين سنة، وكان عابداً قانتاً لله. اهـ.

ومن وصايا الإمام الأوزاعي لابنه محمد ما رواه **الفسوي** في «المعرفة والتاريخ» قال: حدثني العباس قال: ثنا أبو مسهر قال: حدثني محمد بن الأوزاعي قال: حدثني أبي قال: «يا بني لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا لأوشك بنا أن نهون عليهم».

٦ ـ ابنته رواحة:

ترجم لها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» فقال: رواحة بنت أبي عمرو عبد الرحمٰن ابن عمرو بن يحمد الأوزاعي البيروتية، حدَّثت عن أبيها، روى عنها عبد الرحمٰن بن عبد الغفار بن عثمان البيروتي. اهـ.

قلت: الراوي عنها هو حفيدها؛ لأنه ورد في «تاريخ دمشق» في ترجمة والد الراوي عبد الغفار بن عفان ـ ويقال عثمان ـ البيروتي أنّه صهر الأوزاعي وابن خال ولده. اهـ.

٧ ـ زوج ابنته رواحة: عبد الغفار بن عفان ـ ويقال عثمان ـ البيروتي:

ذكره **ابن أبي حاتم** في «الجرح والتعديل» فقال: عبد الغفار بن عفان الشامي، روى عن الأوزاعي حكايات، روى عنه العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي. اهـ.

وترجم له **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» فقال: **صهر الأوزاعي** وابن خال ولده. روى عن الوليد بن مزيد ومحمد بن عبد الرحمٰن بن عمرو الأوزاعي، وحكى عن الأوزاعي مرسلاً. روى عنه عمرو بن حفص بن عمرو والعباس بن الوليد بن مزيد وعبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: قال ابن الأعرابي: **الصهر** زوج بنت الرجل وزوج ابنته. «لسان العرب» (٤/ ٤٧١).

وترجم **ابن عساكر** لعبد الرحمٰن بن عبد الغفار بن عفان البيروتي فقال: حدَّث عن رواحة بنت الأوزاعي، روى عنه أبو طالب عبد الله بن أحمد بن سوادة البغدادي والحسن بن جرير الصوري. اهـ. قلتُ: الظاهر أن عبد الرحمٰن من زوجة أخرى وليست رواحة والدته، وإلّا لبيَّن حالها ابن عساكر، والله أعلم.

٨ ـ زوج ابنته الثانية: **إسماعيل بن يزيد بن حجر البيروتي**:

ذكره **ابن عساكر** في ترجمة ابنه عبد الله، فقال عن عبد الله: روى عن أبيه **صهر الأوزاعي**.

ثم روى ابن عساكر بسنده إلى ابنه **أبي عمرو عبد الله بن إسماعيل ابن بنت الأوزاعي، حدثني أبي**، عن **جدِّي** الأوزاعي قال: «من تعلَّم باباً من العلم كان أفضل من عبادة حَوْلٍ يُصام نهاره ويُقام ليله».

٩ ـ سِبْط الأوزاعي: **عبد الله بن إسماعيل بن يزيد بن حجر أبو عمرو البيروتي**:

ذكره **ابن أبي حاتم** في «الجرح والتعديل» فقال: عبد الله بن إسماعيل **ابن بنت الأوزاعي** أبو عمرو البيروتي، روى عن أبيه إسماعيل بن يزيد بن حجر الأوزاعي والوليد بن مزيد، سمع منه أبي ببيروت في الرحلة الثانية. اهـ.

وترجم له **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» فقال: ابن بنت الأوزاعي، روى عن أبيه صهر الأوزاعي والوليد بن مزيد، سمع منه أبو حاتم الرازي ببيروت وحدث عنه هو وأحمد بن إبراهيم القرشي وأبو الحسن بن جوصا.

١٤٩٠ الشيخ علي الطنطاوي (١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م) يتحدث عن صديقه العلّامة الألباني (١٩١٣ ـ ١٩٩٩م) في شبابه:

قال الشيخ الأديب **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ في مقالته «الوعّاظ والخطباء» (نشرها سنة ١٩٤١م): «كيف أستطيع الاتّعاظ بالخطيب الذي جاء في خطبته مرة بحديث موضوع، فلما انتهت الصلاة وتفرق الناس أقبل عليه شاب من المشتغلين بالحديث والمنقطعين إليه (صار هذا الشاب اليوم بدأبه على الدرس واشتغاله به مرجعاً من المراجع في رواية الحديث في بلاد الشام).

فذكّره بأن ذلك الحديث موضوع لا أصل له، فما كان منه إلا أن رجع من الجمعة المقبلة فجعل خطبته في هذا الشاب وأصحابه (الوهابيين أعداء الرسول. . . !) وأثار عليهم العامة حتى نالهم شر وأذى! فأين مكان الإخلاص من نفس هذا الخطيب؟!»اهـ.

قلت: كان عمر العلّامة الألباني وقتها قرابة ٢٨ سنة، وأكّد لي الشيخ **علي الحلبي** أنّ المقصود هنا هو الشيخ الألباني، وقال: «وبخاصة أن وصف الطنطاوي له هنا قريب جدًّا من وصفه له في طبعته من صيد الخاطر. . .».

وقال الشيخ **الطنطاوي** في مقالته «بمناسبة ليلة القدر» (نشرها سنة ١٩٥٦م): سألت الصديق الشيخ **ناصر الدين الألباني** ـ وهو الثقة في رواية الحديث ـ قال بأن أصحَّ ما جاء في ليلة القدر أنها في ليلة سبع وعشرين من رمضان أو في العشر الأواخر منه بلا تعيين.

١٤٩١ الصحابة الذين لم يكن عندهم لحية (فيما وقفتُ عليه):

١ ـ **الأقرع بن حابس التميمي**: أحد المؤلَّفة قلوبُهُم وأحد الأشراف، توفي في خلافة عثمان، ذكره الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في «البرصان والعرجان» وقال: كان أقرع الرأس سنوطاً لا لحية له.

٢ ـ **قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري** (ت٥٩هـ): قال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في «الاستيعاب»: ذكر الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) أن قيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن الزبير وشريحاً القاضي (ت٧٨هـ، مختلف في صحبته) لم يكن في وجوههم شعرة ولا شيء من لحية، وذكر غير الزبير أن الأنصار كانت تقول: «لوددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا!» وكان مع ذلك جميلاً رضي الله عنه.

٣ ـ **عبد الله بن الزبير بن العوام** (ت٧٣هـ): ذكر ذلك الزبير بن بكار كما في الفقرة السابقة، وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» في ترجمته: كان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه.

٤ ـ **عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري** (ت٤٤هـ): قال ابن كثير في ترجمته في «البداية والنهاية»: كان قصيراً نحيف الجسم أسبط؛ أي: لا لحية له، رضي الله عنه.

١٤٩٢ أعلام نُعوا في حياتهم:

هذا عنوان مقالة للأستاذ **أيمن ذو الغنى**، قال في مقدمتها: نشر الأستاذ **محمد بن عبد الرزاق القشعمي** في المجلة العربية العدد (٣٦٣) لشهر ربيع الآخِر، سنة ١٤٢٨هـ، مقالةً لطيفةً طريفةً بعنوان «أعلام نُعوا في حياتهم» ذكر فيها عدداً من الأعلام الذين ذاع خبرُ وفاتهم وهم أحياءٌ يُرزَقون!

وهؤلاء الذين ذكرهم هم الأساتذة: سارة بوحميد، وحسين عبد الله سراج، ومحمد زكريا الكاندهلوي، وحمد بن إبراهيم الحقيل، ومحمد محمود الصواف، وعلي الطنطاوي (تجد خبر نعيه قبل وفاته في «الكناشة» (١٧٣٨))، ومحمود أبو الوفاء، وعبد الفتاح أبو مدين، وأحمد حسن الزيات، وناصر بن سليمان بوحميد، وعبد الكريم الجهيمان، وجورج الخامس ملك إنكلترا، وعبد الهادي بن محسن الفضلي.

وهم لم يُنعَوا - غالباً - إلا على سبيل الخطأ والوهم، من غير عمد ولا تقصُّد، ولكن يا له من خطأ فاحش مُحرج أن يُعلَن عن وفاة شخص ما - ولا سيما إنْ كان من المشاهير - ثم يتبيَّن لناشر الخبرِ والمعزِّين فيه أن صاحبهم ما يزال حيًّا بين ظَهرانيهم، في خير وعافية وسلامة!

ولكنَّ جانبَ الطرافة في هذا الحدث هو أن يقرأَ المَنعِيُّ كلماتِ التأبين والرثاء التي قيلت فيه، فهذا مما لم يتهيَّأ إلا لهذا النفَر من الناس، ورُبَّ ضارة نافعة! اهـ.

ثم سرد الأستاذ **أيمن** إحدى عشرة عَلَماً لم يذكرهم الأستاذ **القشمعي** في مقالته، اخترتُ لكم منهم ثلاثة، وهم:

أ - الصحفي الكبير **فكري أباظة** (ت١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م):

من طرائف القصص المذكورة عمَّن نُعِيَ في حياته ما نقله د. **محمد رجب البيومي** في كتابه «طرائف ومسامرات» قائلاً: «يروي الصحافيُّ الكبير الأستاذ فكري أباظة في كتابه «حواديت» هذه الطُّرفَةَ ص٦٤، تحت عنوان: «ميِّتٌ حيٌّ» ببعض التصرُّف:

ما كدتُ أدخلُ في الصباح محلَّ (سيمونز) لتناول الفطور، حتى حدث ذعرٌ شديدٌ؛ فتياتُ المحلِّ الأجنبيات يَذْرِفْنَ الدُّموع، وقد سقط عاملٌ من العمَّال على ظهره حين رآني! فتساءلتُ؛ فعلمتُ أن خبرَ وفاتي كان قد ذاعَ، وتقدَّمتْ إحدى الفتيات الأجنبيات بنسخةٍ من جريدة «الجورنال ديجيت»، فقرأتُ فيها بين خطوط الحِداد السوداء **نبأَ وفاتي مع صورتي**، ورثاءً طويلاً تفضَّل به زميلي الأستاذ إدجار جلَّاد، ثم تاريخَ حياتي بالتفصيل، وأخرجتْ فتاةٌ أخرى جريدةَ (البروجريه) وفيها نفس النَّعي ونفس الرِّثاء!

وتفسير الحكاية: أن أخي المرحوم **شكري أباظة** توفِّي بباريس قبل هذا النشر بأسبوعَين، وكان معروفاً بفرنسا، فرأتِ الإذاعة الفرنسية أن

تقولَ عنه كلمةً، ولكنَّ المذيعَ المختصَّ في القسم العربي ظنَّ أن فكري أباظة هو المتوفَّى لا شكري أباظة، وسمعتْ شركةُ أنباء الشرق الأوسط المصرية نبأَ الوفاة من الإذاعة الفرنسية؛ فوزَّعتِ النبأَ على الجرائد، ولم تتنبَّه إلى الخطأ الجرائدُ الفرنسية الصادرة في مصر؛ فكان ما كان من أمر الجريدتَين السابقتَين.

وسارعتُ بالاتِّصال (تليفونياً) بالأستاذ إدجار جلَّاد الذي نشر خبرَ الوفاة والرِّثاء، فدَهِشَ وقال مستنكراً: مَن أنت؟ قلتُ: أنا ـ والله ـ فكري أباظة، لا أزالُ حيًّا أُرزَق! وتهدَّج صوتُ صديقي إدجار جلَّاد، وسمعت مزيجاً من الحزن والفرحة، وربما البكاء والضَّحك معاً. وقد هطل مطرٌ من برقيَّات التَّعازي في الداخل والخارج على الأسرة؛ مشاطرةً في الحزن على الراحل العزيز!!

ب ـ الأديب الكبير **محمد رجب البيومي** (١٩٢٣ ـ ٢٠١١ م/ ١٤٣٢هـ):

وما أورده **البيومي** في كتابه المذكور آنفاً جرى له هو، ففي العام الماضي نشر الأستاذ **محمد بن عبد الله آل رشيد** خبرَ وفاته في صحيفة الجزيرة السعودية العدد (١٢٣٣٠) الصادر يوم الأحد ٦ من جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ، تحت عنوان: «من أبرز كتَّاب التراجم والسِّيَر المعاصرين الدكتور محمد رجب البيومي إلى رحمة الله» قائلاً فيه: «غيَّب الموت الدكتور محمد رجب البيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي وهب حياتَه لخدمة العلم الشريف والإشادة بأعلام الأمَّة وإبراز جهودهم ونشر مناقبهم... فنرثي هذا العالمَ الجليل بعدما رثى عشرات العلماء بقلمه السيَّال وبيانه البديع البليغ، وللحديث صلةٌ ـ إن شاء الله ـ في نشر تعريفٍ به وبإنجازه العلمي».

ولم يكن لهذا الخبر أصلٌ من الصحَّة، وما يزال أديبنا الكبير يعمل

ويُنتج بهمَّة عالية وقد دلف إلى الخامسة والثمانين، متعه الله بالعافية.

ولكن خبرَ وفاة الدكتور انتشر وذاع، فأعاد الأستاذُ الكبير **عبد الفتاح أبو مدين** نعيَه بعد أسبوع في حلقة من سلسلة مقالاته (وعلامات) بصحيفة الجزيرة العدد (١٢٣٣٦) بتاريخ السبت ١٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ، تحت عنوان: «ذكريات باقية»، تحدث في مقالته عن بعض مناقب الدكتور البيومي، وعن بعض ذكرياته معه، وختمه بقوله: «ومساء الإثنين ٦/٦/١٤٢٧هـ، بلغني أن الدكتور محمد رجب البيومي انتقل إلى رحمة الله، وبرحيله فقد الأدب العربي واللغة العربية رجلاً منافحاً وجاداً ومناضلاً، رجلاً دؤوباً على العمل في الأدب والدرس، مهتمًّا بأمجاد أمتنا الأدبية ورموزها، الذين خصَّص لهم سلسلةً من مؤلفاته بعنوان: «النهضة الإسلامية في سِيَر أعلامها المعاصرين»، وبقي الرجلُ المناضل بفكره إلى آخر أيام حياته، حتى في مرضه يكتب ويُملي وينشر ويؤلِّف، رحمه الله رحمةَ الأبرار وأكرم نزله، وعوَّض الأمة في فقده خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي اليوم التالي كذَّب خبرَ وفاته الأستاذُ يوسف بن محمد العتيق في مقالته «مَن عاش بعد الموت» المنشورة في صحيفة الجزيرة أيضاً العدد (١٢٣٣٧) يوم الأحد ١٣ من جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ، قائلاً: «وفي الأسبوع الماضي نشرنا في ورَّاق الجزيرة خبراً مفاده أن الدكتور محمد رجب البيومي عالم التراجم المصري توفي، وهو شخصٌ له حضورُه في كتابة التراجم، وقدَّم للمكتبة العربية الكثيرَ من الكتب والدراسات المهمَّة في هذا المجال، وكان الذي زوَّدنا بالخبر الأستاذ محمد بن عبد الله آل رشيد، وهو مؤلِّف له حضوره الكبير في مجال التراجم وتربطه علاقةٌ جيدة بالمتوفَّى! وفي يوم النشر نفسه تلقَّيت اتصالاً هاتفياً من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الربيعي من أكثر المعنيِّين بالكِتاب وجمعه يؤكِّد لي أنه قبل دقائقَ كان على اتصال هاتفي بالدكتور محمد

رجب البيومي، وأنه ما زال على قيد الحياة! وتبع هذا الاتصالَ اتصالٌ آخر من الأستاذ سعد العتيبي يوضح أن البيومي ما زال على قيد الحياة! لكن وبمكالمة أخرى من الأستاذ سعد العتيبي وضح لي أن هناك لبساً في الاسم، وهو أن المتوفَّى «**محمد الفيومي**» وليس محمد البيومي، وهو لا يقلُّ شهرةً ومكانةً علمية عن البيومي، فهو مؤلِّف له مشاركاته التراثية، وفي الوقت نفسه هو عضوٌ في مجمع اللغة العربية!».

ت ـ الأديب الشاعر **راضي صَدُّوق**:

راضي صدُّوق الكاتب والشاعر والإعلامي الفلسطيني المولود في طولكرم سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، نُعِيَ في حياته مرَّتين لا مرَّة، أما الأولى فقديمةٌ في عام ١٩٥٥م حين أصدرت الجريدةُ المقدسيَّة التاريخية الشهيرة «فلسطين» ملحقاً كاملاً يتضمَّن قصائدَ ومقالاتٍ وخواطرَ في رثاء الشاعر الفتى الذي غاب، وهو دون العشرين من العمر، وكان يُبشِّر بعطاء شعري وأدبي جزيل!

وأما الأخرى فحديثةٌ في مطلع السَّنَة الهجرية الحاليَّة، أنبأنا خبرَها الأستاذ أحمد المهندس في مقالته: «راضي صدوق يموت مرتين»، المنشورة في المجلة الثقافية بصحيفة الجزيرة، العدد (١٨٥)، يوم الإثنين ١٧ من المحرَّم ١٤٢٨هـ: يذكر الأستاذ المهندس أنه عَلِمَ من أحد زملاء الأستاذ صَدُّوق في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، حيثُ كان يعمل قبل رحيله إلى أمريكا، أن الله قضى قضاءه الحقَّ فيه فتوفَّاه في بلاد الغربة، فحزن لذلك أشدَّ الحزن، وكتب متأثِّراً مقالةَ رثاء، وأرسلها إلى مدير تحرير المجلة الثقافية لتُنشَر على صفحاتها، واتصل بزملاء الشاعر الراحل ليعزِّيهم فيه.. وهنا كانت المفاجأةُ المفرحة؛ فقد علم أن خبرَ الوفاة غيرُ صحيح، وأن الأستاذ ما يزال حيًّا نشطاً في خير وعافية، فاتصل به، وحدَّثه عما جرى، وعن الهمِّ والغمِّ اللذَين أصاباه من جراء

هذا الخبر الخاطئ، ثم أرسل له مقال الرثاء، فقرأه الأستاذ صَدُّوق وتأثَّر بما فيه، وبعث إليه برسالةٍ ردًّا على مقالته.

وقد أحسنَ الأستاذ أحمد المهندس في نشره مقالته الرثائية التي جعل عنوانها: «ورحل راضي صدوق بهدوء»، ورسالة الأستاذ صَدُّوق الجوابية، في عدد المجلة الثقافية المُلمَع إليه. تحدث في مقالته عن بعض ذكرياته مع الأستاذ الراحل على مدى ربع قرن، وعن مجالات الإبداع المختلفة التي طرقها الأستاذ صَدُّوق؛ فهو لم يكتفِ بالصِّحافة، بل كتب للإذاعة السعودية أعمالاً باقية من مسلسلاتٍ وبرامجَ دينيةٍ وثقافيةٍ وتاريخية، وقام بتأسيس أول صحيفة عربية دولية تَصدُر من خارج الوطن العربي، من روما، وأسماها جريدة «الأيام».

ثم نعى في آخر مقالته على وسائل الإعلام والصحف السعودية إهمالَها نبأ وفاة الأستاذ، وهذا منها جحودٌ لفضله ولأياديه البيض، قائلاً: «ورحل الشاعرُ والأديب الرائد راضي صدُّوق الفخور بعروبته.. الإنسان الجميل، بعد أن رأى تكريمَه وإبداعه حيًّا من خلال رسائل الدكتوراه والماجستير التي أُعدَّت وقُدِّمت عن أشعاره وأعماله الأدبية.. ولكنه لم يلقَ التقديرَ الذي يستحقُّه من أهل الدار الذين لطالما أحبَّهم وأخلص لهم.. أهلِ الأدب والثقافة.. ولم يكن ممَّن يبحث عن التقدير من الآخرينَ أو يطلب ذلك بأساليب العصر الفضائي، فرحل بهدوء وبلا ضجيج، كهدوء طَبعه.. حتى إن أقربَ الناس إليه والكثيرَ من محبِّيه لم يشعروا برحيله الحزين إلى دار البقاء.. تغمَّده الله بواسع رحمته وغفر له ولنا».

أما رسالة الأستاذ صدُّوق الجوابية فجاءت قطعةً بديعةً من الأدب الراقي المطبوع، ومما جاء فيها: «كم كان مُذهلاً وعجيباً وصادعاً نبأُ وفاتي وانتقالي إلى رحمة الله في الآخرة التي سننتهي إليها جميعاً.. ولَكَم كنت أتمنَّى صادقاً لو أن هذا النبأ الصادعَ كان حقًّا وصدقاً..

فأنت الأخ العزيزُ الحبيب الذي اقترب منّي حتى خالط الرُّوحَ في زمن مبكِّر، تعلم أكثرَ من غيرك أنَّ أخاك طوَّفَ في الآفاق شرقاً وغرباً.. شمالاً وجنوباً.. وفي جهات أبعدَ وأعمق من الجغرافيا، حتى أزهقَ الدروبَ والأجواء والموانئ، ولقيَ من الناس ما يلقاه الزاهدُ من الجاحد، والعابدُ من الفاسد.. فأية شهيَّة ـ بعد هذا ـ يمكن أن تكونَ قد بقيت في رماد النفس، وأيةُ قطرة ما تزال تُغريني في ثُمالة الكأس؟! قرأتُ مقالَكَ الذي بعثتَ به إليَّ.. إنه مَرثاةٌ مكتوبة بدموع الإخاء والوفاء، وليس بحبرٍ كذلك الذي يكتب به الكتَبَةُ الأَدعياء، من أولئك النَّفَر الذين يزدحمون ويتزاحمون في صِحافة هذه الأيام..».

وختم رسالته بقوله: «ما كان أكرمَك وأنبلَك وأنت ترثيني بكلماتٍ دامعةٍ وأنا بعدُ ما أزال أدبُّ على تراب الحياة. ما أسعدَني برثائك إياي الذي قرأتُه حيًّا، وسأرحل وهو مَذخورٌ في أعماقي.. إلى مجاهيل الحَتْم المُجاب». اهـ.

وقد عَقَّب الشيخ المحقق **محمد زياد التكلة** حفظه الله على مقالة الأستاذ أيمن قائلاً:

هذا الأمر يكثر صدوره مع ثلاث فئات:

ـ فئة ممن يعمر مدة طويلة، ويظنه بعضهم قد انتقل إلى رحمة الله، ويخبر بظنّه آخر، ثم يشيع.

ـ وفئة ممن تتشابه أسماؤهم، وفي مثل هذا ألّف المُحَدِّثون: في المتفق والمفترق.

ـ وفئة ممن يعادي شخصاً ويريد النيل منه بالإشاعة ونحوها، ومن طرائف ذلك ما سمعته من قيام بعض الهنود إذا أرادوا مكيدة شخص: إثبات وفاة غريمهم رسميًّا، ثم لا تَسَل عما يصادف ذلك المسكين من مشاكل في المعاملات وغيرها لإثبات حياته!

قال **أبو معاوية البيروتي**: وأضيف أربعة لم يذكرهم مَن سبق وكتب في الموضوع - فيما أعلم -

١ - العلامة الشيخ **مقبل الوادعي** (١٣٥٢ - ١٤٢٢هـ) رحمه الله: قال محمد الصغير المقطري في «من المجالس الأدبية للشيخ مقبل الوادعي»: في مرض شيخنا رحمه الله نشرت بعض الصحف أنّه توفّي، وهو لا يزال على قيد الحياة، فرَدَّ عليهم، وتمثّل قائلاً:

تَمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإن أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأَوْحَدِ

٢ - الداعية الطبيب **عبد الرحمٰن السميط** رحمه الله: فقد نعاه قبل وفاته بأكثر من سنة د. راغب السرجاني في مقالة له في موقع «قصة الإسلام»، ونعته قبل وفاته بسنة مجلة «الرابطة» السعودية، حيث أفردوا له ترجمته في بضع صفحات مع خبر وفاته!! وكان وقتها يُعالَج في ألمانيا كما صرح ابنه صهيب، والصواب أنه توفي في منتصف شهر آب سنة ٢٠١٣م، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

٣ - الأديب **وديع فلسطين**: فقد كتبتُ سابقاً في «الكناشة» (١٢٤٢): هاكم طرفة حصلت مع العلامة **الطناحي** (ت١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) رحمه الله، قال الأديب **وديع فلسطين** في رسالة كتبها للأستاذ **أحمد العلاونة**: كان الدكتور الطناحي قد قرأ نعياً في الصحف لشخص يتطابق اسمه مع اسمي، فتأثر لرحيله، وكتب كلمة في رثائه، ثم رغب في التحقق من تاريخ الوفاة، واتصل بمنزلنا هاتفيًّا سائلاً: هل هذا منزل المرحوم فلان؟ فقلتُ له: نعم، أنا هو المرحوم! فانفجر ضاحكاً وأسعدته المفاجأة، و«دردشنا» قليلاً، وطبعاً طوى مقالته، فقلتُ له: احتفظ بها إلى أن يحين وقتها.

٤ - المحامي المصري الشاعر **حسن البيلهي**: انظر قصته في الفقرة (١٦٢٢).

١٤٩٣ هذه شهادتي في شيخي إبراهيم الهاشمي الأمير حفظه الله!!

مِن سُنَّة الله في خلقه أن يَبتلي العلماء بأعداء حاقدين يحاربونهم لصدعهم بالحق وعدم المحاباة في دين الله ﷻ، وقد وقفتُ قبل أمس ـ من غير قصد ـ على مقالٍ لجاهل حاقد بذيء اللسان تطاول فيه على شيخي **أبي هاشم إبراهيم بن منصور الهاشمي الأمير** حفظه الله، واتهمه باتهامات يعلم بطلانها كل مَن عاشر شيخنا أو قرأ كتبه ومقالاته، فاتّهمه ـ فضّ فوه ـ بالدفاع عن الرافضة، والتطاول على العلماء، وغيرها من الاتهامات الباطلة التي تضحك الثكلى، ولم يتأدّب فيما كتبه ـ بل افتراه ـ على شيخنا حفظه الله، بل انحط إلى مستوى السوقة والسفلة في كتاباته، ولن أنقل ترّهاته وأكاذيبه لأنه أحقر مِن أنْ يُذكَر وأكاذيبه أتفه من أن يُرَد عليها، والمضحك أنه ذكر في قائمة العلماء المطعون فيهم ـ بزعمه ـ النسّابة ابن الكلبي! وشيخي له رسالة مستقلة في إنصاف ابن الكلبي! لكن هذا الجاهل الحقود لا يميز بين الطعن وبين تبيان حال عالم كما يقتضيه علم الجرح والتعديل.

وشهادة أكتبها: أني عاشرت شيخي على فترة تزيد على ثماني سنين، وقرأت أكثر كتبه ومقالاته، فما وجدت منه إلا الأخلاق الكريمة، وعفّة اللسان عن الباطل، ووجدت منه إنصاف الناس كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، بل حتى ينصف من يعاديه ويحاربه!! ووجدته يوقر العلماء ويدافع عنهم، ويحارب أهل البدع والخوارج والروافض ولا يكترث للأذى الذي يصيبه منهم، وهو مخلصٌ في نصيحته لمن حوله، وفيه خصال كثيرة طيبة نادراً ما أجدها مجتمعة في شخص هذه الأيام.

لكن شيخي حفظه الله لا يحتاج لمثلي لأدافع عنه، وما كتبته عنه يعرفه كل مَن عاشره وقرأ كتبه ومقالاته، لكني أحبّه في الله، ولا بد من أداء حقوق هذه المحبة، وقد ساءني ما افتراه هذا الجاهل الحقود عليه، بل لجهله وعدم تحريه وكذبه قال:

«إبراهيم الهاشمي الأمير يكتب في «ملتقى أهل الحديث» بالاسم المستعار: أبو معاوية البيروتي!!»

حفظ الله شيخي إبراهيم من كل سوء، وبارك له في علمه وعمله، وردّ كيد أعدائه في نحورهم.

وكتبه

ابو معاوية مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي

ظهر الأربعاء، ١٥ رجب ١٤٣٥هـ

١٤٩٤ (الشيخ عمر السويدي) اسمٌ مستعارٌ للمستشرق السويدي الكونت كارلو لندبرغ:

قال د. صلاح الدين المنجد (١٩٢٠ ـ ٢٠١٠م): الشيخ عمر السويدي هو اسم مستعار للمستشرق السويدي الكونت **كارلو لندبرغ**، وهو من أشهر المستشرقين السويديين، دفعه حُبّه للتراث العربي أن ينشر بعض الرسائل والدواوين، وسمّاها «طُرَف عربية»، وذكر السبب الذي دفعه إلى ذلك فقال في مقدمة كتاب «الطرف»:

«أما بعد، فيقول الفقير إلى مَن لا غِنَى لأحد عنه، الغني عمّا سواه في كلّ ما لا بدّ منه، الشيخ عمر السويدي بلّغه الله آماله وأحسن مساعيه وأنجح أعماله: معلوم أنّ حالة المعارف العربية في القرون الخالية كانت في الأوج الأرفع من منازل التقدم، ثم أفضى بها كرور الأيام إلى أنْ كادت تدخل في خبرِ كان، فلا يبقى لها عين ولا أثر. فلهذا عزمتُ ـ والله المعين ـ على نشر ما يصل إليه الإمكان من هاته المطويات سواء كان متعلّقاً باللغة العربية أو التاريخ أو غيرهما... ولمّا كانت هذه المجاميع لا تخلو من فائدة جديدة نظراً لتعدد مواضيع مشتملاتها وَسَمْناها باسم «طُرَف عربية»، وهذه الطرفة الأولى، وفي هذه الطرفة أربع رسائل ذات شأن هي:

١ ـ «رسالة التنبيه على غلط الجاهل والنبيه»، لابن كمال باشا.

٢ ـ «لعب العرب بالميسر في الجاهلية الأولى»، من تفسير البرهان البقاعي.

٣ ـ «نشوة الارتياح في حقيقة الميسر والقداح»، للسيد مرتضى الزبيدي صاحب «تاج العروس».

٤ ـ «ديوان أبي مِحْجَن الثقفي، وشرحه» لأبي هلال العسكري». اهـ.

وقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة بريل في مدينة لَيْدِن بهولندا سنة ١٣٠٣هـ؛ أي: قبل مئة وسبع سنوات، وقد عنِيَ هذا المستشرق بالمخطوطات العربية فنشر «فهرساً لمخطوطات عربية مأخوذة من مكتبة خاصة في المدينة المنورة تملكها دار النشر أ. ي. بريل»، صدر في سنة ١٨٨٣م، في ١٩٢ صفحة، ثم اشترت مكتبة جامعة لَيْدِن هذه المجموعة. وحقّق كتاب «الفتح القسي في الفتح القُدسي» لعماد الدين الأصفهاني، وطُبع سنة ١٨٨٨م، واهتم بدراسة الأمثال واللهجات، فأصدر عام ١٨٨٣م معجماً عن «الأمثال والأقوال الشائعة في ولاية سوريا، قضاء صيدا»، واهتم أيضاً بلغة البدو في سورية فأصدر كتاباً عن «لغة بدو قبيلة عنزة»، وأصدر دراسات عن لهجات جنوب الجزيرة العربية: لهجة حضرموت، واللهجة الرطينية، وتوفي هذا الشيخ السويدي في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.

• نقلته من جريدة «**الحياة**»، العدد (١٠٠٣٦)، ١ محرم ١٤١١هـ الموافق ٢٣/ ٧/ ١٩٩٠م، وسبق ذكري لكتابه عن الأمثال في الكناشة (٥٢٨).

١٤٩٥ مختارات من «مذكرات وذكريات» للشيخ إسماعيل العتيق:

ـ قال الشيخ **إسماعيل العتيق**: سمعت من بعض جلساء الشيخ **عبد الرحمٰن السعدي** قال له: لا أراك تهتم بالتاريخ؟ فقال الشيخ: الجهل به لا يضر.

وقد سألته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول مقابلة له عن علم الجغرافيا فقال: هو معرفة البلدان ولا شيء في ذلك.

وعن دراسة اللغة الانجليزية فقال: إنْ كان سبباً في غواية الدارس وضلاله فلا تجوز.

ـ الشيخ **عبد الله بن حميد** فذٌّ في ذكائه؛ عبقريٌّ في مداركه؛ ولولا ارتباطه بالقضاء وانزوائه في القصيم مدة تزيد على عشرين عاماً لكان له شأن في شتى فنون العلم ومستجدات العصر؛ فهو حنبلي ما بقي. أما الشيخ **صالح الخريصي** فقد أشرت إلى بعض صفاته في مطلع الحديث، وله تأثير عام على عامة الناس في بُرَيدة وآرائه مقبولة وتوجهاته مسموعة، إلّا أنه لا يبالغ في تقصّي الحقائق ولا يريد أنْ يعرف مستجدّات الأحداث، حتى كان ينكر عليَّ استعمال الراديو والاستماع إليه! ولا يقرأ الصُّحُف ولا يخوض في السياسة، ولكلٍّ وجهة.

ـ حدثني الشيخ مداوي بن علي الجابر قال: كنتُ في معيّة الشيخ **عبد الله الغامدي السعدي** ـ وهو بحق من دعاة السلفية ـ في أحد جولاته، فرأيتُ وزغاً في المسجد، فأخذتُ حجراً لأقتله؛ فقال الشيخ عبد الله: دَعْه دَعْه لأضربه أنا، فخشيتُ أنْ يختفي الوزغ قبل أنْ يحضر الشيخ الحجرَ فرميته فمات، فقال الشيخ: عصيتني! مهجور مهجور! وكنتُ معه ثلاثة أيام لا يكلّمني!

ـ أذكر أنني كنتُ في مجلس الشيخ **علي بن عبد الله آل ثاني** (ت١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) حاكم قطر آنذاك وهو في لبنان بعالَيْه (الجبل)، وقد جاء الخبر بدخول شهر رمضان في المملكة، غير أنّ الشيخ **عبد الله بن محمود** لم يعلن دخول شهر رمضان حسب رؤية المملكة، فأمر الشيخ علي أن يُبْرَق لابن محمود بدخول رمضان، وقال: نحن تبعاً للسعودية في القديم والحديث.

ـ عرضنا على الشيخ **راشد بن سعيد آل مكتوم** حاكم دبي ـ عام ١٣٨٨هـ أنّ في بَر دُبَي قبراً يُعبَد ويُعَظَّم، فقال لهجته الدارجة: «هذا مال العيم»، والمعنى أن هذا القبر يخصّ الأعاجم، ويعني بهم: مسلمي الهند والباكستان، فقلنا له: ولكنه في إمارتك، ومثل هذا لا يُقَرّ؛ لأنّ فيه صرفُ عبادة لغير الله ﷻ، فاعتذر جديًّا عن تغيير أو إزاحة هذا القبر، ولكن لا يُمانع أن نذهب إليهم لنصحهم وإرشادهم. انصرفنا آيسين من تجاوب الشيخ راشد في أمرٍ كهذا؛ ولكن شاءت القدرة الربانية أنْ يقوم بعض أهل الغيرة بنسف ذلك القبر ليلاً وما عليه من المباني وأماكن الاعتكاف، ولم يحدث شيء يُذكَر من الاحتجاجات، ولكنهم عادوا فبنوه مرة أخرى، وسمعتُ فيما بعد أنّه كلّما بُنِيَ هُدِم والحمد لله، وأظنه في الوقت الحاضر مهدوم وبأمر من الحكومة أنْ لا يُعاد بناءه، وهذا يعطي صورة مصغرة عن موقف الشيخ الحاكم من مثل هذه المظاهر الشركية البدعية.

ـ تحدث الشيخ **إسماعيل العتيق** عمّن لقيه في زيارته الأخيرة لسوريا في (٢٠/ ٣/ ١٤٠٦هـ)، وممّن لقيه من تلامذة الإمام الألباني:

١ ـ الشيخ **محمد ناصر ترمانيني**، طالب علم سلفي المعتقد، يقيم في حلب، وقد درس في كلية الشريعة في الرياض، وهو من أبرز تلاميذ الشيخ ناصر الدين الألباني وعلى منهجه في الدعوة.

٢ ـ الشيخ **عبد الله علّوش** في دوما من ضواحي دمشق، تخرّج من كلية الشريعة في الرياض ويعمل مدرساً رسميًّا في مدارس وزارة التربية السورية وإماماً لجامع دوما الكبير، ويقوم على مدرسة للقرآن في مسجده... وهو من تلامذة الشيخ ناصر الدين الألباني.

٣ ـ الشيخ **محمود الحلو**، شاب سلفي تخرّج من جامعة دمشق ومن تلامذة الشيخ ناصر الدين الألباني وينهج نهجه، ويؤم ويخطب الجمعة في قطنا غرب دمشق.

ـ زرتُ لبنان للعلاج في سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) ونزلتُ في **مصحّ هملان في قرية حمّانا**، وكان مهجعي لمدة عام، والتقيتُ بقسّيس بروتستانتي أميركاني كان يتردّد على المرضى ويدعوهم إلى دين النصارى. . . طمع القسيس في مريضٍ عراقي أن يقوم بالترتيل يوم الأحد في كنيسة، على أنْ يلبس سلسلة الصليب ويتقدم للمنصة للترتيل والترنم بما يسمّونه الصلوات يوم الأحد، فكان العراقي على أتمّ الاستعداد لتوجيهات القسيس ولكن بشرط أن تضاجعه البنت سعاد وبأمر من القسيس، والبنت سعاد ممرضة تابعة للمستشفى، وهي الأخرى مبشّرة، فوافق القسيس على الطلب ووعد بإلزام البنت بمضاجعة المريض العراقي في أي وقت يرغبها، فلمّا تأكّد العراقي من صدق القسيس وجدّيته في الأمر تنكّر له وقال: **أنت رجل دين البعيد ديوث وجرار! كيف تزعم أنك تحمل أمانة الدين وأنتَ ترضى ببنات الناس فعل الفاحشة التي يأباها الإسلام وتأباها النصرانية؟! أي دين هذا؟!** ثم كيف تطلب منّي أنْ أتقدَّم بالتراتيل وأنا لستُ من النصارى؟! هل تكون هذه عبادة لشخص لا يدين بها؟! أم هي تسلية وطرب باستماع الموسيقى والترانيم؟!

فكان موقف القسيس موقف المحرج الذي سقط في يده، ممّا جعل العراقي يُعلِن للناس خبث قصد هذا القسيس وإفساد المرضى، بل زاد على ذلك بأنه ليس رجل دين وإنما جاسوس للغرب بدليل أنه تجوّل في كثير من البلدان العربية. . .

ـ **جماعة عباد الرحمٰن في بيروت**: . . . كان الشيخ فتحي يكن ضمن المجموعة التي يرأسها الشيخ **عمر الداعوق** تحت لافتة (عباد الرحمٰن في بيروت)، فالشيخ عمر الداعوق كما يحدّث عن نفسه ليس هو من رجالات العلم ولكنّه ممّن يتّجه لخدمة الإسلام بالاستعانة بالحكام والأمراء، وقد طلب من الملك سعود إنشاء مسجد له ولجماعته وما

يدعونها بالخلية التي من خلالها يقوم ببعض النشاطات النسوية، فوافق الملك على دعم مجموعة (عباد الرحمٰن) بإنشاء مسجد وخلية (وتُعرَف الآن بالخليَّة السعودية)، ممّا جعل الشباب المنتمون للفكر السياسي يختلفون مع الشيخ عمر الداعوق واستعانته بالملوك واعتبروا هذا الدعم احتواءً لعملهم، فكانت (جمعية الأخلاق) برئاسة الشيخ فتحي يكن والتي تحوَّلت فيما بعد إلى اسم (الجماعة الإسلامية)، وأصدروا صحيفة إسلامية سياسية هي (الشهاب). . .

ـ الشيخ **ناصر الدين الألباني**: شيخ الشام والمحدّث الشهير بعد أنْ لفظته سوريا وخرج منها هارباً، استقبلته الأردن فكان شيخ الشباب ومرجع الفتيا، وله جلسات وندوات في الأردن، ولم يكن الشيخ ناصر في يوم من الأيام عزم على التنظيم والتكتيك الحزبي أو الجماعي، ولكن شعاره السلفية ودعوته الأخذ بالدليل في جميع المسائل والقضايا العقدية والفقهية، لقد وجد الشيخ ناصر متنفّساً في الأردن ليقول كلمته ورأيه حتى في الأمور السياسية والقضايا العامة، وقد ذاع ذكر الشيخ وكثر رواد مدرسته، إما باللقاء أو بدراسة كتبه في الكويت والخليج العربي والمملكة، التقيتُ بالشيخ ناصر في الأردن وذكّرته مقابلتي له في الشام عام ١٣٨٠هـ حينما أخبرته أنني سمعت في المملكة أنك مرشّحٌ للتعليم في المدينة، فقال لي: لي معشوقة في دمشق لا أفارقها، وهي لا تصحبني، فغاب عنّي مغزى كلامك، فقلت: معشوقتك هي المكتبة الظاهرية وها أنتَ قد فارقتها، قال: نعم هكذا المقادير.

وما شاء الله، كان الشيخ ناصر الألباني قوي الشخصية قوي الحجة يفقد العاطفة واللين مع كثير من إخوانه، وقد حَدَث أن اختلف مع صديقه الشيخ نسيب الرفاعي في قضية عصمة زوجات الأنبياء من الزنا، فالشيخ نسيب يقول: هنّ منزّهات عن الفاحشة ولا نقول بعصمتهن.

وسَبَّب ذلك هجراناً من الشيخ ناصر مدة تزيد على عشر سنوات ولا تزال؛ عفا الله عن الجميع وغفر لهما.

١٤٩٦ مُبالَغاتُ المتْرِجمين!!

قال د. **عبد العزيز الحربي** في «لحن القول»: يجدُ القارئُ في كتُب التَّراجِم ألواناً من المبالغات، وفُنوناً من ألفاظِ الثناء الزائد، وإنه ليخيّلُ إليك أنّ مَن تقرأ عنه لا نظير له في عصره، ولا مضاهيَ له في مِصْره، ثم تجد في السِّفْر نفسه ترجمةً لآخر من أقران الأوّل، أو في طبقة تلاميذه، أو لواحدٍ من تلاميذه، أو شيوخه، خلَعَ عليه المصنِّف جُمَلاً من المديح، ووَصَفَه بالأوصاف البليغة، وقال عنه: إنه وحيدُ الدهر، وفريد العصر، وشيخ المحققين، وإمام المجددين، أو قال عنه: شيخ الإسلام، وعَلَمُ الأعلام، الأوحدُ، العلّامة، الحبر، البحر، الفهّامة، الذي لم يرَ الناس مثلَه، أو: الذي ما رأى مثل نفسه، أو: خاتمة الحفاظ ـ وليت شعري من أدراه بذلك ـ أو قال عنه: حَفِظ كُتُبَ كذا فقضاهنّ في يومين، ثم عمد إلى كتاب كذا فحفظه في أربعة أيام سواءٍ، وما قرأ شيئاً أو سمعَه إلا حفظه، ولا خَطَّ سوداء في بيضاء إلا انتقشَ ما كتبه في قلبه، وجميعُ ما حفظه لا ينساه، بل هو جارٍ على طرف لسانه حين يشاء.

وربّما نقله المترجِمون عن المُتَرْجَم، وأنه قال عن نفسه: منذ أربعين سنة لم يَكتب ملك الشمال في صحيفة عملي شيئاً، أو قالوا عنه: إنه ختم القرآن بين المغرب والعشاء، أو: ختم القرآن بالقراءات في ليلةٍ واحدةٍ، أو: صلى الفجرَ بوضوء العشاء مدة أربعين سنة (وهذا أقرب إلى الذم لمخالفته السُّنَّة الشرعية والطبيعية) أو ختم القرآن في يوم عشر مرَّات، وهذا غير ممكن..

والتزيُّد في الحفظ ادِّعاءً أو وَصْفاً كثيرٌ ومشهورٌ، والسرّ هي

المبالغة في الإعجاب، وانبساط النفس، وهما يبسطان دائرة التصوُّر حتى تتجاوز الواقعَ، ويذهَلُ العقلُ عن الحقيقة المطابقة له. ويحصل ذلك غالباً ممّن يجدون جهداً في الحفظ، وحفظ المحفوظ، ومن كبار السن حينما يجدون تغيُّراً في حفظهم، فيقول الواحد منهم: لمّا كنتُ صغيراً كنتُ أحفظ كلَّ ما أقرأ، وما كنت أنسى شيئاً، واليوم لا حفظَ، ولا تَذَكُّر. وقال لي بعضهم: كنا نحفظ كلَّ شيء أيام الطّلب، وكنَّا نقوم قبل الفجر نحفظ ونراجع، ثم لم أجد أثراً لهذا الادّعاء؛ وإنما هو عامّي مثقف.

وأما القومة قبل الفجر، فكلٌّ من ينام العشاء مبكّراً سيقوم لو شاء قبل الفجر. وأنا أسهر الليل كله، وهذا أعجب؛ لأن السهر في طلب العلم أشدُّ وَطْءاً مِن طَلبِه في النهار، وسمعتُ واحداً من الراغبين في طلب العلم يقول عنّي: إنني أحفظ كتاب «المحلّى» لابن حزم من أوله إلى آخره. وقال آخر عن آخر: إنه حفظ القرآن في شهرٍ واحدٍ. وهذا مع إمكانه بعيد، وبُعْدُه من جهة أنّ هناك فرقاً كبيراً بين مَن حفِظَ، ومَنْ هو حافظ.

الخلاصة: جرى عمل كثير من الناس تقليداً على تقديس من سلف، والذهول عن بشريتهم، وأنهم خلقٌ مثلنا.

١٤٩٧ أربع مسائل نُسِبَت للإمام ابن حزم... وهو منها براء:

قال د. عبد العزيز الحربي حفظه الله في كتابه «خاطرات» (ص٢٠/ ط. ابن حزم): من حِكَم الشعر ما جاء على لسان الشاعر حين قال:

ومـــا آفـــةُ الأخـــبـــار إلّا رواتـــهـــا

والرواة؛ منهم الصادقون، ومنهم دون ذلك، فمَن تبيَّن ولم يعجل

فقد تَحَرَّى رشداً. . ودونكم مسائل أربعاً نُسِبَت إلى الإمام ابن حزم الظاهري، وهو منها براء، يردّدها بعض الخاصة ومَن دونهم من أهل العلم:

وإحدى المسائل: **القول بأنه لم يطلب العلم إلّا بعد السادسة والعشرين من عمره،** في قصّةٍ يُذْكَر فيها أنّه دخل المسجد فجلس، فأُمِرَ بالصلاة ركعتين. . إلخ. وهي قصة مشهورة يحكيها مَن يحكيها للحثِّ على طلب العلم، وأنّه لا بداية له. وبأدنى تأمُّلٍ وبحثٍ يدرك الطالب أنها مُنتَحَلَة، ليس لها خطام ولا زمام، ومَن قرأ سيرة هذا الإمام عرف أنّه نشأ في بيت علمٍ وعمل، وأنّه حفظ القرآن وعُلِّم مقدمات الشريعة والعربية في سن مبكرة، وأنه طلب الحديث والفقهَ وهو دون البلوغ، وأنّ من أشياخه في ذلك مَن مات وابنُ حزم لم يتجاوز السادسة عشر، ومِمّن سمعته يحكيها الشيخُ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٤٠٧هـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في محاضرة ألقاها علينا يوم ذاك. اهـ.

قال **أبو معاوية البيروتي**: لا بد أولاً من بيان مصدر وإسناد هذه القصة، فقد نقلها **ياقوت** (ت٦٢٦هـ) في ترجمته لابن حزم في «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، قال: قرأت بخطّ **أبي بكر محمد بن طرخان بن بلتكين بن مبارز بن بجكم** ـ قلت: وهو التركي المحدّث الثقة (ت٥١٣هـ) ـ قال: قال لي الوزير **أبو محمد ابن العربي** ـ وهو والد القاضي ابن العربي المالكي، مات سنة ٤٩٣هـ، ووصفه الذهبي بأنه كان من كبار أصحاب ابن حزم ـ أخبرني الشيخ الإمام **أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم** أنّ سبب تعلّمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والحفل فيه، فجلس ولم يركع، فقال له أستاذه ـ؛ يعني: الذي ربّاه ـ بإشارة ـ أنْ قُمْ فصَلِّ تحية المسجد فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين له: أَبَلَغت هذه السنّ

ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة؟! **وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عاماً**. . .اهـ.

ونقل ياقوت نصوصاً أخرى عن ابن طرخان، منها نصٌ سابقٌ لقصتنا يتعلّق بها، قال ابن طرخان: وقال لي أبو محمد ابن العربي: إن أبا محمد ابن حزم ولد بقرطبة، وجدّه سعيد ولد بأونبه، ثم انتقل إلى قرطبة وولي فيها الوزارة (ابنه أحمد) ثم ابنه علي الإمام، وأقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنِّه ستًّا وعشرين سنة، وقال: **إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات**. اهـ.

فالقصة صحيحة، رواتها ثقات، ويؤيّدها الفقرة الأخرى، والقصة ذكرها الذهبي في عدد من كتبه ولم ينكرها، فلا أوافق الشيخ **الحربي** حفظه الله في قوله «أنها مُنتَحَلَة، ليس لها خطام ولا زمام»، بل أقول: القصة صحيحة، لكن يمكنه أن يقول: لعلّ أحد رواتها وهم في سن الإمام ابن حزم، فبدلاً من أن يقول في القصة «**وكان قد بلغ حينئذ ستة عشر عاماً**» وَهِمَ وقال: «**ستة وعشرين عاماً**»، ويؤيد قول د. الحربي ما قاله **الحميدي** ـ تلميذ ابن حزم ـ عنه: «أول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجَسور قبل الأربع مئة»؛ أي: كان سماعه قبل بلوغه السادسة عشر من العمر.

وختاماً، ليس معيباً في حق الإمام **ابن حزم** إنْ كان بلغ السادسة والعشرين من العمر وكانت بضاعته قليلة في الفقه، فقد استلم الوزارة عند بلوغه وفيها أشغال كثيرة وملهاة عن طلب العلم، ونقل **ياقوت في** «إرشاد الأريب» أن ابن حزم اعتذر لأبي الوليد الباجي بعد مناظرته له قائلاً: **وتعذرني أيضاً، فإنَّ أكثر مطالعتي كانت على منائر الذهب والفضة**. وفسّرها ياقوت أنّ ابن حزم أراد أن الغنى أمنع لطلب العلم من الفقر. أضف أنّ بعض العلماء بدأ بطلب العلم متأخّراً في سن الكهولة. . .

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد. انتهى التعقيب.

الثانية: **القول بأنّ مذهبه في الطواف بالصفا والمروة أربعة عشر شوطاً**، وهي أكثر المسائل الأربع شيوعاً عنه، وما بالعهد من قِدَم، فقد سُمِع الشيخ (فلان!) ـ عفا الله عنه ـ في سؤال على الهاتف يقولها، وردّدها ثلاثاً.. ومصنفات ابن حزم كـ (المحلّى، وحجّة الوداع) تنادي بصوتٍ عالٍ على نقض هذه الدعوى وبراءته منها، بل إنّ ابن حزم يحتجّ بالعقل والنقل على مَن يقول بهذا القول.

الثالثة: قال لي غيرُ واحد، منهم أستاذٌ كان يُدَرِّس لنا العقيدة: **إنّ ابن حزم يُحَرِّم أنْ يقول المرءُ لوالدَيه: «أُفٍّ»، ويبيح أنْ يأخذ العصا ويضربهما حتى يبردا**. فقلتُ له: أين هذا؟ قال: في كتبه. ثم أدبر يسعى. غفر الله له.

الرابعة: ما يردِّده بعضُهم تقليداً لابن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ): **أنَّ ابن حزم جَهميٌّ جَلْدٌ**، وهذه أظلم وأطغى. ولا يقول هذا إلّا جاهلٌ بمذهب جَهم أو حال ابن حزم، أو بهما معاً، أو كان قاسطاً، أو لا يدري ما يخرج من رأسه، ولو ألقى معاذيرَه.

١٤٩٨ رحلة مفتي لبنان إلى روسيا وبلاد ما وراء النهر:

في يوم الأربعاء ١٥/ ١١/ ١٩٦٧م سافر وفدٌ إسلامي من مطار بيروت إلى مطار موسكو يتكوّن من ثمانية أعضاء يرأسه مفتي لبنان (المقتول غدراً) الشيخ **حسن خالد** (١٣٤٠ ـ ١٤٠٩هـ/ ١٩٢١ ـ ١٩٨٩م) رَحِمَهُ اللهُ، وكانت مدة رحلتهم ١٤ يوماً تفقَّدوا فيها إخوانهم المسلمين في **طشقند وبخارى وسمرقند وأوزبكستان** والتقوا بالعديد من أهل العلم، وزاروا العديد من المساجد ودور العلم والمكتبات، وتعرفوا على الحالة العمرانية والاقتصادية والثقافية وأوضاع المسلمين في تلك البلاد، والطريف أنهم وجدوا حرارة الجو عشرة تحت الصفر، **فتعجّبوا** من رؤية الناس وأطفالهم يتجولون في الشوارع والحدائق العامة،

فالشعب الروسي «لا يعتبر الحرارة منخفضة إلّا إذا تدنّت إلى عشرين أو خمسٍ وعشرين تحت الصفر»!

وزاروا قبرَ أمير المؤمنين في الحديث الإمام **محمد بن إسماعيل البخاري** (ت٢٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قرية «خرتنك» ـ وقيل لهم أنّ معناها حرفيًّا: الطريق التي ضاقت على الحمار ـ، ورأوا في سمرقند مقبرة **تيمورلنك** وعائلته، حيث اكتُشِفَ قبر تيمورلنك عام **١٩٤١**م، وبقربه حفيده أولوغ بك، وزوجته «بيبي خانم»، وأخته «شادي الملك خانم»، وبنت أخته. وفي يوم السبت **٢٥/ ١١/ ١٩٦٧**م زاروا قصر الرئاسة الكرملين والتقوا بنائب رئيس الاتحاد السوفياتي أروتونيان.

وقد قام **محمد أمين دوغان** ـ وهو أحد أعضاء الوفد، ومستشار المفتي في شؤون الصحافة ـ بتدوين وقائع الرحلة، وطبعها في كتاب بعنوان «الرحلة الرائدة»، ونشرته «دار الشعب» سنة **١٩٦٨**م.

١٤٩٩ وترجل الفارس... توفي الداعية الخَيِّر (ابن بيروت) عبد المجيد بن حسن منيمنة (١٩١١ ـ ٢٠١٥م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فُوجِئتُ بعد صلاة الجمعة بقراءة ورقة نعي (ابن بيروت) **عبد المجيد بن حسن منيمنة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد توفي الأربعاء **١٨** ذي القعدة **١٤٣٦**هـ/ الموافق **٢** أيلول **٢٠١٥**م، وصلُّوا عليه ظهر الخميس في مسجد البسطة التحتا، ودُفِنَ في مقبرة الباشورة، رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وهذا الرجل العظيم الذي أفنى القسم الأكبر من حياته (وُلِد سنة **١٩١١**م؛ أي: عاش مئة وأربع سنين!) في الدعوة والعمل الاجتماعي الإسلامي، وكان صلباً في الحق لا يتزعزع، ولا يتورّع عن مجابهة أي مسؤول مهما علا شأنه، مطالباً بحقوق الناس عليهم، وحاضًّا إياهم على العمل لتلبية وتحقيق مصالح الناس والمجتمع والابتعاد عن شهوات الدنيا والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف...

هذا الرجل العظيم، مَن مِن أهل بيروت ولبنان يعلم سيرته ومبادئه وما قدَّمه من أعمال دعوية لأهل بيروت ولبنان؟! هل يصحّ أن تكون سيرته مجهولة بين أكثر المسلمين؟! أوَليس مِن الأجدر أنْ تُروَى كي تكون شاهدة على أهمية تلك المساهمات الخيرية التي يقوم بها الأفراد والجماعات؟ وأيضاً لتُحْفَظ تلك الأفكار والمبادئ عسى أنْ تجد دوماً مَن يحمل رايتها؟

وأرجو فيما أكتبه هنا أنْ أعرِّف ببعض مناقب هذا الرجل العظيم، فمن أعماله الطيبة:

١ ـ تأسيس لجان المساجد في لبنان:

كانت البداية مشاركة (ابن بيروت) لإخوانه في أعمال لجنة محمد الأمين، وهي من أوائل اللجان التي شُكِّلَت في بيروت، ثم بدأ الأمر يتسع، فبعد كل صلاة جمعة، أو إثر أي احتفال ديني كان (ابن بيروت) يقف خطيباً داعياً لفكرة تأسيس لجنة المسجد وشارحاً أبعادها وحاضًّا المصلين الذين يجدون في أنفسهم القدرة على العمل والكفاءة أن يقوموا بتشكيل لجنة للمسجد الذي يرتادونه، وإذا ما وجد قَبولاً من البعض، كان يسارع إلى عقد اجتماع لهم والبدء بتشكيل لجنة يكون هو محرّكها ومنظّمها في البداية، وعندما يستتب عملها يتركها لأعضائها، وينتقل إلى مسجدٍ آخر لتتكرر نفس التجربة، ولم تقف دعوته في بيروت، بل خصّص معظم أيام الآحاد لإيصال دعوته خارج بيروت، فمن مدن وقرى إقليم الخرّوب إلى صيدا إلى البقاع إلى القلمون وطرابلس إلى عكار، وفي أيّ مكان وُجِد كان يدعو إلى تشكيل لجان المساجد.

بل حتى عندما انتقل إلى مدينة جدّة السعودية للإقامة عند ابنته المقيمة هناك في إحدى مراحل الحرب اللبنانية، وفور وصوله إلى مطار جدة وصلاته في مسجده ألقى كلمة بالمصلين حضّهم فيها على العمل

على إحياء رسالة المسجد وتشكيل لجنة تكون نواة هذا العمل، وبالفعل تشكلت لجنة عُرِفَت باسم لجنة جامع المطار الدولي الخيرية برئاسة الشيخ منصور منصور إمام المسجد وعضوية عدد من المصلين، وقامت اللجنة بإنشاء مكتبة ومركز لمحو الأمية بجانب المسجد، وانتسب إلى المدرسة في أيامها الأولى اثنا عشر تلميذاً بإشراف اثنين من المدرّسين المتطوعين، وأثار نشاط (ابن بيروت) حفيظة السلطات المحلية، واستُدْعِيَ إلى وزارة الداخلية للتحقيق، إلى أنْ تدخّل إمام المسجد موضّحاً حقيقة الموضوع ومعرِّفاً بالرجل، كما أجْرَت صحيفة المدينة المنورة في عددها رقم **٣٨٣٩** ليوم الخميس ٤ ذو الحجة **١٣٩٦**هـ مقابلة مع (ابن بيروت) حول تجربته الجديدة في مسجد مطار جدّة، كذلك فعلت قبلها جريدة عكاظ في عددها الصادر يوم الجمعة **٢٧** ذو القعدة **١٣٩٦**هـ.

٢ ـ الدعوة إلى إنشاء بنك إسلامي لا ربوي.

٣ ـ الدعوة إلى إنشاء بيت مال المسلمين (وجباية الزكاة)، الذي هو بمثابة المركز الرئيس الذي تُدار من خلاله كافة مشاريع بناء المؤسسات الإسلامية لتلبية حاجات المجتمع الإسلامي، لكن هذا المشروع لَقِيَ معارضة شديدة من رجال السياسة المنتسبين إلى أهل السُّنَّة!! وتوقف المشروع سنين طويلة حتى نهاية سنة **١٩٧٨**م حيث أقرّ المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى النظام الأساسي والنظام الداخلي للصندوق المستقل لبيت مال المسلمين، لكن هذا الإقرار بقي حبراً على ورق حتى سنة **١٩٨٢**م حيث تقرر البدء بخطوة تمهيدية للمشروع، وهو ما عُرِف باسم (صندوق الزكاة) المعمول به حاليًا.

٤ ـ المطالبة بتعطيل يوم الجمعة:

سعى (ابن بيروت) مع إخوانه في الجمعيات الإسلامية ولجان المساجد إلى استعادة المسلمين لحقّهم الطبيعي في تعطيل يوم الجمعة،

فأصدرت الجمعيات الإسلامية بيانات تدعو للأمر، وأجروا اتصالات ولقاءات مع المسؤولين الدينيين والسياسيين، خاصة مع رئيس مجلس الوزراء آنذاك صائب سلام، الذي كلَّفته الدولة رسميًّا بالتوجه إلى الجامع العمري الكبير وإعطاء وعدٍ للمسلمين بالتعطيل يوم الجمعة، وكان ذلك عشيَّة الحرب اللبنانية (سنة ١٩٧٥م) التي عطَّلت تنفيذ هذا الوعد! ولم يتوقف (ابن بيروت) عن متابعة هذا الأمر إعلاميًّا ليبقى حاضراً في عقول وأذهان الناس، وآخر ما نشره كان بتاريخ ٢٨/٩/١٩٩٠م في جريدة «اللواء» تحت عنوان: «لماذا لا تعطِّل العاصمة يوم الجمعة». قال أبو معاوية البيروتي: وما زال الأمر على حاله حتى الآن!

٥ ـ المطالبة بإقرار التعليم الديني في المدارس الرسمية لتعريف الأجيال الناشئة بدينهم وحماية لهم من الأخطار التي تحيق بهم، وذلك لإيجاد جيلٍ من الشباب المسلم متمسّك بدينه وتاريخه وقِيَمِه الأخلاقية والاجتماعية، وفي سبيل ذلك عمل (ابن بيروت) في البداية على الدعوة لإصلاح المؤسسات التربوية الإسلامية، وخاصة مدارس «جمعية المقاصد»، حيث أصدر بياناً وقّعته **٢٩** جمعية إسلامية وأُرْسِل إلى رئيس وأعضاء جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، يدعونها إلى تقويم سيرتها الإسلامية والالتزام التام بأركان الإسلام وأصوله وقواعده، ولفت البيان أنظار الجمعية إلى سبع نقاط يُطالِب بها المجتمع اللبناني المسلم، وهي:

أ ـ التعميم على جميع مدارس المقاصد **وجوب إقامة الصلوات الخمس** للطلاب والطالبات والمعلّمين والمعلمات، وأنْ تُقام صلاتَي الظهر والعصر جماعة في مسجد المدرسة.

ب ـ عدم قَبول أيّ معلِّم أو معلمة في مدارس ومعاهد الجمعية لا يؤدّيان فريضة الصلاة؛ لأن جمعية المقاصد قد أُسِّسَت على هدف «تعليم المسلمين أمور دينهم».

ت ـ **عدم السماح للطالبات والمعلمات بارتداء أزياء تُخالف الشريعة الإسلامية**، والعمل على ابتكار زي إسلامي مقاصدي يكون قدوة حسنة للمسلمات في لبنان والعالم العربي.

ث ـ **عدم قَبول أي طالب (مخنفس)** وطرده من **المدرسة** بعد مراجعة ولي أمره؛ لأن وجوده يفسد أبناءنا.

ج ـ **إنشاء مصلّى في مستشفى الجمعية** وحث **الموظفين وخاصة أطباء المسلمين على إقامة الصلاة**، وتفضيل المصلين في جميع مرافق التوظيف في المؤسسات الإسلامية على غير المصلين؛ لأن الواجب يدعونا جميعاً لبناء العمود الأول في رسالتكم المقاصدية؛ نعني الصلاة.

ح ـ التنسيق العَمَلي بين مدارسكم والمساجد المجاورة لها بحيث تسمح الجمعية (المقاصد) بمزاولة النشاط الثقافي والرياضي فيها أثناء العُطَل الأسبوعية والسنوية بإشراف إمام المسجد ومساعدة اللجنة العاملة فيه، لجمع أبنائكم المقاصديين وغيرهم من أبناء المسلمين من الأزقة والشوارع وأماكن اللهو، لتعليمهم الإسلام وتشويقهم لزيارة المساجد والعمل في سبيل رسالتها.

خ ـ إنّ استجابة الجمعية لمطالبنا يشجّعنا على مطالبة الدولة بضبط المظهر الاجتماعي العام بمنع المظاهر غير السليمة من مدارسها الرسمية وبقية المدارس الخاصة، وكذلك منع الأفلام الماجنة والمجلات الداعرة المنتشرة في كلّ مكان.

٦ ـ تأسيس الجمعية الخيرية لرعاية أطفال المسلمين في لبنان.

٧ ـ تأسيس جمعية مكافحة التدخين.

وغيرها من الأعمال الطيبة، جعلها الله في ميزان حسناته يوم القيامة.

قال أبو معاوية البيروتي: استفدتُ مادة هذا المقال من كتاب «ابن

بيروت، ستون سنة من العمل الاجتماعي الإسلامي» لمحمود علي البغدادي، المطبوع في دار خضر/بيروت، ولـ(ابن بيروت) عبد المجيد منيمنة رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلّفٌ بعنوان «مذكرات ابن بيروت، تسعون عاماً»، لعلّي أنقل منه لاحقاً إنْ يَسَّر ربِّي.

١٥٠٠ فوائد عن العلامة الألباني من لقائي مع ابن أخيه جعفر بن محمد منصور:

الحمد لله، جلست أنا وولَدَاي عمر وعثمان والأخ عمران العلبي وبعض الإخوة مع الشيخ **جعفر بن محمد منصور بن نوح آل آدم الألباني**، وهو ابن أخ العلّامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن مواليد سنة ١٩٥٥م، (وأفادني أنه لم يدرك شيئاً من حياة جدّه نوح لأنَّ الجد ولد سنة ١٨٧٨م وتوفي سنة ١٩٥٨م)، وكان الشيخ جعفر مارًّا ببيروت في زيارة قصيرة، فاجتمعنا به في أحد المساجد، وهو شديد الشبه بعمّه العلامة، ويلبس قميصاً أبيضاً مقصَّرا وقلنسوة بيضاء، وكانت جلسة قصيرة ولكن ممتعة، حدّثنا فيها عن بعض الفوائد والقصص مع عمِّه العلامة محمد، ومنها:

ـ عائلة العلامة وإخوته هي (آدم)، فعندما توفي الجد نوح قالت الدولة لهم: أعطونا اسم أقدم جد لكم ـ ربّما لحصر إرث أو شيء آخر ليجمعوا العائلة ـ، فقالت العائلة لهم: (آدم)، ولعلّه جدّ والدي، أو جدّ جدّي، فأصبح اسم عائلتنا (آدم).

ـ إنّ الصورة التي انتشرت بين الناس عن شخص يشبه الشيخ الألباني وهو يجلس في دكان وحوله الكتب هي في الحقيقة صورة لوالده **منصور**، وكان عنده دكان تجليد كتب قرب المسجد الأموي.

ـ دعاه عمُّه العلّامة مرّة إلى الطعام ببيته في الأردن، وبعد الانتهاء قال جعفر لعمّه: «اللَّهُمَّ أطعم مَن أطعمني واسقِ من سقاني، أكل

طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وصلّت عليكم الملائكة».
فأنكر عليه عمُّه قائلاً: «مَن قال لك تجمع بين الاثنتين؟!» تكفي واحدة.

ـ سألته إنْ مرَّت على العلّامة فترة جمع فيها بين زوجتين، فأجابني بالإيجاب، وأنه مرَّت فترة جمع بين الزوجة الثانية (ناجية اليوغوسلافية) والثالثة (خديجة القادري السورية)، ومرَّت فترة جمع فيها بين الزوجة الثالثة والزوجة الرابعة (أم الفضل) التي تزوّجها في منتصف رمضان سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. وسألتهُ لأنَّ البعض أنكروا أنّ الشيخ الألباني جمع بين زوجاته، بل تزوج كلًّا على حِدة، وها قد جاءنا إثبات الجمع، وعند جهينة الخبر اليقين.

وهناك أخبارٌ أخرى لم أذكرها؛ لأن الشيخ طلب عدم نشرها.

● وكتبه أبو معاوية البيروتي ليلة الأحد ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٦هـ/ ٦ أيلول ٢٠١٥م.

١٥٠١ يخلط بعض القراء بين...

قال الشيخ **عبد الله الهَدْلَق** في بعض تغريداته:

يخلط بعض القراء بين ثلاثة من الأعلام؛ كلٌّ يُقال له «ابن نباتة». هناك ابن نباتة صاحب الخُطَب، وابن نباتة السعدي الشاعر، وابن نباتة المصري. ويخلطون بين محمد الأمين الشنقيطي نزيل الزبير ـ هو الذي تزوج تقي الدين الهلالي ابنته ـ وبين محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» نزيل المدينة. ويخلطون بين محمد حسين هيكل السياسي الأديب والمؤرخ ـ وهو المتقدّم ـ وبين معاصرنا محمد حسنين هيكل. ويخلطون بين القرطبي المفسّر والقرطبي صاحب «المفهم في شرح صحيح مسلم».

المراغيون سبعة إخوة أو ثمانية! يخلطون بين المراغي المفسر والمراغي شيخ الأزهر؛ له تفسير، وهما أخوان! هؤلاء يحتاجون مسؤول تعداد يفرّق بينهم!

ويخلطون بين الشيخ بخيت المطيعي الفقيه الكبير وبين نجيب المطيعي الذي أكمل المجموع، وهو دون الأول، والأخير كان نصرانيًا فأسلم رحمهم الله!

مَن يُعرَف بالرافعي في عصرنا أربعة.. يخلطون بين الرافعي الأديب الكبير صاحب «وحي القلم» وبين الرافعي المؤرخ.

ويخلطون في علماء العراق المعاصرين بين مصطفى جواد وجواد علي وعلي جواد الطاهر، وناجي حسن وهلال ناجي وناجي معروف!اهـ.

قلتُ: ولأخينا الباحث **محمود حمدان الغزّي** مقالة نافعة بعنوان «المُتَّفِقُ والمُفْتَرِق في أَسْماءِ مُعاصِرِينا!»، سأنقل لكم بعض فوائدها:

ـ العلامة الأديب، شيخ العربية الأستاذ محمود (بن محمَّد) شاكر (١٣٢٧ ـ ١٤١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بخلاف المُؤرِّخ السُّوريّ محمود (بن شاكر) شاكر (١٣٥١ ـ ١٤٣٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ العلامة المُفسِّر الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بخلاف الشيخ الفقيه الدكتور محمد بن محمد المختار الجكني الشنقيطي حفظه الله المدرِّس بالمسجد النبوي وعضو هيئة كبار العلماء، ووالده رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الشيخ محمد المختار الجكني الشنقيطي المدرِّس بالمسجد النبوي، وشارح سنن النسائي.

ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ ـ أحد مشايخ الإمام ابن باز ـ، بخلاف فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ـ الوزير الحالي، صاحب الشُّروح العلمية الماتعة ـ!

ـ فضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن (عبد العزيز) السديس ـ إمام الحرم المكي، ورئيس شؤون الحرمين ـ، بخلاف الشيخ عبد الرحمٰن بن (صالح) السديس ـ تلميذ العلامة عبد الرحمٰن البراك ـ وأحد المُعتنين بكتبه: (شرح التدمرية)، ومتون الإمام ابن عبد الوهاب.

ـ فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن (عبد الرحمٰن) الجبرين (١٣٤٩ ـ ١٤٣٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ـ العالم المعروف ـ، بخلاف فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن (عبد العزيز) الجبرين ـ الأستاذ بجامعة الإمام، وصاحب كتاب: «تسهيل العقيدة» ـ.

ـ فضيلة الشيخ عبد الله السبت (١٩٤٦ ـ ٢٠١٢م) رَحِمَهُ اللَّهُ (الداعية الكُويتي، وصاحب دار الفتح للنشر)؛ بخلاف فضيلة الشيخ الدكتور خالد السبت حفظه الله (تلميذ العلامة ابن عثيمين ومُصنّف كتاب: العذب النَّمير من مجالس الشَّنقيطي في التَّفسير). اهـ.

وأضاف (العضو) ابن العيد:

ـ العلامة الفقيه الأصولي المحدث الشيخ عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) صاحب الكتب المطبوعة بتحقيق الشيخ أبو غدة: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» و«الأجوبة الفاضلة» وغيرها، بخلاف العلامة المؤرخ الشيخ عبد الحي الحسني اللكنوي (١٢٨٦ ـ ١٣٤١هـ) وهو صاحب «نزهة الخواطر»، ووالد الشيخ أبي الحسن الندوي.

وأضفتُ أنا:

ـ عبد الله الحَبْشِي: مؤرخ وبحاثة يمني. ولد في منطقة الغرفة بحضرموت سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، وتعلّم في حضرموت وصنعاء، وعمل في مجمع أبو ظبي الثقافي. له أعمال علمية غزيرة بين تأليف وتحقيق، منها: «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن»، و«جامع الشروح والحواشي»، و«تحفة الزمن» للأهدل (تحقيق). (استللت هذه الترجمة من كتاب «رسائلهم إليّ» للأستاذ أحمد العلاونة).

ـ عبد الله الحَبَشِي: رأس الضلالة المعروف، هلك بأيلول ٢٠٠٨م.

وقد قابلتُ البحّاثة اليمني عبد الله الحَبْشي في أبو ظبي/الإمارات مطلع عام ٢٠١٣م، وقلت له: لو تُشَكِّلون اسمكم وتزيدون بنسبكم في

كتبكم لكيلا يحصل خلط عند البعض، فقال لي: لا داعي، الناس يعرفون مَن هو مَن.

ـ حسن حبشي: أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي سابقاً بجامعة عين شمس، له بعض التحقيقات، منها تحقيق «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران»، و«عنوان العنوان»، كلاهما للبقاعي.

وأيضاً:

ـ د. أحمد زكي وزير البحث العلمي.

ـ أحمد زكي المترجم الأول من مدرسة الطهطاوي.

ـ أحمد زكي العدوي المحقق اللغوي بدار الكتب.

ـ د. أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي.

أما أحمد زكي باشا المتوفى سنة ١٣٥٣هـ، فيُميَّز بإضافة (باشا) و(شيخ العروبة) إلى اسمه، أما الأديب زكي مبارك صاحب كتاب «ليلى المريضة في العراق» ـ والمتوفى سنة ١٣٧١هـ ـ فليس اسمه الأول أحمد، وسيأتي نقلٌ عن كتابه في «الكناشة» (١٦٩٩).

١٥٠٢ التنبيه على خطأ شائع في اسمِ عَلَمٍ يقع فيه الكثيرون!!

قال ياقوت (ت٦٢٦هـ) في «إرشاد الأريب»: أحمد بن محمد بن يعقوب، الملَقَّب مِسْكُويه، أبو علي الخازن صاحب «التجارب»، مات فيما ذكره يحيى بن منده في تاسع صفر سنة إحدى وعشرين وأربع مئة... وكان مِسكويه مجوسيًّا وأسلم، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة. اهـ.

وذكره صاحبه أبو حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ) في «كتاب الإمتاع» ـ وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ـ فسمّاه: مسكويه. وذكره في «أخلاق الوزيرين» مرتين كذلك.

قال أبو معاوية البيروتي: والعجيب أنني وجدتُ الكثيرين ـ قديماً وحديثاً ـ يسمّونه في كتبهم (ابن مسكويه)!! فيجعلون اسم أبيه (مسكويه)! وإنما هو لقبه هو. وممّن وجدته أخطأ مراراً وسمَّاه في كتابه (ابن مسكويه) ـ على سبيل المثال ـ:

ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في «الكامل»، والنويري (ت٧٣٣هـ) في «نهاية الأرب»، والصفدي (ت٧٦٤هـ) في «الوافي بالوفيات»، وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في تاريخه، وغيرهم الكثير، ناهيك عن المعاصرين.

قال الحافظ ابن حجر في «نزهة الألباب في الألقاب»: **مسكويه،**

هو أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي أبو علي صاحب كتاب «تجارب الأمم»، واشتهر على الألسنة أبو علي **بن مسكويه، وإنما هو لقبه هو،** ذكر ذلك ياقوت في «الأدباء». اهـ.

وحتى الحافظ ابن حجر سها وسمّاه (ابن مسكويه) في «الإصابة» و«تهذيب التهذيب»!

ومن الطرائف أنّ الأب أَنِسْتاس الكَرْمِلي كتب متعقّباً المستشرق لويس ماسنيون في مقال كتبه باللغة الفرنسية، فقال: . . . إلا أنه وقع له فيه بعض الأغلاط في ضبط الأعلام فنستأذنه في تصحيحها. ولما كان ضبطه لها بالحروف الفرنجية أصبح غلط الطبع بعيداً عنها. من ذلك: اسم ابن مسكويه ص٢٤٨ فإنه كتبه بالشين والمشهور بالسين. وإنْ كان أصل الاسم بالشين. اهـ. فصوَّب لفظ (مسكويه) لكنه أضاف إليها (ابن)!

١٥٠٣ فوائد من كتاب «أبو العرب التميمي القيرواني وعلم الجرح والتعديل» للدكتور الهادي روشو (ط. دار سحنون/ تونس):

أ ـ الرواة الذين عرفهم أبو العرب محمد بن تميم القيرواني (٢٥١ ـ ٣٣٣هـ) وأخذ عنهم لا ذكر لهم في كتابه «طبقات علماء أفريقية» الذي

بين أيدينا ـ والذي اختصره الطلمنكي ـ، إذ مَن تتبّع تواريخ وفيات المترجَم لهم وجد أن أبا العرب توقَّف عند طبقة الإمام سحنون، آخر المترجَم لهم موتاً: محمد بن عياض القيسي/ت ٢٥٣هـ، أما ابن سحنون مثلاً وقد توفي سنة ٢٥٦هـ فلا نجد له ذكراً فيه. (قال البيروتي: كانت ولادة أبي العرب سنة ٢٥١هـ).

ب ـ أولاد الحافظ أبي العرب القيرواني:

١ ـ ابنه **أبو العباس تمام بن محمد التميمي** العالم الزاهد المحدث الفقيه، سمع من صغار أصحاب سحنون، وكان رجلاً صالحاً متقناً مجتهداً، توفي سنة ٣٧١هـ راجعاً من الحج.

٢ ـ ابنه **أبو جعفر تميم بن محمد التميمي** الذي هاجر إلى الأندلس وأدخل إليها كتب أبيه، حدّث عن أبيه، وكان أخوه يضعّف سماعه من والده، توفي بقرطبة سنة ٣٦٩هـ حسب ابن الفرضي، و٣٥٩هـ حسب عياض.

ت ـ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يخلط أحياناً بين أبي العرب التميمي القيرواني (ت٣٣٣هـ) ـ صاحب كتاب «الضعفاء» ـ وبين أبي العرب الصقلي الشاعر (ت٥٠٦هـ)، فتراه يستشهد بجرح أو تعديل لأبي العرب القيرواني لكن ينسبه لأبي العرب الصقلي. (قال البيروتي: تُضاف هذه الفائدة إلى الفقرة السابقة (١٥٠١)).

ث ـ قال أبو عبد الرحمٰن بكر بن حماد التاهرتي (ت٢٩٦هـ): **البهلول بن عمر التجيبي**، عند موته رمى بعضهم نعشه بالحجارة، وأرادوا إلقاء جثته في الوادي! «طبقات علماء أفريقية».

كان البهلول يميل إلى المعتزلة وقولهم بخلق القرآن كما اتّهموه بذلك.

١٥٠٤ القاضي محمد بن عبد الواحد ابن سودة (ت١٢٩٩هـ)، المعروف بالجلود!

ترجم له عبد السلام ابن سودة (ت١٤٠٠هـ) في «إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» وقال: «في يوم الجمعة تاسع وعشري قعدة عام ١٢٩٩هـ توفي محمد بن عبد الواحد بن الشيخ القاضي أحمد ابن الشيخ التاودي ابن سودة، عُرِف بالجلود. وسبب تسميته بالجلود هو أنه اشترى بقرة أو ثورا لأجل الخليع حسب المتعارف عليه قديماً بفاس، فلما ذبحها جاء إليه المكلّف وأخذ منه جلد البقرة؛ لأنّ الحكومة كانت أمرت بذلك، فلما جاء يوم الجمعة قال في خطبته: «اللَّهُمَّ يا ودود أَهْلِكْ مَن كان سبباً في أخذ الجلود»! فلما وصل ذلك إلى سلطان وقته سيدي محمد بن عبد الرحمان، وكان إذ ذاك بمراكش، صدر الأمر بأن يطلع الخطيب إلى مراكش شبه مسجون، وقد تخَوَّف على نفسه. فلما مثل بين يده أمره بأن يسرد عليه خطبته بتمامها، فلما وصل إلى قوله «اللَّهُمَّ يا ودود... إلخ» قال له السلطان: قد أجاب الله دعاءك، وذلك أن الذي كان طلب من السلطان الجلود قد أهلكه الله حالاً، ثم إن السلطان أكرمه واحترمه وأصدر له ظهير التوقير والاحترام. وكان علماء فاس أظهروا أسفاً كبيراً لما وصل الخبر بذهابه إلى مراكش، وحين وصل الخبر إلى فاس بنجاته أظهروا فرحاً كبيراً.

١٥٠٥ غطرسة عباس العقاد وغروره وكبره وجرأته لحد التفوه بالكفر!!

صدر عن دار اللؤلؤة/بيروت كتاب «العقاد في الميزان، لمناسبة كتابه عن معاوية» للشيخ **محمود النواوي الأزهري** (ت١٣٩٩هـ)، باعتناء الشيخ **سليمان الخراشي** حفظه الله، وصدّره بمقدمة تُظهر موقف عباس العقاد (١٣٠٦ ـ ١٣٨٣هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٩٦٤م) من سيدنا معاوية رضي الله عنه، وعقد فصلاً مدعماً بالنقولات عن غطرسة عباس العقاد وغروره وكبره وجرأته لحد التفوه بالكفر!!

ثم أورد الخراشي ما كتبه الشيخ محمود النواوي، وهو عبارة عن مقالين نشرهما النواوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلة «الأزهر» ردًّا على كتاب عباس محمود العقاد الذي سمّاه «معاوية في الميزان»، تطاول فيه بأسلوبه الفلسفي التحليلي بجرأة ووقاحة على مقام هذا الصحابي الجليل، ثم ألحقه بمقالٍ ساخر للكاتب العراقي **محمود الملّاح** (١٣٠٨ ـ ١٣٨٩هـ/ ١٨٩١ ـ ١٩٦٩م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي تناول فيه أيضاً كتاب العقاد السابق.

قال الشيخ **سليمان الخراشي** حفظه الله في مقدمته (ص٣٧): عُرِف عن العقاد غطرسة وغرور وكِبر وجرأة على اقتحام عظائم الأمور، ولو أدّاه ذلك إلى أن يفوه بالكلمات الكفرية ـ والعياذ بالله ـ كما نَقَل ذلك مَن عايشه واختلط به. يقول تلميذه **أنيس منصور** في كتابه «في صالون العقاد» (ص٢١): «كان الأستاذ العقاد يزلزل وجودنا عندما يغضب من الدنيا فيقول: ما هذا الكون؟ ما هذه الدنيا؟ أعطني المادة الأولية لهذا الكون وأنا أصنع لك واحداً أفضل منه!» وينقل عن العقاد قوله (ص٢٢): «يا مولانا! إن الله لن يحاسبني على ما أفعل.. إذ كيف يحاسبني وقد خلقني في عصر كمال الدين حسين وجمال عبد الناصر؟!» ويقول العقاد: «قد أتصور الإله الخالق سعيداً، ولكني لن أتصوره طروباً!» (مراجعات في الآداب والفنون/ ص١٣٤).

ويقول الأستاذ **مكرم عبيد** عنه: «من أغرب الأمثلة على خباله أن بعض حضرات أعضاء الهيئة الوفدية زاره قبل صدور القرار بفصله، وطلبوا إليه أنْ يتورّع عن التهجم على الزعيم الجليل ومكرم، فما كان من المخبول إلّا أنْ أجاب: «أنا باشتم ربنا، أفلا أشتم هذين الولدين»! (عباس العقاد/ ص٤٢٧، لرجاء النقاش).

ويقول حسين **أحمد أمين** في ترجمته للعقاد في كتابه «شخصيات عرفتها» (ص٨٥): «ما يحيّرني منه هو موقفه من الإسلام، فهو في

مجالسه الخاصة وندواته الأسبوعية التي حرصتُ على حضور بعضها، كان يبدو صريح الإلحاد، صريح الاستخفاف بالعقائد، وقد تبدر منه فيها من التعابير ما يصدم بعض جُلّاسه. . ».

وذكر الأستاذ **فتحي رضوان** في كتابه «عصر ورجال» (ص٢٢٩) أنه تلا على العقاد سورة الناس، فقال العقاد: «لو نسبوا إليَّ هذه السورة لتبرَّأتُ منها»!!

فمَن كانت هذه أقواله الجريئة في مقام الخالق ـ جلّ وعلا ـ فلا يُستَغرَب منه الجرأة على غيره.

ومن غطرسة العقاد قوله: «لقد ألَّفتُ ستين كتاباً أتحدّى أيّ مخلوق أنْ يؤلِّف مثلها»! (أحاديث العقاد الصحفية/ ص١٧٦).

● أفادني الأخ الهمام **أحمد صبري** عن رأي الأديب **الرافعي** في العقاد ـ جمعها من قراءاته للرافعي ـ، وممّا قال فيه: «عقيدته زائغة»، «لا يعتقد بالقرآن ولا بالنبوة ولا بالوحي»، «متناقض»، «سيئ الفهم»، «يتشابه أسلوبه بثرثرات الصحافيين».

١٥٠٦ أميركا ... رحمه الله!

أمير كا: هو اسم ـ أو بالأحرى لقب ـ مركب من الكلمة العربية (أمير) و(كا) التي تدل على المبالغة في التعظيم، وقيل أن (كا) اسم مقاطعة. . .

وقد قرأت قديماً في «عمدة الطالب» (ص٤٠٦/ ط. ابن حزم) لابن عنبه (ت٨٢٨هـ) في شجرة لموسى الكاظم أن أحد أبناء ذريته اسمه أمريكا، وهذا تحريف وصوابه (أمير كا)، وبمراجعة بعض كتب الأنساب مثل «الشجرة المباركة» و«الفخري» يظهر أن (أمير كا) لقب يُطلَق على بعض آل البيت في بعض بلاد المشرق؛ فارس وما وراء النهر، والله أعلم.

وقد عرضتُ ما كتبته على شيخي النسّابة إبراهيم الهاشمي الأمير فأقرّ ما فيه حفظه الله.

١٥٠٧ كان يسمِّي بيروت دار الكافرين ودمشق دار الفاسقين!!

السيد مرتضى بن السيد محمد السعيد بن السيد محيي الدين الحسني الجزائري ثم الشامي (١٢٤٥ ـ ١٣١٩هـ)، من مشايخ الطريقة القادرية، المرشد الكامل والعالم الأديب الفاضل، المدفون في تربة الباشورة ببيروت.

كان غيوراً على المنكرات والبدع (أي: كان حريصاً على كشف حالها)، سليط اللسان على المبتدعين، ينهج في أحواله منهج السلف ويدعو إلى ذلك، وكان لا يرضى بأدنى بدعة مخالفة لما يعهده من السيرة الحميدة، ولذلك كان كثير الاحتجاب، لا يخرج إلا لبعض إخوانه أو لمنتزه يخلو به معهم، فلا يتردَّد إلى الكبراء ولا يزورهم ولا يجيب دعوتهم وإنْ كان يجلّهم إذا صادف وجودهم في مجلس، ولم يحصل له الإجلال والشهرة الكبرى إلا في بيروت، حتى صار عند أهلها أول جليل بها، ولا يزوره أحد إلا ويذكر له ما يبلغه من المنكرات، فيستغرق مجلسه في ذمّها ولعن فاعلها وتقبيحهم والدعاء عليهم، وتأخذه الحدّة العمرية جدًّا، ويظهر من التألم ما لا مزيد عليه.

واتفق أن أحد الوجهاء في بيروت صادفه في الطريق فأقبل عليه وقبّل يده، وكان معه ابنه وعلى رأسه قبعة تشبه القبعة الفرنجية، فقال له: من هذا؟ فقال له: ابني، فقال له: «﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمانِكُمْ﴾؟! الله أكبر!»، وصار يكرر عليه ذلك، فطفق يعتذر له ولا يزيده إلّا إنكاراً. وكان ينكر عليَّ إدخال الساعات إلى الجوامع ويقول: إنها في دقِّها تشبه الناقوس، وأنكر مرة على إمام جامع إقراره على امرأة كانت تقعد عند بابه فتحفظ نعال المصلين وأمر بإخراجها. وله في النظر إلى دقائق الأحوال فكر عجيب، وربما يمرض من كثرة التألم على بعض المنكرات. ولما قدم دمشق مرة وشاهد في مرجتها ما استحدث من القهاوي على جانب بردى تألم وقال: متى كانت دمشق في هذا الحال؟! وصار يسترجع ويحوقل،

وكان يُسَمِّي بيروت دار الكافرين ودمشق دار الفاسقين!

ومن شعره قوله وقد أشرف من قصره ليلا على بيروت:

أنظر إلى بيروت في أضوائها تحكي سماء الزهر في لألائها
إن جئتها ليلاً وجلت بناظر ... خلت النجوم تجول في أنحائها
يا لائمي في حبها مهلاً فلا ... تعجل فإن اللوم من أعدائها

● نقلته من كتاب «طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري» (ص٧٧ ـ ٨١/ ط. دار البيروتي) للعلامة القاسمي (ت١٣٣٢هـ).

وانظر فائدة حول عبارة (**وكان ينكر عليَّ إدخال الساعات إلى الجوامع ويقول: إنها في دقّها تشبه الناقوس**) في «الكناشة» (**١٣٣٥**).

١٥٠٨ شذرات من ترجمة الفقيه الموسوعي ابن علّان المكي الشافعي:

١ ـ محمد علي بن محمد علّان المكي الشافعي (٩٨٠ ـ ١٠٥٧هـ) يتحدَّر من بيتٍ كبير في الفضل والعلم والمجد والسيادة والشرف في شيراز، ثم مكة، وجدّه الأعلى **علي بن مبارك** كان إماماً علّامة، وصفه العلماء بأنه مجدد المئة الثامنة.

٢ ـ ابنه **غياث الدين** كان من علماء مكة، وله مؤلفات مجيدة، منها «**ذيل روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى**»، وذيّل على أحد كتب والده.

٣ ـ للأسف لم يتبقَّ من أسرة العلامة ابن علّان العلمية إلّا امرأة شاهدها المؤرخ **الميرداد** (ت١٣٤٣هـ) في أوائل القرن الرابع عشر، وذكر بأنها كانت فقيرة الحال جدًّا.

٤ ـ كان ابن علّان يمتلك مكتبة كبيرة، قال عنها المؤرخ **عبد الله الوزير** (ت١١٤٧هـ): كان جمّاعاً للكتب محبًّا لها، ولمّا مات تفرّقت، وكثيرٌ منها وصل اليمن، وكان نشأ في مكة فقيراً، وقد رأى يوماً «شرح الآجرومية» يُباع وليس عنده ما يشتريه به إلا (ملوطته) (كلمة عامية تعني

قباء واسع الكمين) فاشتراه به! ثم رجع إلى والده فخاصمه، واستمر ينسخ ويتكسب بالكتابة حتى كثرت كتبه.

٥ ـ ولع ابن علّان بالتأليف، فصنّف مصنفات كثيرة في شتّى العلوم، ما بين مطوّل ومختصر وكرّاس، لدرجة أنه إذا سُئل عن مسألة أَلَّف بسرعة رسالة في الجواب عنها، وقال عنه المؤرخ **الشلي** (ت**١٠٩٣**هـ): كان يُشَبَّه بالجلال السيوطي في معرفة الحديث، وكثرة مؤلفاته ورسائله. ومن أشهر مؤلفاته شرحه المسمّى «**دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**».

٦ ـ من اللطائف أن ابن علّان شرع بتأليف كتابه «**البيان عن توجيه فرضية عمارة البيت الشريف لسلطان الإسلام والإيمان**» بعد طلوع الشمس من يوم الخميس (٢٢ جمادى الآخرة ١٠٤٠هـ)، وانتهى منه ضحوة من اليوم نفسه.

٧ ـ لابن علّان كتاب «**العلم المفرد في فضل وتاريخ الحجر الأسود**»، قال عنه: أظنه لم أُسبَق إليه أصلاً.

٨ ـ ومن كتبه «**الفضائل المجتمعة في فضل وقفة يوم الجمعة**»، أَلَّفه لشرح حديث «**أفضل الأيام يوم عرفة، فإن وافق الوقوف يوم الجمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة**»، وقال: ذكرت في آخره تعين أعوام حجّة الجمعة من وداع النبي ﷺ إلى عام ١٠٥٠هـ. قلتُ: وهذه فائدة عزيزة. (قال الألباني في «الضعيفة» (٢٠٧): حديث باطل لا أصل له).

٩ ـ قرأ ابن علّان «**صحيح البخاري**» في جوف الكعبة أيام بنائها سنة تسع وثلاثين وألف لمّا انهدمت من جهة الحطيم لسيلٍ أتاها، وهذه القراءة لم تتَّفق لأحد من قبله (قال البيروتي: بل اتفق للعديد! وقد ذكرتهم في بحثٍ أودعته الجزء الرابع من الكناشة) واتفقت لمن بعده.

● أفادها الشريف إبراهيم الهاشمي الأمير حفظه الله في كتابه «العلامة ابن علان، حياته، وآثاره وجهوده في خدمة البلد الحرام» (ط. دار الحديث الكتانية ـ ١٤٣٧هـ).

١٥٠٩ فائدة في ذكر والد الإمام مسلم ووالد الإمام البخاري، رحمهم الله جميعا:

قال د. **محمد السحيم**: أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٣٥/ ح ١٥٩٠) أثراً من طريق أيوب بن الحسن عن (**حجاج بن مسلم**) حدثنا ابن المبارك. . .، ثم قال البيهقي: «حجاج بن مسلم؛ هو أبو مسلم صاحب الصحيح».

وهذه فائدة لم أرَها مدوَّنة في ترجمة الإمام **مسلم** رحمه الله.

وقد قال أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب الفرَّاء (وهو من شيوخ الإمام مسلم): «كان **مسلم** من علماء الناس. . .، وكان **أبوه الحجاج** من المشيخة».

نقله مغلطاي في إكمال تهذيب الكمال (١١/ ١٧٠)، وابن حجر في التهذيب (١٠/ ١٢٧).

ولوالد **مسلم** رحمهما الله ترجمةٌ مختصرة في «تاريخ نيسابور» للحاكم (الملخص ص٢٢). اهـ. (قال البيروتي: قال الحاكم في «تاريخه» (تلخيصه): توفي ومسلم كان صغيراً).

وبذلك: يكون والد الإمام مسلم ووالد الإمام البخاري في طبقة واحدة، فوالدُ الإمام **مسلم** روى عن ابن المبارك ـ كما تقدم ـ، ووالد الإمام **البخاري** أدرك ابن المبارك ورآه؛ كما في «التاريخ الكبير» لابنه الإمام (١/ ٣٤٢)، حيث قال الإمام **البخاري** عن والده: «رأىٰ حماد بن زيدٍ. صافح ابنَ المبارك بكلتا يديه، وسمع مالكاً».

تنبيه: اختلفت المصادر في هذه الفائدة:

فالذي في المطبوع من «التاريخ الكبير» (١/ ٣٤٣): «رأى حماد بن زيد صافح ابن المبارك بكلتا يديه»، ونقله ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١/ ٢٧٥)، والذي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٤٠/ ط. بشار)،

و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٣٩٢) ـ كلاهما للذهبي ـ: «ورأى حماد بن زيد، وصافح ابن المبارك بكلتا يديه».

والصواب الأول؛ لأن الإمام **البخاري** رَحِمَهُ اللهُ قال في صحيحه (٨/ ٥٩): (باب الأخذ باليدين: وصافح حماد بن زيدٍ ابنَ المبارك بيديه)، وأحال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٥٦) على ترجمة أبيه من التاريخ، والله أعلم. اهـ.

وأفاد الأخ **خالد الشافعي** بالسابق عن **والد البخاري**، وأضاف أن العلامة **الألباني** قال في «مختصر صحيح الإمام البخاري» (٤/ ١١٠): وصله غنجار في تاريخ بخارى، والمصنف في التاريخ عن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي: رأى حماد بن زيد.. به.

وفي ثبوته نظر؛ لأن إسماعيل هذا ـ وهو والد المصنف ـ لم أرَ من وثقه، وفي ترجمته ذكره المصنف، ولم يذكر فيه جرحاً ولا توثيقاً. انتهى.

وفي «تهذيب التهذيب» (١/ ٢٤٠): إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري والد الإمام صاحب الصحيح، روى عن حماد بن زيد وابن المبارك، روى عنه يحيى بن جعفر البيكندي وغيره، ذكر ولده عنه ما يدل على أنه كان من الصالحين... وذكره ابن حبان في الطبقة الرابعة من الثقات.

إضافة: قال أبو معاوية البيروتي: وقد أعقب الإمام **مسلم** بعض البنات؛ قال الحاكم في ترجمته في «تاريخ نيسابور»: كان مَتْجَر مُسْلِم خان محْمَش، ومَعاشُه من ضِياعه بأُسْتُوا، رأيت من أعقابه من جهة البنات فِي داره. اهـ.

وكان له أخت؛ فقد ترجم الحاكم في «تاريخ نيسابور» (تلخيصه) لأبي بكر محمد بن علي النيسابوري، ابن أخت مسلم بن الحجاج. اهـ.

١٥١٠ فوائد ونوادر من كتاب «من المجالس الأدبية للشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ»:

والكتاب جمعه تلميذه **محمد الصغير المقطري**، وصدر عن دار ابن عباس/مصر/ط. ٢٠١٥م، وهاكم بعض فوائده:

ـ ذكر لنا الشيخ **مقبل الوادعي** (ت١٤٢٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وكان متزوجاً من اثنتين ـ أن رجلاً اتصل به هاتفيًا، وعرض عليه أن يزوّجه، وزوجته بجانبه، فقال الشيخ: إذا كانت طالبة علم فحيّاها الله. ثم قال: فأمسكت أهلي برقبتي وقالت: ماذا؟! ماذا؟! حكاها الشيخ مقبل وهو يضحك.

ـ حكى لنا شيخنا عن بعض طلابه أنه دخل على حاكم رافضي، فقال الرافضي: واللهِ إني مريضٌ اليوم، فقال له الطالب: اللهُ يُشفيك ـ بضمّ الياء ـ كرّرها ثلاثاً، ومعنى (يُشفيك): يهلكك! فقال الرافضي: وأنتَ أسأل اللهَ أنْ يجعلك مرفوعاً فوق الناس. يعني: على النعش!

ـ كان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: يقولون: «**الكتب خير مُكتَنَز وشرُّ مُوَرَّث**»، ثم يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ قصة؛ وهي أنّ رجلاً كانت لديه مكتبة عامرة، فلمّا توفي ـ وكان معه ولد جاهل ـ قام ببيع مكتبة أبيه، فقال له بعضهم: هل بقي من كتب أبيك شيء؟ فقال: بقي الفانوس المخيّط! يعني به: «القاموس المحيط»!! وقال شيخنا في «قمع المعاند» (ص٤٩٥): «وننصح طلبة العلم أنْ يحرصوا على اقتناء الكتب، حتى لو باع أحدهم سيارته، ولو باع أحدهم عمامته، من أجل أن يشتري كتاباً، الكتاب الواحد يساوي الدنيا»!

ـ في ترجمة القاضي **علي بن قاسم حنش** (ت١٢١٩هـ) من «نَيل الوَطَر» (٢/ ١٨٦) ما لفظه: «لصاحب الترجمة خبر مع مسفلة (امرأة تزعم أنها تلتقي في نومها بمَن شاءت من الأموات وتعرف حالهم) كانت تأتي الناس بأحوال موتاهم، فأراد إظهار كذبها وكذب مَرْماهم، فدعاها إليه

وسألها عن والده، وأوهمها أنه مات، فوعدته بدخول المقبرة ليلتها لتأتيه بحديث عن أبيه، وكان والده إذ ذاك على قيد الحياة، فلمّا أصبح دعا جماعة ممّن فُتِنَ بها، ووالده مع الجماعة، فوقفت خلف باب منزله، فاستفصحها الخبر عن والده، فقالت: رأيتُ والدك في نِعَمٍ ونعمى، لابساً لحلّة عُظمى، محفوفاً بالوصائف، مسرور القلب، منشرح الخاطر، وقالت: إنه أودعها وصيةً إليه، وبالغ في شرح حاله عليه، وأنها لا تتكلم بحضرة واحد من الناس، فقال لها: هذا الوالد في المكان، اسْتتمِّي شرح القصة منه، ومن رأسِكِ إلى رأسِه! فضحك حاضروه».

ـ كان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ يحذِّر طلّابه من الجواسيس. . . ومنها ما ذكره في «قمع المعاند» (١/ ٩٠ ـ ٩١)، قال: «. . . فكان يأتينا ـ ونحن في المدينة ـ شخصٌ لحيته إلى صدره، والعمامة، والثوب إلى وسط الساق، ثم يجلس ويحضر دروسنا، ويقول: أيش هذه الحكومة، وهكذا، في النهاية عند أنْ سُجِنّا فإذا الرجل في المباحث. . . لا جزاه الله خيراً، وظيفة خسيسة». اهـ. ثم يذكر رَحِمَهُ اللهُ أن **رجلاً يعمل في المباحث** في بعض البلاد الإسلامية أفاده بأنه لا يعمل في هذا المجال إلّا مَن اجتمعت فيه ثلاثة أمور: **دينه لا يبالي به، والكذب لا يبالي به، ومروءته لا يبالي بها**. اهـ. وانظر «غارة الأشرطة» لشيخنا (٢/ ٤٥٠).

ـ ذكر شيخنا قصة رجل كان آية في الحسد، وأنّ هذا الرجل مَرَّ ذات مرّة على قوم يجتمعون ينظرون إلى شخص قُدِّمَ ليُقتَل، فقيل للرجل الحاسد: هل تحسد هذا؟ فقال: نعم! فقيل: على أيّ شيءٍ تحسده؟! فقال: على هذا الجمع الكثير.

ـ أقول (محمد الصغير): إن خطيباً ضرط وهو على المنبر، فهرب من المدينة التي كان فيها فترة تزيد على عشر سنوات حتى ينسى الناس، ثم رجع فوجد ولداً عمره نحو عشر سنين خارج المدينة، فقال له: ابن

مَن أنت؟ فأجابه، فقال: كم (مضى من) عمرك؟ فقال: لا أدري، إلّا أنّ أمّي تقول: وُلِدتُ سنة ما ضرط الخطيب! فرجع ولم يدخل المدينة وقال: قد أصبحت ضرطتي تاريخاً! وانظر «اللهجة اليمانية» (ص٥٦) لزيد بن عدنان.

- قال شيخنا في «السيوف الباترة» (ص٢٧٤): أخبرنا شيخنا عبد العزيز السبيّل (ت١٤١٢هـ) أنّ رجلاً نجديًا التقى **بعبد الله القصيمي** (كان طالب علم قوي ثم انتكس وألحد! ت ١٩٩٦م) بلبنان، فصار النجديُّ يُحِدُّ النظر إليه، فقال: ما لك تنظر إليَّ؟! فقال: آسف عليك وعلى علمك، فبكى عبد الله القصيمي وقال: أحذّركم من الكتب الزائغة. وبقي على ردّته حتى توفي...».

- كتاب «تيسير الوحيين في الاقتصار على القرآن والصحيحين» للشيخ **عبد العزيز بن راشد النجدي**؛ من مدرّسي الحرم، قال عنه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله: فيه أخطاء لا نوافقه عليها، وكان رحمه الله يقول: الصحيح في غير الصحيحين يُعَدُّ على الأصابع. فبقيت كلمته في ذهني منكراً لها حتى عزمتُ على تأليف «الصحيح المسند ممّا ليس في الصحيحين» فازددتُ يقيناً ببطلان كلامه رحمه الله.

- ذكر شيخنا رحمه الله قصة موت **حمزة البسيوني قائد السجن الحربي في مصر**، وأنه خرج ذات مرة فركب سيارته وركبتْ أخته معه، فقالت له: لا تسرع. فقال لها: أنتِ تخافين من الموت؟! لو لقيني الموت لفرّ منّي! وما هي إلّا لحظات وإذا به يصدم سيارة فتدخل حديدة في عنقه، حتى إنها لم تخرج إلّا بانفصال عنقه من جسده! ففي هذه الحادثة عبرة لمن اعتبر.

١٥١١ شذرات من سيرة الشيخ السلفي سعدي ياسين الصباغ البيروتي رحمه الله:

هو محمد سعدي بن أسعد ياسين (١٣٠٧ - ١٣٩٦هـ/ ١٨٨٧ - ١٩٧٦م)، عالم سلفي، خطيب، أديب، واعظ، تشتهر أسرته بلقب

(الصباغ)، ولد في دمشق، وتوفي في بيروت، قضى حياته بين سورية ولبنان، وعمل لمدة في المملكة العربية السعودية، وزار الصومال وأندونيسيا وباكستان ودولاً إسلامية أخرى، تلقى علومه الأولى عن الشيخ عبد القادر شموط في دمشق، ثم تلقى العلوم الدينية والعربية والأدب عن شيوخ كبار، له العديد من المؤلفات؛ منها: «البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان»، «النبوة»، «الإسلام وارتياد القمر»، وهاكم شذرات من ترجمته:

١ ـ صدر كتاب للبناني جورج شكر يتهجم فيه على نبينا محمد ﷺ، فثار الشيخ السلفي سعدي ياسين رَحِمَهُ اللَّهُ **وألقى خطبة ألهبت عواطف المصلين، فتوجّهوا إثر الصلاة في مظاهرة حاشدة إلى ديوان رئيس الوزراء رياض الصلح مستنكرين التهجم الوقح! فرفض الحاجب والحرس السماح للشيخ سعدي بمقابلة رئيس الوزراء، فما كان من الشيخ سعدي إلا أن دفع الباب وخاطب رياض الصلح بلهجة حادة طالباً منه الاستجابة لمطالبهم ومصادرة الكتاب، فوعده الصلح بمعالجة الوضع شخصيًّا، وبالفعل صُودِر الكتاب من الأسواق وحُوكِم الكاتب شكر ثم نُفِي من البلاد.**

٢ ـ كان الشيخ سعدي ياسين الصباغ رَحِمَهُ اللَّهُ **قد أعد درساً قيماً عن سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب وعقيدته وجهاده ليلقيه في بيروت عام ١٣٩٥هـ، لكن حالت الحرب الأهلية بلبنان دون إلقائه.**

٣ ـ علم الشيخ سعدي ياسين رَحِمَهُ اللَّهُ **بتنصّر طفل مسلم على يد مبشّر أغرى أهله بالمال، وبإدخاله في مدرسة داخلية، فذهب بنفسه وأقنع الوالدين بإخراجه من المدرسة وإعادته إلى حظيرة الدين الحنيف، ودفع لهم ما يحتاجون إليه من دعم مادي متعهداً بدفع تكاليف دراسة ولدهم على نفقة محسن كويتي.**

٤ ـ آخر فتوى للشيخ سعدي ياسين كانت قبل وفاته بساعات رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث أفتى للحاج (إبراهيم) شهاب بفتوى صلاة الخوف (في جامع أبي بكر الصديق/البلد) نتيجة تساقط القذائف العشوائية على المناطق الآهلة بالسكان.

٥ ـ كان الشيخ سعدي ياسين ذا حافظة عجيبة في ذكر الأمثال العربية والحِكم البليغة والأشعار، وكثيراً ما يرد المثل إلى السيدة والدته التي تصحِّح له نصّ ورواية المثل (قال أبو معاوية البيروتي: وكذلك الحال في كتابي «ألف مثل ومثل من تراثنا العريق» (ط. الريان ـ بيروت)، راجعتُ كثيراً منه مع والدتي حفظها الله).

٦ ـ عُرِض على الشيخ التدريس في الجامعة الأميركية براتبٍ مغرٍ حيث كان يلقي محاضرات دينية على طلاب البعثة العلمية السعودية، فرفض كيلا يقع في الشبهات، وفي شرك المبشّرين المضلّلين وخداع المستشرقين المغرضين.

٧ ـ أثناء سفر الشيخ **سعدي ياسين** إلى الحجاز عام ١٩٢٧م، التقى على ظهر السفينة بالمستشرق مرجليوت، فسأله عن أول حديث نبوي وعن آخر حديث، وعن أول امرأة في الإسلام وأول رجل وصبي، فأجابه الشيخ: «إن أول حديث هو: إنما الأعمال بالنيات، . . .»؛ ذاكراً له سند الحديث ورواته، وأشكل عليه آخر حديث. فقال للمستشرق: «تسألني في البدهيات والإحصائيات؟! اسألني في العلم والعلميات». وأجابه عن باقي الأسئلة، فنظر المستشرق إلى الرجل العربي في زيّه الديني ولحيته المهيبة قائلاً: إني أتنبّأ بأنك ستكون قوي الحجة في مستقبلك. . . وكانت لغة المستشرق فصيحة واضحة، كما كانت افتراضاته باطلة ونياته سيئة إزاء موقفه من الشعر الجاهلي والتشكيك فيه.

٨ ـ إجازته لإمام الحرم المكي الشيخ **محمد بن عبد الله آل عثمان**

الملقب السبَيِّل المولود بالقصيم في عام ١٣٤٥هـ (وتوفي ٤ صفر ١٤٣٤هـ، ١٧/ ١٢/ ٢٠١٢م)، فقد كتب عبد المجيد بن محمد بن عبد الله السبيل في مقدمة كتاب «**الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف ومدى مشروعيته**» أن الشيخ **محمد السبيل** حفظ القرآن الكريم على والده، وعلى الشيخ عبد الرحمٰن الكريديس، كما قرأه في مكة (على) العلّامة السلفي الشيخ **سعدي ياسين** اللبناني عضو رابطة العالم الإسلامي، **ولديه منه إجازة في القراءة**.

٩ ـ مكتبته: كان للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكتبة ضخمة حوت الكثير من الكتب والمجلدات والرسائل تجاوز تعدادها الآلاف، وكان يحرص عليها وعلى قراءتها بصورة مستمرة ومراجعتها ووضع تعليقاته وملاحظاته وتصويباته عليها وانتقاداته لِمَا قد يكون في غير محلّه.. كما عمل لها فهارس وتبويبات لموضوعاتها، وهي تُعتَبَر من أفضل المكتبات الإسلامية الخاصة في لبنان؛ لأن الراحل كان حريصاً على شراء أيّ كتاب يصل إليه علمه منذ صغر سنّه، وأثناء تنقلاته وسفره إلى البلاد المتعددة، وبما كان يُهدَى إليه من المؤلفين والملوك والحكّام والعلماء، وقد قُدِّمَت له عروض كثيرة لشرائها من قِبَل الجامعات وبعض الجهات الرسمية أو الشخصية من الأثرياء، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ضنيًّا بها يجد بها أنسه وراحة نفسه، ولم يبخل بها على تلامذته وأصدقائه وطلاب العلم، ورتّبها في خزائن خشبية وزجاجية وحافظ عليها من التلف، وفي أواخر أيامه وأثناء استعار نار الحرب رغب بنقلها إلى مكانٍ آمن خوفاً عليها من الحوادث، ولكنه لم يتيسّر له ذلك، وقد أهداها الورثة حسب وصية الراحل إلى «مدارس الإيمان النموذجية» التابعة لجمعية التربية الإسلامية...

• نسختُ الشذرات من مقالة «أضواء على ذكرى الداعية السلفي الشيخ سعدي ياسين بعد عشر سنوات على رحيله»، كتبها خالد القصار في جريدة اللواء الإسلامي، العدد الصادر يوم الجمعة ٨ رمضان ١٤٠٦هـ، ومن كتاب «الداعية السلفي الشيخ

سعدي ياسين» للدكتور محمد خضر، دار مكتبة الحياة/ بيروت ـ ١٤٠٠هـ، **وأختم مقالي بوصف الشيخ علي الطنطاوي** للشيخ **سعدي ياسين في مقالٍ بعنوان** «دمشقيات... ليلة على سفح قاسيون!» كتبه في مجلة «الرسالة» بتاريخ (**١٨/ ٩/ ١٩٣٩م**)، ومما قال فيه ـ وهو يتحدث عن مجلس علم حضره ـ:... **ثم تسلَّم** المجلس الأستاذ **سعدي ياسين** خطيب بيروت فلم يبق لأحد مجالاً لمقال، وطفق يلقي النكتة إثر النكتة والنادرة تلو النادرة، ونحن نمسك بخواصرنا، ونضرب من الضحك بأرجلنا ونمسح دموعنا، وهو لا يكف ولا يقف، ففكرت كم يضيع بيننا من الآداب التي لو دوَّناها كما دوَّن المتقدمون لكانت لنا ثروة هائلة. **وحسبك من هولها أن ما رواه صاحبنا تلك الليلة وارتجله يملأ كتاباً كبيراً.**

١٥١٢ تراجم من «ذيل» الحافظ ابن كثير على تاريخه «البداية والنهاية»:

١ ـ أبو يعلى حمزة بن موسى، المعروف بابن شيخ السلامية (٧١٦ ـ ٧٦٩هـ):

والسلامية بلدة في شرقي الموصل، وقد ترجم له الحافظ **يوسف بن حسن ابن عبد الهادي** (ت٩٠٩هـ) في «ذيله على طبقات ابن رجب الحنبلي» (ص٢٨/ ط. العاصمة ـ ١٤٠٨هـ)، وقال:

ذكره ابن كثير في «ذيل تاريخه» وقال: اشتغل بالفقه فحصَّل وبرع وصَنَّف وجمع ودَرَّس بالحنبلية، وله تعاليق منها مفيدة على إجماع ابن حزم واستدراكات جيدة، وشرح من أحكام المجد قطعة جيدة صالحة، وكان له اطلاع جيد ونقل مفيد على مذاهب العلماء المشهورة والعربية واعتناء جيد بنصوص أحمد وفتاوى ابن تيمية، وله فيه اعتقاد صحيح وقَبُول لِما يقول سديد ونصره ويوالي عليه ويعادي فيه... توفي يوم الأربعاء لأربع وعشرين ذي الحجة سنة تسع وستين وسبع مئة. اهـ.

ونسب ابنُ حجر بعضَ الترجمة لابن كثير في ترجمة حمزة في «الدرر الكامنة» فقال:... وكان قد اشتغل بالفقه فحصل وبرع وصنف ودرس وجمع؛ قاله ابن كثير. اهـ.

فائدة: ترجم ابن كثير لوالده في «البداية والنهاية» وقال: توفي يوم

الثلاثاء ثاني ذي الحجة (عام ٧٣٢هـ) وقد جاوز السبعين، ودفن بتربته تجاه الناصرية بقاسيون. اهـ.

٢ ـ القاضي حسن بن محمد المقدسي الحنبلي (ت٧٧٠هـ):

ترجم له الحافظ **ابن عبد الهادي** (ت٩٠٩هـ) في «ذيله على طبقات ابن رجب الحنبلي» (ص٢٤/ ط. العاصمة ـ ١٤٠٨هـ)، وقال: . . . قالَ ابنُ كَثِيْر: كان شيخاً صالحاً حسناً بشوش الوجهِ، ومات وقد قارب الثَّمانين.

قال ابن قاضي شُهبة: قال شيخُنا: وقد أجاز لي ولم يتَّفق لي السَّماع منه، توفي ليلة الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة سبعين وسبع مئة بالصّالحية. اهـ.

٣ ـ محمد بن الشيخ عز الدين المَقدسي الحَنبلي (ت٧٧٣هـ):

ترجم له الحافظ **ابن عبد الهادي** (ت٩٠٩هـ) في «ذيله على طبقات ابن رجب الحنبلي» (ص١٠٢/ ط. العاصمة ـ ١٤٠٨هـ)، وقال: . . . خَطيب جامع المظفري بسفح قاسيون، ذكره **ابن كَثِيرٍ وقال**: كان شيخاً صالحاً عابداً زاهِداً عالِماً مفتِياً، له يَدٌ طولى في الفَرايض كعمه العزّ عبد الرحمٰن، توفي في العشر الأوسط من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة وقد قارب التِّسعين. اهـ.

١٥١٢م حسن خاتمة المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (١٩١٣ ـ ١٩٩٩م) رحمها الله:

قال **عبد الرزاق آل مبارك** في مؤلفه «لكي لا يتناثر العقد»: حدّثني الدكتور **علي الدفاع** عالم الرياضيات المعروف في جامعة البترول بالظهران بنفسه مشافهة قال: كنت في أحد المؤتمرات العلمية في أوربا وقد تحدثتُ إلى الدكتورة هونكة، وكنتُ مطّلعاً على كتاباتها وإنصافها

لعقيدتنا وحضارتنا، ورأيتُها وقد كبرت سِنُّها، قلت لها: إن لي حلم جميل أرجو له أن يتحقق!! فقالت لي: وما هذا الحلم؟؟ قال: فأجبتُها: بأنَّ حياتك العلمية والثقافية الطويلة في الدفاع عن مآثر العرب والمسلمين وتاريخهم؛ أرجو أن يكون لهذه الحياة الحافلة وهذه السيرة العلمية المميزة تكملة جميلة وأن تختم بأحسن ختام وذاك بأن تدخلي في الإسلام!!

قال محدِّثي: وقد رأيتُ عينَيها قد اغرورقتا بالدموع، ثم قالت لي بالعربية الفصيحة: «بيني وبين ذلك قاب قوسين أو أدنى»، قال: فما مَرَّ عام أو أكثر حتى سمعتُ خبر اعتناقها للإسلام، وسمعتُ خبر وفاتها بعد ذلك بمدة رحمها الله... انتهى.

قال أبو معاوية البيروتي: وزيغريد هي مؤلِّفة الكتاب المُنصِف «شمس الله تسطع على الغرب»، وقد تحدثتُ عنها سابقاً في «الكناشة» (٩٥٩) و(١١٦٣)، وما أنْ مرَّ معي هذا الخبر المفرح عن إسلامها حتى سارعتُ بإلحاقه بهذا الجزء من «الكناشة» أثناء تصحيحه.



١٥١٣ هل زيادة (وشماتة الأعداء) في تعوّذ النبي ﷺ صحيحة أم زادها سفيان بن عيينة من كيسه؟

قال مسلم في «صحيحه» (٢٧٠٧): حدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثني سُمَيٌّ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان يتعوَّذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء.

قال عمرو في حديثه: قال سفيان: أشك أني زدت واحدة منها. اهـ.

قال **الألباني** في تعليقه على «الأدب المفرد» (حـ ٦٦٩): هي شماتة الأعداء كما جاء مبيناً في «مستخرج الإسماعيلي» من طريق شجاع بن مخلد عن سفيان الذي دار الحديث عليه كما حققه الحافظ في «الفتح» (١٤٨/١١)، وهو سفيان بن عيينة، وقد رواه في بعض المرات دونها كما في رواية ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٣٨٢/١٦٧/١) قال: حدثنا الشافعي: حدثنا سفيان دونها. وكذلك أخرجه الإسماعيلي كما تقدم، والظاهر أنه كان يتذكر أحياناً الواحدة التي زادها من عنده، وهي هذه، وأيَّد ذلك الحافظ من جهة المعنى فراجعه إن شئت. والشافعي هنا هو (إبراهيم بن محمد بن العباس) ابن عم الإمام الشافعي، نبهني بذلك أحد إخواني جزاه الله خيراً، وهو صدوق كما في «التقريب».

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أمران.

الأول: أن الاستعاذة من شماتة الأعداء قد ثبتت في حديث من رواية ابن عمرو مرفوعاً بلفظ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء**»، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٥٤١). فلعل سفيان رَحِمَهُ اللهُ استجاز إضافة ما كان محفوظاً عنده في هذا الحديث أو غيره إلى حديثه عن أبي هريرة، وهذا أهون من أن يُظَن به أنه زاده من كيسه، وبذلك يزول الإشكال الذي حكاه الحافظ أو يخف. والله أعلم... اهـ.

١٥١٤ الذبُّ عن الحافظ ابن كثير فيما افتراه عليه البطريرك الدويهي والأمير الشهابي!

كتب إليَّ السيد سنان الحكيم يقول: «أثناء مراجعتي كتاب «تاريخ الأزمنة» للبطريرك اسطفان الدويهي - بتحقيق الأب فردينان توتل - استوقفني الخبر التالي: «في سنة ألف وثلثماية وخمس وعشرين مسيحية، في الرابع والعشرين من شعبان، يوم الجمعة، ادَّعى قاضي دمشق على **عماد الدين بن كثير** أنه قال: «إن التوراة والإنجيل ما بدّلتا، وإنهما بحالتهما كما أنزلتا». وشهدوا عليه جماعة تقي الدين بن التيمية، فأُخْرِج وطيف به، ونُودِيَ عليه: هذا جزاء مَن قال إنّ التوراة والإنجيل ما بدّلتا...». اهـ.

فما رأيكم في هذا الخبر؟ وهل يمكن أن يقول ابن كثير ذلك؟

قلتُ: أشكر السيد الحكيم على سؤاله؛ لأنه مهم، وقد قطعت بكذب الخبر؛ لأن الحافظ ابن كثير من أعظم العلماء في الإسلام، ولا يمكن أن يقول ما يخالف القرآن، ثم عجبتُ كيف يشهد جماعة شيخ الإسلام ابن تيمية ضد ابن كثير، ورأي ابن تيمية في تحريف التوراة والإنجيل معروف.

وقد رجعتُ إلى كتاب «تاريخ الأزمنة» لأتأكد أن السائل الكريم لم يخطئ في نقله، فوجدته صحيحاً.

فبحثتُ عن المصدر الذي نقل الدويهي منه، فوجدته ينقل عن تاريخ الأمير حيدر الشهابي، فرجعتُ إلى هذا التاريخ فوجدتُ النص فيه مختلفاً، وهذا نصّه:

«وفي هذه السنة ٧٢٦هـ = ١٣٢٥م، في الرابع والعشرين من شعبان، يوم الجمعة، ادَّعى قاضي دمشق على عماد الدين ابن كثير أنه قال: «إن التوراة والإنجيل بُدّلا، وغُيِّرَ حالهما عمّا أنزلا به». وشهد عليه جماعة منهم الشيخ تقي الدين ابن التيمني (كذا). فأُخْرِج وطوف به، ونُودِيَ عليه: هذا جزاء مَن قال إنّ التوراة والإنجيل بُدّلا». (ص٤٨٧ ـ ٤٨٨). اهـ.

فتبيَّن لي أنّ البطريرك الدويهي حرَّف نصّ الشهابي تماماً، وعَكَسَه بما يوافق عقيدته.

فنصُّ الدويهي يقول: إن ابن كثير قال: إن التوراة والإنجيل ما بدّلتا. ونصُّ الشهابي يقول: إن ابن كثير قال: إن التوراة والإنجيل بدّلا.

ونصُّ الدويهي يقول: إن جماعة الشيخ تقي الدين ابن تيمية شهدوا على ابن كثير، والشهابي يقول: إن ابن التيمني (يعني ابن تيمية نفسه) شهد عليه أيضاً.

ولم يذكر الشهابي المصدر الذي نقل عنه، وهو غير ثقة، والخبر متناقض، فكيف يقيم قاضي دمشق ـ وكان يومئذٍ جلال الدين القزويني، وهو من أعظم العلماء ـ الدعوى في أمر مجمع عليه عند المسلمين؟ ثم كيف ينكر ابن تيمية ذلك، وهذا رأيه؟ ثم كيف يزعم أن ابن تيمية شهد عليه، وقد كان مسجوناً في قلعة دمشق في ذلك التاريخ؟ فقد اعتُقِل في السادس عشر من شهر شعبان من ذلك العام.

ثمّ إني رجعتُ إلى تاريخ ابن كثير «البداية والنهاية» فلم أجده ذكر شيئاً في حوادث سنة ٧٢٦هـ.

على كلٍّ ليس الدويهي ولا الشهابي بثقة، ولا يُؤخذ عنهما حوادث تاريخنا الإسلامي، والمهم أن ينتبه الطلاب والباحثون إلى هذه التواريخ ويحذروا منها.

وكتبه د. **صلاح الدين المنجد**

• مجلة «الرسالة» اللبنانية، العدد ٢١، آب ١٩٧٨م.

قال أبو معاوية البيروتي: وزيادة في التوثيق رجعتُ إلى تاريخ الأمير حيدر الشهابي المسمّى «الغرر الحسان في تواريخ حوادث الأزمان»، المطبوع بمطبعة السلام سنة ١٩٠٠م بمصر، فوجدتُ النصَّ فيه كما ذكره الدكتور المنجد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن يُعَكّر الأمر أن الأمير حيدر الشهابي (١١٧٤ ـ ١٢٥١هـ/ ١٧٦١ ـ ١٨٣٥م) وُلِد بعد وفاة اسطفان الدويهي (١٠٤٠ ـ ١١١٦هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٧٠٤م) بأكثر من خمسين سنة! فكيف ينقل عن تاريخه؟! وتاريخ الدويهي لا يوجد في مكتبتي، فسأراجعه عندما أقف عليه لعلّ الأمر ينجلي، والله المستعان.

١٥١٥ هل يوجَد ما يُسَمّى بـ«لعنة الفراعنة»؟!

قال الشيخ **محمد المختار الشنقيطي** في «شرح زاد المستقنع» عند قول صاحب المتن: (فإذا بلغ محسّراً أسرع رمية حجر):

(فإذا بلغ محسّراً): أي: وادي محسّر، وهو الوادي الذي حسّر الله فيه الفيل، فأنزل فيه نقمته وعذابه على من حادّه وأراد هدم بيته، وذلك في القصة التي ذكرها الله في كتابه، فهذا الموضع وهو وادي محسّر هو الوادي الذي حسّر الله فيه الفيل، وأرسل طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، فهذا الوادي إذا بلغه يعتبر موطن عذاب، والقاعدة: أن مواطن العذاب والسخط ـ والعياذ بالله ـ إذا مرّها الإنسان

يسرع في مروره، ولذلك ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما مَرَّ بمدائن **صالح** ـ وهي المدائن التي أهلك الله فيها ثمود ـ مرّ عليه الصلاة والسلام فأرخى على رأسه الثوب، ثم ضرب دابته وأسرع، حتى كأنه يقول: لا أريد أنْ أرى. يقول بعض العلماء: كأنه يقول: إني مصدّق ولو لم أرَ، فلما مَرَّ عليه الصلاة والسلام بموطن العذاب ضرب دابته، وقال عليه الصلاة والسلام في أماكن العذاب: «**لا تدخلوها إلا وأنتم باكون أو متباكون**»؛ أي: لا تدخلوا هذه المواطن إلا وأنتم معتبرون مدّكّرون يصحبكم الخوف من الله، حتى لا يصيبكم ما أصابهم، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث الصحيح: «**لا تمرّوها إلّا وأنتم باكون أو متباكون، لا يصيبكم ما أصابهم**». ولذلك (لا يزال) يُعرف إلى الآن، فإن في بعض مواطن السخط والعذاب مَن دَخَلها قد يتغيّر عقله، وقد يصاب بمَسّ، وقد يُصاب بشيء ـ والعياذ بالله ـ من العذاب، خاصة إذا نزل فيها ضاحكاً لاهياً غافلاً عمّا أوجد الله فيها من العبرة والعظة، ولذلك قال: «**لا يصيبكم ما أصابهم**».

ولا زال يُعرَف إلى الآن مما يُسَمَّى عند العامة «**لعنة الفراعنة**»، وقد تكون من عذاب الله ﷻ، وليس للفراعنة لعنة، وإنما هي نقمة الله ﷻ التي يصيب بها من غَفَل عن آياته وعظاته، ولذلك المرور بمثل هذه المواطن لا يجوز كما ذكر العلماء إلا وهو مصحوبٌ بالخوف، قال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] فورد هذا مورد الذم، **فكلُّ من دَخَل أماكن العذاب أو مَرَّ بها فينبغي عليه أن يستصحب الخوف من الله، والاستشعار لعظيم نقمة الله** ﷻ، وأنه الجبّار المنتقم إذا أراد أَخَذَ أخذ عزيز مقتدر، فعلى العموم هذا الموطن موطن عذاب لا يجوز النزول فيه، ولا يجوز المبيت فيه؛ لأن النبي ﷺ ضرب دابته وأسرع لمّا مرّه، وهو قدر رمية حجر؛ أي: أنه ليس بعريض. اهـ.

• نقل السابق أبو زيد الشنقيطي.

وذكر الأستاذ محمد رجب البيومي في «طرائف ومسامرات» (ص١٠٧/ ط. دار القلم) أن الانكليزي كارناردفون موّل حملة لاكتشاف مقبرة (توت خنع آمون)، ولمّا عثروا سنة ١٩٢٢م على المقبرة الملكية سليمة كاملة كان كارناردفون أول من وطئت قدماه هذه المقبرة، وقد تُرجم له ما كُتِب على الجدران مِن أنَّ الموت سيأتي سريعاً لمن يكتشف المقبرة وينتهكها، فتوفي بعد أسابيع متأثِّراً بلدغ حشرة سامة كانت في المقبرة، ثم تتابع الموت حاصداً أحد عشر شخصاً ممّن دخلوا المقبرة، ثم تتابعت القتلى حتى بلغ مجموعها أكثر من العشرين! ونحن نعلم أن الموت بقضاء الله وقدره، ولكنّ تتابُع القتلى على هذه الصورة، وقراءة ما كُتِب من التحذير على الجدران كان باعثاً لانتشار الحديث عن «**لعنة الفراعنة**»، وقد أشار إليها **شوقي** في رثائه لكارناردفون، حيث قال مكذِّباً الادّعاء الذائع عن أثر اللعنة، ومؤكِّداً أنّ الروح سرٌّ من أسرار الرحمٰن، ولا يكون التنبُّؤ بمصيرها وقفاً على تأثير لدغةٍ خاصة:

لا تسمعنْ لعصبة الأرواح ما ... قالوا بباطل علمهم وكذابهِ

الروح للرحمن جلّ جلالهُ ... هي من ضغائن علمه وغيابه

غلبوا على أعصابهم فتوهموا ... أوهام مغلوبٍ على أعصابه

• قال أبو معاوية البيروتي: وقصة اكتشاف المقبرة مع أبيات شوقي وجدتها مذكورة في مجلة «الرسالة»، العدد ٤٩٢، (بتاريخ: ٧/ ١٢/ ١٩٤٢م).

١٥١٦ خولة بنت الأزور شخصية وهمية لا وجود لها!

عندما كنا في المرحلة الابتدائية كان يدرس لنا في منهج التربية الدينية موضوعاً هو الأفضل والأشوق عندنا وهو موضوع «بطولة بنت الأزور»، حيث رَسَمَ لنا واضع المنهج صورة تلك المرأة في بطولة وشجاعة وتضحية وبذل وفروسية تفوق فروسية خالد ودهاء يفوق دهاء عمرو وإقدام يفوق إقدام البراء وشجاعة تفوق شجاعة عليٍّ، فكنّا نقرأ

هذا الموضوع وخيالنا يجمح معها ويتقلب في بطولاتها، فنحفظ كل أقوالها ومواقفها ثم يرتبط ذلك كله برابط من العقيدة، ذلك لأنهم قالوا لنا أنها من الصحابة، وهي أخت الصحابي الجليل ضرار بن الأزور، وأنها اشتركت في فتح دمشق وقامت بعملية فروسية جريئة لإنقاذ أخيها ضرار من أسر الرومان.

ولكن المفاجأة العجيبة والتي ربما يُفاجَأ بها مَن هم مثلي أنَّ شخصية **خولة بنت الأزور** شخصية وهمية لا وجود لها إلا في مخيلة واضع كتاب «فتوح الشام» المنسوب زوراً للإمام محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، ولقد أثبت بعض المؤرخين أن هذا الكتاب الذي يعتبر المصدر الأول والأوحد في استلهام بطولات خولة بنت الأزور قد أُلِّفَ في سنة ٩٠٧هـ على يد مؤلف مجهول نَسَبَه زوراً للواقدي الذي لا يحتاج إلى مزيد طعنٍ منَّا بسبب هذا الكتاب، حيث أجمع العلماء على ضعفه ورماه الكثير بالكذب والوضع. وبين أيدينا المصادر والمراجع التي تتحدث عن الصحابة مثل «الإصابة» لابن حجر و«أسد الغابة» لابن الأثير و«الاستيعاب» لابن عبد البر وغير ذلك من التراجم والسير، وحتى التواريخ الشهيرة مثل «تاريخ» ابن عساكر عن دمشق لم يرد فيها ذكر صحابية باسم **خولة بنت الأزور** نهائيًّا، ولقد ذكر ابن حجر ٢٨ صحابية باسم خولة في اختلافٍ في بعضهن ولكنه لم يذكر مطلقاً اسم بنت الأزور، ثم إن الصحابي الجليل **ضرار بن الأزور** قد ذكر ابن حجر ترجمته وذكر ثلاثة من إخوته الذكور من المسلمين ولم يكن بينهم أيّ امرأة، ثم إن هذا الصحابي الراجح أنه قد قتل شهيداً في معركة اليمامة مع المرتدّين أتباع مسيلمة الكذاب، والعجيب أننا نرى ممَّن يُنسَبون للعلم والفضل والدين يستشهدون ببطولات تلك الشخصية الأسطورية كأنها حقيقة لا مراء فيها، ويُطْلَق اسمها على الميادين والشوارع في بعض العواصم العربية، وتصير مصدر إلهام عند نساء هذا الزمان من المتهتكات

والسافرات والمقتحمات لكل الميادين! ثم يقُلْن إنَّ لنا أسوة في **خولة بنت الأزور** التي شاركت الرجال في كل شيء وتفوّقت عليهم!

وهذا يذكرنا بما فعله الشيوعيون والاشتراكيون في وقت سابق عندما اتخذوا أبا ذر الغفاري إماماً لهم وأطلقوا عليه اسم رائد الاشتراكية ونصير الفقراء، وهكذا من هذا البهتان والزور، والضحية في النهاية هم أشرف جيل؛ جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

• نقلته من موسوعة البحوث والمقالات العلمية، ولم يُذكَر للأسف اسم الكاتب.

١٥١٧ نقد الشيخ عبد القادر الأرناؤوط لقصة مجيء العتبي لقبر النبي ﷺ:

قال الشيخ **عبد القادر الأرناؤوط** (١٣٤٧ ـ ١٤٢٥هـ/ ١٩٢٨ ـ ٢٠٠٥م) رَحِمَهُ اللَّهُ: «... هذه القصة ليس لها إسناد صحيح ومتنها مخالف للأحاديث الصحيحة، وسكت عنها وكأنها قصة صحيحة مسلَّم بها، وقد قال الحافظ **محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي** (ت٧٤٤هـ) تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذ الحافظ المزي في كتابه «الصارم المنكي في الرد على السبكي»: «ذكرها الحافظ البيهقي في شعب الإيمان بإسناد مظلم». قال: «ووضع لها بعض الكذّابين إسناداً إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، وقال أيضاً ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي في الرد على السبكي» (ص٤٣٠): «هذا خبر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض». اهـ.

وقد أخطأ الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث ذكر هذه القصة (في كتابه «الأذكار») وسكت عليها، وكان الأَوْلَى أن لا يذكرها حتى لا يغرّ بها القراء ويستشهدوا بها.

أقول: كيف تصح هذه القصة وفيها يقول العتبي «جاء الأعرابي إلى قبر النبي ﷺ وقال له: جئتك مستغفراً من ذنبي» بعد وفاة النبي ﷺ وهو في قبره، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾

[آل عمران: ١٣٥]؛ أي: لا يغفرها أحد سواه، قال الحافظ ابن عبد الهادي **الحنبلي**: «ولم يفهم أحد من السلف والخلف من الآية الكريمة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] إلا المجيء إليه في حياته ﷺ ليستغفر لهم». اهـ.

وهذه قضية لها علاقة بالعقيدة والتوحيد فلا يجوز التساهل فيها والسكوت عنها، وإنّ عقائد السلف الصالح أنهم يعبدون الله تعالى وحده ولا يشركون به شيئاً، فلا يسألون إلّا الله تعالى، ولا يستعينون إلّا بالله ﷻ، ولا يستغيثون إلّا به سبحانه، ولا يتوكلون إلّا عليه جلَّ وعلا، ويتوسلون إلى الله تعالى بطاعته وعبادته والقيام بالأعمال الصالحة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]؛ أي: تقرّبوا إليه بطاعته وعبادته ﷻ.

● نقلته من بيان طويل كتبه الشيخ عبد القادر رحمه الله - ووقَّع عليه - في دمشق، ١ ربيع الأول ١٤١٣هـ/ ٢٩ آب ١٩٩٢م.

١٥١٨ التحذير من بعض النشرات الباطلة المنتشرة على البريد الالكتروني والشبكة ووسائل التواصل:

قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما يسمع**» (رواه مسلم)، وانطلاقاً من هذا الحديث النبوي نُحَذِّر المسلمين من الأخبار التالية الكاذبة، وقد اقتطفتها من موضوع لي على الشبكة بعنوان «**موسوعة النشرات الباطلة المنتشرة على البريد الإلكتروني والانترنت**»، وقد سَهّل انتشارها كثرةُ وسائل التواصل ونظام «الفوتو شوب/ Photoshop» الذي يتيح لأيٍّ كان اختلاق الصور الملفّقة، بل وُجِدَت برامج لتلفيق المقاطع المرئية الوهمية، وأصبحنا في زمنٍ فشا فيه الكذب كما أخبرنا نبينا ﷺ، وهاكم بعضها:

١ ـ قصة الفتاة التي استهزأت بالقرآن فمسخها الله!

وهذا أمر قد يقع عقوبة من الله، لكن تلك القصة المنتشرة مكذوبة، وصورة الممسوخة هي في الأصل تمثال في إحدى المتاحف، فلفّقها أحد المغرضين ونشرها!

٢ ـ صورة أشجار الغابة التي رسمت عبارة (لا إله إلا الله)!

وهي صورة رسمها أحد الهواة، فانتشرت أكذوبة بين الناس أن هذه حقيقية وهي لغابة في ألمانيا! ونسجوا حولها الأكاذيب أن فلاناً أسلم عندما رآها، وفلاناً شُفِي بسبب زيارتها... إلخ!!

٣ ـ صور ملفّقة لأجسام ظهر عليها اسم (الله) أو (محمد)!

وهي منتشرة ومتنوعة، فمنها غيمة رسمت اسم (الله)، أو أمواج تسونامي، أو خلايا نحل، أو بقرة على ظهرها اسم (محمد)، أو ظهر أحد الاسمين على أعضاء داخلية للإنسان! فكثير منها ملفّق، وإنْ صَحَّ بعضها فغاية ما تكون أنها موافقة عجيبة، ومن أراد تقوية الإيمان فعليه بقراءة كلام الله القرآن وتدبر آياته ومعجزاته، وهكذا رَبّى النبي ﷺ جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

٤ ـ الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى (الشيخ أحمد)

وقد حذّر منها العلّامة الشيخ **عبد العزيز ابن باز** رحمه الله وبَيَّن أنها من أوضح الكذب وأبين الباطل، وبطلانها ظاهر وجرأة مفتريها على الكذب عظيمة، وبيَّن الشيخ رحمه الله بالأدلة أن هذه الوصية كذب وافتراء على رسول الله ﷺ! أخزى الله من كَذَبَها وعامله بما يستحق، وانظر كلامه في موقعه على الشبكة.

٥ ـ الزعم بأن زوال دولة إسرائيل سنة ٢٠٢٢م بأدلة من القرآن!

نبّه على خطئها الشيخ **عبد الرحمٰن السحيم** وقال: مسألة الإعجاز

العددي فيها تكلّف واضح، وتعسّف بيِّن! والذي ورد في السؤال أقرب إلى التّكهّنات لا إلى طريقة القرآن وحقائقه! وتم إقحام الرقم (١٩) في أكثر من موضع بتكلّف شديد! اهـ. وانظر بيانه المفصل في صفحتي المذكورة في أول الفقرة.

٦ ـ فتاة مريضة عجز الأطباء عن علاجها، فرأت السيدة زينب في المنام...

تقول الأكذوبة المنتشرة أن فتاة عمرها (١٣) مرضت عاماً مرضاً شديداً عجز الطب عن علاجها، وفي ذات ليلة اشتد بها المرض فبكت حتى غلبها النوم، فرأت في منامها بأن السيدة زينب رضي الله عنها وضعت في فمها قطرات، فاستيقظت من نومها وقد شفيت من مرضها تماماً، وطلبت منها السيدة زينب رضي الله عنها أن تكتب هذه الرواية (١٣) مرة وتوزعها على المسلمين. . . إلى آخر الكذب والدجل المذكور في الرسالة، وحذّر منها الشيخ **ابن باز** قائلاً: «هذه النشرة على هذا الوجه من البدع المنكرة، ومن وسائل الشرك والغلو في أهل البيت وغيرهم من الأموات، ودعوتهم من دون الله والاستغاثة بهم واعتقاد أنهم ينفعون ويضرون مَن دعاهم أو استغاث بهم. . . !!» وانظر كلامه بالتفصيل في «مجموع فتاويه» (٨/ ٣٤٦ ـ ٣٤٨).

٧ ـ الخطوط الغريبة في يدك

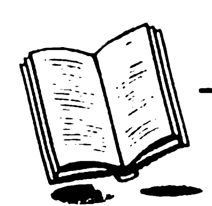
قال أبو معاوية البيروتي: وهذه الأوهام المخترعة أعرفها منذ صغري! ومختصرها أن في يدك اليمنى خطوطاً تشبه الرقم ١٨، وفي اليسرى أيضاً خطوطاً تشبه الرقم ٨١، فإذا جمعنا الرقمين (١٨ + ٨١ = ٩٩) وهي عدد أسماء الله الحسنى! وإذا طرحنا الرقمين (٨١ ـ ١٨ = ٦٣) وهي عمر النبي محمد ﷺ!!

ونبّه الشيخ **عبد الرحمٰن السحيم** أنّ هذه خيالات وأوهام ولا يجوز نشرها، ولا التعلّق بها، ولو كان في نشرها خير لَدَلّ النبي ﷺ أمّته عليه، والتعلّق بمثل هذه الأشياء هو شأن العرّافين والكُهّان والدّجّالين الذين يَزعمون أنهم يقرأون الأكُفّ، ويُخبرون بأشياء لها عِلاقة بِسَعادة الإنسان وشقاوته، أو لها عِلاقة بأمور مستقبلية.

٨ ـ إسلام المشاهير (متجدّد!!)

سبحان الله! إذا أسلم رجل مشهور أو غني يسارع البعض إلى التهليل والتكبير والدعاية له! لكن ماذا عن الفقراء الذي يدخلون في الإسلام بالمئات كل يوم، لماذا لا يذكرهم أحد؟! هل تعلمون يا إخوتي أن أكثر أهل الجنة هم من الفقراء! وأكثر أهل النار هم من الأغنياء! هذا ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ. وللأسف الكثيرون ينشرون أخبار إسلام المشاهير من دون تثبّت، فما أنْ يسمعون تصريحاً منصفاً لمشهور تحدّث فيه عن الإسلام إلّا وسارع ينشر أنه أسلم!! بل أصبحنا مطيّة للساخرين واللّاهين والحاقدين على الإسلام، فيفترون أكذوبة إسلام مشهور وينشرونها، وتنتشر كالنار في الهشيم عبر الشبكة ووسائل التواصل! وبلغ الكذبُ ببعضهم أن وزّع صورة لمشهور وهو فقط يشير بأصبعه السبّابة للأعلى، وعلّق تحتها أنه شهد شهادة التوحيد!! فيا أيها المسلم لا تكن ألعوبة بيد أعداء الإسلام فيمتطونك لنشر الأكاذيب! بل تحقّق وتثبّت قبل نشر أيّ خبرٍ كان، وقد قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء كَذِباً أن يُحَدِّث بكلِّ ما سمع**». (رواه مسلم).



باب الأدب

١٥١٩ هل يقاس نجاحك في الحياة بما تحمله من شهادات جامعية؟!

خرج (دكتور) جامعي يتنزه في الأرياف، وهو مسرور بـ(شهاداته) وبحرف (د.) السابق لاسمه، وكان مغترًّا بـ(علمه) لدرجة جعلته يسقط التكاليف عن نفسه، فلا يضيع وقته (الثمين) بأداء الصلوات الخمس، ولا يجيع جسده بصيام رمضان، فـ(علمه) الجامعي جعله يفهم حقيقة هذه الحياة!

وبينما هو يتنزه أضاع طريقه، ومضى وقت طويل لم يرَ أحداً، حتى رأى فلاحاً بسيطاً يقف بعيداً في البرية، فناداه مراراً فلم يجبه! ثم رآه يركع ويسجد ففهم أنه في صلاة، فانتظره حتى أتم صلاته ثم أقبل عليه يسأله عن الطريق، فرافقه الفلاح حتى اهتدى لطريقه.

وأثناء مسيرهما عَرَّف (الدكتور) عن نفسه مزهوًّا: أنا (دكتور) فلان، وأنا ناجح في دنياي وعندي شهادات دكترة وماجستير... إلخ. ثم نظر للفلاح مستخفًّا به وسأله: وأنت، ماذا تحمل من الشهادات؟

فقال الفلاح: أنا أحمل شهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأؤدي فرائض ربي، وهذه الشهادتين والفرائض تكفيني لأنجو يوم القيامة وأدخل الجنة! فهل (شهاداتك الجامعية) تكفيك لتنجو يوم القيامة؟!

فبُهِتَ (الدكتور) وألجم لسانه فلم يجب!

• **كتبه أبو معاوية البيروتي، الذي لم يحمل في حياته أي شهادة جامعية، وحمل**

بفضل الله الشهادتين! وجاء في آخر كتاب «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» للمؤرخ النجدي محمد بن عثمان القاضي (ولد ١٣٤٦هـ): سُئل أحد القضاة على وجه السخرية: ماذا تحمل من الشهادات؟ فقال: أحمل الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فألجم عليه. اهـ.

وقال الأستاذ **أحمد العلاونة** في كتابه «عمر فروخ رَحِمَهُ اللهُ في خدمة الإسلام»: كان د. عمر فروخ (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧م) يرى أن الشهادات الجامعية لا فائدة منها في نفسها، إنها مفاتيح يفتح لحامليها درب الحياة، وبعدئذٍ تصبح هذه المفاتيح لا قيمة لها ولا عمل، وكان يراها لا تدل على علم، فقد عدّ من أسباب التخلف العلمي في العرب أشخاصاً يحملون أوراقاً تسمى شهادات، ولكن لا تلمح فرقاً في حامليها بينهم يوم تناولونها في آخر العام المدرسي الأخير، وبينهم يوم دخلوا الجامعة في أول عامها الأول، بل عدّ بعضها وسيلة من وسائل الاستعمار، تعطى لنفر منا، ثم تطلق أيديهم في حضارتنا وثقافتنا، ليخربوا حضارة قومنا وثقافة قومنا بأيديهم، ويتولى (تخريج) هؤلاء النفر مستشرقون، قال فيهم: «نعرف كتبهم فلا يستحقون بها شهادة عادية».

١٥٢٠ من السُّنَّة قول (بسم اللَّه) في أول الطعام، ومن الخطأ زيادة (الرحمن الرحيم) عليها:

روى أحمد (٤/ ٦٢ و٥/ ٣٧٥) أن النبي ﷺ كان إذا قُرِّب إليه الطعام يقول: «بسم الله»، فإذا فرغ قال: «**اللَّهُمَّ أطعمت وأسقيت وأقنيت وهديت وأحييت، فلِلَّه الحمد على ما أعطيت**».

قال العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٥٢): في هذا الحديث أن التسمية في أول الطعام بلفظ «بسم الله» لا زيادة فيها، وكل الأحاديث الصحيحة التي وردت في الباب كهذا الحديث ليس فيها الزيادة، ولا أعلمها وردت في حديث، فهي بدعة عند الفقهاء بمعنى البدعة، وأما المقلّدون فجوابهم معروف: «شو فيها؟!» فنقول: فيها كل

شيء، وهو الاستدراك على الشارع الحكيم الذي ما ترك شيئاً يقرّبنا إلى الله إلا أمرنا به وشرعه لنا، فلو كان ذلك مشروعاً ليس فيه شيء لفعله ولو مرة واحدة، وهل هذه الزيادة إلا كزيادة الصلاة على النبي ﷺ من العاطس بعد الحمد. وقد أنكرها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما في «مستدرك الحاكم»، وجزم السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (١/ ٣٣٨) بأنها بدعة مذمومة، فهل يستطيع المقلّدون الإجابة عن السبب الذي حمل السيوطي على الجزم بذلك؟!!

١٥٢١ النهي عن الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أَوِ السِّقَاءِ، والسبب...

روى البخاري (٥٦٢٦) ومسلم (٢٠٢٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: **نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية؛ أن يُشرَب من أفواهها.**

وروى البخاري (٥٦٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **نهى رسول الله ﷺ عن الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أَوِ السِّقَاءِ.**

والسبب:

١ ـ قال الحافظ **ابن حجر** في «فتح الباري» (١٠/ ٧٤): وقع في مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب في أول هذا الحديث: شرب رجل من سقاء فانساب في بطنه جنان! فنهى رسول الله ﷺ... فذكر الحديث.

وصحح إسناده الألباني في «التعليقات الرضيّة على الروضة الندية» (٣/ ١٠٠/ حاشية)، وقال: ولا ينفي هذا أن النهي لعلّة أخرى، فقد:

٢ ـ قالت عائشة رضي الله عنها: **نهى ﷺ أن يُشرَب من فِيِّ السِّقاء؛ لأن ذلك ينتنه.**

رواه الحاكم (٤/ ١٤٠) وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي في

التلخيص: صحيح على شرط مسلم. وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٧٩): سنده قوي.

١٥٢٢ عاقبة التكبر في موضع التذلل!!

قال **عبد الكريم بن هوازن القشيري** (٣٧٥ ـ ٤٦٥هـ) في «رسالته»: قال بعضهم: رأيت في الطواف إنساناً بين يديه شاكريّة يمنعون الناس لأجله عن الطواف.. ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئاً. فتعجبت منه، فقال لي: أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك، فابتلاني الله سبحانه بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس!!

١٥٢٣ كيف تعامل الفاضل محمد بَيْهُم البيروتي مع لصوص أرادوا سرقة منزله!!

قليلون الآن يعرفون الفاضل **محمد عبد الله بَيْهُم البيروتي** رَحِمَهُ اللهُ (١٨٤٧ ـ ١٩١٥م) الذي كان نواة لانتشار مدارس التعليم في بيروت، وكان يكتب مقالات في الصحف ويذيل بعضها بـ(الصارخ المكتوم)، وللأستاذ عبد اللطيف فاخوري كتاب ممتع ومفيد ترجم فيه لبَيْهُم وتحدث عن سيرته وإنجازاته، وقد طُبِعَ في دار الحداثة/ بيروت عام ٢٠٠٨م.

وروى قصة اللصوص الأستاذ فاخوري في كتابه «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص٥٣٠)، قال: اتفق بعض الشباب الذين ضاقت بهم السُّبُل وزيّن لهم الشيطان عملهم على التسلل إلى قصر محمد بيهم وسرقته، ويبدو أن أحداً أبلغ صاحب القصر بموعد السرقة، وعند منتصف الليل حضر اللصوص فوجدوا الباب الخارجي غير مقفل! فاستغربوا لكنهم أكملوا وتقدموا للباب الداخلي، ففوجئوا بصاحب القصر يفتح الباب وينير الأضواء ويرحب بهم قائلاً: أهلاً أهلاً بالشباب لقد تأخرتم، تفضلوا تفضلوا! وأدخلهم إلى غرفة الطعام فإذا المائدة جاهزة،

ونادى الخدم لخدمة الضيوف وتناول العشاء معهم، وكان وضع أمام كل منهم صرة مال وقال لهم بعد العشاء: اعتبروا ما في هذه الصرة رأسمالاً يعمل به كل منكم ما يمكنه أن ينجح به.

وخرج اللصوص مشدوهين يدعون للفاضل بيهم ويثنون عليه، وقد عقدوا العزم على التوبة وفتح صفحة جديدة.

١٥٢٤ ألا موت يُباع فأشتريه؟!

قال أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في «يتيمة الدهر»: حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصي، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص، قالوا: كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قذى عينه، وشجى صدره، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب، إلا أنه من أهل الآداب، إذ لقي في سفره نصباً، واشتهى اللحم، فلم يقدر على ثمنه، فقال ارتجالاً:

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موتٌ لذيذ الطعم يأتي ... يخلّصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو أنني ممّا يليه

ألا رحم المهيمن نفس حرٍّ ... تصدّق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً، فأسكن به قرمه وتحفظ الأبيات وتفارقا، وضرب الدهر ضرباته، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة. . .

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر، ثقل عليه بركه وهاضه عركه فقصد حضرته، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها:

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مذكّر ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ألا موتٌ يباع فأشتريه؟

فلما نظر فيها تذكره، وهزته أريحية الكرم، للحنين إليه، ورعاية حق الصحبة فيه، والجري على من قال:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأمر له في عاجل الحال بسبع مئة درهم، ووقع في رقعته ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦١] ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به، ويرتزق منه.

١٥٢٥ رسالة في منع تقبيل الأنوف كما هي العادة في بلاد الخليج:

هذا العنوان كان للفقرة (١١٣٦) من «الكناشة»، حيث نقلتُ فيها ما أشار إليه الشيخ زهير الشاويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الرسالة من غير أنْ يقف عليها، أما الآن فقد توفّرت المعلومات عنها، وهي:

رسالة «صفة التحية في الإسلام» ألّفها الشيخ **عبد الله بن إبراهيم الأنصاري** في **٢٠** رمضان سنة **١٣٧٩**هـ/ **١٧** مارس **١٩٦٠**م، وهي رسالة مختصرة في ١١ صفحة، وقد طُبِعَت على نفقة الشيخ عبد الله نفسه، ويظهر أنها أول مؤلفاته.

وقال الشيخ **عبد الله بن إبراهيم الأنصاري** تحت عنوان «تقبيل الأنوف والأفواه»: أما ما أحدثه الناس من تقبيل الخياشم والأفواه فهو بدعة في حالة السلام غير صالحة، لم يرد بها النص في الشرع الإسلامي، ولم يفعله أحد من السلف المتقدمين. وعليه كلّ بدعة يُضرَب بها عرض الحائط، ولا عبرة بعمل الناس بها؛ فهي مردودة شرعاً.

وأما من قبيل المروءة فهو خارق لها؛ لأنّ التقبيل لا يكون جائزاً إلا في ثلاث حالات:

١ ـ **تقبيل الوالد لولده الصغير**، فهو عطف وحنان وشفقة، وليس تقبيل الرجل لأخيه المسلم في حالة السلام من هذا النوع أبداً.

٢ ـ **تقبيل الولد لوالده**، فهو من الخضوع والاحترام والأدب، وأداء واجب الأبوّة، وهو أيضاً غير تقبيل السلام من الرجال بعضهم على بعض.

٣ ـ **تقبيل الرجل لزوجته**، وذلك مودّة ومحبة لا توجَد إلّا بين الرجل وأهله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: ٢١].

إذا تقرّر ما تقدّم، علمنا أن التقبيل بين الرجلين عند السلام والتحية خارق للمروءة، ومنظره ليس بجميل، وأمّا سبب إلفته من الناس فكثرة العمل به بدون جدوى، والناس يقلّد بعضهم بعضاً في العادات، وأنا واحدٌ منهم، وقد غَلَبَت علينا هذه العادة، أبدلنا الله خيراً منها.

وأما من ناحية الصحة، فإنّ التقبيل أيضاً تشمئزُّ منه النفوس، وتنبذه الأخلاق الأبيّة نبذاً، فكم من شخص يتأذّى منه، حيث هو مجبورٌ عادةً أن يسلّم عليه الصغير والكبير والصحيح والمريض والحرّ والعبد والنظيف والوسخ والسليم والمبتلى، وماذا يفعل هذا المقهور حياءً الذي يسلِّم عليه مئات بل ألوفٌ من الناس في اليوم الواحد، إنّه يصبر وهو مملوءٌ غيظاً، ولكنّ الحياء والخجل والنزول عند حكم العادة الدنيئة يجعله يسكت ويحتسب أجره عند الله تعالى، فإنّ أفواه الناس منها الأبخَر وذو الرائحة الكريهة وشارب الدخان وآكل البصل والثوم وغير ذلك، وربّما كان مصاباً بمرضٍ سارٍ وهو صحيح الجسم.

إنّ الطبَّ الحديث يحكم بالعدوى بواسطة الذباب والبعوض وأنفاس الناس وتبادل الأواني في المَطعم والمَشرب، فكون العادة من تقبيل الأفواه والخياشم أحرى وأحذر.

ولا يشمل النهي الأخ الشقيق أو العم الحميم مثلاً: قد يفترقان زمناً طويلاً ثمّ يتلاقيان بعد هذه المدّة، فذاك أمرٌ نادرُ الوقوع، ولا بأس بذلك، فقد ورد أن جعفراً رضي الله عنه قدم من الحبشة فتلقّاه النبي ﷺ فقبّله.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيته، فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ وهو يجرُّ رداءه، فعانقه وقبَّلهُ، فهذه معاملة خاصة يُعامَل بها القادم من سفر أو غيبة طويلة من صديق أو حميم.

● نقلتها من كتاب «علّامة قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، حياته العلمية وجهوده الدعوية» (١٣٣٥ ـ ١٤١٠هـ)، تأليف: عمر تهاني ناجي مختار، ط. ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٥٢٦ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]:

قال الشيخ **عطية محمد سالم** رحمه الله (ت١٤٢٠هـ): ذات يوم رُفعت إليَّ من قبل الشرطة شكوى من امرأة توفي زوجها، وخلَّف لها عدة أطفال، وقد وجدتُ في أوراقه أن له ديوناً عند بعض الناس مقابل أعمال قضاها لهم. فأحضرت الشرطة هؤلاء الذين يطالبهم الزوج بالديون، فأنكروا أن يكون في ذمّتهم حق للمتوفَّى، وأظهروا استعدادهم لليمين، وأنهم يستطيعون أن يحلفوا، وحضرت الأرملة مع أطفالها إلى المحكمة، وتبيَّن لي أن لا بيِّنة لديها سوى تلك القيود. يقول: وفي الجلسة الأولى، حضرت المدَّعية وأحد الغرماء، واستوقفتُ الكاتب عن كتابة الدعوى، ثم استدنيتُ الرجلَ وقَرَّبته منّي، وأجريت معه هذا الحوار، فقلت له: هل تعرف خصمك في هذه القضية؟ فقال: نعم، هذه المرأة الحاضرة. قلت: كلا، إن خصمك هو زوجها، فهل تعلم أين هو؟ لقد توفي، حقًّا لقد توفي، وترك هذه الأرملة وهؤلاء الأيتام، ولا شك لديك أنك ماضٍ إلى ما مضى إليه، وأنك معروض معه على الله عز وجل الذي سيسألك عن دعواه، وهو أعلم بما أنتما عليه، ولا يحتاج إلى بيِّنةٍ، ولا تخفى عنه

خافية. فما الذي يؤمِّنك أنه يخلصك من عذابه ذلك اليوم، فأجب به الآن، واليوم أوسع لك من ذلك الموقف الذي لا درهم فيه ولا دينار، فماذا تقول في دعوى هذه المرأة؟ فأطرق الرجل مليًّا ثم قال: أمْهلني يا شيخ في الإجابة إلى الغد. وسألته: ولِمَ الإمهال؟ قال: لأراجع حسابي مع المتوفَّى. ولمستُ في هيئته ولهجته أنه يريد الحق، فأخّرته أسبوعاً.

وهكذا فعلتُ مع بقية الغرماء، وكانت النتيجة واحدة مع الجميع، وفي اليوم المحدَّد أدلى كل منهم باعتراف يفوق المبلغ المدَّعى به عليه، ومنهم من أحضر المال فسدَّد ما عليه، واستمهل بعضهم إلى موعد الراتب آخر الشهر. ولن أنسى وقع هذا الموقف في نفس تلك الأرملة، لقد غلبتها دموع الفرح، ورفعت يديها بالشكر الحار إلى الله ﷻ الذي وفَّق إلى كل هذا الخير. وإني لأسأل في غبطة لا توصف: هل بقي مثل هذا التجاوب العالي مع الحق في غير نفوس المؤمنين الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَت قلوبهم؟!

• نقله الأستاذ محمد خير رمضان يوسف من مجلة «المجتمع» عدد ١٨٨٣.

١٥٢٧ ألا يا دار لا يدخلك حزن!!

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري الخزاز (ت٢٩٨هـ): دخلت الكوفة في بعض أسفاري، فرأيت داراً لبعض الرؤساء، وقد سف عليها النعيم، وعلى بابها عبيد وغلمان، وفي بعض رواشنها جارية تغني وتقول:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف ... إذا ما الضيف أعوزه المكان

قال: ثم مررت بعد مدة، فإذا الباب مسوّد، والجمع مبدّد، وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان، وأنشد لسان الحال:

ذهبت محاسنها وبان شجونها ... والدهر لا يبقي مكاناً سالماً

فاستبدلت من أنسها بتوحش ومن السرور بها عزاء وغما

قال: فسألتُ عن خبرها، فقيل لي: مات صاحبها، فآل أمرها إلى ما ترى. فقرعتُ الباب الذي كان لا يقرع، فكلمتني جارية بكلام ضعيف، فقال لها: يا جارية، أين بهجة هذا المكان؟ وأين أنواره؟ وأين شموسه؟ وأين أقماره؟ وأين قصّاده؟ وأين زوّاره؟! فبكت، ثم قالت: يا شيخ، كانوا فيه على سبيل العلوية، ثم نقلتهم الأقدار إلى دار القرار، وهذه عادة الدنيا، ترحل من سكن فيها، وتسيء إلى من أحسن إليها. فقلت لها: يا جارية، مررت بها في بعض الأعوام، وفي هذا الروشن جارية تغني: «**ألا يا دار لا يدخلك حزن**»، فبكت وقالت: أنا والله تلك الجارية! لم يبق من أهل هذه الدار أحد غيري، فالويل لمن غرَّته دنياه!

● «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» لليافعي، ويا لها من عبرة!

١٥٢٨ من هو البارّ الحقيقي بوالديه؟

قال الشيخ **محمد بن صالح العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن طاعة الوالدين واجبة فيما فيه نفع لهما ولا ضرر على الولد فيه، أما ما فيه ضرر عليه، سواء كان ضررا دينيًّا، كأن يأمراه بترك واجب أو فعل محرم، فإنه لا طاعة لهما في ذلك، أو كان ضرراً بدنيًّا، فلا يجب عليه طاعتهما. أما المال، فيجب عليه أن يبرّهما ببذله، ولو كثر إذا لم يكن عليه ضرر، ولم تتعلق به حاجته، والأب خاصة له أن يأخذ من مال ولده ما شاء، ما لم يضر.

وإذا تأمّلنا في أحوال الناس اليوم، وجدنا كثيراً منهم لا يبرّ بوالديه، بل هو عاقٌّ، تجده يُحسنُ إلى أصحابه، ولا يملُّ الجلوسَ معهم، لكن لو يجلس إلى أبيه أو أمّه ساعةً من نهار، لوجدته متململاً، كأنما هو على الجمر، فهذا ليس ببارٍّ، **بل البَارُّ مَن يَنشرحُ صدْرهُ لأمِّه وأبيه، ويخدمهما على أهداب عينيه، ويحرص غاية الحرص على رضاهما بكل ما يستطيع.**

• «شرح العقيدة الواسطية» (٣/ ١٢١).

١٥٢٩ مختارات من كتاب «حِلْم الأحنَف، سيرة وأخلاق» للأستاذ محمد خير رمضان يوسف:

الكتاب طبعته دار ابن حزم/ بيروت في سنة ١٤٢١هـ، وينقسم إلى ثلاثة فصول عن التابعي المخضرم **أبي بحر الأحنف بن قيس التميمي** (ت٦٧هـ)؛ سيرته وأخلاقه وحِلْمه، وقد قرأته في جلسة واحدة وأنا أنتظر مجيء أولادي من رحلة تخييم كشفية في مبنى جماعة عباد الرحمن، واخترتُ لكم منه الدُّرَر التالية:

- ممّا نَصَح به الأحنف ابنه قوله: يا بُنَي، يكفيك من شرف الصدق أنَّ الصدوق يُقبَل قوله في عدوِّه، ومن دناءةِ الكذب أنَّ الكذَّاب لا يُقبَل قوله في صديقه ولا عدوِّه! (التذكرة الحمدونية).

- قال له بعضهم: أخبرني الثقة عنك بسوء. فقال الأحنف: الثقةُ لا ينمُّ. وفي رواية: إن الثقة لا يُبَلِّغ. (المستجاد من فعلات الأجواد).

- سمع الأحنفُ رجلاً يقول: التعلّمُ في الصِّغَر كالنَّقشِ في الحجر. فقال الأحنف: الكبير أكبر عقلاً، ولكنّه أشغل عقلاً. (البيان والتبيّن).

- قال الأحنف: اللَّهُمَّ إنْ تغفر لي فأنتَ أهلُ ذاك، وإنْ تُعَذِّبني فأنا أهل ذاك. (الطبقات الكبرى).

- قال الأحنف: ذَهَبَت عيني منذ أربعين سنة، فما شكوتُها إلى أحد. (تاريخ دمشق).

- قال **الشعبي**: قال لي الأحنف بن قيس: يا شعبي، قلت: لبيك، قال: ثمانية إنْ أُهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم، قلت: من هم؟ قال: الآتي إلى مائدة لم يُدْعَ إليها، والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه، والمتآمر على ربِّ البيت في بيته، والمندلق بالدالة على السلطان، والجالس في المجلس الّذي ليس له بأهل، والمُقْبِل بحديثه إلى مَن لا

يسمع منه، والطامع في فضل البخيل، والمنزل حاجته بعدوه. (المنتظم).

- قال الأحنف: إذا أردتم الحُظْوة عند النساء فأفحشوا في النكاح، وحَسِّنوا الأخلاق. (عيون الأخبار).

- قيل: لم يُرَ الأحنف ضجراً قطّ إلّا مرّةً واحدة! فإنّه أعطى خيّاطاً قميصاً يخيطه، فحبسه حولين (أي سنتين)! فأخذ الأحنفُ بيد ابنه **بحر** فأتى به الخيّاط، وقال: إذا متُّ فادفع القميص إلى هذا! (التذكرة الحمدونية).

١٥٣٠ مفهومُ الحِلْم عند أبي بحر الأحنف بن قيس التميمي (ت٦٧هـ) المشهور بحِلْمه!

- سُئِل الأحنف رَحِمَهُ اللهُ: ما الحِلْم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلاً. (الحِلْم لابن أبي الدنيا).

- وكان يقول إذا عَجِبَ الناس من حِلْمِه: إنِّي لأجد ما تجدون، ولكنِّي صبور! (وفيات الأعيان).

- وقال: ربَّ غيظٍ تجرَّعته مخافة ما هو أشدُّ منه. (البيان والتبيّن).

- وقال: إنّي لأدعُ كثيراً من الكلام مخافة الجواب! (الطبقات الكبرى).

- قال الأحنف: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات! (البيان والتبيُّن).

وهاكم **نماذج مِن حِلْمه** وصبره على أذى الناس:

- بايع رجلٌ آخرَ على أن يُغضبَ الأحنف، فجاءه فخطبَ إليه **أمَّه**، فقال الأحنف: لسنا نردُّكَ انتقاصاً بحسبك، ولا قلَّةَ رغبةٍ في مصاهرتك، ولكنها امرأةٌ قد علا سنُّها، وأنت تحتاج إلى امرأةٍ ودودٍ ولود، تأخذُ من

خُلُقك وتستمدُّ من أدبك، ارجع إلى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني! (محاضرات الأدباء).

ـ وشتم رجلٌ الأحنف وجعل يتبعهْ حتى بلغ حيَّهْ، فقال الأحنف: يا هذا إنْ كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف، لا يسمعكَ بعضْ سفهائنا فتلقى ما تكره! (عيون الأخبار).

ـ وأسمعه رجلٌ (أي شتمه) فأكثر، فقال الأحنف: يا هذا، ما ستر اللهُ أكثر! (التذكرة الحمدونية).

• نقلتها من كتاب «حِلْم الأحنَف، سيرة وأخلاق» للأستاذ محمد خير رمضان يوسف.

١٥٣١ نظرة الأديبة النصرانية مَي زيادة إلى الجواري والرقيق في عصرها:

مَـي زيـادة (١٣٠٣ ـ ١٣٦٠هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٩٤١م)، هـي الأديـبـة اللبنانية **ماري بنت إلياس زيادة**، وتُعرَف بمَي، تحدَّثت في كتابها «عائشة تيمور، شاعرة الطليعة» (ص٥٧/ ط. مؤسسة نوفل ـ ١٩٧٥م) عن الجواري والرقيق، فقالت:

كان أبناء العظماء، حتى الملوك أنفسهم، يتزوجون من معتوقاتهم، ولطالما استهجن كتّاب الفرنجة هذه العادة ذاهبين إلى أنّ دماء العبيد تجري في عروق أكثرية الشعوب الشرقية، وما هي منهم إلّا نظرة سطحية، إذ ليس أولئك الجوار دوماً من أصل وضيع، فمنهن الكريمات أسيرات الحروب، وقد قذفت حرب المورة ـ مثلاً ـ إلى مصر بكمية وافرة من بنات اليونان، ومنهن الشريفات المخطوفات، ومنهن الشركسيات يبيعهنّ الأهل مدفوعين بحب الرفعة والتقدم لأولادهم الذين إذا عاشوا في جبالهم كان حظهم محدوداً، أما إذا انتقلوا إلى بلادٍ أخرى عن هذا الطريق فلهم أن يتعللوا بأكبر الآمال ويرتقوا أعلى المراتب.

لستُ مبرّرة عمل الأهل، إنما أنا شارحة إحساسهم. نعم، إن

كثيرين من أولئك الأولاد يحلّون بيوتا صغيرة يعملون فيها للخدمة فيجيء الإعتاق متأخراً، ويكون الزواج فقيرا والجهاز ضئيلا، **ولكن الشرع الإسلامي شديد الرفق بالرقيق، جم العناية بحاله** ثم قد يسعد الصبي فيصير (مملوكاً) ألمعيًا، وتصير البنت (هانما) غنية، ولهم أن يحلموا حتى بالعروش!

١٥٣٢ فيكون خيارهم يومئذٍ من يقول للزاني: لو واريتها وراء هذا الحائط!!

روى مسلم في «صحيحه» (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان حديثاً طويلاً عن النبي ﷺ، قال في آخره: «... **ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة**».

وروى ابن حبان في «صحيحه» (١٨٨٩ ـ موارد) عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير**، قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: **نعم، ليكونن**». (وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨١)).

وروى أبو يعلى في «مسنده» (حـ٦١٨٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسه بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق فيكون خيارهم يومئذٍ من يقول: لو واريتها وراء هذا الحائط**». (ورجال إسناده ثقات رجال مسلم، إلا أن في أحد رواته كلام).

و**(تسافد الحمير)** و**(تهارج الحُمر)**؛ أي: يجامع الرجالُ النساءَ بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون كذلك.

وقال القاضي **المحسن بن علي التنوخي** (ت٣٨٤هـ) في «نشوار المحاضرة»: حدّثني **أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الأنباري الكاتب** (ت٣٧٨هـ)، قال: اجتزت بدار **ابن الحراصة** (وكان مظهراً للقمار،

والعيارة، والفجور، وبيع الخمور، وتأوي إليه اللصوص) من الشط، فرأيت في صحنها، ظاهراً بغير استتار، **نفسين يتجامعان!**

فقلت لمن كان معي في السماريّة: اعدلوا بنا ننكر هذا.

فطرحنا إليهما، وأخذت الجماعة ترجمهما من الشطّ، وتستنفر الناس.

فقال بعض من معنا: لعنكما الله، ما كان في الدار بيت تدخلون فيه؟

فذكرتُ في الحال ما جاء عن النبيّ ﷺ؛ عند ظهور المنكر، أشدّ الناس أمراً بالمعروف، من يقول ألا تواريتما؟! أو كما قال ﷺ.

ونزل إلينا أصحاب ابن الحراصة، فخفنا منهم على نفوسنا، وجلسنا في السمارية، وانصرفنا، فلم يزل كذلك، إلى أنْ زاد الأمر، وأكثر على معزّ الدولة في استقباح ذلك، فأمر بكبسه، فهرب، وتفرّقت جموعه.

١٥٣٣ إن اللّه يؤيّد هذا الدين... بالرجل الكافر؟!

قال محمد بيرم التونسي (١٢٥٦ ـ ١٣٠٧هـ/ ١٨٤٠ ـ ١٨٨٩م) في كتابه «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار» (٥/ ٣٦): **الوالي رستم باشا**... هو شيخ مسن أصله طُلياني خدم الدولة العليَّة بنصحٍ وشاخ في خدمتها، وسمعتُ الثناء عليه في تلك البلد وغيرها من مسلمين وغيرهم، غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها، ومن غريب ما سمعته عنهُ أنّهُ كان مرّة يتفقّد في جهات ولايتهِ على ذلك الجبل، فصادف أنهُ يتفقّد الجهة القريبة من طرابلس الشام، ويصل إلى تلك الجهة آخر النهار وليس بقربه مكان صالح للمبيت إلّا بلد طرابلس، فأرسل من صباح اليوم إلى متصرفها ـ أي: حاكمها ـ يُعْلِمهُ بأنّهُ يبيت ضيفهُ، وكان الوقت

رمضان، فعرضهُ آخر النهار ذلك المتصرف وعلماء البلد ووجهاؤها، ثم دخلوا جميعاً إلى دار المتصرف وجلسوا في إيوانها كلّهم، فدخل الخدمة بأطباق المشروبات المبرّدة والحلويات، وكان الغروب لم يقع، وكان هو - أي رستم باشا - لا زال على نصرانيته. لكنه لما رأى تلك الأطباق داخلة وعلماء البلد ووجهاؤها جالسون اكفهرَّ وجههُ وقال للمتصرّف: ما هذا؟ فأجابه بأنّه مشروبات مبردة، فقال الباشا: أليس هذا رمضان؟! فتبسّم المتصرّف وقال تملّقاً من غير أن يريد إظهار قصدهِ لمخالفة الدين: نعم هو رمضان، لكنّ جنابكم مسافر وأنا أيضاً مثلكم، وها أنا أبتدئ بذلك. وأخذ الكأس وشرب. فاشتَدَّ حنق الباشا عليه وخاطبه بشدّة بما معناهُ:

إنّك إنْ كنتَ لم تراعِ ديانتكَ فأنا يجب عليَّ أنْ أراعي دولتي ووظيفتي؛ لأني متوظّف ووزير لخليفة المسلمين، وهذا المقام إنّما جاءني منه، وهاتِهِ البلاد بلاد مسلمين وهؤلاء الجمع مسلمون جاؤني لأجل وظيفتي، فهبني نصرانيًا فإنّي أذبّ على الشعائر الإسلامية التي صرتُ بها أنا مَن أنا وأقتدر بها على احتقارك وطردك أيضاً من هنا! فاخرج حالاً حيثُ لم تراعِ سلطانك وإمامك الذي هو خليفة المسلمين ولا أهل البلد التي أنتَ عليها ولا أنا الذي تعدّني ضيفاً!

فخرج المتصرّف من المجلس، وشكر الحاضرون كلّهم عمل ذلك الباشا، فقال لهم: ما فعلتُ هذا لأُشْكَر وإنّما هي واجباتي أدّيتها.

قال محمد بيرم: ولعمري إنّ مثل هذا الرجل يحق أن يُستخدَم، ويا ليت متوظّفي الدولة كلهم على نمطه، كثّر الله من المخلصين الناصحين أمثاله ووفّقهُ لسعادة الدارَين.

١٥٣٤ كيف كان الشيخ علي الطنطاوي يتعامل مع مَن تأخّر عن موعده؟

قالت عابدة المؤيد العظم في كتابها «هكذا ربَّانا جدّي علي الطنطاوي» (ص١١٦/ط. المنارة):

كان جدّي يعتبر تأخر صاحب الموعد في الوصول (ولو لدقائق معدودات) ذنباً يستحق العقاب الصارم، حتى لأذكر أنّ رجلاً وعد جدي ذات مرة بزيارة وحدّد له ساعة معينة، فاستعد جدي شأنه دائماً قبل الموعد ولبث ينتظر، وينظر في الساعة وينتظر، وينظر وينتظر! والانزعاج بادٍ على ملامحه والضيق ظاهر على وجهه، حتى مرَّت ثلث ساعة كاملة.

عندها دقَّ الجرس وحضر الرجل، ففتح له جدّي الباب كاظماً غيظه، وأدخله غرفة الضيوف، ثم تركه وحده وعاد للجلوس مع جدتي وبناته. جلس معهن ثلث ساعة كاملة، أي بالقدر الذي تأخّره الرجل تماماً دون زيادة أو نقصان، والرجل جالسٌ وحده في غرفة الضيوف دون أنيس أو جليس أو طعام أو شراب.

لقد قدّم جدّي لذلك الرجل درساً عمليًّا أشعره فيه بالأذى الذي يسبّبه المرء للآخرين بإخلافه الوعد، ثم استقبله فأحسن استقباله وآنسه وأكرمه كأحسن ما يكرم المرء ضيفه، كان ذلك درساً قدّمه جدّي لضيفٍ غريب...

كان احترام المواعيد من أكثر ما سعى جدّي إلى إقناع الناس به وحملهم عليه، ولم تكن تلك دعوة في كتاب فحسب، بل كانت منهجاً عاشه وألزم به نفسه وأهل بيته، ثم سعى إلى بثّه ونشره بين الناس، فهل كان مبالِغاً في ذلك إذا عَلِمنا أن الخلف في الوعد ربع النفاق أو أنه ثلث النفاق؟!

١٥٣٥ حكم لقب (حاج) أو (حَجّي):

بعض الناس إذا ذهب للحج يُسَمّى حاج أو حجّي، وهذا اللقب يُعَدّ من الرياء؛ لأنه يُعَرِّف الناسَ بأنّه حَجَّ بيت الله، وهذا ينافي الإخلاص، كما أنه لا ينبغي أن نطلق على المصلّي لقب (مُصَلّي)، ولا نادي الذي يزكّي ماله بـ(المُزكي)؛ كذلك لا ينبغي أن نلقب الذي حَجَّ

بيت الله بحاج، أو حجي، وكأنه يقول للناس: أنا حجَّيت!!

وعلى العبد أن يخفي عمله بينه وبين ربه ﷻ، وكان من هدي سلفنا أن ينادوا الشخص بكنيته، أبو فلان، أو باسمه، أو بالشيخ إذا كان كبير السن، أو صاحب علم أو صاحب قرآن، وهذه هي السُّنَّة. وَفَّقكم ربي لاتباع السُّنَّة، ونبذ البدعة.

• كتبه أبو أنس ماجد البنكاني العراقي.

١٥٣٦ تعزية من الإمام الشافعي كانوا يتهادونها بالبصرة:

قال **البيهقي** في «مناقب الشافعي» (٢/ ٩٠): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المؤذن، سمعت محمد بن عيسى الزاهد يقول ـ فيما بلغنا ـ: إن **عبد الرحمٰن بن مهدي** مات له ابن، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب، فبلغ ذلك **محمد بن إدريس الشافعي** فكتب إليه:

أما بعد، فعَزِّ نفسك بما تعزّي غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضَّ المصائب فَقْدُ سرورٍ مع حرمانِ أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر؟ وأقول:

إني معزِّيك لا أني على طمعٍ ... من الخلود ولكنْ سنّة الدين

فما المعزَّى بباقٍ بعد صاحبه ... ولا المعزِّي ولو عاشا إلى حينِ

قال: فكانوا يتهادونه بينهم بالبصرة.

١٥٣٧ هو دعاء غير مستجاب! في كل سنة أدعو الله تعالى به أن لا تاتيني، وانت تاتي!

ترجم **ابن خلّكان** في «وفيات الأعيان» **لأزهر السمّان** فقال: أبو بكر أَزْهَرُ بن سعد السمّان الباهلي بالولاء البصري؛ روى الحديث عن حميد الطويل، وروى عنه أهل العراق، كان يصحب أبا جعفر المنصور

(ت١٥٨هـ) قبل أن يلي الخلافة. . . وله وقائع وحكايات مشهورة. وكانت ولادته سنة إحدى عشرة ومئة. وتوفي سنة ثلاث ومئتين، وقيل: سبع ومئتين، رحمه الله تعالى. اهـ. وترجم له **الذهبي** في «تاريخ الإسلام» وقال: كان ثقة نبيلاً، أوصى إِلَيْهِ ابن عَون، وعُمِّر وعاش أربعاً وتسعين سنة. تُوُفّي سنة ثلاثٍ ومئتين. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وله **حكاية** مع الخليفة العباسي **أبي جعفر المنصور** مشهورة، وقد رواها البلاذري (ت٢٧٩هـ) في «أنساب الأشراف»، والطبري (ت٣١٠هـ) في «تاريخ الأمم والملوك» ـ وذكر أن أزهر السمان المذكور بالقصة غير المحدّث! ـ، وابن عبد ربّه (ت٣٢٨هـ) في «العقد الفريد»، والمسعودي (ت٣٤٦هـ) في «مروج الذهب»، وغيرهم الكثير، وسأورد لكم رواية أقدمهم؛ **البلاذري**، قال:

حدّثني بعض أصحابنا قال: كان **المنصور** وهو بالبصرة قبل أمر المسوّدة يجلس في حلقة فيها **أزهر السمّان**، فلما أفضت إليه الخلافة وفد إليه أزهر، فقال له: ما جاء بك يا أزهر؟ فقال: يا أمير المؤمنين داري مستهدمة، وعليَّ دينٌ مبلغه أربعة آلاف درهم، وأريد أن أزوِّج ابني محمداً، فقال: قد أمرنا لك باثني عشر ألف درهم **فخُذْها ولا تأتنا طالباً**، فأخذها وانصرف.

فلما كان العام المقبل أتاه، فلما رآه قال: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: أتيتك يا أمير المؤمنين مسلِّماً، فقال: إنه ليقع في خلد أمير المؤمنين أنك أتيت طالباً، قال: ما أتيت إلا مسلِّماً، فقال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً **فخُذْها ولا تأتنا طالباً ولا مسلِّماً**.

فلما كانت السنة الثالثة عاد إليه، فقال: ما جاء بك يا أزهر؟ قال: أتيتك عائداً، فقال: قد أمر لك أمير المؤمنين باثني عشر ألف درهم **فخُذْها ولا تأتنا طالباً ولا مسلماً ولا عائداً**.

فلمّا كانت السنة الرابعة قدم عليه فقال: ما جاء بك يا أزهر؟ فقال: سمعتك تدعو بدعاء فجئت لأكتبه عنك، قال: **إنه غير مستجاب، قد دعوتُ الله به ألّا أراك فلم يجب!**

● **خاتمة**: اختلفت الروايات ما بين أن المنصور (صرفه ولم يعطه شيئاً)، وأنه (أمر له بمال، وقال: تعال متى شئت فقد أعيت فيك الحيل).

١٥٣٨ العفو لا يكون خيراً إلّا إذا كان فيه إصلاح:

قال العلامة **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه على رياض الصالحين»: قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ إنّ العفوَ لا يكون خيراً إلّا إذا كان فيه إصلاح، فإذا أساءَ إليك شخص معروف بالإساءة والتمرد والطغيان على عباد الله فالأفضل ألّا تعفو عنه وأنْ تأخذ بحقِّك؛ لأنك إذا عفوتَ ازداد شرّه، أما إذا كان الإنسان الذي أخطأ عليك قليل الخطأ قليل العدوان لكن أمر حصل على سبيل الندرة فهنا الأفضل أن تعفو، ومن ذلك حوادث السيارات اليوم التي كثرت؛ فإنّ بعض الناس يتسرّع ويعفو عن الجاني الذي حصل منه الحادث، وهذا ليس بالأحسن، الأحسن أن تتأمّل وتنظر: هل هذا السائق متهور ومستهتر لا يبالي بعباد الله ولا يبالي بالأنظمة؟ فهذا لا ترحمه، خذ بحقِّك منه كاملاً، أمّا إذا كان إنسان معروفاً بالتأنّي وخشية الله والبعد عن أذية الخلق والتزم بالنظام ولكن هذا أمر حصل من فوات الحرص فالعفو هنا أفضل؛ لأن الله قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، فلا بدّ من مراعاة الإصلاح عند العفو.

١٥٣٩ دعوة من فقير صالح على أمير ظالم أهلكته وعائلته!!

الأمير **عز الدين أيبك الأشقر الشجاعي**، توفي هو وابنه وزوجته وأحد عشر شخصاً من داره في شهر محرم سنة سبع وسبع مئة (٧٠٧هـ)، فكان يُرَى أن ذلك بدعوة لحقته:

فإنه لمّا توجه إلى بلاد الصعيد لإنشاء المراكب لغزو بلاد اليمن عيّن شجرة جُمّيز ليقطعها، وكانت تُظِل على مسجد فيه طائفة من الفقراء، وينتفعون بثمرها، فأتاه رجل منهم يُعتَقد فيه الخير وسأله أن يتركها للفقراء، فلم يفعل وأمر بها فقُطِعَت، فقال له الفقير:

«اللهمَّ، كما قَطَع شَجرنا اقطعْهُ واقْطَعْ شجره!»

وفي تلك الليلة مرض الأمير، وركب من غده في النيل وقدم إلى داره وهو مريض، فمات وجميع مَن في داره!!

• ذكرها المقريزي (ت٨٤٥هـ) في «المقفى الكبير» (٢/ ٣٣٣/ ط. الغرب الإسلامي).

١٥٤٠ حول مقولة «الإسلام انتشر بحدِّ السيف»:

مَن قرأ نصف تاريخ المسلمين وغيرهم ـ لا أقول كلّه ـ يعلم أن الدول ـ في الغالب ـ لا تقوم إلا بقوةٍ لا بالكلمة فحسب، الدول لا تقوم غالباً إلا تحت ظلال السيوف التي نخشى نحن من التصريح بذلك، مراعاةً للجو العالمي الحالي، ولئن احتفل الناس بإندونيسيا وما حولها بأنها فُتحت بـ(الكلمة والأخلاق) فماذا نقول في الشام والعراق وشمال أفريقيا وإسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا ودول لا تحصى في شرق أوروبا والهند والسند وخراسان وهلم جرا.. هل فتحناها بالكلمة والرسائل؟!

لا بد للحق من قوة، هذه الحقيقة العلمية التاريخية الواقعية التي نحاول الهروب منها، و(القوةُ) أنواعٌ، وأعظمها: قوة السيف الذي حملناه بحق وعدل لا بظلم. قال ابن تيمية: «**قِوَامُ الدِّينِ بِكِتَابٍ يَهْدِي وَسَيْفٍ يَنْصُرُ** ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [الفرقان: ٣١]». «مجموع الفتاوى».

وهل خرج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة إلّا ليقيم دولة ذات جيش يحمل السيوف، سيوف مستعدّة للدفاع والهجوم معاً، وليس للدفاع

فقط كما يحاول أن يصوّره كثير من الكُتّاب المعاصرين ـ وتأثّر بهم جهاد الترباني ـ. وقد تنزّل على رسول الله ﷺ إبان خروجه مهاجراً من مكة قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾ [الإسراء: ٨٠]، قال قتادة: «إنّ نبيَّ الله ﷺ عَلِمَ ألّا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله». وهل يقومُ سلطانٌ بلا سيف؟!

وأصل الإشكال في هذه المسألة: تلك المقولة الشهيرة في العصور المتأخرة (عصور الذل والانحطاط): «هل انتشر الإسلام بحدِّ السيف؟!»

والحق أن هذه المقولة مجملة جدًّا، فلا بد فيها من استفصال السائل، لا أنْ نبادر بالنفي المطلق ـ كما يفعله كثيرون ـ مصادمين بذلك ـ دون أن يشعروا ـ نصوصاً صريحة تأمر برفع السيف وقتال الكفار ابتداءً لا دفاعاً؛ كقوله تعالى ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣، الأنفال: ٣٩]، وقوله ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [براءة: ١٢٣] وقوله عليه الصلاة والسلام ـ وهو من أصرح الأحاديث في جهاد الطلب ـ: «**أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله...**» الحديث في الصحيحين...

أعودُ فأقول إن هذه المقولة «الإسلام انتشر بحد السيف» فيها إجمالٌ بحاجة إلى استفصال، فنقول: هل مراد من يقول تلك المقولة: أن المسلمين أجبروا الناس وأكرهوهم بالسيف لاعتناق الإسلام؟! **فالجواب**: هذا كذب، لم يحصل تاريخيًّا، ولا يجوز شرعاً لقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي في دخوله.

وإنْ كان مرادهم أن السيف كان السبب (الوحيد) لانتشار الإسلام، **فكذب أيضاً**.

وإنْ كان مرادهم من تلك المقولة: أن المسلمين رفعوا السيف واستعملوه وسيلة لإزاحة كل قوة تقف أمام تبليغ دين الإسلام للناس! **فالجواب**: نعم حصل هذا، ومن شَمَّ رائحة كتب التاريخ يعلم هذا، فلولا الله ثم السيف الذي رفعه المسلمون ـ بحق وبعدل ـ ثم الكلمة والحكمة والموعظة الحسنة ـ لولا مجموع هذا ـ لِمَا وصل الإسلام في صدر تاريخ الإسلام من الأندلس غرباً إلى الصين شرقاً.

وكلُّ الأمم قديماً وحديثاً تستعمل السيف (القوة) لنشر المبدأ (الذي تعتقد أنه حق) بين الناس، والفرق بيننا وبينهم هو في آلية استعمال السيف، فقد وضعت لنا شريعة الرحمة ضوابط وقواعد لاستعمال هذا السيف، ووَضَعت لنا إجراءات مسبقة قبل اللجوء إلى استعمال السيف، وحدَّدَت لنا مناطق ومساحات استعمال السيف، فنحن ـ ولا فخر ـ استعملنا السيفَ بحقٍّ وعدلٍ ورحمة، وبطريقة ـ كما يقولون ـ حضاريّة للغاية، وليس بطريقة همجية كما تفعله الأمة النصرانية مثلاً قديماً وحديثاً. وليت شعري: هل سنحرِّر فلسطين بالكلمة؟

• نقلته (باختصار وتصرف) من مقالة «نقد كتاب مئة من عظماء الإسلام لجهاد الترباني» **لسالم بن محمد القحطاني**، رئيس مكتب الفتوى في الدوحة/ قطر سابقاً، كتبه في ٢٠ رجب ١٤٣٧هـ.

١٥٤١ نصٌّ نفيسٌ عن شكر النِّعَم من كتابٍ لم يُطبَع بعد للمؤرخ الفقيه ابن عربشاه:

قال المؤرخ الفقيه **ابن عربشاه الحنفي الدمشقي** (ت٨٥٤هـ) في كتابه «التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر» (ق ١١٥ أ):

«اعلم أنّ نعمة واحدة من نِعَمِ الله تعالى تستغرق جميع عُمر المنعم عليه، بيانه: أنه لو شكر الله تعالى واحدٌ على نعمة، فتوفيق الله تعالى إياه لأداء ذلك الشكر نعمة أخرى يجب الشكر عليها، وإذا شكر عليها

يجب عليه شكر آخر، فيتسلسل إذ ذاك إلى ما لا نهاية له، فتستغرق نعمة واحدة جميع العمر في أداء شكرها، فما ثمَّ غير التشبّث بذيل ما أرشد إليه النبي ﷺ بقوله: «**لا أحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك**»».

• نقلها الباحث محمد شعبان أيوب في مقالته «النعم المسلوبة.. هل تعود؟!» المنشورة في مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٦١١، رجب ١٤٣٧هـ/نيسان ـ أيار ٢٠١٦م، وذكر الباحث أن كتاب ابن عربشاه تحت الطبع بتحقيقه.






باب
الأسرة والمرأة والمجتمع

١٥٤٢ ألد أعداء المرأة في تاريخ الأدب العربي

قال الأستاذ عبد الغني العطري (١٣٣٧ ـ ١٤٢٣هـ/ ١٩١٩ ـ ٢٠٠٣م) في «دفاع عن الضحك» (ص٨٢): ألد أعداء المرأة في تاريخ الأدب العربي هو فيلسوف المعرة وشاعرها: **أبو العلاء المعري**، فقد كان صاحبنا سيئ الظن بها، كارهاً لها، منادياً بإغراقها بالجهل! داعياً إلى دفنها في الحياة! لنستمع إليه يقول:

فوارسُ فِتنةٍ، أعلامُ غَيٍّ ... لَقِينَكَ بالأساورِ معلِمات
يُرِدْنَ بُعولةً ويُرِدْنَ حَلْياً ... ويلقَينَ الخطوبَ ملوَّمات
ودفنٌ، والحوادثُ فاجعاتٌ ... لإحداهنّ، إحدى المكرُمات
فحملُ مغازلِ النّسوان أولى ... بهنّ، من اليراع مقلَّمات
فما عَيبٌ، على الفتيات، لحنٌ ... إذا قلن المراد مترجِمات
ولا يُدنَين من رجلٍ ضريرٍ ... يلقّنُهُنّ آياً محكَمات
سوى من كان مرتعشاً يداهُ ... ولِمّته من المتثغّمات

ونحن نعرف أن أبا العلاء لم يتزوج، ولم يجد الحب إلى قلبه سبيلاً، وهو لم يكتفِ بالإعراض عن الزواج، بل حثَّ عليه، ورأى أن الخير في العفاف، وهو يعتقد أن في الزواج الخير للمرأة والشر للرجل! ولذا حَثَّها عليه، وخَوَّفه منه:

فاطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها ... وخوّف ابنك من نسل وتزويج

ونهى فيلسوف المعرة عن تعليم المرأة، إلا ما كان من شؤون بيتها، وإذا كان لا بد من تعليمها، فليكن ذلك على يدِ شيخٍ فان، أو عجوز متهدّم:

علِّموهُنّ الغَزْلَ والنَّسْجَ والرَّدْ ... نَ، وخَلّوا كِتابَةً وقِراءه

فصلاةُ الفتاةِ بالحمدِ والإخـ ... ـلاصِ، تُجزي عن يونُس وبَراءه

هكذا هو رأي المعري بالمرأة، وهو رأي هدّام، لا ينسجم مع الحياة في الماضي أو الحاضر، ولا يتسع المقام لمناقشة هذه الآراء.

١٠٤٣ عانقت زوجها وضمَّته بقوة فكسرت أضلاعه ومات!

جاء في كتاب «تحفة الأحباب» للرحّالة **أبي حامد محمد الغرناطي** (ت٥٦٥هـ) (ص١٣٢): ولقد رأيتُ في (بلغار) سنة ثلاثين وخمس مئة من نسل العادين رجلاً طويلاً كان طوله أكثر من سبعة أذرع! كان يسمى (دنقي)، وكان يأخذ الفرس تحت إبطه، كما يأخذ الإنسان كالحمل الصغير! وكان من قوّته يكسر ساق الفرس بيده! ويقطع جسده وأعصابه، كما يقطع باقة البقل! وكان صاحب (بلغار) قد اتخذ له درعاً يُحمل على عجلة! وبيضة لرأسه كأنها مرجل! وكان إذا وقع القتال يقاتل بخشبة من شجر البلوط يمسكها كالعصا في يده، لو ضرب بها الفيل قتله! وكان خيّراً متواضعاً، كان إذا التقاني يُسلّم علي ويرحب بي ويكرمني، وكان رأسي لا يصل إلى حقوه، رحمه الله.

ولم يكن بـ(بلغار) حمّام يمكن أن يدخل فيه، إلا حمّام واحد، واسع الأبواب، فكان يدخل فيه..! وكان من أعجب بني آدم، لم أشاهد قط مثله!

... وكانت له أخت على طوله رأيتها مراراً عدة في بلغار! وقال لي القاضي في (بلغار) يعقوب بن النعمان: إن هذه المرأة العادية قتلت

زوجها! وكان اسمه آدم، وكان من أقوى أهل بلغار، ضمّته إلى صدرها، فكسرت أضلاعه فمات في ساعته!!!

١٥٤٤ ذم تطويل الأظافر المنتشر في عصرنا:

قال الأستاذ عبد الرحمٰن البرقوقي (١٢٩٣ ـ ١٣٦٣هـ/ ١٨٧٥ ـ ١٩٤٤م) في كتابه «دَوْلَةُ النساء» (ص١٣٢/ ط. ابن حزم) ـ بعد أن تكلّم عن سنّية قصّ الأظافر ومفسدة تطويلها ـ: فَلْيَعتبر بهذا نساؤنا وفتياتنا ورجالنا وفتياننا الذين شاعت فيهم اليوم بدعة ترك الأظفار، ولستُ أدري ولا المُنَجِّمُ أيَّ هدفٍ يترامون إليه بذلك! هل يريد نساؤنا ذوات الأظافر الطويلة أن يُحَقِّقْنَ بذلك ظَنَّ الرجال بِهِنَّ، وهو أنهنَّ كالسَّنانير (أي القطط) مَخْبَراً، فأَبَينَ إلا أنْ يَكُنَّ كالسنانير منظراً! نعم، وإنّ تركَ الأظافر إنْ هو إلا اعترافٌ منهنَّ بأنّ تشبيهَهُنَّ بالسنانير قد أصاب المَحَزَّ وطَبَّقَ المِفْصَل، فالسِّنَّورُ مهما أكرمته وحَنَوتَ عليه وأغْدَقْتَ من طعامك وشرابك يأبى إلّا أن يخونك إذا ما واتَتْهُ الفُرْصَةُ، وهكذا النساء، ولا سيّما نساءُ اليوم ذوات المخالب السِّنَّوريّة. . أيّتها الآنسات والسيدات اللائي يترُكْنَ أظافيرهنَّ طويلات لِتَسْمَحْنَ لي في أنْ أُصارِحَكُنَّ بأنَّكُنَّ بهذه البدعة سخيفات فاسدات الذوق. . . وقد ظَلَمْتُنَّ بذلك أنفُسَكُنَّ.

١٥٤٥ وصفُ العلامة عبد الرحمن المُعَلِّمي للنساء:

قال العلامة عبد الرحمٰن المُعَلِّمي (١٣١٢ ـ ١٣٨٦هـ): النساء أشبه بالضأن، جوف لا يشبعن، وهِيم لا ينقعن، وأمرُ مُغويتهنّ يتبعن، ولا سيّما في اللباس والحلي، أشدّ شيء على المرأة أنْ ترى عند صاحبتها حُليًّا ليس عندها أغلى منه، أو لباساً ليس عندها أجمل منه،

والأمرُ أشدُّ من ذلك، فإنْ لم يوافقها زوجها ـ وطبعاً لا يقدر على موافقتها ـ أدخلت عليه الهمّ والغمّ، أما أنا فلا أبالي بهوى زوجتي، ولكن لا أسلم من الغمّ ونكد الخاطر وتكدّر الحال!

• «المدخل إلى آثار العلامة المعلمي» (١/ ٢٢٤).

١٥٤٦ من معاول هدم الأمة: المباريات الرياضية! (كأس العالم في كرة القدم نموذجاً)

قال الشيخ سليم الهلالي في «موسوعة المناهي الشرعية في صحيح السُّنَّة النبوية» (٢/ ٤٤١): من المسابقات التي أصبحت معاول هدم في الأمّة «المباريات الرياضية» ككرة القدم وغيرها، حيث صارت ملهاة للأمم وبخاصة العنصر الفاعل فيها وهم الشباب، فأضاعت أوقاتهم، وبدّدت أموالهم، وجعلتهم شيعاً وأحزاباً، وشغلتهم عن قضاياهم المصيرية.

كل هذا ممّا تخطّط له الصهيونية العالمية، فإنْ لم تصدّق فاقرأ «بروتوكولات حكماء صهيون»! ففي البروتوكول الثالث عشر: «ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يُراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج، والمسليات والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها... والإكثار من القصور المزوقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس. فتتوجه أذهانها إلى هذه الأمور وتنصرف عما هيّأناه، فنمضي به إلى حيث نريد». اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وانظر للفائدة كتاب «كرة القدم بين المصالح والمفاسد» للشيخ مشهور سلمان.

١٥٤٧ الدعارة في بيروت مرخّصة قانونيًّا منذ أكثر من مئة سنة (صفحة مظلمة في تاريخنا)!!

من أمثالنا القديمة «كل وحدة سابت حَطّوها بخان تابت» أي كل فتاة اشتغلت عاهرة وضعوها بخان ثابت في العزارية بمنطقة البلد ببيروت!! ويُروى: «القحبة إن تابت.. فعليها بخان تابت»، ومعناه: العاهرة إن تابت فستصبح قوّادة في خان ثابت!! وللأسف! عمل «العاهرات» الزانيات لعنهن الله كان معروفاً في بيروت!! وكان هناك شرطة سياحية تتابعهن وتخضعهن لفحوصات طبية!! بل كان المجلس البلدي يأخذ منهن ضرائب:

ففي يوم الاثنين ١٥ كانون الأول سنة (١٩٠١م/١٣١٩هـ) عقد المجلس البلدي لمدينة بيروت المحروسة جلسة... ومن القرارات المتخذة:

٣ ـ بما أنّ محلات المومسات (أي العاهرات) ومنذ القدم مصنفة إلى قسمين وفئتين، أولى وثانية على النحو التالي:

أ ـ القسم الأول يُؤخذ عنه في كل أربعة ريالات مجيدي.

ب ـ القسم الثاني يُؤخذ عنه ريالين مجيدين في كل شهر.

وجاء في مناقشات المجلس البلدي أن هذه الرسوم المستوفاة تُعتَبر متواضعة جدًّا إذا ما قيسَت بمصروفات وإنفاق المجلس البلدي على تلك المحلات، لا سيما لجهة مصاريف معاشات مأموري الصحة وكلفة تداوي المومسات في المستشفى البلدي، لذلك تقرّر رفع قيمة الرسوم على محلات المومسات كالتالي:

أ ـ القسم الأول (الفئة الأولى) من محلات المومسات يُؤخذ منه في كل شهر خمسة مجيديات.

ب ـ القسم الثاني (الفئة الثانية) من محلات المومسات يُؤخذ منه في كل شهر ثلاثة ريالات مجيدية.

كما قرر المجلس البلدي إعادة كل من خيري بك ومحمود أفندي الطبيبين لمأمورية معاينة المومسات والمحلات المذكورة بمعاش شهري لكلٍّ منهما أربعماية قرش. . . اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نقلت هذه (الصفحة المظلمة) من كتاب «بلدية بيروت المحروسة، صفحات مضيئة في تاريخ بلدية بيروت المحروسة في ضوء وثائق ومحاضر جلسات البلدية» للدكتور حسان حلاق (ص١٦٠/ دار النهضة العربية/ ط. ٢٠١٣م).

وتستمر هذه (الصفحة المظلمة)! ففي (ص٢٥٣): من قرارات حاكم بلدية بيروت سنة ١٩٢٢م: . . . قرارات لها علاقة بتنظيم مهنة المومسات من حيث ضرورة خضوعهن للفحص الطبي الدوري وللمعاينة الصحية في المصلحة الصحية البلدية.

لكن هل مَرَّ هذا الفجور العلني من غير عقوبة ربانية؟! كلا!! ففي (ص٣٨٠) جاء في جلسة المجلس البلدي المنعقدة بتاريخ شباط (١٩٤٣م):

ـ بمناسبة تفاقم شرور البغاء وانتشار الأمراض التناسلية بصورة مثيرة أُعيد البحث في مسألة نقل البيوت العمومية (أي بيوت العاهرات) من مكانها الحالي القائم في قلب المدينة وتحت متناول الأحداث من الطلبة والعمال وغيرهم، فتقرر رفع الرجاء إلى جانب المرجع الخاص في أنْ يتّصل بالسلطات الحليفة للوصول إلى حل يريح المدينة من أضرار هذه البيوت. اهـ.

قال رسول الله ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها، إلّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين**

مضوا». (رواه ابن ماجه (٤٠١٩) وصححه بمجموع طرقه وشواهده الألباني)، وقال النبي ﷺ: «**ما ظهر الزنا والربا في قرية إلا أحلّوا بأنفسهم عذاب الله**»! (رواه الحاكم، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٩): حسن لغيره). فأرسل الله الجبّار الحرب الأهلية على لبنان... فكان أكبر نسبة دمار في منطقة (البلد) المشهورة بفجورها وانتشار عمل الزانيات فيها!! ثم يتساءل اللبنانيون: **ما كان سبب الحرب؟!!** ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فهل من معتبر؟!

١٠٤٨ قاض يستعين بزوجته في إصداره للأحكام!

قال المقري (ت١٠٤١هـ) في «نفح الطيب» (٦/ ٣٠): حُكِي أن بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل، وكان قبل أن يتزوجها ذُكِرَ له وصفها فتزوجها، وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به، فكتب إليه بعض أصحابه مداعباً بقوله:

بِلُوشَةَ قاضٍ له زوجةٌ وأحكامُها في الوَرى ماضِيَه
فيا لَيْتَهُ لم يكن قاضياً ويا ليتها كانت القاضِيَه

فأطلع القاضي زوجته عليه حين قرأه، فقالت: ناولني القلم، فناولها، فكتبت بديهة:

هو شيخٌ سوءٍ مُزْدرى لهُ شيوبٌ عاصِيَه
كلّا لئِنْ لمْ يَنتَهِ لنَسْفَعاً بالناصِيَه

وسمعت بعض أشياخنا يحكي القضية عن لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، وأنه هو الذي كتب يداعب زوج المرأة فكتبت إليه: إن الإمام ابن الخطيب له شيوب عاصية...

إلى آخره، فالله أعلم. اهـ.

• قال أبو معاوية البيروتي: وقد بحثت عن أي ذكر لتلك (القاضية) فيما بين يدي من المصادر فلم أعثر على شيء!

١٥٤٩ قصة بداية السفور في بلاد الشام كما يرويها الشيخ علي الطنطاوي:

تحدَّث الشيخ علي الطنطاوي (١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م) رَحِمَهُ اللهُ عن بدء السفور في بلاد الشام، فقال في «ذكرياته» (٥/ ٢٢٦): «وكانت النصرانيات واليهوديات من أهل الشام يلبسن قبل الحرب الأولى الملاءات الساترات كالمسلمات، وكل ما عندهن أنهن يكشفن الوجوه ويمشين سافرات، أذكر ذلك وأنا صغير، وجاءت مرة وكيلة ثانوية البنات المدرسة سافرة فأغلقت دمشق كلها حوانيتها، وخرج أهلوها محتجّين متظاهرين حتى روّعوا الحكومة فأمرتها بالحجاب وأوقعت عليها العقاب، مع أنها لم تكشف إلا وجهها، ومع أن أباها كان وزيراً وعالماً جليلاً، وكان أستاذاً لنا.

ومرّت الأيام وجئت هذه المدرسة ألقي فيها دروساً إضافية وأنا قاضي دمشق سنة (١٩٤٩م)، وكان يدرِّس فيها شيخنا الشيخ محمد بهجت البيطار، فسمعت مرّة صوتاً من ساحة المدرسة، فتلفّت أنظر من النافذة، فرأيت مشهداً ما كنت أتصور أن يكون في ملهى فضلاً عن مدرسة، وهو أن طالبات أحد الفصول ـ وكلهن كبيرات بالغات ـ قد استلقين على ظهورهن في درس الرياضة، ورفعن أرجلهن حتى بدت أفخاذهن عن آخرها!»

إلى أن قال (ص٢٣٨): «كان أن دمشق التي عرفناها تستر بالملاءة البنت من سنتها العاشرة، شهدت يوم الجلاء بنات السادسة عشرة وما فوقها يمشين في العرض بادية أفخاذهن، تهتز نهودهن في صدورهن تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة، وشهدتُ بنتاً جميلة زُيِّنت بأبهى الحُلَل وأُلبست لباس عروس وركبت السيارة المكشوفة وسط الشباب... قالوا: إنها رمز

الوحدة العربية! ولم يَدْر الذين رمزوا هذا الرمز أن العروبة إنما هي في تقديس الأعراض لا في امتهانها».

إلى أن قال (ص٢٣٩): «ألا مَن كان له قلب فليتفطر اليوم أسفاً على الحياء، مَن كانت له عين فلتَبْكِ اليوم دماً على الأخلاق، مَن كان له عقل فليفكر بعقله، فما بالفجور يكون عز الوطن وضمان الاستقلال، ولكن بالأخلاق تحفظ الأمجاد وتسمو الأوطان، فإذا كنتم تحسبون أن إطلاق الغرائز من قيد الدين والخلق، والعورات من أسر الحجاب والستر، إذا ظننتم ذلك من دواعي التقدم ولوازم الحضارة، وتركتم كل إنسان وشهوته وهواه، فإنكم لا تحمدون مغبة ما تفعلون...».

• مقتبس من رسالة «لماذا لا تقود المرأة السيارة في المملكة العربية السعودية» للشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله.

١٥٥٠ هكذا كانت نساء نابلس..... فهل ما زلن هكذا؟

قال ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ) في «أحكام القرآن» (٣/ ١٥٣٥/ سورة الأحزاب ـ آية ٣٣):

ولقد دخلتُ نيّفاً على ألف قرية من البرّيّة، فما رأيتُ نساءً أصون عيالاً، ولا أعفّ نساءً من نساء نابلس التي رُمِي فيها الخليل ﷺ بالنار، فإني أقمتُ فيها أشهراً، فما رأيتُ امرأةً في طريق، نهاراً، إلّا يوم الجمعة، فإنهنّ يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهنّ، فإذا قُضِيَت الصلاة، وانقلبن إلى منازلهن، لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى، وسائر القرى تُرى نساؤها متبرّجات بزينة وعطلة، متفرّقات في كلّ فتنة وعُطلة. اهـ.

• **نقله الشيخ مشهور سلمان في «قصص لا تثبت» (٩/ ١٠٧)، وقال: ونقله عنه القرطبي في «أحكام القرآن» (١٤/ ١٨١).**

فائدة: ذكر إبراهيم المازني (١٣٠٨ ـ ١٣٦٨هـ/ ١٨٩٠ ـ ١٩٤٩م)

في «رحلة الحجاز، أو الفكاهة إذا اعتمرت» (ص٣٤/ ط. البشائر ـ ١٤٣٥هـ): أنه مر بمدينة (ينبع/السعودية) فقال: «ولم أرَ امرأة ولا بنتاً... وقيل لي: إن النساء لا يخرجن من البيوت».

١٥٥١ ترجمة العالمة أمة اللطيف بنت عبد الرحمن الناصح الحنبلي (ت٦٥٣هـ):

ترجم لها **ابن كثير** في «البداية والنهاية» (١٣/ ١٤٣) فقال: الشيخة الصالحة العالمة، وكانت فاضلة، ولها تصانيف، وهي التي أرشدت ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة، ووقفت أمة اللطيف على الحنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرقي الرباط الناصري، ثم لمّا ماتت الخاتون (ت٦٤٣هـ) وقعت العالمة بالمصادرات وحُبِسَت مدّة ثم أفرج عنها، وتزوّجها الأشرف صاحب حمص، وسافرت معه إلى الرحبة وتل راشد، ثم توفّيت في سنة ٦٥٣، ووُجِدَ لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة، تقارب ٦٠ ألف درهم، غير الأملاك والأوقاف، رحمها الله تعالى. اهـ.

وترجم لها **عبد القادر ابن بدران** في «منادمة الأطلال» (ص٢٣٨) فقال: لم أظفر لهذه الفاضلة إلّا بما ذكره **ابن شقدة** في «مختصر الشذرات»، فإنه قال: وفي تربة بني الشيرازي دُفِنَت أمة اللطيف صاحبة التصانيف، من جملتها: كتاب «التسديد في شهادة التوحيد»، وكتاب «بر الوالدين»، وأنشأت داراً بالقرب من هذه التربة، ...، ومنقوش اسمها واسم والدها الشيخ عبد الرحمٰن على أسكفة أحد أبوابها، وجُعِلَت هذه الدار دار حديث، وتوفّيت في رجب سنة نيّف وأربعين وست مئة. اهـ.
(والعجيب أن الأستاذ محمد خير رمضان يوسف ذكر «منادمة الأطلال» ضمن مصادر ترجمتها إلّا أنه قال أن كل مترجميها ذكروا أن لها مصنفات من غير أن يُسَمّوا إحداها!)

١٥٥٢ حدود رؤية المخطوبة:

سُئل العلامة **ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا تقدّم شاب لخطبة فتاة هل يجب أن يراها؟ وأيضاً هل يصح أن تكشف الفتاة عن رأسها لتبيّن جمالها أكثر لخاطبها؟ أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب: لا بأس، ولكن لا يجب، بل يستحب أن يراها وتراه؛ لأن النبي ﷺ أمر من يخطب أن ينظر إليها؛ لأن ذلك أقرب إلى الوئام بينهما، **فإذا كشفت له وجهها ويديها ورأسها فلا بأس على الصحيح**، وقال بعض أهل العلم: يكفي الوجه والكفان، ولكن الصحيح أنه **لا بأس أن يرى منها رأسها ووجهها وكفيها وقدميها** للحديث المذكور، ولا يجوز ذلك مع خلوة بها، بل لا بد أن يكون معها أبوها أو أخوها أو غيرهما؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا يخلونّ رجل بامرأة إلّا ومعها ذو محرم**» (متفق عليه)، وقال أيضاً: «**لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**» (رواه الترمذي وأحمد). اهـ.

وقال الشيخ **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي **يجوز للخاطب أن ينظر إليه من مخطوبته مثل الوجه والقدمين والرأس والرقبة بشرط ألّا يخلو بها**، ولا يطيل المكالمة المباشرة معها إن كلّمته، وكذلك لا يجوز له أن يتصل بها هاتفيًّا لأن ذلك فتنة يزيّنها الشيطان في قلب الخاطب والمخطوبة، وإذا عُقِد له عليها فله أن يكلّمها وله أن يخلو بها وأن يباشرها، ولكننا ننصح بعدم مجامعتها لأنه إذا جامعها قبل الدخول المعلن ووضعت في وقتٍ مبكر فربما تُتَّهم المرأة، وكذلك لو توفّي عنها قبل الدخول المعلن ثم وضعت فإنها تُتَّهم أيضاً. اهـ.

- المصدر: «فتاوى علماء البلد الحرام» (النكاح/ ص٥٠٠ ـ ٥٠١).

١٥٥٣ جواز النظر إلى ما يدعو إلى نكاح المخطوبة وإنْ كانت لا تعلم

روى أبو داود (٢٠٨٢) وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**».

قال جابر: فخطبتُ جارية فكنت أتخبّأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وتزوُّجها. (وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٩)).

وروى أحمد (٥/ ٤٢٤) عن أبي حميد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم**». (صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٧)).

وروى أحمد (٤/ ٢٢٥) عن سهل ابن أبي حثمة قال: رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك فوق إجار لها ببصره طرداً شديداً، فقلت: أتفعل هذا وأنت من أصحاب رسول الله ﷺ؟! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أُلْقِيَ في قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها**». (قَوَّى الألباني الحديث بمجموع الطرق في «السلسلة الصحيحة» (٩٨)).

قال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٠٨): مع صحَّة الأحاديث في هذه المسألة، وقول جماهير العلماء بها ـ على خلاف السابق ـ فقد أعرض كثير من المسلمين في العصور المتأخرة عن العمل بها، فإنهم لا يسمحون للخاطب بالنظر إلى فتاتهم ـ ولو في حدود القول الضيق ـ تورّعاً منهم، زعموا، ومن عجائب الورع البارد أن بعضهم يأذن لابنته بالخروج إلى الشارع سافرة بغير حجاب شرعي! ثم يأبى أن يراها الخاطب في دارها، وبين أهلها بثياب الشارع!

وفي مقابل هؤلاء بعض الآباء المستهترين الذين لا يغارون على بناتهم، تقليداً منهم لأسيادهم الأوربيين، فيسمحون للمصوّر أن يصوّرهنّ

وهنّ سافرات سفوراً غير مشروع، والمصوِّر رجل أجنبي عنهن، وقد يكون كافراً، ثم يقدمن صورهنّ إلى بعض الشبان، بزعم أنهم يريدون خطبتهن، ثم ينتهي الأمر على غير خطبة، وتظل صور بناتهم معهم، ليتغزّلوا بها، وليطفئوا حرارة الشباب بالنظر إليها!

ألا فتعساً للآباء الذين لا يغارون، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

١٥٥٤ وجوب خدمة المرأة لزوجها، وخطأ مَن قال لا تجب:

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥): «تنازع العلماء هل عليها أن تخدمه في مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب والخبز والطحن والطعام لمماليكه وبهائمه مثل علف دابته ونحو ذلك؟ فمنهم من قال:

لا تجب الخدمة، وهذا القول ضعيف كضعف قول من قال: لا تجب عليه العشرة والوطء فإن هذا ليس معاشرة له بالمعروف، بل الصاحب في السفر الذي هو نظير الإنسان وصاحبه في المسكن إن لم يعاونه على مصلحته لم يكن قد عاشره بالمعروف.

وقيل ـ وهو الصواب ـ: وجوب الخدمة، فإنَّ الزوج سيِّدها في كتاب الله، وهي عانية عنده بسنة رسول الله ﷺ (أي أسيرة) وعلى العاني والعبد الخدمة، ولأنّ ذلك هو المعروف.

ثم من هؤلاء من قال: تجب الخدمة اليسيرة، ومنهم من قال: تجب الخدمة بالمعروف. وهذا هو الصواب، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوعً ذلك بتنوّع الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة». اهـ.

نقل السابق العلّامة **الألباني** في «آداب الزفاف» (ص٢٨٧) وقال: وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى؛ أنه يجب على المرأة خدمة البيت،

وهو قول مالك وأصبغ كما في «الفتح» (٩/ ٤١٨)، وأبي بكر بن أبي شيبة، وكذا الجوزجاني من الحنابلة كما في «الاختيارات» (ص١٤٥)، وطائفة من السلف والخلف كما في «الزاد» (٤/ ٤٦)، ولم نجد لمن قال بعدم الوجوب دليلاً صالحاً.

١٥٥٥ زوجة الشيخ عبد الرحمن سلام اللبناني التي أصرّت على تزويجه بثلاثة!

الشيخ **عبد الرحمٰن بن علي** (سابقاً: جرجس الصفدي، أسلم لرؤيا رآها مراراً) **آل سلام اللبناني (١٢٨٨ ـ ١٣٦٢هـ)** من كبار علماء بيروت العصاميين علماً وفقهاً وأدباً وشعراً وخطابة، وكانت حياته ملأى بالمصاعب والمتاعب، لكنه حافظ على كرامته طول حياته ولم يستذل لأحد، فقد عُيِّنَ قاضياً في قلقيلية بفلسطين وهو في الخامسة والعشرين من عمره، فبقي خمس سنوات، ثم نُقِل رئيساً لكتّاب المحكمة الشرعية في بيروت، فبقي مدّة، ثم اختلف مع القاضي ـ وكان عثمانيًّا ـ فترك المحكمة، ذلك أنه جاءت في يوم من الأيام امرأة إلى المحكمة تريد القاضي، فرآها الشيخ وسألها عمّا تريد، فقالت: أريد توقيع القاضي على هذه الورقة. فأخذها منها ودخل على القاضي فوجده يأكل، فطلب منه توقيع الورقة، فرفض القاضي وقال: لتأتِ غداً، فقال الشيخ: لا يصح أن نترك امرأة مسلمة تأتي إلى هنا كل يوم. فقال القاضي: أنا القاضي وأنت الكاتب! افعل ما أقوله. فأجابه الشيخ: لو أنصف الزمان لكنت أنا القاضي وأنت الكاتب! وخرج وترك عمله في المحكمة.

وأثناء إقامة الشيخ بقلقيلية بفلسطين تزوج زوجته الأولى **(سعدى البدوية/ ت١٩٣٤م)** من قرية عرعرة، وقصة زواجه جديرة بالذكر، **فقد أتوا له** بسعدى لتخدمه في منزله، وكانت سمراء جذابة، **فخشي أن يُفتَتن بها أو أنْ** يتحدّث الناس عنه بالسوء، **فعقد عليها وتزوّجها**.

وكان الشيخ عندما قدم من فلسطين قد لامَه آل سلام لأنه تزوج سعدى؛ كيف يتزوّج واحد من آل سلام بدوية؟! فألحّوا عليه بتطليقها، لكن سعدى كانت ذكية لبيبة، فقَبِلَت أن يتزوّج زوجة ثانية على أنْ تبقى معه، بل بحثت له عن زوجة ترضيه:

فزَوَّجته إحدى بنات **آل الجارودي**، فأنجبت له ولداً سمّاه عبد الله، وما لبثت أنْ توفّيت، وعاش عبد الله حتى سنة ١٩٧٦م.

ثم زوَّجته بفتاة من **آل الدَّرَزي**، من مسلمي بيروت، فأنجبت له عليًّا، فلم يطل به العمر.

ثم زوَّجته **بفاطمة النحّاس**، وآل النحّاس من أشراف بيروت، وكانت فيهم نقابة الأشراف. . فأنجبت منه أميرة.

ويبدو أن سعدى ضاقت ذرعاً من سكناها في بيروت، ومن نظرات آل سلام لها، فأخذت أولادها ـ وهم عثمان وعمر وعبد الرزاق ونفيسة وعائشة وبهية ولطيفة ـ وانتقلت إلى دمشق فسكنت عند أخت زوجها (زوجة مصباح بربير)، فما كان من الشيخ عبد الرحمٰن إلّا أنْ حمل زوجته النحاسية ـ أم محيي الدين ـ وأولادها، ولحق بها إلى الشام، وكان ذلك سنة (١٩١٢م)، وافتتح دكاناً يبيع فيه المخطوطات والكتب المطبوعة.

كتبه د. **صلاح الدين المنجد** (مع بعض الاختصار).

● مجلة «الرسالة» اللبنانية، العدد ١٨، حزيران ١٩٧٨م.

١٥٥٦ قال الزوج: اكشفي على الكل وغطِّي عليَّ!!

كان من عادات أهل بيروت القديمة أن تصف الخاطبة للرجل مَن يريد أن يتزوجها، ولا يراها لأنها منقّبة حتى ليلة الدخلة، وقديماً كانت نساء بيروت كلهن منقّبات، حتى النصرانيات! (انظر كتابي **«ألف مثل ومثل من تراثنا العريق»** (ص٤٢ ـ ٤٥/ ط. الريان ـ بيروت)).

وحَدَث أن رجلاً زُفَّت إليه زوجته ففوجئ بعدما كشفت نقابها أنها ليست بالجمال الذي وصفوها له، وصباح الدخلة لبس ثيابه وخرج مستاءً، فنادته زوجته العروس تسأله: لم تقل لي على مَن أغطِّي وجهي ومن أكشفه من عائلتك؟

فأجابها غاضباً: اكشفي على كل الناس ولكن غَطِّي عليَّ!!

١٥٥٧ همسة إلى كلّ مَن يكره البنات ويتسخّطهن:

قال **أحمد شملان** في «القصص الميّه ما بين مضحكة ومبكيّه» (ص٧٠/ ط. مكتبة الإمام الألباني) ـ بعد أن ذكر قصصاً عُوقِبَ فيها مَن كره ولادة زوجته للبنات ـ: هذه القصص عِبَرٌ لِمَن يسمعها، فإنّ الأمور بيد الواحد القهار، وهو الذي يعطي ويمنع، وليس لأحد تصرف في ربوبيته سبحانه، وله الحكمة في خلقه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ولربّ بنت خيرٌ من ألف ولد، وها هو محمد ﷺ رزقه الله البنات، فكُنَّ مِن خيار النساء، بل فاطمة سيدة نساء الجنة وولداها سيّدا شباب أهل الجنة، فكم مِن بنتٍ مباركة، وبها يُرزَق أبوها، وكم مِن ولدٍ مشؤوم صار بلاءً على والده وفتنة ومحنة، فلا يكون العبد مؤمناً حتى يُسلم قدر الله، ويرضى بما قسمه الله له، وأنْ يعلم أنْ لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وقد كان وأد البنات والتسخّط عادة جاهلية، فحرّمها الإسلام، وأمر بتربية المرأة التربية الصالحة، وأن يُختار لها الرجل الصالح، وربّما كان بعد ذلك خيراً لها ولأهلها من أبنائهم كما يُشاهَد في الواقع...

فعلى المسلم أن يُحسن إلى بناته بتربيتهن وعولهن، والصبر عليهن، يكنّ له حرزاً من النار وبشارة بالجنة (كما قال النبي ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهنّ واتقى الله فيهنّ فله الجنة**»)، ولا يرخي لهنّ الزمام حتى يخرجن عن العفّة

والطهارة، ويقعن فيما يُغضِب الله، نسأل الله لنا ولجميع المسلمين الستر في الدنيا والآخرة.

١٥٥٨ شُرُوطُ ضَرْبِ الصِّغَار:

١ ـ أنْ يكونَ الصغيرُ قابلاً للتأديب، فلا يضرب مَنْ لا يعرف المراد بالضرب.

٢ ـ أنْ يكونَ التأديب ممَّنْ له ولايةٌ عليه.

٣ ـ أن لا يسرف في ذلك كميةً أو كيفيةً أو نوعاً أو موضعاً إلى غير ذلك.

٤ ـ أنْ يقع من الصغير ما يستحق التأديب عليه.

٥ ـ أنْ يقصد تأديبَهُ لا الانتقام لنفسه، فإن قصد الانتقام لم يكنْ مؤدباً، بل منتصراً.

• «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص٦٧١).

١٥٥٩ ماذا ستفعل صباح ليلة الدخلة مع زوجتك؟!!

قال عبد الرحمٰن بن عمر رسته: سألتُ عبد الرحمٰن بن مهدي (ت١٩٨هـ) عن الرجل يبني بأهله، أيترك الجماعة أياماً؟ قال: لا، ولا صلاة واحدة.

وحضرته صبيحة بُنِيَ على ابنته، فخرج، فأذَّن، ثم مشى إلى بابهما، فقال للجارية: قولي لهما: يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن: سبحان الله! أي شيء هذا؟

فقال: لا أبرح حتى يخرجا إلى الصلاة.

فخرجا بعدما صلى، فبعث بهما إلى مسجد خارج من الدرب.

قلت (أي الذهبي): هكذا كان السلف في الحرص على الخير.

• نقلها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٠٤)، والقصة رواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٣)، وانظر قصة الصحابي الحارث بن حسان ﷺ في «الكناشة» (٤٦٦).

١٥٦٠ نظرة باقي الأمم للمرأة: إنسان، حيوان، سلعة تُباع وتُشترى!

ظَلَم العرب ـ قبل الإسلام ـ المرأة واحتقروها وأسقطوا منزلتها عندهم، وتأفّفوا وتضجّروا منها منذ ولادتها، ووَأَدُوها طفلةً وفتاةً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩]، وهي عند الأمم الأخرى أسوأ حالاً منها عند العرب:

فكانت الأمة **اليونانية** تنظر إليها بأنها من سقط المتاع، ولم يكن لها أي حقوق أهلية، وكانت تُباع وتُشترى في الأسواق.

وفي الحضارة **الرومانية**، كان للرجل السيادة المطلقة، وله الحقوق الكاملة على أهله، فله أن يحكم على زوجته بالقتل لأدنى تُهمة، وله أن يقتل أولاده أو يعذّبهم دون أي مسؤوليّة.

وهي عند **الهنود** في غاية الذّلّ والهوان، وإذا مات زوجها فعليها أن تحرق جسدها على مقربة من جسده، وقد تفرح بهذا المصير تخلّصاً من الاضطهاد والهوان الذي تلقاه.

وهي عند **اليهود** لعنة؛ لأنها أغوت آدم، وعند بعض طوائفهم؛ لأبيها الحق أن يبيعها، ولا يُجالسونها ولا يؤاكلونها إذا حاضت، ولا تلمس وعاءً حتى لا ينجس.

وقرر **النصارى** الأوائل أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان، وأن العلاقة بها رجس.

وعقد **الفرنسيون** عام (٥٨٦م) مؤتمراً للبحث؛ هل تُعَدّ المرأة

إنساناً أو غير إنسان؟! وهل لها روح أو ليس لها روح؟! وإذا كان لها روح فهل هي روح حيوان أو روح إنسان؟! وقرّروا أخيراً أنها روح إنسان ولكنها خُلِقَت لخدمة الرجل فحسب!!

وظلّت النساء طبقاً للقانون **الانجليزي** العام حتى منتصف القرن الماضي تقريباً غير معدودات من الأشخاص أو المواطنين الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم، لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق في الأموال التي تكسبها، ولا حق في ملكِ شيءٍ حتى الملابس التي كنّ يلبسنها! بل القانون الانجليزي حتى عام (١٨٠٥م) كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدّد ثمن الزوجة بستّة سنتات (نصف شلن).

وجاء في مجلة «حضارة الإسلام» ـ السنة الثانية ـ (ص١٠٧٨): «حدث في العام الماضي أن باع **إيطالي** زوجته لآخر على أقساط، فلمّا امتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة قتله البائع».

وقال الأستاذ **محمد رشيد رضا** رَحِمَهُ اللَّهُ: «من الغرائب التي نُقِلَت عن بعض صحف انجلترا في هذه الأيام؛ أنه لا يزال يوجَد في بلاد الأرياف **الإنجليزية** رجال يبيعون نساءهم بثمنٍ بخسٍ جدًّا؛ كثلاثين شلناً، وقد ذكرت الصحف أسماء بعضهم». (نقلاً عن كتاب «عودة الحجاب» ٢/ ٤١ ـ ٤٧).

ونقل أحد الدارسين في **أمريكا** أن في الأمريكيين أقواماً يتبادلون زوجاتهم لمدّة معلومة، ثم يسترجع كلّ واحد زوجته المعارة تماماً كما يعير القروي دابته أو الحضري في بلادنا شيئاً من متاع بيته.

وتاريخ المرأة عند **الصينيين والفرس** في غاية السوء.

● نقلته من كتاب «الحقوق الواجبات على الرجال والنساء في الإسلام» (ص٨ ـ ١٠/ دار المدينة النبوية) للشيخ الدكتور ربيع المدخلي حفظه الله.

١٥٦١ المحامي والمستشار القانوني محمد محمد صفي الدين السنوسي يتحدّث عن والدته رحمها اللَّه:

تحدّث المحامي والمستشار القانوني **محمد محمد صفي الدين السنوسي** عن والدته رحمها الله فقال:

والدتي عائشة عطيوي اللحياني، وكانت لا تقرأ ولا تكتب، ولكنها تخاف الله ﷻ وتقدّر والدي تقديراً شديداً، فغرست فينا حب الصلاة مع الجماعة، وتذكِّرنا دائماً أن نسمع كلام والدنا في أي أمر يطلبه منا في أي وقت، وأن ذلك فيه صلاحنا وفلاحنا، مع أن والدي رحمه الله تزوّج عليها مرّتين، ولكن حبّها وتقديرها له زاد عمّا كانت عليه لكونه تحمّل بيتين آخرين، بل إنها تنازلت عن حقِّها في المبيت لمَن شاء لأنها تريد أن تتفرغ للصلاة والعبادة، فأَذِنَ لها والدي، ولكنها دائماً وأبداً تحترمه وتقدّره، بل وتقبّل يده أمامنا! فجزاها الله خير الجزاء على ما فعلت وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة.

وفاة والدتي كانت أكبر حدث عالق في ذهني لأني كنت أحبها حبًّا شديداً، وهي كانت تبادرني بالحب باعتباري أكبر أبنائها، وكنت أحب أن أغنّي لها «يا أحلى بدوية في السعودية»، فتضحك رحمها الله تعالى وتقول: «هذا في عينك الله يهديك»، وكنت أعتمد في جميع أموري بعد الله ﷻ في الاستئذان منها وأخذ موافقتها وطلب الدعاء لي، وكلّ ما أنا فيه ولله الحمد من خير وبركة فهو بفضل الله ثم بفضل دعاء والدتي ووالدي رحمهما الله تعالى، وكان والدي يقول لي: الله يرضى عنك ويرضيك ويصلحك ويصلح لك ذريتك، أما الوالدة فهي دائمة الدعاء لي وهي الوحيدة التي كانت تغمرني بعطفها وحنانها، وبعد وفاتها شعرتُ أنني قد كبرت، فاللهم أجْزِهما عنِّي خير الجزاء.

- **كتبه المحامي محمد السنوسي عضو هيئة الرقابة والتحقيق، وعضو مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة، ورئيس لجنة المحامين بالغرفة سابقاً، وكلامه**

السابق نقلته من مقابلة أجراها معه علي العميري من صحيفة «المدينة» السعودية في تاريخ (١٧/ ١/ ٢٠١٥م).

قلتُ: للدكتور صالح العايد كتاب «يظل الرجل طفلاً حتى تموت أمه»، مفيد جدًّا في التذكير ببرّ الوالدة وفي تليين القلوب، وهو مطبوع.

١٥٦٢ يا أيتها الزوجة المغرورة... احذري دعاء الحور عليكِ بالطرد من رحمة الله!

قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا. إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ الله، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا**». (رواه الترمذي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٣)).

شرح الحديث: (**قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه**) نهي مخاطبة، (**قاتلك الله**)؛ أي: لعنك عن رحمته وأبعدك عن جنته!

(**فإنما هو**)؛ أي: الزوج،

(**عندك دخيل**)؛ أي: ضيف ونزيل،

(**يوشك أن يفارقك إلينا**)؛ أي: واصلاً إلينا ونازلاً علينا.

- «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري.

١٥٦٣ بعض ما أُلِّف عن النساء (من تراثنا المفقود):

كتب د. **صلاح الدين المنجد (١٩٢٠ ـ ٢٠١٠م)** رَحِمَهُ اللهُ في مجلة «الرسالة» اللبنانية (**العدد ٤٣٢/ ١١ ـ ٠٨ ـ ١٩٤١م**): سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب، فنفضنا الأحاديث نفضاً، ثم ملنا إلى ذكر النساء وأخبارهنّ والعرب وآرائها فيهنّ، وكان في مجلسنا متأدّب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه، ونحا نحوهم في تفكيره، فوهم أن العرب والمسلمين قد استخفّوا بالنساء فلم يحفلوا بهنّ أو يُعنوا بهنّ،

ولم يخصّوهنّ بالتأليف أو يفردوا لهنّ التصانيف، وأيّد وهمه هذا بأقوال بعض المستشرقين.

وقد أردتُ تتبّع هذا الزعم بالردِّ لتبيان وهنه ووهيه، واستقرأتُ ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب، فإذا فيه تآليف حسان وتصانيف ملاح؛ خصّوها بالمرأة وجنسها، وجلّوا فيها عن أسرار وأخبار، ولم يدعوا أمراً أدركوا صلته بهنّ إلّا تكلموا وبحثوا فيه، ولو أنّ هذا التراث العظيم كان قد سلم لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: جمع د. المنجد قرابة ثمانين تصنيفاً مفرداً عن النساء، وقسّمها على الموضوعات، ومعظمها استخرجه من «الفهرست» لابن النديم و«إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» لياقوت الرومي، وهاكم بعضها:

ـ «الموءودات»، «مناكح أزواج العرب»، «العواقل»، كلها لهشام بن محمد الكلبي النسابة (ت٢٠٦هـ).

ـ «أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن»، للهيثم بن عدي الكوفي (ت٢٠٩هـ).

ـ «من تزوَّج من نساء الخلفاء»، «من مُيِّلَ عنها زوجها»، «من نُهِيَت عن تزويج رجل فتزوجته»، «من هجاها زوجها»، «من شَكَت زوجها أو شكاها»، «من وصف امرأة فأحسن»، كلّها لعلي بن محمد المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥هـ).

ـ «النوائح»، لأحمد بن مطرف القاضي المصري (من أهل القرن الرابع الهجري).

ـ «أخبار عزة الميلاء»، لإسحاق بن إبراهيم الموصلي (١٥٥ ـ

٢٣٥هـ)، وآخر لأبي أيوب سليمان بن أيوب المديني الأخباري.

وسأضيفُ بعض الفوائد:

ـ **عزة الميلاء (ت١١٥هـ)** كانت مقيمة بالمدينة، وهي مولاة للأنصار، وكانت وافرة السمن، جميلة الوجه، لُقِّبَت بالميلاء لتمايلها في مشيتها، وكانت تضرب بالعيدان والمعازف.

ـ «من هجاها زوجها»، زوجة أبي العاج الكلبي، شاعرة جاهلية، **هجاها زوجها بشعر**، فردَّت عليه بأبيات.

ـ كتاب «من مُيِّلَ عنها زوجها»، هكذا سَمَّاه د. المنجد في مقالته، وورد اسمه في المطبوع من «إرشاد الأديب»: «من قُتِلَ عنها زوجها».

ـ «النوائح»، نقل القاضي التنوخي في «نشوار المحاضرة» عن والده وابن عياش، أنّه كانت ببغداد، نائحة مجيدة حاذقة، تعرف **بخَلَب**.

١٥٦٤ وظائف الرجال الخارجية... وأعمال النساء المنزلية:

قال قاضي بغداد الشيخ **عثمان بن محمد الديوه جي الموصلي** (١٢٨٧ ـ ١٣٦١هـ/ ١٨٦٨ ـ ١٩٤١م) في «الأجوبة البيروتية في حكم ساعة الذهب وسلسلتها» (ص٥٣/ ط. الدار العربية للموسوعات):

جعل الله تعالى في الرجل ليتم أمر الانتظام قابلية وافرة، وقوى زائدة، وحسن تدبير مع تعقّل وفير، وخصّه بشدّة الصبر في معاناة الأعمال الشاقة، وتحمّل أثقال الأسفار، وركوب الأخطار، مع ما فيه من زيادة القوة العاقلة والفكرة المدبَّرة، ثم خلق له زوجة ليركن إليها، ويسكن قلبه لديها، فحبّبها إليه، ولمّا لم تكن بمثابة الرجل في شدة الصبر وقوة العقل وتحمّل الأثقال، ومزاولة الأعمال، كانت أعمال التعيّش والأعمار تنقسم إلى قسمين:

أعمال منزلية وأعمال خارجية، كانت المرأة لضعفها وقلّة صبرها

وضعف قوّتها، مع ما يعتريها من المعطلات الطبيعية والعوائق النوعية؛ كالحيض والنفاس والحمل والولادة والإرضاع، وأمثال ذلك ممّا يعيق عن معاناة الأعمال الشاقة، أن لا تكلّف إلّا بالمهن البيتية كتدبير المنزل وإرضاع الأطفال وملاحظاتهم.

وأما الرجل فحيث قد تبيّن ممّا ذكرنا أنه أُودِع فيه ما أودع من القوى الكاملة، والاستعدادات الوافرة، فقد أُحِيلَت إليه الوظيفة الخارجية التي هي مزاولات الأعمال وركوب الأسفار ومهن الاتّجار، وأمثال ذلك ممّا قد بيّنا سابقاً، ثم إن هذه الأعمال لعظم مشاقّها، وكبير اعتمادها، وثقل مزاولتها، لا يصبر الرجل على تمام القيام بها إلّا بشوق قائد، ومرغِّب زائد، فجعل المرأة ليسكن إليها، ويركن لديها، ويحبها بوداد ورحمة وولوع، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ولهذا جعل المرأة التي قد ابتُلِيَ الرجل بحبِّها، وتفانى في شفقتها، أجمل منه صورة وأحسن وجهاً وأرق بشرة وألطف قواماً، فأباح لها التحلِّي والتزيّن بسائر أنواع الحلي وملابس الزينة، من فضة وذهب وحرير وغير ذلك، لتقع في قلب الرجل تمام الوقوع، ويشتد لها شوقه، فيهون له بسبب ذلك ركوب الأسفار وأتعاب الاتِّجار، وجوب البلاد، وتحمّل الأنكاد، وغير ذلك ممّا يحتاج إلى كثرة مزاولات وشدة معاناة. اهـ.

كتب الشيخ **عثمان الديوه جي** أجوبته سنة **١٣٤٣**هـ ردًّا على الأسئلة التي أرسلها **إبراهيم عبد الحفيظ اللادقي** (هكذا ورد اسمه! والصواب: عبد الحفيظ بن إبراهيم اللادقي) إليه من شارع البسطة الفوقا في بيروت.

وعبد **الحفيظ اللادقي** كان أستاذاً في مدرسة عثمان ذي النورين/ المقاصد في منطقة رأس النبع في بيروت، وكان كثير المراسلة لعلماء عصره في مصر والعراق والسعودية، وتوفي ـ كما رأيت على شاهد قبره

في مقبرة الباشورة - في ١٢/ ٧/ ١٩٦٤م. وقد وقفتُ على عشرات الأسئلة الموجهة منه إلى مفتي السعودية وشيخ الأزهر وغيرهما، وحدثني المؤرخ **عبد اللطيف فاخوري** أن الشاعر **أمين اللادقي** (وهو أخو عبد الحفيظ من امرأة أخرى) حدَّثه أنه في محكمة العدلية/ بيروت كان يعمل رئيس محكمة جزاء اسمه منذر اللادقي، وفي أحد الأيام جُمِع وفدٌ قضائي لبناني لزيارة مصر؛ منهم منذر اللادقي، عَرَف **عبد الحفيظ** بالأمر فطلب منه أن يزور شيخ الأزهر ويعطيه بعض الأسئلة ليجيب عليها، وبعد انتهاء المؤتمر ذهب منذر إلى شيخ الأزهر، وعندما أعطاه أسئلة عبد الحفيظ اللادقي صرخ شيخ الأزهر: مِن عبد الحفيظ؟! دا خارب بيتي!! لا يتركني أشتغل! منذ زمان ينهمر عليَّ بالأسئلة مثل المطر!!

١٥٦٥ هكذا فليكن الحب والتضحية! خاطرت بحياتها لتنقذ زوجها من الموت!

ذكر القصة - مختصرة - **محمد بن سلام الجمحي** (ت٢٣٢هـ) في «طبقات فحول الشعراء» فقال: إنَّ خالداً حَبَس الشاعر **الكميت بن زيد**، وكان قال لخالد:

فإني وتمداحي يزيد وخالدا ضلالا لكالحادي وليس له إبل

فكانت زوجته أمّ المستهل تدخل عليه حتى عرف أهل السجن وبوّابوه ثيابها وهيئتها، فدخلت عند غفلة منهم فلَبِسَ ثيابها وتهيَّأ بهيئتها ثم خرج. اهـ.

وذكرها **ابن قتيبة** (ت٢٧٦هـ) - مختصرة أيضاً - في «عيون الأخبار» فقال: خروج الكميت الشاعر متنكراً من السجن وشعر له. كان خالد بن عبد اللّه حبس **الكميت** الشاعر، فزارته امرأته في السجن، فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرَف. اهـ.

وذكرها - مطولة - أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» فقال: كان

أبان بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكميت صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل وقال له: أنت حر إنْ لحقته والبغل لك، وكتب إليه: قد بلغني ما صرت إليه وهو القتل، إلّا أنْ يدفع الله ﷻ، وأرى لك أن تبعث إلى حبى ـ يعني زوجة الكميت، وهي بنت نكيف بن عبد الواحد، وهي ممن يتشيع أيضاً ـ فإذا دَخلَت إليك تَنَقَّبتَ نقابها ولَبِسْتَ ثيابها وخَرَجْتَ، فإني أرجو ألَّا يُؤْبَه لك.

فأرسل الكميت إلى أبي وضاح حبيب بن بديل وإلى فتيان من بني عمه من مالك بن سعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر وشاوره فيه فسدَّد رأيه، ثم بعث إلى حبى امرأته فقَصَّ عليها القصة وقال لها: أيْ ابنة عم إنّ الوالي لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك، ولو خفته عليك لما عرضتك له. فألْبَسَته ثيابها وإزارها وخمّرته وقالت له: أَقْبِل وأَدْبِر، ففعل، فقالت: ما أُنْكِر منك شيئاً إلَّا يبساً في كتفك، فاخرج على اسم الله. وأخرجت معه جاريةً لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وضاح ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له، ومشى والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناسة، فمَرَّ بمجلس من مجالس بني تميم، فقال بعضهم: رجل ورب الكعبة! وأمر غلامه فاتَّبَعه، فصاح به أبو الوضاح: يا كذا وكذا لا أراكَ تَتْبَع هذه المرأة منذ اليوم. وأومأ إليه بنعله فولى العبد مدبراً، وأدخله أبو الوضاح منزله.

ولما طال على السجّان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة: وراءك لا أمّ لك، فشَقَّ ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد فأخبره الخبر، فأحضر حبى فقال لها: يا عدوة الله احتلتِ على أمير المؤمنين وأخرجتِ عدوَّه! لأمثّلَنَّ بِكِ ولأصنعنَّ ولأفعلنَّ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خدعت! فخافهم فخَلَّى سبيلها.

١٥٦٦ من طرائف الشعر: قصيدة «إلى زوجي الفاضل» للشاعرة منيرة توفيق (١٨٩٣ ـ ١٩٦٥م):

ولدت **منيرة توفيق** في بورسعيد/ مصر سنة ١٨٩٣م لأسرة ميسورة، فكان أبوها مصطفى توفيق من كبار رجال الإدارة بمصر وحكمدار الشرقية، أحسن تعليمها، وحبَّب إليها الاطّلاع، وشجَّعها على حفظ الشعر، ودرّبها على ركوب الخيل، وقد رافقته ابنته في تنقلاته ورحلاته، فكانت تلتحق بمدارس البنات في كل مدينة ينتقل إليها، وتزداد معرفة وخبرة بشعب بلادها وريفه وحضره، وفي عام ١٩١١م تزوّجت من شاب اسكندري صار فيما بعد اللواء ومدير أمن بني سويف **محمد ماهر رشدي**، فكانت تنتقل معه من بلد إلى بلد، ولم تنقطع بعد الزواج عن نظم الشعر.

وقصيدتها هذه قصيدة طريفة من الأدب النسوي الجميل، شَكَت فيها هجران زوجها لها وعزمه على طلاقها، وقالت فيها:

طالَ السهادُ وأرّقت ... عيني الكوارثُ والنوازل

لما جفاني مَن أُحـ ... ـبُّ وراحَ تشغلهُ الشواغل

وطوى صحيفة حبّنا ... وأصاخ سمعاً للعواذل

يا أيها الزوج الكريـ ... ـم وأيها الحبّ المواصل

ما لي أراك معاندي ... ومعذّبي من غير طائل

لم ترع لي صِلةَ الهوى ... وهجرتني والهجرُ قاتل

هل رمُتَ ان تغدو طليـ ... ـقاً لا يحولُ هواكَ حائل

أو رمتَ غيري زوجةً ... يا للأسى مما تحاول

إن تبغ مالاً فالذي ... تدريه أنَّ المال زائل

أو تبغ أصلاً فالتي ... قاطعتها بنتُ الأماثل

أو تبغ حُسناً فالمحا ... سنِ جمَّة عندي مواثِل

أو تبغِ آداباً فأشـ ... ـعاري على أدبي دلائل

أنا ما حَفِظتُ سوى الوفا … ءِ ولا ادَّخرت سُوى الفضائل

وأنا وَلي شرفُ العفا … فِ أُعَدُّ مفخرة المنازلْ

فَجَزَيتني شرَّ الجزا … ءِ وكنتَ فيه غيرَ عادِلِ

أنسيتَ عهداً قد مضى … حُلوِ التَّواصُل والتراسل

أيام تبذل من وسا … ئل أو تنمِّقُ من رسائل

وتبثُّ معسولَ المُنَى … وتمدُّ أسباب التحايُل

ولبِثتَ تُغريني بما … تبديه من غرِّ الشمائل

فحسبتُ أن الدهر أنـ … ـصفني وأنَّ السعد ماثل

ظنًّا بأنك لم تكن … لا بالعَقوق ولا المُخاتل

ماذا جرى فهجرتَني … والحُب شيمته التساهل

عاشَرت أهل السو … ء فاقتنصوك في شر الحبائل

ومَضيتَ تطلب بينهم … عيش المقيَّد بالسلاسل

ورضيتَ هجر حليلةٍ … لمَّا تزل خير الحلائل

واللَّه ما فكرت يو … ماً في جفاكَ ولم أحاول

فجفوتَ يا قاسي الطبا … ع ولم تُدارِ ولم تجامل

فاعلم بأنَّك قاتلي … والموت فيما أنت فاعل

أين المسائل والموا … صل في العشي وفي الأصَائل

أين المودةُ في الهوى … بيني وبينك بالتبادُل

أين الحديثُ العذبُ منـ … ـك وأين ولَّى سحرُ بابِل

أني أسائلُ أين عهـ … دك في الهوى إني أسائل

أعلمت ما فَعل النوى … بي من ضنى أم أنت ذاهل

فاربأ بنفسِكَ وانهها … وارجع إليَّ زين العقائِل

• «مجلة الرسالة»، العدد ٣٢ (بتاريخ: ١٢/ ٠٢/ ١٩٣٤م)، وقد تفاعلت شاعرات أُخَر مع شكوى منيرة مثل خيرية أحمد وناهد محمد فهمي، فكتبت كلّ واحدة منهما قصيدة تقف معها في محنتها، ونشرتها

«مجلة الرسالة»، ويبدو أنّ الزوج تأثّر بهذه القصائد فرجع عن نيّته بطلاق زوجته الشاعرة منيرة، فكتَبَت قصيدة شكرت فيها الشاعرتين خيرية وناهد وذكرت رجوع زوجها إليها، وقد نشرتها «الرسالة» في عددها ٣٥ (بتاريخ: ٠٥/٠٣/ ١٩٣٤م)، وممّا قالت فيها:

قـد عـاد لـي زوجـي الـكـريـــ ـمُ، وجـاَء يـقـرَعُ سِـنَّ نـادم
مـــن بـعـد مـا قَـدَّرْتُ أنْ نَ رُجُـوعَـهُ أضـغـاثُ حـالـم
هـي عَـضْـبَـةٌ سِـحْـرِيَّـةٌ أدَّت إلـى حُـسـنِ الـخـواتـم

١٥٦٧ ماذا كانت النساء يركبن في تنقلاتهن في صدر الإسلام؟

قال د. **صلاح الدين المنجد** (١٩٢٠ ـ ٢٠١٠م): ... إن النساء كنّ يركبن ـ كالرجال ـ الخيل والإبل، لكنّ نساء الأشراف من أهل البيوت الرفيعة كنّ يركبن البغال، وقد ذكر **الجاحظ** في رسالته المشهورة عن «البغال» كثيراً من أخبارهن. فممّا ذكر مثلاً أن **عائشة بنت طلحة** التي اشتهرت بحسنها وجمالها وعفتها وأدبها، وفدت على الخليفة عبد الملك بن مروان بدمشق وأرادت الحج، فأمر الخليفة أن تُحمَل هي وأتباعها وخدمها ومماليكها على ستين بغلاً من بغال الملوك عليها الهوادج، فقال عروة بن الزبير، وكان من كبار الفقهاء الشعراء:

يا عيشُ، يا ذات البغال الستين أكُـلُّ عـام هـكـذا تـحـجّـيـن؟

ولم يكن أحد يتعرّض للنساء في ركوبهنّ البغال، وإذا وقع ذلك ألقمنه حجراً، فقد لَقِيَ **عمر بن أبي ربيعة** الشاعر الغزلي المشهور عائشةَ هذه وهي على بغلة، فأخبرنا عمر في شعره أنه قال لها:

يا ربّة البغلة الشهباء هل لكُم في عاشق دَنِفٍ، لا تُرْهَقي، حَرَجاً

فأجابته على ما قال عمر:

قالت: بِدائِكَ مُتْ، أو عِشْ تُعالجُهُ فما نرى لك فيما عندنا فَرَجاً

ولعمر وصفٌ جميلٌ في امرأة تركب البغلة، قال:

هي الشمسُ تَسري بها بغلة وما خِلْتُ شمساً بليلٍ تسير

شَبَّه سواد البغلة بالليل، وشبّه المرأة بالشمس.

وكانوا يفضِّلون ركوب البغلة على البغل، وقد عَدَّد أحد الشعراء مزاياها فقال:

عليك بالبغلةِ دون البغل فإنها جامعة للشمل
مَرْكبُ قاضٍ، وإمام عَدْلٍ وتاجرٍ، وسيدٍ، وكَهْلٍ
وهاشمي ذي نُهاً وَفَضْلٍ تصلُحُ في الوحلِ وغير الوحلِ

والأخبار عن ركوب النساء البغلات كثيرة؛ لأنها كانت مألوفة.

• نقلته من جريدة «الحياة»، العدد (١٠١٩٧)، ١٨ جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق ٤/ ١/ ١٩٩١م.

١٥٦٨ من هدي نساء السلف إهداء الجواري لأزواجهنّ التماساً لمرضاتهم:

قصة أمّنا زينب رضي الله عنها عندما وهبت جاريتها الجميلة لرسول الله ﷺ لترضيه، رواها أحمد (٦/ ٣٣٧)، وخرّجها العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٠٥).

وسأذكر لكم قصة زوجة الخليفة الراشد **عمر بن عبد العزيز** معه، رواها عبد الله بن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه» (ط. عالم الكتب/ ١٤٠٤هـ):

نظر عمر بن عبد العزيز إلى جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك، فكأنها أعجبته، فقالت له فاطمة: أراها قد أعجبتك يا أمير المؤمنين.

قال عمر: إنها لعُرضة لذلك.

فأمرت فاطمة بإصلاح الجارية وتهيئتها، حتى إذا رضيت من ذلك بعثت بها إليه... اهـ.

رحم الله تلك النفوس الطاهرة الساعية لمرضاة ربها... ثم زوجها.

١٥٦٩ محادثةُ الصمِّ أشقّ شيءٍ... بعدَ محادثةِ النساء!

قال الأديب الساخر **إبراهيم المازني** (١٨٩٠ ـ ١٩٤٩م) في كتابه «صندوق الدنيا» (ص٣٧/ ط. دار المدى ـ ٢٠٠٣م): **محادثة الصمّ أشقّ شيءٍ بعد محادثة النساء**، إذا صحَّ أنّ الرجل يتحدّث أو تُتاح له فرصة الكلام وهناك امرأة، والفرق بين الحالتين ـ أعني بين محادثة الصم ومحادثة النساء ـ أنّ المرء في الحالة الثانية لا يزال يفتح فمه، كلّما توهّم أنّ الحظَّ قد أسعفه بفرصة، ولكنّه فيما أعلم لا يجاوز التأتأة أو الفأفأة أو غير هذه وتلك ممّا هو منهما بسبيل، ولا يكاد يزيد على «أ أ أ» ثم لا يرى معدى عن إطباق فمه، وهكذا فلو أُتِيح لك أنْ تراهُ وهو يفتح فمه ثم يطبقه مرةً بعد أخرى ـ دون أنْ تعلم أنّ هناك امرأة تتحدّر كالسيل ـ لظننته يتثاءب من فرط الملل والوحدة، وشرّ ما في الأمر أنّ المرأة لا تنفك تُنكِر على الرجل صمته وتستهجنه منه، أو تعدّه دليلاً على أنّ في نفسه شيئاً من ناحيتها، **وليس من الميسورِ أنْ يقول الرجل منّا لأمّه أو زوجته أو أخته أو لأيّة سيدة محترمة أنّ علّة صمته أنها هي لا تكف عن الثرثرة.**

كلّا! هذا لا سبيل إليه! فإنّ عاقبته أوخم، **فهي ورطة كما ترى لا مخرج منها.** فرص الكلام معدومة أو هي في حكم المعدومة، والمصارحة مستحيلة، والصبر على اللوم والتأنيب والاتهام عسير، **فماذا يصنع المرء؟!**

١٥٧٠ إذا ما هممتَ بقتلِ امرئٍ... فزَوِّجْه العباسةَ أخت هارونِ الرشيد!!

العباسة بنت أَمِير الْمُؤمِنِينَ الْمهْدي أُخْت هَارُون الرشيد، **أمّهَا أمّ ولد**، وَتوفيت سنة اثنتين وثمانين ومئة، وهي التي يقول فيها أبو نواس:

أَلا قُـلْ لِأَمِـيـنِ الـلَّـهِ وَابْـنِ الْـقَـادَةِ الـسَّـاسَـهْ
إِذَا مَـا نَـاكِـثٌ سَـرَّكَ أَنْ تُـعْـدِمَـهُ رَاسَـهْ
فَـلا تَـقْـتُـلْـهُ بِـالـسَّـيْـفِ وَزَوِّجْـهُ بِـعَـبَّـاسَـهْ

قال **ياقوت** (ت٦٢٦هـ) في «معجم البلدان» (٣/ ٢٨٨/ ط. صادر):

تزوّجها محمد بن سليمان بن علي فمات عنها، ثم تزوجها إبراهيم بن صالح بن المنصور فمات عنها، ثم تزوجها محمد بن علي بن داود بن علي فمات عنها، ثم أراد أن يخطبها عيسى بن جعفر، فلما بلغه هذا الشعر بدا له، وتحامى الرجال تزويجها إلى أنْ ماتت!

وانظر الكناشة (٥٧٢):

إذا مـا هـمـمـتَ بـقـتـلِ امـرئٍ فـزَوِّجْـه أمَّ الـحَـسَـنْ!!

١٥٧١ جمال نساء بلاد النوبة (في جنوب مصر):

قال الرحالة **محمد بن محمد الإدريسي** (٤٩٣ ـ ٥٦٠هـ/ ١١٠٠ ـ ١١٦٥م) في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»: **مدينة نوابة**... وإليها تُنسَب **النوبة**؛ وبها عُرِفوا، وهي مدينة صغيرة وأهلها مياسير... وفي نسائهم جمال فائق، وهن مختَتنات، ولهنّ أعراق طيبة ليست من أعراق السودان في شيء، **وجميع بلاد أرض النوبة في نسائهم الجمال وكمال المحاسن**، وشفاههم رقاق وأفواههم صغار ومباسمهم بيض وشعورهم سبطة، وليس في جميع أرض السودان من المقازرة ولا من الغانيين ولا من الكانميين ولا من البجاة ولا من الحبشة والزنج قبيل شعور نسائهم سبطة مرسلة إلا من كان منهن من نساء النوبة، ولا أحسن أيضاً للجماع منهن، وإن الجارية منهنّ ليبلغ ثمنها ثلاث مئة دينار وأقل من ذلك، ولهذه الخلال التي فيهنّ يرغب ملوكُ أرض مصر فيهنّ ويتنافسون في أثمانهن ويتخذونهن أمهات أولاد لطيب متعتهن ونفاسة حسنهن.

١٥٧٢ صلَّى الله عليها وعلى كل مليح!

عن الحسين بن فهم قال: سمعت **يحيى بن معين** يقول: كنت بمصر، فرأيت جارية بيعت بألف دينار، ما رأيت أحسن منها، صلى الله عليها! فقلت: يا أبا زكريا! مثلك يقول هذا؟ قال: نعم؛ **صلى الله عليها وعلى كل مليح**.

قال أبو معاوية البيروتي: رواها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٣٣ و٣٤) من طريقين، وعلّق الذهبي على القصة في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٨٧): هذه الحكاية محمولة على الدعابة من أبي زكريا.

وأفادني أخي أبو صاعد أحمد باشا المصري بالتالي: أما الطريق الأول؛ فمِن طريق أبي سعيد العدوي عن جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن يحيى، والعدوي هذا أكذب من إبليس. ثم رواها من طريق أحمد بن الحسن بن علي المقرئ ـ المعروف بدبيس ـ عن الحسين بن فهم عن يحيى، ودبيس هذا قال الدارقطني: ليس بثقة، وقال الخطيب: منكر الحديث.

١٥٧٣ إنك إلى قبر أحوج منك إلى امرأة!!

قال **الجمَّاز** (محمد بن عَمْرو الشّاعر النّديم، توفي بين ٢٤١ ـ ٢٥٠هـ):

أردتُ أن أتزوَّج جارية بصرية (من مدينة البصرة)، فقالت لرسولي: أريدُ أن أسمع كلامه. فقعدتُ قريباً منها، فقالت لي: اذكُر ما عندك، قلتُ: عندي دنانير ودراهم وثياب، قالت: ما سألتك عن هذا، إنما سألتك عن الفراش، قلتُ: واحدة في أول الليل، وأخرى في السحر، قالت: **قُمْ رحمك الله، فإنك إلى قبر أحوج منك إلى امرأة!**

• نقلتُها من «البصائر والذخائر» (٢/ ٩٩/ ط. دار صادر) لأبي حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ).

١٥٧٤ هل تأثم الزوجة إذا منعت زوجها من الزواج بأخرى؟ وهل تأثم إذا طلبت الطلاق؟

أجاب العلامة الفقيه **ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للزوج أن يتزوّج من النساء ما شاء، كما قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، فله أن يتزوج إلى أربع، ولا يحلّ للمرأة أن تمنعه من التزوّج بأخرى؛ لأنّ الحق في التعدد للزوج وليس للزوجة، إلّا إذا كانت قد اشترطت عليه حين عقد النكاح أن لا يتزوج عليها؛ فقد قال النبي ﷺ: «**إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج**» (رواه البخاري (٥١٥١) ومسلم (١٤١٨)).

وأما بدون شرط فإنه لا يحلّ لها أن تمنع زوجها، ولا يجب عليه هو أن يمتنع إذا طلبت منه أن لا يتزوّج، **بل له أن يتزوَّج رضيت أم كرهت**، وإذا تزوّج فليس من حقِّها أن تطلب طلاق الأخرى، ولا يحلّ لها أن تطلب طلاق الأخرى أيضاً، ولا يلزمه هو أن يطلِّقها إذا طلبت؛ لأنه جاء عن النبي ﷺ أنَّ «**من سألت زوجها الطلاق من غير ما بَأْس فحرامٌ عليها رائحة الجنة**». (رواه أبو داود (٢٢٢٦) وغيره، وصححه الألباني).

- المصدر: سلسلة «فتاوى نور على الدرب»، الشريط رقم (٣١٢).

١٥٧٥ الأديبة اللبنانية زينب فواز تشرح لأميركية مسائل عن النقاب والاختلاط والسفر:

أرسلت رئيسة قسم النساء بمعرض شيكاغو للأديبة **زينب فواز العاملية** (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) تستفسر عن سبب امتناعها عن السفر لحضور المعرض بأمريكا وتسألها عن الموانع الدينية، فشرحت لها عن الخمار والنقاب الذي تغطّي به المسلمات وجوههنّ طاعة لأمر الدين ونصوص القرآن الكريم، وأن الفتاة تلبس الحجاب قبل عمر ١٢ سنة،

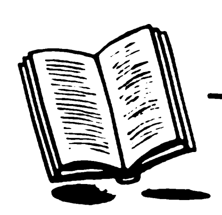
وكتبت لها عن عدم جواز اختلاط الرجال بالنساء، وأنَّ للنساء مجالس خاصة بهن، وعدم جواز سفر المرأة بدون محرم، وهذه الأسباب المانعة لها من السفر لحضور المعرض في أميركا.

وقد نُشِرَت رسالتها في جريدة النيل (العدد ٢٤٧، ١٥ ربيع الثاني ١٣١٠هـ)، ونقلتُها من «الرسائل الزينبية».

١٥٧٦ انعدام الحياء عند نساء النصارى بأوروبا!!

ذكر الروسي **ألكسندر بوشتكين** أثناء رحلته إلى أرضروم (ط. ٢٠١٦م) عام ١٨٢٩م، أنه مرَّ بتفليس (Teflis) عاصمة جورجيا (قلتُ: واسمها الآن: تبلّيسي)، وتوجّه إلى حماماتها المشهورة، وعندما أدخله البوّاب إلى غرفة واسعة تفاجأ برؤية أكثر من خمسين امرأة، شابات وعجائز، عُراة وشبه عُراة!! (وصادف كان يومهنّ الأسبوعي في الحمام)... قال **ألكسندر**: «ولم يترك ظهور رجل أي انطباع لدى النساء، فقد واصلن الضحك وتبادل الأحاديث، ولم تهرع أيّ واحدة منهنّ لتغطية نفسها بحجاب، ولم تكُف أية واحدة منهنّ عن نزع ملابسها، وبدا كما لو أنني دخلت كرجل خفي!!»

قلتُ: ومن يقرأ كتاب «الاعتبار» **لأسامة بن منقذ** يرى فيه صوراً مشينة لدياثة النصارى الأوروبيين وانعدام حيائهم منذ مئات السنين! وانظر الفقرة (٧٠٦) من «الكناشة»، والحمد لله على نعمة الإسلام والحياء!!

باب
اللغة العربية والبلاغة والشعر

١٥٧٧ بفضل القرآن أصبحت اللغة العربية لغةً عالميةً لا تزال تعيش إلى يومنا هذا:

قال د. عمر فرُّوخ (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧م) في كتابه «التجديد في المسلمين، لا في الإسلام» (ص٦٨/ ط. دار الكتاب العربي - ١٩٨١م): . . . هنالك في الإسلام معجزة ثانية عاشت على الدهر بفضل القرآن الكريم هي اللغة العربية، نزل القرآن باللغة العربية، واللغة العربية يومذاك لغةُ قومٍ من البدو في بقعة معزولة عن العالم المتحضّر تُحيطُ بها الصحارى، فلم تستطع جيوش الفاتحين أن تنفُذَ إليها، ومع ذلك فإن اللغة العربية بفضل القرآن أصبحت لغةً عالميةً لا تزال تعيش إلى اليوم يقرأ بها أهلها كما كان العرب الأوّلون يقرأون بها، ونحن إذا قرأنا اليوم قول عنترة يُخاطبُ عبلة:

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ ... منّي، وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فودِدْتُ تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرِكِ المُبتَسِمِ

لم نجده يختلف في ألفاظه وتراكيبه وقُرب معناه ممّا نألفه اليوم في كلامنا، مع أنه يرجعُ في التاريخ خمسةَ عشرَ قرناً! إن القرآن كان حافظاً للغة العربية، ولم تكن التوراة ولا كان الإنجيل حافِظَين للغات العِبْرية واليونانية والآرامية واللاتينية، مع أنّ اليونانية والآرامية واللاتينية كانت لُغاتِ حضاراتٍ امتدّت في أرجاء العالم، وكانت اللغات الآرامية مثلاً

ـ في شكلٍ من أشكالها ـ ممتدّة النفوذ من شواطئ البحر الأبيض المتوسط إلى أطراف الهند، أما اللغتان اليونانية واللاتينية فكان انتشارُهما وأثرهما أوسع وأعمق. واللغة العربية لم تصبح لغةً للمسلمين فقط، بل كانت ولا تزال أيضاً لغةً لملايين كثيرةٍ من غير المسلمين.

فائدة: بالعودة إلى الكتاب الموسوعي «Almanac 2015» نجد أن ترتيب اللغة العربية عالميًّا يأتي بعد اللغة الصينية ثم الإسبانية ثم الإنجليزية (بالنسبة لعدد المتكلمين بها)، أي أن اللغة العربية في المرتبة الرابعة، ويليها الهندية، البنغالية، البرتغالية، الروسية، اليابانية، ثم الألمانية.

١٥٧٨ نُكتة شعرية غزلية:

وصلني قديماً البيتان التاليان من دون أن أعلم قائلهما، وهما:

ومغرمة بالنحو قلت لها: اعربي　　حبيبي جار عليه الحب واعتدى
قالت: حبيبي مبتدأ في كلامه　　فقلتُ لها: ضُمِّيه إنْ كان مبتدأً

فطرحت السؤال عنه على الإخوة، وبعد أشهر، أفادني الأخ **أبو صالح الفلسطيني** أن قائلهما هو الشاعر **إلياس صالح**، وقد ترجم زكي مجاهد في «الأعلام الشرقية» (٢/ ٦٨٢) **لإلياس صالح البيروتي (١٢٨٧ ـ ١٣١٣هـ/ ١٨٧٠ ـ ١٨٩٥م)**، وقال: اشتغل بنظم الشعر إلى أن صار من نوابغ الشعراء في عصره، ويمتاز شعره بالفصاحة والسهولة والطلاوة، وكان كاتباً أديباً تسيل عباراته سهولة وتمتزج معانيه بالنفوس رقة، وكان يعرف اللغة الانجليزية ويحسن الفرنسوية، ومن شعره في النكات الشعرية قوله في نحوية:

ونحوية ساءلتها اعْرِبي لنا　　حبيبي عليه الحب قد جار واعتدى
فقالت حبيبي مبتدأ في كلامهم　　فقلتُ لها: ضُمِّيه إنْ كان مبتدآ

قال البيروتي: ولإلياس ترجمة في «تاريخ الآداب العربية» للويس شيخو.

١٥٧٩ وهل يخفى القمر؟

هذا المَثَل يُضرَب للأمر المشهور، ذكره الميداني في «مجمع الأمثال»، وأصله جزء من بيت شعر قاله الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة (٢٣ ـ ٩٣هـ)، والأبيات هي:

بينما يَنْعَتْنَني أبْصَرْنَنِي ... دونَ قِيدِ المِيلِ يَعْدُو بي الأغَرْ

قالتِ الكبرى أتَعْرِفْنَ الفَتَى ... قالتِ الوُسْطَى نعم هذا عمرْ

قالتِ الصغرى وقد تَيَّمْتُها ... قد عرفناه وهل يَخْفَى القمرْ

• «المحاسن والأضداد» (ص٢٢٢/ ط. الخانجي) للجاحظ (ت٢٥٥هـ).

١٥٨٠ أبيات في هجاء الأطباء!!

قال المحامي والمؤرخ **عبد اللطيف فاخوري** في كتابه «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص٢٠٧):

لم يسلم كثير من الأطباء من الهجاء، فقد قيل في ابن الأكفاني الطبيب:

لابن الأكفاني طبٌّ ... أسأل اللَّه السلامه

ما له قطّ مريض ... قام إلا للقيامه

واستحث آخر على الثأر من طبيب فقال:

ليت شعري وللزمان خطوب ... وبلاء يختص بالأحرار

هل لميِّت قضى عليه طبيب ... من كفيل أو آخذ بالثار؟!

وغدا لسان حال الناس قول الشاعر:

وكنّا نستطب إذا مرضنا ... فصار هلاكنا بيد الطبيب. اهـ.

وقال الفاخوري (ص٢٤١): قال الشيخ أحمد البربير في طبيب جاهل:

لنا طبيب من النصارى ... أمسى له في العلاج صيت

لكن رأيناه ضدَّ عيسى ... فذاكَ يحيي وذا يميت!

١٥٨١ يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!

هذا البَيْت مِن قصيدةٍ للمُتنبِّي في هجاء كافور، ومطلعُها قولُه:

مِنْ أيَّةِ الطُّرْقِ يأتي مِثْلَكَ الكَرَمُ   أيْنَ المَحاجِمُ يا كافورُ والجَلَمُ

وقوله:

أغايَةُ الدِّينِ أن تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ   يا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِن جَهْلِهَا الأُمَمُ

يُخاطِبُ به أهلَ مِصر.

يقولُ المعرِّي في «معجز أحمد»: «مِن عادةِ أهل مِصر إحفاء الشَّوارب. يقول: اقتصرتُم منَ الدِّين علَى ذلك، وعطَّلتُمْ سائرَ أحكامه، ورَضِيتُم بولايةِ كافور عليكُم مَعَ خِسَّتِهِ، حتَّى ضَحِكَتِ الأُمَمُ مِنكم، واستهزؤُوا بكُم وبقلَّةِ عقلِكُم»، انتهى.

وفي «شرح الواحديِّ لديوان المتنبي»: «يقول لأهلِ مِصْر: لا شيءَ عندكم مِنَ الدِّين إلَّا إحفاء الشَّوارب، حتَّى ضَحِكَت منكم الأُمم. وهذا إنكار عليهم طاعة الأَسْوَد، وتقريره في المملكة».

١٥٨٢ قصيدة لشاعر أندلسي يصف فيها مآسي المسلمين في كل مكانٍ وزمان!

والقصيدة هي للشاعر أبي البقاء صالح بن شريف الرندي (ت٧٩٨هـ) يرثي فيها سقوط الأندلس، أنشدها قائلاً:

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ   فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأمورُ كما شاهدتها دُولٌ   مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ

وهذه الدار لا تُبقي على أحد   ولا يدوم على حالٍ لها شان

يُمزق الدهر حتماً كل سابغةٍ   إذا نبت مشْرفيّاتٌ وخُرصانُ

وينتضي كلّ سيف للفناء ولوْ   كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدان

أين الملوك ذَوو التيجان من يمنٍ   وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟

وأيـن مـا شـاده شـدَّادُ فـي إرمٍ وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ؟
وأيـن مـا حازه قـارون مـن ذهـبٍ وأيـن عـادٌ وشـدادٌ وقـحـطـانُ؟
أتـى عـلـى الكُـل أمـر لا مَـرد لـه حتى قَضَوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ
دارَ الـزّمـانُ عـلـى (دارا) وقـاتِـلِـه وأمَّ كـسـرى فـمـا آواه إيـوانُ
كأنما الصَّعب لم يسْهُل له سببٌ يـومـاً ولا مَـلَـكَ الـدُنيا سُـلـيمانُ
فـجـائـعُ الـدهـر أنـواعٌ مُـنـوَّعـة ولـلـزمـان مـسـرّاتٌ وأحـزانُ
ولـلـحـوادث سُـلـوان يـسـهـلـهـا ومـا لـمـا حـلّ بـالإسـلام سُـلـوانُ

وممّا قاله أيضاً:

يـا غـافـلاً ولـه فـي الـدهـرِ موعظةٌ إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ
ومـاشـيـاً مـرحـاً يـلـهـيـه مـوطـنـهُ أبعد حمصٍ تَغرُّ المرءَ أوطانُ؟
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدمها وما لها مع طولَ الدهرِ نسيانُ

وقال يصف تقاعس المسلمين عن نصرة إخوانهم، وكأنه يتحدّث عن زماننا!

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟
ماذا التقاطع في الإسلام بينكمُ وأنـتـمْ يـا عـبـادَ الـلَّـه إخـوانُ؟
ألا نـفـوسٌ أبّـاتٌ لـهـا هـمـمٌ أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يـا مـن لـذلـةِ قـوم بـعـدَ عـزِّهـمُ أحـال حـالـهـمْ جـورٌ وطُـغـيـانُ
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليومَ هم في بلاد الكفر عُبدانُ

وختم قصيدته بقوله ـ وصدق واللهِ! ـ:

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ!

١٥٨٣ للحيطان آذان!!

هذا من الأمثال القديمة المشهورة، ومن أقدم من وقفتُ عليه ذكره:

أكثم بن صيفي، وهو حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمّرين، أدرك الإسلام، فقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي ﷺ، قال أكثم: «إن للحيطان آذاناً، فانظر أين تتكلم». نقله عنه **أحمد بن يحيى البلاذري** (ت٢٧٩هـ) في «أنساب الأشراف» (١٣/ ٨٣).

وقال **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ) في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»: من أمثالهم (للحيطان آذان) أي خلفها من يسمع ما تقول، قال الطرائفي الأبيوردي:

سر الفتى من دمه إن فشا ... فأوله حفظاً وكتمانا
فاحتط على السر بكتمانه ... فإن للحيطان آذانا

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي لنفسه:

وبارد الطلعة حاذانا ... واسترق السمع فآذانا
فقلت للجلاس لا تنبسوا ... فإن للحيطان آذاناً

١٥٨٤ فليتَّقِ اللَّهَ سائِلُهْ!

قال **أبو حاتم ابن حبان** (ت٣٥٤هـ) في «روضة العقلاء»: سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول: سمعت محمد بن صالح الوركاني يقول: قيل للنضر بن شميل (ت٢٠٣هـ): أيّ بيتٍ قالته العرب أسخى؟ قال: الذي يقول:

ولو لم يكنْ في كفِّهِ غيرُ روحِه ... لجادَ بها، فليتَّقِ اللَّهَ سائِلُهْ

قال د. **عبد العزيز الحربي** حفظه الله في كتابه «خاطرات» (ص٩٨/ ط. دار ابن حزم): نَسَبَه ابنُ منقذ إلى زهير، وعزاهُ محمد بن داود في «الزُّهَرَة» إلى زياد بن الأعجم، وحكاه الواحدي في «شرح ديوان المتنبي» عن بكر بن النطاح، وقال صاحب «العقد الفريد» وآخرون: إنّه لأبي تمّام، وجعله ابنُ خلّكان لزينب بنت الطثرية في أخيها يزيد،

وألصقه أبو الفرج الأصبهاني بعبد الله بن الزبير الأسدي، وكلّ هذا محتملٌ، وأمّا ما لا يُحتَمَل فهو أنْ يعزوه السَّخاوي (ت٩٠٢هـ) في «الضوء اللامع» إلى واحدٍ من معاصريه في القرن التاسع! والكتب السابقة وغيرها طافحةٌ بنسبته من الجاهلية إلى العصر العباسي.

١٥٨٥ إلقاء العلامة خير الدين الزِّرِكْلِي لقصيدة في «نادي الفتيات المسلمات» في بيروت وعمره ٢٤ عاماً:

ألقى الشاعر خير الدين الزركلي في «نادي الفتيات المسلمات» في كانون الأول ١٩١٧م قصيدة بعنوان (هدية الشمس) أشار فيها إلى أنّ فتاة جميلة جاءها خطيب ذو جاه ومال عمره ستون عاماً، فأقنعاها والداها بقبوله، إلا أن الزوج الشيخ نكب بما أحرز من مال، وأدّى الأمر بالزوجة إلى الانتحار، وخلص الشاعر إلى القول بأنّ الفتاة لو تعلّمت لوقيت العثار، وختم قصيدته بقوله:

فَكِّري مَن أنتِ، وابنِي الرأي للمستقبل ... فـهـو آت

واشحذي عزمك وامضي في حياة العمل ... بـأنـاة

وانهضي بالشرق، إن الشرق مثوى العلل ... في الفئات فتاة

وأعدّي عدّة العلم بشأن المنزل ... يا فتاة

ستشيدين بناء المجد ... يا أمّ الرجال

وتعيدين ربوع العز ... تزهو في جلال

فانفضي عنكِ غبار الهون واسعي للكمال

● نقله المحامي والمؤرخ عبد اللطيف فاخوري في كتابه «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص٤٠).

١٥٨٦ فوائد ومختارات من كتاب «الأمثال» لخير الدين الزركلي الذي لم يُنشَر

قال العلامة خير الدين الزِّرِكْلِي (١٣٠٩ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه «الأمثال»: لما سُنِّيَ لي أن أَطَّلِع على

بضعة من كتب أمثال العرب منظومها ومنثورها؛ كأمثال الميداني والضبي والعسكري والأحدب وغيرهم، ورأيت ما اشتملت عليه من فرائد الفوائد في التاريخ والأدب والأخلاق، وعلمتُ أن طول نَفَس مؤلّفيها وإسهابهم يحول دون عكوف الكثيرين من متأدّبينا على مطالعتها والاستفادة منها، شعرتُ بشدّة الحاجة إلى منظومة تكون في زهاء مئة بيت يحفظه صغار الطلّاب، ولا يستغني عنها كثير من الكتّاب، فاستعنت الله، واخترتُ طائفة من الناس والحيوان والجماد والنبات عُرِفَت بخواص لا مندوحة للمتأدّب والأديب والمنشئ والخطيب عن العلم بها والإحاطة بخبرها؛ كقولهم: أحلم من الأحنف، وأروغ من ثعلب، وأثبت من ثهلان، وأشكر من بَرْوَقة.

فاجتمعت لديَّ أرجوزة موجزة علَّقتُ عليها بما يحلّ غامضها ويوضّح مغلقها، وقدَّمتها للطبع، بعد أنْ تردَّدتُ في جواز نشرها أكثر من عشرة أعوام، والله أسأل أن ينفع بها، وهو وليّ الإعانة. اهـ.

(أقضى من علي) ـ ذكر ابن الأثير في «الكامل» أن «قضايا» أمير المؤمنين جُمِعَت في كتابٍ مفرد، وأما ما جمعه الشريف الرّضي في «نهج البلاغة» ففي نسبة جميعه إلى عليّ كلام كثير. وربما نُسِب إليه شعر وهو أبعد الناس عنه، ولا سيما الديوان المنشور باسمه وليس له منه إلا أقل من القليل. نقل الجلال السيوطي عن «تاريخ النحاة» للمرزباني في الشعر المنسوب لعليّ قول يونس: ما صحَّ عندنا ولا بلغنا أنّ علي بن أبي طالب قال شعراً إلا هذين البيتين:

تلكم قريش تمنتني لتقتلني ... فلا وربّك ما برُّوا ولا ظفروا
فإنْ هلكتُ فرهنٌ ذمّتي لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثرُ

(أخف من لا) ـ ضربوا بها المثل لخفّتها، قال **أبو نواس**:

يا عاقد القلب مني ... هلا تذكرت حلا

تركت منّي قليلا من القليل أقلا
يكاد لا يتجزا أقل في اللفظ من لا

والأصل فيه قول جرير:

يكون نزول القوم فيها كلا ولا عشاشاً ولا يدنون رجلاً إلى رجل

(أنكى من النساء) - قال... **الزمخشري** في تفسير الآية الكريمة ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [يوسف: ٢٨]: إنَّه وإنْ كان في الرجال كيدٌ إلّا أنّ النساء ألطفُ كيداً وأنْفَذ حيلة، ولهنّ في ذلك رفق، وبذلك يغلبن الرجال. وقال أحد ظرفاء العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر ممّا أخاف من الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء: ٧٦]، وقال في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾. وللفيلسوف الألماني **أرثر شوبنهور** رسالة يقول فيها: «كما أنّ الأسد سلاحه أنيابه وبراثنه، والفيل خرطومه، والثور قرونه، فالمرأة سلاحها الرياء للدفاع عن حقوقها والوصول إلى غاياتها، وهو وإنْ كان من ذميم الخصال في غيرها فإنه بها يعدل قوة ساعد الرجل ووفرة ذكائه».

(أتم من غربال) - لأنه لا يمسك ما جُعِلَ فيه. قال **الحطيئة** يهجو أمّه:

تنحّي فاجلسي منِّي بعيداً أراح اللّه منكِ العالمينا
أغربالاً إذا استُودِعتِ سِرًّا وكانوناً على المتحدّثينا

(أطول من شهر الصوم) -... مما يستلطف من كلام البلغاء ما كتبه أبو علي البصير إلى ابن مكرم في آخر شعبان: كتبتُ إليك في آخر يوم من أيام الدنيا بإدبار شعبان، وأول يوم من أيام الآخرة بإقبال رمضان!

(أقوى من حجج ابن سُرَيج) - البازي الأشهب: لقب **أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج** إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، كان

حسن الاحتجاج مليح المناظرة، وربّما لُقِّب بـ(الشافعي الثاني)، وحججه في مناظراته يُضرَب بها المثل، قال **الحريري** في «المقامة العاشرة»: «فلمّا رأيتُ حجج الشيخ كالحجج السريجية علمت أنه علم السروجية»، توفي في بغداد سنة ٣٠٦هـ.

(أشد إقداماً من المهلب) ـ المهلب بن أبي صفرة: اسمه ظالم بن سراق بن صبح الأزدي العتكي البصري، كان أميراً كبيراً مشهور الذكر، . . . مات في زمن الحجاج سنة ٨٣هـ. . . سُئل المهلب: ما أعجب ما رأيت من قتال الأزارقة؟ فقال: رأيتُ رجلاً منهم يطعن الرجل، فيمشي في الرمح إلى طاعنه وينال منه، وهو يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: ٨٤]. وإياه عَنَى ابن زيدون بقوله في تهكميته: «وكأن المهلب أوهن شوكة الأزارقة بيدك، وفَرَّق ذات بينهم بكيدك»، ومن كلام المهلب: «الإقدام على الهلكة تضييع كما أنّ الإحجام عن الفرصة عجز»، . . . وقال الراغب الأصبهاني في باب (مَن كثرت أولاده فأنجب) أنه سقط للمهلب لصلبه إلى الأرض ثلاث مئة ولد. اهـ.

• قال أبو معاوية البيروتي: نقلته من كتاب «خير الدين الزركلي، ببلوغرافيا ـ صور ووثائق، وبعض ما لم ينشر من كتبه»، حيث أودع فيه الأستاذ أحمد العلاونة ثمانية وخمسين صفحة من كتاب «الأمثال» للزركلي الذي لم يُنشَر.

١٥٨٧ شعراء الشام الأربعة المعدودون في القرن الرابع عشر الهجري:

قال الشيخ **محمد بن ناصر العجمي** في «إمام الشام في عصره، جمال الدين القاسمي» (ص٢٩٣/ ط. البشائر) عند ترجمته لتلميذ القاسمي **محمد بن محمود البَزم (١٣٠١ ـ ١٣٧٥هـ)**:

أحد شُعراء الشام الأربعة المعدودين.

والبقية هم: **خير الدين الزِّرِكْلِي (١٣٠٩ ـ ١٣٩٦هـ)**، وقد طُبِعَ ديوانه سنة ١٤٠٠هـ في مؤسسة الرسالة، **وخليل مردم بك (١٣١٣ ـ**

١٣٧٩هـ)، أحد رؤساء المجمع العلمي العربي في دمشق، وقد طُبعَ ديوانه في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٨٠هـ، وأعادت طباعته دار صادر ببيروت سنة ١٤٠٥هـ، وشفيق جبري (١٣١٤ ـ ١٤٠٠هـ)، وعنوان ديوانه «نَوْحُ العندليب»، وقد طُبعَ في مجمع اللغة العربية بدمشق، أما ديوان البزم فقد طُبعَ في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق.

١٥٨٨ هل يُنظَر في سند الأبيات الشعرية وفي صحّة نسبتها إلى قائلها؟

قال الشيخ المحدِّث **وصي الله عبّاس** حفظه الله: المساجلات الشعرية والمكاتبات الافتخارية التي تَنْتَحِل بعض كتب الأدب والتاريخ إلى عليٍّ رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه لهي من أبشع ما يُنقَل ويُنسَب إليهما، ولا شك أن كثيراً من أمثال هذه الروايات يُنقَل بدون خُطُم ولا أزِمَّة وبدون أسانيد، وإنْ كانت مُسنَدة فلا تجدها إنْ شاء الله سالمة من متَّهم بالكذب أو منكر الحديث...

ثم قال حفظه الله: فيجب أنْ لا تُقبَل الروايات من أيِّ نوعٍ كانت إلّا ما ثبت منها برواية ثقات عدول على ميزان نقد المحدِّثين في قبول الروايات عامة.

● نقله محمد باموسى في كتابه «إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار والقصص والأشعار» (١/ ١٣ ـ حاشية/ ط. مكتبة الأسدي».

١٥٨٩ رأي العلامة ابن عثيمين في تعلّم اللغة الانجليزية، وحادثة خطيرة حصلت معه!

قال العلّامة ابن عثيمين رحمه الله في كتاب «العلم»: رأينا في تعلم اللغة الإنجليزية أنها وسيلة لا شك، وتكون وسيلة طيبة إذا كانت الأهداف طيبة، وتكون رديئة إذا كانت الأهداف رديئة، لكن الشيء الذي يجب اجتنابه أن تُتَّخذ بديلاً عن اللغة العربية، فإن هذا لا يجوز، وقد

سمعنا بعض السفهاء يتكلم بها بدلاً من اللغة العربية، حتى إن بعض السفهاء المغرمين الذين أعتبرهم أذناباً لغيرهم كانوا يعلمون أولادهم تحية غير المسلمين؛ يعلمونهم أن يقولوا (باي باي) عند الوداع وما أشبه ذلك.

لأن إبدال اللغة العربية التي هي لغة القرآن وأشرف اللغات بهذه اللغة محرم، وقد صَحَّ عن السَّلف النهي عن رطانة الأعاجم، وهم مَن سِوى العرب.

أما استعمالها وسيلة للدعوة فإنه لا شك أن يكون واجباً أحياناً، وأنا لم أتعلّمها وأتمنى أنني كنت تعلمتها، ووجدت في بعض الأحيان أني أضطر إليها، حتى المترجم لا يمكن أن يعبر عمَّا في قلبي تماماً.

وأذكر لكم قصة حديث في مسجد المطار بجدة مع رجال التوعية الإسلامية، نتحدث بعد صلاة الفجر عن مذهب التيجاني، وأنه مذهب باطل وكفر بالإسلام، وجعلت أتكلّم بما أعلم عنه، فجاءني رجل فقال: أريد أن تأذن لي أن أترجم **بلغة الهوسا**. فقلت: لا مانع. فترجم، فدخل رجل مسرع فقال: هذا الرجل الذي يترجم عنك يمدح التيجانية! فدهشت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! فلو كنت أعلم مثل هذه اللغة ما كنت أحتاج إلى مثل هؤلاء الذين يخدعون، فالحاصل أن معرفة لغة مَن تخاطب لا شك أنها مهمة في إيصال المعلومات، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤].

١٥٩٠ أوائل في الأدب مرتبة على سني الوفيات:

١ ـ أبو الأسود الدؤلي (المتوفى سنة ٦٩هـ/٦٨٨م) أول من نقط القرآن وأسس النحو.

٢ ـ **أبو إسحاق الحضرمي** (ت١١٧هـ/ ٧٣٥م) أول من علّل النحو على ما قيل.

٣ ـ **حماد الراوية** (ت١٥٥ أو ١٥٨هـ/ ٧٧١ أو ٧٧٤م) أول من جمع السبع الطوال أي المعلقات.

٤ ـ **الخليل بن أحمد الفرهيدي** (ت١٦٠هـ/ ٧٧٦م) أول من دوّن اللغة وكتب في العروض وحصر الشعر العربي.

٥ ـ **معاذ الهراء** (ت١٨٧هـ/ ٨٠٢م) أول من وضع التصريف.

٦ ـ **خلف الأحمر معلم الأصمعي** (ت١٨٧هـ/ ٨٠٢م) أول من أحدث السماع في البصرة.

٧ ـ **أبو الخطاب الأخفش الأكبر** (توفي في نحو أواخر المئة الثانية للهجرة أو أوائل المئة التاسعة للميلاد) أول من فسر الشعر تحت كل بيت.

٨ ـ **أبو جعفر الرؤاسي** (هو محمد بن الحسن بن أبي سارة، كانت وفاته في نحو عهد وفاة الأخفش الأكبر) أول من ألَّف في النحو من الكوفيين.

٩ ـ **معمر بن المثنى اللغوي البصري** (ت٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) أول من صنف في غريب الحديث.

١٠ ـ **هارون القارئ النحوي** (وهو هارون بن موسى بن شريك الدمشقي خاتمة الأخافشة، توفي سنة ٢٩١ وقيل ٢٩٢هـ/ ٩٠٣ أو ٩٠٤م) أول من تتبع وجوه القراءَات وألفها.

١١ ـ **الأمير ابن المعتز** (ت٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) أول من أدخل البديع في علوم الأدب.

● نقلتُه من مجلة «لغة العرب» العراقية، العدد ٢٠.

١٥٩١ أشعار مختارة وقصائد قيلت في مدينتي بيروت:

أ ـ (الجنة المغيَّبة) للقاضي مصطفى الغلاييني (١٨٨٦ ـ ١٩٤٤م):

بنفسي أرضٌ بِنْتُ عنها ولم تكن — قَلَتني وما فارقتُها من ملالِها

ويا حَبَّذا عيشٌ ببيروت ناعمٌ — هنيءٌ رخيُّ الحال تحت ظلالِها

ذكرْتُ عشيَّاتِ الرُّبوعِ فهاجني — هواها وذِكراها وطيبُ وِصالها

فما هي إلّا جنَّةٌ عبقريَّةٌ — يقرُّ بعينيَّ اجتلاءُ جمالها

تركتُ بها أهلاً وصحباً أعِزّة — ونضرة عيشٍ ما حفلتُ بخالها

ب ـ (حَرُّ بيروت) للصحافي وديع عقل (١٨٨٢ ـ ١٩٣٣م):

وددتُ والحرُّ في بيروت يكويني — أنْ لا أعيشَ لشهرٍ غير كانونِ

وأنْ أكون ولي مالٌ ينقِّلني — في الصيف ما بين جزِّين وصنِّينِ

أما تراني وهذا الحرُّ ذَوَّبَني — حتّى استجفَّ دِمائي في الشرايينِ

كأنَّ بيروت في ذا الصيفِ قد نُفِحَت — من الجحيمِ بأنفاسِ الشياطينِ

ت ـ (حوريات بيروت) للشاعر العراقي إبراهيم الطباطبائي (١٨٣٢ ـ ١٩٠١م)، ومما قال فيها:

يبسمْن عن لؤلؤٍ ما ضمَّه صدف — ولؤلؤ الثغرِ لا يحتاج أصدافا

إذا أَلِفْنَ وعرّضن العوارض لي — أَلْفَيْتُ جنات خلد الحسن ألفافا

لطفٌ من اللّه مقسوم يضاعِفُه — لمن يشاءُ وزادَ اللّهُ ألطافا

ث ـ (هجاء بيروت) لناصر الدين الحسين ـ أحد أمراء الغرب ـ (٦٦٨ ـ ٧٥١هـ/ ١٢٦٩ ـ ١٣٥٠م) (**قلت**: له ترجمة موسعة في «تاريخ بيروت» لصالح بن يحيى، وليس فيها الشعر التالي):

متى أرى بيروت لا عُمِّرَتْ — تُحرثُ يوماً بالمحاريثِ

فما بها خيرٌ يراه الفتى — سوى أفاعٍ أو براغيثِ

● انتقيتُها من كتاب «بيروت في قصائد الشعراء» لشوقي بزِّيع (ط. دار الفارابي/ ٢٠١٠م)، وقرأتُ ـ قبل طبع الكناشة ـ في ترجمة الشيخ طه الولي (١٣٤٠ ـ

١٤١٦هـ/ ١٩٢١ ـ ١٩٩٦م) أنّ من مؤلفاته المخطوطة «بيروت في الشعر العربي».

وأضيف ما قاله الشيخ الشاعر عبد السلام بن عبد الرحمٰن المعروف بالشطي الدمشقي (١٢٥٦ ـ ١٢٩٥هـ/ ١٨٤٠ ـ ١٨٧٨م) في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب إليها (نقلته من كتاب «تاريخ الآداب العربية» للويس شيخو):

بيروت إني في هواها أرغبُ ... من ثغرها البسَّامِ طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصَّها ... ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنها ... شمسٌ على أُفقِ العلى لا تغربُ
يا طالما قد زرُتها فوجدتهُا ... ظمآنةً من حرّها تتلهَّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ... ودواؤها قد عزَّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسُّفاً ... من فقدها ما تشتهيهِ وتطلبُ
من بعد ذاك أتيتُها فوجدتُها ... تحتالُ من عُجْبٍ وذيلاً تسحبُ
فسألتها عن حالها فتبسَّمت ... وانهلَّ من فيها فراتٌ أعذبُ
فاستيقنَت نفسي ببرد حميمها ... فغدوتُ في نعمائها أتغلَّبُ
وأتيت في هذا النظام مهنئاً ... إذ جاءَهم هذا الطهور الطّيبُ
ورجوتُ من فضل الإله دوامهُ ... في كلّ حين دائماً لا يُسلبُ

١٥٩٢ أسَدٌ عليَّ... وفي الحروبِ نَعامةٌ!!

لما دخلت غزالةُ الحَرورية (ت٧٧هـ) الكوفة على الحجّاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ) ومعها زوجها شبيب بن يزيد، تحصَّن منها الحجّاج وأغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حطان الخارجي (ت٨٤هـ) يعيّره، وكان الحجاج قد لَجَّ في طلبه:

أسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعامةٌ ... ربداءُ تَجْفَلُ من صَفير الصافر
هَلَّا بَرَزْتَ إلى غَزالَةَ في الوَغَى ... بَلْ كان قَلْبُكَ في جَناحَيْ طائِرِ
صدعَتْ غَزالةُ قلبه بفوارسٍ ... تركتْ مدابِرَه كأمْس الدَّابر

ربداء: أي ذات لون مغبر، تجفل: أي تسرع في الهرب. وعبارة (**أسدٌ عَلَيَّ وفي الحروب نعامة**) تُطلَق كمثل، ويُضرَب للرجل يُبدي شجاعته عندما يكون في مأمن من عدوه، ثم يجبن عند مجابهة الأخطار ولقاء الأعداء، فهو قوي على الضعفاء جبانٌ أمام الرجال والأعداء.

والأبيات ذكرها: خليفة بن خياط (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ) في «تاريخه»، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في «المعارف»، وأبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني»، وابن عبد ربّه في «العقد الفريد»، وغيرهم، وأعجبني تعليق ساخر قرأته، وقد كُتِبَ فيه: «**أسدٌ عليَّ، وفي الجولان نعامة!**» واللبيب من الإشارة يفهم.

١٥٩٣ بلاغة الأديبة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وقوة حافظتها:

كتبت بنت الشاطئ (١٩١٣ ـ ١٩٩٨م) رحمها الله في «سيرتها الذاتية» (ص٥٩): أخذت مكاني في جانب من قاعة الامتحان الشفهي لشهادة المعلّمات، أنتظر دوري لأؤدّيه بعد الطالبات الرسميات، وكان الأساتذة الممتحنون قد ضاقوا بتعثّرهن في تلاوة السور القرآنية والنصوص الشعرية المقررة، فلمّا جاء دوري وتلوتُ مجوّدةً ما اختاروا لي من سورتَي النساء والنور، سُئِلْتُ عَمَّا أحفظ من النصوص الشعرية، فكان جوابي أن سَأَلتُ: مِن أيِّ عصر؟

وعَجِبَ الممتحنون لسؤالي، ثم طلبوا نصًا من العصر الجاهلي، فأنشدتهم أبياتاً من معلقة طرفة بن العبد، ومرثية لمهلهل بن ربيعة التغلبي في أخيه كليب.

قالوا: أسمعينا شيئاً من شعر صدر الإسلام.

فبادرتُ أُنشِدُ لاميّة كعب بن زهير «بانت سعاد».

ثم ما زالوا ينتقلون بي من عصرٍ إلى عصرٍ وهم في دهشة من حفظي، حتى إذا وصلنا إلى العصر الحديث فاجأتهم بسؤالي:

مِن شعري أو من شِعر سواي؟

ولم ينسني مرّ السنين ما بدا عليهم من عجب، وقد قال أحدهم: إنْ كُنتِ شاعرة فأسمعينا إحدى قصائدك.

وأنشدتهم قصيدة لي «في الحنين إلى دمياط» مطلعها:

دمياط حبّك حرّكت أشجانه آلام قلبٍ في الغرام مصفد

ثم أتبعتها أخرى: صورة شعرية لزوجة صيّاد خرج إلى البحيرة في ليلٍ عاصف..

ولم يبقَ لديهم ما يمتحنونني فيه، فأقبلوا عَلَيَّ يسألونني عن وجهتي في التعليم بعد نيل الشهادة لكفاءة المعلمات... اهـ.

ولدت عائشة (بنت الشاطئ) في مدينة دمياط المصرية في السادس من نوفمبر سنة ١٩١٣م، حفظت القرآن الكريم برعاية والدها الشيخ الأزهري، ثم درست في بيتها حتى أنهت الثانوية، ثم التحقت بمعهد المعلّمات ونالت شهادة الكفاءة للمعلّمات، عملت مُدَرِّسَة في مدارس البنات دون انقطاع عن الدراسة، بعد ذلك التحقت بجامعة القاهرة قسم اللغة العربية سنة ١٩٣٥م، ثم التقت بعد سنة بزوجها **أمين الخولي** الأستاذ في كلية الآداب، وكان متزوِّجاً في الحادية والأربعين من عمره وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، **فأحبّته وأحبّها، ورضيت أن تكون الزوجة الثانية** رغم الصعوبات والشائعات والضغوطات التي تعرّضت لها لتتخلّى عن هذا الزواج، ورزقها الله أكمل وأمينة وابنة ثانية. أكملت (بنت الشاطئ) مسيرتها بعد زواجها، فنالت بامتياز جائزة في الآداب سنة ١٩٣٩م، كما نالت الماجستير سنة ١٩٤١م (مرتبة الشرف الأولى)، والدكتوراه سنة ١٩٥٠م (بتقدير امتياز)، ودرَّسَت في جامعة عين شمس

برتبة أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها، ورتبة أستاذ زائر لجامعات أم درمان ١٩٦٧م والخرطوم، والجزائر ١٩٦٨م، وبيروت ١٩٧٢م، وجامعة الإمارات ١٩٨١م، وكلية التربية للبنات في الرياض ١٩٧٥ ـ ١٩٨٣م، تدرّجت في المناصب الأكاديمية إلى أن أصبحت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاماً، ساهمت في تخريج أجيال من العلماء والمفكرين من تسع دول عربية قامت بالتدريس بها، وفازت بجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الأديبة **وداد القاضي** عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، توفي زوجها سنة ١٩٦٦م، وكتبت «سيرتها الذاتية» بعد سنة ١٩٦٧م، توفيت في (١٣ من شعبان ١٤١٩هـ/ ١ من ديسمبر ١٩٩٨م).

١٥٩٤ نقد الشيخ علي الطنطاوي للغة الانجليزية:

قال الشيخ **علي الطنطاوي** في «ذكرياته» (ص٢٧٣/ ط. ١٤٢٦هـ): إن أبلغ الألسن واللغات لغة العرب، فهي من الدرجة الأولى، والثانية والثالثة شاغر مكانها، وفي الرابعة اللغة الفرنسية والفارسية والأردية، أما الانجليزية فلا يحق لي أن أقول فيها شيئاً؛ لأنني لا أعرف منها إلا ثلاث كلمات... (انظر: «الكناشة» (٥٣٠)).

وفهمتُ أنها لغة سماعية، لا تكاد تضبطها قاعدة، ولا يمسكها قياس، ففيها حروف تُكتَب ولا تُقرأ، وحروف تُقرأ وهي غير مكتوبة، وحروف تُقرأ تارة على صورة، وتقرأ هي نفسها تارة أخرى على صورة غيرها، أي أن الناس كلهم يتعلمون الكتابة ليقرؤوا قراءة صحيحة، والانجليز يتعلمون القراءة الصحيحة ليعرفوا كيف يكتبون، وهذا هو «الدور والتسلسل» الذي عدَّه العقلاء من باب المحال:

لولا مشيبي ما جفا لولا جفاه لم أشب

ومع ذلك فقد فرض الانجليز هذه اللغة العرجاء على سدس أهل الأرض ينطقون بها، وأضعنا نحن لغتنا، وأهملناها، حتى كدنا ـ نحن أبناءها ـ نصير من الجاهلين بها، وأضعنا في تعلم الانجليزية خمس ساعات من دروس أبنائنا، ثم لا يكادون يخرجون منها بطائل.

١٥٩٥ قصيدة الشاعر عمر الزعني في رئيس الجمهورية اللبنانية التي سُجِنَ من أجلها!

أراد رئيس الجمهورية اللبنانية **بشارة الخوري** سنة ١٩٥٢م تجديد ولايته ست سنوات أخرى، وتمكّن من إقناع النواب بذلك، فصوَّتوا على مشروع التمديد بالإجماع، وانقسم الناس بين مؤيّد ومعارض، فوضع **عمر الزعني** (١٣١٦ ـ ١٣٨٠هـ/ ١٨٩٨ ـ ١٩٦١م) قصيدة بعنوان: «جَدِّدْلو ولا تَفزَع... جَدِّدْلو بَرْكِي بِيشْبَع»، قال فيها:

جَـدِّدْ لـه ولا تَـفـزَع ... خَـلِّـيـه قـاعـد ومربّـع
بِـيـضَـلْ أَسْـلَـمْ مِـن غـيـره ... وأضـمـن لـلـعـهـد وأنـفـع
هـو بـأمـنـيـتـه ظـفـر ... ومدامته (أي زوجته) شبعت سفر
والـمـحـروس نـال الـوطـر ... وإخـوانـه شـبـعـوا بـطـر
مـا عـاد فـي مـنـهـم خـطـر ... مـا عـاد الـهـم ولا مـطـمـع

أثارت القصيدة غضب الرئيس **بشارة**، فأمر بإحالة **عمر الزعني** على القضاء بتهمة إهانة رئيس الجمهورية، وقُبِضَ على الشاعر وأُحِيلَ موقوفاً إلى القاضي الجزائي الذي استجوبه، وعاد الزعني أثناء الاستجواب إلى تلاوة القصيدة أمام المحكمة في حضور جمهور كبير، كما روى القاضي نعمان، وساد الهرج والمرج في الجلسة، وانسحب القاضي إلى غرفة مجاورة لإصدار الحكم، وقيل أن الزعني تابع يقول:

ومـن الـقـنـطـاري ... إلـى رأس الـنـبـع
روح يـا زلـط ... سـلّـم عـلـى بـلـع

وفيها تورية ذهبت مثلاً، ففي محلة القنطاري كان قصر رئاسة الجمهورية حيث الرئيس بشارة الخوري (لا يزال هذا القصر موجوداً)، وفي محلة رأس النبع كان مجلس رئيس الوزراء.

وحُكِمَ على الزعني بالحبس ستة أشهر، وصدق استئنافاً، وسيق الشاعر إلى سجن الرمل، وبعد ثلاثة وأربعين يوماً اتجهت مظاهرة شعبية نحو بيت المفتي الشيخ توفيق خالد بالتدخل للعفو عن الزعني، فصدر على أثرها مرسوم بالإفراج عنه. اهـ.

• انظر للفائدة «الكناشة» (١٤٨٧): قصيدة المنفلوطي التي سُجِن بسببها.

١٥٩٦ خُذْ من الدنيا ما شئتَ ... ولك بمثلَيهِ هَمًّا!

هذا مثلٌ ذكره الشيخ **عبد القادر قباني** (١٢٦٤ ـ ١٣٥٤هـ/ ١٨٤٨ ـ ١٩٣٥م) في مقالته «بيروت حياتها وتحولاتها وعادات أهلها» (مجلة الكشاف/ ١٩٢٧/ ص٢٢٣)، وهذا المثل يُعَبِّر عن حال الدنيا، وقد روى ابن المبارك في «الزهد» ـ بإسنادٍ صحيح ـ عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: «مع كل فرحة ترحة».

وقال **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ) في «صيد الخاطر»: **فصل قيمة السرور في الدنيا**

من تلَمَّح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها، فمَن مال إلى مباحها ليلتذ وجد مع كل فرحة ترحة، وإلى جانب كل راحة تعباً، وآخر كل لذة نقصاً يزيد عليها، وما رُفِعَ شيءٌ من الدنيا إلا ووُضِع.

أحبَّ الرسول ﷺ عائشة رضي الله عنها فجاء حديث الإفك، ومال إلى زينب، فجاء: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ثم يكفي أنه إذا حصل محبوبه فعين العقل ترى فراقه فيتنغص عند وجوده، كما قال الشاعر:

أتـم الـحـزن عـنـدي فـي سـرور تـيـقـن عـنـه صـاحـبـه انـتـقـالاً

فيعلم العاقل أن مراد الحق بهذا التكدير التنفير عن الدنيا، فيبقى أخذ البلغة منها ضرورة، وترك الشواغل، فيجتمع الهم في خدمة الحق، ومَن عَدَل عن ذلك ندم على الفوات.

١٥٩٧ تصدّي الدكتور عمر فرُّوخ - وسانده العقاد - لمحاولة طه حسين إضافة أحرف على الأبجدية العربية!

في عام ١٩٦٠م جرى اختيار الدكتور **عمر فرُّوخ** (١٩٠٦ - ١٩٨٧م) وأستاذه **أنيس المقدسي** عضوَين في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وكان عمر يشارك في المناقشات التي تدور في جلسات المجمع، وبعد بضع سنوات تقدَّم **طه حسين** - وكان يومذاك رئيساً للمجمع - باقتراح يطلب فيه إضافة أحرف على الأبجدية العربية.

فنهض د. عمر وخاطب طه حسين محتدًّا: لماذا يا دكتور طه؟!

فقال طه حسين بالحرف الواحد: إذا لم تكن عندنا هذه الأحرف الزائدة فكيف نكتب اسماً أجنبيًّا مثل اسم «فيكتور هيجو» باللغة العربية كتابة صحيحة؟

فقال د. عمر: لو فرضنا جدلاً أن زيادة الأحرف التي تقترحها تحل مشكلة الأسماء في اللغة الفرنسية - وهذا غير صحيح - فكيف نحلّ مشكلة الأسماء في اللغة التركية والفارسية والإنكليزية والألمانية والصينية؟

وطلب د. عمر التصويت على صوابيّة كلامه..

وخذل التصويت رأي عمر فرُّوخ! وأيَّد معظم الأعضاء رأي طه حسين.. وعندئذٍ نهض **عباس محمود العقاد** بقامته الفارعة وصوته الهادئ وقال: دكتور عمر فرُّوخ على حق، فلا يجوز أنْ نفتح ثغرة في اللغة العربية مثل هذه الثغرة.

فقال بعض أعضاء المجلس: إنّ هذا الاقتراح ليس ابن ساعته الآن، ولكنه اقتراح لجنة رئيسها طه حسين!

فقال العقاد: وما قيمة ذلك؟ نعيِّن لجنة ثانية.

ونجح دفاع العقاد، فأُعِيد التصويت وسقط الاقتراح بإدخال أحرف غريبة على الأبجدية العربية.

• كتبه خليل برهومي في مجلة «الأفكار» (٢٣/ ١١/ ١٩٨٧م)، ونقلته من كتاب «العلامة الدكتور عمر فرُّوخ» (ص١٦٩) للدكتور حسان حلاق، وفي الكتاب أيضاً (ص١٦١) نقل فضل الأمين لقاءه بالدكتور عمر فرُّوخ قبل وفاته بسنة في مقالة له في مجلة «الشراع»، وفيه أن د. عمر قال عن طه حسين: «لم يكن باحثاً ولا عالماً ولا ناقداً ولا مؤرِّخاً للأدب، وما جاء به لا يعدو كونه نوعاً من البدع التي لا تقوى على الصمود أمام المحاكمة المنطقية العقلانية..»، وهاجم د. عمر طه حسين متّهماً إيّاه بتشويه حقائق التاريخ ونواميس الجغرافيا، في دعوتَيه الشهيرتين: دعوته إلى إعادة النظر في تاريخ الأدب الجاهلي، والدعوة إلى الحضارة المتوسطية.

فائدة: للدكتور عمر فروخ ابن اسمه مازن (١٩٤٨ ـ ١٩٨٧م)، تخصّص في الفيزياء النووية، وكانت رسالته نقضه لجوانب من نظرية أينشتاين، وكان عضواً في جماعة «الإخوان المسلمين» في بيروت، وقُتِل رَحِمَهُ اللَّهُ في ٢/ ١/ ١٩٨٧م.

١٥٩٨ الردود والتحذيرات من «معجم المنجد» اللغوي!

«معجم المنجِد» أَلَّفه الراهب **لويس المعلوف اليَسوعي** (١٢٨٤ ـ ١٣٦٥هـ/ ١٨٦٧ ـ ١٩٤٦م)، وهو على حُسن تنظيمه تُؤخَذ عليه أمورٌ كثيرة تَهُزُّ الثِّقةَ به هزًّا، وكان كتبَ قديماً أستاذُ أساتيذ العربيَّة **سعيد الأفغاني** ـ يومَ كان رئيساً لقسم اللُّغة العربيَّة بجامعة دمشق ـ تقريراً في التَّحذير من «المنجِد»، بعنوان: «أضرارُ المنجِد والمنجِد الأبجَدي».

وعقدَ الدُّكتور **مازن المبارك** فصلاً في كتابه «نحو وعي لغويٍّ» بعُنوان: «المنجِد لا يُنجِد».

وجعلَ الأستاذ **يسري عبد الغني عبد الله** فصلاً في كتابه «معجم المعاجم العربيَّة» بعنوان: «المنجِد يريد من يُنجِدُه».

وحبَّر علامة العراق **مصطفى جواد** مقالات في مجلَّة «لغة العرب» بعنوان: «المنجِد وما فيه من الأوهام». (عن كتاب: «في التُّراث اللُّغوي» الذي ضمَّ مقالات مصطفى جواد. تحقيق: د. محمد عبد المطَّلب البكَّاء).

وكتبَ الأستاذ **عبد السَّتَّار فَرَّاج** مقالاً في مجلَّة «العربي» بعنوان: «المنجِد معجم في اللغة، نقدٌ لا مفَرَّ منه».

ونشرَ الأستاذ **مصطفى الشِّهابي** مقالاً في مجلَّة المجمع العلميِّ العربيِّ بدمشق بعنوان: «نظرةٌ في المنجِد».

وأنشأَ الأستاذ **منير العِمادي** مجموعةَ مقالات بيَّن فيها أغلاطَ «المنجِد» ومؤلِّفه لويس المعلوف، نُشرت في مجلَّة «المعرفة الدمشقيَّة»، وفي مجلَّة «المجمع العلميِّ العربيِّ بدمشق».

وألَّف الأستاذ **إبراهيم القطَّان** كتاباً في نقده أسماه: «عثراتُ المنجِد في الأدب والعلوم والأعلام».

وصنَّف في نقده أيضاً الدُّكتور **أحمد طه حَسانين سُلطان** كتاباً بعنوان: «المنجِد للمعلوف في ميزان النَّقد اللُّغوي».

ونقدَه الأستاذ **عبد الله كنُّون** في مجلَّة اللِّسان العربيِّ، التي يُصدرها المكتبُ الدَّائم لتنسيق التَّعريب في الرِّباط.

ونبَّه على كثرة ما يؤخَذ على «المنجِد» الأستاذ الدُّكتور **حسين نصَّار** في كتابه: «المعجم العربي».

وأبانَ الدُّكتور **إبراهيم عَوَض** ما شابَ «المنجِد» من عصبيَّة نصرانيَّة في كتابه: «النَّزعة النَّصرانيَّة في قاموس المنجِد».

- كتبه أيمن بن أحمد ذو الغنى في ٣ رجب ١٤٢٤هـ.

١٥٩٩ هل دَوَّنَ العرب في جاهليّتهم حِكَمهم وأمثالهم؟

قال د. **عبد المجيد قطامش** في كتابه «الأمثال العربية، دراسة تحليلية تاريخية» (ص٣٩/ ط. دار الفكر): لدينا بعض النصوص القديمة التي تدل على أنّ العرب في جاهليتهم كانوا يدوِّنون حكمهم وأمثالهم، كما دوّنوا أشعارهم، فقد رُوِيَ أنّ **عامر بن الظَّرِب العَدواني** ـ وهو حكيمٌ جاهلي معمّر مشهور ـ قال لملكٍ من ملوك حِمْيَر، في حديثٍ طويل: «ولي كنزُ علم، لستُ أعملُ إلّا به، تركته في الحيّ مدفوناً، وإنّ قومي أضِنَّاء بي، فاكتب لي سِجِلًّا بجباية الطريق، فيرى قومي طمعاً تطيب أنفسهم به عنّي، فأستخرج كنزي وأرجع إليك». («المعمّرون» (ص٦١ ـ ٦٣)، «جمهرة الأمثال» (١/ ٢٧٠)). اهـ.

فهذا النص إنْ صَحَّ يدلّ على أنهم كانوا يدوِّنون حِكَمهم وأمثالهم، ذلك أننا نتصوَّر أن هذا الكنز من العلم لم يكن إلَّا حِكَماً وأمثالاً مدوّنة فيما كانوا يدوّنون عليه آنذاك من أشياء، ومعروفٌ أنَّ الحِكمة إذا سارت صارت مثلاً.

١٦٠٠ أوائل مَن صَنَّف من العرب في الأمثال:

تدوين الأمثال في العصر الأموي:

١ ـ **صحار بن عياش العبدي**: له صحبة، وكان بليغاً لَسِناً مشهوراً بذلك، عاش إلى زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤٠ ـ ٦٠هـ) رضي الله عنه، ووفد عليه، ذكر ابن النديم في «الفهرست» أن له كتاب «الأمثال».

٢ ـ **عبيد بن شرية الجرهمي**: ذكر ابن النديم في «الفهرست» أنه أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً، ووفد على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وله من الكتب كتاب «الأمثال»، كتاب «الملوك وأخبار

الماضين». اهـ. وأشار الميداني (ت٥١٨هـ) في «مجمع الأمثال» إلى جمعه لكتابٍ في الأمثال.

٣ ـ **علاقة بن كرسم الكِلابي**: ذكر ابن النديم في «الفهرست» أنه من بني عامر بن كلاب، وأدرك أيام يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ)، وكان عارفاً بأيام العرب وأحاديثها، وهو أحد من أُخِذَت عنه المآثر، وله كتاب «الأمثال»، رآه ابن النديم في نحو خمسين ورقة.

تدوين الأمثال في العصر العباسي:

٤ ـ **أبو عمرو بن العلاء** (ت١٥٤هـ): أحد القراء السبعة، ذكر الميداني في مقدمة «مجمع الأمثال» كتابه، وقال في أحد الأمثال: هذا مثل تبتذله العامة، وقد أورده أبو عمرو في كتابه.

٥ ـ **الشَّرقِيُّ بن القُطَامي**: عالم بالأدب والنسب. من أهل الكوفة، كان صاحب سمر، توفي قريباً من وفاة أبي عمرو بن العلاء، ذكر الميداني في مقدمة «مجمع الأمثال» كتابه، ونقل عنه مراراً روايته لأمثال وتفسيرها.

٦ ـ **المُفَضّل بن محمد الضبي الكوفي المقرئ** (ت١٦٨هـ): كَانَ أخباريًّا عَلامَةً، مُوَثَّقاً، وكان مُقَدَّماً في عصره في القراءة، ذكر ابن النديم في «الفهرست» والميداني في «المجمع» كتابه في «الأمثال».

٧ ـ **يونس بن حبيب الضبي** (٨٠ ـ ١٨٢هـ): إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات، كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب، ذكر ابن النديم في «الفهرست» وياقوت في «إرشاد الأريب» كتابه في الأمثال.

٨ ـ **مؤرج بن عمرو السدوسي البصري** (ت١٩٥هـ): من أعيان أصحاب الخليل، عالم بالعربية والحديث والأنساب، طُبع كتابه في الأمثال في الرياض سنة ١٩٧٠م بتحقيق د. أحمد الضبيب، وفي القاهرة سنة ١٩٧١م بتحقيق رمضان عبد التواب.

٩ ـ **النضر بن شميل (ت٢٠٤هـ)**: أخذ عن الخليل وعن فصحاء الأعراب، نقل الخطيب (ت٤٦٣هـ) في «تاريخ بغداد» عن ابن درستويه النحوي ذكره لكتاب النضر بن شميل في الأمثال، وذكره أيضاً الميداني في «مجمع الأمثال» فقال: هذا المثلان حكاهما النضر بن شميل في كتابه في الأمثال.

١٠ ـ **أبو عبيدة المعمر بن المثنى (ت٢٠٨هـ)**: كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنَّف غريب الحديث. ذكر ابن النديم في «الفهرست» وياقوت في «إرشاد الأريب» كتابه في الأمثال، وسمّاه ياقوت: «الأمثال السائرة». اهـ.

قلت: كتابه مفقود، وقد جمع نصوصه د. حاكم الكريطي (مدرّس بكلية الآداب/ جامعة الكوفة) وقال: تفرد من هؤلاء العلماء ابن خير الإشبيلي في ذكر اسم كتاب أبي عبيدة بـ«المجلة في الأمثال» (انظر «فهرست ابن خير») بعد أنْ وصل هذا الكتاب إلى الأندلس عن طريق أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي بعد رحلته إلى بغداد. ثم جاء عبد القادر البغدادي ليشير بوضوح لا يقبل اللبس إلى اسم كتاب أبي عبيدة حيث قال: «وكل كتاب جمع حكمة وأمثالاً فهو عند العرب مجلة، ومن هذا سمى أبو عبيدة كتابه الذي جمع فيه أمثال العرب المجلة». «خزانة الأدب».

١١ ـ **أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت٢١٥هـ)**: قال ياقوت (ت٦٢٦هـ) في ترجمته في «إرشاد الأريب»: البصري النحوي اللغوي الإمام الأديب، وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك. . . وتوفي بالبصرة سنة خمس عشرة ومئتين في خلافة المأمون وقد جاوز التسعين. اهـ. وذكر ياقوت من كتبه «الأمثال».

• استفدتُ في بحثي من كتاب «الأمثال العربية، دراسة تحليلية تاريخية» للدكتور عبد المجيد قطامش، وأضفتُ إليه بعض الفوائد.

١٦٠١ هل يوجد في اللغة فرقٌ بين كلمة (السَّنَة) و(العام)؟

قال الشيخ **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ الله في «من شوارد الشواهد» (ص٢٤/ حاشية ٣): يخلط الناس في الاستعمال بين (**العام**) و(**السَّنَة**)، وهما مترادفتان ولكن ليس في اللغة كلمتان بمعنى واحد (انظر: كتاب الصاحبي وكتاب الفروق اللغوية)، ولا بدّ من اختصاص كل لفظة بشيء لا تدل عليه الأخرى، (**فالسَّنَة**) في الأصل للشِّدَّة والقحط، و(**العام**) لليسر والرخاء (اقرأ آيات سورة يوسف)، و(**السَّنَة**) عند العرب مرادفة الشدّة والبلاء؛ تقول: أسنت القوم، أصيبوا بالسِّنين، وأصابتهم السَّنَة، و(**العام**) للسنة الشمسية والسنة القمرية، ومَن تتبَّع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً.

١٦٠٢ أساء المتنبي إلى كافور الإخشيدي إساءةً بالغةً!

قال **الذهبيُّ** في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٩٠): **كافور**، صاحب مصر، الخادم الأستاذ، أبو المسك، كافور الإخشيذي الأسود. تقدَّم عند مولاه الإخشيذ، وساد لرأيه وحزمه وشجاعته، فصيَّره من كبار قواده، ثم حارب سيف الدولة، ثم صار أتابك أنوجور ابن أستاذه وتمَكَّن... تسلطن كافور في صفر سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، ومات في عشر السبعين.

ثم قال **الذهبي**: وكان مهيباً، سائساً، حليماً، جواداً، وقوراً، لا يشبه عقله عقول الخدَّام، وفيه يقول **المتنبي** (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ) (من قصيدته المشهورة التي مطلعها: **كفى بك داء أن ترى الموت شافياً**):

قواصدَ كافورٍ تَوَارِكَ غيرِهِ ... ومن قصد البحرَ استقَلَّ السَّوَاقيا
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه ... وخلّت بياضاً خَلْفَهَا ومَآقِيا

فأقام عنده أربع سنين، وناله مال جزيل، **ثم هجاه لآمةً وكفراً لنعمته، وهرب على البرية!** يقول (من قصيدته التي مطلعها: **عِيدٌ بأيّة حالٍ عُدْتَ يا عيد**):

مَن علَّم الأسودَ المَخْصِيّ مَكرُمَةً   أَقَومُه البيضُ أَمْ آباؤُه السودُ
وذاك أنّ الفُحُولَ البِيض عاجزةٌ   عن الجميل فكيف الخصْية السُّود. اهـ.

قال الأديب محمد رجب البيومي (ت١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) في «طرائف ومسامرات» (ص٤٢٧/ ط. دار القلم): أساء المتنبي إلى كافور الإخشيدي إساءةً بالغة، إذ أمعن في هجائه دون وجه حق، فقد أعطاه كافور أكثر ممّا كان يعطيه سيف الدولة، فلم يقنع، إذ كان يطمع في أنْ يكون والياً على إقليمٍ كبير، وهذا ما صَرَّح به في قوله:

وغيرُ كثيرٍ أن يزورَك واجِلٌ   فيرجعَ مَلكاً للعراقين واليَا

وكافور رجل دولة، لا يرى أنْ يتولّى قيادة الأقاليم غير إداريٍّ متمرّس، لا شاعرٌ طامح، فكان بعيد النظر حين أبى أنْ يجعل المتنبي في موضع لا يملؤه! ولو كان كافور سيّئ التصرف لمَنح الشاعر ما أراد، ولكنه حاكمٌ مسؤول!

١٦٠٣ فكال له صاعاً بصاع... وأفحمه!

قال الأديب محمد رجب البيومي (ت١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) في «طرائف ومسامرات» (ص٤٤٣/ ط. دار القلم): كان الشاعر المصري الفَكِه **إمام العبد** (١٨٦٢ ـ ١٩١١م) ممّن يُعجَبون بشعر المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ)، فهو يشغل سامعَه برواية شعره والحديث عنه في مجالس الأدب بالقاهرة، وما أكثرها على عهد إمام وحافظ والبشري ومطران، وقد أفاض ذات مساءٍ إمامُ العبد في إطرائه للمتنبي، فاعترضه الأستاذ الكبير **محمود أبو النصر** ـ وكان من أكبر المحامين ورجال السياسة في عصره ـ وقال له: يا إمام هل تحفظ قصيدة أبي الطيب التي مطلعها:

عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ   بما مضى أمْ لأمرٍ فيك تجديدُ

فشخَصَ إليه إمامُ العبد، وتأمّل طويلاً، إذ رأى في لهجة أبي النصر ما

يدلُّ على الاستخفاف والسخرية، فأدرك أنه يعني قولَ المتنبّي من القصيدة:

لا تَصْحبِ العبدَ إلّا والعصا معه   إنَّ العبيدَ لأنْجاسٌ مناكيدُ

وكان والدا إمام عبدَين رقيقين جُلِبا من السودان، فكظم الشاعر غيظه، وهَدَتْه بصيرته إلى مفاجأة كبيرة، إذ قال للأستاذ محمود أبي النصر: إنها قصيدةٌ جيدةٌ، وأحسنُ بيتٍ فيها قول المتنبي:

ما كنتُ أحسبني أحْيَا إلى زمنٍ   يُسيئني فيه كلبٌ وهو مَحْمودُ

فكال له صاعاً بصاع! وهي نادرة تحدَّثت بها الصُّحُف حينئذٍ. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ولكن **إمام العبد** كان يتخذ من سواده أحياناً مادة لشعره، ومن طريف ما أنشد:

كتمت فأقصاني وبحت فلامني   فهاج غرامي بين سري وإعلاني
وما كان لوني قبل حبّك أسوداً   ولكن لهيب الشوق أحرق جثماني

١٦٠٤ كلمات فصيحة... ونظنها عامية (ملحق ثانٍ)

هذا بحث هام للدكتور **خالد الحماش** بعنوان «مفردات عربية حَفِظَتها العامية وأغفلتها الفصحى، بلاد الشام نموذجاً»، نشره في مجلة الدراسات الاجتماعية (العدد ٢٦/٢٠٠٨م)، وأرشدني إليه الأخ **طارق العقبي** جزاه الله خيراً، وقد انتقيتُ منه الفوائد التالية:

تبجبج: إذا كثر لحمه واسترخى (التكملة على الصحاح للصغاني)، وهي كلمة كثيرة الاستخدام في بلاد الشام، فيقال: تبجبج بالمعنى نفسه، كما يُقال للخبز إذا ابتلّ بالماء تبجبج، ويقال فلان بجبوج إذا كان مسترخي اللحم.

برطل: البرطيل الرشوة، وقد برطله فتبرطل أي: رشاه فارتشى (التكملة على الصحاح للصغاني)، وهذه اللفظة دارجة في بلاد الشام بالمعنى نفسه.

البَزر والبِزر: وبالكسر أفصح بزر البقل وغيره (مختار الصحاح)، وهو استعمال شامي لحب القرع والبطيخ بأنواعه.

جعر: أصلها جأر حيث قلبت عينها همزة. وفي العين: الجاعرتان: حيث يُكوى الحمار من مؤخره على كاذَتَي فخذيه. وهي مستخدمة في العامية بالمعنيين السالفين. قال أبو معاوية البيروتي: وعندنا تستخدمه العامة للدلالة على مَن يصرخ بصوت تشمئز منه الآذان، يقولون: جَعَّر فلان.

جبّان: المقبرة. تسمّى المقبرة في كثير من بلاد العرب بـ«الجبّانات».

جاء في «البيان والتبيّن» للجاحظ: قال عوانة: قال الحسن: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة وأمير المصرين وأشب الناس، فأقام عندنا أربعين يوماً، ثم طُعِن في قدمه فمات، فأخرجناه الى قبره، فلمّا صرنا به الى الجبانة... اهـ.

جَخّ: هذه الكلمة في العامية الشامية، وفي حلب خاصة تُستَخدم بكثرة لمعنى التوسع في النفقة، وقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ جخّى في سجوده، (أي: خوّى ومدّ ضبعيه وتجافى عن الأرض). وهي بمعنى التوسع. اهـ. **قلت**: الحديث في «سنن النسائي» «**أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى جخى**»، وصححه الألباني، وكذلك تُستَخدم عندنا في لبنان بمعنى التوسع في النفقة.

الجرن: قال ابن دريد: الذي يُسمَّى بالمدنية بالمهراس، وهو حجر منقور يصبّ فيه الماء فيتوضأ منه. (التكملة على الصحاح للصغاني). وهي في بلاد الشام مستخدمة بالمعنيين السالفين، فالجرن لدقّ القمح، والجرن الذي يُوضَع في الحمام يُجمَع فيه الماء ليغتسل به.

جفس: رجل جفس أي ضخم، (التكملة على الصحاح). وفي عامية الشام بمعنى الجافي الغليظ.

جَلق: جلقت المرأة عن متاعها وعن ثناياها أي كشفت (التكملة على الصحاح). وهي في عامية بلاد الشام بالمعنى نفسه، واستُعيرت لحالة معنوية وهي الإفراط في زيارة قوم أو رفع الكلفة معهم خلاف رغبتهم، فيقال: فلان انجَلق.

حرد: أحردت الرجل إذا أفردته، حرد الرجل إذا أوى إلى كوخ. والحرد: الغضب، وهو حارد وحردان (مختار الصحاح). قال تعالى: ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾ [القلم: ٢٥]، وهي مستعملة في عامية الشام بالمعنى نفسه.

دبق: (الدبق) شيء يلتصق كالغراء تُصاد به الطير. (مختار الصحاح). ويقول الجاحظ: «تدبق الحبارى جناحَي النسر حين تسلح عليه»، وهذا المعنى شائع جدًّا في عامية الشام متروك في الفصيح مع عدم توفر البديل عنه.

الدقر: عن الليث أن الدقران: الخشب التي تنصب في الأرض يُعرش عليها العنب. وفي عامية الشام تُستعمل للشيء المعترض ماديًّا ومعنويًّا، فيقال: فلان مثل الدقر أي يعترض على كلّ شيء، ويحشر نفسه في كل شيء.

الرتيلاء: ضربٌ من العناكب (مختار الصحاح). وهذه اللفظة مألوفة جدًّا في الشام.

ركوة: إناء من جلد يوضع فيه الماء. جاء في «البيان والتبيّن»: **ومعه مزود وركوة وعصا**. اهـ. والركوة التي للماء وجمعها (ركاء وركوات). (مختار الصحاح)، وهي كلمة مستخدمة في إناء معدني لصنع القهوة والشاي وما شابه، في عامية الشام.

زخّ: فعل متروك في الفصحى، بقي منه: زحزح، وتزحزح، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] (مختار الصحاح)، وهي مستعملة في عامية الشام بالأزمنة الثلاث.

الزعج: الزعج القلق. قال ابن دريد: زعجته بمعنى أزعجته. (التكملة على الصحاح). وهذه الكلمة شديدة الشيوع في عامية الشام بتصاريف مختلفة، قليلة الاستخدام في الفصحى.

الزعارة: شراسة في خلق الرجل لا يكاد ينقاد ولا يلين. (العين). وفي «المقاييس»: يدل على سوء خُلُق وقلة خير. وهي بالمعنى نفسه في عامية الشام، فيُقال: فلان أزعر، وهؤلاء زعران.

زنخ: الدهن تغير فهو زنخ وبابه طرب. (مختار الصحاح). ويقال سنخ وسناخة للريح المنتنة والوسخ وآثار الدباغ. وهي في عامية الشام بالمعنى نفسه.

زنق: الزنقة السكة الضيقة فيها التواء (البيان). ومن الحلي الخانقة. وهي أصل يدل على ضيق أو تضييق. وهي كذلك في عامية الشام، وقد تُستعار للمعنويات، فيقال فلان مزنوق إذا كان مديناً أو غير ذلك.

سحن: لها ثلاثة أصول عند ابن فارس: الكسر، واللون والهيئة، والمخالطة. (المقاييس). والمعنى الأول مستعمل في الشام، فيقال: سحنت الشيء سحناً أو كسرته وطحنته، والمعنى الثاني أيضاً مستخدم في عامية الشام وبكثرة، فيقال: فلان جميل السحنة، ويقال: ما هذه السحنة؟! وغالباً ما تستخدم هذه الكلمة للذم.

سَطَع: هو أن تسطع شيئاً براحتك أو أصابعك ضرباً. (العين). وفي عامية الشام توسعت دلالتها لتشمل كل أنواع التحرش والإيذاء المحدود غالباً، وهي كثيرة الانتشار وخاصة في معاملات الأولاد،

والغريب أن الفصحى تركتها تماماً مع قلّة وصعوبة إيجاد البديل عنها.

شخ: الشخّ البول نفسه، وصوت الشخب أيضاً. (التكملة). والمعنى الأول دارج في عامية الشام.

شوب: الشوب الخلط. (المقاييس). ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝﴾ [الصافات: ٦٧]؛ أي: خلطاً ومزاجاً، إلّا أنّ العامة استخدمت هذه الكلمة بمعنى الحَر، فكأنها حذفت المضاف إليه في الآية مع الاحتفاظ بدلالته، وهذه الدلالة واسعة الانتشار في عامية الشام.

صهريج: حوض مجتمع فيه الماء، والجمع صهاريج. وهي كذلك في عامية الشام.

الطنجير: جاء في كتاب «العين»: قلت لأبي الرقيش: ما العصد؟ قال: تقليبك العصيدة في الطنجير بالمعصدة. ويتضح من السياق أن الطنجير هو القدر، وكلمة الطنجرة مشهورة في عامية بلاد الشام، وهي في العراق: جدر؛ وهو القدر.

عكر: عكر الليل إذا اختلط سواده والتبس، والعكر: رديء النبيذ والزيت، يقال: عكره تعكيراً. (العين). وفي لهجة الشام: عكر الزيت هو مادة ترسب في قعر آنية الزيت، وتُستعار هذه الكلمة للماديات فيقال: تعكر الماء، وللمعنويات فيقال: تعكر صفوه.

فرشخ: أن يفرج الإنسان بين رجليه ويباعد بينهما، . . . وهو من كلمتين فرش وفشخ. (المقاييس). وقد احتفظت عامية الشام باللفظ نفسه والدلالة نفسها.

فطس: بمعنى مات. (مختار الصحاح). وفطست الحديد عرضته وأنف أفطس عريض، وهي مستعملة في عامية الشام بهذين المعنيين، ولكنها تخص المعنى الأول بالكافرين.

كبس: . . . الكبس الاقتحام، وهي مستعملة في عامية الشام والعراق بمعنى الضغط للأسفل، وبمعنى الاقتحام.

لبط: التبط فلان اضطرب في الأرض. (القاموس الوافي). وفي عامية الشام بمعنى الرفس بالرجلين.

لبك: تلبك الأمر إذا تلبّس. (التكملة). وهو أصل يدل على خلط شيء بشيء، يُقال: لبكت على فلان الأمر ألبكه إذا خلطته عليه. . . وفي لهجة الشام فلان تلبك إذا اختلط عليه الأمر وارتبك.

ماع: يميع ماع السمن جرى على وجه الأرض. (مختار الصحاح). ومنها أُخِذَت كلمة المايع؛ أي المتحلل خلقاً والمتخنث، فهي استعارة المحسوس للمعقول، وهي كلمة واسعة الانتشار في عامية الشام نادرة في الفصحى. والمائع كل شيء ذائب، ومنه المَيعة والنشاط، والميعة أول الشباب.

- ولقراءة ما سبق حول هذا الموضوع الهام، انظر «الكناشة» (٥٢٧) و(١١١٧).

١٦٠٥ الشاعر أبو فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) نقّح وحرَّر ديوان شعره قبل موته:

قال **المحسن بن علي التنوخي** (ت٣٨٤هـ) في «نشوار المحاضرة»:
أبو فراس الحمداني، من مناجيب بني حمدان، الحارث بن أبي العلاء بن حمدان، فإنّه برع في كل فضل، على ما أخبرني جماعة شهدوه، وأثق بهم، حسن خلق لم يرَ في عصره ـ زعموا ـ بالشام أحسن منه، مع خلق طاهر، وحسن باطن وظاهر، وفروسيّة تامّة، وشجاعة كاملة، وكرم مستفيض؛ لأنه نشأ في تربية سيف الدولة رضي الله عنه، وحجره، وأخذ أخلاقه، وتأدّب بآدابه، مع ملاحة خطّ، وترسّل، وشعر في غاية الجودة، وديوانه كبير، إلّا أنّه كان قبيل موته اختاره، على ما أخبرني به أبو الفرج الببغاء، فنفى منه شيئاً كثيراً.

قال: وافقني على نفيه؛ لأنه عرضه عليَّ، فكلّ ما استضعفناه نفاه، وما اجتمعنا على استجادته أقرّه، وحرّره في نسخة تداولها الناس، ومات وما بلغ الأربعين، مقتولاً.

قال: وأظنّ مبلغ سنّه كانت سبعاً وثلاثين سنة، أو نحوها، لمّا قُتل.

١٦٠٦ إني لأرى رؤوساً قد أينَعَت وحان قطافها، وإني لصاحبها!!

هذا جزءٌ من خطبة **الحجاج بن يوسف الثقفي** (٤٠ ـ ٩٥هـ) حين قدم أميراً على العراق، فروى **محمد بن يزيد المبرد** (ت٢٨٥هـ) في «الكامل في اللغة والأدب» عن عبد الملك بن عمير الليثي، قال: بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالٍ حسنةٍ، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه، إذ أتى آتٍ فقال: هذا الحجّاج قدم أميراً على العراق. فإذا به قد دخل المسجد معتمًّا بعمامة غطّى بها أكثر وجهه، متقلّداً سيفاً، متنكباً قوساً، يؤمّ المنبر، فقام الناس نحوه، حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق! حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمْهِلْ حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض وقال:

أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الثَّنايا ... متى أضَعِ العَمامةَ تَعْرِفُوني

ثم قال: **يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى!**...اهـ، إلى آخر خطبته، وهي مروية في كثير من كتب التاريخ والأدب، منها ـ على سبيل المثال ـ «تاريخ الأمم والملوك» للطبري، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه.

ومما قال فيها ـ ونقله الجاحظ في «البيان والتبيّن» وغيره ـ: «يا

أهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق، ما أغمز تغماز التين ولا يقعقع لي بالسنان، ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت من الغاية أنّ أمير المؤمنين كبَّ كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها عموداً فوجّهني إليكم، فإنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سننَ الغي، أما والله لألحونكم لحو العصا ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]».

وبيت الشعر السابق قاله الشاعر المخضرم **سحيم بن وثيل الرياحي التميمي** (ت نحو ٦٠هـ)، كما نقله عنه ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) في «طبقات الشعراء»، وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في «الشعر والشعراء»، وغيرهما.

١٦٠٧ بدعة إمارة الشعر!

. . . يحسبون أن إمارة الشعر يمكن أن تفتعل افتعالاً وتقترح اقتراحاً، وأنه لا بدّ للشعراء من أمير كما للصحفيين نقيب وللمحامين عميد وللعمال (كومانده) وللتجار (سرتجار). . .

وكأني بإخواننا هؤلاء يحسبون أن **شوقي** صار أميراً للشعراء لأن فريقاً من أدباء العربية احتفلوا به لهذا الغرض، ولأن **حافظاً** بايعه بالأمارة في ذلك الحفل، ولأن الصحف أخذت تخلع عليه هذا اللقب في كل مناسبة. . .

كلا أيها الإخوان، إن شعر الشاعر وحده هو الذي ضمن له الأمارة، ويضمن له الخلود على الزمن وهو مرتبة أكبر من كل إمارة، وما هو فرق الأمارة. . .

لقد كانت بدعة اقتضتها ظروف الحياة السياسية والاجتماعية في مصر منذ نصف قرن، فقد كان المصريون يرون الأتراك قد استأثروا دونهم بالألقاب الفخيمة والرتب العالية، فكان مِن مطالبهم أن يكون لهم نصيبهم من هذا، وكانت في نفوسهم لهفة على أن تكون أسماؤهم مقرونة بالألقاب والنعوت الكبيرة، وكان لهذه اللهفة صداها في دولة الأدب، ولمّا كان **شوقي** شاعر القصر في تلك الأيام فقد درجت الصحف يوم ذاك على تلقيبه بشاعر الأمير، ولما كان **حافظ** في الجهة المقابلة له فقد لقبوه بشاعر النيل، وهكذا شاعت الألقاب بين الشعراء والكتّاب، فلقّبوا **الخليل** بشاعر القطرين، و**إسماعيل صبري** بأستاذ الشعراء أو بشيخ الشعراء، و**عبد المطلب** بشاعر العروبة والبداوة، و**ولي الدين يكن** بأمير الشعر والنثر، وجاء صديقنا الأستاذ **أحمد رامي** في عقاب ذلك ففاز من التركة (**بشاعر الشباب**) وهي الرتبة التي لا يزال يحملها إلى اليوم... وكان المرحوم الشاعر **أحمد نسيم** لا يجد مَن يخلع عليه اللقب المناسب فكان يرسل بقصائده إلى الصحف بعد أن يكتب لها مقدمة ثناء طويلة يخلع فيها على نفسه ما شاء من ألقاب، أقلها شاعر الوطن... ولمّا مات شوقي وحافظ وقف يقول:

ولو شئت كانت لي زعامة شعرهم ... وكنت لمن يأتم خير إمام
شوارد تزري بالحطيئة هاجياً ... وتعيي جريراً في مديح هشام

ولكن عهد حطيئة وجرير كان قد انقضى...

وكانت في نفس شوقي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ لهفة إلى نيل رتبة الباشوية، كما كان المتنبي يتلهف على الفوز بالولاية، ولكن الظروف لم تسعفه، فقد أُبْعِد الخديوي عن مصر، وأُبْعِد شوقي نفسه عن مصر، وتبدَّلت الأحوال والأوضاع، وخَبَا أمله في تلك الرتبة، فأراد أن يعوِّض هذا على نفسه برتبة الأمارة في الشعر، فكانت الصحف التي تنطق باسمه تخلع عليه هذا

اللقب دائماً، ثم كانت حفلة المبايعة المعروفة، وكان شوقي شاعراً كبيراً حقًّا فضمن لنفسه هذه الأمارة، وضمن لنفسه الخلود وهو أكبر وأعظم من كل أمارة...

أمارة الشعر بدعة انتهت بانتهاء ظروفها... وليست هذه البدعة بالشيء المعروف في الأمم الأخرى... ولم يكن هذا بالأمر المألوف بين شعراء العربية من قبل.. فلم يبايع أحد **البحتري** بأمارة الشعر، ولم تقم له حفلة لذلك، ولكنه كما يقولون: أخمل بشعره سبعين شاعراً في عصره فلم يذكرهم ذاكر!

- كتبه (الجاحظ) (؟) في مجلة «الرسالة» المصرية، (العدد ٧٤٦، بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٤٧م).

قلتُ: وانظر للفائدة الكناشة (٥٤٢).

١٦٠٨ وَقَفَ حِمَارُ الشَّيْخِ فِي الْعَقَبَةِ!

هذا مثلٌ خَلَّد ذِكرَ الحمار وأهملَ صاحبه! وورد ذكره في مناظرة جرت بين **أبي الحسن الأشعري** (ت ٣٢٤هـ أو بعد ٣٣٠هـ بقليل) **ومحمد بن عبد الوهاب الجُبَّائِي** (ت٣٠٣هـ) شيخ المعتزلة (وهو زوج والدة الأشعري).

وقال الجبائي للأشعري في آخر المناظرة: إنك لمجنون! (وفي رواية: وسوست!)

فقال له الأشعري: لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة (أي أن الجبائي انقطع عن الحجة). فانقطع الجبائي.

- انظر المناظرة في ترجمة الجبائي في «وفيات الأعيان» و«تاريخ ابن الوردي».

١٦٠٩ إقبال الكثير من الرُّهبان ومِن مثقّفي النصارى على دراسة اللغة العربية وآدابها (ملحق)

قال كاهن قرطبة: «إنّا نحب أن نقرأ الشعر والقصص وندرس الدين والفلسفة في اللغة العربية، فنتعلم لغة عذبة الألفاظ بليغة الأداء جميلة

الإنشاء، ولا تكاد تجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية، وشبابنا الأذكياء جميعاً لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم، وكلّما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أُعجبوا بها، فإذا حدّثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا إن الفائدة منه لا تساوي التعب في قراءته! وهكذا نسي المسيحيون لغتهم، وجهلوا كتابتها وبلاغتها، وحذقوا اللسان العربي حتى ليكتبونه نثراً ونظماً بأسلوب أنيق، وتصوير دقيق، يفوقون فيه العرب أحياناً!»

قال أبو معاوية البيروتي: نقل السابق **أحمد الزيات** في كتابه «تاريخ الأدب العربي»، وقد نقله ـ ملخّصاً ـ من كتاب «تاريخ العرب في إسبانيا» لدوزى (٢/ ١٠٣)، وانظر حول الموضوع الفقرة (٥٣٧) من «الكناشة».

وشكا الراهب «**ألفارو/ Alvaro**» هذا الوضع فقال: «هل يمكننا أنْ نجد مِن بين أتباعنا من المؤمنين واحداً يمكنه قراءة الكتابات التي ألّفها أحبارنا اللاتين؟ ألم نرَ شبابنا المسيحيين المفتونين بالعربية.. يبحثون في كتب «كلدانية» ويدرسونها بعناية فائقة، ويمطرونها بالمدائح، ويجهلون الآداب الكنسية.. مسيحيون يجهلون شرائعهم.. لاتين يجهلون لغتهم.. ها نحن بالكاد نجد مسيحيًّا واحداً من عشرة آلاف مسيحي يمكنه أن يكتب رسالة صغيرة في لغته الأصلية، وعلى العكس نجد الكثيرين الكثيرين الذين يفهمون بدقة الكلام «الكلداني»، إلى حد أنهم ينظمون شعراً يفوق شعر مضطهدينا». (نقلته من كتاب «العرب لم يغزو الأندلس» (ص٢٢٥/ ط. رياض الريس)، وهو ملخص لكتاب إسباني بعنوان «الثورة الإسلامية في الغرب» للمؤرخ الإسباني **اغناسيو أولاغي**، وقد ترجمه للعربية ملخّصاً إسماعيل الأمين).

وكلام الكاهن هذا قاله أيام عز المسلمين، والآن ابتُلينا بخلف من

شباب المسلمين لا يعرفون الكتابة بلغتهم العربية، واستبدلوها بلغات الكفار ولغة «الشات» الممسوخة! وما ذاك إلا للذل الذي أصابهم لابتعادهم عن دينهم، والله المستعان.

١٦١٠ أبو الطيب المتنبي... ومعاناته من ثلوج لبنان!

قال الشاعر صلاح اللبابيدي (١٨٩٨ ـ ١٩٨٧م): مرَّ المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ) في ساحل لبنان، وكتب منه قصيدة إلى أبي علي الكاتب في دمشق، فذكر لبنان جاعلاً من صيفه شتاءً متألّماً من ثلجه الذي قطع طريقه إليه، وهو أمرٌ بلوناه جميعاً في حياتنا، فقال:

بيني وبين أبي علي مثلهُ	شمُّ الجبال ومثلهنُ رجاءُ
وعِقابُ لُبنان وكيف بِقطعها	وهْو الشتاء وصيفُهن شتاء
لَبَس الثلوجُ بها عليّ مسالكي	فكأنها ببياضها سوداءُ
(وكذا الكريم إذا أقام ببلدة	سال النضار بها وقام الماءُ)

ما قرأتُ هذا البيت الذي يجعل من صيف لبنان شتاءً إلّا تمنّيتُ أن تجعله مصلحة السياحة والاصطياف رمزاً لها تنشره في الآفاق، لتجعل من شاعر العرب الأكبر داعية للبنان في الاشتاء والاصطياف. اهـ.

• «الثمالات» (ص٩٤/ ط. دار الثقافة)، قال أبو معاوية البيروتي: ذكر اللبابيدي الأبيات الثلاثة الأُوَل، واستحسنتُ إضافة البيت الرابع، وقد نقلته من كتاب «صفوة الأدب ونخبة كلام العرب» ـ ويعرف بالحماسة المغربية ـ للأديب أحمد بن عبد السلام الجَراوي (ت٦٠٩هـ).

١٦١١ قصيدة «قل للفرنسيس إذا جئتَه...»!!

جمال الدين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح الأسيوطي، الأمير الأديب الشاعر (٥٩٢ ـ ٦٤٩هـ)، خدم مع الملك الصالح نجم الدين بآمد وحران وحصن كيفا، فلما تسلطن بمصر ولّاه نظر الخزانة، ثم وزر له بدمشق، ثم عزله وتغير عليه، قال الشعر الرائق، وله

ديوان مشهور طُبع في مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ.

قال ابن خلّكان (ت٦٨١هـ) في «وفيات الأعيان»: كانت ولادته يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة بأسيوط، وتوفي ليلة الأربعاء مستهل شعبان سنة تسع وأربعين وست مئة بمصر، ودفن بسفح الجبل المقطم، وحضرت الصلاة عليه ودفنه، وأوصى أن يكتب عند رأسه دوبيت نظمه في مرضه، وهو:

أصبحت بقعر حفرةٍ مرتهناً   لا أملك من دنياي إلا كفنا
يا من وسعت عباده رحمته   من بعض عبادك المسيئين أنا

اهـ.

والآن نأتي إلى بيت القصيد، قال ابن مطروح في قصيدة:

قل للفرنسيس إذا جئته   مقال صدق من قؤول فصيح
أتيتَ مصراً تبتغي ملكها   تحسب أن الزمر يا طبلُ ريح
وكل أصحابك أودعتَهم   بحسن تدبيرك بطن الضريح!
خمسون ألفاً لا ترى منهم   غير قتيل أو أسير جريح!
وَفَّقك الله لأمثالها   لعل عيسى منكم يستريح
آجرك الله على ما جرى   أفنيتَ عبّاد يسوع المسيح
فقل لهم إن أضمروا عودة   لأخذ ثار أو لقصد صحيح!
دارُ ابن لقمان على حالها   والقيد باقٍ والطواشي صبيح!!

والقصيدة ذكرها القلقشندي (ت٨٢١هـ) في «صبح الأعشى»، وذكر المقري في «نفح الطيب» أن الفرنسيس (الملك لويس التاسع) كان أُسِرَ بمصر وجُعِل في دار ابن لقمان والطواشي صبيح يحرسه، لما سرح (بقي سجيناً حتى فدى نفسه بأربع مئة ألف دينار من الذهب!) جاء من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بما لم يجتمع قط مثله، حتى قيل إنهم كانوا ألف ألف، فكتب إليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة السابقة،

فصرف الفرنسيس جيوشه إلى تونس، فكتب إليه بعض أدباء دولة المستنصر:

أفرنسيس تونس أخت مصر فتأهب لما إليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير

فقضى الله تعالى أنه مات في حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلها قط.

فائدة: الإشهاد على قائل بيت شعر عبر كتابةِ محضر!

ذكر **ابنُ خلكان** في «وفيات الأعيان» البيتَ التالي لابن مطروح:

وأقول: يا أخت الغزال ملاحةً فتقول لا عاش الغزال ولا بقي

ثم قال ابن خلكان: فزعم ابن شمس الخلافة أن هذا البيت له من جملة قصيدة هي في ديوانه، وعمل كل واحد منهما محضراً شهد فيه جماعة بأن البيت له، وحلف لي ابن مطروح أن البيت له، وكان محترزاً في أقواله، ولم تعرف منه الدعوى بما ليس له، والله المطلع على السرائر.

١٦١٢ أرجوزة فكاهيّة في وصف الملوخيّة!!

الشيخ **أبو الحسن قاسم بن محمد الكستي** كان مولده في بيروت نحو سنة ١٨٤٠م، أخذ الآداب عن أئمة زمانه، فلمّا رسخت فيها قدمه صار مرشداً لغيره، وتعاطى التدريس مدة بين مواطنيه من أهل ملّته، مات في منتصف سنة ١٩٠٩م. ومن آثاره ديوانان؛ أحدهما ديوان «مرآة الغريبة» طُبع على نفقة السيد سليم رمضان سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٨٠م، والديوان «ترجمان الأفكار» طُبع سنة ١٢٩٩هـ، ومن نظمه **أرجوزة فكاهية وصف فيها الملوخية** على سبيل المداعبة:

سُبحانَ من أنبت في الوجودِ حشيشةً كجوهرِ العُقودِ

وقد سقاها من غيوث الرحمةْ فحملَتْ لكن ثمار الحكمةْ
هيَ الملوخَّية ذات الشهرةْ ومَنْ بها المعسورُ يَلقى يُسرهْ
بحسنها كل النفوس ابتهجت وأَلسن الناسِ بها قد لهجتْ
كم هطلت من فوقها الغمائمُ وصُبغت بلونها العمائمُ
وكم مشى يأكلها كسيحُ وصحَّ من ترياقها جريحُ
خيوطها بيضاءُ كاللُّجَين تظهر كالصبح لذي عينَينِ
فاقت على الرّيحان بالروائحِ صالحةٌ لمدح كل مادحِ
لو أنَّها قد نبَتت في اللدّ يشمُّها مَنْ في بلاد الهند
يحرسها الناطورُ في البستانِ خوفاً عليها من يدِ الزمانِ
بُخارها يصعد بالهباء كمصعد البالون في الهواء
كأنها قد نزلت من السما فأصبحَ الكونُ بها منسَّما
وطعمُها يجلبُ للأفهامِ بسُكرهِ حلاوةَ المُدامِ
ميَّاسةُ الأَعطاف في الرياضِ يأكلها كلُّ شريف راضِ
عنها سَلُوا مِصْرَ وتلك الخطَّةْ فإنهم أدرى بهذه النقطة
إذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ وقِدرُها تسمو بهِ الموائدُ
ترى عليها كثرة الملاعقِ تُقرعُ بالأسنان كالصواعقِ
إن مُلئت بها بطون القِصَعِ تشرقها الأبصارُ قبل المَبلعِ
وترجَمتْ عنها فحولُ المغربِ فملئوا بها بطون الكتبِ
وخصّها بالذكر أفلاطونُ وقال: منها يُصنعُ المعجونُ
كانت للقمانَ الحكيم مأكَلا وجوفهُ لها استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الأطبا بقراطُ أن يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ لا تبخلوا بها على البطونِ

والأرجوزة طويلة، تفنَّن فيها الشاعر ما شاء.

• «تاريخ الآداب العربية» للويس شيخو.

نادرة: حدثني مَن سافر إلى ليبيا، أنه أخذ معه كيس (ملوخية) جافة

هدية لأقاربه، فأوقفوه بمطار ليبيا بتهمة حمل المخدرات (حشيشة)!! ولم يصدِّقوه في بادئ الأمر أنها طعام. . . إلا بعد جهدٍ وجدل!! وحدثني ليبيٌّ أن أكثر أهل بلده يجهلون (الملوخية) إلا القريبون من مصر.

١٦١٣ رثى زوجته في قصيدة جميلة... ثم أتبعها بهجاء عدوه!!

رثى الشاعر جرير زوجته التي توفيت في قصيدة جميلة من **٢٢** بيتاً، كلها حزن ووفاء، وبدأها بقوله:

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزار
ولقد نظرتُ وما تمتّعُ نظرةٍ ... في اللحد حيث تمكّنَ المِحْفار
فجزاكِ ربُّكِ عن عشيركِ نظرةً ... وسقاكِ صَداكِ مجَلجلٌ مِدْرار

قال أبو معاوية البيروتي: نسختُها من كتاب «الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام» للدكتور محمد حسين، والعجيب أن **الفرزدق** نقضها عليه متشمّتاً بمصيبته في قصيدة رائية، فاضطر **جرير** أن يجيبه بهجاء خبيث فاحش أوصل قصيدته في رثاء زوجته إلى **١١٧** بيتاً!!

١٦١٤ نص من كتاب «غزل التابعين» للإمام الطبراني:

قال **بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ)** في كتابه «عقود الجمان على وفيات الأعيان» (ق ٣٥٠ أ): **قال الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ)** في كتابه المسمّى «غزل التابعين»، بسنده إلى نفطويه، قال: مرّ البندنيجي يوماً بباب الطاق، فسمع صوت قمرية (قال البيروتي: نوع من الحمام) من حانوت خبّاز، فبكَى بكاءً شديداً، وقال لقائده: ملْ بي إليه، فأماله إليه، فقال: يا خبّاز أتبيع هذه؟ فقال: نعم، فقال: بكم؟ قال: بعشرة دراهم، ففتح منديله فعدّ له الدراهم، ثم أخذ الحمامة وأطلقها، وأنشأ يقول:

ناحت مطوقةٌ بباب الطاقِ ... فجرت سوابقُ دمعيَ المُهراق. اهـ.

قلتُ: القصة نقلها د. محمد كمال عز الدين في كتابه «البدر

الزركشي مؤرّخاً» (ص٧١/ ط. عالم الكتب)، ونفطويه المذكور في القصة هو إبراهيم بن محمد بن عرفة (ت٣٢٣هـ)، وهو من شيوخ الطبراني.

وقال الفقيه **الهيتمي** (ت٩٧٤هـ) في «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» (ص٣٣/ تحقيق: الأزهري): جمَع الإمام **الطبراني جُزءاً حافِلاً فِي غزل التابعين وتابِعِيهم**، وذكَر هو وغيره عن جماعةٍ كثيرين من الصحابة أنهم سمعوه ولم يُنكِروا، وللقاضي شريح والزبير بن بكّار فِي زوجتَيْهما، وعبد الله بن المبارك فِي سريَّته من الغزل الكثير ما يتعجَّب منه، وكذا الشَّافِعِي رضي الله عنه.

١٦١٥ كان يزيد في كنيته كل سنة حرفاً، فمات وكنيته...!! (من نوادر أبي العبر)

محمد بن أحمد الهاشمي الشاعر، كَانَ يجيد الشعر منذ عهد الأمين إِلَى أيام المتوكل، لكنه رأى أن شعره مع توسّطه لا ينفق مع مشاهدته أبا تمام والبحتري ونظراءهم، فترك الجدّ وعدل إلى الهزل والمجون، وقال **الخطيب** في ترجمته في «تاريخ بغداد»: بلغني أن أبا العبر مات في سنة خمسين ومئتين.

وقال **الصولي** في «أشعار أولاد الخلفاء»: كانت كنيته أبا العباس فصيّرها أبا العبر، ثم كان يزيد فيها في كل سنة حرفاً حتى مات، وهي: أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك!

ومن نوادره:

١ ـ قال **أبو العبر: قال لي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: الظبي معرفة أو نكرة؟ فقلت: إنْ كان مشوياً على المائدة فمعرفة، وإنْ كان في الصحراء فهو نكرة. فقال: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو. (جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري)**.

٢ ـ قدم **أبو العبر** بغداد في أيام المستعين وجلس للناس، فبعث إسحاق بن إبراهيم فأخذه وحبسه، فصاح في الحبس: لي نصيحة فأخرج، ودعا به إسحاق فقال: هات نصيحتك، قال: على أن تؤمنني؟ قال: نعم، فقال: الكشكية لا تطيب إلا بالكشك. فضحك إسحاق وقال: هو فيما أرى مجنون، فقال: لا هو امتخط حوت، قال: أيش هو امتخط حوت؟ ففهم ما قاله وتبسم (أي قصد: مجّ نون، والنون الحوت)، ثم قال: أظن أني فيك مأثوم، قال: لا ولكنك في ماء بصل! فقال: أخرجوه عنّي إلى لعنة الله، ولا يقيم ببغداد فأردّه إلى الحبس! (أشعار أولاد الخلفاء للصولي).

٣ ـ دخل **أبو العبر** إلى مالك بن طوق، ومالكٌ لا يعرفه، فقال: أبو من؟ قال: أبو كل بصل. قال: وما هذا من الكنى؟ قال: وما أنكرت؟ كم بين كل ثوم وبين كل بصل؟ فغضب مالك ـ وكانت كنيته أبو كلثوم ـ وقال: أظنك شارباً. قال: بل إني صاحب الكيلجة... (نثر الدر للآبي).

١٦١٦ النادرة المحكية باللفظ العامي، هل تُغَيَّر إلى اللفظ العربي الفصيح؟

قال **الجاحظ** (ت٢٥٥هـ) في «البيان والتبيُّن»: «متى سمعتَ حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإيّاك أنْ تحكيها إلّا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنّك إنْ غيَّرتها بأنْ تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج كلام المُوَلَّدِين والبلديين، خرجتَ من تلك الحكاية وعليك فضلٌ كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطَّغام (أي أوغاد الناس) فإيّاك وأنْ تستعمل فيها الإعراب، أو أنْ تتخيَّر لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها من فِيكَ مخرجاً سريًّا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومِن الذي أُرِيدَت له، ويُذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها».

• استفدتها من كتاب «من المجالس الأدبية للشيخ مقبل الوادعي» لمحمد الصغير المقطري.

١٦١٧ استفدتم من معركة فلسطين أن تعلمتم العبرية!

قال د. **مصطفى السباعي** (ت١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) رَحِمَهُ اللهُ في «القلائد من فرائد الفوائد» (ص٨٥/ ط. المكتب الإسلامي): بعد رجوعنا من معركة فلسطين عام ١٩٤٨م كنّا التقينا هناك ببعض المجاهدين من إخواننا العراقيين، وكان بعض ممّن معنا لم يسمع من قبل عراقيًا يتكلم بلهجته، فكان يستغرب كلماتهم ولهجتهم.

وذات يوم أراد أن يقلد اللهجة العراقية مع بعض مَن كان معه من المجاهدين السوريين، فقال له: «ماكو شَكَر؟» (ألا يوجد سكر؟)

فأجابه الثاني: «أكو شَكَر هواي» (يوجد سكر كثير).

وكان بعض السوريين يسمع كلامهما فلم يفهم مما قالا كلمة واحدة، فقال لهما جادًا: «لقد استفدتم من معركة فلسطين أن تعلمتم كيف تتكلمون بالعبرية»!! وهو يظن فعلاً أنهما كانا يتكلمان العبرية!

١٦١٨ من نوادر أبي العيناء الهاشمي البصري:

هو **محمد بن القَاسِم بن خَلاد** الإخباريّ اللُّغَويّ الضّرير (١٩١ ـ ٢٨٣هـ)، وُلِد بالأهواز ونشأ بالبصرة. وأخذ عن علماء اللغة كأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وكانَ أحد الموصوفين بالذَّكاء والحِفْظ وسُرْعة الجواب، وسأله رجل: كيف كُنِّيت أبا العيناء؟ فقال: قلت لأبي زيد سعيد بن أَوْس الأنصاري: كيف تُصَغِّر عَيْناً؟ فَقَالَ: عُيَيْنَا يا أبا العَيْناء! فلَحِقَت بي منذ ذاك. وذكر **الحصري** في «جمع الجواهر» **أنه قيل أنّ جدَّه الأكبر لقي علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **فأساء مخاطبته، فدعا عليه وعلى ولده بالعمى، فكلُّ من عمي منهم فهو صحيح النسب! وكان أبو**

العيناء قبل العمى أحول. وذكر **الحصري** أن أبا العيناء قال لابنه وهو مريض: أي شيء تشتهي؟ قال: اليتم! ولعله لسلاطة لسانه، وترجم **الخطيب** في «تاريخ بغداد» لابنه جعفراً؛ فلعله هو.

وذكر **ابن النديم** في «الفهرست» أنّ **أحمد ابن أبي طاهر** ألّف «كتاب أخبار أبي العيناء»، وألّف الصاحب بن عبّاد (ت٣٨٥هـ) كتاباً في أخباره، وأيضاً من المعاصرين الشيخ الرحّالة **محمد بن ناصر العبودي**؛ وطُبع كتابه.

ونوادره كثيرة مبثوثة في كتب التواريخ والأدب، وفي «نثر الدر» **للآبي** ما يزيد على المئة منها، وهاكم منه بعضها:

١ ـ لما استوزر صاعد بعقب دخوله من النصرانية في الإسلام صار أبو العيناء إلى بابه، فقيل: يصلي. فعاد فقيل: يصلي. فقال: معذورٌ، لكلِّ جديدٍ لذة!

٢ ـ وقدم إليه يوماً قدراً فوجدها كثيرة العظام؛ فقال: هذه قدرٌ أم قبر؟!

٣ ـ وحمله بعض الوزراء على دابةٍ، فانتظر علفها، فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليه أو حملته عليَّ؟!

٤ ـ ومرَّ على دار عدو له؛ فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا: كما تحب. قال: فما بالي لا أسمع الرنَّة والصراخ؟!

٥ ـ وقال له أبو الجماز: كيف ترى غنائي؟ قال: كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: ١٩]!

٦ ـ وقَدِمَ صديقٌ له من بعض الأعمال السلطانية؛ فدعاه إلى منزله وأطعمه، وجعل الرجل يكثر الكذب، فالتفت أبو العيناء إلى مَن كان معه فقال: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]!

٧ ـ ودخل على المتوكل وهو يبني الجعفري (قصره)؛ فقال له: يا أبا العيناء؛ كيف ترى دارنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الناس يبنون الدور في الدنيا، وأنت تبني الدنيا في دارك.

٨ ـ أكثر أبو العيناء على محمد بن مكرم من المهاترة، فقال ابن مكرم: إن زدتَ عليَّ قمتُ! فقال: أراك تهددنا بالعافية. (ذكرها الحصري في «جمع الجواهر»).

وقال **الآبي**: وممن انتصف من أبي العيناء **محمد بن مكرم**، فإنه صادفه ساجداً وهو يقول: يا رب سائلك ببابك. فقال: تَمْتَنّ على الله بأنك سائله وأنت سائل كل باب! ووُلِدَ لأبي العيناء ابنٌ؛ فأهدى إليه محمد بن مكرم حجراً. يريد قول النبي ﷺ: «**وللعاهر الحجر**»!

● **فائدة**: روى ابن الجوزي في «أخبار الحمقى والمغفلين» عن الدارقطني قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو العيناء قال: حضرتُ مجلس بعض المحدثين المغفلين، فأسند حديثاً عن النبي ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل! فقلتُ: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟! فإذا هو قد صحّفه، وإذ هو: عزَّ وجلّ.

١٦١٩ ثلاثون مثلاً في إحدى ردود العلامة الألباني التي لم تتجاوز ٥٥ صفحة!

ذكر الشيخ **محمد زياد التكلة** حفظه الله أن أحد المشايخ قال ـ بالمعنى ـ: عندما كنتُ أدخل الظاهرية وأرى الشيخ الألباني رحمه الله يقرأ في «مجمع الأمثال» للميداني أعرف أنه يكتب ردًّا على أحدهم! اهـ.

فقلتُ: سأراجع إحدى كتب ردود الإمام لأرى ما فيه من الأمثال! فوقع اختياري على كتاب «كشف النقاب عمّا في كلمات أبي غدّة من الأباطيل والافتراءات» الذي كتبه الألباني في دمشق وانتهى منه كما ذكر (ص٥٥) في ١٨ ربيع الثاني ١٣٩٥هـ، فوقفتُ على أكثر من ثلاثين من الأمثال الشامية والعربية في الكتاب كلّه، وهي:

١ ـ ليس من العدل سرعة العذل. (ص٤)

٢ ـ **ما قرعت عصا على عصا إلا حزن لها قوم وسرَّ لها آخرون**. (ص٤، قال: كما جاء في بعض الأمثال).

٣ ـ **تحت جلد الضأن قلب الأذؤب**. (ص٧، ولعلها: قلب الذئب).

٤ ـ **الطبع غلب التطبّع**. (ص٧).

٥ ـ **يلعب على الحبلين**. (ص١٢ و٤١).

٦ ـ **الوزن بميزانين، والكيل بمكيالين**. (ص١٣، ٥١).

٧ ـ **عنزة ولو طارت**. (ص١٣).

٨ ـ **صمت صموت أهل الكهف**. (ص١٤).

٩ ـ **أروغاناً يا ثعال وقد علقت بالحبال؟!** (ص٢٤، قال: فما أجدره بالمثل الذي يقول: . . .).

١٠ ـ **فَرَّ من الموت وفي الموت وقع**. (ص٢٤ و٣٤، قال: تحقيقاً للمثل القائل).

١١ ـ **على نفسها جنت براقش**. (ص٢٤ و٤١).

١٢ ـ **شنشنة نعرفها من أخزم**. (ص٢٤).

١٣ ـ **في الصيف ضيّعت اللبن**. (ص٢٥، قال: على حد المثل السائر).

١٤ ـ **أحلاهما مر**. (ص٢٨).

١٥ ـ **وأرْضِهِم ما دمتَ في أرضهم**. (ص٣٢، قال: ولسان حاله ينشد).

١٦ ـ **كالباحث عن حتفه بظلفه**. (ص٣٤ و٤٧ و٥٣).

١٧ ـ **كمن يحاول أن يطعن عين الشمس**. (ص٣٤).

١٨ ـ **صمت صموت الحجر الأصم**. (ص٣٤).

١٩ ـ فاقد الشيء لا يعطيه. (ص٤١).

٢٠ ـ يداك أوْكتا وفوك نفخ. (ص٤٣، وفسّره في الحاشية بقوله: مثلٌ معروفٌ؛ يُضرَب لمَن يجني على نفسه، ونحوه قولهم: منكِ الحيض فاغسليه!)

٢١ ـ منكِ الحيض فاغسليه. (ص٤٣).

٢٢ ـ هو كالصوفي لا بينكر ولا بيوفي. (ص٤٣، ذكره بقوله: يُذَكِّرنا بالمثل الشامي، وشرحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شريط (٧٨٤) من سلسلة الهدى والنور فقال: عندنا في الشام عن الصوفية: (فلان مثل الصوفي، لا ينكر ولا يوفي)، فعنده لسان عذب؛ لكنه ليس عنده أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ليس عنده حب في الله، ليس عنده بغض في الله. اهـ).

٢٣ ـ تلدغ العقرب وتصبئ. (ص٤٣، وقال: بالمثل العربي القديم (تلدغ العقرب وتصبئ): تصيح!)

٢٤ ـ قيل للشقي هَلُمّ إلى السعادة فقال: حسبي ما أنا فيه! (ص٤٣، قال: يذكّرني بما في الأمثال).

٢٥ ـ كالغريق يتعلّق بخيوط القمر. (ص٤٣، وذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٥٠١)).

٢٦ ـ قبل أن يتسع الخرق على الراقع. (ص٤٣).

٢٧ ـ جاء بقرنَي حمار. (ص٤٤، قال: حقّ فيه قول من قال).

٢٨ ـ عدد من القرش ليملأ به الكرش. (ص٤٥).

٢٩ ـ قبل أن يستفحل الداء ويعجز الدواء. (ص٤٦).

٣٠ ـ عدو عاقل خير من صديق جاهل. (ص٤٩، قال: يذكّرني بالمثل المشهور).

٣١ ـ يصطاد في الماء العكر. (ص٥٠).

١٦٢٠ الأمثال والتعابير الشامية والعربية التي كان يستشهد بها الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مَن يقرأ كتب الإمام **الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويستمع للمئات من أشرطته يجده كثيراً ما يستشهد بالأمثال الشامية والعربية العريقة، والإمام الألباني وُلِد عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م وتوفي عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وهاجر إلى الشام عندما كان في التاسعة من عمره، فهو شاهد مخَضرم على تراث الشام العريق قبل ما يُقارب المئة عام؛ من عادات وأمثال وحياة اجتماعية وأمور أخرى، وبما أنّي أجمع الأمثال العربية والشامية، وطبعتُ بفضل الله كتابي «**ألف مثل ومثل من تراثنا العريق، مع شرحها وتوثيقها**» (الجزء الأول)، وجمعتُ للآن نصف الجزء الثاني، قمتُ بجمع ما وقفتُ عليه من أمثال استشهد بها الإمام وهي (وترقيمها يتبع الفقرة السابقة ١٦١٩):

٣٢ ـ **لا يعرف الطمسة من الخمسة.** (صفحات بيضاء من حياة الإمام الألباني/ ص٢٠).

٣٣ ـ **لا يعرف الألف من البسطيجة.** (صفحات بيضاء من حياة الإمام الألباني/ ص٢٠).

٣٤ ـ **كل ديك على مَزْبلْتو صَيَّاح.** (سمعتُها في شريط).

٣٥ ـ **عين ما بتقاوم مخرز.** (قالها في شريط «الهجرة من فلسطين»).

٣٦ ـ **يا أرض اشتدّي ما حَدَا قدّي.** (قالها في شريط لقائه مع قسيس لبناني في قطار).

٣٧ ـ **رجعت حليمة لعادتها القديمة.** (قالها في عدة أشرطة).

٣٨ ـ **المكتوب مُبَيَّن من عنوانه.** (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣٤١٩)).

٣٩ ـ **رَمَتني بدائها وانسلَّت**. (متواتر في كتب الشيخ وأشرطته).

٤٠ ـ **تزبَّب قبل أن يتحصرم**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣١٦٢) و«السلسلة الضعيفة» (٦٩٥٨)).

٤١ ـ **عزيز بدون قيام**. (ذكره في «مختصر العلو»).

٤٢ ـ **من حفر بئراً لأخيه وقع فيه**. (ذكره في «تحريم آلات الطرب» و«دفاع عن الحديث النبوي» وغيرها من الكتب).

٤٣ ـ **تغيير الشكل من أجل الأكل**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٨٩)).

٤٤ ـ **حُبُّ الظهور يقصم الظهور**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٤) و(٣٠٠٧)).

٤٥ ـ **كالهرِّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٩٩)).

٤٦ ـ **عذر أقبح من ذنب**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦٠)).

٤٧ ـ **أضرب عصفورين بحجر**. (نقله عنه عصام هادي في «محدِّث العصر الإمام الألباني كما عرفته» (ص٦٦)).

٤٨ ـ **يجعل من الحبّة قبّة ومن الزبيبة خمارة**. (نقله عنه عصام هادي في «محدِّث العصر الإمام الألباني كما عرفته» (ص١١٧)).

٤٩ ـ **بيحُطْ فلان بجيبته**. (نقله عنه عصام هادي في «محدِّث العصر الإمام الألباني كما عرفته» (ص١١٩)).

٥٠ ـ **من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجارة**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٩٠)).

٥١ ـ **أَسْمَع جَعجَعة ولا أرى طحناً**. (ذكره في عدد من كتبه).

٥٢ ـ **الهريبة نصف الشجاعة**. (ذكر الشيخ هذا المثل الشامي في «الرد المفحم» وفي «السلسلة الضعيفة» (**٦٩٣٣**)، قال أبو معاوية البيروتي: وعندنا ببيروت يقول المثل: «**الهريبة تِلْتَين المراجل**»؛ أي: الهروب ثلثا الرجولة).

٥٣ ـ **أحمق من نعامة**. (ذكره في «دفاع عن الحديث النبوي»).

٥٤ ـ **هذا هو بيت القصيد**. (ذكره في «الرد المفحم» و«السلسلة الصحيحة» (٢٩٦٠)).

٥٥ ـ **هذا الميت لا يستحق هذا العزاء**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦١٣٣)).

٥٦ ـ **لا حمداً ولا شكوراً**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٠٧) و«السلسلة الضعيفة» (٦٢٠٥)).

٥٧ ـ **زاد ضغثاً على إبالة**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٣٨٣)).

٥٨ ـ **ليس في العير ولا في النفير**. (ذكره في عدد من كتبه).

٥٩ ـ **كذب له قرون**. (ذكره في مقدمة المجلد الأول من «السلسلة الضعيفة»).

٦٠ ـ **زاد الطين بلّة**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٥٧٥٠)).

٦١ ـ **هذا أنصاف حلول**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٨٧٣)).

٦٢ ـ **خالِفْ تُعرَف**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٨٧٣)).

٦٣ ـ **خير الذقون إشارة تكون**. (ذكره الإمام في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٧٠) ـ كما أفاد الأخ أبو عمر الأندلسي ـ منكراً له لأنه خلاف السنَّة، ومذهب الإمام معروف أنه يجوز ـ بل يجب ـ أخذ قبضة من اللحية لا أقل، ولا يجوز تخفيفها و(تشحيطها) كإشارة تكون كما يفعل المجوس!)

٦٤ ـ **أهل مكة أدرى بشعابها**. (ذكره في عدة كتب).

٦٥ ـ **صاحب الدار أدرى بما فيها**. (ذكره في «تحذير الساجد»).

٦٦ ـ **دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَادِ**. (ذكره في أكثر من عشرة كتب، وقال أبو الفضل النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ) في «مجمع الأمثال»: الخَرْطُ: قَشْرُكَ الوَرَقَ عن الشجرة اجتذاباً بكَفِّك، والقَتَاد: شجر له شوك أمثال الإبر، يُضرَب للأمر دونه مانع).

٦٧ ـ **الرياح كثيراً ما تجري بخلاف ما يشتهي الملّاح**. (ذكره في مقدمة «رفع الأستار»).

٦٨ ـ **الزايد أخو الناقص**. (ذكره في شريط «مناظرة حول كشف المرأة لوجهها وكفّيها»).

٦٩ ـ **تظهر الست نفوس**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/شريط (٥٩٦)، قال: هنا بيقولوا عِنَّا بالشام «تظهر الست نفوس»، هنا ما اطمأننت ولا تشجعت أن ألتقي به).

٧٠ ـ **إن البغاث بأرضنا يستنسر**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٨٥٢)، وقال في تفسيره: والبغاث ـ كما تعلمون ـ هو الطير الصغير يعمل ويتشبه بالنسر الكبير).

٧١ ـ **يريد أن يطير قبل أن يريش**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٨٥٢)، فقال: كما يقول الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يريد أن يطير قبل أن يريش).

٧٢ ـ **وافَقَ شنٌّ طَبَقة**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/شريط (٨٥٢)، وذكر أهلُ العلم أربعةَ أقوال في تفسيره، فانظرها في: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» لأبي عبيد البكري).

٧٣ ـ **إن وراء الأكَمَة ما وراءها**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٢٤) و(٣١٣٣). قال أبو الفضل النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ) في

«مجمع الأمثال»: أصله أن أَمَةً واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة إذا فرغَت من مهنة أهلها ليلاً، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل، فقالت حين غلبها الشوقُ: حبستموني.. وإن وراء الأكَمَة ما وراءها. يُضْرَب لمن يُفْشِي على نفسه أَمْرَاً مستوراً).

٧٤ ـ **يخلطون شعبان بِرَمَضان**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٧٩٠)، قال أبو معاوية البيروتي: يُقال لمن اختلط عليه أمر ما).

٧٥ ـ **لكلِّ ساقطةٍ في الحي لاقطة**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٤٤١) و(٧٩٠)).

٧٦ ـ **مكانك راوح**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٧٨٤) فقال: هم على النظام العسكري (مكانك راوح) لا يتقدمون إطلاقاً).

٧٧ ـ **على غير عباية**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٧٨٤)، فقال: مثلما يقولون عندنا في الشام: (على غير عباية)).

٧٨ ـ **الحرُّ تكفيه الإشارة**. (ذكره في السلسلة الصحيحة (٣٢٥٩)).

٧٩ ـ **ليس هذا بعشِّك فادرجي**. (ذكره في مقدمة «النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الرجيحة» (ص٦)، قال العلامة اللغوي أبو عبيد: قال الأصمعي وغيره في هذا المثل: أي ليس هذا من الأمر الذي لكَ فيه حق فدعه، وقد يُضْرَب مثلاً للرجل ينزل المنزل لا يصلح له. «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» لأبي عبيد البكري).

٨٠ ـ **الغرور قتّال**. (ذكره في مقدمة «النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الرجيحة» (ص٧)).

٨١ ـ **حنانَيك، بعض الشر أهون من بعض**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٣٧٢)، وهو طرفُ بيتٍ لطرفة بن العبد يقول فيه:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض)

٨٢ ـ **من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور/ شريط (٣٧٢)، ووجدته في كثير من الكتب مبتدئاً بلفظ: (ليس للدهر بصاحب) أو (ليس للأمور بصاحب)).

٨٣ ـ **أرخوا الحبل على الغارب**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور (٢٦١) و(٥٤٤)، واستفدته من سلسلة «جامع تراث الألباني في العقيدة» لشادي آل نعمان).

٨٤ ـ **يشرّقوا ويغرّبوا**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور (٢٦١)، واستفدته من سلسلة «جامع تراث الألباني في العقيدة»).

٨٥ ـ **على كيفهم**. (أي: يتصرفوا بحسب مزاجهم. ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٦٣٨) وسلسلة الهدى والنور (٦٦٥)).

٨٦ ـ **قاضي غرض**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور (٢٥٧)، نقلاً عن «جامع تراث الإمام الألباني في العقيدة» (٤/ ٤٨٥)، وفيه: شايف حاله بالتعبير السوري: قاضي غرض يعني).

٨٧ ـ **علم عند الشمشريخة وبطيخة**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور (٢٥٧)، ونقلته من «جامع تراث الإمام الألباني في العقيدة» (٤/ ٤٨٩)، وفيه: هي علم عند الشمشريخة وبطيخة مثل ما نقول بالشام).

٨٨ ـ **انصرفتُ بخُفَّيْ حُنَيْن**. (ذكره الشيخ عند انصرافه من مقابلة الشيخ أحمد شاكر في «السلسلة الضعيفة» المجلد (١)).

٨٩ ـ **الطيور على أشكالها تقع**. (ذكره في «تحريم آلات الطرب» وفي السلسلة الصحيحة (٢٦٧٧)).

٩٠ ـ **هذا الذي ما يريد يشوف منامات مكربة لا ينام بين القبور**. (ذكره في شريط سلسلة الهدى والنور (٤٤٦)).

٩١ ـ **كل الدروب على الطاحون**. (قال في سلسلة الهدى والنور

(٢٩٧): مثلما نقول عندنا في الشام: كل الدروب على الطاحون، مشيت هكذا أو هكذا أين توصله، يلتقوا في الطاحون).

٩٢ ـ **نضربها علاوية**. (قالها في أحد أشرطة «فتاوى جدة»: كما يقولون في دمشق: نضربها علاوية؛ يعني: فارق كبير).

٩٣ ـ **اعطى جمل**. (قال الشيخ في شريط سلسلة الهدى والنور (٥٩٧): هنا ـ أي بالأردن ـ يقولون أظن (اعطى جمل)، وهي قصة تُنسَبْ لمعاوية، لكنها باطلة بلا شك).

٩٤ ـ **جزائي جزاء سنمار**. (ذكره في مقدمة المجلد الثالث من «السلسلة الضعيفة»، وكان سنمار الرومي من أصنع الناس للبنيان، فبنى لبعض ملوك العرب بنياناً سُرَّ به وأعجبه، وخاف إن استبقى سنمار بنى بعده مثل ذلك البنيان لغيره من الملوك، فأمر به فرُمِيَ من فوق القصر فمات، فضربت به العرب الأمثال في سوء الجزاء).

٩٥ ـ **خيرُ الكلام ما قلَّ ودل**. (ذكره في عدد من الأشرطة).

٩٦ ـ **كما تخرج الشعرة من العجين**. (ذكره في شريط سلسلة الهدى والنور (٢٢٢)).

٩٧ ـ **الحديث ذو شُجُون**. (ذكره في بعض أشرطته، وانظر قصته في «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» لأبي عبيد البكري).

٩٨ ـ **قال الحائطُ للوتد: لِمَ تشقُّني؟ قال: سَلْ من يدقُّني**. (ذكره في مقدمة المجلد الأول من «السلسلة الضعيفة»).

٩٩ ـ **يضعُ العصي في العجل**. (ذكره في شريط سلسلة الهدى والنور (٥٦٩)).

١٠٠ ـ **أنا مثل المنشار؛ على الطالع والنازل أستفيد**. (ذكره في شريط سلسلة الهدى والنور (٥٦٩)).

١٠١ ـ **إذا نزل القَدَر عَمِيَ البَصَر**. (ذكره في شريط سلسلة الهدى والنور (٥٠٠)).

١٠٢ ـ **طبيب يداوي الناس وهو مريض**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (١١٢١)).

١٠٣ ـ **هل يستقيم الظل والعود أعوج؟!** (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (١٦٧٧) و(٥٦٦١)).

١٠٤ ـ **ما كلّ ما يتمنّاه المرء يُدرِكه**. (ذكره الشيخ في «السلسلة الضعيفة» (٩٤٤)، وهو شطر بيت شعرٍ مشهور لأبي الطيب المتنبِّي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ)، وتمامه:

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركُهُ تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ)

١٠٥ ـ **مثل حبر على ورق**. (أي لا قيمة لها، وذكره الشيخ في شريط (٨٤٩) من سلسلة الهدى والنور).

١٠٦ ـ **نكاية (ويقال: جكارة) في الطهارة شَخ في لباسه**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٣٧٨)؛ قال: على حد قول المثل العامي (نكاية في الطهارة شخ في لباسه)!!).

١٠٧ ـ **آخر الدواء الكي**. (ذكره الشيخ في شريط (٦٦٦) من سلسلة الهدى والنور).

١٠٨ ـ **والشيء بالشيء يُذكَر**. (ذكره في بعض أشرطته).

١٠٩ ـ **كل مين على دينه الله يعينه**. (ذكره الشيخ في شريط (٤٢٠) من سلسلة الهدى والنور).

١١٠ ـ **خَبط لزق**. (قال في «دفاع عن الحديث النبوي»: إنما هو جمَّاع حطاب، أو كما تقول العامة عندنا في الشام: (خبط لزؤ)).

١١١ ـ **ما بقي في الكَرم إلَّا الحطب**. (ذكره الشيخ في شريط

(٤٤٠) من سلسلة الهدى والنور، قال الشيخ **أبو إسحاق الحويني**: أنا سمعت هذا المَثل من شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أيْ أنَّ حقل العنب ما بقي فيه إلا الحطب، لا يوجد به عنب، ولا ورق أخضر ولا يوجد به أي شيء يبس. اهـ. (نقلته من الصفحة الرسمية على الفيسبوك). وذكر الشيخ **أبو ليلى الأثري** في «اللقاء المفتوح» أن الشيخ الألباني كان يقول هذا المثل ويقصد بالاستشهاد به أنه يريد الاستعجال بمشاريعه قبل أن يدركه الموت وهو غير منتهٍ من بعضها).

١١٢ ـ من فوق الأساطيح. (ذكره الشيخ في شريط (٥٦٨) من سلسلة الهدى والنور).

١١٣ ـ إنْ أنسى فلن أنسى. (ذكره الشيخ في شريط (٦٢٣) من سلسلة الهدى والنور).

١١٤ ـ الذي لا يأتي معك امشِ معه. (ذكره الشيخ في شريط (٨٢١) من سلسلة الهدى والنور).

١١٥ ـ الملائكة على الحدادين. (ذكره الشيخ في شريط (١٦٣) من سلسلة الهدى والنور).

١١٦ ـ راحت أيام وأتت أيام. (ذكره الشيخ في شريط (٢٥٢) من سلسلة الهدى والنور).

١١٧ ـ العين مغرفة الكلام. (ذكره الشيخ في شريط (٢٣٤) من سلسلة الهدى والنور).

١١٨ ـ لو كان في ذلك خراب البصرة. (سؤالات ابن أبي العينين للعلامة الألباني (ص٨٢)، وذكره الألباني في شريط (٤٧٠) من سلسلة الهدى والنور، فقال: **وبعد خراب البصرة كما يقولون، إلا بعد أيش؟ فوات الأوان**. اهـ. ووجدتُ تفسير المثل في كتاب «الأمثال شعراً ونثراً» لخازن عبود (رقم ١٩/ط. دار الحرف العربي ـ ٢٠٠٤)، قال: **يُقال في**

سبب هذا المثل أن ظالماً حاصر البصرة مدّة طويلة حتى جاع أهلها وهلكوا، فلمّا افتتحها وجدها خاوية على عروشها، فقيل له: ماذا أفدت.. افتتحت البصرة بعد خرابها! يُضرَب لمن يريد أن ينفذ أمره، فلا يلتفت لِمَا ينتج عن هذا التنفيذ من ضرر إلا بعد أن يشبع رغبته وينفذ أمره، ولو نتج عن ذلك ضرر).

١١٩ ـ **يلِّي بدو يلعب مع القط بدو يتحمل خراميشو**. (قال الشيخ عبد الباري بوشامة في «ذكرياتي مع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني»: . . . وفي موضع النَّحر دخلنا مع الشَّيخ وصهره والرَّجل المكِّي، وحدث أن شرد جمل بين الإبل كاد أن يصدمنا فتفرَّق النَّاس يميناً وشمالاً، ولمَّا رجعت إلى الشَّيخ أصابت ثيابي دماء النَّحر والذَّبح، فلمَّا رآني الشَّيخ تمثَّل لي بالمثل السُّوري: . . . فذكره).

١٢٠ ـ **يلّي ما ذاق المغراية، ما بيعرف شو الحكاية**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٩٥)).

١٢١ ـ **وعلى الباغي تدور الدوائر**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٩٠) وفي «دفاع عن الحديث النبوي»، ونسبه الواقدي (؟) في «فتوح الشام» إلى عمرو بن العاص ﵁، وقد وضعه أحد الشعراء في بيتٍ، لكني لم أقف على اسمه، وأقدم من وقفتُ عليه ذكر البيت هو شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في «مجموع الفتاوى»، والبيت هو:

قضى الله أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر)

١٢٢ ـ **خرَّب عليَّ السبَّة كلّها**. (ذكره في شريط (٦٢٣) من سلسلة الهدى والنور فقال: كما يقولون في الشام. . .).

١٢٣ ـ **أنا ما بِلْقَى مزح**. (قال العلامة الألباني: أنا شخص اعتدت أن أقول لإخواننا ـ إذا ما داع أقول له ـ: «أنا ما بِلْقَى مزح»، إذا بتدعيني عن جد أنا بستجيب على الفور. هذه عبارة يعني سورية «أنا ما

بلقي مزح»؛ لأنه في عادة هناك يكون الواحد بيشتغل أي شغل فبمر المار صديقه بقول له تفضل؛ طبعاً يُقال عندما يلتقيان قريب من دار الرجل بقول له تفضل؛ فبقول له أنا ما بلقى مزح، ها بخاف بقول عن جد يعني دعاني. نقلته من تفريغ شريط (٤١٣) من سلسلة الهدى والنور).

١٢٤ ـ **لَم بميزان ولا بأبّان**. (مثل ما يقول عنا في الشام «لم بميزان ولا بأبّان» يعني لا يقبله لا لغة ولا عقل ولا شرع. نقلته من تفريغ شريط (٤١٣) من سلسلة الهدى والنور).

١٢٥ ـ **هذه تسلِّم على تلك**. (قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبارة (الإمام أحمد): «أرجو أن لا يضيق ذلك إن شاء الله». تعني هي ليست سنّة، هي كما نقول في سوريا «هذه تسلِّم على تلك»، كلهما في الدلالة دلالة واهية، لو كانت سنة ثابتة لم يقل ذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. نقلته من «فتاوى العلامة الألباني» إعداد: عبد القادر ومحمد هرودة).

١٢٦ ـ **يخطف الكبّة من رأس الماعون وبيطير!** (ذكره في «فتاوى جدة»، وفسّره بقوله: فهو لا يعلم ما في هذا الماعون من كبّة صالحة ولا طالحة).

١٢٧ ـ **قَد حاله**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٦٩)، نقلاً عن «جامع تراث الإمام الألباني في العقيدة» (٩/ ٤٧)، قال الشيخ: كما يُقال عندنا في الشام).

١٢٨ ـ **يعلم كيف تُؤْكَل الكتف**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٦٩)، نقلاً عن «جامع تراث الإمام الألباني في العقيدة» (٩/ ٤٧)).

١٢٩ ـ **اضْرِبْ به عُرْضَ الحائط**. (ذكره الألباني في عدد من كتبه، وفسّره الجوهري في «الصحاح» بقوله: أي اعْتَرِضْهُ حيثُ وجدت منه أيَّ ناحيةٍ من نواحيه).

١٣٠ ـ **طفح الصاع**. (نقلته من «سؤالات ابن أبي العينين للعلامة الألباني» (ص١٨٩)).

١٣١ ـ **دود الخل مِنُّو وفيه**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٥١٨)، ونقلته من «جامع تراث الإمام الألباني في العقيدة» (٧/ ٦٨)).

١٣٢ ـ **فلان متل الصّحن الصّيني، منين ما رنّيته بِيجَاوِب!** (أفادني الأخ شاكر العالم أنه سمع الألباني يذكره تعريضاً ببعض المتعالمين الذين غيّبوا من قاموسهم (لا أدري)، ويصدّره بقوله: كما يقولون عندنا بالشّام: . . . فذكر المثل. ثم وجدته في سلسلة الهدى والنور (٥٢٥) حيث قال: كما يقول المثل السوري: . . . فذكره).

١٣٣ ـ **كنا تحت المطر وصرنا تحت المزراب**. (ذكره الألباني في تحقيقه «لشرح العقيدة الطحاوية»).

١٣٤ ـ **أنتَ مْسَكَّرْ وأناَ مْبَطَّلْ**. (ذكره أنه مثل شامي في سلسلة الهدى والنور، شريط (٦٦٦)).

١٣٥ ـ **أحقد من جَمَل**. (ذكره في مقدمة المجلد الثالث من «السلسلة الضعيفة»).

١٣٦ ـ **لا ينتطح فيها عنزان**. (ذكره في عدد من أشرطته).

١٣٧ ـ **بلغ السيل الزبى**. (ذكره في «تحريم آلات الطرب»).

١٣٨ ـ **ما لا يدرك كله لا يترك جله**. (ذكره في عدد من كتبه).

١٣٩ ـ **ابْعِدْ عن الشر وغَنِّي لُه**. (ذكره في عدد من أشرطته).

١٤٠ ـ **كلّ سر جاوز الاثنين ـ وإنْ شئت قلت: الأسنان ـ شاع**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٦٢٢)).

١٤١ ـ **نحُط رِجْلَينا بمَي باردة**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٦٢٢)، ومعناه: أي: نطمئن).

١٤٢ ـ **أثبت العرش ثم انقش**. (ذكره في عدد من كتبه).

١٤٣ ـ **لا يفيض الكأس حتى يمتلئ**. (حدّثني عمران العُلَبي، عن خاله، عن الشيخ الألباني. . . أنه ذكر له هذا المثل أثناء نصحه له).

١٤٤ ـ **في الزوايا خبايا**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٤٨٩)).

١٤٥ ـ **يضع النقاط على الحروف**. (ذكره في شريط تحدّث فيه عن موقفه من الجماعات والأحزاب ومنها جماعة التبليغ).

١٤٦ ـ **ليسوا حشو الكبّة**. (ذكره في شريط «وقفات مع جماعة التبليغ»، وأفادني الأستاذ بلال الشاويش أنه يُقال للدلالة على أن الشخص الموجَّه له الكلام ليس بقدر المسؤولية. . ولا يناسب العمل المطلوب).

١٤٧ ـ **يضحك الثكلى**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٠٤٤)).

١٤٨ ـ **بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٦٤٦٥) و(٦٥١٧)).

١٤٩ ـ **معظم النار من مستصغر الشرر**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٣٩٣) و(٦٧٨)).

١٥٠ ـ **ليس بعد الكفر ذنب**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٣٨٤) و(٤٧٠)).

١٥١ ـ **خوش حديث**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٥٢٤) فقال: كما يقولون عندنا في بعض الأعراف في سوريا: «خوش حديث». اهـ. وخوش كلمة فارسية في علمي، ومعناها: جيد).

١٥٢ ـ **أبعد من أرنبة أنفه**. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٥٩٩١)).

١٥٣ ـ كلام يجر كلام. (ذكره في شريط «التحذير من تقليد الكفار والتشبه بهم»).

١٥٤ ـ العين لغة الكلام. (ذكره في أحد أشرطته وقال: **المثل السائد عند العامة...**).

١٥٥ ـ عيني عينك. (ذكره في أحد أشرطته قائلاً: وبالتعبير الشامي. . .).

١٥٦ ـ تعددت الأسباب، والموت واحد. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٦٢٣)).

١٥٧ ـ تفاءلوا بالخير تجدوه. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (١٨٨)).

١٥٨ ـ كلٌّ يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك. (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (٥٩٦٢)، وفي بعض الأشرطة).

١٥٩ ـ اختلط الحابل بالنابل. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٣٨)).

١٦٠ ـ كل إناء بما فيه ينضح. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٢٤٧) و(٣٨٧) و(٦٠٠)).

١٦١ ـ إذا جاء الأثر بطل النظر، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. (ذكره في «أصل صفة الصلاة» وتحقيق «الآيات البينات»).

١٦٢ ـ إذا لم تَرَ القمر بازغاً فسَلِّم لأناس رأوه بالأبصار. (ذكره في «تحريم آلات الطرب»).

١٦٣ ـ نَفْسَك إنْ لم تشغلها بالخير شَغَلَتك بالشر! (ذكره في «السلسلة الضعيفة» (١٤٤٣)).

١٦٤ ـ **الفضل ما شهدت به الأعداء**. (ذكره في مقدمة المجلد الرابع من «السلسلة الضعيفة»).

١٦٥ ـ **كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه**. (ذكره في «السلسلة الصحيحة» (٣٩٥٣) و«السلسلة الضعيفة» (٦٧٦٢)).

١٦٦ ـ **وعين الرضى عن كل عيبٍ كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا**. (ذكره في «دفاع عن الحديث النبوي»).

١٦٧ ـ **إذا كان ربّ البيت بالدف ضارباً فما على الساكنين فيه إلّا الرقص**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٥١٠)).

١٦٨ ـ **والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء**. (ذكره في عدد من كتبه).

١٦٩ ـ **قد أوردها سعد وسعدٌ مشتمل وما هكذا يا سعد تورد الإبل**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٤٢٨)).

١٧٠ ـ **يقول المثل الحلبي: أيش دَخَّلَك بيت عدوّك؟ قال: صديقي جُوّاته!** (أي: لأن صديقي بداخله. ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (١٦٩)).

١٧١ ـ **يقول المثل الشامي أو السوري «حَجَّ فلان والناس راجعة»**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٤٠٥)، وفسّره بقوله: **كناية أن هذا ما له حج؛ لأنه انتهى وقت الحج**، يُقال لمن تأخّر وفاته أمرٌ ما).

١٧٢ ـ **كما يقال: الحق الكذاب إلى ما وراء الباب**. (ذكره في معرض قصته مع الشيخ **العُبَجي** مفتي الشافعية في حلب، **في** سلسلة الهدى والنور شريط (٦٣٣)).

١٧٣ ـ **دقة على الحافر دقة على النافر**. (ذكره في سلسلة الهدى والنور شريط (٤٥٣) فقال: وعلى التعبير الشامي...).

١٦٢١ مِنَ الأمثال العربية والشامية التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في كتبه:

١ ـ **أَخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ.** (ذكره في «إقامة الدليل على إبطال التحليل»).

٢ ـ **إذَا لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلِبْ.** (ذكره في «إقامة الدليل على إبطال التحليل»، وقال: أَيْ: فاخْدَعْ، ورجُلٌ خَلَّابٌ أي خَدَّاعٌ).

٣ ـ **رمتني بدائها وانسلت.** (ذكره في «منهاج السُّنَّة النبوية» و«درء تعارض العقل والنقل»).

٤ ـ **من سلك الجدد أمن العثار.** (ذكره في «شرح العمدة»).

٥ ـ **أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْناً.** (ذكره في «مجموع الفتاوى»، وقال: (طِحناً) بِالكَسْرِ؛ أي: ولا أرى طَحِيناً، وَمَنْ قال بِالفَتْحِ أراد الفِعل).

٦ ـ **الشَّعِيرُ يُؤْكَلُ وَيُذَمُّ.** (ذكره في «مجموع الفتاوى»).

٧ ـ **حَملة خارجية.** (ذكره في «مجموع الفتاوى»، وقال: الخوارج المارقون كانوا أزهد منهم وأعظم قتالاً، حتى يُقال في المثل: حملة خارجية).

٨ ـ **عدو عاقل خير من صديق جاهل.** (ذكره في «منهاج السُّنَّة النبوية»).

٩ ـ **لا طعنة ولا جفنة.**

١٠ ـ **لا فارس الخيل ولا وجه العرب.** (ذكر المَثَلَين السابقين في «السياسة الشرعية»، وقال: يقولون في الأمثال العامية).

١١ ـ **لا تكن حلواً فتسترط ولا مرًّا فتعفى.** (ذكره في «الجواب الصحيح»، وللسخاوي جزء «الجواب الذي انضبط عن لا تكن حلواً فتسترط» طُبع عام ١٩٩٤م بتحقيق مشهور سلمان.).

١٢ ـ **لَا يَصْلُحُ القِدْرُ بين طَبَّاخَيْنِ**. (ذكره في «مجموع الفتاوى» (المستدرك)، فقال: وقد عُرِفَ بالعادة أن ما تناوب الناس على حفظه ضاع، ومن الأمثال السائرة: . . . فذكره).

١٣ ـ **إياك أعني واسمعي يا جارة**. (ذكره في «درء تعارض العقل والنقل»).

١٤ ـ **عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً**. (ذكره في «مجموع الفتاوى»، وفسّره بقوله: أي أَتَخَافُ أَنْ يكون لهذا الظَّاهِرِ الْحَسَنِ بَاطِنٌ رَدِيء؟).

١٥ ـ **يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوك نَفَخَ**. (ذكره في «مجموع الفتاوى»).

١٦ ـ **كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا**. (ذكره في «مجموع الفتاوى»).

١٧ ـ **في الصَّيْف ضَيَّعْت اللَّبَنَ**. (ذكره في «مجموع الفتاوى»).

١٨ ـ **رِجل إلى قدام، ورِجل إلى خلف**. (ذكر في «مجموعة الرسائل والمسائل» أنه من أمثال العوام).

١٩ ـ **قيمة كلّ امرئ ما يُحسن**. (ذكره في «النبوات»، ويُنسَب إلى سيدنا عليٍّ رضي الله عنه).

٢٠ ـ **لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فينتقى، ويروى فينتقل**. (ذكره في عددٍ من كتبه، وأصله قول إحدى النساء في حديث أم زرع الطويل، وشرحه الرامهرمزي في «أمثال الحديث» فقال: إنها تصف قلّة خيره وبعد متناوله مع القلة كالشيء في قلة الجبل الصعب لا يُنال إلا بمشقة، والغث المهزول، وقولها (ولا سمين فينتقي) تعني ليس فيه نقى والنقى المخ، تقول: نقوت العظم ونقيته إذا استخرجت النقي منه).

٢١ ـ **اسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْت تَكُنْ نَظِيرَهُ، وَافْضُلْ عَلَى مَنْ شِئْت تَكُنْ أَمِيرَهُ؛ وَاحْتَجْ إلَى مَنْ شِئْت تَكُنْ أَسِيرَهُ**. (ذكره في «إقامة الدليل على إبطال التحليل»).

٢٢ ـ **الأُذن تعشق قبل العين أحياناً**. (ورد ذكره في «جامع الرسائل»، وهو شطر بيت شعر لبشار بن برد الضرير).

٢٣ ـ **وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ**

(ذكره في «مجموع الفتاوى»، وهو من أبيات المتنبي التي سارت أمثالاً).

٢٤ ـ **حُبُّك الشَّيْءَ يُعْمِي وَيَصُمُّ**. (ذكره في عدد من كتبه).

٢٥ ـ **لَحْمُ خِنْزِيرٍ فِي طَبَقٍ صِينِيٍّ**. (ذكره في «مجموع الفتاوى» وهو يتحدث عن العفيف التلمساني فقال: له ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره في صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل: . . . فذكره).

١٦٢٢ أبيات شعر أعجبتني، وذكر قائلها، والمصدر (الجزء الثالث)

٣٠ ـ قال **الخطيب** في «تاريخ بغداد»: أنشدنا القاضي أَبُو الطيب الطبري، قال: أنشدنا القاضي **أَبُو الفرج المعافى بن زكريا الجريري** (ت٣٩٠هـ) لنفسه:

أَلا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِداً ... أَتَدْرِيْ عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ ... لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبْ

٣١ ـ **لا تَحْسَبُوا أَنَّ رَقْصِي بيْنكُمْ طَرَبٌ ... فَالطَّيْرُ يَرْقُصُ مَذبُوحاً مِنَ الأَلَمِ**

● لم أقف على قائله، ومَرَّ معي أن **أحمد مصطفى المراغي** (ت١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) في أحد كتبه نسبه للمتنبي، وهذا أقدم مصدر ذكر هذا البيت فيما وقفتُ عليه!

٣٢ ـ **تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ ... يدعُو عليك وعينُ اللَّه لم تَنَمِ**

● ذكره **الأبشيهي** (ت٨٥٠هـ) في «المستطرف» ولم يذكر قائله.

٣٣ ـ قال **الخطيب البغدادي** يشكو حال الإخوان في زمانه:

طلبتُ أخاً صحيحَ الود محضاً   سليم الغيب مأمون اللسان

فلم أعرف من الإخوان إلا   نفاقاً في التباعد والتداني

• نقلها من خطّ الخطيب ابنُ الجوزي في ترجمته في «المنتظم».

٣٤ ـ دُعِيَ الطبيب شاكر الخوري (١٨٤٧ ـ ١٩١١م) إلى وليمة عند الأمير سعيد ـ أحد البخلاء ـ، وكان الطعام كوسا وباذنجان محشي، والأصل أن الحشوة تتكوّن من الأرز واللحم، لكن لبخل ذاك الأمير كان محشوًّا بالأرز فقط! فارتجل الطبيب بيتين من الشعر قائلاً:

قد قيل إنَّ المستحيل ثلاثة   والآن رابعة أتَت بمزيدِ

الغول والعنقاء والخل الوفي   واللحم في محشي الأمير سعيد

• ذكرها الطبيب في كتابه «مجمع المسرّات» (ص٣٤٠/ ط. دار لحد خاطر).

كلُّ المصائب عند الموت في صغرٍ   والموت عند هوان النفس في حقر

• نقلها الطبيب شاكر الخوري (١٨٤٧ ـ ١٩١١م) في كتابه «مجمع المسرّات» (ص٣١٠/ ط. دار لحد خاطر)، ولم أعثر على قائله!

٣٥ ـ قال أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني (ت٦٩٧هـ):

الغدر في الناس شيمة سلفت   قد طال بين الورى تصرفها

ما كل من قد سرت له نعم   منك يرى قدرها ويعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بها   مضرة عز عنك مصرفها

أما ترى الشمس كيف تعطف بالنـ   ـور على البدر وهو يكسفها

• «الديباج المذهب في أعيان المذهب» لابن فرحون (ت٧٩٩هـ).

٣٦ ـ قال عبد الأول ابن العلامة حماد الأنصاري في «المجموع في ترجمة والده»: حدثني عبد الحميد الجزائري، عن الشيخ إبراهيم نور سيف؛ أنه سمع **الوالد** ينشد هذه الأبيات؛ وهي أبيات من شعره:

وعالم يسكن بيتاً بالكرى   وجاهل يملك دوراً وقرى

لما قرأت قوله سبحانه   نحن قسمنا بينهم زال المرى

٣٧ ـ قال شاعر:

لِـكُـلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُـسْـتَـطَـبُّ بِـهِ   إلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

• رأيتُ البيتَ في العديد من كتب الأدب، أقدمها «العقد الفريد» لابن عبد ربّه (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ)، ولكن لم يذكر أحدٌ اسم صاحبه!

٣٨ ـ قال المتوكّل بن عبد الله الليثي:

لا تنهَ عَن خُلُقٍ وَتأْتِيَ مِثْلَه   عارٌ عليك إذا فعلتَ عَظِيمُ

• نسبتُ البيتَ في الكناشة (٥٦٣) ـ ضمن قصيدة ـ لأبي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي البصري (ت٦٩هـ)، والقصيدة نقلها خليل بن كيكلدي العلائي (ت٧٦١هـ) في كتابه «الفصول المفيدة في الواو المزيدة»، لكني وجدتُ القدامى ينسبون البيتَ للمتوكل الليثي، منهم: ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) في «العقد الفريد»، والأصفهاني في «الأغاني»، وغيرهما العديد.

٣٩ ـ قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ   ولكنَّ عينَ السُّخط تُبدِي المَساوِيا

• عزاه إليه الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في «الحيوان»، وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في «عيون الأخبار»، وابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) في «العقد الفريد»، وغيرهم، وعبد الله بن معاوية توفي في أوائل قيام الخلافة العباسية.

٤٠ ـ قال الشاعر الجاهلي الأعشى الأكبر ـ واسمه ميمون بن قيس ـ:

كناطحِ صخرةٍ يوماً ليفلقَها   فَلَمْ يضِرها وأوهَى قَرنهُ الوعِلُ

• عزاه إليه ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في «المعاني الكبير»، والثعالبي (ت٤٢٩هـ) في بعض كتبه، وغيرهما. **فائدة**: قال الطنطاوي في كتابه «من شوارد الشواهد»: وفي «المؤتلف والمختلف» للآمدي ذكرٌ لسبعة عشر شاعراً كلّهم يُعرَف بالأعشى، وإنْ أُطْلِقَ الاسم انصرف إلى الأعشى الكبير ميمون.

٤١ ـ قال العَرجّي الشاعر (هُوَ أَبُو عُمَر عَبْد الله بْن عُمَر بْن عَمْرو بْن عثمان بْن عفّان الأموي):

أَضَاعُونِي وأيَّ فتى أَضَاعُوا   لِيَوم كَرِيهَةٍ وسَدَادِ ثَغْر

• عزاه إليه مصعب الزبيري (ت٢٣٦هـ) في «نسب قريش»، وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في «المعارف»، وابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) في «العقد الفريد»، وغيرهم.

٤٢ ـ قال الشاعر **محمد بن بختيار البغدادي** ـ الملقّب **بالأبله**! ـ (ت٥٧٩هـ):

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ　　وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

• عزاه إليه ابن خلّكان (ت٦٨١هـ) في «وفيات الأعيان»، والذهبي (ت٧٤٨هـ) في ترجمته في «تاريخ الإسلام».

٤٣ ـ قال الشاعر **الوليد بن عبيد الطائي** ـ المشهور **بالبُحْتُريّ** ـ (٢٠٦ ـ ٢٨٤هـ):

عليّ نحْتُ القوافي من مقاطِعها　　وما عليّ إذا لم تفهم البقرُ

• عزاه إليه ابن داود الأصبهاني (ت٢٩٧هـ) في كتاب «الزهرة»، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ) في «الوساطة بين المتنبي وخصومه».

٤٤ ـ قال **أبو فراس الحمداني** ـ الحارث بن سعيد بن حمدان (ت٣٥٧هـ) ـ وهو ابن عم سيف الدولة ـ:

أراكَ عصيَّ الدمعِ شيمتُك الصبرُ　　أمَا للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

• نقله عنه أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في «يتيمة الدهر».

وأيضاً ممّا اشتُهِر من شعر أبي فراس الحمداني:

عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّر　　لكن لتوقِّيهِ

ومن لا يعرف الشَّرَّ　　من النَّاس يقع فيهِ!

• نقله عنه أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في «يتيمة الدهر».

٤٥ ـ قال **علي بن العباس ابن الرومي** (٢٢١ ـ ٢٨٣هـ):

أعانقها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ　　إليها وهل بعد العناق تداني

فألثمُ فاهاً كي تموتَ حرارتي　　فيشتدّ ما ألقى من الهيمان

ولم يك مقدار الذي بي من الهوى ... لِيَشْفِيهِ ما ترشُفُ الشَّفَتانِ

كأنَّ فؤادي ليس يَشْفي غليلَه ... سوى أنْ يرى الروحَيْن يمتزجان

• نقلها عنه أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ) في «الأمالي في لغة العرب»، وداود الأنطاكي في «تزيين الأسواق». فائدة: ذكر البيومي في «طرائف ومسامرات» (ص١١١/ط. دار القلم) أن الأصفهاني لم يترجم لابن الرومي في «الأغاني».

٤٦ ـ وقال ابْنُ الرُّومِيّ (٢٢١ ـ ٢٨٣هـ):

هُم النَّاسُ وَالدُّنْيَا وَلَا بُدَّ مِنْ قَذًى ... يُلِمُّ بِعَيْنٍ أَوْ يُكَدِّرُ مَشْرَبَا

وَمِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنَّك تَبْتَغِي ... الْمُهَذَّبَ فِي الدُّنْيَا وَلَسْت الْمُهَذَّبَا

• نقلها عنه علي بن محمد الماوردي (٣٧٠ ـ ٤٥٠هـ) في «أدب الدنيا والدين»، وجمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (ت٧١٨هـ) في «غرر الخصائص الواضحة».

٤٧ ـ قال الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنثر الدر النفيس على الغنم

فإن يسر اللَّه الكريم بفضله ... وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم

بثثت مفيداً واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدي ومكتتم

فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

• نقل الأبيات محمد بن موسى الدميري (ت٨٠٨هـ) في «حياة الحيوان الكبرى».

٤٨ ـ قال الشاعر ـ ولعله لسان الدين بن الخطيب ـ:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل عاصفة سكونا

• نقلها المقري في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب».

٤٩ ـ قال الفرزدق ـ أبو فراس همام بن غالب التميمي البصري ـ (ت١١٠هـ):

ليس الشَّفيعُ الذي يأتيك مُؤْتزِراً ... مثل الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا

• نقلها عنه ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) في «طبقات الشعراء»، وابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) في «العقد الفريد»، وغيرهما، واشتهر البيت بإنشاد الحافظ عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) له، فروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧٧/٣٦) عن فياض بن زهير النسائي قال: تشفّعنا بامرأة عبد الرزاق على عبد الرزاق، فدخلنا على عبد الرزاق، فقال: هاتوا، تشفعتم إليَّ بمن يتقلب عليَّ في فراشي! ثم أنشأ يقول... فذكر البيت. (**فائدة**: لُقِّب بالفرزدق، وهو الرغيف الضخم، لشبهه به).

٥٠ ـ قال ابن المعتز (ت٢٩٦هـ):

عَجَباً للزَّمانِ في حَالَتَيْهِ ... وبَلاءٍ دُفِعْتُ منه إلَيْهِ
رُبَّ يومٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا ... صِرْتُ بِغَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

• نقل البيت الثاني العديد من دون ذكرِ قائله، وأقدمُ مَن وقفتُ عليه ذكره علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ) في «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، ثم وجدت المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ينسبه إليه في «مروج الذهب». وعزا البيتين إلى ابنِ المعتز المحبيُّ (ت١١١١هـ) في «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة».

٥١ ـ قال بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ ـ ٣٩٨هـ):

سَوفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ ... أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ

• وجدتُ أقدم من ذكره ـ من دون تسمية قائله ـ الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في «التمثيل والمحاضرة»، وقال الميداني (ت٥١٨هـ) في «مجمع الأمثال»: يُضْرَب لمن يُنْهَى عن شيء فيأبى، ثم أفادني أخي **عمران العلبي** حفظه الله أن بديع الزمان الهمذاني قاله في آخر قصيدته التي هجا فيها الخوارزمي، والقصيدة في «ديوان بديع الزمان الهمذاني» (ص١٤٢ ـ ١٤٥/ط. دار الكتب العلمية ـ ٢٠٠٣م).

٥٢ ـ قال الشاعر البليغ المفوّه صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلّي (٦٧٧ ـ ٧٥٢هـ):

لا غَرْوَ أَنْ يُصْلَى الفُؤَادُ بِحُبِّكُمْ ... ناراً، تُؤَجِّجُها يَدُ التِّذْكَارِ
قَلْبِي إذَا غِبْتُمْ يُصَوِّرُ شَخْصَكُمْ ... فيهِ، وَكُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ

• قال الصفدي (ت٧٦٤هـ) في ترجمته في «الوافي بالوَفَيَات»: وأنشدني لنَفسِهِ أيْضاً (الْكَامِل)... فذكر البيتين.

٥٣ ـ قال شاعر عصره أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ):

أعوَامَ وَصْلٍ كانَ يُنْسِي طُولَها ذكْرُ النَّوَى، فكأنَّهَا أيَّامُ
ثُمَّ انْبَرَتْ أيَّامُ هَجْرٍ أرْدَفَتْ بِجَوىً أَسىً، فكأنَّها أعْوَامُ
ثمَّ انقضتْ تلك السنونُ وأهلُها فكأنَّها وكأنَّهُمْ أحلامُ

• الأبيات موجودةٌ في ديوانه، ونقلها عنه علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ) في «الوساطة بين المتنبي وخصومه».

٥٤ ـ ومن روائع شعر أبي تمّام قوله:

نَقِّلْ فُؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهَوَى ما الحبُّ إلّا للحبيبِ الأوَلِ
كم مَنْزِلٍ في الأرضِ يألَفُهُ الفَتَى وحَنينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

• نقلهما عنه معاصره الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في «البيان والتبيُّن»، وعزاهما إلى أبي تمام الكثير.

٥٥ ـ قال الشيخ عبد الله الهدلق في إحدى «تغريداته»: في كتاب العقاد «عرائس وشياطين» ـ وهو منتخبات عالية انتخبها من عيون الشعر العربي ـ ورد هذا البيت:

العزُّ في العزلة لكنَّه لا بدّ للناس من الناس

• قال أبو معاوية البيروتي: قائل البيت هو الأديب **إسماعيل بن حماد الجوهري**، توفي ٣٩٣هـ، وقيل: مات في حدود سنة أربع مئة رَحِمَهُ اللَّهُ. ونقله عنه الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في «يتيمة الدهر».

٥٦ ـ قال الجاحظ: كان في دار نصر بن حجاج السلمي عقارب، إذا لسعت قتلت، فدب ضيفٌ لهم إلى بعض أهل الدار، فضربته عقرب في مذاكيره، فقال نصر يعرض به:

وداري إذا نام سكانها أقام الحدود بها العقرب
إذا غفل الناسُ عن دينهم فإنّ عقاربَها تضرب
فلا تأمننّ سرى عقرب بليلٍ إذا أذنب المذنب

• نقلتها من «حياة الحيوان الكبرى» للدميري.

٥٧ ـ قال العلامة جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) في ترجمة السيد أحمد الحسني الجزائري ثم الدمشقي المالكي الأثري (ت١٣٢٠هـ): ثاني يوم وفاته حضرتُ في الوابور (أي القطار) منها إلى البلد، فخُبِّرت بهذا المصاب العظيم والرزء الجسيم، فنزل بي ما الله به عليم! ووددتُ أنْ لم أكن وقتئذٍ غائباً، ثم تذكرتُ هذين البيتين:

قالوا ألم تحضر خليلك عندما دفنوه؟ قلت: هناك بئس المحضر
لا أستطيع أرى المعالي بينكم محمولة وأرى المكارم تقبر

• نقلتها من كتابه «طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري».

٥٨ ـ قال الشاعر صلاح الدين اللبابيدي البيروتي (١٨٩٨ ـ ١٩٨٧م): المحامي المصري الشاعر حسن البيلهي، يوم أُشِيع خبر موته كذباً، كتب قريبٌ من أقاربه في المهجر يُعَزّي فيه ويندبه، فأجابه بهذا البيت، وهو أبلغ من ديوان حافل بالآلام:

لم ترحني المنون من نصب العيش كما خَبّروك، فاندب حياتي!

• نقلتها من كتابه «الثمالات» (ص٥٠/ ط. دار الثقافة).

٥٩ ـ قال الشاعر ميشال أبو شهلا (١٣١٦ ـ ١٣٧٩هـ/ ١٨٩٨ ـ ١٩٥٩م) في «أنفاس العشيات»:

تلك الحياة التي صارعتها تركت على شفاهي فصولاً من روايات
سكبتُها تارة من ثغرٍ مبتسم وصُغتُها من دموع القلب تارات
قصائدي قطعٌ من أضلعي نُحِتَت ومن غرامي وآلامي ولذّاتي

• نقلتها من «الثمالات» (ص١٨٤/ ط. دار الثقافة) للشاعر صلاح اللبابيدي (١٨٩٨ ـ ١٩٨٧م).

٦٠ ـ في صفحة عنوان النسخة (٦٦/ نحو) في دار الكتب المصرية كتب أحدهم البيتين التاليين:

تعطي التيوس أرزاقها بسهولة وبنو الفصاحة رزقها محبوس

إنْ كان حرماني لأجل فصاحتي فامنن عليَّ من التيوس أكون!

• التقطها وأرسلها إليّ الأخ صالح الأزهري.

٦١ ـ قال الحسين بن منصور الحلّاج ـ المقتول على الزندقة عام ٣٠٩هـ ـ:

أَلْقَاهُ فِي اليمِّ مكتوفاً وَقَالَ لَهُ إيَّاك إيَّاك أن تبتلَّ بِالْمَاءِ

• نقله عنه ابن خلّكان (ت٦٨١هـ) في ترجمته في «وفيات الأعيان» وغيره.

٦٢ ـ قال الشاعر أحمد شوقي (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣١م) في «ديوانه»:

خَدعوها بقولهم حَسْناءُ والغواني يغرَّهُنَّ الثناءُ
نَظْرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلِقاءُ

٦٣ ـ قال السهروردي يحيى بن حبش ـ المقتول على الزندقة سنة ٥٨٧هـ ـ في حائيته:

فتشَبَّهوا إنْ لم تَكُونُوا مثلهم إنَّ التَّشَبُّهَ بالكرامِ فلاح

• نقله ياقوت (ت٦٢٦هـ) في ترجمته في «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب».

٦٤ ـ قال التابعي مسروق (ت٦٣هـ):

يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، يَا مِلْحَ الْبَلَدْ مَنْ يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَدْ

• ذكره الغزالي في «إحيائه» من دون ذكرِ قائله، ونسبه الذهبيُّ لمسروق في «تاريخ الإسلام» (٣/ ٥٦٤/ ط. الغرب)، وقال: والقرّاء في اصطلاح الصدر الأول هم العبّاد.

٦٥ ـ قال شاعر مصر حافظ إبراهيم (١٨٧٠ ـ ١٩٣٢م):

الأُمُّ مدرسةٌ إذا أَعْدَدْتَها أَعْدَدْتَ شعباً طيِّبَ الأَعراقِ

• هو بيت من قصيدة أنشدها **محمد حافظ إبراهيم** في حفلة أُقِيمَت ببورسعيد لإعانة مدرسة البنات، وأوردها بطولها الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة «المنار» (عدد جمادى الأول ١٣٢٨هـ/ حزيران ١٩١٠م).

٦٦ ـ جاء في «تتمة اليتيمة»: قد أكثر الشعراء في الحث على الاضطراب في الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر من السفر، ومن أشف ما قالوا فيه وأشفاه قول هذا الأعرابي الشامي (أبي شرحبيل الكندي):

سرْ في بلاد اللّه والتمس الغنى ... ودع الجلوس مع العيال مخيما
لا خير في حر يجالس حرة ... ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

● أفاده أبو الطيب بن طراد.

٦٧ ـ قال أحد الشعراء يصف الخُلَعاء والمجّان جُند إبليس:

وكنتُ فتًى في جندِ إبليسَ فارتقى ... بي الحالُ حتى صارَ إبليسُ من جندي!

● لم أقف على قائله، وأقدم مَن وقفتُ عليه ذكره الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»، والزمخشري (ت٥٣٨هـ) في «ربيع الأبرار»، ومحمد بن الحسن ابن حمدون البغدادي (ت٥٦٢هـ) في «التذكرة الحمدونية».

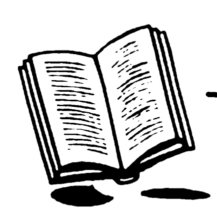
ـ **استدراك**: ذكرتُ بعض الأبيات في «الكناشة» الأولى (الفقرة ٣٧١)، وفاتني التنبيه أن قائلها هو العلامة الأديب إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ).

١٦٢٣ من أجمل ما سمعتُ لمعاصر في رثاء الأب:

قال الشاعر العراقي كريم عوده:

آه كم أشتاقُ أيامَ أبي ... ذلكَ الرجلِ الرهيبِ العصبي
إنه أورثني الحُزن ولكن ... مَدَّنِي بالعَزم والعِزَّةِ والصَّبرِ الأَبِيّ
فحملْتُ العِبْءَ طِفلاً ... ودُموعي.. لُعَبِي
وبكى حين رآني ناجحاً ... ورِضَى عينَيه أَطْفَأَ تَعَبِي
إنّما كان أبي قاسياً فِعْلاً ... ويُخفِي نَهْرَ حُبٍّ عَذِبِ
قلبُهُ قَلْبُ صَبِي ... صَبرُهُ صبرُ نبي
رحم اللّه أبي

* * *

بابٌ
فيه فوائد ونوادر حول بعض الكتب والمؤلفين والمحققين

١٦٢٤ من غرائب وطرائف إهداءات الكتب!

من طقُوس المؤلفين المُعتادة كتابة إهداء في أول صفحة من مؤلفاتهم تكون للعائلة أو للأصدقاء أو لأي شخص أثر في حياتهم، ولا يمكن تحديد تاريخ إهداءات الكتاب، ولعلّها ولدت مع ولادة الكتاب، وفي الكتب القديمة نعثر على مؤلف يقول: قدَّمتُ هذا الكتاب إلى الوالي أو إلى فلان، كما كتب ابنُ حزم (ت٤٥٦هـ) «طوق الحمامة» وأهداه إلى صديقه، وهاكم بعض ما وقفتُ عليه من غرائب وطرائف الإهداءات ـ انتقيتُها من كتابي الكبير الذي جمع ما هب ودب «**سياحة في عالم الكتب**» ـ:

١ ـ كتب أحد المؤلفين في إهداء كتابه:

إلى زوجتي.. التي لولاها لما تأخر صدور هذا الكتاب كلّ هذه المدّة!

٢ ـ كتب د. **إبراهيم الجمل** في أول كتابه: «مملكة إبليس: التنظيم الإداري للدولة الإبليسية في ظلال القرآن والسُّنَّة» (طُبع في مصر ١٤٠٣هـ):

«**إهداء الى إبليس الشيطان الرجيم**: حرباً عليك.. وتحذيراً منك.. وكشفاً لخططك.. وإفساداً لعملك.. أهديك هذا الكتاب».

٣ ـ كتب أحدهم:

أهدي هذا الكتاب أولاً إلى قراصنة كتبي، فلا أعرف أحداً انتظر

إصداراً جديداً لي كما انتظروه، أنا مدينٌ لهم بانتشاري، فلولاهم ما فاضت المكتبات بآلاف النسخ ـ المقلّدة طبق الأصل ـ عن كتبي، يُسعدني أن يجد الكلّ في هذا الكتاب باب رزق «الله يجعلني غابة والناس فيَّ حطّابة».

المجد للصوص.. جميعهم! هذا زمن الأيدي التي تنهب لا تلك التي تكتب.

٤ ـ كتب الشاعر **أدهم الشرقاوي** إهداء كتابه «كش ملك»:

إلى مدرّس اللغة العربية.. الذي قذف دفتر التعبير في وجهي وقال: ستموت قبل أن تكتب جملة مفيدة!

٥ ـ كتب الإعلامي **تركي الدخيل** إهداء كتابه «ذكريات سمين سابق» ـ الذي يتحدّث عن تجربته في التخلص من السمنة ـ: **إلى الميزان،**

بأنواعه؛ الإلكتروني منه، وذي المؤشر الأحمر! أيها الصامد أمام أوزان البشر، يا من تتحمل البدين منهم والنحيف، يا من تصبر على ثقل دمهم قبل ثقل أجسادهم!

٦ ـ كتب د. **فرج زخور** مصدِّراً كتابه «بربر آغا (ت ١٨٣٥م) حاكم طرابلس والجبلة واللاذقية»:

الإهداء... إلى أولادي، علّكم تجدون فيه متعة القراءة عوض تفاهة الفيديو!

(قلت: ألَّف د. فرج كتابه وطبعه عام ١٩٩٧م، قبل انتشار الانترنت ووسائل (التقاطع) الاجتماعية التي أفسدت ثقافة الكثيرين).

١٦٢٥ ـ شروط العلامة عبد الحميد بن باديس لمن يستعير كتبه:

كان الشيخ **عبد الحميد بن باديس** (١٣٠٥ ـ ١٣٥٩هـ/ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠م) رَحِمَهُ اللهُ يُعير كتبه لتلاميذه، لكنه كان يشترط عليهم في ذلك شروطاً منها:

- عدم العطاس في الكتاب.

- عدم بلِّ الأوراق بالريق عند تقليبها.

- فتح الكتاب برفق حتى لا تنفصل أوراقه.

- وكان إذا شم رائحة الدخان في الكتاب بعد إعارته لأحد تلاميذه، لا يُعيره كتاباً بعد ذلك أبداً.

- بعد إعادة الكتاب يسأل الشيخ تلميذه عن رأيه فيه وعن ما استفاده منه.

● كتبه محمد الأمين فضيل في مقالته «الشيخ محمد الصالح رمضان كما عرفته» في موقع «ملتقى أهل الحديث».

١٦٢٦ مختاراتي من مقالة «المقيَّدات من «فهرس الفهارس والأثبات» للكتاني»:

قيّد الفوائد مشاري الشثري، وأبقيت على ترقيمه للفقرات.

١٢ - (ابن الأبار القضاعي الأندلسي البلنسي):

مات بتونس قتيلاً مأسوفاً عليه وأُحرِق. قال ابن خَلدون: «وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأُحرِقت معه».

قلتُ: هذه والله شنعةٌ ما فوقها شنعة، ورزيَّةٌ ما فوقها رزيَّةٌ، إلا قتله ثم حرقه، وهو عندي عديل ابن الخطيب وابن خلدون في الإنشاء وملكة الشعر، ويفوقهما بصناعة الحديث ومعرفته معرفةً تامَّة، ليس للتونسيين من يشاركه أو يضارعه فيها. (١٤٢).

٢٣ - (محمد البخاري الحنفي - ت ١٢٠٠هـ):

ألَّف في ترجمة ابن تيمية كتابه «القول الجلي» المطبوع بهامش «جلاء العينين» وفي غيره من المجامع، وإن لم ينسبه له من ترجمه، ولا عرف ترجمته من طبعه أو طالعه، وهذا عجيب. (٢١٥).

٤١ - من الغرائب التي تتعلق بترجمة الحافظ ابن حجر ما في

«ثبت» الشهاب البوني أن الحافظ انتقل في آخر عمره لمذهب مالك، قال: «كما رأيت ذلك بخطِّه في مكة المكرمة».

قلتُ: ولعل رجوعه في مسألة أو مسألتين، والله أعلم. (٣٢٥).

٤٤ ـ ذكر أبو سالم العياشي عن (خير الدين الرملي ـ ت١٠٨١) أنه أخبره أنه غرس بيده ما يزيد على مئة ألف شجرة، كلها أطعمت وأكل من ثمرها. (٣٨٧).

٤٧ ـ (أبو العباس الدمنهوري ـ ت ١١٩٢هـ):

قال عنه الزبيدي في شرح «ألفية السند»: «كان يكتب تحت اسمه بعد الشافعي: (الحنفي المالكي الحنبلي) استجاز بذلك من شيوخه». (٤٠٥).

وفي (١٠٦١) سمَّاه الكتاني: (الشهاب أحمد الدمنهوري المذاهبي).

٥٦ ـ (أحمد المنجور ـ ت٩٩٥هـ):

في طبقات الحضيكي: «كان شديداً في اتباع السُّنَّة في أحواله كلها، حتى كان تلميذه مولاي عبد الله بن علي بن طاهر إذا سُئل عن شيء يقول: اصبروا حتى أنظر هل فعله الشيخ المنجور أم لا، فإنه لا يفعل إلا السنَّة، وقد سُئل هل لبس النبي ﷺ السراويل؟ فسأل زوجته، فأخبرته بأن الشيخ يلبسه دائماً، فرجع وأخبر السائل بأنه ﷺ لبسه، واحتجَّ بأنه لو لم يلبسه ما لبسه الشيخ»! (٥٦٦).

٥٩ ـ من أغرب ما يذكر هنا أن هذا المعجم ـ يعني «المعجم المختص» للحافظ الزَّبيدي ـ هو من أكبر موادِّ الجبرتي في تاريخه، فلو شئتَ أن تقول إن جميع تراجم العلماء من أهل القرن الثاني عشر التي فيه مأخوذةٌ باللفظ من هذا المعجم لم يبعد، حتى إنه ينقل قول السيد ـ يعني الزبيدي ـ: (حدثني فلان) بلفظه ولا يتنبه، ويسوق الترجمة بنصِّها،

ويكون السيد لم يذكر وفاته لكونه عاش بعده، فإذا جاء للوفاة غلط فيها وأخطأ، وهذا نظير ما وقع للعيني مع ابن دقماق في تاريخه، قال الحافظ ابن حجر في «إنباء الغمر»: «إن العيني يكتب من تاريخ ابن دقماق الورقة بعينها متوالية، ويقلده فيما يَهِم فيه، حتى في اللحن الظاهر، مثل أخلعَ على فلان، وأعجبُ منه أن ابن دقماق يذكر في بعض الحوادث ما يدل على أنه شاهدها، فيكتب البدر كلامه بعينه، وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد في عينتاب»، وإنما زاد الجبرتي بتراجم بعض الأمراء والقواد ورؤساء الأجناد وبعض اليهود، وبالجملة فنَفَسُه في تراجم المشاهير ممن ترجم لهم الحافظ الزبيدي نَفَسُ المحدثين والمؤرخين، ولما انقطع ما كتبه السيد صار يكتب على غير تلك الطريقة... ومع أَكْلِ الجبرتي لمعجم السيد أكلاً لمَّا لم يكن يبقي ولا يذر قدحاً فيه ولمزاً، والحسد قتَّال، وعند الله تجتمع الخصوم. (٦٢٣).

قال أبو معاوية البيروتي: راجعت ترجمة الزبيدي في «عجائب الآثار» (٢/ ١٠٤ ـ ١١٤) فوجدتُ الجبرتي معظِّماً له ذاكراً لمحاسنه، وقد نَقَدَه في مسألة أو مسألتين فقط، فهل وقف الكتاني على ذمٍّ للزبيدي في مواضع أُخَر من تاريخ الجبرتي؟

٧٠ ـ (عطية الأجهوري الشافعي ـ ت١١٩٤هـ):

ترجمه هبة الله البعلي في «ثبته» قائلاً: «سمعت منه ما لا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب شارحٍ أو محشِّي». (٧٧٨).

٧٣ ـ قال الكتاني عن «رحلة العبدري»: «هي عندي في مجلد من أنفس ما كتبه المغاربة قلماً وشجاعةً ونقداً واتساعَ رواية، وبالجملة فهي رحلة جامعة». (٨٠٩).

٧٧ ـ (أبو العلاء العراقي الحسيني الفاسي ـ ت ١١٨٣):

قال عنه الزبيدي في «معجمه»: «لما قرأ «الجامع الكبير» للسيوطي

استدرك عليه نحو عشرة آلاف حديث كان يقيدها في طرة نسخته». (٨٢١)، ومن مميزات الحافظ العراقي عن محدِّثي المتأخرين تجاهره بإحياء السنن الميتة في العبادات وغيرها، حاطًا من شأن ما جرى به العمل كيفما كان إذا كان يخالفها. (٨٢٣).

٨٨ ـ (القصار الغرناطي ـ ت١٠١٢هـ):

كان للقصَّار معرفة بالتاريخ والأنساب، شديد الاعتناء بأنساب الأشراف، وكان يفتخر بمصاهرتهم، وسمعت بعض المشايخ يقول: «إنه ما علا زوجته الشريفة قط أدباً مع جدها عليه السلام!» (٩٦٥).

قال البيروتي: وما المقصود بـ (ما علا؟) هل هو لم يرفع صوته عليها أم المفهوم الآخر؟ فإنْ كان الآخر فإيش علاقته بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلّم؟! وهل ذكر هذا الأمر الخاص جدًّا بين زوجَين يليق إيراده في المناقب؟!

٩١ ـ «قطف الثمر»:

الثبت الصغير لصالح الفلاني ـ نسبة لفُلان قبيلة بالسودان (٩٠١) ـ وقد طُبع، وهو مهمٌّ جدًّا، جامعٌ لأسانيدِ وكتبِ أهل المشرق والمغرب. (٩٧٥).

١٠٣ ـ (محمد بن الطيب الشركي ـ ت ١١٧٠هـ):

من طالع حاشيته على «القاموس» بالدقة يجد أمراً مهولاً من سعة حفظه واستحضاره وكثرة تآليفه وواسع رحلته، وأعجب ما تجد فيها ما في أولها من أنه ألفها حالة مفارقته لأصوله وكتبه، قال: «إلا ما علق بالبال، أو علق في طرسٍ بال»، وقال بعد شرح الخطبة: «قد أشرت في الخطبة إلى أن هذا الكتاب طُلِب منا ونحن في أثناء أسفار، ليس معنا من موادِّه ورقةٌ فضلاً عن أسفار»، وهي عندي في أربعة مجلدات. (١٠٦٩).

١١٢ ـ قال الكتاني في آخرَ ترجمته لـ (يوسف بدر الدين الحسني المدني الحنفي ـ ت ١٢٧٨هـ):

«وهذه الترجمة من التراجم التي لا تجدها مجموعةً هكذا في كتاب، ولا في ذهن أحدٍ من مؤرخي العصر، ولا أوراق أو حافظة ولد المترجَم بدر الدين المغربي الدمشقي المدَّعى فيه اليوم أنه حافظ العصر ومحدثه، فخُذْها شاكراً، فإني جمعت كل سطرٍ منها وكلمةٍ من بلد وفم في ظرف نحو العشرين سنة». (١١٤٦).

١٦٢٧ الشيخ محمد نصيف (١٣٠٢ ـ ١٣٩١هـ) يُفَضِّل شراء الكتب على الجواري!

جاء في كتاب «محمد نصيف حياته وآثاره» قصة طريفة كانت هي بدايته مع الكتب:

كان محمد نصيف شغوفاً بجمع الكتب حريصاً على اقتنائها لينتفع وينفع بها، وكان أول عهده بالكتب عام ١٣١٩هـ حين أرسله جده إلى السوق ليشتري جارية تخدمه ـ أي تخدم محمد نصيف ـ، ولمّا وصل إلى سوق العبيد ومعه حاجب القصر، ومع الحاجب ستة دنانير من الذهب، نظر محمد نصيف نظرة عابرة على الإماء اللاتي وجدن في هذا السوق، فإذا نفسه تشمئز من سوء معاملة الدلالات لهن وامتهانهن لكرامة هؤلاء الإماء، ثم قال في نفسه: إنني لا أريد أن أشتري جارية، ربما تكون في يوم من الأيام أمًّا لأولادي وهي تباع والحالة هذه كما يباع الحمر والنعم، ثم عاد راجعاً من السوق وأمر الحاجب بالذهاب إلى القصر بعد أن أخذ منه الدنانير الست، وفي أثناء عودته مر بمكتبة لأحد العلماء يعرضها ورثته للبيع، فأقدم على شرائها بكاملها ثم عاد إلى جدِّه وأخبره بما حدث، ففرح بذلك واستبشر خيراً لأنه تفرس فيه رغبة جامحة لطلب العلم وتحصيله، ومن ثم أوكل تعليمه إلى بعض المعلمين البارزين.

• نقلها تامر الجبالي.

١٦٢٨ من حرص العلامة الزركلي على تحصيل كتاب «الدرر الكامنة»:

قال د. **محمد لطفي الصباغ** في مقالٍ له بعنوان «مكتبة الزركلي»: حدَّثني هو ـ أي الزركلي (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ـ شخصيًا بأنَّه بحث عن كتاب «الدرر الكامنة» لابن حجرٍ، فلم يعثُرْ عليه، ثم دُلَّ على رجُلٍ ورِثَ عن أبيه نسخةً منه، فذهب إليه في أقصى المدينةِ ورجاه أنْ يُعيرَه إيَّاه، أو يمكِّنَه من قراءتِه بحضورِه، فأنكَرَ هذا الرَّجلُ وجودَ الكتابِ عنده، فاستعان بأحدِ العلماءِ الكبار على ذلك الرَّجُلِ، وما زال به حتى اعترف الرَّجلُ يومئذٍ بأنه قد وضعه ـ حرصاً عليه ـ في الجدارِ وبنى عليه!

وتحمَّل الزِّرِكْليُّ نفقاتِ إخراجِه، وإعادةِ بناءِ الجدار، واستعارَه، ثم أعاده إليه فيما بعدُ، وقد حرَص أنْ يكونَ هذا الكتابُ في مكتبةٍ عامَّةٍ.

وراسلني الأخ **صالح الربعي**، قال: كنتُ في مجلس العلامة المحقق عبد الرحمٰن العثيمين (ت١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان بعض طلبته حاضراً، فتذاكرنا الكتب وأنه هل هناك احتمال لوجود بعض الكتب المفقودة مع تطور التقنية والوصول لجميع مكتبات العالم، فذكروا أن ذلك ممكن جدًّا، ولا يزال يخرج من الكتب تباعاً ما كان مفقوداً من قبل، وذكروا قصة كتاب (نسيت اسمه) كان للعثور عليه قصة طريفة وهو أن بيتاً بقرطبة كان يرمِّمه صاحبه في عام ١٩٧٠م، فهُدم أحد جدرانه لبنائه من جديد، فصادف أنْ رأى مجموعة كتب عربيةٍ خلف الجدار، وكان الجدار مبنيًّا عليها، فأخذها، وكان من جملتها هذا الكتاب الذي حققه صاحبه وذكر قصة العثور عليه.

١٦٢٩ تعريف بالكتاب المفقود «سير الثغور» للقاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي (ت٤٠١هـ):

ترجم **ياقوت** في «إرشاد الأريب» لمؤلِّفِه القاضي أبي عمرو فقال: **عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد، أبو عمرو الطرسوسي الكاتب**

القاضي، كان من الأدباء الفضلاء، رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر، وجمع شعر جماعة من أهل عصره منهم أبو العباس الصفري وأبو العباس الناشيء وغيرهما من شعراء سيف الدولة وابنه شريف، وصنف كتباً منها: كتاب في أخبار الحجّاب.

وكان متقن الخط سريع الكتابة، وولي القضاء بمعرة النعمان، وسمع الحديث الكثير ورواه،... قال أبو القاسم الدمشقي (هو ابن عساكر في «تاريخ دمشق»): قرأت على أبي القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل عن سهل بن بشر قال: سمعت القاضي أبا الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي يقول: توفي شيخنا أبو الحسين ابن جميع في رجب سنة اثنتين وأربع مئة، وتوفي شيخنا عثمان الطرسوسي القاضي بكفر طاب قبله بسنة أو نحوها. اهـ.

وكتابه «سير الثغور» هو كتاب في وصف مدينة طرسوس وتأريخٌ لحوادثها ورجالها، نقل منه كثيراً **ابن العديم** (ت٦٦٠هـ) في «بغية الطلب في تاريخ حلب»، وذكر أن أبا عمرو الطرسوسي وضعه للوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات، وطالعتُ النقولات في «بغية الطلب»، فوجدته يذكر في كتابه صفة طرسوس، وأسوارها، وأبراجها، ومنازلها، ومساجدها، وسككها، وذكر دوراً كثيرة فيها، وتاريخها، وترجم لرجالها، وزهّادها، وأئمة المسجد الجامع، وخطبائه،... إلخ، حتى ذكر بالتفصيل يوم خروج أهلها عنها سنة ٣٥٤هـ وتسليمها لنقفور ملك الروم! ولما صالح نقفور أهلَ طرسوس، وخرجوا منها وتسلّمها، صعد على منبرها وقال: يا معشر الروم أين أنا؟ فقالوا: على منبر طرسوس، فقال: لا بل أنا على منبر بيت المقدس، وهذه البلدة التي كانت تمنعكم من بيت المقدس. اهـ من «بغية الطلب».

وقال ابن العديم: وممّا نقلته من خط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي: حدثني أبو نصر محمد بن أحمد بن الحمال قال: حدثني ابن عطية قال: أحصينا سنة تسعين ومئتين سكك طرسوس فوجدناها ألفي سكة نافذة ومسدودة، وأحصينا الدور فوجدناها أربعة وثلاثين ألف، اقتضى التقدير أن يكون ثلثاها للعزّاب أهل البلدان، حتى لا يعرف من عمائر الإسلام بلد إلا ولهم بطرسوس دار أو داران، حتى أهل قم؛ وثلثها للمتأهّلين بها ملكاً لأربابها أو وقفاً عليهم.

١٦٣٠ مجموع أسماء كتب ردود علماء الأمة الإسلامية:

قال الحافظ **السيوطي** (ت٩١١هـ) في «الدوران الفلكي في الرد على ابن الكَرَكي»: لو جُمِعت أسماء الكتب التي ألّفها علماء الأمة في رد بعضهم على بعض لبلغت مجلدات!

قال أبو معاوية البيروتي: وهذا قاله السيوطي في القرن التاسع الهجري، فكم تبلغ الردود الآن وقد مرَّ ما يزيد على خمسة قرون؟!

• نقلت قول السيوطي من كتاب «تاريخ المكتبات الإسلامية» للكتاني (ص١٠٩/ ط. المغرب).

١٦٣١ انتقام امرأة من مكتبة زوجها بعد وفاته!!

كان الأمير **محمود الدولة المبشر بن فاتك الآمري المصري** قد اقتنى كتباً كثيرة جدًّا، وكثير منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له بغرق أصابه، وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي بمصر قال: كان الأمير ابن فاتك محبًّا لتحصيل العلوم، وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة، ويرى أن ذلك أهم ما عنده، وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة، فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجوار معها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها من الكتب، وأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تندبه،

وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها، ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها، فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال!

• «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ترجمة المبشر).

١٦٣٢ ردُّ الدعوى أنّ ابن منظور لم يُسَمِّ كتابه الموسوعي اللغوي بـ«لسان العرب»

ترجم **المقريزي** (ت٨٤٥هـ) في «المقفى الكبير» (٧/ ٢٨٦/ ط. دار الغرب الإسلامي) **لمحمد بن مكرم ابن منظور** (٦٣٠ ـ ٧١١هـ)، وقال: جمع بين صحاح الجوهري والمحكم في اللغة، فجاء في سبعة وعشرين مجلداً، سمّاه «نهاية الأدب في لغة العرب». اهـ.

فعلّق المحقق **محمد اليعلاوي** قائلاً: هذا يدلُّ على أن اسم «لسان العرب» لم يثبت حتى عصر المقريزي، ولم يسمّه الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ باسمٍ ما، لا في «الوافي» ولا في «النُّكَت»، ولعلّ أول مَن سمّاه «لسان العرب» هو السيوطي في «بغية الوعاة»، إذ قال: جمال الدين أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة... اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وهذا ادّعاء باطل، فقد رجعتُ إلى كتاب ابن منظور (١/ ٨/ ط. دار صادر)، وفي مقدمته يقول: «فجمعتُ هذا الكتاب في زمنٍ أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوحٌ الفلك وقومُه منه يسخرون، وسمّيتُه «لسان العرب»». اهـ.

وقال **ابن حجر** (ت٨٥٢هـ) في ترجمة ابن منظور في «الدرر الكامنة»: وجمع في اللغة كتاباً سمّاه «لسان العرب» جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة، جوّده ما شاء ورتبه ترتيب الصحاح، وهو كبير.

١٦٣٣ كلمة هامة للعلامة محيي الدين عبد الحميد حول حذف المجون من كتب الأقدمين:

يقول الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣١٨ ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٧٣م) في مقدمة تحقيقه لـ«يتيمة الدهر»: وفي الكتاب مجون كثير؛ كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجَّاج وغيرهم.

وقد تردَّدنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر؛ فنحذف هذا المجون، ولو من بعض نسخ الكتاب، ولكنّا لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون كما يفعل بعض الناشرين تحرُّجاً منهم وتأثماً ـ زعموا! ـ وحرصاً على مكارم الأخلاق ـ ظنُّوا! ـ؛ لأنّا لا نؤلِّف كتاباً نختار فيه ما نشاء وندع ما نشاء، وإنما نحقِّق نصًّا قيَّده صاحبه، في زمن كان الناس فيه أكثر تحرُّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه.

... والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين، الذين يفسدون كتب الناس؛ تحرُّجاً من المجون، ولا حرصاً على مكارم الأخلاق.

ولأنَّ الغرض من نشر هذا الكتاب، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقه، والصبر على الكثير مما يغري بعضه بالانصراف إنما هو أن ندلَّ قرَّاء الأدب العربي على الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلُّهم على ما يتوجَّهون إليه من مناحي البحث، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب؛ لكُنَّا قد أضعنا هذه الغاية، ولكُنَّا كمن يجهز جنديًّا للقتال، فيضع في يده سيفاً من الخشب، ويقعده على صهوة جواد من قصب.

هذا ومؤلِّف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض

الناس، ويُصرُّ مع ذلك على أن يذكر المجون، ويعتذر عنه، فأيّ معذرة لمن يقدم على نشر كتابه، وقد حذف منه هذا النوع من الكلام. اهـ.

• وانظر للفائدة كلام ابن قتيبة الدينوري في مقدمة كتابه «عيون الأخبار».

١٦٣٤ كتاب للحافظ الذهبي فات د. بشار ذكره في كتابه الموسوعي عنه:

قالت **حسناء نجار** في كتابها «الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث» (ط. المكتبة العصرية ـ بيروت): اعتنى بالمختارة الحافظ الذهبي فانتقى منه كتاباً في جزأين سمّاه «المنتقى من المختارة»، سمعه الحافظ ابن حجر، وذكره في كتابه «المجمع المؤسس».

وقالت في الحاشية: وقد رجعتُ إلى كتاب الدكتور بشار معروف «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» لعلِّي أقف له على ذكر، فوجدتُ أنه فات المصنف ذكره رغم أنه ذكر ما يزيد عن أربعة عشر ومئتي مصنف للذهبي. اهـ.

كتاب آخر فات د. بشار: قال البيروتي: راسلني شيخي **إبراهيم الهاشمي الأمير** بالتالي: اتصل بي صديقنا المؤرخ المحقق **عبد العزيز أبو رحلة الجزائري** محقق كتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» وكتاب «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» للحافظ تقي الدين الفاسي، وأخبرني بأن الحافظ الفاسي ذكر في كتابه «شفاء الغرام» بأنه وقف على كتاب: «تاريخ مدة آدم وبنيه» للذهبي بخطه. اهـ.

١٦٣٥ كتاب عجيب لن ينتظرك طويلاً لتقراه؛ لأن حبره سيختفي!

تُعد الكتب من أكثر الأصدقاء صبراً، فقد تشتري كتباً ثم تظل متروكة على الأرفف بانتظارك لتقرر أن تقرأها أخيراً بعد مرور شهر أو اثنين أو حتى أكثر من ذلك، ولكن في الوقت الذي تكون فيه الكتب صبورة إلى هذا الحد، فإن مؤلفيها على العكس من ذلك على الإطلاق،

فإذا لم يقرأ أي شخص كتابهم الأول، سيفقدون الأمل في كتابة روايات تالية وسيصيبهم الإحباط. ولهذا السبب تحديداً ابتكرت دار نشر أرجنتينية طريقة جديدة لتجنب ذلك المأزق، وهو إطلاق كتب استخدم في طباعتها حبر خاص يختفي بعد شهرين من فتح الكتاب للمرة الأولى.

اتخذت سلسلة الكتب المبتكرة اسم «El Libro que No Puede Esperar» أي الكتاب الذي لا يمكنه الانتظار. قامت بابتكار تلك الطريقة دار النشر الأرجنتينية Eterna Cadencia كطريقة مبتكرة للترويج لكتبها ولحث المشترين من محبّي القراءة على قراءة الكتاب في الحال وعدم تركه على الأرفف بانتظارهم ليفرغوا له ويبدأوا في قراءة محتواه.

تُباع الكتب ملفوفة بكيس من البلاستيك المغلق بإحكام، وبمجرد ما ينزع عنها المشتري الغلاف البلاستيكي، يظل محتوى الكتاب موجوداً طوال ٦٠ يوماً (أي شهرين)، ثم يبدأ الحبر في التلاشي والاختفاء، مما يجعلها طريقة رائعة لحث القراء على المسارعة بقراءة الكتاب قبل أن يجف حبره ويتلاشى وتذهب أمواله هباء.

١٦٣٦ هل عُرِف من ملوك المسلمين مَن ألّف كتاباً؟

قال د. **صلاح الدين المنجد** (١٩٢٠ ـ ٢٠١٠م) رَحِمَهُ اللَّهُ: قليلون من ملوك الإسلام ـ بعد الخلفاء الراشدين ومَن أدرك الرسول ﷺ ـ مَنْ كان عالماً؛ لأن المُلك صار بالوراثة لا بالعلم والجدارة، وقد عُرِف مِن الملوك مَنْ كان محبًّا للعلم، ومَن أحاط نفسه بالعلماء، وشجّعهم وأغدق عليهم، ومَن كان شاعراً، أو محبًّا للشعر والأدب، أمّا في التأليف فما أذكر ملكاً قطّ ألّف كتاباً ذا شأن، اللَّهُمَّ إلّا أحد ملوك الأندلس، وهو **المظفّر بن الأفطس بن الأفطس**، ملك بَطليوس. فقد ألّف كتاباً في فنون الأدب في مئة مجلّدة، ولم تشغله الحروب ولا إدارة المملكة عن الأدب والتأليف فيه.

ذكر ذلك **المقرّي**، ومِنَ المؤسف أنّ هذا الكتاب لم يصل إلينا.

وإلى جانب هؤلاء عُرِف أيضاً ملوك كثيرون كانوا بعيدين عن العلم، بل كان منهم مَن لا يتكلّم العربية ولا يفهمها. ومن باب الاستطراد أذكر أنّ **يوسف بن تاشفين** ملك المغرب كان من هؤلاء.

ذكروا أنّ **المعتمد بن عبّاد** ـ الملك الشاعر ـ طلب من شعراء زمانه أن يمدحوا يوسف بن تاشفين، وألَحَّ عليهم، ففعلوا. فلمّا أنشدوا مدائحهم أمامه (أي أمام ابن تاشفين) قال له المعتمد: أيعلم أمير المسلمين ما قالوه؟ قال: لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخبز!اهـ.

● قال أبو معاوية البيروتي: نقلتها من مجلة «الرسالة» اللبنانية، العدد ٢٧، ربيع الأول ١٣٩٩هـ/ شباط ١٩٧٩م، ويُضاف للسابق:

ـ أنّ بعض سلاطين الدولة الزيانية ألَّف الكتب؛ مثل السلطان **أبو حمّو موسى الثاني** الذي ألف «واسطة السلوك في سياسة الملوك»، وابنه السلطان **محمد أبو زيان الثاني** الذي ألف كتاب «الإرشاد في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة»، ونسخ بيده القرآن الكريم وصحيح البخاري. (نقلته من مقدمة تحقيق «تراجم فقهاء مالكية من خلال مخطوط الجامع الكبير للثعالبي/ت ٨٧٥هـ» (ط. ١٤٣٦هـ) لأمينة صاري).

ويُضاف أيضاً ـ للفائدة ـ الخليفة العباسي القادر بالله (ت٤٢٢هـ)، الذي قال الذهبي عنه في كتاب «العلو»: له معتقد مشهور، قُرِىء ببغداد بمشهد من علمائها وأئمتها وأنه قول أهل السُّنَّة والجماعة، وفيه أشياء حسنة؛ من ذلك: «وأنه خلق العرش لا لحاجة واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز، وكلام الله غير مخلوق أنزله على رسوله». توفي القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر في سنة إثنين وعشرين وأربع مئة وله سبع وثمانون سنة، وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر. اهـ.

قال **البيروتي**: ونصُّ الاعتقاد تجده كاملاً في «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» (أحداث سنة **٤٣٣**هـ).

وذكر **الذهبي** في ترجمة القادر بالله في «تاريخ الإسلام» كتابين آخرين للقادر؛ أحدهما (كتابٌ طويلٌ عمله القادر بالله، فيه أخبار ووفاة النَّبِيّ ﷺ، وفيه ردٌّ عَلَى من يَقُولُ بخلْق القرآن، وحكاية ما جرى بين عَبْد العزيز وبِشْر المَرِيسيّ، ثمّ ختمه بالوعظ والأمر بالمعروف والنَّهي عَن المنُكْر)، والآخر (في فضل أبي بكر وعمر، وسب من يَقُولُ بخلْق القرآن، وأُعيد فيه ما جرى بين عَبْد العزيز وبِشْر المَرِيسيّ). اهـ النقل من «الرسالة».

والأعجب أن الملك الإسباني «**ألفونسو العاشر**» كان عالماً بالعربية ومتقناً لآدابها، وألّف عدداً من الكتب بالعربية، وسعى إلى ترويج العربية إبان فترة حكمه، بل ألَّف كتاباً ضخماً في سيرة النبي محمد ﷺ، اطّلع عليه المفكر الألماني «مراد هوفمان» في متحف «ليدن» للتراث في هولندا، كما ألّف ألفونسو كتاباً آخر بالعربية في خواص الأحجار الكريمة، ويوجد هذا الكتاب في مكتبة الإسكوريال.

ذكر الفقرة الأخيرة صلاح الشهاوي في مقالته «سطوة اللغة العربية وتأثيرها في الشعوب الأخرى» في مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد **٥٤٧** (ربيع الأول **١٤٣٢**هـ/ شباط **٢٠١١**م).

١٦٣٧ من فوائد د. نجم عبد الرحمن خلف في علم تحقيق المخطوط:

هذه مختارات من ستين تغريدة انتقاها أخونا **عادل العوضي** من فوائد د. نجم عبد الرحمٰن خلف عندما حاضر في «علم تحقيق المخطوط» يوم (١٨/ ٣/ ٢٠١٤م) بمركز الأمير عبد المحسن بن جلوي بالشارقة، وأبقيتُ على أرقام منتقياته كما هي، قال د. نجم خلف حفظه الله:

٨ ـ عرض عليه سمسار بسوريا نسخة لأحد الأثرياء من كتاب «طبقات ابن أبي الدنيا» وهو كان بحكم المفقود، ولم يقف على نسخة أخرى له.

٩ ـ وتحسَّر جدًّا لأنه لم يستطع شراء هذه النسخة؛ لأن السمسار طلب ٢٥٠٠٠٠ دولار! ولكنه صَوَّر المقدمة والمنتصف والنهاية ليثبت أنها موجودة.

١٥ ـ «تفسير ابن أبي حاتم» و«مسند عبد بن حميد» أغلبه مفقود.

١٧ ـ الزركلي إنْ لم يذكر عن الكتاب أنّه مخطوط أو مطبوع، فهو في حكم المفقود.

١٨ ـ أغلب المخطوطات التي ذكرها الزركلي وقف عليها.

١٩ ـ الزركلي كونه كان سفيراً فوق العادة للملك فهد كانت تفتح له كل الجهات أبوابها، فجمع بين السياسة والعلم.

٣١ ـ أيام النظام السابق بالعراق صدر قرار بأنّ مَن لديه مخطوطة ولم يبلّغ عنها سيُسجن ٥ سنوات، وخلال شهور جمعوا ١٥٠٠٠٠ مخطوطة.

٣٢ ـ ومَن يريد بيعها للحكومة يمكنه ذلك، ومن أراد الاحتفاظ بها فله ذلك ويحتفظون ببيانات المخطوطة وعنوان صاحبها لديهم.

٣٤ ـ أرخبيل الملاوي به مخطوطات عديدة تقدر بـ٥٠٠٠ مخطوطة، وللأسف لا توجد أية دراسة شرقية أو غربية عنها.

٣٥ ـ حاجي خليفة كان يقف على أصل المخطوطات التي يذكرها، وذلك بحكم رصيد الدولة العثمانية من المخطوطات.

٣٩ ـ محمد فؤاد عبد الباقي له زوجتان؛ الأولى تبيع كتبه ومخطوطاته، والثانية لا تبيع.

٤٠ ـ الدكتور اشترى «السيرة النبوية» لمحمد فؤاد عبدالباقي بخط يده، وهي باللغة العربية والانجليزية والفرنسية.

٤٥ ـ تحسَّر كثيراً على ضياع كتاب «تاريخ نيسابور»، وهو في ١٠٠ مجلد، وكنز من كنوز أهل السُّنَّة.

٤٦ ـ وأنّ ضياعه ربما يعود لأسباب طائفية، كون الكتاب لا أثر له، وكان موجوداً بالقاهرة بدليل أن السخاوي نقل منه.

قال أبو معاوية البيروتي: قوله «وهو في ١٠٠ مجلد» مبالغ فيه، ولو قال «في ١٠٠ جزء» لكان أقرب، فقد قلتُ في كتابي «الجامع لترجمة أبي عبد الله الحاكم» (ص٨٤/ ط. البشائر): اختلفت الأقوال في عدد أجزاء «تاريخ نيسابور»، فذكر السخاوي والسيوطي أنه في ست مجلدات، وذكر السمعاني أنه في ثمان مجلدات، وذكر علي بن زيد البيهقي أنه في اثنَي عشر مجلداً.

١٦٣٨ هل يوجد كتاب «وفاة رسول اللّه ﷺ» للطبراني لكنه في عداد المفقود؟!

قال الحافظ **الدقاق** (ت٥١٦هـ) في «رسالته» (ص٢٦٠/ ط. المكتب الإسلامي ـ ١٤٣٥هـ):

عندي «وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً» في جزءٍ سمعته من الشيخ الإمام أبي القاسم عبد الرحمٰن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع صديقي أبي علي الدقاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مئة، سماعنا مكتوبٌ بخطِّه المبارك، بقراءته علينا، بروايته عن أبي بكر ابن أبي نصر الواعظ السُّنِّي، عن أبي القاسم الطبراني رحمهم الله.

أُحْرِق[1] هذا الجزء ببلخ. اهـ.

(١) قال المحقق معلِّقاً على كلمة (أحرق): رسمها يشبه هذا، ولستُ منها على ثلج.

قال د. **عبد الرحمٰن بن قائد** في تحقيقه لـ«رسالة الدقاق» (ص٢٦١/ حاشية ١/ ط. المكتب الإسلامي ـ ١٤٣٥هـ): لم يذكره (أي: جزء وفاة رسول الله) **أبو زكريا يحيى بن منده** ضمن مصنفات الطبراني في «الجزء» الذي أفرده لترجمته، ولا رأيته عند غيره.

قال أبو معاوية البيروتي: فمن يفيدنا بخبر هذا الجزء؟!

١٦٣٩ نقدُ المحقّقين لطبعات الطبيب عبد المعطي أمين قلعجي!!

قال الشيخ العلَّامة **حماد الأنصاري**: كل الكتب التي يطبعها القلعجي لا تصلح، لا بد أن يُعاد تحقيقها، وتُعاد طباعتها.

وقال أيضاً: سألت عن القلعجي الذي يحقِّق كتب العلم ـ لـمّا كنت بمصر ـ رجلاً ثقة، فقال لي: هذا رجل بيطري، ترك البيطرة، واشتغل بتحقيق كتب العلم ونشرها للتجارة وجمع المال، ويجمع الشباب والشابَّات المتبنطلات لهذا الغرض. انظر: «المجموع في ترجمة المحدِّث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري» (٢/ ٥٩٤ و٦٢٠).

وقال الدكتور **عبد الله عسيلان** في كتابه: «تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل» (ص٧٧): وقد ظهرت في ساحة التحقيق منذ أمد قريب شرذمة أقحمت نفسها في ميدانه. . .، وأقرب مثال على ذلك: ما خَرَج لنا من بعض كتب الحديث التي يزعم طبيب اسمه: عبد المعطي أمين قلعجي أنه تولَّى تحقيقها، وتربو في مجموعها على ستين جزءاً، وما تراه فيها من تحقيق ينم عن جهل بأصوله وأصول العلم الذي تدور في فَلَكه؛ بل يؤكد محمد عبد الله آل شاكر أن المذكور يستحل جهود الآخرين، ويسطو عليها، حيث يكلِّفهم بالعمل على تحقيقها بدعوى المشاركة، ثم يطبعها باسمه وحده، كما حدَّثه بذلك أحد أساتذة الأزهر ممن وقع في أحابيله، ويؤكد ذلك تقارب تاريخ صدور بعض هذه الكتب مع كثرة أجزائها، مثل كتاب «الثقات» للإمام العجلي، الذي صدر سنة

١٤٠٥هـ، وهو جزء واحد، وفي السَّنَة نفسها صدر كتاب «دلائل النبوة» للإمام البيهقي في ثمانية أجزاء، وصدر في عام ١٤١٢هـ كتاب «معرفة السُّنن والآثار» للبيهقي في خمسة عشر جزءاً، وبعد أقل من عامين، أي في عام ١٤١٤هـ يصدر كتاب «الاستذكار» لابن عبد البر، وهو كتاب ضخم يقع في ثلاثين جزءاً! فهل كان يحقِّق هذه الكتب في وقت واحد، أو أن هناك عدداً من الأشخاص يعملون خلف الكواليس...؟ وقد أخبرني الشيخ حماد بن محمد الأنصاري بأنه وقف في عمل مَن تولَّى إخراج هذه الكتب على طامات وعجائب من التصحيفات والتحريفات والأخطاء في التعليق والتخريج. اهـ.

وممّن قام بنقد أعماله: الدكتور **زهير بن ناصر الناصر** في كتابه: «القول المفيد في الذبِّ عن جامع المسانيد»، فقد عَقَد في كتابه هذا فصلاً كاملاً لبيان الأغلاط الواقعة في النشرة التي أخرجها الدكتور قلعجي لـ«جامع المسانيد والسُّنن»، وقد أجمل الدكتور هذه الأخطاء في عدَّة نقاط، ثم شرع في التفصيل، وإليكها مجملة:

(... ثم ذكر ١٥ نقطة)

وقال **عبد الله بن يوسف الجديع** ـ هداه الله ـ في تعليقه على «المقنع في علوم الحديث» لابن الملقِّن (٢/ ٦٥٧) تعليقاً على نشرة الدكتور قلعجي لـ «الضعفاء الكبير» للعقيلي: واعلم أنه وقع في هذه النشرة سقط وتحريف ليس بالقليل، فالله المستعان. اهـ كلام عسيلان.

وقال الأستاذ **مازن السرساوي** في تحقيقه لـ«علل ابن المديني» (ص٧ ـ ط. دار ابن الجوزي) عند الكلام على نشرات الكتاب السابقة: ثم تلاه (أي: الأعظمي) الطبيبُ عبد المعطي قلعجي، فأعاد نشر الكتاب، وليته ما أتعب نفسه؛ فإنه ما فعل شيئاً يُذكَر، بل مسخ الكتاب، ولم يحسن قراءة المخطوط، وبعد ذلك أخرجه عن موضوعه بهذه

الحواشي التي هي في وادٍ، والكتاب في وادٍ آخر، وهذا شأن الرجل في كل ما يطبعه أو يدعي أنه حقَّقه، والله يسامحه. اهـ.

وأما عن مبلغ علم الدكتور قلعجي بفن صناعة الحديث، فقد كفانا الجواب عن هذا الإمام **الألباني**، فقال في «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٥٢٩) بعد كلام له: وهكذا فليكن تحقيق الدكتور! وكم له في تعليقاته من مثل هذا وغيره من الأخطاء والأوهام التي تدل على مبلغه من العلم. والله المستعان.

وقال ـ أيضاً ـ في (٤/ ١٧): وإنما أوقع الدكتور في هذا الخطإ الفاحش: افتئاته على هذا العلم، وظنه أنه يستطيع أن يخوض فيه تصحيحاً وتضعيفاً بمجرد أنه نال شهادة الدكتوراه.

وقال ـ أيضاً ـ في (٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧): ومثل هذا التخريج وغيره يدل دلالة واضحة على أن الدكتور ليس أهلاً للتخريج؛ بله التحقيق.

وقال ـ أيضاً ـ في (٧/ ٢٣): وأما الدكتور القلعجي الجريء على تصحيح الأحاديث الضعيفة، وتضعيف الأحاديث الصحيحة، بجهل بالغ، وقلة خوف من الله عز وجل، فقد أورد هذا الحديث... إلخ.

• نقله عبد الله الحمراني من مقدمة المحقق الشيخ إمام بن علي لـ«مسند الفاروق» لابن كثير، ط. دار الفلاح.

١٦٤٠ غيرة النساء الشديدة ـ قديماً وحديثاً ـ من الكتب (الضرائر)!!

يتفهّم الرجل أن تغار زوجته من امرأة أخرى يتزوّجها عليها، فهذا من طبيعتها حيث لا تريد أن تشاركها أي امرأة مع زوجها، والمثل يقول «الضُرّة مُرّة»، لكن العجيب أن تتعدّى غيرتها إلى كتب زوجها! بحجّة أنه ينشغل عن زوجته بمطالعة الكتب وإدمان النظر فيها.

قال الحافظ **ابن عبد الهادي** (ت٩٠٩هـ) في «الجوهر المنضد في ذكر متأخري أصحاب أحمد» (ص٥٢/ ط. العبيكان): حدثنا شيخُنا

شهاب بن زيد: أنّ زوجة ابن رجب **الحنبلي** مرّة دخلت الحمّام وتزيّنت، ثم جاءته فلم يلتفت إليها (لأنّه كان مشغولاً بالعلم، وذُكِر سابقاً في ترجمته أنّه ليس له شغلٌ إلّا الاشتغال بالعلم)، فقالت: ما يريد الواحد منكم إلا من يتركه مثل الكلب! وقامت وخَلّته!

وقال **الزبير ابن بكار** (ت٢٥٦هـ): قالت بنت أختي لأهلي: خالي خير رجل لأهله، لا يتخذ ضرّة ولا يشتهي جارية. قال: فقالت المرأة: واللهِ هذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر!! (رواها **الخطيبُ** في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»).

وقال أبو القاسم عبيد الله بن عمر البقال: تزوّج **شيخنا أبو عبد الله ابن المحرّم** وقال لي: لَمّا حُملَت إليّ المرأة جلستُ في بعض الأيّام أكتب شيئاً على العادة والمحبرة بين يديّ، فجاءت أمّها فأخذت المحبرة فضربت بها الأرض فكسرتها، فقلت لها في ذلك، فقالت: هذه شرّ على ابنتي من ثلاث مئة ضرّة!! (رواها **ابن الجوزي** في «أخبار الظراف والمتماجنين»).

وذكر ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» أنَّ الأمير المصري **محمود الدولة المبشر بن فاتك** كان محبًّا لتحصيل العلوم، وكانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة، ويرى أن ذلك أهم ما عنده، وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة، فلمّا توفي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نهضت هي وجوار معها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها من الكتب، وأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تندبه، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها، ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها.

وحتى في عصرنا الحاضر كان النساء يغرن من كتب أزواجهن، فقد

حدَّث أبو ليلى الأثري أن إحدى زوجات العلّامة **الألباني** كانت ساخطة جدًّا من شدّة انهماكه في دراسته رَحِمَهُ اللهُ، ولم تكن لتقبل أن يكون حظّه منها أقلّ من حظِّ كتبه منه، بيتُ القصيد أنّها في يوم من أيّام مِن عصبيّتها حملت ما يشبه الصّحنَ المقعَّر؛ كان الشَّيخُ قد ملأه بالحبر الذي يستعمله للكتابة، فعمدت إلى بعض كتبه ودفاتره فألقت عليها جميع ذلك!! فعلت ذلك وهي غاضبةٌ غيرُ متأسِّفة على ما صنعت، لتنتقم من ضرائرها المتوزِّعة في جميع أركان البيت... كان الشيخ صابراً معها جدًّا رَحِمَهُ اللهُ، ويعزو ذلك إلى الغيرة المفرطة التي تستولي على قلوب النساء إذا رأين الزّوج اشتغل بغيرهنّ، ولو كان ذلك كتباً وأوراقاً!!

وقال الشيخ **علي الطنطاوي** في «من حديث النفس» (ص٢٧٠): ... لكن (مجلة) الرسالة كانت رفيقي الدائم، أذكر كل عدد منها وكل مقالة نُشِرَت فيها وكل مناقشة وكل بحث، ولقد قالت لي زوجتي أول ما قدمت عليَّ: إنني لا ضرّة لي، ولكن هذه «الرسالة» ضرّتي! ثم رأت ـ وهي من أعقل النساء وأفضلهن ـ أنها ضرّة لا تضر ولا تؤذي.

١٦٤١ حافظة الإمام ابن الحداد وإحراق كتب المدرسة النظامية:

جاء في كتاب خط عندنا للشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المتوفى في سنة **٩٧٣**هـ (١٥٦٥م) يذكر فيه المنن والنعم التي جاد بها الله عليه ما هذا نصّه: «نقل في الطبقات أن الإمام ابن الحداد لما أُحْرِقَت كتب العلم التي في «المدرسة النظامية» ببغداد، وندم على ذلك واقفها نظام الملك، قالوا له: لا تخف فإنّ الإمام ابن الحداد يملي جميع ما أُحْرِقت من حفظه. فأرسلوا وراءه فأملى جميع ما حُرِقَت في مدة سنين ما بين تفسير وحديث وأصول وفقه ونحو وغير ذاك». وفي هذا الكلام فائدتان؛ الأولى: احتراق كتب المدرسة النظامية في أيام حياة واقفها،

والثانية: حافظة ابن الحداد الهائلة التي لم يسمع بمثلها في سائر الديار.

● نقلتُه من مجلة «لغة العرب العراقية»، العدد ١٨.

١٦٤٢ قصة قديمة.. وقصة عصريّة.. تدميان قلب كل عاشق كتب!!

القصة القديمة: الشيخ الحافظ **أبو محمد عبد الله بن خلف بن رافع بن ريس بن عبد الله المسكي** المعروف **بابن بصيلة**، ترجم له **الحافظ المنذري** (ت٦٥٦هـ) في «التكملة لوفيات النقلة»، وقال: في الثالث والعشرين من جمادى الأول سنة ثمان وتسعين وخمس مئة توفي، مولده في السابع عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة... كتب كثيراً، وحدَّث، رأيته ولم يتفق لي السَّماع منه، وكان حافظاً محصِّلاً عالماً بالتواريخ والوفيات، وجمع مجاميع مفيدة، رأيت له أجزاء من «**الدر المنظم في فضل من سكن المقطم**» أحسن فيه ما شاء وجعله على الطبقات، مع أنه لا يصنف على الطبقات إلا الواثق بحفظه، فإن الغلط فيها يكثر بأن يقصر برجل عن درجته أو يرفعه فوق درجته. وشرع في «**تاريخ مصر**» وخرج منه أشياء وعجز عن إكماله لضيق ذات يده!

وبُصَيلة: بضم الباء الموحدة وفتح الصاد المهملة، تصغير بصلة.

والمسكي: نسبة إلى مسكة قرية بالساحل قريبة من عسقلان. اهـ.

أما **المأساة** فذكرها **ياقوت** (ت٦٢٦هـ) في «معجم البلدان» (٥/ ١٢٨) فقال في ترجمته: كان يحفظ، وجمع تاريخاً لمصر أجاد فيه، ومات وهو في مسوداته، قد عجز أن يبيِّضها لفقره، فبِيعَ على العطَّارين لصر الحوائج! كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة يشتريه فيبيِّضه، وبالله المستعان. اهـ.

والقصة أفادها الأخ أبو المظفر السناري في كتابه «أحلى حكايات كهف الغرائب ومغارة العجائب» وعنون لها: الإمام الحافظ أبو محمد

المسكي لفقره وحاجته يُباع كتابه «تاريخ مصر» للعطّارين يجعلونه قراطيس يبيعون فيها التوابل والأعشاب للناس!!

أما القصة العصريّة: فحدّثني الأستاذ جمال عُبَيدة في مكتبة «مركز جماعة عباد الرحمٰن» ـ وهو أحد تجار الكتب الثقات ـ أنَّ أحد مشايخ لبنان قديماً توفي (وسمّاه لي)، فذهب يعزّي عائلته به، فسأل عن مصير مكتبته ـ وفيها آلاف الكتب ـ فقال أولاده أن والدهم أوصاهم أن يتلفوها كلها!!

فتفاجأ الأستاذ جمال وأراد إنقاذ المكتبة وما فيها من نفائس مِن التلف فعرض عليهم مبلغ (١٢ ألف دولار) ليشتري المكتبة وما حوت، ولكنهم رفضوا وأصروا على تنفيذ (وصية) والدهم!

فلم ييأس وذهب إلى معمل عجن الكتب وعرض عليه مبلغ (خمسة آلاف دولار) ليدعه يأخذ المكتبة من عنده قبل عجنها وتلفها! لكنه رفض لأن أولاد الشيخ أصروا على إتلافها!! وذهبت المكتبة... وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

- كتبته يوم الثلاثاء ٢٤ صفر ١٤٣٦، الموافق ١٦/ ١٢/ ٢٠١٤م.

١٦٤٣ تعريفٌ بالكتاب المفقود «الفنون» لابن عقيل الذي يربو على مئة مجلد!

ابن عقيل الحنبلي هو علي بن عقيل بن أحمد البغدادي، أبو الوفاء المعروف بابن عقيل، عالم العراق شيخ الحنابلة ببغداد في وقته، ولد سنة ٤٣١هـ، وله عدة تصانيف أعظمها كتاب «الفنون»، وهو يزيد على أربع مئة مجلد، قال الذهبي: ما صُنِّف في الدنيا أكبر من كتاب الفنون، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٥١٣هـ.

أما كتابه «الفنون»، فقال عنه **الذهبي** في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٥): «... وعلّق كتاب «الفنون»، وهو أزيد من أربع مئة مجلد،

حشد فيه كلَّ ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث».

وقال **ابن رجب** في «ذيل طبقات الحنابلة»: أكبر تصانيفه: كتاب «الفنون» وهو كتاب كبير جدًّا، فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ، والتفسير، والفقه، والأصلين، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والحكايات. وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره قَيَّدَها فيه.

وقال ابن الجوزي: وهذا الكتاب مئتا مجلد. وقع لي منه نحو من مئة وخمسين مجلدة. (قال أبو معاوية البيروتي: نقل ابن قيِّم الجوزية في «بدائع الفوائد» من كتاب «منتخب الفنون» لابن الجوزي).

وقال **عبد الرزاق الرسعني** في «تفسيره»: قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعتُ الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول: وقفتُ على السَّفر الرابع بعد الثلاث مئة من كتاب الفنون.

وقال الحافظ **الذهبي** في «تاريخه»: لم يُصنَّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مئة.

قلتُ: وأخبرني أبو حفص عمر بن علي القزويني ببغداد، قال: سمعتُ بعض مشايخنا يقول: هو ثمان مئة مجلدة. اهـ.

قال ياسر الثميري: سأل أحد الإخوة د. بشار عواد معروف ـ أثناء رحلته للسعودية ـ عن خبر وجود نسخة مخطوطة لكتاب «الفنون» لابن عقيل؟

فقال د. بشار: أنا وقفتُ على فهارس «الفنون» قديماً، وجدتُ في مكتبة في تونس نسخة لكتاب «تهذيب الكمال» من ترجمة أحمد بن صالح المصري، وفي آخر النسخة فهرس لكتاب «الفنون» ١٥٠ صفحة ولم أسجل رقمها ولم أهتم بها لأني كنت مستعجلاً، ولم أتوقع أنها فهرس

«الفنون» إلا وأنا في الطائرة خطرت في بالي لكبر الفهرس مما يدل على كبر المؤلَّف، ولأنّ ابن عقيل يصنِّف كتابه الى فنون: الفن الرابع/الفن العاشر/وهكذا، ولو رجع شخص للمكتبة الوطنية في تونس وبحث في كتب التراجم في الكتب التي لم تصنَّف ولم تسَمَّ قد يجدها.

وأما ما قيل أنه وجد كتاب ابن عقيل فلا أعتقد أنه صحيح، وهو ٤٠٠ مجلد، ولو وُجِدَ لا يخفى، وقد طُبِعَ في فرنسا قطعة منه في جزئين صغيرين.

قال الشيخ فايز العريني: يا دكتور... فقدُ الفنون قديم.. ذكره الذهبي ولم يوجد.

قال د. بشار: هذا صحيح، قال الذهبي: رأيت من المجلد السبعين بعد الثلاث مئة؛ لبيان ضخامته (قال البيروتي: انظر ـ للفائدة ـ الفقرة التالية).

وابن عقيل كان فلتة، لكنه اضطُهِد بسبب تنوعه العلمي ومخالفته علماء عصره، وهكذا كلّ من يخالف المألوف يُضطهَد، أما الذين يجاملون على حساب العلم أمورهم ماشية.

فائدة عن مطبوعة «الفنون»:

قال المعلّق على «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢/ حاشية): طُبِعَ منه مجلد، وتولى تحقيقه من ليس بأهل لأنْ يتولّاه، فوقع له فيه أغاليط وتحريفات كثيرة مدونة في مجلة «المجمع» بدمشق. اهـ.

١٦٤٤ مفهوم (المجلد) عند السلف:

قال الأخ عبد الله العتيبي: كثيراً ما يطلق المؤرخون عبارات يصفون فيها أحجام مصنفات العلماء كقولهم مثلاً في «الفنون» لابن عقيل: (في مئة مجلد)، وقد يتعاظمه جدًّا من لا يعرف مقصد القدامى

في (المجلد)، وكقولهم: صَنَّف فلان أكثر من (ألف) مجلد ونحو ذلك.

وإليكم هذه الفائدة التي وقفتُ عليها:

قال العلامة المحقق **عبد السلام هارون** في كتابه «تحقيق النصوص» (ص٢٤): «ومما يعنينا تسجيله أيضاً ما ذُكِرَ في تقدير (المجلد) قديماً. جاء في ترجمة يحيى بن المبارك اليزيدي عند ابن خلكان (الوفيات): (٢/ ٢٣٠) عن أبي حمدون الطبيب قال: شهدت ابن أبي العتاهية وقد كتب عن أبي محمد اليزيدي قريباً من ألف مجلد عن أبي عمرو بن العلاء خاصة، فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة؛ لأن تقدير المجلد عشر ورقات.

فكأن المجلد أُطْلِق قديماً على ما يسمى بالكرّاسة التي هي إلى وقتنا هذا تقدر بعشر ورقات). اهـ.

وكتب أبو عمر السمرقندي: **(المجلد زمن الذهبي)**:

قال **الذهبي** في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٩٣ ـ ١٩٦): «ولابن حزم مصنفات جليلة... وكتاب المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار ثماني مجلدات، كتاب حجة الوداع مئة وعشرون ورقة... كتاب الإجماع مجيليد... كتاب الإحكام لأصول الأحكام مجلدان، كتاب الفصل في الملل والنحل مجلدان كبيران». انتهى باختصار.

قال أبو عمر: لعلَّ ما ذكره الذهبي في حجم مصنفات ابن حزم له دلالةً على كون المجلَّد كان في زمانه قريباً مما هو في زمامنا. اهـ.

١٦٤٥ من مميزات كتاب البقاعي «سر الروح» الذي أصله «الروح» لابن القيّم:

ذكر **إبراهيم بن عمر البقاعي** (ت٨٨٥هـ) منهجه في المقدمة فقال: إني كاتب إن شاء الله تعالى في هذه الأوراق المقصود بالحقيقة من كتاب «الروح» للإمام العلامة شمس الدين محمد ابن قيّم الجوزية، الدمشقي

الحنبلي، سقى الله ثراه، ورحم منقلبه ومثواه، وذلك هو الصحيح من الأقوال في كل مسألة بأقوى أدلتها، وربّما زدتُ شيئاً فميّزتُه غالباً بـ(قلتُ)، والله أعلم، ورتبته أحسن من ترتيبه، وبالغتُ جهدي في تهذيبه، وكنتُ ظننتُ أنه يكون بعد الزيادة والتحرير في نحو ثلثه، والثلث كثير، فجاء في نصفه فائقاً في رصفه ووصفه، ولم أخلُ بشيءٍ من مختاره، ولا حذفتُ صحيحاً من أحاديثه وأخباره، وسمّيته «سرّ الروح». . . اهـ.

وذكر **البقاعي** السبب الذي حمله على تهذيب واختصار كتاب «الروح»، فقال خاتماً كتابه: وكان الحامل لي على تهذيبه واختصاره وترتيبه مَن استشهد لي من الأموات في طاعون سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة بالقاهرة المعزية. اهـ. وقد طُبعَ «سر الروح» عام **١٣٢٦**هـ/**١٩٠٨**م بمطبعة السعادة بالقاهرة. . . عن نسخة عليها خط المؤلف.

ـ ومن مميّزات كتابه أنّه تعقب ابن القيّم في مسائل حديثية؛ كمثل ردِّه عليه تصحيحه لحديث في «مستدرك الحاكم» قائلاً: كيف يكون صحيحاً، والربيع له أوهام، وأبو العالية كثير الإرسال، وقد روى بصيغة عن؟!

ـ ومنها مراجعته للروايات التي أوردها ابن القيم، فيقول عند تخريج ابن القيم لحديث «**تُعاد الروح إلى الميت**» ذكر فيه أن أبا داود الطيالسي رواه ـ ضمن عدة ـ: والذي رأيته عند أبي داود من غير طريق حماد. . . ثم ذكر البقاعي طريق الطيالسي.

وعند قول ابن القيم: «وصحّ عنه ﷺ أنه قال: **إن الله وكّل بقبري ملائكة يبلّغوني عن أمّتي السلام**»، قال البقاعي: لم أره أيضاً، وإنما الذي رأيت في أبي داود والنسائي عن ابن مسعود رفعه: «**إن لله ملائكة سيّاحين يبلّغوني عن أمتي السلام**»، ورواه الصابوني في كتاب «المآثر»

وقال: «**ملائكة سياحين في الأرض**»، وقال: هذا حديث غريب الإسناد والمتن، فالله أعلم.

- ونقل بعض أحكام شيخه الحافظ **ابن حجر العسقلاني** على الأحاديث، أكثرها من «تخريجه لأحاديث الرافعي»، ومن غيره.

- ونقل البقاعي فوائد من كتب لم ينقل منها ابن القيم، مثل «تاريخ المدينة» لابن زبالة (توفي قبل المئتين)، وكتابَي «المئتين» و«المآثر» للصابوني (ت٤٤٩هـ)، و«تفسير البغوي»، و«مختصر سنن أبي داود» للمنذري، و«منسك» النووي، وكتاب «تاريخ المدينة» لابن الحسين المراغي (٧٢٧ ـ ٨١٦هـ).

- وتوسع المؤلف في مناقشة بعض القضايا وإيراد أدلة أخرى عليها لم يذكرها ابن القيم.

- وختاماً، حَلَّى البقاعي كتابه ببعضِ ما عاينه في حياته ممّا يتعلّق بموضوع الروح؛ كذكره لمرضٍ أصابه في صغره وكيف عُولِج منه، وذكر قصة غريبة طويلة حدثت في زمانه عن اجتماع الأرواح، وتحدّث عن سماعه مرتين للكلام من القبور! وسماعه لعدّة هواتف، وغيرها.

١٦٤٦ «رحلتي إلى نجد» للعلامة الألباني:

قال الشيخ **زهير الشاويش** (١٣٤٤ ـ ١٤٣٤هـ/ ١٩٢٥ ـ ٢٠١٣م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقالة له منشورة في مجلة «الفرقان» العدد (١١٥/ ص١٩) بعنوان: «نقاط يسيرة من سيرة عطرة للشيخ الألباني مع الحديث النبوي الشريف» بعد كلام:

«وحتى في الإعداد للجهاد في فلسطين، وقد أعدّ الشيخ ناصر نفسه لمقاومة الاستيطان الصهيوني، وكاد أن يصل إلى فلسطين، لولا المنع الحكومي للمجاهدين». اهـ.

نقل السابق الشيخ مشهور **سلمان** في «السلفيون وقضية فلسطين»، ثم قال: وصل الشيخ فلسطين سنة ١٩٤٨م، وصلّى في المسجد الأقصى، ورجع مرشداً دينيًّا للجيش السعودي (بطلب من فهد المارك (١٩١٠ - ١٩٧٨م)) بعدما سمّوه بالنكسة، وقد تاهوا في الطريق، وله في تفصيل ذلك كتاب ماتع محفوظ، اسمه «رحلتي إلى نجد». وأخبرني الأخ نظام سكجها - حفظه الله - أن إحدى بناته (حفيدة الشيخ)، انشغلت بنسخه عن أصول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ولعله يظهر قريباً، يسر الله ذلك بمنه وكرمه. اهـ.

قال البيروتي: كتب الشيخ مشهور مقدمة كتابه في ٤/ شعبان/ ١٤٢٢هـ، ومرّ حتى الآن أكثر من خمسة عشر عاماً ولم تظهر رحلة الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ! وقد ذكر الألباني رحلته في أحد أشرطة «سلسلة الهدى والنور» ولقائه بفهد المارك الذي كان قائد الجيش الفوج السعودي.

١٦٤٧ نقد تحقيق عزيز الله العطاردي لكتاب «التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين»:

قال د. **محمد عبد الرحيم**: «التدوين» مطبوعٌ في أربعة مجلدات، بتحقيق عزيز الله العطاردي، ولم يعتنِ هذا المحقق بضبط النص وحسن الإخراج، بل حَرَّف الكتاب؛ فكان يفصل بين رجال السند بما يوهم أنّ المؤلف ابتدأ ترجمة جديدة. وقد بَثَّ في ثنايا التحقيق سمومه من الطعن في الصحابة الكرام والتشكيك في الأحاديث الصحيحة لأنها تخالف مذهبه، وكثيراً ما يُحيل في حواشيه فيقول: (راجع التعليقات). ويبدو أنه خَصَّص جزءاً ملحقاً بهذا الكتاب لتعاليقه الفاسدة، وهذا الجزء لم يصل إلينا، والكتاب يوجد منه خمس نُسَخ خطية وقفتُ عليها في مكتبات (لاله لي) و(السليمانية) و(وهبي أفندي) بتركيا، ومكتبة البلدية بالإسكندرية، ومكتبة الناصرية في لكنهو بالهند. وهو بحاجة إلى إعادة تحقيق.

- **كتبه د. محمد عبد الرحيم بن الشيخ محمد علي سلطان العلماء في حاشية**

(ص٣٧) من تحقيق لترجمة الإمام أبي القاسم الرافعي لابن رافع السلامي، دار الفتح، ونقله أخونا عادل العوضي حفظه الله.

وقال العلامة **الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الكتاب في «السلسلة الضعيفة» (١٤/ ١٠٧٥): هو من أسوأ المطبوعات وأكثرها تحريفاً وتصحيفاً؛ لأن القائم على (طبعها) رجل شيعي رافضي جاهل، والله المستعان.

١٦٤٨ متى بدأ الحافظ ابن كثير في كتابة تفسيره، ومتى انتهى منه؟

قال **سامي السلامة** في مقدمة تحقيقه للتفسير (١/ ١٨): **تاريخ كتابته:**

لم يحدد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تاريخ بدايته في كتابة هذا التفسير ولا تاريخ انتهائه منه، لكن ثمة دلائل تدل على تاريخ انتهائه منه، فإنه ذكر عند تفسير سورة الأنبياء شيخه المزي ودعا له بطول العمر مما يفهم منه أنه قد ألَّف أكثر من نصف التفسير في حياة شيخه المزي المتوفى سنة (٧٤٢هـ).

واقتبس منه الإمام الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ١٨٠) والزيلعي توفي سنة (٧٦٢هـ)، مما يدل على أن كتاب الحافظ ابن كثير انتشر في هذه الفترة.

هذا وتعتبر النسخة المكية أقدم النسخ التي وقعت بأيدينا، وقد جاء بآخرها: «آخر كتاب فضائل القرآن وبه تم التفسير للحافظ العلامة الرحلة الجهبذ مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن أحمد بن معمر المقري البغدادي، عفا الله عنه ونفعه بالعلم، ووفقه للعمل به آمين. . . . بتاريخه يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين وسبع مئة هلالية هجرية». اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: تحدث الحافظ في تفسيره لسورة النساء عن إعادة بناء المنارة في دمشق التي قد ينزل عليها المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر

الزمان، فقال: وقد بُنِيَت في هذه الأعصار، في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة منارة للجامع الأمَويّ بيضاء. اهـ.

وجاء في إحدى حواشي مخطوطة تفسير ابن كثير (ط. أولاد الشيخ: ٣/ ١٢١) في تفسير الآية المئة من سورة الأنعام: «من هذه الآية ابتدأ (أي ابن كثير) بتعليق هذا التفسير إلى آخر القرآن الكريم، ثم فسَّر من سورة البقرة إلى هاهنا، ووافق آخر التعليق يوم الجمعة رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة، فكتب الجميع في نحو أربع سنين). اهـ.

١٦٤٩ من فوائد وتعليقات الشيخ مشهور سلمان على خبر حرق المخطوطات بالموصل:

١ ـ العراق ـ في الجملة ـ من أغنى كتب الدنيا بالمخطوطات.

٢ ـ لا أظن أن المخطوطات تُحرَق، بل تُنهَب ثم يُحرَق مكانها . . . لعلّها يُسكَت عنها عقودٌ طويلة، ولعله بعد مئات السنين يظهر أنها من مقتنيات مدينة كذا أو بلدة كذا، الله أعلم، في نيويورك أو في بعض البلاد تظهر!

٣ ـ من أنفس مكتبات ليبيا: مكتبة قار يونس ببنغازي.

٤ ـ خمسٌ وعشرون سنة في المكتبة العبرية يفهرسون المخطوطات التي فيها، وكشفوا من قريب أن المصاحف الخاصة بخلفاء بني العباس ـ التي كان مستقرها بغداد ـ أصبحت عندهم في أورشليم، وقالوا في الاحتلال الأمريكي للعراق: حُرِقَت المخطوطات!

٥ ـ مالي من أغنى دول أفريقيا بالمخطوطات وأكثرها نفاسة، لأنه ثبت أن جمعاً ممَّن خرجوا من الأندلس ـ في العصور الأولى لمّا نصّروا أهلها ـ ذهبوا لمالي، وخرجوا ومعهم مخطوطات مغربية نفيسة، ثم سُلِبَت المخطوطات عُنوة من مالي ووُضِعَت في صناديق وأُرسِلَت لفرنسا.

٦ ـ أنا العبد الضعيف أقتني فهارس مخطوطات مكتبة صنعاء، ولا

سيما مكتبة المسجد الغربي بصنعاء، منذ عشرين سنة والقائم على هذه المخطوطات وزارة الخارجية الإيرانية! هي التي تُخَطط لليمن ومخطوطات اليمن، مَن كان يحلم قبل عشرين سنة أن تكون اليمن تحت سلطة إيران؟!

٧ ـ المخطوطات، حفظُها ونشرها ـ ولا سيما عبر الوسائل الحديثة ـ واجبٌ كفائي على أثرياء الأمة، ومن يجد سلطة على حفظ تراث الأمة يجب عليه أن يبذلها، ومن لم يستطع فالأمّة كلّها آثمة!

٨ ـ حدثني العلامة فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ ـ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ، يقول: كنتُ في هولندا ـ وأنا أعلم أن مخطوطتين في ليدن ـ وهي من أشهر المكتبات ـ، فقلتُ: يوجد مخطوطتان بخطّ جدّي محمد بن عبد الوهاب عندكم، يمكن أن أعرف كيف وصلتكما؟! قالوا: الأمر سهل. وأحضروا المخطوطتين، ونظروا في أرقام المخطوطتين، وأخرجوا لي صكّ بيعٍ. قال: القائم على مكتبة الحرم المدني سنة ألف وثمان مئة وكذا ـ بالميلادي ـ جاءنا وباعنا المخطوطتين!

قال الشيخ صالح: فأردتُ أن أفتح المخطوط، فقالوا لي: لا. فأتوا بالملاقط ورتّبوا فتح المخطوط بالملاقط. ليس أي واحد يفتح المخطوط بأي طريقة! فالله شاء أن تكون المخطوطات عندهم ليحفظوها لنا!

٩ ـ الآن المخطوطة التي في أوروبا أقرب إليَّ من المخطوطة في الجامعة الأردنية! . . . والطرق التي أستطيع أن أُحَصِّل فيها المصوّرات بألمانيا أسهل بكثير من تحصيلها من الجامعة الأردنية! فشاءت أن تكون المخطوطات عندهم لحكمة الله عز وجل يعلمها.

١٠ ـ زُرت مكتبة ليدن في هولندا أنا وفضيلة أخينا الشيخ علي الحلبي، والتقينا مع شاب هولندي مصري يتكلم اللهجة المصرية، لم أستصغر نفسي أمام أحد في الكلام عن المخطوطات إلا أمام ثلة قليلة، وكان هذا واحداً منها، يعرف كل مخطوط وشجرة النسب التي لها!

● قال أبو معاوية البيروتي: فرّغتُها من مقطعٍ مرئي للشيخ مشهور حفظه الله.

١٦٥٠ كنّاشة مفتي بيروت عبد الباسط الفاخوري، «مؤنس الجليس في أنفس نفيس»

تولّى الشيخ عبد الباسط بن علي آل فاخوري منصب الإفتاء لولاية بيروت من رجب سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) حتى وفاته عصر يوم الجمعة ٢ صفر ١٣٢٣هـ (٧ نيسان ١٩٠٥م)، وهو من مواليد سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م)، وله مخطوط بعنوان «مؤنس الجليس في أنفس نفيس»، قال فيه:

«إني كنتُ في مبادي العمر والطلب اشتغالي بفنون صنوف العلم ومجالسة أهل الأدب، قد اتخذتُ كعادة أبناء جنسي سفينة وأوراقاً وجموعاً، وكنتُ بشحنها من الفوائد والمطالب العالية ولوعاً، من بحثٍ علميٍّ دقيق، ومجلسِ أدبِ رقيق، ومعنىً مبتكر وشعرٍ أغر، ونكتة فائقة وفائدة نافعة، بيد أني ما شعرت من الشباب إلا بنفوده، ومن العمر إلا بصرف بعض نقوده، وقد تعذّر عن حصر هذه الأوراق الحد، وضاق عن نظم لآليها سلك العقد، فتخوّفتُ بتداول الأيام بين الناس، وانقطاع موصول الوحشة وحذف الإيناس، من استواء هذه الأوراق والسفينة على جودي الضياع، وإيقاع المجموع والفوائد في زوايا الإهمال وخزائن الانقطاع، فجمعتها الآن في زبورٍ واحد ولم أرتبها على أبواب من الفوائد، تفكّهاً للمُطالِع وارتياحاً للسامع...».

● نقله المحامي والمؤرخ عبد اللطيف فاخوري في مقالٍ له في جريدة «اللواء» بتاريخ الأربعاء ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ/ ٧ آذار ٢٠١٢م.

١٦٥١ انتشار الصحف في بيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر:

قالت إيمان المناصفي في مقدمة كتابها «الشيخ عبد القادر قباني وجريدة ثمرات الفنون» (ص٢٤/ ط. دار العلم للملايين): أما انتعاش الحركة الفكرية، فكان بعد خروج العساكر الفرنسية من بيروت التي دخلوها بعد سنة ١٨٦٠م لتهدئة الأوضاع إثر المذابح التي جرت في

سوريا، وكثرت بعد ذلك في بيروت الصحف ذات الاتجاه السياسي والعلمي:

١ ـ ففي سنة ١٨٧٠م صدرت «الزهرة» ليوسف الشلفون، وتتضمن فصولاً تاريخية وفوائد علمية.

٢ ـ كما صدرت «المهماز» لخليل عطية، وهي نشرة دينية أدبية.

٣ ـ و«الجنة» لسليم البستاني، وهي صحيفة أسبوعية سياسية تجارية أدبية.

٤ ـ و«البشير»، وهي صحيفة كاثوليكية دينية أنشأها الأب امبروسيوس مونو لخدمة الطوائف المسيحية الشرقية الكاثوليكية.

٥ ـ وفي سنة ١٨٧١م صدرت «كوكب الصبح المنير» للقسوس الأميركان، وهي نشرة دينية مصوّرة.

٦ ـ و«النشرة الأسبوعية» للدكتور كرنيليوس فان ديك، وهي صحيفة دينية للمرسلين الأميركان.

٧ ـ و«الجنينة» لسليم البستاني، وهي أول صحيفة عربية يومية، وهي جريدة سياسية تجارية.

٨ ـ وفي سنة ١٨٧٤م ظهرت «التقدم» ليوسف الشلفون، وهي جريدة عمومية.

كل ما سبق ذكره كان لكتّابٍ من المسيحيين، ولم تصدر جريدة إسلامية في بيروت قبل سنة ١٨٧٥م، إلى أنْ صدرت:

٩ ـ جريدة «ثمرات الفنون»، وهي أُولى الجرائد الإسلامية في بيروت وثانيتها في السلطنة العثمانية بعد «الجوائب» («الجوائب» أنشأها أحمد فارس الشدياق سنة ١٨٦٠م في الأستانة)، وهي صحيفة أسبوعية سياسية علمية أدبية أنشأتها «جمعية الفنون» في بيروت، مؤلّفة من أدباء

مسلمين برئاسة الحاج سعد الدين حمادة، وفوّضت إدارتـها لصاحب امتيازها الشيخ **عبد القادر قباني** (١٨٤٨ ـ ١٩٣٥م) أحد أعضائها، وظهر العدد الأول منها يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول ١٢٩٢هـ/ ٢٠ نيسان ١٨٧٥م، وتوقّفت عند العدد (١٦٨٦) سنة ١٩٠٨م إثر إعلان الدستور، ولقد رافقت «ثمرات الفنون» خلال مدّة صدورها صُحُف عديدة؛ نذكر منها:

١٠ ـ «لسان الحال» لخليل سركيس سنة ١٨٧٧م، وهي جريدة سياسية تجارية علمية.

١١ ـ و«الصباح» لنقولا نقّاش، وخطتها كاثوليكية، وهي جريدة سياسية تجارية صدرت سنة ١٨٨٠م.

١٢ ـ ثم صدرت نشرة دينية لأولاد المدارس الأرثوذكسية باسم «الهدية»، وذلك بإيعاز غفرائيل شاتيلا مطران الروم الأرثوذكس.

١٣ ـ وفي عام ١٨٨٦م صدرت جريدة عُرِفَت بإخلاص النية في خدمة الوطن، وهي جريدة «بيروت» لمحمد رشيد الدنا، وهي جريدة علمية تجارية أدبية.

١٤ ـ ثم صدرت «صحيفة بيروت الرسمية» سنة ١٨٨٨م، بعناية علي باشا حاكم بيروت، باللغتين العربية والتركية.

١٥ ـ وفي سنة ١٨٩١م صدرت «الأحوال» لخليل البدوي، وهي جريدة سياسية تجارية علمية.

١٦ ـ و«لبنان»، وهي جريدة أسبوعية تجارية علمية تاريخية لإبراهيم الأسود.

١٧ ـ وفي عام ١٩٠٠م صدرت «الحديقة» لنجيب نصّار.

١٨ ـ ثم صدرت جريدة «الإقبال» لعبد الباسط الإنسي عام ١٩٠٢م.

١٩ ـ وفي ١٩٠٨م صدرت «الاتحاد اللبناني» لأحمد حسن طبارة وخليل عورا.

٢٠ ـ وكذلك «المارونية الفتاة» ليوسف خطّار غانم.

١٦٥٢ عدد المخطوطات المتبقية الآن ممّا كتبه المسلمون منذ بداية التدوين في القرن الأول، ونسبة ما طُبِع منها:

قال د. **جورج ميخائيل كرباج** في «التراث العَربي المخطوط بين ماضيه وَحَاضِره»: لم تعرف البشرية، عبر تاريخها القديم، أمة غنيّة بإنتاجها المخطوط، وشغوفة بالعلم والمعرفة، وحريصة على اقتناء الكتب مثلما عرفت أمة العرب. فقد قَدَّمت هذه الأمة من المعارف والعلوم والفنون، من خلال مصنفاتها الغزيرة، ما يدعو فعلاً إلى العجب والإعجاب، ويلقي على كواهل الجيل العربي المعاصر مسؤوليات ضخمة حيال إحياء هذه المصنفات، فهل تتساعد هذه الكواهل فيما بينها لتنهض بتلك المسؤوليات؟ أم تظل متناحرة متنافرة، أو مهملة سادرة، فتترك ثروة الأجداد تتكفن أكثر فأكثر بغبار الإهمال، وتتدثر بدثار النسيان، وتندثر تحت عوادي الزمان والإنسان؟

قد يبدو من المفيد والمثير معاً أن نكشف عن بريق تلك الثروة المخطوطة الهائلة، ليرى الكثيرون قيمة تلك الثروة ومدى الجهد والجَلد والوقت الذي صرفه المصنفون العرب القدامى في سبيل تحقيقها، وليتحسّسوا جيداً مدى التقصير والإهمال وسوء المعاملة التي لقيها ويلقاها التراث العربي المخطوط على أيدي وارثيه.

يقدِّر المشتغلون بالتراث عدد المخطوطات بحوالي ثلاثة ملايين مخطوطة متبقية حتى الآن من أصل بضعة ملايين كتبها العرب منذ لجوئهم إلى التدوين في القرن الهجري الأول وحتى بعيد ظهور الطباعة.

وإننا نتساءل مع الدكتور صلاح الدين المنجد: كم يكون عدد

المصنفات العربية المخطوطة لو وصلت إلينا كاملة قبل الفتن والثورات والحروب، وقبل الجهل الذي أصابنا بضعة قرون؟. . . إن لدينا اليوم ثلاثة ملايين مخطوطة يمكننا أن نسقط مليوناً منها على أنه مكرر، فقد يوجد من الكتاب نسختان أو عشر نسخ، ويمكننا أن نسقط مليوناً آخر على أنه ذو قيمة ضئيلة، لا أصالة فيه قائم على النقل من الكتب التي أُلِّفت من قبل، يبقى عندنا مليون كتاب فيها خلاصة الحضارة العربية في مختلف ألوانها ووجوهها، من القرن الثامن إلى السابع عشر (أي الميلادي). هل تستطيعون أن تتصوروا كم يقدِّم هذا المليون من المخطوطات من الأفكار؟ لو قدم كل كتاب فكرة واحدة أصيلة لكان لدينا مليون فكرة وهذا شيء ضخم.

إن تقديرنا لعدد المخطوطات، هو، بالطبع، تقدير غير دقيق تماماً، والعاملون في حقل التحقيق ونشر الكتب مختلفون في عدد المخطوطات العربية الباقية، لكن هذا العدد لا ينقص عن المليونين، وليس بمقدور أحد حتى الآن أن يحدده تحديداً مطابقاً أو ملاصقاً للواقع؛ لأن هذه المخطوطات لم تفهرس جميعاً، فهناك الكثير من مكتبات العالم لم تفهرس فيها المخطوطات العربية، وهناك مكتبات المساجد والأديرة والمكتبات الخاصة التي تضم مخطوطات عربية لا يعرف عددها، لذلك، فالتقدير يفتقر إلى الإحصاء، وهو بالتالي يستدعي القيام بمثل هذا الإحصاء الشامل، تنفذه أجهزة متمكنة على صعيدي الكفاءة والإمكانيات المادية، وعلى مستوى جميع الدول العربية.

وأما نسبة ما طُبِعَ من مخطوطات عربية فلم تتعد: «جزءاً من عُشر مجموعه»، كما يقول البعض، وهي على قول البعض الآخر: «ضئيلة جدًّا بالقياس إلى عدد المخطوطات».

والحقيقة أن الحديث في هذا المجال لا يمكن أن يؤتي ثماراً؛

لأن المخطوطات مجهولة العدد، وكذلك المطبوعات، فكما أن التقصير والإهمال حاصلان في إحصاء المخطوطات فهما أيضاً حاصلان في إحصاء المطبوعات.

• انظر تتمة المقال في: «مجلة التراث العربي ـ دمشق»، العدد ١٨ ـ السنة الخامسة ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥م ـ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ.

١٦٥٢م مؤرخ العراق يطلب كتباً ومجلدات بدل أجرة أتعابه!

قال مؤرخ العراق عباس العزاوي (١٨٩١ ـ ١٩٧١م): جاءتني إحدى الأسر البغدادية لتوكيلي في دعوى تخُصّها، فقلت لهم: أنا لا أطلب أجر محاماة، وإنما أكتفي بمجلدات «جريدة الزوراء» التي عندكم! فوافقوا.

وكان العزاوي يتخذ من مهنته وسيلة لإغناء مكتبته الخاصة وتزويدها بالمصادر.

• نقلها عنه عبد الحميد الرشودي في مقالته «مؤرخ العراق الكبير عباس العزاوي» التي كتبها يوم الأربعاء ٢٧/ ٧/ ٢٠١١م.

وكان العزاوي حريصاً كل الحرص على كتبه ـ محبًّا لها كل الحب ـ حيث حاولت جامعة بغداد شراء مكتبة العزاوي رحمه الله وفاوضته على السعر وقدّرته بمئة ألف دينار له! فرفض! وعرض عليه وفد مصري أن يبيع كتبه إلى الجامعة أو الحكومة، فرفض قائلاً: إنه ليس على استعداد لبيعها مهما كان الثمن. فلمّا مات العزاوي آلت مكتبته إلى خزانة دار الآثار.

وقال: «إنني حصلتُ عليها بالجهد الجهيد، وبذلت في سبيلها النفس والنفيس، أجمعها آناء الليل وأطراف النهار، ولم تأتني عفواً ولا هيّأتها لي الدولة أو أي مؤسسة عامة».

• نقلها من كتاب «المؤرخ عباس العزاوي وجهوده في دراسة تاريخ العقيدة والفرق المعاصرة في العراق»، لأسماء بنت سالم عفيف، (١/ ١٢٩/ط. دار التوحيد ـ الرياض).

١٦٥٣ مقدّمة جدّي عبد الحميد البحصلي على رسالة «معالم الإسلام في رسالة التوحيد» لمحمد عبده:

أوقفني الباحث إبراهيم صيداني حفظه الله على كتابٍ في مكتبته أخرجه جدي عبد الحميد بن محمد البحصلي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٩م) رحمه الله وأشرف على طبعه سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م في مطبعة الإنصاف، وكان جدّي وقتها أمين جماعة السيرة النبوية، وقد ترجمتُ لجدّي رحمه الله سابقاً في «الكناشة» (٩٩٣)، والكتاب طُبع على نفقة جماعة السيرة النبوية في بيروت، ويوزّع كهدية. وصَدَّر جدّي الكتابَ قائلاً:

تقديم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

إن رسالة التوحيد للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، عليه الرحمة والرضوان، قد طبّقت شهرتها الآفاق، وتُرْجِمَت إلى عدّة لغات، وبلغ ما طُبع منها سبع عشرة طبعة، إلا أنّ صبغتها العلمية وما اقتضته من الاصطلاحات الكلامية، حالت دون شمول نفعها عدداً غير قليل ممّن لا وقوف لهم على تلك الاصطلاحات.

ولمّا كان القسم الأخير من هذه الرسالة الفريدة المبدوء بعنوان «رسالة محمد ﷺ» قد خلا تقريباً من الاصطلاحات، وكان ما اشتمل عليه من حقائق الإسلام وفضائله ممّا ينبغي أن يعرفه كلّ عربي بَلَه (حاشية: اسم بمعنى دع) كل مسلم، آثرت جماعتنا نشره وعليه تعليقات لحجّة الإسلام المرحوم السيد محمد رشيد رضا الحسيني منشئ «مجلة المنار»، وقررت توزيعه هدية احتساباً لوجه الله تعالى.

وقد اعتمدتُ في إخراج هذا الكتاب على طبعة الرسالة الأولى التي أصدرتها المطبعة الخيرية بمصر عام ١٣٢٤هـ، وعلى بعض طبعات المنار التي تلتها، وجعلتُ له عنوان «معالم الإسلام في رسالة التوحيد»، ووضعتُ لكلِّ موضوعٍ عنواناً في مستهلّه، كما أعدتُ ترتيب الفهرس على وجهٍ مناسب، وذلك تسهيلاً للمراجعة، وتحرّيت الدقة والضبط في النقل وعند الطبع تجنّباً للسهو والخطأ.

ولعمر الحق إنّ الإنسانية الحائرة في هذا العصر، لو أخذت بما اشتملت عليه رسالة الإسلام من المبادئ والـمُثُل العليا التي تمثّلت في تعاليم القرآن المجيد وفي سيرة النبي الكريم، لظفرت بضالتها المنشودة واحتوت من كنوز المعرفة ما يحقِّق لها السلام والسعادة، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فنسأله تعالى أنْ يقيّض لها مَن يهتم بإشاعة هذا الخير العظيم، إنه سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.

بيروت في ٢٧ رمضان المبارك ١٣٨٤هـ
٢٩ كانون الثاني ١٩٦٥م
عبد الحميد البحصلي
أمين جماعة السيرة النبوية

١٦٥٤ أغرب الأخبار في ضياع الحقائق والكتب والآثار:

هذا عنوان كتاب من تأليف **فاضل جابر ضاحي**، دمشق، تموز: طباعة نشر، ١٤٣٣هـ، ١٤٢ ص، ويعني بالآثار: أنواع المؤلفات، من كتب ورسائل وأجزاء ومجاميع ومجلدات، فهذه قد تتلف في خزانة كتب تعرضت لحريق أو فيضان أو سرقة أو تغريق.

وتأتي الغرابة ـ كما يقول المؤلف في المقدمة ـ من أن ثلاثة أرباع ما أُلِّف خلال العصور الإسلامية قد ضاع فعلاً ولم يعد في حيز الوجود.

وقال: إن معظم النصوص الواردة أرَّخت لضياع الكتب وأشارت إلى أسبابه، أما الحقائق فقد تضيع حتى وإنْ بقي الكتاب في الوجود، إذ قد لا يسجِّل المؤلف الحقائق كلها، بل قد يكتب أحياناً خلاف الحقيقة.

فصول الكتاب الثلاثة:

- أسباب ضياع الحقائق في العصور الإسلامية.
- كثرة مؤلفات المسلمين ومكانة الكتاب عندهم.
- أسباب فقدان المؤلفات في العصور الإسلامية.

• «مجلة الكتاب الإسلامي»، العدد ١٤، للأستاذ محمد خير رمضان يوسف.

١٦٥٥ فوائد من كتاب «اتحاف ذوي العناية ببعض ما لي من المشيخة والرواية»:

والكتاب ألّفه **محمد العربي العزوزي الفاسي الإدريسي الحسني** كثَبْتٍ له، وُلِدَ المؤلِّف ـ كما ذكر بكتابه ـ في مدينة فاس في **٢٧** رمضان ١٣٠٨هـ، وتوفي عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م)، سافر إلى المشرق وزار عدّة مدن، ثم دخل بيروت في رمضان سنة **١٣٣٣**هـ واستقر فيها أستاذاً في (كلية الشريعة)، ثم عُيِّنَ سنة ١٩٤٤م أميناً للفتوى في الجمهورية اللبنانية، ومن مؤلفاته «الرحلة العزوزية إلى الأراضي الحجازية والبلاد الشامية»، وفهرس تحليلي لـ«تاج العروس» في مجلدين. وانتهى من تأليف كتابه «الإتحاف» في ١٨ رجب ١٣٥٤هـ، وطبعته مطبعة الإنصاف/ بيروت في سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، وقد طالعته وانتقيتُ منه بعض الفوائد التالية:

(ص٢٠) ـ «سيرة الإمام الكلاعي» (خط)، تُوجَد منها نسخة بمكتبة الشيخ أحمد الشمس المتقدم.

(ص٤٨م) ـ البحاثة المطلع الشيخ **سعيد العوفي** مفتي قضاء دير الزور، تعرّفت به في دمشق الشام عندما دُعِينا للمؤتمر العلمي المنعقد في الشام بدعوى من رئيس **الجمهورية** السورية سابقاً الشيخ تاج الدين المغربي

الحسني، فجرت بيني وبين الأستاذ المذكور مذاكرات علمية عرفتُ بها مكانة الرجل العلمية، غير أنّه شديد الإنكار على الصوفية يسِمَهم بسِمات هم برءاء منها، اللَّهُمَّ إلّا أنْ يكون عَنَى المتصوفة أهل الدعوة الفارغة فالحقّ معه إذاً، ثم زار بيروت وزارني في بيتي وآنستُ به وبعلمه.

(ص٥١) ـ ومنهم زميلي في التعليم في كلية فاروق الشرعية في مدينة بيروت، الأديب الماهر والكاتب العظيم ذو القلم السيّال والعلم الغزير والذكاء المفرط واللسان اللَّسِن الأستاذ الشيخ **علي الطنطاوي**، . . . عاشرته ما يقرب من السنتين فحمدتُ عشرته، ذاكرته منهل عذب لروّاده، ما فاوضته في علمٍ إلّا وجدته ذا اطلاع واسع، ولقد كان يزورني في بيتي ويسمر معي ويتحِفني بطرفه وأدبه وغرائب نوادره، له مؤلفات عظيمة سارت بها الركبان وتلقّتها بالقَبول فطاحلة الرجال، وما رأيتُ من جَمَع بين الأدب والشريعة مثله.

(ص٧٤) ـ ومنهم العالم المثري المنزوي في بيته الآن الذي آلى على نفسه أن لا يزور ولا يُزار، الأستاذ المطَّلع الجَمَّاع لنفائس الكتب الشيخ **سعيد إياس الدمشقي البيروتي**، تعرّفتُ به بواسطة السيد محمد أبو طالب، وزارني مراراً وقرأ عليَّ في بيتي «الخصائص الكبرى» للإمام السيوطي، وهو الآن في قيد الحياة مشتغلٌ بجمع «طبقات المحدِّثين الذين أنجبتهم بيروت». (قلتُ: انظر ترجمته في الكناشة «١٤٨٣»).

(ص٧٩) ـ ومنهم العالم الفاضل الفقيه الأديب الشاعر ذو الثقافتين والعِلمين؛ علم الشريعة الغراء وعلم التشريع المدني، يتقن اللغة الفرنسية أكثر من أهلها، له جرأة أدبية ما رأيت عالـماً حاز مثلها، كريم مفضال شريف النسبة ذو مكانة عظيمة في بلاده وغربته: الشيخ **صادق الجبالي**، هاجر مع والده الشيخ السيد الحاج محمد الجبالي وأخيه السيد الهادي وعائلتهم الكريمة من تونس إلى المدينة المنورة في أواخر سنة ١٣٢٤ هجرية، ثم أتى بيروت وسكنها. تزوّج بنت شيخه العارف الرباني الشيخ يوسف النبهاني بعد وفاة أمّ أولاده التونسية، توفي والده المذكور في

بيروت، وبعد وفاته عاد إلى وطنه تونس ولده السيد الهادي المذكور مع عائلته، وفي سنة ١٣٢٧ هجرية عُيِّنَ عضواً في محكمة نابلس في العهد التركي، ثم نُقِلَ إلى عكا في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم عُيِّنَ عضواً في محكمة حلب، وعندما وضعت الحرب أوزارها ترك الوظيفة ورجع مع عائلته إلى بيروت وتعيّن مستنطقاً في محاكم بيروت، ثم تعيّن رئيساً لمحكمة بداية طرابلس الشام، ثم ترك الوظيفة وتعاطى المحاماة إلى أنْ توفي رحمه الله تعالى غريباً شهيداً لبعده عن وطنه في العشر الأُول من رجب سنة ١٣٦٩ هجرية، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، آمين.

قال أبو معاوية البيروتي: رأيتُ قبره في مقبرة الباشورة، وكُتِبَ على شاهد القبر: «توفي الشيخ صادق الجبالي الحسني الإدريسي التونسي في ٣ رجب سنة ١٣٦٩هـ، الموافق ٢١ نيسان سنة ١٩٥١م»، وأفادني حفيده الأخ الحبيب **صادق بن مصطفى الجبالي** حفظه الله أنّ له أربعة أولاد: محي الدين، أمين، حسن، مصطفى، ومن البنات: زهرة، صفية، صديقة، وغيرهن.

(ص١٣١) - ومنهم العلّامة البركة المتواضع المشارك في سائر العلوم والفنون سيدي محمد الحسيني، اجتمعتُ به في دار زعيم طرابلس ومفتيها السابق السيد عبد الحميد كرامة، أجازني وأخبرني أن تفسيره يبلغ حجمه خمسة عشر مجلداً، ولم يطبع منه غير الجزء الأول، وفّقه الله لإتمام طبعه آمين، وهو أدامه الله سلفي المشرب لا يميل لمذهب دون مذهب، مهما ظهر معه الدليل تبعه، إمامه كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ، متقشّف الملبس على عادة السلف الصالح، عظيم الهمة قوي العزيمة رحمه الله تعالى ونفع المسلمين به وبعلومه آمين.

قال أبو معاوية البيروتي: ترجم له عمر كحالة في «معجم المؤلفين» فقال: محمد بن إبراهيم الحسيني، الطرابلسي (١٢٦٩ - ١٣٥٩هـ) (١٨٥٣ - ١٩٤٠م)، فقيه، أصولي، مفسر. ولد بطرابلس الشام، ونشأ

بها، ورحل إلى القاهرة وتخرج بالأزهر، وعاد إلى بلده ودرس العلوم الطبيعية والنظريات الطبية على الطبيب مصطفى الحكيم. (مؤلفاته): فريدة الأصول في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، رسالات في المقولات العشر، تفسير القرآن، ورسالة في تطبيق المبادئ الدينية على قواعد الاجتماع.

١٦٥٦ مقتطفات من كتاب «الكتب، أخبار ونوادر من عالم الأدب والتراث» لعبد الرحمن الفرحان:

أ ـ كتاب المؤلِّف هو ولده المخلَّد:

قال **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ) في «صيد الخاطر»: إذا علم الإنسان ـ وإنْ بالغ في الجد ـ بأنّ الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوّن له أجره بعد موته: فإنْ كان له شيء من الدنيا، وقف وقفاً، وغرس غرساً، وأجرى نهراً، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له، أو أن يصنِّف كتاباً في العلم؛ فإن تصنيفَ العالم وَلَدُهُ المخلَّد، وأن يكون عاملاً بالخير، عالماً فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به؛ فذلك الذي لم يمت.

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أحياءُ

ب ـ شراء الكتب الفاسدة لإتلافها:

كان **أبو الطاهر محمد بن الحسين بن عبد الرحمٰن الأنصاري** (ت٦٣٣هـ) لا يحب «مقامات الحريري»، ولم تكن في كتبه مع كثرتها، لِما فيها من الأحاديث المختلقة، وكان لا يرى نسخة من «ملخص الإمام فخر الدين ابن الخطيب» إلا اشتراها حتى لا تقع في أيدي الناس، فقيل له: هذا منه نسخ كثيرة، فقال: فيه تقليل للمفسدة. «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي.

ت ـ الغيرة على الكتب من المكارم:

كتب الأديب رشيد الدين **محمد بن محمد الوطواط** (ت٥٧٣هـ) يعتذر عن ضنِّه بكتبه: كنتُ قبل هذا؛ أَسمَحَ بكتبي من كعب بن مامةَ بأقداحِه، فصِرتُ الآن أَشَحَّ بها من عبد الله بنِ الزُّبَير بأرماحِه، لِما لاقيتُ من تقصير الـمُستَعِيرين في الرَّدِّ، وخروجهم في تضييعها عن الحدِّ؛ وعرفتُ أنَّ قولَ القائل: «**الغيرةُ على الكتب من المكارم، بَل هي أختُ الغيرة على المحارم**»، قولٌ لا محيد عنه؛ وكلام لا كلامَ أصدَقُ منه، وهذه الدفاتر التي في يدي أنفَقْتُ خُلاصَة عُمري في تحريرها وتنقِيحها؛ وأَرَقتُ ماءَ شبيبتي في ارتقائها وتصحيحها؛ ولو طَلَب غيرُ سيّدنا منِّي ورَقةً لَما دَفَعتها إليه؛ ولأَغلقتُ بابَ الإجابةِ عليه... «خريدة القصر» (قسم أصبهان) (٢/ ١٨٧).

ث ـ من لا يدفع ثمن الكتاب لا يطالعه:

زار الشاعرَ **شفيق المعلوف** (١٩٠٥ ـ ١٩٧٧م) صديقٌ حميمٌ له، وأخبره أنّ لديه هوايتين؛ المطالعة والعناية بأزهار حديقته، فجلب له شفيق بعض الكتب قائلاً: بِما أَنَّكَ تهوى المطالعة فإليك هذه الكتب هدية منِّي إليك.

فتفاجأ صديقه أنّه لم يجد بينها أيّ كتاب للشاعر، فاستغرب وقال: كنتُ أُفَضِّل كتاباً واحداً من تأليفك وموقَّعاً منك على مجموعة هذه الكتب!

فقال الشاعر: لا يا صديقي! عليك أن تشتري كتاباً من تأليفي وتجيئني به لكي أوقّعه لك؛ لأن مَن **لا يدفع ثمن الكتاب لا يطالعه**، وإنْ طالعه لن يجد فيه متعة كافية؛ لأنه لا يكون قد أجهد نفسه ـ ولو قليلاً ـ للحصول عليه.

صَمَت صديقه دقيقة ثم قال: إنك على حق يا صديقي، فقد خَبَرتُ

هذا الأمر بنفسي، فالزهرة التي لا أكون زرعتها ورويتها وعنيتُ بها إنْ ذبلَت لا أتحسّر عليها. «طرائف الأدباء» لجميل جبر.

ج ـ هل رأيت مسلماً يُخرج الصحيحين من داره؟!

قال أبو العز نصرون بن فتوح **الخرزي المصري**: مرضتُ مرضةً أشفيتُ منها على الموت، وبعتُ فيها كتباً أدبية وغير أدبية، ومِن جملتها «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، فذكرتُ ذلك بعد إفاقتي من مرضي **لأبي القاسم بن القطاع** (٤٣٣ ـ ٥١٥هـ/ قال البيروتي: ذكر الذهبي أنّه قدم مصر في حدود الخمس مئة)، فغضب عليَّ غضباً شديداً وقال: كنتَ تقنع ببيع كتب الأدب فعنها عِوَضٌ وتترك عندك الصحيحين، هل رأيت مسلماً يُخرِج الصحيحين من داره؟! هل رأيت مسلماً يُخرج الصحيحين من داره؟! ولم يزل يردِّد ذلك حتى استحييت من نفسي ومن الحاضرين وندمت غاية الندم. «معجم السفر».

١٦٥٧ مختارات من «مقالات العلّامة محمود محمد الطناحي» (١٩٣٥ ـ ١٩٩٩م):

ص٨٤ ـ (**عاشق كتب**): كان خبير المخطوطات المصري **رشاد عبد المطلب** (ت١٣٩٤/ ١٩٧٥م) رَحِمَهُ اللَّهُ يتسقط أخبار الجديد من المطبوعات، وقد بلغ من حرصه وتتبعه أنه كان يمر على المطابع كل أسبوع، ليأخذ ملزمة ملزمة من كل ما يطبع، وكأنه لا يصبر حتى يتم طبع الكتاب!

ص١٣٢ ـ (**العجب من حالنا وحالهم**): انصرف رجال معهد المخطوطات (الذي عملتُ فيه نحو خمس عشرة سنة) إلى عملهم الجاد في صمت وصبر، وكان المقابل المادي زهيداً جدًّا، وإنْ تَعجَب فعجبٌ أنّ الواحد منّا الآن يكتب صفحتين اثنتين، أو يذيع حديثاً مدّته عشر دقائق من التراث، ويتقاضى عن هذا وذاك ما كان يتقاضاه هؤلاء الأعلام في شهور! وسبحان من قدّر الأرزاق وقسَّم الحظوظ.

ص١٣٩ - **(كتب أَلَّفها السَّلَف للناشئة)**: وقفتُ عند كتاب غريب أراه صورة واضحة الدلالة على أنّ علماءنا الأوائل كانوا مشغولين حقًّا بتربية الناشئة والتيسير عليهم والتدرّج معهم في تعليم النحو، وذلك هو كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» **لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه** المتوفى سنة **٣٧٠**هـ. لقد كان المألوف في زمن ابن خالويه والأزمان التي سبقته والتي جاءت بعده أنْ يتصدى العلماء لإعراب القرآن الكريم كلّه، ولكن الذي صنعه ابن خالويه شيء عجب: لقد وضع كتابه لإعراب ثلاثين سورة فقط، مبتدئاً بسورة الطارق ومنتهياً بسورة الناس، ثم افتتح كتابه هذا بإعراب الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب... ولا تفسير لصنيع ابن خالويه هذا وإيثاره لإعراب قصار السُّوَر هذه إلا أنّه وضع الناشئة أمامه؛ لأن هذه السُّوَر من أوائل ما يحفظه الصبيان من الكتاب العزيز، وأنها كثيرة الدوران على ألسنتهم، وأنّ عرض قواعد النحو والصرف من خلال هذه السُّوَر القصار ممّا يثبتها ويمكّنها في النفوس.

قال **البيروتي**: وذكر العلّامة الطناحي كتباً أخرى وضعها النّحاة **الأوائل** للتيسير على الناشئة، مثل: «الموجز» لابن السراج **(ت٣١٦هـ)**، و«الإيضاح» لأبي علي الفارسي **(ت٣٧٧هـ)**، و«الجمل» لأبي القاسم الزجاجي **(ت٣٤٠هـ)**.

ص١٦٢ - **(اختصار السلف للكتب قد يحوي نقداً وإضافات)**: ليست المختصرات عند علمائنا كما هي في تصوّرنا هذه الأيام: إيجازاً وضغطاً للكتاب الكبير، بحذف الأسانيد والمكرر... ونعم إنها قد تكون كذلك، لكن مع الرؤية الخاصة للمختصِر، بإضافته أو نقده، **وإليك مثالاً واحداً على ذلك**: كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، **اختصره ابن منظور** صاحب «لسان العرب» فيما سمَّاه: «مختار الأغاني»، **وفي الجزء**

الثالث من هذا «المختار» نجد ترجمة موسعة جدًّا لأبي نوّاس، تضمّنت أخباراً وأشعاراً لأبي نواس، لا تجدهما في الأصل «الأغاني»، وكذلك صنع ابن منظور في ترجمة «جميل بن معمر» حيث أورد له بعض أشعار وأخبار لم ترد في «الأغاني».

ص٢٨٩ ـ **(حفظ الشعر واستدعاؤه ضروري في تفسير كلام الله ﷻ)**:
يقول الإمام **مجد الدين ابن أبي الفرج الرُّوذراوري** المتوفى سنة ٦٦٧هـ: ومَن ظَنَّ أنّ القرآن يُفهَم كما ينبغي من غير تحقيق كلام العرب وتتبّع أشعارهم وتدبّرها كما يجب فهو مخطئ، كان ابن عباس رضي الله عنه حبر هذه الأمة ومفتيها ومفسّر القرآن، وقد قال تلميذه عكرمة: إنه كان إذا سُئِلَ عن مشكلٍ في القرآن يفسِّره ويستدلّ عليه ببيتٍ من شعر العرب، ثم يقول: «الشعر ديوان العرب». وانظر: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق (١/ ٣٠).

ص٣٠١ ـ **(من باب التماس التراجم من غير مظانها)**: إنّ أوسع ترجمة وأشملها لواضع النحو **أبي الأسود الدؤلي** تراها في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، وما أبعد كتاب «الأغاني» عن طبقات اللغويين والنُّحاة! وقد جاءت ترجمة أبي الأسود في «الأغاني» طويلة جدًّا استغرقت ٣٨ صفحة من القطع الكبير ـ انظر «الأغاني» (١٢/ ٢٩٧ ـ ٣٣٤/ ط. دار الكتب المصرية). والعلة في ذلك واضحة، وهي جامعة (التشيّع) التي تجمع بين أبي الأسود وأبي الفرج، على أنّه ممّا ينبغي التنبّه له أنّ صلاح الدين الصفدي قد اعتبر كتاب «الأغاني» من مصادر كتب التاريخ، ووضعه في قائمة «التواريخ الجامعة» كتاريخ الطبري وما إليه (انظر: الوافي بالوَفَيَات ١/ ٥٠).

وكذلك تجد أجود ترجمة وأحسن كلام عن **أبي سعيد السيرافي** النحوي الكبير في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي، وكان

هذا شديد الإعظام لأبي سعيد والتوقير له. (انظر: الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٠٨).

ص٣٠٦ ـ (العناوين التي تحمل أسماء الملوك والوزراء؛ بعضها ليس لهم ذِكر فيها إلّا إشارة لأنّ لهم عوناً ظاهراً للمؤلّف ومساندة): هات لي الآن أميراً أو تاجراً ثريًّا يعينني على طبع كتاب من كتبي، وأنا زعيم أنْ أسَمِّي كتابي باسمه الشريف، بل أجعل اسمه يتقدّم اسمي، ثم أكيل له المديح والثناء منظوماً ومنثوراً، على أنّ هؤلاء الملوك والوزراء الذين جاءت أسماؤهم عنوانات للكتب (مثل «الصاحبي في اللغة» لابن فارس؛ نسبة إلى الوزير الصاحب ابن عبّاد، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي؛ نسبة للحاكم البويهي عضد الدولة) كانت لهم مشاركة واهتمام باللغة والأدب وفروع العلم عموماً.

ص٣٠٩ ـ (تعظيم المعاصرين.. والتطاول على الأوائل): لو تعرّض أحدٌ لبعضِ كتّابنا ومفكِّرينا المعاصرين، لاهتزّت الأرض بمَن عليها، ولسمعتَ دويًّا هائلاً وجلبة صاخبة حول رموزنا العظيمة التي لا ينبغي أنْ تُنال، وأعلام التنوير التي لا يصح أنْ تُطال، أما الهجوم على الأوائل، والسخرية منهم، والتطاول عليهم، فلا نكرة فيه ولا غضب منه! لأنّ «حمزة لا بواكي له».

ص٣١٥ ـ (خاطبوا الناس على قدر عقولهم لئلّا يُفتَنوا): نبّه أهل العلم إلى ذلك من قديم، فقد ذكر أبو داود في رسالته إلى أهل مكة: «أنّه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث؛ لأنّ علم العامة يقصر عن مثل هذا»، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وهذا كما قال أبو داود؛ فإنّ العامة تقصر أفهامهم عن مثل هذا، وربّما ساء ظنّهم بالحديث جملة إذا سمعوا ذلك»، (شرح علل الترمذي/ ص٥٤٣)، وروى أبو سعد السمعاني بسنده

إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الرجل ليحدّث بالحديث فيسمعه مَن لا يبلغ عقله فَهْم الحديث فيكون عليهم فتنة!» (أدب الإملاء والاستملاء/ ص٥٩ ـ ٦٠)، وروى ابن عبد البر عن هشام عن عروة بن الزبير بن العوام قال: «قال لي أبي: ما حدَّثتُ أحداً بشيءٍ من العلم قط لم يبلغه علمه إلّا كان ضلالاً عليه»، (جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٣٤). . . وقال بدر الدين بن جماعة: «ولا يشير على الطالب بتعليم ما لا يحتمله فهمه أو سنّه، ولا بكتاب يقصر ذهنه عن فهمه». (تذكرة السامع والمتكلم/ ص٥١ ـ ٥٢).

ص٣٢٣ ـ (أهمية كلام المؤرخ ابن العماد الحنبلي عن العثمانيين): (ذكر الطناحي ترجمة ابن العماد العطرة في «شذرات الذهب» للسلطان سليم العثماني، ثم قال:) يُلاحظ أنّ ابن العماد قائل هذا الكلام توفي سنة ١٠٨٩هـ، فهو قريب العهد بأحداث زمان دخول السلطان سليم مصر، وأنّه وُلِد بدمشق وأقام بالقاهرة مدة طويلة، ومات بمكة، فلم يكن عثمانيًا يميل بهواه إلى أبناء جلدته، ولم يدخل بلاد الروم ـ استانبول وما حولها ـ حتى يكون له فيها حظ من جاه، أو نصيب من نفع، يحملانه على الثناء والمدح، فاقرأ هذا كلّه وتدبّره، ودَعْ عنك ما يُقال عن الغزو العثماني لمصر أو الاحتلال العثماني لمصر، فهذا كله من حديث السياسة، وللسياسة دروب ومضايق يضيع فيها الحق، ويضل معها الحكيم، وهذه كلّها من آفات المتابعة وعدم التحري، على ما قال الجاحظ: «وإنما يُؤتَى الناس من ترك التثبّت وقلّة المحاسبة».

ص٣٢٤ ـ (مجموعات المخطوطات في تركيا تُنسَب إلى أربعة طوائف):

١ ـ (السلاطين)، مثل مكتبة السلطان سليم الأول ـ وهي المكتبة السليمية بأدرنه. . ـ ومكتبات السلطان محمد الفاتح، والسلطان بايزيد،

والسلطان أحمد الثالث، والمكتبة السليمانية نسبةً إلى السلطان سليمان القانوني ـ أو المشرِّع ـ وكلّها باستانبول.

٢ ـ (الوزراء)، والطائفة الثانية الوزراء، مثل راغب باشا، وشهيد علي باشا، وكوبريلي باشا، والمكتبات الثلاث باستانبول، وكوبريلي باشا هذا هو الوزير الفاضل أحمد بن محمد، وهو من كبار الرجال في الدولة العثمانية...

٣ ـ (مشايخ الإسلام)، والطائفة الثالثة مشايخ الإسلام، مثل أسعد أفندي، وعاشر أفندي، وولي الدين أفندي، وعاطف أفندي، وفيض الله أفندي، وعلي أميري أفندي، ووهبي أفندي، وشيخ مراد أفندي ـ ومكتبته غير مكتبة مراد ملا ـ وكل هذه المكتبات باستانبول، وإسماعيل صائب أفندي؛ ومكتبته بأنقرة.

٤ ـ (النساء)، ومع هذه الطوائف الثلاث ظهرت طائفة النساء اللائي عنين بجمع المخطوطات، فأنشأن لها مكتبات نُسِبَت إليهنّ، مثل مكتبة طرخان، وصالحة خاتون، وأسما خان، وجلنوش، وبرتونيال، وكثير من المكتبات التي تُسَمّى «والدة باشا» ثم تُضاف إلى ابنها السلطان.

ص٣٣٧ ـ ما دخلتُ المسجد النبوي مرّة إلّا وقرأتُ سورة النساء، لأستحضر تلك الصورة الغالية الخاشعة لرسول الله ﷺ وابن مسعود يقرأ عليه سورة النساء. (روى الحديث البخاري **٤٥٨٢**).

ص٣٦٧ ـ (نقد المعاجم العربية): لعل أول مَن نقب هذا النقب، وفتح ذلك الباب في نقد المعجم العربي في عصرنا الحديث هو «أحمد فارس الشدياق» ـ صاحب مطبعة الجوائب الشهيرة باستانبول ـ في كتابه المعروف «الجاسوس على القاموس»، وقد وضعه لاستدراك ما فات الفيروزآبادي من «قاموسه المحيط» ورد ما وهم فيه من الألفاظ إلى

أصولها، وقد طُبِعَ باستانبول سنة ١٢٩٩هـ، وتوفي الشدياق سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٧م، ثم تتابعت النقود في ذلك الطريق، وإن اختلفت فيما بينها شرعةً ومنهاجاً... ولا ينبغي أن ننسى جهود العلماء القدامى في نقد المعاجم العربية، مثل نقد ابن بري المتوفى (٥٨٢) لصَحاح الجوهري، واسم كتابه «التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصَّحاح»، ويُعرَف أيضاً بحواشي ابن بري على الصَّحاح، وكذلك نقد صلاح الدين الصفدي المتوفى (٧٦٤) للصَّحاح أيضاً، الذي سمّاه «نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهري من الوهم»، ثم ما نثره الفيروزآبادي المتوفى (٨١٧) من نقدٍ للصَّحاح من خلال «القاموس المحيط»، لكن نقود هؤلاء اللغويين القدامى لم تمس أصول المعجم العربي وقواعده الأساسية كما ترى في نقود المحْدَثين، وإنما هو نقد يدور حول التصحيف والتحريف ونسبة الشواهد، وذكر بعض الأبنية في غير أصولها، وإهمال بعض الأصول اللغوية.

ص٣٦٩ ـ **(المفاضلة بين أكبر معجمين لغويين)**: ... أكبر معجمين هما «لسان العرب» لابن منظور (ت٧١١هـ) و«تاج العروس» للمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، وهذا الثاني هو أغزر المعاجم اللغوية مادةً وأكثرها شمولاً، فقد بلغت جذوره اللغوية (١١٩٧٨) جذراً، على حين بلغت جذور «لسان العرب» (٩٢٧٣) جذراً، انظر دراسة إحصائية لجذور معجم «تاج العروس» للدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور حلمي موسى، نقلاً عن حاشية كتاب «الاستدراك على المعاجم العربية» للدكتور محمد حسن جبل (ص٧).

وقال **الطناحي** (ص٥٣٨): **إن لـ«تاج العروس» أهمية أخرى، وهو أنّه عنِيَ إلى جانب اللغة بضبط المشتبه من الأعلام والأنساب والألقاب، كما عنِيَ بكتب الطب والنبات وسائر المعارف العامة، ثم كانت له عناية**

فائقة بالبلدانيات والجغرافية العربية، وبخاصة جغرافية اليمن ومصر، وما أكثر المواضع في هذين البلدين التي يقول فيها: رأيتها أو شاهدتها...

قال **البيروتي**: وهاكم فائدة من «الكناشة» (١١٥٢): مكث الزبيدي في تأليف «تاج العروس من جواهر القاموس» أربعة عشر عاماً وشهرين.

ص٣٨٨ ـ **(خاتمة نفيسة من مخطوط «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (ت٤٦٨هـ))**: «رأيت من هذا الشرح مخطوطة نفيسة في أثناء عملي بعمادة شؤون المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود، وهذه المخطوطة منسوخة سنة ٦٨٠هـ بخط نسخي جيد مضبوط، وكُتِبَت أبيات المتنبّي بخط الثلث الكبير، وفضلاً عن قِدَم هذه المخطوط وجودة خطّها فقد اشتملت على خاتمة لم تأتِ في طبعة برلين المذكورة، وهذا نصّها، يقول **الواحدي**:

«هذا آخر ما اشتمل عليه ديوانه الذي رتّبه بنفسه، وهو خمسة آلاف وأربع مئة وأربع وتسعون قافية، وكان الفراغ من هذا التفسير والشرح اليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وأربع مئة. وإنما دعاني إلى تصنيف هذا الكتاب مع خمول الأدب وانقراض زمانه، اجتماع أهل العصر قاطبة على هذا الديوان، وشغفهم بحفظه وروايته، والوقوف على معانيه، وانقطاعهم عن جميع أشعار العرب ـ جاهليّها وإسلاميّها ـ إلى هذا الشعر، واقتصارهم عليه في تمثّلهم ومحاضراتهم وخُطَبِهم ومقاماتهم، وحتى كأنّ الأشعار كلّها فُقِدَت، وليس ذلك إلّا لتراجع الهمم وخلوِّ الزمان عن الأدب، وتقاصر الرغبات، وقلة العلم بجوهر الكلام ومعرفة جيّده من رديئه، ومطبوعه من متكلّفه.

ومع ولوع الناس بهذا الديوان لا ترى أحداً يرجع في معرفته إلى محصول، أو يفي ببيان عن مودعاته وغوامض معانيه ومشكلاته، وإنّما الـمَفْزَع فيه إلى فَسْر (أي تفسير) أبي الفتح ابن جني، وهو في ذلك كقول من قال:

أصبحت ترجو الغوث مِن قِبَلي والـمُستغـاثُ إليـه فـي شُغُـل

وأنه اقتصر في كتبه على تفسير الألفاظ، واشتغل بإيراد الشواهد الكثيرة والنحو والغريب، حتى اشتمل كتابه على عُظم نوادر أبي زيد، وجميع أبيات سيبويه وأكثر مسائله، وزهاء عشرين ألفاً من الأبيات الغريبة، وحشاه بحكايات باردة، وأخبار من العرب غريبة نادرة، لا يحتاج في فَسْر هذا الديوان إلى شيءٍ منها، والله تعالى ذكره يتغمّدنا وإياه بسعة رحمته وجميل عفوه، إنه الغفور».

فهذه الخاتمة التي انفردت بها تلك المخطوطة أفادتنا عدّة فوائد:

أ ـ تاريخ فراغ الواحدي من شرحه، وأنّ ذلك كان قبل وفاته بست سنوات، فيكون قد ألّفه وهو في تمام نضوجه العلمي.

ب ـ ذكره لدواعي تأليفه.

ج ـ ما يفهمه الناقد البصير من خبئ هذا الكلام، وكشفه عن رأي الواحدي في شعر المتنبي جملة، وكأنه يريد أن يقول: إن أبا الطيب لا يستحق كل هذه الضجة، وإنه لا ينبغي أن يحجب بشعره شعر الأوائل.

د ـ نقده لشرح ابن جني لشعر المتنبي، وكأنه يريد أن يقول: إنّ إخضاع الشعر لقضايا النحو واللغة، على نحو ما يصنع ابن جني ومَن على شاكلته، لا يكشف عن جواهر الشعر، ولا يستشرف آماده الرحبة الواسعة.

وهذه الفائدة التي جاءت بها مخطوطة «شرح ديوان المتنبي»، وأخلَّت بها مطبوعته، تقودنا إلى أهمية البحث الدائم عن المخطوطات العربية، وعدم الإخلاد إلى الراحة، والتعويل على ما بأيدينا من المطبوعات.

ص٣٩٠ ـ **(حاجتنا إلى المخطوطات)**: نحن في حاجة لا تنقطع إلى المخطوطات، وحاجتنا هذه لغايتين:

الغاية الأولى: البحث عن تلك المخطوطات التي تتردد في كتب التراجم والببليوغرافيا لعلمائنا، ويكثر النقل عنها والإحالة عليها في كتب اللاحقين، ولا نرى لها وجوداً في فهارس المكتبات ـ مطبوعة أو مخطوطة ـ، والذي يُغرينا بدوام البحث وعدم اليأس: تلك المخطوطات التي تظهر بين الحين والحين وكنّا نعدّها من المفقودات. . .

والغاية الثانية: أن بعض مطبوعاتنا نُشِرَت عن أصول مجهولة، وقد كان هذا في مراحل الطبع الأولى، قبل أن يستقر علم تحقيق المخطوطات، وقد يسأل سائل: كيف كانت هذه الأصول المخطوطة مجهولة؟ والجواب: أنّ ناشري الكتب في تلك المراحل الأولى من الطباعة لم يكونوا يُعنون بذكر وصف المخطوط الذي ينشرون عنه، بل إنّ بعضهم كان يتخلّص من المخطوط نفسه بعد الفراغ من طبعه!. . .

وأيضاً فإنّ بعض أصول علمائنا ـ على شهرتها ـ طُبِعَت عن أصول ناقصة، ومن ذلك: «معجم الشعراء» للمرزباني و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ومن وراء ما ذكرته من نقص المطبوعات وجهالة أصلها، فإن هناك أمراً في غاية الأهمية، وهو أنّ بعض كتبنا المطبوعة قد ظهرت لها مخطوطات نفيسة توجب إعادة تحقيقها ونشرها، والأمثلة من ذلك بالغة الكثرة.

ص٤٧٢ ـ (علماء المطبوعات): هذه الكتب التي تقادم عهد طباعتها قد صارت الآن في حكم المخطوطات، في ندرتها وصعوبة الحصول عليها، ثم في قلّة العارفين بها، وهذه مسألة في غاية الأهمية، فإن للمطبوعات علماء، كما أنّ للمخطوطات علماء، ويتجلّى علم المطبوعات في معرفة أماكن طبع الكتاب، وعدد طبعاته، وفرق ما بين هذه الطبعات، وقد أدركتُ جيلاً عظيماً من علماء المطبوعات هؤلاء، منهم محمد رشاد عبد المطلب في مصر، وأحمد عبيد في دمشق، والفقيه

التطواني بمدينة سلا من المغرب، والحاج مظفر أوزاق باستانبول، وقد انتقلوا جميعاً إلى رحمة الله، ويُخشى أن يُوصَد هذا الباب بموت هؤلاء العلماء... وقد بدأت آثار غياب هذا العلم تظهر.

ص٥١٣ ـ **(الطبعة الكاملة من كتاب «العواصم من القواصم»)**: لأبي بكر بن العربي، تحقيق الدكتور عمار طالبي، وطبعته هي الطبعة الكاملة للكتاب، ولا تغتر بتلك الطبعة التي تحمل اسم الشيخ الجليل محب الدين الخطيب، فإنما هي جزء صغير من الكتاب، خاص بتاريخ الصحابة، وقد نبّه الشيخ محب الدين على ذلك.

ص٥٢٣ ـ **(من وصايا العلّامة أبي فهر محمود شاكر في القراءة)**: كان من وصاة شيخنا محمود محمد شاكر ـ عليه رحمة الله ـ أن نقرأ الكتب كاملةً، وألّا نتعامل معها تعامل المراجع والمصادر ونأخذ حاجتنا ونمضي؛ كالطائر العجل يَحْسُو من الماء حُسوة ثم ينطلق في فضاء الله، وكان من وصاته لنا أيضاً أن نقرأ كتب الأدب التي تُعْنَى باللغة والنحو، مثل: كتاب «الكامل» للمبرد، و«أمالي» أبي علي القالي، و«شرح الحماسة» للمرزوقي، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكن يتحمّس للجاحظ كثيراً، مع إجلاله له وحفاوته به؛ لأنه يرى أنّ الجاحظ يستطيل على الناس بذكائه، ويخدعهم بتصرفه في القول والبيان، ولعلّ الذي زهّد شيخنا في الجاحظ هو ميوله الاعتزالية، والشيخ كما هو معروف من أهل السنة والأثر، ولكنّي خالفتُ الشيخَ رأيه في الجاحظ، ولعل هذه هي المرة الأولى التي أخالف فيها عن أمره.

ص٥٣٥ ـ **(من تواضع العلامة أبي فهر محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ)**: ما رواه لي، قال: في يوم جمعة، في أوائل ثورة يوليو، كان يجلس على مائدة الغداء: محمد رشاد مهنا، والشيخ أحمد حسن الباقوري، ومحمد فؤاد جلال، وكان يجلس على المائدة نفسها الأسطى أنور الحلاق. وفي

صباح اليوم التالي اتصل بي الشيخ الباقوري وقال لي: إن محمد فؤاد جلال - وكان وزيراً للشؤون الاجتماعية - عاتبٌ عليك لوجود الأسطى أنور بيننا. يقول أبو فهر: وفي الجمعة التالية قلت لمحمد فؤاد جلال: «اسمع يا فؤاد، أنت وزير هناك في مجلس الوزراء، ولكنك هنا في بيتي واحد من عامة الناس، مثلك مثل الأسطى أنور وغيره».

ص٥٤٠ - **(تضخيم أمر مطبعة نابوليون)**: «المطبعة» التي أتى بها نابوليون، لقد ضَخَّم الناس من أمر هذه المطبعة تضخيماً، ورأوا أنها فتحت لنا طريق العلم والمعرفة، وحقيقة الأمر أن هذه المطبعة لا تعدو أو توشك أن تكون «آلة كاتبة» كبيرة، أحضرها نابوليون معه لطبع منشوراته وأوامره باللغة العربية... على أنه مما ينبغي التنبه له والتنبيه عليه أنّ المطبعة قد عُرِفَت في الشرق قبل مولد نابوليون، وكانت «مطبعة حلب» أول مطبعة عربية في الشرق كله، وقد ظهر أول انتاج لها عام ١٧٠٦م (ولد نابوليون سنة ١٧٦٩م).

ص٥٤٩ - إن الذي دُفِن في صدر **محمود شاكر** معه في قبره من العلم أضعاف ما أخرجه للناس.

ص٥٦١ - **أحمد شوقي** كان ذا ثقافة لغوية عالية جدًّا، وقد أخبرني شيخي محمود شاكر رحمه الله أنّ أحمد شوقي كان كثير النظر في «لسان العرب»، وأخبرني الأستاذ مصطفى حجازي عضو مجمع اللغة العربية أنّ الشيخ سليم البشري أحصى ألف لفظة من الكلام الغريب الفصيح أحياها أحمد شوقي في شعره. (قلت: نقلت في «الكناشة» (١٠٩٩) من مصدرٍ آخر أن سليم البشري أحصى مئة ألف لفظة! ولعل ما جاء هنا هو الصواب).

ص٥٨٠ - **قال مجد الدين ابن الأثير في مقدمة كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر»**: «وكان في زماننا أيضاً الإمام أبو الفرج

عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي، كان متفننّاً في علومه، متنوِّعاً في معارفه، فاضلاً، لكنه كان يغلب عليه الوعظ»، فتأمّل هذا الاستدراك الذي يوشك أن يسلب الوعّاظ فضيلة في مجال الفكر والعلم.

ص٥٩٢ ـ (**جودة العلم لا تتكوّن إلّا بجودة النقد**): النقد يجبر النقص ويقيم العوج ويصلح الـمُنآد، وقد نقل الباحث كلمة شيخنا **محمود محمد شاكر** برَّد الله مضجعه: «فإن جودة العلم لا تتكوّن إلّا بجودة النقد، ولولا النقد لبطل كثير علم ولاختلط الجهل بالعلم اختلاطاً لا خلاص منه ولا حيلة فيه».

ص٥٩٥ ـ من أجمل وأحكم ما رأيته من مغالبة الهوى وقهر نوازع النفس، مع عدم إغفال الرأي الخاص، ما ذكره شيخنا **محمود شاكر** في شأن مستشرق يهودي صَحَّح له خطأً وقع فيه، فقال في (ص٣٩٥) من «طبقات فحول الشعراء»: «وكنتُ أخطأتُ بيان ذلك في طبعتي السالفة من الطبقات، فجاءتني من الأرض المقدسة التي دنستها يهود، رسالة رقيقة من (م. ي. قسطر) فدلّني على الصواب الذي ذكرته آنفاً، فمن أمانة العلم أذكره شاكراً كارهاً لهذا الذكر». فانظر وتأمّل كيف اعترف بالصنيعة وشكرها، ثمّ لم يخفِ ما في نفسه.

ص٦٠٠ ـ من شعر **بدوي الجبل**، يشمت بفرنسة في هزيمتها:

الأم الحنون أكلت (خ) قد أتاها من هتلر ما أتاها

وواضح أن (خ) اختصار من كلمة (خراها)، وكأنَّ الباحث استنكرها، وهي كلمة صحيحة فصيحة.

وجاءت الكلمة في الشعر بإسقاط الهمزة، قال الشاعر:

زمـانـنـا هـذا خـرا وأهـلـه كـمـا تـرى
ومـشـيـهـم جـمـيـعـهـم إلـى ورا إلـى ورا

انظر: «الغيث المسجم شرح لامية العجم» لصلاح الدين الصفدي

(٢/ ٢٢٢)، والتحرّج من ذكر مثل هذه الألفاظ ليس من البر باللغة، وليس ذكرها مخلًا بالآداب العامة (لا مؤاخذة)، على أن إغفال مثل هذه الألفاظ يذهب بشطر كبير من الأدب. (انظر للفائدة: الكناشة «٥٤١» و«١٦٣٣»، وبدوي الجبل هو محمد سليمان الأحمد، شاعر سوري (١٣٣٠ ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩١١ ـ ١٩٨٥م)).

ص٦٢٨ ـ كان لمحمود شاكر جارة نصرانية فاضلة جدًّا، وكان من عادتها أن تزور البدوي بطنطا، فكان إذا ذكر لها أن البدوي هذا خرافة تغضب جدًّا وتثور ثورة شديدة.

ص٦٣٧ ـ في صباح يوم السبت ٢٠ من نوفمبر ١٩٩٨ استمعتُ في إذاعة القرآن الكريم إلى أحد الدكاترة ـ وهو رجل فاضل أعرفه ـ يفسّر قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥]، قال الأستاذ الدكتور: «الزهق في الآية معناه الضجر والسأم والملل»، ثم رأى أن معنى الآية: أنهم إذا كثرت أموالهم وأولادهم انتهوا إلى حالة من الملل والسآمة، . . .

فانظر كيف فسَّر «الزهق» تفسير العوام، ثم بنى عليه ذلك الكلام، وليس «الزهق» هو الملل، إنما هو البطلان والهلاك والاضمحلال، ومعنى ﴿تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ في الآية الكريمة: أي تخرج، قال أبو عبيدة: «أي تخرج وتموت وتهلك». «مجاز القرآن» (١/ ٢٦٢). وقال القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٦٤): «﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥]، نصّ في أن الله يريد أن يموتوا كافرين، سبق بذلك القضاء»، وقال الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٧): «وتخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوة نبي الله ﷺ». وواضح أن الدكتور الفاضل قد ظنّ أنّ الهمزة في قول العوام «الزهأ ـ وأنا زهآن» إنما هي القاف الفصيحة التي

تأتي غالباً في لغة المصريين والشوام همزة، مثل (ألت) مكان (قلت)... إن المعجم العربي لم يذكر مادة (زهأ) أصلاً في أيّ معنى، أما قولهم (زُهاء مائة) بمعنى قدر مائة، فأنت تجدها في المعاجم في مادة (زهى).

ص٦٤٤ ـ يقول تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، يُخطئ بعض الناس في تفسير ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ هنا بأنه القرآن الذي يُتلَى ساعة الفجر، ثم يُخطئ بعض المذيعين حين يقدّمون التلاوة في ذلك الوقت، فيقولون: قرآن الفجر يتلوه الشيخ فلان. والصحيح أنّ المراد بقرآن الفجر هو صلاة الفجر، أي صلاة الصبح، وعَبَّر عنها بالقرآن خاصة دون غيرها من الصلوات لأنّ القرآن هو أعظمها، إذ قراءتها طويلة ومجهورٌ بها. قال القرطبي: «وقد استقرَّ عمل المدينة ـ أي عمل أهل المدينة، وعملهم حجّة ـ على استحباب إطالة القراءة في الصبح قدراً لا يضرّ بمن خَلفه»، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٥)، والدر المنثور (٤/ ١٩٦).

ص٦٦٩ ـ (**الأديبة اللبنانية وداد القاضي/ وُلِدت في بيروت عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م**): يدور معظم نشاط هؤلاء النسوة المحققات في مجال الدراسات الجامعية، ولا أعرف مِن النساء مَن مَدَّت يداً في نشر التراث خارج هذه الدائرة إلّا الأديبة اللبنانية **وداد القاضي**، التي زاحمت كبار المحققين الرجال، ولا عجب في ذلك، فقد تلقَّت أصول هذا الفن على يد شيخها إحسان عباس، وقد أعانته في نشر موسوعات تراثية كبار مثل: «وفيات الأعيان»، و«فوات الوفيات»، و«ذخيرة ابن بسام»، و«نفح الطيب»، ومن أبرز تحقيقات وداد القاضي: «البصائر والذخائر» لأبي حيّان (عشرة أجزاء)، وكان نشر هذا الكتاب عزمة من عزماتها، إذ كان أحمد أمين والسيِّد أحمد صقر قد نشرا منه جزءاً واحداً عام ١٩٥٣م ثم

توقّفا عن نشره، ومن تحقيقاتها أيضاً: «الأجوبة المسكتة» لابن أبي عون، و«الإشارات الإلهية» لأبي حيّان، و«رسالة افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان، كما شاركت في نشر كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي بتحقيق الجزء السادس عشر. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نُشِرَ هذا الكلام ضمن مقال (**بنت الشاطئ.. وتحقيق التراث**) الذي كتبه الطناحي تكريماً لعائشة بنت الشاطئ في ذكرى رحيلها، ونشرته مجلة «العربي» في العدد ٤٨٨/ تموز ١٩٩٩م بعد وفاة العلامة الطناحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان المقال ما قبل الأخير الذي كتبه، وآخر مقال له كان (**الرسائل الجامعية.. و.. ساعة ثم تنقضي**) المنشور في مجلة «الهلال» في حزيران ١٩٩٩م، وما زالت د. وداد حيّة إلى يومنا هذا، وقد فازت بجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الأديبة عائشة بنت الشاطئ عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٦٥٨ مختارات من «مجلة الكتاب الإسلامي» للأستاذ محمد خير رمضان يوسف:

أ ـ مخطوطات للوقود!

داود الجلبي، طبيب مشهور من الموصل (ت١٣٧٩هـ)، وكان حريصاً على جمع المخطوطات وتزويد مكتبته الضخمة بكل نادر ونفيس، وبعض المخطوطات فيها وحيدة لا مثيل لها في العالم. يقول إنه مرَّ في طريقه من داره إلى عيادته مرة بأزقة تمرُّ قرب حي الجامع الكبير، فشاهد امرأة توقد تنورها بمخطوطات وضعتها في سلة كبيرة (طبيقية)، فأرعبه هذا الموقف، وساومها على الثمن، واشترى ما معها من مخطوطات بروبية واحدة، ووجد فيها نفائس نادرة! (منقولة من ترجمته في «موسوعة أعلام الموصل» لعمر الطالب). (العدد الأول).

ب ـ مصير مكتبة:

أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني شيخ الجماعة بتطوان، ورئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي، المتوفى سنة **١٣٧٣هـ**، له **(٣٤)** كتاباً مخطوطاً، معظمها مختصرات، وكان صاحب أكبر مكتبة في تطوان وأحسنها، وقال فيه محمد بن داود التطواني: قضى من أفضل أيام عمره ما يزيد على عشرين سنة متقلداً لوزارة العدلية، بل قيل لي قبيل وفاته: إن الحاجة لسدِّ رمقه ورمق عياله ولتسديد بعض ديونه قد اضطرَّته لبيع جميع كتبه، حتى نسخته الوحيدة من تاريخه «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين» وهي التي كتبها بخطه في عشر مجلدات! (العدد الثاني).

ت ـ الكنفليلة:

من أسماء اللحية: العُثْنون، فإن ضخمت وعظمت سميت بالكَنْفَلِيلَة، والهِلَّوف، وهي المفرطة في الطول والعرض.

قال **أحمد البربير (١١٦٠ ـ ١٢٢٨هـ)**: وقد رأيت نظيرَ هذه اللحية في إفراط الطول في الساحل لرجلٍ نصراني، كان يطويها ويُدخلها في عبِّه، ولا يُريها لأحد إلا إذا أعطاه مصرية من الفضَّة، فيأخذها، ويُخرج تلك اللحية من عبِّه، ويمدُّها فتفوت قدميه! (الشرح الجلي للبربير). (العدد الثاني).

ث ـ محمد حبيب العبيدي:

أديب شاعر، ومن رجال الإفتاء، مولده ووفاته بالموصل، وكان فقيهاً، توفي سنة **١٣٨٣هـ** بعد أن اعتكف في بيته.

له كتاب مخطوط عنوانه «الجراثيم الثلاث: الأمراء والعلماء والنساء» قال إنه «يقع في أربعة أجزاء، في إرشاد الدهماء، بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأدلة التاريخية، ليعرفوا أمراء العدل من أمراء الجور، وعلماء الحقيقة من علماء القيافة، وليتخذوا من أمهات المستقبل مثالاً صالحاً».

وقد صدر فيه كتاب يتناول حياته وأدبه بعنوان: «الشيخ محمد حبيب العبيدي: حياته وأدبه»/ خليل إبراهيم السامرائي (أصدره ديوان الوقف السني ببغداد سنة ١٤٢٦هـ). (العدد الثالث).

ج ـ رحلات المغامر العربي:

صدر كتاب «رحلات المغامر العربي الحاج عبدالله وليمسون المسلماني»، تأليف: ستانتون هوب؛ ترجمة إنعام إيبش؛ تحرير وتعليق أحمد إيبش ـ أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، **١٤٣٢هـ**، **٤٥٦** ص.

الحاج عبد الله وليمسون المسلماني هو مغامر إنجليزي أخذته الرحلات شرقاً وغرباً، درس الإسلام وارتضاه ديناً، واستقرَّ بالكويت بعد رحلات في جزيرة العرب، انتقل بعدها إلى البصرة ومات فيها عام ١٣٧٨هـ، وتسمَّى باسم عبد الله فضل المسلماني، وحجَّ مرات، ولما عرفت السلطات البريطانية بإسلامه أخذت بمضايقته... وتزوج ثلاث فتيات عربيات، وما زالت ذريته في البصرة والكويت تحمل هذا الاسم (المسلماني). (العدد الثامن).

ح ـ أكبر وأوسع كتاب:

محمد أبو بكر بن يونس حقوقي، عُرف بـ: محمد بن يونس المحامي. من بنغازي بليبيا. مجاز في الحقوق، عمل محامياً. أول مدرِّس في أول كلية حقوق بالجامعة الليبية. عزم على إصدار موسوعة تحوي جميع القوانين والتشريعات في البلاد العربية، فأصدرها بالتعاون مع زميله نبيل سعيد ومجموعة من القانونيين العرب، بعد صبر وجهد، وهي أكبر موسوعة قانونية في العالم، حيث جاءت في أكثر من (٢٠٠) مجلد، بعنوان: «موسوعة التشريعات العربية» في (١٢٠٠٠٠ص)، ومعها أول فهرس عام للتشريعات العربية، ومقدمة الجزء الأول في سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، ووزنها أربعة قناطير، وأُدْخِلَت في موسوعة جينِس

(Guiness) للأرقام القياسية، وتوفي ابن يونس عام ١٤٢٢هـ عن (٧٢) عاماً. (العدد الثامن).

خ ـ عبَّرتَ عن بلاء ببلاء!

قال أبو هفان: سألتُ ورّاقاً عن حاله فقال: عيشي أضيقُ من محبرة، وجسمي أدقُّ من مسطرة، وجاهي أرقُّ من الزجاج، وحظّي أخفى من شقِّ القلم، ويدي أضعف من قصبة، وطعامي أمرُّ من العفص، وشرابي أسود من الحبر، وسوء الحال ألزمُ لي من الصمغ. فقلتُ: عبَّرتَ عن بلاء ببلاء فحسبك! («ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري). (العدد التاسع).

د ـ تصويبات لغوية من كتاب «إجازات وتصويبات لغوية» لمؤلفه الأستاذ محمود شاكر سعيد:

ـ **أبو ظبي**: كلُّ علَم مبدوء بكلمة «أبو» يجوز أن يلزم حالة واحدة في إعرابه، فيقال: هذه أبو ظبي، وهذا أبو بكر، وزرت أبو ظبي، وأحببت أبو بكر، وهذا مطار أبو ظبي، وقرأت سيرة أبو بكر.

كما في: أبو ظبي، وأبو عريش، وأبو الهول، وأبو بكر، وأبو القاسم. هذا إذا كان علَماً، أما إذا كان كنية، فلا يجوز فيه إلا أن يعرب إعراب الأسماء الستة، مثل: هذا أبو محمد، ورأيت أبا محمد، وسلَّمت على أبي محمد.

ـ **بَحَّ الخطيب لا بُحَّ صوته**: يقول بعضهم: «بُحَّ صوت الخطيب» وهذا خطأ. وصوابه: «بَحَّ الخطيب» (بفتح الباء دون ذكر الصوت)؛ لأن الفعل «بَحَّ» يعني: خشن صوته من مرض أو صياح أو نحوهما، أو كان غليظاً خشناً خلقة.

ـ **استلم وتسلَّم**: يشيع قول كثيرين: «استلم الموظف المعاملة»

و«استلم الموظف راتبه»، وهذا خطأ؛ لأن «استلم» يعني اللمس بالتقبيل أو اليد أو المسح بالكف، ومنه استلام الحجّاج الحجرَ الأسود، ولا يفيد الفعل «استلم» معنى الأخذ والتناول كما يظن كثيرون، والصواب في المعنى الذي ذكرنا أن يقال: «تسلم الموظف المعاملة» و«تسلم الموظف راتبه». (العدد العاشر).

ذ ـ «الصحابة المنسوبون لأمهاتهم»:

من تأليف: علي أحمد الخطيب، دار العلم والإيمان/ مصر:

تأليف لطيف في الصحابة الذين اشتهروا بنسبتهم إلى أمهاتهم، من مثل: ابن أخت تأبط شراً، وابن أروى، وابن أم الحكم، وابن أم حكيم، وابن حسَنة، وابن البرصاء، وابن حمامة، وابن أم عبد، وابن أم أصرم، وابن العفواء، وابن الغيطلة، وابن سمية. فترجم لهم، وبيَّن السرَّ في شهرتهم بأسماء أمهاتهم، وقد بلغ عددهم (١٥٠) صحابيًّا. (العدد العاشر).

ر ـ مخطوطات لم تطبع:

ـ التاجر المؤرخ **عبد الواحد بن عبد الله باش أعيان (ت١٣٣٧هـ)** له «زبدة التواريخ» في (١٨) مجلداً لم تُطبع، منها مجلدان بعنوان «النصرة في تاريخ البصرة». (العدد العاشر).

ـ والمؤرخ الموريتاني المشهور **المختار بن حامد الديماني (ت١٤١٤هـ)** استمرَّ في كتابة «موسوعة تاريخ موريتانيا» نحو (٤٠) عاماً، وقد طبع منها الجزء الجغرافي والجزء الثقافي، وبقي منها ما يزيد على (٣٠) جزءاً مخطوطاً. (العدد العاشر).

ـ المؤرخ المعروف **خير الدين الزركلي** صاحب «الأعلام» (ت١٣٩٦هـ) ترك وثائق يبلغ عددها (٤٥٧٤) وثيقة، هي حصيلة حياته

السياسية والأدبية والاجتماعية، من عام ١٣٤٠هـ حتى سنة وفاته، وهي محفوظة بمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض. (العدد العاشر).

١٦٥٩ «غرائب المكتوبجي»، وسياسة القمع الفكري في عهد السلطان عبد الحميد الثاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال المؤرخ **عبد اللطيف الفاخوري** في مقدمته على كتاب «كيف ينهض العرب» لعمر الفاخوري (ص١٦/ ط. دار الآفاق الجديدة): جرت أيام الدولة العثمانية مصادرة عدة كتب ونشرات، ومُنِعَت كتب أخرى من التداول تمشّياً مع سياسة القمع الفكري، ولأسباب مختلفة غير منطقية أحياناً كما حصل على عهد السلطان عبد الحميد الثاني، عندما اجتمع مسؤولو الرقابة على المطبوعات لإقرار كتاب «الكيمياء» المدرسي، وبعد فترة من التداول مَنَعَت اللجنة كتاب «الكيمياء» المذكور؛ لأنها اكتشفت بأنه يحتوي على شيفرة سرية هي الرمز الكيمياوي للماء (H2O)، وعندما تفتقت عبقرية اللجنة عن حل لهذه الشيفرة نجد أن منع هذا الكتاب لا يتعارض مع المنطق! فقد شرحت اللجنة سبب المنع بالشكل التالي:

H ـ يعني: حميد.

2 ـ يعني: الثاني.

O ـ يعني: الصفر.

والنتيجة تصبح أن «حميد الثاني يعني صفراً».. أي لا شيء! وهذا يعني شتيمة السلطان، وهو ما لا يتماشى مع الأخلاق والدين والقانون. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وأرجّح أن القارئ لن يكتفي بهذا المثال ليقتنع بعنوان الفقرة، لهذا سأُرفِق بعض النقولات العجيبة من كتاب «غرائب المكتوبجي/ط. دار المدى» لسليم سركيس (١٨٦٩ ـ ١٩٢٦م)،

ولفظ المكتوبجي يتألف من كلمتين: (مكتوب) بالعربية، و(جي) التركية الملحقة بمعنى عمل أو مهنة، و(المكتوبجي) هو مراقب الجرائد والصحف في الدولة العثمانية، وسليم سركيس هو صحافي من بيروت، كان من أعلام الصحافة العربية والطباعة، وألّف عدداً من الكتب وأصدر عدداً من الجرائد والمجلات لم يُكْتَب لها الاستمرار، سوى مجلته «مجلة سركيس» التي أصدرها بعد عودته إلى مصر عام ١٩٠٥م، وظل يصدرها إلى آخر حياته.

أما كتاب «غرائب المكتوبجي» فقد ألّفه سنة ١٨٩٦م استجابة لطلب (عدد من الأدباء) لإظهار تقييد العقول وحرية الأقلام في تلك الفترة من الدولة العثمانية، وضمَّ ٥٤ انتقاداً، وهاكم بعض غرائبه:

- إن محرر الجريدة في بيروت لا يجوز له أن يذكر كلمة (جمهور)، بل يجب أن يقول (الشعب) أو (القوم)، وفي الإعلانات يُقال عادة (نعلن لحضرة الجمهور)، فيحذفها المكتوبجي ويضع محلها (القوم)، وذلك خوفاً من اشتغال أفكار القراء بالجمهورية والميل إليها!

- نشرت جريدة «لسان الحال» بعض مقالات من أقلام السيدات، وفي ذات يوم جاء المكتوبجي إلى الإدارة وسألني إذا كانت الكتابة المذكورة من النساء حقيقة، فأجبته بالإيجاب، قال: من الآن فصاعداً لا تنشر مقالاتهنّ لأنّ ذلك يفتح عقولهنّ أكثر من اللازم، وليس من شأن المرأة أن تهتم بهذه الأمور!

- كتبت جرائد بيروت أن أحمد أفندي سلطاني زايل الثغر لزيارة شقيقه محمد أفندي سلطاني المقيم في الأستانة، فحذف المراقب النون والياء من سلطاني، وبقي الاسم (محمد أفندي سلطا)؛ لأن السلطان لا يكون إلا لعبد الحميد، وفي حادثة أخرى حذف لقب (سلطاني) بأسره واستبدله بـ (مخزومي) لأن عائلة سلطاني لها لقب (مخزومي).

ـ طبع يوسف أفندي حرفوش كتاباً في الأمثال باللغتين الفرنساوية والعربية، وورد في جملتها المثل الشهير «الحركة فيها بركة»، فأمر بحذف المثل من الكتاب زاعماً أن لفظة الحركة تفيد الثورة!

ـ أرسلتُ الغلمان لـمبيع الجريدة في الشوارع وأوعزتُ إليهم أن ينادوا (موت رئيس جمهورية فرنسا) تنبيهاً للناس إلى الإقبال على ابتياع الجريدة، وفي المساء لم يحضر الأولاد لتقديم حساب المبيع كالعادة، ثم جاءني خبر أنهم جميعاً في السجن! فهرولتُ إلى مدير البوليس أسأله السبب، قال: إنهم ينادون في شوارع المدينة بالجمهورية! قلتُ: بل هم ينادون بموت رئيس جمهورية فرنسا، قال: ألا تدري أن هذه اللفظة ممنوع استعمالها هنا؟! فوعدته أن لا أعود إلى ذكرها، وهكذا أطلق سراحهم! اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ومن باب الإنصاف، فإنّ بعض ما اعتَرَض عليه المكتوبجي يُشكَر عليه؛ كمثل منع نشر قصص الفسق الغرامية، واعتراضه على جريدة نصرانية كتابتها «السيد المسيح له السجود والمجد»، ولم يسمح المكتوبجي بإيراد الآيات القرآنية أو الأحاديث في الجرائد والكتب معلِّلاً أنها تُطرَح على الأرض وتُمَزّق، وفي ذلك من الإهانة ما فيه.

وذكر المستشرق الروسي **أغاتانغيل كريمسكي** (١٨٧١ ـ ١٩٤١م) ـ الذي سكن في بيروت ما بين عام ١٨٩٦ و١٨٩٨م ـ الرقابة العثمانية فقال: «الإنسان العربي السوري في وطنه ـ سوريا وفلسطين ـ يعيش أحلك الظروف في مجال إصدار المطبوعات والكتب، ولا يمكن تصوّر رقابة أشدّ رجعيّة من رقابة السلطة العثمانية، ويمكن اعتبار الرقابة الروسية ـ في أشدّ أيامها قساوة ـ ذات وجه ليبرالي راديكالي إذا ما قُورِنَت بالرقابة العثمانية». (انظر: «بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين» (ص١٣/ ط. دار المدى ـ ١٩٨٥م).

وعقد الكُتبي **قاسم الرجب** (١٩١٩ ـ ١٩٧٤م) فصلاً في «مذكراته» (٢١٥ ـ ٢٢٢/ط. الدار العربية للموسوعات) تحدّث فيه عن الرقابة على الكتب في العراق، وذكر كتاب سليم سركيس، وقال: «والرقيب هو هو، لم يتغيّر منذ الحكم العثماني عندما كان يُسَمّى المكتوبجي»، وذكر بعض ما حصل معه مع (الرُّقباء)، سأذكر لكم واحدة منها، قال:

منعت الرقابة توزيع مجلة «سمير» للأطفال، فذهبتُ بنفسي إلى الرقيب وقلتُ له: هل لي أنْ أعرف سبب منعكم هذا العدد من مجلة الأطفال، لأكتب إلى إدارتـها كي تتحاشى في المستقبل التطرّق إلى مثل هذا الموضوع؟ فاستغرب مَن طلب هذا وقام منتصباً وقال لي: ألم تنظر؟! ألم تَرَ؟! ماذا صوَّرت هذه المجلة اللعينة. فقلتُ: لا، لم أرَ شيئاً، فأشار إلى صورة صغيرة لا تزيد سعتها على بوصة مربعة للخليفة هارون الرشيد وهو يلبس طرطوراً وقال: ألا ترى أنّ هذا الخليفة الذي هو رمز القومية العربية ورمز تراثنا القومي يُهزَأ هكذا به ويلبسه الطرطور هؤلاء الـ. . .، فقلتُ له: لا تحتد يا سيدي! فإنّ الزيّ العباسي للرأس كان هكذا. ولكن كلامي لم يفد معه، فتركته وانصرفت، وأتلفت ذلك العدد من المجلة برمته!

• **فائدة**: جاء في وثائق الشيخ **مصطفى فائز المطرجي** قاضي ولايتَي بيروت وسورية؛ أن مِن بين موظفي ولاية بيروت عام ١٨٩٢م:

ـ المكتوبجي: **عبد الله نجيب أفندي**. (نقلته من «بيروت المحروسة في العهد العثماني» (ص٢٢٢/ط. الدار الجامعية)).

١٦٦٠ عملي في تجميع طبقة شيوخ الحاكم من «تاريخ نيسابور» المفقود:

وهذه الطبقة هي الطبقة السابعة من التاريخ المفقود التي قال الحاكم في بدايتها: «نشرعُ الآن في أسامي الذين أدركتهم ورُزِقْتُ السَّماع منهم بنيسابور»، وقد اعتمدتُ على مخطوطة فارسية مختصرة

لـ«تاريخ نيسابور»، اختصرها **محمد بن حسين أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري** (كان حيًّا في سنة ٧١٧هـ)، فلم يترك لنا إلّا أسماء تراجم «تاريخ نيسابور»، ونادراً ما ينقل شيئاً من الترجمة، وقد نشرها د. **بهمن كريمي** في طهران سنة ١٣٣٩هـ، قال د. **بشار عواد معروف** في «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» (ص٢٣٥): هي نشرة رديئة جدًّا، وفي خزانة كتبي نسخة مصوّرة من هذا المختصر، صوَّرتها من مكتبة بروسيا بتركيا، وهي أحسن من المطبوعة، وقد أعاد نشر المخطوطة الأستاذ ريجارد فراي الأميركي بالتصوير مع مختصرات من «السياق» لعبد الغافر الفارسي. اهـ.

فقُمتُ أوّلاً بنقل اسم الترجمة كما ورد في «المختصر»، وحافظتُ على نص المخطوطة كما هي، مع العلم أنّ فيها الكثير من اللحن والتصحيف والتحريف، ونقلتُ تحتها ما تجمَّع لديَّ من كلام الحاكم في الترجمة المذكورة، ووضعتُ رموزاً للمصادر التي اعتمدتها في تجميع الترجمة على هامش فقرات الترجمة إذا وجدتُ لها أكثر من مصدر، وذكرت رموز المصادر في آخر الكتاب، وبِما أنَّ الخطيب البغدادي ذكر أنَّ أول سماع للحاكم كان في سنة ثلاثين وثلاث مئة؛ وهو ابن تسع سنين، فمِن هذا التاريخ تبدأ طبقة شيوخ الحاكم، ولهذا لم أرجع للمصادر التي ترجمت لأناسٍ توفّوا قبل سنة ثلاثين وثلاث مئة، مثل: «**تهذيب الكمال**» و«**تهذيب التهذيب**» و«**تعجيل المنفعة**» وأمثالها، ولا تقتصر طبقة شيوخ الحاكم على الأشخاص المتوفّين في حدود سنة خمسٍ وأربع مئة ـ وهي سنة وفاته ـ لأنه ترجم في «تاريخه» لأناسٍ عاصرهم وتوفّوا بعده. هذا عملي الذي قصدتُ به تقريب جزء من سفرٍ نفيسٍ ما زال مفقوداً للأمة الإسلامية، عسى أن يُكشَف عن مخطوطته النقاب في إحدى سراديب «إيران» أو غيرها يوماً ما!!

قال د. **شادي بن محمد آل نعمان** حفظه الله: أخونا الكريم أبو معاوية البيروتي تعرَّفت عليه من خلال عمله النافع «تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم»، وقد أعجبت بعمله جدًّا، حيث إنه يطرق باباً هامًّا من أبواب التصنيف يندر اعتناء طلاب العلم به وهو باب «استدراك المفقود من تراث أمتنا»، وأعجبني منهجه الذي سلكه في جمع مادته، كما لفت نظري أسلوبه الجيد في توثيق كل عبارات الترجمة عن طريق الرموز مع ذكر المصادر كاملة آخر الترجمة، فجمع بين منهجين من مناهج التوثيق في آن واحد، كما أعجبني اعتناءه بالنقل عن مخطوط نفيس وهو «زهر الفردوس» فلفت الأنظار إلى أهميته في هذا الباب، إلى غير ذلك من محاسن الكتاب...

كما أفاد وأجاد في كتابه النافع «تأريخ الـمُحَدِّثين لمدن المشرق والشام»... أسأل الله أن ينفع به وأن يجعل جهوده في ميزان حسناته.

١٦٦١ كتاب «حسن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة»:

الكتاب لأبي عمرو عثمان بْن إبراهيم النابلسي الأصل، المصريّ، الكاتب. ترجم له **الذهبي** في «تاريخ الإسلام» فقال: ولد سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مئة، وسمع بدمشق من حنبل، وغيره، وتقلب فِي الخِدَم الديوانية، روى عَنْهُ: الدمياطي، ولقبه بعلاء الدين، تُوُفّي فِي جُمَادَى الأول سنة ستين وست مئة. اهـ.

وترجم له **البغدادي** في «هدية العارفين» فقال: علاء الدين، هو أحد أمراء الدولة الأيوبية توفي سنة... صنف «إظهار صنعة الحي القيوم»، «تجريد سيف الهمة لاستخراج ما في ذمة الذمة»، «لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية». اهـ.

وقد وقفتُ على نصّين من كتابه، قال **أبو عمرو عثمان النابلسي**:

أ ـ رأيتُ كتاباً قدر اثنتي عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذي كان لأحمد بن طولون. فإذا كانت أسماء الشعراء في اثنتي عشرة كراسة فكم يكون شعرهم؟ (نقله المقريزي في «المواعظ والاعتبار» وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»).

ب ـ إن ضرغاماً لما ثار على شاور وفر شاور إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق يستنجد به على ضرغام، ويعده بأنه يكون نائباً عنه بمصر، ويحمل إليه الخراج، أنشأ لنور الدين عزماً لم يكن، فجهز ألف فارس، وقدّم عليه أسد الدين شيركوه، وأمره بالتوجه فأبى وقال: لا أمضي أبداً. فإن هلاكي ومن معي وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا، وكيف أمضي بألف فارس إلى إقليم فيه عشرة آلاف فارس ومئة سبهبد فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد، وقوم مستوطنون في أوطانهم فرأيت حرابتهم، ونحن نأتيهم مصر تعب السفر بهذه العدة القليلة. قال: ثم أجابه بعد ذلك هذا أعزك الله بعدما كانت عساكر أحمدَ بن طولون ما سنراه في ذكر القطائع إن شاء الله تعالى. (نقله المقريزي في «المواعظ والاعتبار»).

١٦٦٢ ما هو مصير مخطوطات أمير البيان شكيب أرسلان (١٢٨٦ ـ ١٣٦٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ؟

ذكرها المؤرخ الدكتور **عادل نويهض** ـ أحد معاصري الأمير ـ حسب معلوماته الخاصة عن المخطوطات والرسائل، فقال: مؤلفاته المخطوطة فُقِدَت كما قيل بعد وفاته مباشرة، ووفقاً لمعلوماتي الخاصة أنّ ابنه المرحوم غالب قد باعها ـ كلّها أو بعضها ـ إلى رجل من الضاحية الجنوبية (قال أبو معاوية البيروتي: يقصد ضاحية بيروت الجنوبية) تربطه به صداقة متينة، وفعلاً عُرِضَت عَلَيَّ مخطوطتان منها عام ١٩٨٥م لشرائها، ولكن الظروف المالية حالت دون ذلك، فبِيعَت لأستاذ

في الجامعة اللبنانية، كما علمتُ أن بعضها وصل إلى بلدة «عبيه». إذن لا سبيل لجمع هذا التراث ونشره، إلّا إذا عرفنا أين مستقرّه. أمّا رسائله إلى أصدقائه في دنيا العرب والإسلام فكثيرة جدًّا ومهمة جدًّا، وقد قدّر لي أنْ أَطَّلِع على عشرات منها موجّهة إلى عجاج نويهض، وكانت في مكتبته في (بيت المقدس) قبل النكبة عام ١٩٤٨م، ثمّ استقرَّت في مكتبة الجامعة العبرية في المدينة نفسها، كما اطَّلعتُ على رسائل أخرى موجَّهة إلى المؤرّخ العراقي السيد عبد الرزاق الحسني في الثلاثينات من هذا القرن، وعندي معلومات أخرى بأنّ هناك صندوقين كبيرين أحضرهما الأمير معه عندما جاء آخر مرَّة إلى لبنان في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٦م، تحتويان على مذكراته وكتبه ووثائقه ومخطوطاته ورسائله، وقد شحنتهما السيدة ميّ ابنة الأمير وأهدتهما إلى ملك المغرب الحسن الثاني، وكان الواسطة في ذلك الأستاذ أحمد ابن سودة رئيس البلاط الملكي، ولا نعلم بالضبط مدى صحّة هذا الأمر. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نقلتُه من كتاب «من آثار أمير البيان شكيب أرسلان في الشعر والنثر» (ص٢٣١/ ط. الدار الجامعية ـ ١٩٩٦م) لنجيب البعيني، ثم عدَّد المؤلف ما وقف عليه من المخطوطات، أنقلها لكم باختصار:

ـ «اختلاف العلم والدين»، ترجمه الأمير عن الفرنسية لداربر الأميركي.

ـ «بيوتات العرب»، يقع في ثلاث وثلاثين كراسة، و«نسخته موجودة عند محمد علي الطاهر».

ـ «تاريخ بلاد الجزائر، وأخبار الأمير عبد القادر»، كتاب في تعريب الأعلام العربية المكتوبة بأحرف أجنبية.

ـ «البيان عمّا شاهدتُ من الأعيان»، كتاب عُثِر على بعض أوراق

منه غير مكتملة ومبعثرة في مكتبة أمين خضر من بعقلين. (قال البيروتي: طبعته مؤخراً الدار التقدمية/ الشوف ـ لبنان).

ـ «حياة شكيب بقلمه»، ضمَّنها مذكراته عن الأحداث السياسية والاجتماعية التي وقعت في عصره، واشترك فيها أو تأثر بها، أو وقف على أخبارها وأسرارها. (قال البيروتي: لعلّه المطبوع مؤخراً في الدار التقدمية/ الشوف ـ لبنان بعنوان «سيرة ذاتية»).

ـ «ما لم يرد في متون اللغة»، ذكرها الأمير في رسالة إلى محمد رشيد رضا بتاريخ ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٠هـ.

ـ «طرابلس وبرقة»، ذكر في كتاب «حاضر العالم الإسلامي» أنه شرع في البحث عن البلاد الطرابلسية.

ـ «الحلّة السنية في الرحلة البوسنية»، ذكره الأمير في مقالٍ كتبه في «مجلة الفتح» المصرية (العدد ٣١٠/ ١٤ جمادى الأول ١٣٥١هـ)، ذكر فيه سياحته إلى بلاد المجر ويوغوسلافية، وذكره في كتابه «تاريخ غزوات العرب».

ـ «مدنية العرب»، ترجمه الأمير عن غوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي، وذكره في «حاضر العالم الإسلامي».

ـ «الجيش المعبّا من تاريخ أوروبا»، ذكر أنه شرع فيه في رسالة إلى الشيخ محمد رشيد رضا بتاريخ ٢ ذي الحجة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.

ـ «قضيتنا مع سمو الخديوي من أولها إلى آخرها»، ذكره برسالة إلى الشيخ محمد رشيد رضا كتبها بأوائل سنة ١٩٣٢م، يشير فيها إلى خلافه مع الخديوي.

ـ «ذكريات الحرب»، ذكر أنه شرع فيه في رسالة إلى الشيخ محمد رشيد رضا بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٢١م، ونشرت المنار فصولاً من الكتاب تحت عنوان «كوارث سورية في سنوات الحرب».

ثم قال نجيب البعيني: بالإضافة إلى ما ذكرنا، هناك مخطوطات أخرى ما زالت مجهولة ولم يُعرَف عنها شيء، وآخر مطبوعة طُبِعَت للأمير هي «القول الفصل في ردِّ العامي إلى الأصل»، وقد حققها الدكتور اللغوي محمد خليل الباشا، وصدرت عن الدار التقدمية في المختارة ١٩٩٠م، وقد وجدناها مهملة بين أوراق أمين خضر في مكتبته في بعقلين، ويقول الأستاذ عارف النكدي في مقالٍ نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد ٢٢/١٩٤٧م) أن هناك كتاباً باسم «تاريخ لبنان» لديه نسخة منه. وكتاب آخر بعنوان «التعريف بمناقب سيدي أحمد الشريف»، وهو صديق عزيز للأمير، وتوجد رسائل متبادلة بينهما تدلُّ على إخلاص وثقة. هذا مجمل ما نعرفه عن مخطوطات الأمير...

١٦٦٣ وصفُ الشيخ علي الطنطاوي الظريف للمستهترين الذين يستعيرون كتبه!

قال الشيخ **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ومثل هؤلاء المقترضين (الأفاضل) مستعيرو الكتب، أولئك الذين تركوا في قلبي غصصاً حلفت بعدها بموثقات الأيمان أني لا أعير أحداً كتاباً. ولم أنج مع ذلك منهم، ولم يرد لي إلى الآن كتاب (كشف الظنون) الذي نسيت مَن استعاره مني منذ إحدى عشرة سنة...

ولهؤلاء المستعيرين نوادر شهدت منها العجب، منها أن أستاذاً محترماً في قومه جاءني مرة يلتمس إعارته جزءاً من تفسير الخازن من خزانة كتبي، ليراجع فيه مسألة ويرده إليَّ عاجلاً، ففعلت؛ وانتظرت أربع... أربع سنوات - واللهِ - ثم ذَكَّرته به؛ فغضب وقال: «لإيش العجلة يا أستاذ، لم أراجع المسألة بعد...»!

والذي يذكر منهم صاحب الكتاب ويتنازل فيردّه إليه، يرده مخلوع الجلد، ممزق الأوصال. وأنكى منه المستعير المحقق المدقق الذي يرمي

في الكتاب موطناً يحتاج إلى تعليق، فيكتب التعليقة التي يفتح الله بها عليه على هامش كتابك بالحبر الصيني الذي لا يمحى ولا يكشط، ويذيلها باسمه الكريم!!

وشرٌّ من هؤلاء جميعاً الثقيل الذي يتظرّف ويتخفف، فيرى أن من الظرف سرقة الكتب، فإذا زارك وتركته في المكتبة وخرجت لتأتيه بالقهوة أو الشاي أخذ كتاباً فدسه تحت إبطه، أو وضعه في جيبه ثم ذهب به وأنت لا تدري!

● نقلتها من «مجلة الرسالة» (العدد ٤٣٣).

١٦٦٤ الشكوى من عالم استعار مخطوطاً قيِّماً ولم يعيده لصاحبه أبداً!

كان الفقيه **أحمد بابا بن أحمد بن أحمد التنبكتي** (٩٦٣ ـ ١٠٣٦هـ) (التنبكتي نسبة إلى مدينة تنبكتو التي تقع الآن في دولة مالي) ولوعاً بالكتب شغوفاً بزيارة المكتبات، وحدث أن توقف في طريق عودته إلى تنبكتو بتمكروت حيث المكتبة المشهورة والمعروفة إلى يومنا هذا؛ ليطّلع على ما هو موجود من مخطوطات عند بعض علمائها، وخلال إقامته بتمكروت ألَّف رسالته في مسألة التبغ التي انتهى من تأليفها بتمكروت يوم الخميس ١٩ جمادى الآخرة عام ١٠١٦هـ (أكتوبر ١٦٠٧م)، وأثناء إقامته في تمكروت رأى عند الفقيه **التمكروتي محمد بن إبراهيم** نسخة جيدة من كتاب «الروض المعطار» للحميري ـ هذا المعجم البلداني القيّم الذي أخرجه د. إحسان عباس ـ، وقد أُعجب الشيخ بابا بهذه النسخة وتعلَّق بها تعلّق هاوي المخطوطات عندما يعثر على مخطوط نفيس، فسمح بها الفقيه التمكروتي إكراماً للشيخ باعتباره ضيفاً وتقديراً لشخصيته العلمية، ووافق على إعارتها إياه بشرط أن ينتسخ منها نسخة ثم يردّها.

لكن حصل ما يحدّثنا به المرابط التمكروتي المذكور بقوله:

«ليعلم الواقف على هذا أنّ الفقيه العالم سيدي أحمد بن أحمد

أقيت الصنهاجي التنبكتي - ببابا شُهِر وعُرِف - استعار منّي هذا التأليف في جزئين بخطٍّ مشرقيٍّ عتيق صحيح لا نظير له، استعاره منِّي عام انصرافه من المغرب لبلده تنبكتو، وذلك عام ستة عشر وألف، وكان طلب منِّي أنْ أسمح له به حتى يستنسخه؛ ففعلت، فحبسه خمسة عشر عاماً وأنا أكتب له عليه في ردِّه، فوجَّه إليَّ هذه النسخة المنسوخة من نسختين وحبس نسختي! فلا حول ولا قوة إلّا بالله! وجاءتني هذه النسخة عام أحد وثلاثين وألف».

• من مقدّمة بروفنسال على كتاب «الروض المعطار» للحميري، نقلها د. محمد بن عزوز في تحقيقه لكتاب «جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة» للتنبكتي.

١٦٦٥ الابن البارّ بأبيه: القاسم ابن الحافظ ابن عساكر، الذي لولا تبييضه لـ«تاريخ دمشق» لم يتم!

الحافظ علي ابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١هـ)، أنجب ابنه القاسم (٥٢٧ - ٦٠٠هـ)، الذي أنجب ابنه عليًّا (٥٨١ - ٦١٦هـ).

ترجم الذهبيُّ للقاسم في «سير أعلام النبلاء» فقال: الإمام المحدث، الحافظ، العالم الرئيس، بهاء الدين، أبو محمد، القاسم ابن الحافظ الكبير محدث العصر ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي، المعروف بابن عساكر.

وقال في ترجمته: سمع من... أبيه أبي القاسم الحافظ، فأكثر إلى الغاية، فإنني ما علمتُ أحداً سمع من أبيه أكثر من هذا الابن، حتى ولا ابن الامام أحمد! لعل القاسم سمع من أبيه ثلاثة آلاف جزء... جمع كتاباً كبيراً في الجهاد، وما قصَّر فيه، ومجلداً في فضائل القدس، ومجلداً في المناسك، وكتاباً في من حَدَّث بمدائن الشام وقراها، وخرَّج لنفسه موافقات وأبدالاً وسباعيات، وأملى عدة مجالس، وروى الكثير، وتفرد بأشياء عالية، وحَجَّ في سنة خمسٍ وخمسين وخمس مئة. اهـ.

ونقل **الذهبيُّ** عن الحافظ ابن رافع أنّه رأى بخطّ الحفيد **عليٍّ** «ترجمةً» لوالده القاسم، ومما قال فيها: **لَوْلَا تَبييضْ والدي القاسم لِكِتَابِ «التَّارِيْخ»، وَنقله مِنَ المسوّدَة، لَمَا قدر الشَّيْخ الكَبِيْر - يَعْنِي وَالِده الحافظ - عَلَى إتقَانه، وَلَا جَوَّده**، فَإِنَّهُ حِيْنَ فرغ مِنْ تسويده، عجز عَنْ نَقله، وَتَجديده، وَضَبْطِ مَا فيه مِنَ المشْكِلِ، وَتحدِيده؛ كَأنَّ نظره قَدْ كَلَّ، وَبصره قَدْ قلّ، فَلَمْ يَزَلْ وَالِدِي يَكتب، وَيَنْقله مِنَ الأَورَاق الصّغَار وَالظُهُوْر، وَيهذّب إِلَى أَنْ نَجز مِنْهُ نَحْو مئَة وَخَمْسِيْنَ جُزْءاً، وَكَأَنَّ بينهما نَفرة، فكان لا يحضر السَّماع تلك المُدَّة، فحكى لي والدي، قال: «ضاق صدري، فأتيت الوالد ليلة النِّصف في المنارة الشرقية»، وزال ما في قلبه.

وسمعت أبا جعفر القرطبي كثيراً يقول: سمعتُ جَدَّك كثيراً يقول عند غَيبة والدك عنه: جزاه الله عني خيراً، فلولاه ما تَمَّ التاريخ، هذا أو معناه.

١٦٦٦ دمعة على تراث مالكي مفقود!!

- إطلالة سريعة، ونظرة عابرة في «ترتيب المدارك» أو «الديباج» أو «شجرة النور الزكية» أو غيرها، كافيَة للوقوف على تلك الدرر المالكية الضخمة التي لا نعرف حتى الساعة سبيلاً للوصول إليها - هذا إنْ كان لها وجود يُذكر -.

- فهل تعلم أخي الموفق أن حديث عبد الله بن وهب بن مسلم (ت١٩٧هـ) بلغ المئة ألف، وأن له كتاب: «الموطأ»، و«الجامع»، وغير ذلك؟ «الترتيب» (١/ ٤٢٢، ٤٢٥).

- وهل أدركت أن معن بن عيسى (ت١٩٨هـ) له أربعون ألف مسألة سمعها من مالك، وله في الرواية مكان عال. «الترتيب» (١/ ٣٦٨).

ـ وهل سألت عن مدوّنة أسد بن الفرات (ت٢١٨هـ) تلك التي كانت تعرف بالأسدية.

ـ وهل بلغك أن من التآليف الحسان: كتاب «الأصول» في عشرة أجزاء، و«تفسير غريب الموطأ»، لأصبغ بن الفرج (ت٢٢٥هـ)، ولا تنس سماعه من ابن القاسم فهو اثنان وعشرون كتاباً، وكذا كتابه في الرد على أهل الأهواء، وغير ذلك. «الديباج» (١/ ٢٩٩).

ـ وأحسب أن «مسند بقي بن مخلد» (ت٢٧٥هـ) منك على بال؛ كيف وهو أكبر من «مسند الإمام أحمد». «تاريخ علماء الأندلس» (١/ ٩٢).

ـ وإليك ما يقوله الخطيب البغدادي عن القاضي إسماعيل بن إسحاق (ت٢٨٢هـ): «صنَّف في الاحتجاج لمذهب مالك وشرحه ما صار لأهل هذا المذهب مثالاً يحتذونه». «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٨٥).

ـ وأختم بما فقد من كتب محمد بن وضاح (ت٢٨٦هـ)؛ ككتاب: «العباد والعوابد»، ورسالة السنة، وكتاب السنة، وكتاب «الصلاة في النعلين»، وكتاب «النظر إلى الله تعالى». «الديباج» (٢/ ١٨٠)، و«شجرة النور الزكية» (ص٧٦).

ـ ولعل من أسباب هذا الفقدان وذلك الضياع ـ خاصة إذا تعلق الأمر بتراث المالكية المغربي، ولعله أكثره ـ ما أشار إليه الحسن اليوسي (ت١١٠٢هـ) في كتابه «المحاضرات في الأدب واللغة»: «الاعتناء بالأخبار والوقائع والمسانيد ضعيف جدًّا في المغاربة»، ثم عَقَّب ببيان سبب ذلك بقوله: «فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية، وفيما سوى ذلك لا همَّة لهم»، وختم بالإشارة إلى ما ينتج عن ذلك لِمَا نقل عن صاحب «مرآة المحاسن» قوله: «كم في المغرب من فاضل ضاع من قلة اعتنائهم»، ثم قال متأسِّفاً مؤكِّداً: «وهو كذلك». (١/ ١٧٢، ١٧٥).

ـ وإطلالة عابرة على مخطوطات المالكية المغربية الخالية من طباق السماع ـ التي تزيَّنت بها مخطوطات المشارقة ـ تعطيك تصوَّراً كاملاً لِمَا ذكره اليوسي، والله المستعان.

ـ وللفائدة: فكتاب «الجامع» لابن وهب ـ الذي عُثِرَ عليه مدفوناً في صعيد مصر!! ـ عليه أقدم سماع فيما بلغنا، كما حدثنا بذلك الخبير صالح الأزهري وفقه الله، والله أعلم.

ـ وطلبة العلم ينتظرون خبراً يثلج الصدر، ويفرح الفؤاد ويريحه، يحمل في طياته نبأ العثور على درَّة مالكية عتيقة كانت طيّ النسيان، ويقين الفقدان، مما لم يخطر بالبال والحسبان، وما ذلك على الله بعزيز.

• كتبه أمير بن أحمد قروي.

وعقَّب أخونا عبد الإله العباسي حفظه الله أنَّ من أهم أسباب فقدان كثير من كتب المالكية ما ذكره المراكشي (ت٦٤١هـ) في «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» (١/ ٨١) عن الخليفة الموحّدي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (ت٥٩٥هـ) أنه: في أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرَّد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن، ففُعِلَ ذلك، فأُحْرِق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: سبحان الله! أَحرَق بعضُ المالكية كُتُب إمام أهل الظاهر ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، فجاء بعدهم خليفة على مذهب أهل الظاهر فأحرق كتب المالكية!!

١٦٦٧ مختارات من كتاب «سير أعلام تِلِمْسَان» للدكتور عبد الحق حميش

الكتاب طبعته دار التوفيقية/ الجزائر سنة **١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م**، ويتحدّث المؤلف في النصف الأول من كتابه عن موقع مدينة **تِلِمْسَان** في

بلد الجزائر وجغرافيتها وتاريخها وسكانها، وتبدأ تراجم أعلامها في الصفحة (١٦٥)، وهو جمعٌ طيب، لكن يْعاب على المؤلّف تكراره للتراجم؛ فالمترجَم (ص١٦٨) أعاد ترجمته (ص٢٢١)، والمترجَم (ص١٧٣) أعاد نفس ترجمته (ص١٨٦)، والمترجَم (ص١٧٤) أعاده (ص١٨٥)، والمترجَم (ص١٨٣) ترجمه (ص٣١٨) و(ص٣٤٣)!! والمترجَم (ص٢٥٣) ترجم له (ص٣٢٩) أيضاً! ولعل هناك تراجم أخرى كررها. والعجيب أنّ الدكتور عَدَّد التواريخ المُؤَلَّفة عن تلمسان (ص١١)، وفاتَه أن يذكر «تاريخ تلمسان» لمحمد ابن هدية المذكور في ترجمته (ص٣٣٠)! فيجب على المؤلّف أن يعيد النظر في كتابه وينقّحه ويحذف المكرر، وهاكم بعض الفوائد التي قيَّدتها من الكتاب:

ص١٠٧ ـ أقام الأمير **عبد القادر الجزائري** في تلمسان الجزائرية، ثم اضطر للهرب منها بعد أن وشى به أهلها، فلم يتردد الأمير في هجوها، ويحفظ أهل تلمسان بعض ما قاله فيهم، فروى أحد أبنائها أنه قال:

تلمسان بلاد الهم والسم ... وفيها شربت الدم

واللي ما آمنيش ... يسكن ثم

ص٢١٥ ـ صَنَّف **علي بن محمد الخزاعي** (ت٧٨٩هـ) كتاب «تخريج الدلالات السمعية»، على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، فاطّلع عبدالحي الكتاني على نسخة غير تامة، فأضاف إليها زيادات كثيرة ونسب الكتاب كله إليه، وسمّاه «التراتيب الإدارية ـ ط» في مجلدين، وعلمت أن ما فات الكتاني من كتاب الخزاعي هو نحو ربعه، ثم رأيت هذا الربع في إحدى خزائن تطوان الخاصة، ونقلت عنه خزانة الرباط نسخة بالتصوير الشمسي. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: هكذا نقل الدكتور الكلام السابق في متن

الكتاب، والذي يُخَيَّل لقارئه أنه هو المتكلّم، ولكني اكتشفت أن القائل هو الزركلي في «الأعلام» وليس د. حميش! وهذا خطأ منه غفر الله له، فلا يكفي أن يذَيِّل في آخر الحاشية «الأعلام للزركلي ٥/٧» بل كان عليه أن يُبَيِّن في المتن أن القائل هو الزركلي!

ص٢٠١ ـ ابن حافي رأسه (٦٠٦ ـ ٦٩٣هـ)، **محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الزناتي المالكي النحوي**، . . . ولُقِّب بـ(حافي رأسه) لحفرة كانت في دماغه، وقيل: كان في رأسه شيء يشبه الحفرة، وقيل: لأنه كان في أول أمره مكشوف الرأس، وقيل: رآه رئيس في الثغر فأعطاه ثياباً جدداً لبدنه، فقال: هذا لبدني ورأسي حافي؟ فأمر له بعمامة، فَلَزِمَه ذلك.

ص٢٣٤ ـ **أحمد بن زكري التلمساني المالكي**، مدحه التنبكتي بقوله «العالم الحافظ المتفنن الإمام الأصولي الفروعي المفسر الأبرع المؤلف الناظم الناثر»، ذكر عنه ابن مريم في «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» (ص٤٠) أنه كان ينهض باكراً ليلتحق بدرس شيخه محمد بن العباس بمنطقة عباد خارج تلمسان ويرجع في المساء، وفي بعض الأيام سقط الثلج بكثافة فلم يستطع العودة، فنام في إسطبل الشيخ فوق التبن الذي يُستَعمل لعلف الفرس، فلمّا جاءت الخادمة وجدته نائماً فأخبرت الشيخ الذي كتب إلى السلطان يطلب منه أن يمنح التلميذ بيتاً في المدرسة السلطانية، وقد وافق السلطان على هذا الطلب، فكتب له البيت برتبته وفرشه وسمنه وزيته وفحمه ولحمه وجميع ما يمونه، وكل هذا من بركة العلم والحرص على طلبه.

١٦٦٨ كتاب الهجفجف بن غدقان بن يثربى مع الهنوت بنت مخرمة بن أنيف!!

هذا الكتاب **لأبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي** (ت٤١٧هـ)، كان عارفاً باللغة وفنون الأدب والأخبار،

سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المجالسة، دخل الأندلس في أيام هشام بن الحكم المؤيد وولاية المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر واتصل بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأفرط في الإحسان إليه والإقبال عليه، ثم استوزره.

ومما أَلَّف للمنصور أبي عامر: كتاب «الفصوص» على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي، وكتاباً آخر على مثال كتاب الخزرجي أبي السري سهل بن أبي غالب سماه كتاب «الهجفجف بن غدقان بن يثربى مع الهنوت بنت مخرمة بن أنيف»، وكتاباً آخر في معناه سماه كتاب «الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء». (الكتابان الأخيران يبدوان على نسق كتاب «كليلة ودمنة» المشهور).

قال أبو محمد علي بن أحمد: وهو كتاب مليح جدًّا، وكان المنصور أبو عامر كثير الشغف بكتاب «الجواس»، حتى رتَّبَ له من يخرجه أمامه في كل ليلة.

قال عبد الواحد بن علي المراكشي (ت٦٤٧هـ) في كتابه «المُعجِب في أخبار المَغرِب» عن كتاب «الجواس»: وهو كتاب لطيف ممتع جدًّا، انخرم في الفتن التي كانت بالأندلس فسقطت منه أوراق لم توجد بعد. اهـ.

والهَجَفْجَفُ: الرَّغِيْبُ البطن.

• المصدر: ترجمة صاعد في «جذوة المقتبس» للحميدي و«إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» لياقوت.

١٦٦٩ مكتبة العلامة حمد الجاسر التي احترقت في بيروت... ومتى بدأ بجمع الكتب؟ وكيف كانت قراءته؟

قال العلامة حمد الجاسر (ت١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: كنتُ قد نقلتُ أفضل ما لديَّ من كتب إلى بيروت، ومع الأسف الشديد في أثناء الحرب

الأهلية قد أصابها النهب والإحراق. (كانت لديَّ بعض المخطوطات في مكتبتي ببيروت وعدد منها بخطوط مؤلّفيها، ولكنها لم تكن قديمة جدًّا حيث لم تكن هوايتي جمع أقدم المخطوطات، بل كانت هوايتي جمع أنفَسها، وبخاصة ما له صلة باتجاهي وميولي). كان موقع مكتبتي في العَزَارِيّة؛ وهي أهم مركز تجاري وسط بيروت، وكانت جزءاً من المكان المخصص لدار النشر الخاصة بي، وهي دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، كما كنتُ أصدر منها مجلة «العرب»، ولهذا فقد أصدرت معظم مؤلفاتي من هناك، المهم كانت لي مكاتب هناك، كما كانت البناية تضم مستودعاً للكتب، فحصل احتكاك بين الفريقَين المتحاربَين وهجموا على العزارية، وأصابنا منهم ما أصابنا منذ ٨ سنوات تقريباً، أي في أول سنوات الحرب ١٩٧٦م، وأذكر جيداً أننا قد جلسنا أكثر من ٢٧ يوماً لا نستطيع الخروج من منازلنا، بل إننا في كثير من الأوقات نضطر الى النزول في الأقبية حيث الصواريخ تضرب البنايات، وكنا مهدّدين في كل لحظة.

وسُئِل الجاسر: منذ متى بدأت في جمع الكتب؟

فأجاب: بدأت أجمع الكتب منذ أن التحقت بالدراسة في المعهد الإسلامي السعودي الذي أُنشئ سنة ١٣٤٧هـ، إذ أنني حججتُ سنة ١٣٤٨هـ، وبعد ذلك أي في سنة ١٣٤٩هـ التحقت بالمعهد، وكان الإقبال عليه ضعيفاً مما جعل الملك عبدالعزيز يرحمه الله يطلب إدخال عدد من أبناء نجد ليتعلّموا، وفعلاً تَمَّ ذلك سنة ١٣٤٩هـ، وكنت من ضمن الملتحقين، ومنذ ذلك الوقت وأنا أحرص على اقتناء الكتب التي أستطيع الحصول عليها. وإذا صَحَّ أنّني ولدتُ سنة ١٣٢٨هـ فمعنى ذلك أن عمري كان إحدى وعشرين سنة.

وسُئِلَ: متى تقرأ يا شيخ حمد وكم ساعة في اليوم؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنتُ إلى ما قبل سنة تقريباً أقرأ في كل وقت، بل إنني قد أكون مستغرقاً في النوم ثم أذكر مسألة بحثت عنها في النهار، فأتذكر المصدر الذي يمكن أنْ يدلّني عليها فأقوم في الليل وأبحث في المرجع أو المصدر، وحين أُوَفّق في ذلك أحس أنني قد نِلْتُ شيئاً عظيماً، وفي الحقيقة إنَّ لذةَ البحث لا يدركها إلا من وطَّن نفسه على هذا الأمر.

● مقتطف من مقالة «لقاء ورحلة جريدة الجزيرة داخل مكتبة الشيخ حمد الجاسر قبل ٢٦ سنة»، نقلها مصعب الجهني في موقع «ملتقى أهل الحديث». وانظر: للفائدة الفقرة (٣٨٥) من الكنّاشة.

١٦٧٠ «رسائل سيف الإسلام» للشيخ علي الطنطاوي دفع ثمن تكاليفها بهائي!!

كتب الشيخ علي الطنطاوي (١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوراقٍ له لم تُنشَر: أصدرتُ سنة ١٣٤٩هـ سلسلة جديدة عنوانها «رسائل سيف الإسلام» في الدعوة إليه والذبِّ عنه، بلغت ثماني رسائل، وألحقتُ بها رسائل أخرى بلغت سبعاً، وكانت توزّع مجاناً. ولهذه الرسائل قصة طريفة؛ وهي أنّ مكتبة عَرَفة في المسكية (أي سوق الكتب) عند باب الجامع الأموي كانت مجمع الأدباء، وكنّا فيها يوماً فوقف علينا شاب لا نعرفه، وخاض في حديثنا، فتبيّن أنه من دعاة البهائية. فلمّا طال المجلس قلتُ له: دعك من الكلام، فالمسألة مسألة مال، فكم تدفع إنْ أنا اتّبعتُ مذهبك؟ فأخرج ليرتين ذهبيتين، وكان لذلك قيمة، فأخذتهما وذهبت، فكتبتُ الرسالة الأولى من رسائل «سيف الإسلام» رددتُ فيها على البهائية وغيرها من الفرق الضالة، وكتبتُ على غلافها: «طُبِعَت بنفقة فلان (وذكرتُ اسمه صريحاً) وهي توزّع مجاناً»!

ومن هذه الرسائل رسالة «لماذا أنا مسلم؟»، ورسالة في ذكرى المولد النبوي، ورسالة في وجوب الدعوة إلى الله، ورسالة في الصلاة،

ورسالة في الشيوعية، ورسالة في الأدب القومي فيها ردٌّ على الأستاذ شفيق جبري، ورسالة موضوعها بدعة جديدة جاء بها رجلٌ يدّعي أنه المهدي صدرت سنة ١٣٥٠هـ.

• نقل السابق سبط المؤلّف مجاهد مأمون ديرانية في كتابه الذي ترجم فيه لجدّه (ص٣٨/ ط. دار القلم).

١٦٧١ (أطيعوا الله ولا تطيعوا الرسول)!!

نزلتُ يوماً ـ منذ قرابة ٢٠ سنة ـ إلى مستودع أحد دور النشر في بيروت، فوجدتُ بجانب مسؤول المستودع عشرات النسخ من كتاب «رياض الصالحين» للنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووجدته يلزق على كلِّ نسخة ورقة صغيرة على إحدى صفحاتها!

فسألته: ما الحكاية؟ فقال: مركز الصف كتب الآية ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] [النور: ٥٤] خطأ! طبعوها: ﴿أطيعوا الله ولا تطيعوا الرسول﴾!!!

وقد أعطت الإدارة مسؤول المستودع ورقة عليها الآية مصححة ليلزقها على جميع النسخ البالغ عددها آلاف!! وإنا لله وإنا إليه راجعون!

١٦٧٢ تعريف بكتاب «التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني» للدكتور عماد رؤوف/دار الوراق ـــ لبنان:

هذا الكتاب عبارة عن موسوعة توثيق للمؤلفين العراقيين وآثارهم التاريخية خلال العهد العثماني، وكثير منهم لا نعرف عنهم شيئاً! وذكر المؤلف فيه الكثير من تواريخ المدن ـ كبغداد والبصرة وكربلاء والنجف وكردستان ـ، والطوائف والأديان ـ حتى اليزيدية والسريان ـ، وكتب أنساب، وتراجم ذاتية، ومَن ترجم لوالده أو لأحد الولاة، وفَصَّل في أحوال المؤرخين، فهذا صوفي، وهذا سلفي، وذاك رافضي، وذاك سرياني، وآخر يزيدي. . . إلخ.

وأهم ما يميز الكتاب، استفاضة المؤلف في ذكر المخطوطات وأماكن تواجدها، وبيانه إنْ كان الكتاب مطبوعاً أو مفقوداً، وأثرى كتابه بالعشرات من صور بدايات المخطوطات التي تحدث عنها.

والأستاذ الدكتور عماد رؤوف من الأشراف العباسيين، وله أكثر من خمسين كتاباً مطبوعاً ذكرها في آخر كتابه، معظمها في التاريخ والتراجم، ما بين تأليف وتحقيق، وأول كتابٍ له طُبعَ سنة ١٩٦٦م، وكتابه هذا طبع سنة ٢٠٠٩م، وهو كتاب قيم جدًّا أنصح الإخوة باقتنائه.

• وكتبه أبو معاوية البيروتي، ٢٠ رجب ١٤٣٦هـ.

١٦٧٣ من المؤلفات المفردة في آحاد الصحابة ﵃:

للشيخ **محمد بن إبراهيم الشيباني** كتاب «معجم ما أُلِّف عن الصحابة وأمّهات المؤمنين وآل البيت ﵃»، وهو من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق/ الكويت سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، وقد «احتوى على كمٍّ هائل من المؤلّفات التي تصدَّت لجميع أحوال الرعيل الأول ـ تقريباً ـ؛ أقوالهم، أخبارهم، فضائلهم، أشعارهم، مغازيهم مع رسول الله ﷺ، جودهم، كرمهم، جهادهم في سبيل نصرة دين الله وإعزازه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ ، عبادتهم، وزهدهم، جمعهم للحديث النبوي وحفظهم له، هجراتهم، وفي أسماء معركة أهل بدر والشهداء فيها، وأنسابهم. فالمعجم احتوى على أكثر من ألف وثلاث مئة مصنّف متوزعة علومها إمّا في كتابٍ مخطوط في مجلدات أو في رسالة صغيرة أو بحث أو مقالة في مجلة أو دورية أو رسالة مطبوعة أو محققة...».

وسأورد للفائدة المصنّفات المفردة في آحاد الصحابة التي مرَّت معي أثناء قراءتي للكتاب:

أ ـ **إخبار المستفيد بأخبار خالد بن الوليد**، لرضي الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي (ت٩٧١هـ)، مطبوع في دار الكتب العلمية/ بيروت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ب ـ **أخبار معاوية**، لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، قلتُ: وله أيضاً «حِلم معاوية»، مطبوع في دار البشائر/دمشق.

ت ـ **إفحام المماري بأخبار تميم الداري**، أحمد بن محمد المقدسي (ت٦٦٥هـ)، قلتُ: ولأحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ) «ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري»، مطبوع في دار البشائر الإسلامية/بيروت.

ث ـ **أنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان**، رشيد الدين محمد بن محمد الوطواط (ت٥٧٣هـ).

ج ـ **جزء فيه إسلام زيد بن حارثة وغيره**، أبو القاسم تمام بن محمد البجلي الرازي (ت٤١٤هـ).

ح ـ **رد العقول الطائشة إلى معرفة ما اختصَّت به خديجة وعائشة**، عبد القادر بن محمد الشاذلي (ت٩٣٥هـ).

خ ـ **ضوء المصباح في ترجمة سيدنا أبي عبيدة بن الجراح**، حامد بن علي العمادي (ت١١٧١هـ).

د ـ **سيرة معاذ بن جبل مع رسول الله ﷺ وإرساله إلى اليمن**، علي بن عبد المحسن ابن الدواليبي البغدادي (ت٨٥٨هـ).

ذ ـ **فضائل معاوية**، عبيد الله بن محمد السقطي (وفيات القرن الرابع الهجري).

ر ـ **محض الشيد في مناقب سعيد بن زيد**، يوسف بن حسن ابن عبد الهادي (ت٩٠٩هـ).

ز ـ **مقتل ابن الزبير، مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مقتل الحسين، مقتل طلحة، مقتل عثمان**، جميعها لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ).

١٦٧٤ تخطيطٌ لنهب ستين كتاباً من مكتبة الشيخ عبد المحسن المطيري الكويتي!

قبل سفرنا من الكويت بأسبوعٍ ذهبنا إلى بيتِ الشيخ **عبد المحسن المطيري**؛ لنكمل قراءة «الموطأ»، فأبصرنا مكتبة رائعة في محتوياتها، رائقة في مصنفاتِها، في القرآنِ الكريم وعلومِه، والعقيدة والفكر، والأدب وفقه اللغة، والحديث وعلومه، والسير والتاريخ، والفقهِ وأصولِه، والكتب المنوّعة من مجموعة كتب لمؤلف، وكتب التربية والدعوة.

فتحمّسنا لها أكثر من كتابِ الموطّإ، فاحتلتُ ورفيقي أبا همام على أن نعيدَ فهرسةَ المكتبةِ، ونردّ الكتب المنثورة التي على الأرضِ إلى أمكنتِها، وهي تأخذ جهداً كبيراً، وليس معنا إلا يومٌ ونصفه لنعيدَ المكتبة لنصابِها، فشمّرنا عن أيادينا مشترطين على الشيخ أن يعطينا من كلّ كتابٍ مكررٍ نسخةً واحدة.

فسهرنا طوال ليلةِ الأحد حتى قبل الفجر، فهيّأناها، وأحسنّا ترتيبها ـ بحمد الله ـ وجمَعنا (٦٠) كتاباً مكرّراً، من أصل (٣٠٠٠) آلاف كتاب، وكنت موقناً بصدمةِ الشيخِ وندِمه إنْ رأى ما شرطناهُ عليه، فلما أبصرَها جحظَ بعينيهِ متعجباً، فقلنا له: «**المسلمونَ على شروطِهم**»، فجلسَ يقرأ أسماء الكتب؛ ليتأكدَ من تكرارِها، وأخذ مما أعددناهُ عشرَ كتب، وقال: اسمحوا لي بهنَّ، فأذِنَّا لهُ بذلك. وقلتُ للشيخِ وهو ينظرُ إلى كتبِه: أراعي ظرفَك يا شيخ، فهذه أغلى عندك من أولادِك، ولو كنتُ مكانك ما رضيت بهذا الشرط!

فلما انتهينا من جمعِ الكتب، وأردنا توديعَ الشيخ نظرَ إليَّ نظرةَ متفحصٍ مبغض (ممازحاً)، فقلتُ: هوّن عليك يا شيخ، تكسب أجراً إن شاء الله، قال: بالعكس أنا فرحٌ بذاك.

● كتبها أبو الهمام البرقاوي أثناء رحلته إلى الكويت في أوائل سنة ٢٠١٢ م، والشيء بالشيء يُذْكَر، فقد أعنتُ شيخي إبراهيم الهاشمي الأمير حفظه الله في ترتيب

مكتبته في جدّة، واستأذنته في أخذ ما أجده مكرراً، فقال لي: «أيّ كتابٍ تجد منه نسخة أخرى فخُذْه»! جزاه الله خيراً، وكانت الغنيمة قرابة ١٥ كتاباً من الكتب المفيدة التي تفتقدها مكتبتي في بيروت، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

١٦٧٥ شغف الرحالة خليل الخالدي المقدسي بالكتب والمخطوطات، وطريقة إعارته للكتب، ومصير مكتبته المأساوي بعد موته!

عُرِف الرحالة خليل الخالدي (١٢٨٢ ـ ١٣٦٠هـ/ ١٨٦٦ ـ ١٩٤١م) بحبّه للكتب، وشغفه الكبير بالمخطوطات، فطاف الأرض من أجلها، وشرّق وغرّب لرؤيتها، والإحاطة بنفائسها ونوادرها، وحرص في ترحاله وتطوافه على تملّك بعضها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وفي حال عجز عن ذلك قام بنسخها بنفسه، أو أمر من يثق به من النسّاخ بنسخها، حتى اجتمعت له من الكتب والمخطوطات الشيء الكثير.

واشتهرت هذه المكتبة بين أعلام عصره، وذاع صيتها بين عشّاق التراث والباحثين عنه، فعرّفوا بها، ونعتوا كتبها بالندرة والنفاسة، وكان على رأسهم العلّامة الفريد في فنه الفيكونت فيليب طرّازي، قال: «تعهَّد مكتبات الأستانة، واستنسخ كثيراً من نوادر مخطوطاتها، وجمع في خزانته الخاصة زهاء خمسة آلاف مجلد عربي؛ بينها ألف مخطوطة».

أما طريقة العلامة الخالدي في عرض الكتب وإعارتها؛ فيصف الأستاذ عجاج نويهض طريقة الخالدي في ترتيب مكتبته وعرضها فيقول: إن الخالدي كان يفضّل أن يجعل كتبه في صناديق لا على الرفوف، وإذا أعارك كتاباً فلا يعيرك إيّاه إلّا إذا وثق أنّك تعيده إليه، وكان يؤثر إذا سألته مسألة أن يظل هو وراءها ينقب عنها في الكتب حتى يستخرج الجواب عليها على أنْ يعيرك الكتاب، فكان الكتاب بين يديه بمثابة ولده.

• نقلتها من كتاب «الشيخ الرحالة خليل الخالدي المقدسي» (ص١٩٨ ـ ١٩٩/ ط. دار البشائر الإسلامية ـ ١٤٣٦هـ)، لمحمد كلّاب.

قلت: قال **نجاتي صدقي**: الأسرة الخالدية في فلسطين هي من الأسر العربية الحجازية العريقة، أسرة قضاء وعلم، أسرة أدب وشعر، أسرة تربية وتاريخ وطب... ومن أعلامها الذين توفّاهم الله العالم الكبير، والحجة الثقة المرحوم الشيخ **خليل الخالدي** مؤسس المكتبة الخالدية الموجودة في القدس حتى أيامنا هذه، وليس من متعلم فلسطيني إلا لجأ إلى هذه المكتبة العامرة طالباً مكتبة الأسرة تركها السلف إلى الخلف؛ ثم أصبحت مكتبة قومية لعرب فلسطين كافة. (نقلتُها من مقالة «أحمد سامح الخالدي» في مجلة «الرسالة» (العدد ٩٥٧/ بتاريخ: ٥/ ١١/ ١٩٥١م)).

وللأسف، كان مآل مكتبته في القدس حزيناً، حيث بقيت كتبه في مكتبته بعد وفاته دون رعاية أو اهتمام، ولا حتى حمايتها من الإتلاف والضياع، ويصف د. **كامل العسلي** بعضاً من هذا المصير فيقول: «... لما توفي الشيخ سنة ١٩٤١م ورثت أخته السيدة أمينة قسماً من مكتبته ووقفتها، وجاء في وقفيتها: «وقَفْتُ ما يخصّني من كتب المرحوم أخي خليل الخالدي وينتفع بها طلبة العلم»، وحدّثنا ـ والكلام للعسلي ـ المرحوم ياسين الخالدي أنه رأى أوراقاً من كُتب الشيخ يُلَفُّ بها الترمس في سنة ١٩٤٨م ـ سنة الكارثة التي اجتاحت كلّ شيء ـ».

وبقي مسلسل الإهمال لهذه المكتبة مستمرًّا حتى عام ١٩٧٧م حيث نُقِلَت كتبه ومخطوطاته ـ التي لم تتجاوز بضع مخطوطات ـ من داره إلى دار كتب المسجد الأقصى!

• نقلتُ الأخير من كتاب «الشيخ الرحالة خليل الخالدي المقدسي» (ص٢٠٠/ ط. دار البشائر الإسلامية ـ ١٤٣٦هـ)، لمحمد كلّاب.

١٦٧٦ بعض المصنفات المفردة في سيدنا معاوية رضي الله عنه:

البحث التالي استللته من مسودة كتاب «من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه» للشيخ **محمد زياد بن عمر التكلة** حفظه الله، نشره

الشيخ على الشبكة رغم عدم اكتمال أبحاثه من باب الاستعجال في نشر الخير، ورأيتُ أنْ أنقله للكناشة للفائدة:

١ ـ صنَّف الحافظ **أبو بكر ابن أبي الدنيا** (ت٢٨١هـ) كتاباً في «حِلْم معاوية» (الموجود منتقى منه مجرد الأسانيد، مخطوط في الظاهرية، ويُستخرج أغلبُه من تاريخ ابن عساكر)، وطُبع بتحقيق إبراهيم صالح في دار البشائر بدمشق، وانظر للفائدة «الكناشة» (٤٢٧).

٢ ـ وصنّف في مناقبه **أبو بكر ابن أبي عاصم** (ت٢٨٧هـ).

٣ ـ **وأبو عمر غلام ثعلب** (ت٣٤٥هـ).

٤ ـ **وأبو بكر النقاش** (ت٣٥١هـ)، ذَكَر كتابهما ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٠٤)، وانظر «المجمع المؤسس» لابن حجر (١/ ٢٨٧).

٥ ـ وجمع **أبو الفتح بن أبي الفوارس** (ت٤١٢هـ) في فضائل معاوية. (منهاج السنة ٤/ ٨٤).

٦ ـ وصنَّف **أبو القاسم السقطي** (ت٤٠٦هـ) جزءاً في فضائل معاوية. (مخطوط في الظاهرية).

٧ ـ وكذا **علي بن الحسن الصيقلي القزويني** (التدوين ٣/ ٣٥٢).

٨ ـ **وللحسين بن علي الأهوازي** (ت٤٤٦هـ) كتابُ «شرح عِقد أهل الإيمان في معاوية بن أبي سفيان» (في الظاهرية الجزء السابع عشر منه).

٩ ـ **ولأحمد رضا البريلوي** (ت١٣٤٠هـ) كتابُ «الأحاديث الراوية لمناقب الصحابي معاوية» (كما في معجم الموضوعات المطروقة ص٥٩٥).

وقد طُبعت مؤخراً رسائل: ابن أبي الدنيا، والسقطي، والأهوازي معاً، بتحقيق هزايمة وياسين، نشر مؤسسة حمادة، إربد، الأردن.

أما من ذَبَّ عن معاوية ﵁ ودافع عنه:

١٠ ـ فمنهم أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت٤٥٨هـ) في كتابه: «تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان» (حققه عبد الحميد بن علي الفقيهي، ثم حققه أبو عبد الله الأثري (داني زهوي) وطبعه بدار النبلاء بعَمّان، ولِكِلا المحققَين مقدمة مفيدة للكتاب).

١١ ـ ولشيخ الإسلام ابن تيمية جواب سؤال عن معاوية بن أبي سفيان (حققه صلاح الدين المنجد، وطُبع بدار الكتاب العربي في بيروت، وطُبع ناقصاً ضمن مجموع الفتاوى ٤/ ٤٥٣ وانظر: ٣٥/ ٥٨ ـ ٧٩ منه).

١٢ ـ ولأحد علماء اليمن سنة ١١٣٧هـ: «نصيحة الإخوان في ترك السب لمعاوية بن أبي سفيان» (كما في ذيل كشف الظنون ٤/ ٦٥٢).

١٣ ـ ولأحمد بن حَجَر الـهَيْتَمي (ت٩٧٤هـ): «تطهير الجَنان واللسان عن الخوض والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان»، (طُبعَ آخر الصواعق الـمُحرقة له، وطُبعَ في مكتبة الصحابة بطنطا وغيرها مفرداً، واختصره الشيخ سليمان الخراشي، وقدّم له مقدمة مفيدة).

١٤ ـ وللشيخ حسن بن علوي بن شهاب الدين العلوي الحضرمي (ت١٣٣٢هـ): «الرقية الشافية من نفثات سموم النصائح الكافية» (طبع في سنغافورة عام ١٣٢٨، ويُعاد طبعه إن شاء الله).

١٥ ـ ولعصريّه القاسمي كتابُ «نقد النصائح الكافية» (طبع).

١٦ ـ ولعبد العزيز بن حامد الفرهاوري: «الناهية عن الطعن في أمير المؤمنين معاوية» (طبع).

١٧ ـ وقد جمع الشيخ محمد مال الله رحمه الله كلام ابن تيمية عن معاوية في منهاج السنة. (طبع).

١٨ ـ وللشيخ زيد الفياض رحمه الله «رسالة في الدفاع عن معاوية» (لم تُطبَع، كما في ذيل الأعلام للعلاونة ٢/ ٦٨).

١٩ ـ وللشيخ عبد المحسن العباد رسالة: «أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية رضي الله عنه» (طُبع بالجامعة الإسلامية في طيبة).

٢٠ ـ ولشيخي المؤرخ **محمود شاكر** (١٣٥١ ـ ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م) ترجمة مفردة لمعاوية ضمن سلسلة خلفاء الإسلام (طبع في المكتب الإسلامي ببيروت).

٢١ ـ وللأستاذ منير **الغضبان** كتاب «معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد» (طبع بدار القلم في دمشق).

٢٢ ـ وللشيخ **خالد بن محمد الغيث** «مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، دراسة نقدية مقارنة» (طبع بدار الأندلس الخضراء).

وغيرها من مؤلفات المتأخرين. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وقد وفّقني الله عز وجل سنة ١٤٢٣هـ إلى تأليف كتيب بعنوان «صفحات من سيرة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما» وطبعتُ منه في **مطبعة القماطي** في ضاحية بيروت بضعة آلاف نسخة ووزّعناها مجّاناً، وانظر للفائدة إحدى فصوله في «الكناشة» (٨٥٥) و(١٣٥٢)، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

١٦٧٧ مكتبة متنقّلة على ظهر ٤٠٠ جمل... ومرتبة حسب الحروف الأبجدية!

هذه المكتبة كانت ملكاً للوزير الفارسي المشهور عبد القاسم إسماعيل (٩٣٨ ـ ٩٩٥هـ)، وقد كان يصطحب معه مكتبته هذه في كل مكان على ظهر أربع مئة جمل، تحمل كتباً مؤلّفة من (١١٧٠٠٠) مجلد! إضافة إلى ذلك كانت هذه الجمال مدرّبة على أنْ تمشي في نظام معين بحيث تكون الكتب مصففة بالترتيب حسب الحروف الأبجدية!

• نقلها محمد خير رمضان يوسف في كتابه «عجائب الفكر وذخائر العِبَر» (ص١٢/ ط. ابن حزم) من كتاب «قصص عجيبة ومفارقات غريبة» لزهير علوان.



إثبات نسبة كتاب «المواقف» ـ المليء بالحلول والاتحاد الصوفي ـ للأمير عبد القادر الجزائري:

قال المؤرخ الدكتور أبو القاسم **سعد الله** (١٩٣٠ ـ ٢٠١٣م) في «تاريخ الجزائر الثقافي» (الجزء السابع): من أشهر مؤلفات الأمير **عبد القادر الجزائري** (١٢٢٣ ـ ١٣٠٠هـ/ ١٨٠٨ ـ ١٨٨٣م) كتاب «المواقف» الذي يقع في ٣ مجلدات، وكان الأمير قد استغرق في التصوف منذ حجّه، وقد اختلى في غار حراء أثناء مجاورته، وفي دمشق كانت له خلوة يتعبد فيها، وفي آخر سنواته ازداد تعمقاً في هذا الباب، وكان يطالع أمهات كتب التصوف منها «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» لابن العربي، الذي يعده شيخه الأكبر، ويبدو أنه تأثر به كثيراً في «المواقف» إذ بناها على نظريات شيخه، حسب العارفين بهذا الفن. . .

وكتاب المواقف يضم ٣٧٢ موقفاً، وقد طُبع مرتين أولاهما كان في عهد ابنه محمد؛ أي: سنة ١٩١١م، وقد قدَّم الأمير كتابه بعبارات صوفية مغرقة ووشّح ذلك بمقامة أدبية خيالية عن معشوقة تشبه معشوقة ابن الفارض، وكل موقف من مواقفه تقريباً يبدأ بآية ذات معنى توحيدي أو صوفي، ثم يأخذ في شرح الآية شرحاً صوفيًّا يتغلب عليه الفكر الباطني الذي يعبِّر عنه بالأسرار والغيبة عن الشهود، وطالما عرَّضَ الأمير بأهل الرسوم وعلماء الظاهر الذين لا يدركون أسرار الوجود ولا الحقيقة الإلهية. . .

ومما يُذكر أن الناشر للمواقف اعتمد على عدة نسخ، منها نسخة الأمير بخط يده، وقوبِلَت على نسخة جمال الدين القاسمي التي كانت بدار الكتب الظاهرية، ثم نسخة عبد الرزاق البيطار (وهو صديق الأمير وتلميذه)، وكانت على هذه النسخة تعاليق بخط الأمير نفسه. اهـ.

١٦٧٩ المكتبة الصدّيقية، مكتبة الشيخ عبد الرحيم بن عبد اللّه صديق (١٣٣٤ ـ ١٤٠٨هـ/١٩١٦ ـ ١٩٨٧م):

تُعْتَبر هذه المكتبة من أهم المكتبات في مكة المكرمة حيث أنها تحتوي على مجموعة نادرة من المصورات المخطوطة والكتب المطبوعة القيمة في العلوم الشرعية وخاصة علوم الحديث وتراجم رجاله، واللغة العربية وآدابها والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والتراجم، ويُقَدَّر عددها بحوالي (١٦٧٠) عنوان في أكثر من ستة آلاف مجلد من الكتب المطبوعة النادرة، وحوالي ألف وخمس مئة مصوّرة ورقية وكتب خطية، قام الشيخ عبد الرحيم رحمه الله بجمعها من مناطق عديدة من العالم الإسلامي ودول أوروبا وأمريكا، وذلك عن طريق الشراء أو التصوير أو التبادل العلمي، وبالرغم من أن هذه المكتبة مكتبة خاصة إلّا أنّ صاحبها فتح أبوابها للقراء والباحثين من أهل العلم، وكان يقضي فيها معظم أوقاته، وقد كان ملمًّا بكثير من العلوم الشرعية، ظهر ذلك جليًّا في تعليقاته في حواشي الكتب والمخطوطات؛ معلِّقاً أحياناً وشارحاً لبعض المسائل أحياناً أخرى، وقد كان الشيخ عبدالرحيم رحمه الله يستضيف الطلاب القادمين من خارج مكة في منزله بمنى مدة بحثهم، ويقدّم لهم واجب الضيافة، وقد عُرِضَ عليه مبالغ كبيرة تصل للملايين لبيع المكتبة، ولكنه رفض كلّ المغريات المادية وأوصى بها لمكتبة الحرم المكي الشريف، وكتب بذلك وصيّة صَدَّقها من كاتب العدل، وخوفاً من تغيير الوصية بعد وفاته قام بختمِ جميع الكتب والمخطوطات بختم مكتوب عليها (وقف لله تعالى على مكتبة الحرم المكي الشريف)، وتَمَّ بالفعل استلام هذه المكتبة من قبل أمين مكتبة الحرم السابق الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن المعَلِّمي، رحم الله الشيخ عبد الرحيم وجزاه الله خيراً وغفر له.

• كتبه الأخ الباحث عادل العوضي جزاه الله خيراً، قال أبو معاوية البيروتي: وكم استفدتُ من هذه المكتبة أثناء مجاورتي للبلد الحرام من ١٥ رمضان إلى ١٨ ذي

الحجّة (أي: موسم الحج) سنة ١٤٢٥هـ (١٥/ ١٠/ ٢٠٠٥م حتى ١٥/ ١/ ٢٠٠٦م)، حيث كنتُ أمشي مسافة نصف ساعة كلَّ يوم إلى مكتبة الحرم المكي في العزيزية الجنوبية ـ خلف مستشفى علوي تونسي ـ لَأطالع مخطوطاتها وكتبها وأقيّد من فوائدها، والحمد لله الذي أنعم وأكرم.

١٦٨٠ بضاعتي رُدّت إليّ! طرفة حصلت معي أثناء البحث:

كنتُ أبحث عن بعض النصوص المفقودة من «تاريخ نيسابور» للحاكم، ووصلت إلى رسالة ماجيستير بعنوان «الأحاديث المرفوعة والموقوفة في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدَّمِيري، من بداية حرف (التاء) إلى نهاية حرف (الجيم)، تخريجاً ودراسة»، وهي من إعداد الطالب إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمٰن المديهش، وبدأت أنقل ما أجده فيه، وإذ بي أجده يكتب:

«قال الحاكم: توفي ٣٤٤هـ».

فعلّق في الحاشية: «تاريخ نيسابور» للحاكم ـ نسخةٌ جمع نصوصها البيروتي ـ (ص٤٩٠). اهـ.

وفي موضع آخر قال: أخرجه الحاكم في «تاريخ نيسابور» (ص٤٩٣).

فعلّق في الحاشية: النسخة التي جمع نصوصها مازن البيروتي، وقد ذكر أنه أورد الإسناد مما علقه الديلمي في «مسند الفردوس»... (٣١٨/٤ الغرائب الملتقطة/مخطوط) عن الحاكم بهذا الإسناد، والغرائب الملتقطة ـ ويسمى زهر الفردوس الملتقط من مسند الفردوس ـ للحافظ ابن حجر، مخطوط في دار الكتب المصرية برقم (٢٠٩٩ ـ حديث). اهـ.

فرجعت بضاعتي إليَّ! والحمد لله رب العالمين.

وللفائدة: الرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم السنة

وعلومها، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض للعام الجامعي: ١٤٣١هـ/ ١٤٣٢هـ، وتقع ضمن مشروع في ٨ رسائل ماجستير في تخريج أحاديث وآثار كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري (ت٨٠٨هـ).

١٦٨١ مصنفات الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبي موسى محمد بن عمر المديني (٥٠١ ـ ٥٨١هـ):

لست بصدد كتابة ترجمة لشيخ الإسلام أبي موسى المديني، فهي متوفرة، لكن سأنقل بعض ما قاله أهل العلم فيه من ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٢ ـ ١٥٩):

ـ قال الحافظ **ابن النجار**: انتشر علم أبي موسى في الآفاق، ونفع الله به المسلمين، واجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الحفظ والعلم والثقة والإتقان والصلاح وحسن الطريقة وصحة النقل.

ـ وقال **الذهبي**: سمعت شيخنا العلامة **أبا العباس بن عبد الحليم** (أي: ابن تيمية) يثني على حفظ أبي موسى ويقدِّمه على الحافظ ابن عساكر باعتبار تصانيفه ونفعها.

ـ وقال **الذهبي**: ولو سلمت أصبهان من سيف التتار في سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، لعاش أصحاب أبي موسى إلى حدود نيف وستين وست مئة.

ـ وقال **أبو البركات محمد بن محمود الرويدشتي**: وصنَّفت الأئمة في مناقبه تصانيف كثيرة. (قال أبو معاوية البيروتي: لكن لم أقف على ذكرِ أيِّ مصنّفٍ منها! ولم أجد ترجمة لأبي البركات هذا، **ورويدشت** المنسوب إليها من أعمال أصبهان، لكن عثرت على نقلٍ لابن النجار عنه ذكر فيه وفاة عالِم سنة ٥٩٠هـ، ولعلّه مترجَم في الأجزاء المفقودة من «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار).

ـ وقال **ابن الأثير** في مقدمة «النهاية في غريب الحديث والأثر»: كان أبو موسى إماماً في عصره، حافظاً متقناً تُشَدُّ إليه الرِّحالُ، وتُناط به من الطلبةِ الآمالُ، ولَمَّا وقفتُ على كتابه وجدتُه في غاية الحسن والكمال.

وسأشرع الآن بذكر ما وقفتُ عليه من مصنفاته:

١ ـ **نزهة الحفاظ**. (طبعته مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت).

٢ ـ **معجم الشيوخ**. (قال الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: عمل أبو موسى لنفسه معجماً، روى فيه عن أكثر من ثلاث مئة شيخ).

٣ ـ **الذيل على الأنساب المتفقة**. (وهو الزيادات على كتاب الأنساب المتفقة لشيخه ابن طاهر المقدسي، واسم كتاب ابن طاهر: الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، وهو مطبوع).

٤ ـ **المجموع المغيث في غريبَي القرآن والحديث**. (المعروف بـ«تتمة الغريبين»، قال عنه الذهبي: وكتاب «تتمة الغريبين» يدلّ على براعته في اللغة والغريب، وطبعته دار المدني/ جدة بتحقيق عبد الكريم العزباوي في أربع مجلدات).

٥ ـ **تقذية ما يقذي العين من هفوات كتاب الغريبين**. (ذكره الكتاني في «الرسالة المستطرفة»، وأورد منه نصًّا نقله ابن ناصر الدين في «اتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك»، وذكره الحَبْشي في «جامع الشروح والحواشي» وقال: خ بودليان ٢/ ٣٨٢/ ٤ (معجم المعاجم: ٤١)).

٦ ـ **تتمة معرفة الصحابة**. (وهو عبارة عن ذيل على كتاب «معرفة الصحابة» لأبي نعيم الأصبهاني، قال الذهبي: الكتاب المشهور في تتمة معرفة الصحابة الذي ذيّل به على أبي نعيم، يدل على تبحره وحفظه).

٧ ـ **المستفاد بالنظر وبالكتابة في معرفة الصحابة**. (نقل منه مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال»، والعيني في «عمدة القاري»، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، ولعله نفسه «تتمة معرفة الصحابة»).

٨ ـ **ذيل أسماء الصحابة لابن منده**. (قال ابن الأثير في مقدمة «أسد الغابة»: الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى الأصفهاني، استدرك على ابن منده ما فاته في كتابه، فجاء تصنيفه كبيراً نحو ثلثي كتاب ابن منده).

٩ ـ **الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية**. (اشتُهِر مختصراً باسم «الترغيب والترهيب»، ونقل منه العديد في مصنفاتهم).

١٠ ـ **تضييع العمر والأيام في اصطناع المعروف إلى اللئام**. (ذكره الذهبي والعراقي ـ في «المغني» ـ وحاجي خليفة).

١١ ـ **كتاب تصحيح حديث التسبيح من الحجج الواضحة والكلام الفصيح**. (ذكره ابن ناصر الدين الدمشقي في «**الترجيح لحديث صلاة التسبيح**»).

١٢ ـ **دستور الذاكرين ومنشور المتعبدين**. (ذكره حاجي خليفة، وقيل أنه نفسه «كتاب تصحيح حديث التسبيح»).

١٣ ـ **الشرح المكمل في نسب الحَسَن المهمل**. (قال ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) في «صيانة صحيح مسلم»: ألَّف أبو موسى الأصبهاني في ذلك كتاباً لطيفاً تبجَّح فيه بإجادته وإصابته مع وهم غير واحد من الحفاظ فيه، وذكره النووي (ت٦٧٦هـ) في «شرحه على مسلم» فقال: هذا الإسناد معدود في المشكلات، وقد اضطربت فيه أقوال الأئمة، وأخطأ فيه جماعات من كبار الحفاظ، والصواب فيه ما حقَّقه وحرَّره وبسطه وأوضحه الامام الحافظ أبو موسى الأصبهاني فى «الجزء» الذي جمعه

فيه وما أحسنه وأجوده، وذكره ابن حجر في «النكت الظراف» فقال: وقد جمع أبو موسى المديني في ذلك جزءاً مفرداً تكلَّم فيه على هذا الموضع وأطنب. والكتاب حققه د. عمر فلاته، وطُبع في دار الأنصاري/ المدينة النبوية).

١٤ ـ اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفّاظ الأعارف. (طبعته دار الكتب العلمية/ بيروت، وغيرها).

١٥ ـ خصائص مسند الإمام أحمد. (طبعه العلّامة أحمد شاكر ضمن تحقيقه للمسند).

١٦ ـ منتهى رغبات السامعين في عوالي أحاديث التابعين. (ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» وقال: يُنبِئ بتقدمه في معرفة العالي والنازل. ونقل من مخطوطته الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٤٠، ٢٩٦١) و«السلسلة الصحيحة» (١٦٧٥، ٢٠٢٢)).

١٧ ـ القنوت. (قال الذهبي: وألَّف كتاب «القنوت» في مجلد. ونقل منه عدة مواضع في كتابه «تنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق»).

١٨ ـ جزء فيه الكلام على أولاد عبد الله بن مسعود وأولاد أخيه عتبة بن مسعود رضي الله عنهما. (هذا الجزء اطلعتُ عليه في مكتبة الحرم المكي ضمن «المكتبة الصديقية» ـ مكتبة الشيخ عبد الرحيم بن عبد الله بن صدّيق ـ مجموع رقم (١١٣٩ مصور/أوراق ٧١ ب ـ ٧٣ أ)، ونقلتُ منه في الكناشة (٦٢٠)).

١٩ ـ وظائف الليالي والأيام. (هكذا سمّاه العراقي في «المغني»، وسماه الذهبي «الوظائف»، وسماه ابن حجر في اللسان «وظائف الأوقات»).

٢٠ ـ استدعاء اللباس من كبار الناس. (هكذا سماه المتقي في «كنز العمال»، ونقل منه حديثاً).

٢١ ـ **ذكر ابن أبي الدنيا وما وقع عالياً من حديثه**. (طُبع بتحقيق مشهور سلمان في دار الخراز/السعودية).

٢٢ ـ **ترجمة ابن المقرئ** (محمد بن إبراهيم الأصبهاني، ت٣٨١هـ). (ذكره الذهبي في ترجمة ابن المقرئ في «تذكرة الحفاظ»، ونقل منه).

٢٣ ـ **ذكر الإمام الحافظ أبي عبد الله ابن مندة (ت٣٩٥هـ) ومَن أدركهم من أصحابه الإمام أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلّال (ت٥٣٢هـ)**. (طبعته دار البشائر الإسلامية بتحقيق د. عامر صبري بهذا العنوان، وذكر د. عامر أن أصل الكتاب للإمام الخلّال، ثم قام أبو موسى المديني بتصنيفه وترتيبه، وهو ما يُعرَف عند المحدّثين بالتخريج، وسماه حاجي خليفة في «كشف الظنون»: «**الذخيرة والعدة في مناقب أبي عبد الله بن مندة**»).

٢٤ ـ **ترجمة أبي نعيم الأصبهاني**. (ذكره السخاوي في «الجواهر والدرر»، وقال: وفيها مَن حدَّثه مِن شيوخه عنه، وهم نحو ثمانين رجلاً).

٢٥ ـ **ترجمة الحاكم النيسابوري**. (نقل منه الذهبي عدداً من النصوص في ترجمة الحاكم في «تاريخ الإسلام»).

٢٦ ـ **ترجمة قوام السُّنَّة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)**. (ذكره الذهبي في ترجمة أبي القاسم في «تاريخ الإسلام» فقال: أفرد أبو موسى له ترجمةً في جزءٍ كبير مبوَّب. ونقل منه الذهبي عدة نصوص، ونقل منه أيضاً ابن تيمية في «نقض التأسيس» وابن قيّم الجوزية في «الصواعق المرسلة»).

٢٧ ـ **ترجمة ابن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)**. (قال الذهبي في ترجمة ابن أبي عاصم في «تذكرة الحفاظ»: أفرد له أبو موسى المديني ترجمة طويلة).

٢٨ ـ **النُّصح بالدليل الجليّ عن الإمام الشَّافعي**. (نقل منه ابن حجر في «لسان الميزان»، وذكره السخاوي في «الجواهر والدرر» وقال عنه: شبه المناقب).

٢٩ ـ **فتح المقفل**. (ذكره الفاسي في «ذيل التقييد»، وابن حجر في «الدرر الكامنة»).

٣٠ ـ **المُتَّفق من الأسماء على نسق**. (ذكره ابن ناصر الدين في «فتح رب البرية في شرح الحديث المُسَلْسَل بالأوَّلية»، وقال عنه ابن حجر في «نزهة النظر»: وصنَّف في ذلك أبو موسى المديني جزءاً حافلاً).

٣١ ـ **حجَّة ذوي الضلالة**. (هكذا سمّاه ابن الجزري في «مناقب الأسد الغالب»، ونقل منه).

٣٢ ـ **الأمالي**. (نقل منه ابن تيمية في «قاعدة جليلة»، ونقل من مخطوطته الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥١٠، ٤٤٠٤، ٤٦٥٥)).

٣٣ ـ **مُسْنَد أَبِي الْعُشَرَاءِ**. (نقل منه ابن الملقن في «البدر المنير»، وابن حجر في «التلخيص الحبير»).

٣٤ ـ **الإجابة على سؤال عن إجازات البغداديين لمسعود بن الحسن الثقفي**. (ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ»).

٣٥ ـ **سباعيات (في الحديث)**. (ذكره حاجي خليفة، والكتاني في «الرسالة المستطرفة»).

٣٦ ـ **من اسمه صالح عن أبي هريرة**. «كشف الظنون».

٣٧ ـ **من اسمه عطاء عن أبي هريرة**. «كشف الظنون».

٣٨ ـ **طوالات الأخبار**. (ذكره الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء» وقال: يُخضَع له في جمعه. اهـ. ويوجد مخطوطاً).

٣٩ ـ الأسماء المشتركة بين الرجال والنساء. «كشف الظنون».

٤٠ ـ الحفظ والنسيان. «كشف الظنون».

٤١ ـ دولة الأشرار. (نقل منه ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة»، والمتقي في «كنز العمال»).

٤٢ ـ الاستفتاء في معرفة استعمال الحناء. (نقل منه ابن مفلح الحنبلي (ت٧٦٣هـ) في كتاب «الفروع»، والسخاوي في «المقاصد الحسنة»).

٤٣ ـ العمامة. (ذكره السخاوي في «الأجوبة المرضية فيما سُئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (٣/ ١٢٠٢/ ط. الراية)).

٤٤ ـ الهفوات. «كشف الظنون».

٤٥ ـ جزء فيه سداسي التابعين. (ذكره ابن حجر في «المعجم المفهرس»).

٤٦ ـ كتاب ما اتفق لفظه وافترق معناه من أسماء البلدان والأماكن المشتبهة في الخط. (ذكر الكتاني في «الرسالة المستطرفة» أنه اختصره من كتابٍ ألَّفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمٰن الإسكندري النحوي).

٤٧ ـ كتاب العقل. (هكذا ورد اسمه في مطبوعة «المعجم المفهرس» لابن حجرٍ، وقال الأخ العاصمي: والظاهر أن كلمة العقل محرفة عن العلل، وابن حجر قد ذكر الكتاب تحت فصلٍ ساق مروياته من كتب العلل. والله أعلم).

٤٨ ـ الثمين في استثناء اليمين. (نقل منه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٦٠٤ و٦٠٥ و٦٠٦)).

٤٩ ـ من أدرك التابعين. (نقل منه مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال»، ونقل من كتاب لأبي موسى سماه «من روى عن التابعين»، وأظنهما واحد).

٥٠ ـ أحاديث التابعين. (نقل منه مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال»).

٥١ ـ رواة التابعين. (نقل منه مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال»).

وهذا ما تيسّر جمعه من مصنفاته بفضل الله وتوفيقه.

فائدة: وقفتُ على ما يفيد على زواج الحافظ **أبي موسى**، فقد ترجم **ابن الدبيثي** (ت٦٣٨هـ) في «ذيله على تاريخ بغداد» **لمحمد بن محمود بن عبد الله، أبي عبد الله** (ت٥٧٩هـ)، من أهل أصبهان، يعرف بجبويه، خَتَن الحافظ أبي موسى المديني. اهـ. وجاء في «لسان العرب»: (الخَتَنُ كل من كان من قِبَل المرأة مثل الأَب والأَخ، وهم الأَخْتانُ، هكذا عند العرب، وأَما العامَّةُ فخَتَنُ الرجل زوجُ ابنته).اهـ.

فائدة أخرى: وقفتُ على رواية **أبي موسى** عن والده **أبي بكر عمر بن أحمد المديني** (ذكر الذهبي ولادته سنة ٤٦٥هـ) في كتاب «التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين» للرافعي.

فائدة حديثية: قال الحافظ **أبو موسى المديني** في كتاب «**الحنَّاء**»: كم من حديث له طرق تُجمَع في جزء لا يصح منها حديث واحد (كحديث الطير)، يُروَى عن قريبٍ من أربعين رجلاً من أصحاب أنس، ويُروَى عن جماعة من الصحابة غيره، وقد جمع غير واحد من الحفاظ طرقه للاعتبار والمعرفة كالحاكم أبي عبد الله وأبي بكر بن مردويه وأبي نعيم. (نقلها الزركشي في «النكت على مقدمة ابن الصلاح»، **ولي «جزءٌ في طرق حديث الطير» (ط. ١٤٢٦هـ) وقفتُ فيه على رواية حديث الطير عن ٢٨ من أصحاب أنس ﷺ**).

١٦٨٢ كان الأديب الناقد محمد سعيد العريان يوقّع مقالاته بإمضاء (قاف)!

قال الأستاذ محمد رجب البيومي (ت١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) في «طرائف ومسامرات» (ص١٦٦/ ط. دار القلم): كان الأديب الكبير الأستاذ **محمد سعيد العريان** (١٣٢٣ ـ ١٣٨٤هـ/ ١٩٠٥ ـ ١٩٦٤م) يكتب بمجلة «الثقافة» تعليقاتٍ أسبوعية على ما يلحظه من مظاهر النشاط العلمي في العالم العربي، وكان يوقّعها بإمضاء (قاف)، وحارَ القرّاء في التوقيع؛ لأن القاف ليست في حروف اسمه، ولكنه يقْفُو ويتتبَّع جلَّ ما يُكتَب في الصحف الأدبية ليعلِّق عليه، فهو إذن (قافٍ) على زنة اسم الفاعل!

١٦٨٣ أوائل الصحف في العالم العربي:

يطلق الكتَّاب على الصحافة اسم السلطة الرابعة ـ بعد التشريعية والتنفيذية والقضائية ـ لقوة أثرها في توجيه الشعب وفي إصدار الأحكام على الأشخاص والتصرفات، وتكوين الرأي العام، وهي تقوم على الإعلام والإخبار، وعلى الرأي والمعلومات المتنوعة.

والصحافة بهذا المفهوم لم يُعرَف أول نشأتها، فقيل: إنَّ أقدم جريدة هي «كين بان» الصينية التي صدرت عام ٩١١ قبل الميلاد، وقيل: هي «الوقائع الرسمية» الرومانية التي صدرت عام ٥٨ قبل الميلاد، وكان مؤسّسها هو يوليوس قيصر، ثم دخلت الصحافة عصرها الحديث بعد اختراع الطباعة، فظهرت أول صحيفة باسم «لا غازيت» ـ وكانت أسبوعية من ثمان صفحات ـ لنشر أخبار فرنسا وأوروبا، ثم انتشرت في العالم. (جريدة القبس ٩/ ٢/ ١٩٧٥م).

ويذكر الدكتور **خليل صابات** أن أول صحيفة في العالم العربي ظهرت هي: «الوقائع المصرية» بالقاهرة سنة ١٨٢٨م، و«بريد الجزائر» بالجزائر سنة ١٨٣٠م، و«حديقة الأخبار» ببيروت سنة ١٨٥٨م، و«الرائد

التونسي» بتونس سنة ١٨٦٠م، و«سورية» بدمشق سنة **١٨٦٥**م، و«طرابلس غرب» بطرابلس سنة ١٨٦٦م، و«زوراء» ببغداد سنة **١٨٦٩**م، و«صنعاء» بصنعاء سنة ١٨٧٧م، و«الحجاز» بمكة المكرمة سنة **١٨٨٢**م، و«المغرب» بطنجة سنة ١٨٨٩م، و«الغازيتة» السودانية بالخرطوم سنة **١٨٩٩**م.

وكان صدور العدد الأول من «الوقائع المصرية» في يوم الثلاثاء **٢٤** أو **٢٥** من جمادى الأول سنة ١٢٤٤هـ/ **٣** ديسمبر سنة ١٨٢٨م. (الأهرام ٤/ ١٢/ ١٩٧٨م، ٧/ ٧/ ١٩٨٤م).

• كتبه الشيخ عطية صقر ـ ضمن أحد فتاوى دار الإفتاء المصرية ـ في مايو (أيار) ١٩٩٧م.

١٦٨٤ من نفائس المخطوطات العربية في إيران:

هذا عنوان مقال للأستاذ **إياد الطباع**، قال فيه: كتب الله لي زيارة إيران مرتين، وشاهدتُ فيها بعضاً من الخزائن والمكتبات التي تحتوي على نسخ خطية، وزرتُ بعضاً من الخزائن والمكتبات في الدول العربية وغيرها، واطلعتُ بحكم عملي على نحو ألفٍ وخمس مئة فهرس لمخطوطات عربية في مختلف البلدان، وخرجتُ بنتيجة مفادها أنّ الهند وإيران تأتيان في المرتبة الثانية بعد تركية في عدد المخطوطات المتوافرة في العالم، إذ إنّ المكثر يقول: إنّ تركية تحوي **ثلاثة ملايين مخطوط**، والـمُقِلّ يقول: إنّ فيها **مليون مخطوط**.

وأمّا الهند وإيران، ففي كلٍّ منهما ما لا يقل عن **ربع مليون مخطوط** تقديراً. وقد سعدت عندما قال الدكتور **المرعشي** عن وجود ما لا يقل عن **نصف مليون مخطوط**، وفي إيران تتوزع المخطوطات حسب علمنا في تسعة عشر مدينة صدر لها نحوُ مئتي فهرس.

ولم يقم أيّ تعاون فعّال بين إيران والدول العربية في مجال تصوير المخطوطات وتبادلها سوى مرتين: المرة الأولى في نيسان سنة ١٩٦٠م،

حيث قامت بعثة من معهد المخطوطات العربية برئاسة الأستاذ د. **صلاح الدين المنجد** بزيارة إيران، وصوّر نحو (١٢٥) مخطوطاً، وذلك من ست مكتبات في طهران وثلاث مكتبات في مشهد، خلال أربعين يوماً.

والثانية سنة ١٩٩٨م عندما زارت بعثة من **مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي** إيران، ولبِثَت فيها شهرين، وصوّرت كثيراً من المخطوطات المتوافرة فيها، وكانت فاتحة تعاون في مجال تبادل المخطوطات، ولا أحسب أنّ أيّ تعاون حصل بهذا المقدار مع أيٍّ من المؤسسات بين إيران والدول العربية.

يقول د. **المنجد**: ما تزال إيران تحفظ في مكتباتها العامة والخاصة العدد الكبير من المخطوطات العربية النادرة، وقد دُهشتُ جدًّا عندما رأيتُ هذه الوفرة، وثمة أمرٌ يدعو إلى الدهشة هو أن هذه المخطوطات فيها الكثير ممّا يرجع تاريخه إلى زمن بعيد جدًّا، وعلى الأخص من القرن الثالث حتى السادس، أما ما كُتب بعد القرن السادس فكثير.

وكتب الدكتور **حسين علي محفوظ**، الذي أقام بطهران خمس سنوات، بحثاً حافلاً بعنوان «نفائس المخطوطات العربية في إيران» أفاد فيه وأجاد، إذ قصد ثلاثين خِزانة في ستّ مدن هي طهران وتبريز وأصفهان وزنجان وقم ومشهد، ووصف منتقيات من سبع عشرة خزانة، عدّها من المقتنيات النادرة فيها. وذكر عدداً كثيراً من المخطوطات التي كُتبت بخطّ مؤلفيها أو في قرون متقدمة، يضيق البحثُ عن ذكرها.

١٦٨٥ مقتطفات من رحلة الشيخ صالح العصيمي إلى الهند:

ذكر هذه الفوائد الشيخ **صالح العصيمي** حفظه الله في محاضرة له سنة ١٤٣٢هـ، واقتطفتُ لكم بعضها:

- من أبواب الإفادة بالعلم خبر الرحلات، وقد كان أهل العلم لهم مقيَّدات مشهورة، حتى إنَّ كثيراً **من درر الفوائد وغُررها لا توجد إلّا في مثل هذه الرحلات**... ولذلك ينبغي أن يكون من عناية طالب العلم التفاتُه إلى كتب الرحلات، والمقصود بها: الرحلات التي دوّنها العلماء، وأمّا الرحلات التي كتبها الأخباريّون، فإنها دونها بكثير، وإنْ كانت قد تتضمَّن طرفاً من الفوائد.

- من أبواب التوفيق للعبد أن يفتح الله ﷻ **له الفهم في النية**، وقد كان **ابن الحاج** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في كتابه «المدخل»: «وددتُ لو أنّ بعض الفقهاء انتصبوا للناس يعلِّمونهم النية في أعمالهم». لأنّ طائفة من الناس يواقعون أعمالاً يغيبون فيها عن شهود النية التي أمرت بها الشريعة، ولا يتفاضل الناس بأعمالهم إلّا على قدر نياتهم، كما قال **عبد الله بن المبارك**: «كم من عملٍ صغيرٍ عظّمته النية، وكم من عملٍ كبير صغّرته النية».

- من بركة العلم أنَّهُ يحفظ للإنسان قدْره، والناس كافَّة كلَّما كبُرَ سنُّ واحد منهم قَلَّ زائروه إلّا العالِم، فإنَّه كلَّما كبُرَ سنّه كثُرَ زائروه.

- ملامسة الإنسان لشظف العيش تورثه الرجولة؛ **لأن الرَّغد يورث الأنوثة**، فتجد أنَّ كثيراً من الناس إذا ولغوا في نعماء الله ﷻ وأصابوا طرفاً من الرغد: تأنّثوا في أخلاقهم وأحوالهم، وهذا تجده حتى في طلبة العلم!

- من أعظم توفيق الله للعبد؛ حفظه لوقته وعمارته بما يعود عليه بالنفع؛ **لأنّ رأس مال الإنسان هو وقته**، فإذا حفظ الإنسان وقته استفاد، وإذا أضاع الإنسان وقته فإنّه يُضيع عمره... ولذلك تجد **ابن حجر** لـمّا رحل إلى دمشق وبقي فيها شهراً: قرأ في هذا الشهر أكثر من ألف مجلد؛ لأنه حفظ وقته خلال رحلته.

- «الرفع والتكميل» قد قابلته على طبعة أبو غدة فوجدت في موضع واحد سقط سطرين أو ثلاثة، ناسي، العهد بها قديم، لكن بها سقط، فينبغي دائماً أنْ تحرص على الطبعات القديمة إذا وجدتها، ومعروف اشتهار الهند بهذه الطبعات، ولا زالت هناك مكتبات فيها هذه الطبعات في البلاد الهندية عند الجامع الكبير في دهلي.

- من الفوائد في هذه الرحلة: صلَّيتُ خلف شيخنا **ستر الله الفيضي**، فكان يذهب إذا رفع (سمع الله لمن حمده) يجهر بـ(ربنا ولك الحمد)، وهذه المسألة فيها خلاف، ولشيخنا **بديع الدين الراشد** رحمه الله تعالى رسالة اسمها «تنشيط العبد بالجهر بربنا ولك الحمد»، فتستفيد أنّ هذا العالِم الذي درَّس الحديث أكثر من خمسين سنة من اختياراته أنَّ السنَّة الجهر في هذه المسألة. وكذلك لـمّا سلّم زاد (وبركاته) في التسليمتين، فيكون من طرق معرفة الاختيار استفادتك من أحواله وأقواله التي تراها.

- سمعت الشيخ **عبد الحميد آل مبارك** ينقل عن شيخه **محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مبارك** - أحد محقّقي المالكية في الأحساء، المتوفى سنة ١٤٠٦هـ - أنه كان يقول لهم باللغة العامية: «يا عيالي سافروا وانظروا العلماء، فإمّا أنْ تجدوا علماء أعلم منّا فتستفيدوا منهم، وإمّا أنْ تعرفوا قدرنا فتستفيدوا منّا»، **فإذا سافر الإنسان وقف على مقادير العلماء.**

- **خطورة تأثير العمل الدعوي الذي يُسَمّى بالحركي على عزل العلماء؛** لأن كثيراً من المشتغلين بالعمل الإغاثي والدعوي يقع منهم نظرة خاطئة للعلماء؛ لأنهم يقولون: هؤلاء علماء لا يذهبون إلى التجار ويطلبون منهم المعونة. والسبب أنّ العالم له بعلمه عزَّة، فهو لا يرضى أن يمتهن نفسه بسؤال التجار أن: أعطونا نريد نبني مدرسة، نريد نبني

مسجداً، وغيرهم ممّن هم أنقص رتبة له حالة التي تناسبه، وهذا معلوم؛ لأن الناس على أقدار، وأنتَ إذا جئت إلى رجلٍ عظيم وأردته في حويجة أبى، كما قال رجل: عندي حويجة، قال: اطلب لها رويجلاً!

ـ من أعظم البلاء الذي يُكوى به المصلحون: **التفاتهم إلى التجميع والتلميع، وعدم نظرهم إلى نوع المجتمعين على الخير**، لا يهم في أيّ عملٍ صالح كثرة مَن يقوم به، وإنما يهم صلاحهم... تجد جمعية خيرية لأهل الحديث مثلاً؛ تجد أنه يعمل فيها أناسٌ ليس عليهم سمت أهل الحديث ولا طريقة أهل الحديث... تجد أحد المشايخ ـ كما حدّثني أحدهم ـ لـمّا طُلِب منه درسٌ قال: كم عددكم؟ قالوا: والله نحن عشرة، قال: لا، عشرة ما يصلح، إذا كنتم أربعين جئتكم. بأي كتابٍ أم بأية سنّة؟! كان نافع يجلس بعد الفجر فلا يجلس إليه إلّا رجلٌ واحد؛ وهو مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبقي ذكر نافع إلى أنْ يرث الله الأرض ومَن عليها.

ـ من العجائب (في الهند) أنهم عندهم في التسمية يفتحون المصحف، ثم **يضع يده على آية، فإذا وقع على اسم سَمَّى**، فمن الفوائد اللطيفة أنّ رجلاً جاءته بنت ففتح فوجد آية (ما تشَاء)، (وضع) إصبعه على كلمة (ما تشاء)، فسمّى بنته (ما تشاء)، ورجل جاءته بنت سمّاها بلقيس، فلمّا جاءت البنت الثانية فتح القرآن فوضع إصبعه فسمّى بنته إبليس! هذه مشكلة، واحدة بلقيس وواحدة إبليس!

ـ **تواضع العلماء**: حدثني الشيخ عبيد الله ابن أبي النعمان الكشميري عن والده قال: إن أحد طلبة العلم لـمّا ورد إلى دهلي ـ اسمه الشيخ عبد الجبار الغزنوي، عالم معروف مشهور ـ، لـمّا وصل إلى الهند لطلب العلم، ووصل إلى محطة القطار التفت إلى حمّال، فجاءه رجل فقال: تريد أحمل لك كتبك؟ قال: نعم، وأريد أن تذهب بي إلى المسجد، قال: طيب، خُذْني إلى المسجد، فأخذه إلى المسجد ثم وضع

الكتب، فقال له عبد الجبار: كم الأجرة؟ قال: لا أريد، أنت طالب علم وأنا من المسلمين وأنا أخدم المسلمين، خرج هذا الرجل من فناء المسجد، فلمّا دخل عبد الجبار قال للطلبة: أين (مِيان صاحب) ـ مِيان صاحب لقب الشيخ نذير حسين ـ؟ قالوا: (مِيان صاحب) الذي شال كتبك. فخرج بسرعة ولحقه، واعتذر له وبكى، وهو صغير في السن، ومعلوم أثر الصغير عند رجل كبير وهو الشيخ الذي يطلبه، فبكى، فقال: يا بني لا عليك، أنتَ تريد (مِيان صاحب)، قال: نعم، قال: أنا (مِيان صاحب) وأنت ضيفي، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، وهذا إكرام الضيف.

ـ **أكثر العرب للأسف قصَّروا في العلوم، خاصة المتأخّرين منهم،** تجده إمّا عالم في الفقه فقط أو الحديث فقط أو النحو فقط، بخلاف العَجَم تجد جماعة منهم مَن برزوا خاصة من أهل الحديث في البلاد الهندية، برزوا في العلوم العقلية والنقلية.

ـ **العلم لا يضرّه الفقر؛ لأن العلم في القلب، والفقر إنما يكون على البدن،** فلا يخشى الإنسان أنه ربما أصابه فقر أو غيره تعطّل عن العلم، بل يقولون: كلّما كان الإنسان فقيراً كان أحرى أن يكون من أهل العلم.

ـ **العالم مهما كان فقيراً فإنه ينبغي أن يكون عزيزاً؛** لأن عزّة النفس إذا كُسِرَت ذهبت قوة العالم، ومن أعظم صفات العالم وطالب العلم أنْ يكون عزيز النفس.

ـ إن للأمة كنوزاً هي اليوم متفرقة، وهي أحوج إلى مَن يستخرجها، الآن الناس يهتمون بالحركة الاقتصادية، وهناك مؤسسات ومجامع دولية للاقتصاد وتعتني الدول بهذا، وأعظم من هذه الثروةُ العلمية، أو كما يقولون في علم الحضارات: الثروة الثقافية التراثية، الأمة الإسلامية

بسبب ضعفها وجهلها والحروب والتفرّقات تفرَّقت كنوزها، ومن جملة هذه الكنوز المكتبات الخطية في الهند، المكتبات الخطية في الهند في مرحلة خطرة؛ لأنها أمام ضعف المسلمين، وأمام تسلُّط الهندوس، فيُخشَى أنْ تذهب هذه الآثار وتضيع. ومن تلك الكنوز التي وقفتُ عليها مكتبة **صدِّيق حسن خان**، وفي هذه المكتبة من دُرر الفوائد وغررها الشيء العجيب، فهناك كتب بخطوط جماعة من العلماء والمشاهير، وهذه المكتبة آلت إليها مكتبات إمّا بالشراء وإما بالإهداء والعطية، منها مكتبة الشيخ **إسحاق بن عبد الرحمٰن آل الشيخ**، فإنه نزل ضيفاً عند صدِّيق حسن خان ست سنوات، وهناك كتب لإسحاق بن عبد الرحمٰن إمّا بخطه من مصنفاته، ومنها كتاب «المسائل التي انفرد بها ابن تيمية»، وإما لجدِّه الشيخ **محمد بن عبد الوهاب**، وقد وجدتُ كلّ كتب الشيخ محمد أو معظمها... (قال أبو معاوية البيروتي: ثم مضى الشيخ صالح يعدِّد ما وقف عليه من كنوز في تلك المكتبة).

- **من أعظم ما يفيد الشيخ تلميذه: صبره على العلم**، ولذلك من آثار المدرسة الهندية عند المتعلّمين أنهم ذوو صبر... (ثم ضرب الشيخُ أمثلة، ثم قال:) الشيخ الذي قرأتُ عليه مثل الشيخ عبيد الله كان له صبر على القراءة لا تجده للأسف عند أهل بلدنا، لماذا؟ لأنّ الناس أصابهم رغد العيش ولم يتربّوا على الصبر؛ لأن دراستنا الأكاديمية الآن الحصة كم؟ ساعة بالكثير أو خمسين دقيقة، كيف تُخرج صابرين على طلب العلم؟! والدروس؛ الدرس الطويل يكون ساعة وربع. . ساعة ونصف، ويستثقله الطلبة، فيعود هذا بالأثر السيئ على موت العلم، أمّا إذا كان الناس أهل صبر، بهذا يُحفَظ العلم ويبقى.

- **قال الشيخ عبيد الله الرحماني في إجازته لابنته**: إن البنت السعيدة الصالحة سهيلة بنت أبي الحسن عبيد الله الرحماني السعيدي لـمّا فرغت

من الصف العاشر من المدرسة الحكومية ببلدة كذا بكشمير، وفازت في الاختبار السنوي ودخلت في الخامسة عشر، نالت بكامل الجدّ من العلوم الدينية، فحصلت مني علوم الصرف والاشتقاق والنحو والأدب الابتدائي والبلاغة والمنطق ومعرفة المصطلحات، حتى إذا أتقنت هذه العلوم من كتبها المتداولة، وضبطت مسائله الضرورية وتمكّنت من فهم العبارات وتراكيبها النحوية، بادرت إلى العلوم الدينية؛ فدرست مني ترجمة القرآن الكريم مع حل اللغات ومسائل الصرف والاشتقاق والنحو فيها، و«بلوغ المرام من أدلة الأحكام» و«تفسير الجلالين» و«مشكاة المصابيح» و«أصول الحديث» و«سنن ابن ماجه والنسائي وأبي داود والترمذي»، وأبواب من «الصحيحين»، و«أصول الفقه» و«فقه السنة» و«عقائد أهل السنة الحنابلة» والجزء الأول من كتاب «حجة الله البالغة». هذه تسعة عشر فن وكتاب، وغيرها من كتب التفسير والحديث والأدب والتاريخ من غير استيعاب.

فجاءت بحمد الله وعونه على قدر من العلم والفهم والبصيرة لم تأتِ بها أترابها وأقرانها اللواتي تفرّغن وتعلّمن في الجامعات الإسلامية للبنات في الهند. وليست هذه الشهادة لها منّي شهادة الأب للوالد، ولا الدعوى بلا بينة، بل هي بنفسها بحمد الله وفضله الشهادة لها على فضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء... وعندي ما ذاك إلّا لأنها - وإنْ كانت من أذكى البنات وأفهمها وأفطنها - قد شرعت في العلوم الدينية بعدما دخلت في سن الشعور الكامل، وبعد التمكن البالغ من الألسنة واللغات الثلاث الأوردية والفارسية والانجليزية، ومن العلوم العصرية الرياضية الحساب والجبر والإقليدس من علم الهندسة والجغرافيا والتاريخ ومن العلوم الحياتية والكيميائية، فأخذت من بدء أمرها بكمال الجد ما كانت تضيعه الطالبات بالهزل وعدم المبالاة لصغر السن وعدم الاستعداد التام الضروري، وقد حصَّلت العلوم الدينية، ولأنها حصلت العلوم الدينية الآلية والأصلية علماً علماً ودرست فيها كتاباً كتاباً أو

كتابين كتابين، ولم تزد هذا القدر. . . حتى أتـمّته. (قال الشيخ صالح: وهذه البنت درّست «الصحيحين» في مدرسة عائشة أم المؤمنين بندوة العلماء بـ«لكنا» وتزوّجت أحد طلبة العلم العرب).

ـ شيخنا الشيخ (إبراهيم شحاتة) **السمنودي** له منظومة اسمها «لآلئ البيان» شرحها كاملة، وهذه المنظومة هي أفضل ما صنّف المتأخّرون في التجويد، بل فاقت مقدمة ابن الجزري، وحُسِد الشيخ إبراهيم، حصل له البلاء ونُفِي من القاهرة بسبب هذه المنظومة التي صارت تُقَرَّر في معاهد القراءات، دفع بالنسخة الوحيدة منها إلى أحد الطابعين فضاعت هذه النسخة من المطبعة وذهبت!

ـ قال لي أحد الإخوان: عندنا أحد المشايخ في الكلية يقول: إن **ابن ماجه** ما يتكلَّم على الحديث، فكنتُ أقول له: لا، مَرَّ عليَّ ابن ماجه تكلَّم على أحاديث، ابحثها. وعندما وفَّق الله لقراءة سنن ابن ماجه، بين العشرة إلى العشرين حديث تكلَّم عليها ابن ماجه في العلل، يقول: هذا حديث غريب تفرَّد به فلان، هذه أكثر عباراته، وهي في النصف الثاني من «سنن ابن ماجه» أكثر من النصف الأول، وفيه ما ينقله عن شيخه محمد بن يحيى الذهلي، وكذلك فيها كلام على غير الأحاديث. و«سنن ابن ماجه» قلَّ انتفاع الناس بها لأنهم ظَنُّوا أنَّ ابن ماجه جاهل؛ لأنه أورد أحاديث موضوعة، لكن **إذا رأيت كلامه على العلل عرفت قدر ابن ماجه**.

. . . من الفوائد في «سنن ابن ماجه»: **نُقِل عن الشافعي في التفريق بين بول الغلام وبول الجارية، يُرَش من بول الغلام ويُغسَل من بول الجارية، لماذا؟ قال الشافعي: لأن الغلام خُلِق من تراب والجارية خُلِقَت من دم، حواء مِن أين خُلِقَت؟ من ضلع أعوج من آدم، وهذا خُلِق من تراب، هذا وجه لطيف.**

- ينبغي أن يعتني طالب العلم بتصحيح الكتب كثيراً، الآن أكثر الكتب التي بأيدي الناس ليست صحيحة، الكتب الستة فما دونها، حتى هذه المتون المتداولة التي يعتني بها الناس... فتجد أن هذه الكتب كثير من الشباب يُعوِّل عليها، وإذا شاف الطبعة القديمة قال: لا يا رجال قديمة ما تصلح! احرص على الطبعات القديمة في كلِّ فن وكل كتاب، بل لا تقف على هذا، حتى الطبعات القديمة حاول أن تصحّحها، الكتب الستة.. عندك تحفة الأشراف، دائماً قابل على تحفة الأشراف تجد فيه سقط في السند، تجد فيه سقط في المتن.

- لم يخدم كتب الحديث أحد مثل **عبد الله بن سالم البصري** (١٠٥٠ - ١١٣٤هـ)، فإنه قابَل كتب الحديث، يُقال: قابَل كل الكتب على النسخ الخطية وأثبت الفروقات، وله حاشية على «تقريب التهذيب» هي أفضل الحواشي، وهناك نسخته في البخاري.. النسخة التي طبعوها الآن اليونينية صوّروها، هذه أصلاً اعتمدوا نسخة عبد الله بن سالم، نسخة سنن أبي داود التي من أفضلها عند عوامة نسخة عبد الله بن سالم، نسخة «مسند أحمد» نسخة عبد الله بن سالم موجودة ثلثين منها في دار الكتب المصرية، ويوجد نسخة لأحد تلاميذه خليل الأحسائي استنسخها من نسخة شيخه، وكانت عنده.

- «تحفة الأشراف» الموجودة لا تساوي شيئاً! عبد الصمد شرف الدين ولا بشار عواد؛ لأن المزي بقيت تحت يده نسخته يزيد فيها وينقص منها حتى مات، وهذه النسخ التي اعتمدوها - نسخة ابن المهندس - نسخٌ متقدمة، ولذلك يوجد في حواشي عبد الله بن سالم على «التقريب» وعلى البخاري أشياء نقلها من «تحفة الأشراف» ليست في «تحفة الأشراف» التي بأيدينا؛ لأنه كانت عنده نسخة المزي الأخيرة، وهذه النسخة موجودة.

• نسختُ الفوائد من تفريغٍ قام به «موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية»، جزاهم الله خيراً.

١٦٨٦ المصير المأساوي لكتاب عبد الحكيم النصيرابادي الذي رتّب فيه «مسند أحمد» كاملاً على أبواب البخاري، وشرحه عبد القاسم السعيدي!

قال الشيخ **صالح العصيمي** في محاضرته عن «رحلته إلى الهند»: هناك رجل اسمه **عبد الحكيم النصير** أبادي من علماء القرن الماضي، رتَّب «مسند أحمد» كاملاً على أبواب البخاري، فلمّا انتهى منه دفعه إلى الشيخ عبد القاسم السعيدي رحمه الله تعالى، (**عبد القاسم السعيدي**) أحد علماء الهند المشهورين، وله كتب كثيرة منها «تخريج المشكاة» (قال البيروتي: يقصد كتاب «تكملة تنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة» للمحدث أحمد حسن الدهلوي من كتاب الزكاة إلى آخر الكتاب)، و(كتبه) طُبِعَت في الهند بعضها وبعضها ما طُبِعت، عالـمٌ كبير، يُنسَب كثير من الطلبة إليه؛ يقول: السعيدي، شرف الدين الدهلوي السعيدي، وهو أحد كبار تلاميذ شمس الحق العظيم أبادي، قام (عبد القاسم السعيدي) فشرح هذا الكتاب من أوله إلى آخره، شرحه كاملاً، وكان محمد عطاء الله حنيف صاحب كتاب «التعليقات السلفية على سنن النسائي» يقول كما حدثني الشيخ محمد إسرائيل السلفي: «شرح الشيخ شرف الدين أعظم وأفضل من شرح الشيخ أحمد شاكر»!

الكتاب كَمُل وكُتِب ودُفِع إلى المطبعة، ثم صارت فتنة الهند الانقسام فضاع هذا الكتاب، ما أخذت نسخة ثانية، وجدتُ هذه النصف **ورقة في وصف الكتاب، قال الشيخ: عندي قطعة منه نصف ورقة في «التلخيص الحبير»، هذا «التلخيص الحبير» نسخة الشيخ شرف الدين السعيدي آلت إلى الشيخ محمد إسرائيل، قال: جاءت بها أيام الدهر، بقيت هذه القطعة محفوظة في الكتاب، وكتب عليها الشيخ: هذه قطعة من تبويب مسند الإمام أحمد بخط الشيخ عبد الحكيم النصير أبادي الراجستاني. . . ، كتبه الشيخ محمد إسرائيل السلفي الندوي، باب الأذان**

قبل الفجر، حدثنا عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا عفان، حدثنا همام.. إلى آخره. حدثنا فلان، حدثنا فلان، ما بقي إلّا هذه القطعة من عمل آلاف الصفحات! لماذا؟ لأنه لم تُسْتَنسَخ نسخة ثانية، فذهب الكتاب! اهـ.

قال البيروتي: ذكر الكتابَ الشيخ **عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي** في مقالته «الحركة السلفية في الهند» ـ عند كلامه على مؤلفات الشيخ **شرف الدين الدهلوي الفنجابي** (ت١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ـ فقال: شرح مسند الإمام أحمد على تبويب المحدِّث عبد الحكيم النصير آبادي، طُبع منه ستون صفحة بالقطع الكبير من جمعية أهل الحديث بدهلي، ثم توقف نشره لعوائق.

١٦٨٧ التعريف بـ«الأرشيف العثماني»... وكيف نشأ:

كلمة أرشيف (Archive) المستعملة في اللغتين الانجليزية والفرنسية مشتقة من الكلمة اللاتينية (Archiviam) ـ التي تعني الورقة أو المستند ـ أو الكلمة اليونانية (Archeian) ـ التي تعني لغويًّا المكتب أو الموجودات المستندية، ثم تطوّر معنى الكلمة بحيث أصبح معناها الوثائق الناتجة عن أعمال المؤسسات الحكومية المنظمة، وفي المفهوم المعاصر باتت كلمة أرشيف تعني السجلات والمحفوظات والمستندات والمخطوطات وأماكن الحفظ ودور الوثائق التاريخية ومستندات الدولة والمؤسسات الحكومية.

وعندما نشأت الحكومة العثمانية كانت لا تمتلك الوثائق والمستندات الإدارية والتنظيمية، وكانت لا تحتفظ بوثائقها أو بمراسلات سلاطينها أو أمرائها أو قادتها، ومع استقرار الدولة العثمانية في بلاد الشام ابتداءً من عام ١٥١٦م وفي مصر ابتداءً من عام ١٥١٧م تبيَّن للدولة العثمانية أنّه لا بدّ أنْ تنظّم أوضاعها وأوضاع السكان في مختلف الولايات، فاقتبست بعض الأنظمة السائدة منذ العهد المملوكي وبعض الأنظمة الأوروبية نتيجة التفاعل مع الغرب، ولم تهتم في البداية سوى

بإصدار الفرمانات السلطانية الخاصة بتعيين الأمراء والولاة ومنح الباشاوية أو الإمارة لهذا الزعيم أو ذاك، وكانت مختلف الرسائل أو الفرمانات لا تُحْفَظ في أرشيف منظم خاص للدولة، بل إنَّ ما وُجِد معظمه إنما كان من بين محفوظات الأمراء أو الولاة أو أحفادهم، أو الأفراد أو محفوظات أسرهم، أو محفوظات الأسر السياسية أو الإقطاعية، كما وُجِدَت العديد من الوثائق العثمانية في إدارات الدول والسرايات والقصور التاريخية وفي مختلف الولايات السابقة التي كانت تابعة للدولة العثمانية.

وفي العاصمة استانبول، وبعد أنْ تشعّبت وظائف ومسؤوليات الدولة العثمانية، ونتيجة لعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية، نشأت في الآستانة خزانة لحفظ هذه الوثائق السياسية والإدارية التي كانت تُرسِل نُسَخاً منها إلى مختلف الولايات لاتخاذ ما يلزم لتنفيذها، ممّا ساعد أيضاً على حفظ الوثائق اعتماد الدولة العثمانية النظام الغربي في تأليف الحكومات ممّا اضطر الوزارات لأنْ يكون لكلٍّ منها أرشيفها الخاص...

والحقيقة فإنّ الدولة العثمانية لا سيّما بين القرن السادس عشر وأوائل القرن العشرين وبانتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، كانت قد تركت من خلال الحقبة التاريخية لحكمها ـ سواء في بلاد الشام أو مصر أو شمالي أفريقيا أو الخليج العربي وقبرص واليونان أو أجزاء من أوروبا الشرقية بما فيه منطقة البلقان ـ تراثاً هامًّا من الأرشيف يضم ملايين من الوثائق والمراسلات والتنظيمات والقرارات والفرمانات قُدِّرَت بحوالي خمسين مليون وثيقة المجموعة فقط في تركيا الآن، كما يوجد ملايين أخرى من الوثائق العثمانية ما تزال موجودة حتى اليوم في مختلف الولايات والمناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية لأكثر من أربع مئة

عام، كما أنّ هناك مئات الألوف من الوثائق العثمانية في ملفات الحكومات ووزارات الخارجية الأجنبية. أما الوثائق الموجودة في تركيا فهي بحاجة إلى توثيق وفهرسة، وقد أفرجت الحكومة التركية في السنوات الأخيرة عن ما يقارب مليون وثيقة مصنَّفة من العهد العثماني، بعد أنْ عملت على تنظيمها وفهرستها وتصنيفها، وسمحت للباحثين بالاطلاع عليها بانتظار الإفراج عن بقية الوثائق. كما أنّ العهد العثماني ترك عشرات الألوف من المخطوطات العثمانية التي بحثت في موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وسواها من الموضوعات، وسهَّلت للباحثين كتابة التاريخ العثماني.

• نقلته من كتاب «مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، مع دراسة للأرشيف العثماني واللبناني والعربي والدولي» للدكتور حسان حلّاق، (ص٢١٦/ ط. النهضة العربية ـ ٢٠٠٤م).

١٦٨٨ مختصرات كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، وذيوله:

قال **جليل العطية** في مقدمة جمعه لكتاب «القيان» (ص٢٣ ـ ٢٩/ ط. رياض الريس): نال كتاب «الأغاني» عناية العلماء، والمرجح أن الكتاب الذي نطالعه اليوم لم يكن كما تركه المؤلف، بل إنّ تلامذته أضافوا إلى الكتاب أشياء وجدوها بين أوراقه أو مروياته لهم، وأضافوا نصوصاً من كتبه الأخرى، وهكذا تضخّم الكتاب وأصبح من الضروري اختصاره وتهذيبه، ونهض بهذه المهمة مجموعة من علماء المشرق والمغرب، منهم:

١ ـ الحسين بن علي بن الحسين، الوزير المغربي (٣٧٠ ـ ٤١٨هـ). . . وقد وصلت إلينا نسخة فريدة من مختصر الوزير المغربي تقع في مجلدين (باريس ٥٧٦٦ و٥٧٦٩)، كُتِبَت بخط نسخ جميل سنة ٦٩٩هـ في مدينة واسط بالعراق.

٢ ـ **مختصر الأغاني** لأبي الربيع **سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن** (ت٦١٠هـ)... وصل إلينا المختصر في مخطوطة مكتوبة سنة ٦٠٧هـ.

٣ ـ **مختار الأغاني ومعانيها**، للمُسَجِّي (هكذا كتبه العطية مرتين! والصواب: **المُسَبِّحي**) **عز الملك محمد بن عبيد الله** (٣٦٦ ـ ٤٢٠هـ)... وهو مفقود.

٤ ـ **مختصر الأغاني** لابن ناقيا: **عبد الله بن محمد** (٤١٠ ـ ٤٨٥هـ)... ويقع في مجلد واحد، وهو مفقود.

٥ ـ **مختصر الأغاني** للقاضي الرشيد **أحمد بن علي بن الزبير الغساني الأسواني** (ت٥٦٣هـ).

٦ ـ **مختصر الأغاني** لأبي الفتح **عثمان بن عيسى البلطي** (٥٢٤ ـ ٥٥٩هـ)... والمختصر لا وجود له اليوم.

٧ ـ **مختصر الأغاني لعبد الرحيم بن علي الداخور** (٥٦٥ ـ ٦٦٧هـ)... وهو مفقود.

٨ ـ **تجريد الأغاني في المثالث والمثاني لابن واصل الحموي، جمال الدين محمد** بن سالم (٦٠٤ ـ ٦٩٧هـ)... وقد وصل إلينا في عدة نسخ أقدمها مخطوطة رئيس الكتاب ٩٠٢، وهي مكتوبة في القرن السابع الهجري، وطُبع بعناية إبراهيم الأبياري في ٨ مجلدات، وظهر في القاهرة سنة ١٩٥٥م.

٩ ـ **مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، لابن منظور محمد بن مكرم** (٦٣٠ ـ ٧١١هـ)... اختصره ورتّبه على الحروف، فابتدأ بأخبار أبي العتاهية، وأضاف إليه ترجمة طويلة لأبي نواس أقامها على ترجمة قديمة عنده من صنع ابن الأعرابي... نُشِر الكتاب كاملاً بثمانية أجزاء عام (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م) بتحقيق إبراهيم الأبياري.

١٠ ـ **اختصار الأغاني، لمحمد الشحمي التونسي (توفي بعد**

١١٩٠هـ)... يتكوّن المخطوط من ٣٢٤ ورقة مكتوبة بخط مغربي، وهو محفوظ في خزانة الأحمدية بتونس تحت الرقم (٤٦٤٧).

١١ ـ **حدائق الفنون في اختصار الأغاني وابن خلدون**: مخطوط في جزء مفرد مكتوب بخط مغربي من إعداد **مجهول**، وهو محفوظ في خزانة الأحمدية بتونس تحت الرقم (٤٦٤٩).

١٢ ـ **إدراك الأماني من كتاب الأغاني، لعبد القادر بن عبد الرحمٰن السلوي الفاسي**، من رجال القرن الثاني عشر للهجرة، توجد نسخة منه في خزانة القصر الملكي بالرباط تحت الرقم (٢٧٠٦)، وتقع في ٢٥ جزءاً ينقصها الجزء الأخير، مكتوبة بخط مغربي واضح وجميل.

١٣ ـ **بشير التهاني**، لمؤلف **مجهول**، توجد نسخة منه في الجزائر (٥ مجلدات في القرن الثالث عشر الهجري، أغلب الظن أنه بخط مؤلفه) (سزكين ١/ ٦١٧).

١٤ ـ **رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني**، للأب **أنطوان الصالحاني**، وهو من المختصرات التي صدرت أواخر القرن الماضي، ويقع في جزءين، صدرت الطبعة الأولى عام ١٨٨٨م ولم تكن تحمل اسم مهذّب الكتاب، وظهرت الطبعة الثانية عام ١٩٢٣م حاملة اسم الصالحاني.

١٥ ـ **مهذّب الأغاني**، للشيخ **محمد الخضري** (ت١٩٢٧م)، ظهر في ثمانية أجزاء بالقاهرة عام ١٩٢٥م. (قال الأديب مصطفى الرافعي: أما «مهذب الأغاني» للشيخ الخضري: فدعك من هذا العبث! والحمد لله على وجود الأصل/ البيروتي).

١٦ ـ **المغني عن الأغاني، لمحمد بن الحسين آل كاشف الغطاء**، وهو مخطوط، توجد نسخة منه بالنجف في العراق تقع في ٧٧٩ ورقة.

١٧ ـ **اختيار الأغاني، لابن فضل الله العمري** (٧٠٠ ـ ٧٤٩هـ)، من علماء دمشق البارزين، من أشهر آثاره «مسالك الأبصار في ممالك

الأمصار»، يقع في نحو ثلاثين مجلداً، وصلت إلينا أجزاء كثيرة من هذه الموسوعة الفذة، وقد اختصر العمري الأغاني في الجزء التاسع من موسوعته، ووصل إلينا هذا الجزء في عدة نسخ مخطوطة.

١٨ ـ **اختيار الأغاني**، للدكتور **إحسان النص**، والنص أديب ومترجم وكاتب معاصر صنع اختياراً للأغاني، نُشِر في بيروت، ويقع في ستة أجزاء.

هذا ما وقع إلينا من مختصرات الأغاني، ولا نشك أنّ ما فاتنا من هذه المختصرات أكثر.

ذيول الأغاني

١ ـ **المحدث في الأغاني، لابن ناقيا البغدادي (٤١٠ ـ ٤٨٥هـ)**. . . وقد احتفظ لنا العمري بمقتبسات منه في موسوعته «مسالك الأبصار»، وقال إن ابن ناقيا ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج الأصبهاني (المسالك ٩: ق ١٢٥)، ونقل تراجم أوردها ابن ناقيا في كتابه هذا، مثل: دليل الطنبوري، إسرائيل العواد، طريف بن معلى الهاشمي.

٢ ـ **ذيل الأغاني، لابن فضل الله العمري (٧٠٠ ـ ٧٤٩هـ)**، قال العمري (المسالك ٩: ق ١٢٤): هذا آخر ما وقع عليه الاختيار من جامع أبي الفرج الأصبهاني، اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير المغاني، وقد بقيتُ مدة لا أجد ما أذيّل عليه ولا ما أصِلَه به إلى زماننا هذا. . لقلّة اعتناء المتأخرين ولا سيما بهذا الفن الذي فنِيَ ولم يبقَ مَن يعانيه أو يسمعه إلّا دنيء، لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا، وشواغل أبناء الزمان بالهموم الصادة عن السرور، ثم ظفرتُ لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطفتُ من كتب التواريخ والأخبار المفيدة عن أواخر الخلفاء من بني العباس وبقايا الخلفاء بالأندلس من بني أميّة وأعقاب الملوك والجلّة من كلّ أفق ما

جمعت مفرّقة وألفت ممزقة، ثم أتْبَعْته بما التقفته من بقية أهل الاعتناء ممّن تأخّر بهم الأجل إلى هذا العصر وبذلت الجهد فيه حسب الطاقة... انتهى النقل.

فائدة:

قال جليل العطية: **أقدم طبعات الأغاني هي الألمانية** التي صدرت عن جامعة كوزجارتن مع ترجمتها بالألمانية سنة ١٨١٠م، وفي العالم العربي ظهرت طبعة **بولاق** سنة ١٢٨٥هـ، وهي طبعة ناقصة، وأصدر برونوف جزءاً متمّماً للطبعة الأولى عُرِفَ باسم الجزء العشرين وطُبع في **ليون** سنة ١٨٨٨م، ومن طبعاته المعروفة: الساسي (القاهرة ـ ١٩٠٥م)، دار الكتب المصرية (١٩٣٧ ـ ١٩٦٣م)، دار الثقافة (بيروت) بإشراف الأستاذ عبد الستار فراج (١٩٥٥م)، بعد ذلك أتَمَّت الهيئة المصرية إصدار بقية «الأغاني» فصَدَر بين (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤م) ويحمل آخر أجزائه الرقم (٢٤)، ومن طبعات «الأغاني» طبعة الأستاذ إبراهيم الأبياري (القاهرة ١٩٦٩ ـ ١٩٧١م).

إضافة منِّي:

ـ **أغاني الأغاني**، وهو مختصر لكتاب «الأغاني»، قام به العلامة اللغوي عبد الله العلايلي (١٣٣٣ ـ ١٤١٧هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩٩٦م) بالاشتراك مع الراهب يوسف عون، وقد رأيته مطبوعاً.

١٦٨٩ الشكوى من قلة القراءة في العالم العربي منذ مئة سنة!!

قال ولي الدين يكن (١٨٧٣ ـ ١٩٢١م) في كتابه «التجاريب» (ص٨٦/ ط. الحكمة): ننظر إلى الكتاب المطبوع بإحدى اللغات الأجنبية، فنرى مكتوباً على جلده: «الطبعة العشرون»، و«الطبعة الخمسون»، وأكثر من ذلك، وقد يكون عدد نُسَخ الكتاب في الطبعة

الواحدة عشرة آلاف على الأقل، وليس في الشرق كتابٌ طُبِعَ مرتين إلّا نادراً، أو ما كان مُتَضمّناً للمجون! وجرائدنا يأكل مشتركوها أثمان اشتراكهم فيها، ويكتفي قرّاؤها بنُسَخٍ يأخذونها من المشتركين، أو يقرأونها في القَهَوات، وقد يبالغ في الغرابة بعضهم، فيرُدّ الجريدة مكتوباً عليها: «مرفوضة»، بعد أنْ يكون قرأها أشهراً وأياماً!

وأغرب منهم مَن جاءته جريدة «الجامعة العثمانية» - وهي جريدةٌ تنشرها «الجامعة العثمانية» في بيروت وتعطيها من دون ثمن، ويُكتَب على غلافها «مجاناً». . . - فردّ الرجل الجريدة، بعد أنْ كتب على غلافها بالعربية والفرنساوية «مرفوضة!» رفض الفضل، ورفض الكرامة، لا طال ذنب زمانه! ولم يُخجله كرمُ الذين أحسنوا بها عليه إحساناً لم يقع على مستحقّه، ومثل هؤلاء المخلوقات كثيرٌ بيننا، ولا فخر!

• اقرأ تنبيهي في الفقرة (١٧١٥).

١٦٩٠ مكانة كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير عند أهل العلم:

قال الشيخ **عبد الكريم الخضير**: «البداية والنِّهاية» للإمام الحافظ ابن كثير، وهو مُستمدٌّ في غالبه لا سِيَّما نصفُهُ الأوَّل من تاريخ الطَّبري، وهو أيضاً مُعتمد على ابن الجوزي في تاريخِهِ ومصادر أُخرى، والحافظ ابن كثير منزلتُهُ في عُلُوم الكتاب والسُّنَّة معروفة، ولذا عُنِيَ بكتابِهِ أهل العلم في القديم والحديث وفَضَّلُوهُ على غيرِهِ وصار ديدنهم وهجِّيراهُم إلى وقتنا هذا، وكتاب «البداية والنِّهاية» يقروُّهُ الشُّيُوخ في قسم جرد الـمُطوَّلات ويُؤثِرُونهُ على غيرِهِ؛ لأَنَّهُ جامع بين التَّواريخ المتقدِّمة، وإمامة مُؤلِّفِهِ تجعل العُلماء يُعنوْنَ به، وهو مُتأخِّر عنها فوفاته سنة أربع وسبعين وسبع مئة؛ بعد الطَّبري بأربع مئة وستين سنة أو أكثر، عُني بقصص الأنبياء وسيرة النبي عليه الصَّلاة والسَّلام وشمائِلِهِ وتواريخ الدُّول الإسلامية المُتعاقبة إلى زمنِهِ رحمهُ الله، ويُعنَى أيضاً بتراجم أهل العلم،

وهو كتابٌ نافعٌ ماتع لا يستغني عنهُ طالب علم، ذيَّلهُ بكتابٍ أسماهُ «النِّهاية»؛ لأنَّهُ من شِقَّين: البداية، والنِّهاية. البداية الذي هو التَّاريخ، والنِّهاية التي في الفتن والملاحم مما سيكون في آخر الزَّمان، والكتاب طُبع لأوَّل مرَّة على نفقة الملك عبد العزيز رحمهُ الله في مطبعة السَّعادة، وهذه الطَّبعة رغم جمالها والعناية بها إلّا أنَّها لا تخلُو من أخطاء كثيرة، وإدخال ما ليس منها فيها؛ لأنَّ النُّسخة التِّي اعتمدُوا عليها فيها ما فيها من التَّصحيف، وفيها أيضاً من إدخال بعض النُّسَّاخ مِمَّا يجزم القارئ أنَّهُ ليس من كلام ابن كثير مما تميَّز بنفسِه أحياناً ممّا هو نقل عمَّن تأخَّر عن ابن كثير، وأُعيد طبعُهُ بعناية محمد زُهري النَّجَّار، ثُمَّ طُبع أخيراً بعناية الدُّكتور عبد الله التُّركي، وطبعتُهُ هذه هي أجْود الموجُود الآن، وبُيِّن فيها الكلام الذِّي ليس من كلام ابن كثير، وصُحِّح بِقدْر الـمُستطاع الأخطاء التِّي جاءت في طبعة الملك عبد العزيز رحمهُ الله.

• مفرّغ من محاضرة الشيخ الخضير: كيف يبني طالب العلم مكتبته؟ (الحلقة (٥) الأخيرة، كتب التاريخ والتراجم واللغة والأدب).

قال البيروتي: وكتاب «البداية والنهاية» كان أول كتاب (تراثي) اقتنيته، حيث اشتريت طبعة المعارف من معرض الجامعة الأميركية للكتاب عام ١٩٩٤م، وانظر للفائدة «الكناشة» (٦٧٥).

١٦٩١ الخطأ في النطق بأسماء الكتب:

قال د. **عبد العزيز الحربي** في «لحن القول»: الخطأ في النطق بأسماء الأشياء وكتابتِها مِن تحريف الكلم ولحْنِ القول. وفي أسماء الكتب ألفاظٌ يقع لحن اللاحنين فيها؛ بسبب إمكان النطق بها على وجه آخر، أو غرابة لفْظِها. ومن ذلك:

- **متن الآجُرّوميَّة**، بمد الألف، وضم الجيم، وتشديد الراء؛ نِسْبةً إلى ابن آجرّوم: أبو عبد الله الصنهاجي (ت٧٢٣هـ)، ومعناها عندهم:

الفقير المتصوِّف، واللحن الشائع فيها: نُطقُها من غير مدٍّ، مع إسكان الجيم، وتخفيف الراء.

ـ **الأَعلام**، للزّركلي، الكتاب الشهير، بفتح الهمزة، جـمْعُ عَلَمٍ؛ لا بكسرها.

ـ **إِعلام الموقعين عن ربِّ العالمين**، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) بكسر الهمزة، مصدر أَعْلَمَ؛ لا فتحها، جمع عَلَم؛ لأنه هو المناسب لـ(عن).

ـ **عِدَة الصابرين** لابن القيم؛ أيضاً بكسر العين وفتح الدال المخففة؛ من الوعد، لا بضم العين، وتشديد الدال؛ من العِدَّة، وقد مضى تفصيل ذلك.

ـ **الإِحكام في أصول الأَحكام**، لأبي محمد ابن حزم الظاهريّ (ت٤٥٦هـ) بكسر همزة (الإحكام) الأُولى وفتحها في الثانية؛ لا بفتحها في الكلمتين.

ـ **الصِّحاح**، المعجم المشهور في اللغة، لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، بكسر الصاد، واسمه الكامل: «تاج اللغة وصحاح العربية» هذا هو المشهور، ومِن العلماء مَن يختار الفتح؛ بمعنى الصحيح، ومنهم من يسوِّي بينهما، وفي مقدمة الكتاب لمحقِّقه أحمد عبد الغفور عطار مبحثٌ نفيسٌ في ضبْطِه.

الخلاصة: الخطأ في ضبط الأسماء من تحريفِ الكلم ولحنِ القول.

١٦٩٢ عناوين الكتب... بين إيجاز السَّلَف وتطويل الخلف!

قال د. عبد العزيز الحربي حفظه الله في كتابه «خاطرات» (ص٦٧/ ط. ابن حزم): تبَصَّر في مصنّفات المتقدّمين من أهل القرون الأولى في عصر التصنيف تجدْ عناوين كاشفة بألفاظ موجزة، لا تَكَلُّف

فيها ولا غموض، لفظة أو لفظتان في الأعمّ الأغلب؛ ككتاب (الرسالة، والأم، والموطأ، والحيوان، والأمثال، والعين، والاشتقاق، والجمهرة، والمحلَّى)، ثمّ احلولَى للمستأخرين أن يسجعوا في أسماء تواليفهم، كيف لا، وقد طال زخرف البلاغة واتّسع ثوب البديع، فحكمت السلائق بقَبول ما سهل منها واقترب من الطبع، ولم يَطُل؛ ككتاب (سبل السلام على بلوغ المرام، وفتح الباري شرح صحيح البخاري).

وأمّا ما عسر منها وطال ففي طيّ النسيان، وصدف الناسُ عن ذِكره إلى ما هو أيسر؛ ككثيرٍ من الشروح، اكتُفِيَ فيها بإسناد الشرح إلى مؤلِّفيها؛ كـ (شرح الأشموني، حاشية الصبّان)، أو اكتُفِيَ بجزءٍ من الاسم؛ ككتاب (القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من لغة العرب شماطيط).

فإنْ كان صاحب القاموس يُعذَرُ في هذا فمَن عذيري من ابن خلدون ـ وهو النقّاد الجهبذ ـ الذي سَمَّى كتابه «العِبَر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم مِن ذوي السلطان الأكبر»؟! وكان يكفيه الجزء الأول من الاسم، وقد نُسِيَ الاسم، وقال الناس: تاريخ ابن خلدون.

وانظر الفرق بين هذا وتسمية ابن كثير لتاريخه «البداية والنهاية»، وثَمَّ كتابٌ سمّاه مؤلفُه «قُرّة عين الشُّهود ومرآة عرائس معاني الغيب والوجود.. إلخ».

وإنّي ليَحْزُنني عنوان كتاب اسمه «مُخّ البعوض في علم العَروض»! لم يجد فاصلة مناسبة للعروض إلّا هذه.

وكان لبعض أصحابنا صاحبٌ، له صاحبٌ اسمه (منَّاع)، أقسم ليُصنِّفَنَّ في الرّدّ عليه كتاباً، عنوانه (البحر المضارع في الرّدّ على مناع) يظنّ أنّه يكفي موافقة السّجع بالعين كيفما اتّفق.. وما كان أحرى بهذا

العنوان الفارغ، أن يُقذَف في البحر المضارع، (ولا تحسبوا أنّي أردتُ السّجع بين الغين والعين). اهـ.

فائدة ذكرتها في «الكناشة» (١١٧٦):

«كتاب الضعفاء، ومَن نُسِبَ الى الكذب ووضع الحديث، ومَن غلب على حديثه الوهم، ومن يُتَّهم في بعض حديثه، ومجهول روى ما لا يتابع عليه، وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها، وإنْ كانت حاله في الحديث مستقيمة، مؤلف على حروف المعجم»

هذا هو العنوان الكامل لكتاب الحافظ محمد بن عمرو العقيلي (ت٣٢٢هـ) النفيس المعروف بين الناس بـ«الضعفاء»!

١٦٩٣ مهما كتبت من مقالات... فلن تفلس جعبتك من مواضيع جديدة تكتب عنها:

قال الأديب الساخر إبراهيم **المازني** (١٨٩٠ ـ ١٩٤٩م) في كتابه «صندوق الدنيا» (ص١٠/ ط. دار المدى ـ ٢٠٠٣م): يظنُّ (البعض) أن الكتابة لا تكلِّف المرء جهداً، وأنّ القلم هو الذي يجري وحده بما يقطر من مراعفه، وأنّ العقل والنفس لا دخل لهما فيما يخطّه.

وإذا ظللتُ أكتب وأكتب هكذا فماذا يكون، لا أقول أني سأفلس، فإنّ الحياة لا تنفك أبداً جديدة في رأي العين والعقل، وهي لا تزال تسفر كل يوم عمّا يحرّك النفس. . .

أنا أكتب في الأسبوع مقالين، فجملة ذلك في العام تبلغ المئة، وكلّ مئة مقال تملأ خمسة كتب كهذا، فسيكون لي إذن بعد عشرة أعوام ـ إذا ظللتُ هكذا ـ ثلاثون كتاباً غير ما أخرجت قبل ذلك، أيْ أنّ كتبي أنا وحدي تملأ مكتبة صغيرة يجد فيها القراء ما يشتهون ولا يعدمون منها متعة أو سلوى، وصاحبها لم يستفد إلّا العناء!

١٦٩٤ وهمٌ للحافظ ابن حجر في نسبةِ كتابٍ، وتبعه فيه الزركلي:

قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في «الإصابة في تمييز الصحابة» (في ترجمة سحبان وائل): . . . قال أبو نعيم في كتاب «طبقات الخطباء»: كان سحبان خطيب العرب غير مدافع، وكان إذا خطب لم يعد حرفاً ولم يتلعثم ولم يتوقف ولم يتفكر، بل كان يسيل سيلاً. اهـ.

وتبعه الزركلي فعزا الكتاب لأبي نعيم الأصبهاني نقلاً عن «الإصابة».

قال أبو معاوية البيروتي: استغربتُ نسبة هذا الكتاب لأبي نعيم الأصبهاني، فراجعتُ وبحثت، وتبيَّن لي أن الكتاب **لأَحْمد بن مُحَمَّد بن نوسه** (أو يوسف) **الأَصْبَهَانِيّ**، ترجم له ياقوت في «إرشاد الأريب»، وابن الساعي في «الدر الثمين»، والصفدي في «الوافي بالوفيات»، ونقلوا عن حَمْزَة بن الحسن الأصبهاني (ت٣٦٠هـ) في «كتاب أَصْبَهَان» أنه ذكره في جملَة الأدباء الَّذِي كَانُوا بها، وقال: له كتابٌ فِي «طَبَقَات البلغاء» وَكتاب فِي «**طَبَقَات الخطباء**» لم يسْبق إِلَى مثلهمَا، وكتاب في أدب الْكَاتِب. اهـ.

١٦٩٥ «معجم السفر» للحافظ أبي طاهر السلفي:

لم يَحْظَ كتاب من كتب الحَافظ الكبير أبي طاهر السِّلفي (٤٧٤ ـ ٥٧٦هـ) باهتمام الباحثين كمثل ما حظي به كتابه «معجم السفر»؛ وحُقَّ له ذلك، وهو مع كل ذلك الاهتمام لم يعن به العناية اللائقة من حيث التحقيق والطباعة، ويعد كتاب السلفي هذا موسوعة احتوت على التراجم التي تفرّد بها، مع تحقيق الوفيات، والعناية بذكر الأنساب، والبلدان. وهو مع ذلك غنيٌّ بالأشعار، حتى سمّاه بعضهم «معجم الشعراء»، كما احتوى على كثير من الأخبار والأحداث والمرويات الحديثية والآثار، بالإضافة إلى احتوائه على كثير من تراجم أعلام المغرب الكبير والأندلس.

ولمعجم السفر نسخ خطية؛ منها: نسخة مكتبة تشستربيتي، ونسخة مكتبة عارف حكمت ضمن مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية، ونسخة مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني، وهي منسوخة عن نسخة عارف حكمت، وقد حُقِّقَ المعجم أربعة تحقيقات، طُبِعَ منها حتى الآن ثلاثة، وهي على ترتيبها الزمني:

١ ـ حقق الكتاب الدكتور **حسن عبد الحميد صالح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كما ذكر ذلك في كتابه عن أبي طاهر السلفي (ص٢٠١). ولم يُطبع هذا التحقيق بعد.

٢ ـ ثم طبع الجزء الأول منه بتحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني رحمها الله، ونشرته وزارة الثقافة ببغداد سنة ١٩٧٨م، وهو أول تحقيق يُطبع للمعجم، وقد اعترى هذا العمل قصور ظاهر، مما حَدا بالدكتور **بشار عواد معروف** إلى كتابة نقد على هذا العمل، ونشره في مجلة المورد العراقية سنة ١٩٧٩م.

كما نقد هذا التحقيق الدكتور **إحسان عباس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقال: «وقد نشرت الدكتورة بهيجة الحسني الجزء الأول من معجم السفر، وقدمت له بمقدمة تفصيلية ـ نسبيًّا ـ عن المؤلف، واعتمدت في التحقيق على نسخة مكتبة عارف حكمت، ونسخة تشستربيتي، ولكن المدقِّق في هذا الجزء يجد أن الكتاب غير قابل للنشر في حالته الراهنة؛ لما فيه من اضطراب، وبتر، وضياع أوراق»! (تعليقه على فهرس الفهارس ٢/ ٦١٣).

٣ ـ ثم طُبِعَ كاملاً بتحقيق الدكتور شير محمد زمان، ونشره مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد، باكستان سنة ١٤٠٨هـ، وهي الطبعة الأولى الكاملة للكتاب.

٤ ـ ثم نشرته دار الفكر ببيروت، معتمدة على الطبعة الباكستانية، وكُتِب عليها: تحقيق عبد الله عمر البارودي!

أما الأعمال التي كُتِبَت من خلال معجم السفر؛ فهي عديدة، وسابقة لطباعته، ومنها:

١ ـ مقال للدكتور الإيطالي **أمبرتو ريزيتانو** بعنوان: «أخبار عن بعض مسلمي صقلية الذين ترجم لهم أبو طاهر السلفي في معجم السفر»، نُشِرَ في حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة، في المجلد الثالث، عدد ١٩٥٥م.

٢ ـ ثم استخرج منه الدكتور **إحسان عباس** «أخبار وتراجم أندلسية...»، وصدرت طبعته الأولى عن دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٦٣م.

٣ ـ وكتب الأستاذ **حسن الصادفي** مقالاً بعنوان: «من مصادر تاريخ المغرب في العصر الوسيط.. تراجم وأخبار مغربية مستخرجة من معجم السفر»، ونشر في مجلة «المناهل»، عدد سبتمبر سنة ١٩٩٢م.

٤ ـ وكتب الأستاذ **هشام عطية أحمد** مقالاً بعنوان: «المنهج التاريخي للحافظ أبي الطاهر السلفي في تأليف كتابه معجم السفر»، ونُشِرَ هذا المقال في مجلة المؤرخ العربي، عدد مارس سنة ١٩٩٩م.

• كتب السابق: عبد الله سالم باوزير، الثلاثاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٦هـ.

١٦٩٦ من أشهر رحلات الغربيين إلى الحجاز:

البحث التالي استفدته من سلسلة مقالات للدكتور **عبد الله بن ابراهيم العسكر** بعنوان «رحلات الغربيين إلى الحجاز»، وقمتُ باختصارها والانتقاء منها، فمَن أراد المعلومات كاملةً فليرجع إلى مقالات د. العسكر.

وقد استغرقت عمليات سفر الغربيين وترحالهم في جزيرة العرب قرابة أربعة قرون، بدأت من نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وانتهت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/

العشرين الميلادي، أما ما بعد ذلك من رحلات فإنها تدخل في باب العمل الرسمي، إذ تحدّها قيود ومواثيق واتفاقيات رسمية لا تدخل في باب الرحلات.

١ ـ الرّحالة الإيطالي لودفيكو دي فارثيما **Ludvico di Varthema** (٨٦١ ـ ٩٣٢هـ/ ١٤٥٦ ـ ١٥١٧م) الذي تَسَمَّى بالحاج يونس ورافق قافلة من حجاج الشام في سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م، ونشر عن رحلته كتابه (إيتيناريو/ Itinario) باللغة الايطالية عام ١٥١٠م، ولقي كتابه بعد نشره رواجاً كبيراً، وتُرجم إلى عدة لغات أوروبية، ونقل الدكتور عبد الرحمٰن الشيخ رحلة فارثيما، ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة الألف كتاب عام ١٩٩٤م.

٢ ـ العالم الدنماركي كرستين نيبور **Carsten Neibuhr** الذي وصل إلى جدة في نهاية سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م مع فريق علمي كَلَّفه أمبراطور الدانمارك فردريك الخامس بدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والجغرافية للحجاز، وكان نيبور دقيقاً في ملحوظاته كما هو الشأن في كل كتاباته. سَجَّل نيبور معلومات كثيرة من مدوّناته ومدوّنات زملائه في الفريق العلمي. جاءت مكتشفاتهم وملحوظاتهم عن جزيرة العرب في مجلدين كبيرين.

٣ ـ رحلة دومينجو باديا لبليخ **Domingo Badia Y Leyblich**. جاء لبليخ إلى الحجاز متظاهراً بالإسلام، وسمَّى نفسه علي بك العباسي، وادعى أنه من سلالة بني العباس. يرجع أصل لبليخ إلى مدينة بلنسية الإسبانية، ولا شك أنه كان يعمل لصالح نابليون أمبراطور فرنسا. وصل لبليخ مكة المكرمة عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م. كانت كتابات لبليخ مفعمة بالحيوية، وهو أول من نقل للغرب فكرة منظمة وصحيحة عن مناسك الحج، وعن مكة المكرمة، بل هو أول من حدَّد موقع مكة المكرمة

تحديداً دقيقاً مستعيناً بأجهزة رصد فلكية. كما أنه الأوروبي الوحيد الذي تمكَّن من دخول جوف الكعبة، حيث شارك شريف مكة المكرمة الشريف غالب في غسل الكعبة. رحلة لبليخ تَمَّ نقلها إلى العربية وطُبعت في سورية عام ١٤٢٣هـ.

٤ ـ زار الرحالة السويسري **جوهان لودوينغ بوركهارت Johann Ludwing Burckhart** مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وينبع، وتجوَّل فيها فترة من الزمن تبلغ عشرة أشهر، من منتصف سنة **١٢٣٠**هـ/ **١٨١٤**م إلى الربع الأول من سنة **١٢٣١**هـ/ **١٨١٥**م، وسجَّل كل ما شاهده. لبوركهارت أربعة كتب هي: (١) رحلات في بلاد الشام. (٢) رحلات في بلاد النوبة. (٣) ملاحظات على البدو الوهابيين. (٤) رحلات في شبه الجزيرة العربية. عرّب الزميل الدكتور عبد الله العثيمين الكتاب الثالث. أما الكتاب الرابع فنقله إلى العربية الدكتوران: عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمٰن الشيخ.

٥ ـ البريطاني **تشارلز مونتاج داوتي Charles Montage Doughty**، جاء إلى الجزيرة العربية يريد تحقيق أهدافه غير المعلنة، وهي أهداف لا تخرج عن رغبته في تلمّس القصص الواردة في العهد القديم، ومعرفتها على الطبيعة، وصل داوتي مدائن صالح نهاية شهر نوفمبر عام **١٢٩٣**هـ/ **١٨٧٦**م، وبقي فيها مدة ينتظر عودة القافلة، فقام بدراسة المنطقة واستنساخ معظم الكتابات والنقوش، لقد أخذ داوتي يجوب الجزيرة من شمالها مروراً بوسَطها ثم منتهياً بغربها الشمالي، وكتابه الموسوم «الصحراء العربية/ Deserta Arabian» من أكثر الكتب نفعاً، ومن أكثرها نقلاً للقصص والحكايات التي سمعها، والمعلومات التي أوردها عن شعب الجزيرة معلومات قيمة، وخاصة عن الدولة السعودية الثانية، وهو من أصدق الرحَّالة الذين وصفوا طبيعة العلاقة بين القبائل العربية في زمن الرحلة.

٦ - الرحّالة الانجليزي جون كين **John Fryer Keane** ابن قسيس، وتربى منذ شبابه لدى المسلمين، وقد ساعدته تسع سنوات قضاها عاملاً في البحرية الهندية على التعرف الكافي على الدين الاسلامي، ومن ثم جاءت الفرصة عندما أبحرت سفينته الى الحجاز، فرافق أميراً هنديًا وقضى عدة أسابيع في مكة المكرمة، التي وصلها عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، كتب كين مذكراته وذكرياته في كتاب يتسم بالذوق الأدبي الرفيع أحياناً والوضيع أخرى.

٧ - الرحالة الهولندي كريستان سنوك هورخرونية **Snouk Horgronje** قضى في مكة والحجاز أكثر من سنة، عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م. هورخرونية من المتخصِّصين في اللغات السامية، وأطروحته للدكتوراه عن أصول الحج، ومن عجائب طرقه للحصول على المعلومات هي الارتباط بزيجة في البلد الذي يقيم فيه، لهذا تزوَّج في مكة المكرمة امرأة من جاوة/ إندونيسيا، وعن طريقها استطاع معرفة معلومات عن المجتمع وعاداته، لا يمكن الوصول إلى معرفتها بدون تلك الزيجة، اهتم هورخرونية بدراسة العادات في الحجاز، خاصة ظاهرة الزار، ونظراً للتنافس الغربي، فقد قام القنصل الفرنسي في جدة بتسريب سر وجوده في مكة المكرمة، لذا سارع هورخرونية الى تركها. ألَّف هورخرونية كتاب «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» وهو كتاب عظيم الشأن، ويعد بحق مصدراً لمجمل حالة مكة المكرمة في القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي.

٨ - المصور الفرنسي المحترف جرفي كورتلمون **Gervais Courtellmont**، وصل كورتلمون مكة المكرمة عام ١٣٢١هـ/ ١٨٩٤م من الجزائر، أخذ صاحبنا عدة صور لمكة المكرمة والبيت الحرام بلغ عددها ٣٤ صورة. ووصف مكة وسكانها، وقال أن الإسلام دين عظيم وبسيط،

ولكنه لا يملك الجرأة الكافية لاعتناقه، وقال إنه سمع حكاية منتشرة بين السكان مفادها أن من يدفن في مكة المكرمة أو المدينة المنورة يذهب إلى الجنة.

٩ ـ **الحاج عبد الله وليامسون Williamson**، فهو بحق مسلم، **وحجَّ** حجته الأولى عام **١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م**، وليامسون بريطاني مغامر هرب في مقتبل عمره إلى كاليفورنيا، ثم انضم الى جماعة المتمردين في الفليبين، وبينما كان يعمل شرطيًّا في عدن، اعتنق الإسلام، ذهب بعد ذلك إلى العراق حيث قضى معظم سنوات عمره، ووظف خبرته لصالح شركة النفط البريطانية، كتب رستانتون هوب قصة حياة وليامسون في كتاب عنوانه: «الهارب إلى الله» وهي قصة من أجمل قصص المغامرة، وقد ظهر للكتاب ترجمة عربية اطلعتُ عليها.

قال أبو معاوية البيروتي: صدر عام **١٤٣٢هـ** عن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «رحلات المغامر العربي الحاج عبد الله وليمسون المسلماني»، تأليف ستانتون هوب؛ ترجمة إنعام إيبش؛ تحرير وتعليق أحمد إيبش. اهـ.

ومن النساء الرحّالة إلى الحجاز:

لم تقتصر رحلات الغربيين إلى جزيرة العرب على الرجال فقط، فقد قامت عدة نساء أوروبيات برحلات إليها، ونذكر منهن:

١ ـ **الليدي آن بلنت** التي ذهبت مع زوجها ويلفرد بلنت في عام **١٨٧٩م** إلى شمال الجزيرة العربية، حيث وصلا إلى حائل بهدف البحث عن الخيول العربية الأصيلة، وقد سجّلت آن بلنت مشاهداتها في تلك الرحلة في كتاب بعنوان «رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية».

٢ ـ وفي عام **١٩٣٣م** قَدِمَت الليدي **إيفلين زينب كوبلد إلى جدّة** لأداء فريضة الحج، وسجَّلَت ملاحظتها عن الإسلام وأهله وبلده وعادات

وتقاليد المسلمين في كتابها الموسوم بـ«خطوة خطوة في الحج إلى مكة».

● قال أبو معاوية البيروتي: اقتطفت فقرة «النساء الرحّالة» من مقال للدكتور عمرو منير في مجلة «العربي»/ العدد ٦٦٤، جمادى الأول ١٤٣٥هـ/ آذار ٢٠١٥م.

١٦٩٧ الفقيه السرخسي يصف في كتابه «المبسوط» معاناته في السجن الذي أملى فيه كتابه:

كتاب «المبسوط في الفقه الحنفي» أملاه الفقيه الحنفي **أبو بكر محمد بن أحمد السَّرَخْسِي** (ت٤٩٠هـ، وقيل ٤٨٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في السجن الذي ابتُلِي فيه ١٥ عاماً، وله فيه عبارات مؤثرة في آخر الأبواب تذكي العزائم والجوانح:

- قال في آخر المناسك (٤/ ١٩٢): هذا آخر شرح العبادات، بأوضح المعاني وأوجز العبارات، أملاه المحبوس عن الجمع والجماعات، مصلياً على سيد السادات.

- وقال في (٧/ ٥٩): هذا آخر شرح كتاب الطلاق، بالمؤثرة من المعاني الدقاق، أملاه المحصور عن الانطلاق، المبتلى بوحشة الفراق، مصلياً على صاحب البراق.

- وقال في آخر العتاق (٧/ ٢٤١): أملاه المستَقْبِل للمِحَن بالإعتاق، المحصور في طرف من الآفاق، حامداً للمهيمن الرزّاق، ومرتجياً إلى لقائه العزيز بالأشواق.

- وقال في (٨/ ٨٠): انتهى شرح كتاب المكاتب، بإملاء المحصور المعاتب، والمحبوس المعاقب، وهو منذ حولين على الصبر مواظب، وللنجاة بلطيف صنع الله مراقب!

- وفي (٨/ ١٢٥): انتهى شرح كتاب الولاء بطريق الإملاء من الممتحن بأنواع البلاء، يسأل من الله تبديل البلاء والجلاء بالعز والعلاء، فإن ذلك عليه يسير!

ـ وفي آخر البيوع (١٢/ ١٠٨): انتهى إملاء المنفي المحصور الممنوع، عن الأهل والولد والجموع، الطالب للفرج بالدعاء والخشوع، في ظلم الليالي بالدموع!

قال يزيد بن حاتم: والله ما هبت شيئاً قط هيبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله تعالى؛ فيقول: حسبك الله، الله بيني وبينك. اهـ.

• وصلتني، وللأسف لم يُذكَر جامعُها، فقيَّدتها في «الكناشة»... لئلّا تضيع، وهاكم ما نقله أخونا فتح الرحمٰن أحمد عن شيخه محمد سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: ألَّف السرخسي كتابه وهو في السجن (لا ورقة ولا قلم ولا كتاب عنده)، وقد بلغ هذا الكتاب نحواً من ثلاثين مجلداً أملاه على طلبته وهم يكتبون، وقد سجنه حاكم البلدة التي كان فيها واسمها أوزجند، فقد تزوج جارية قبل أن يستبرأها؛ فسُئِل السرخسي عمن فعل ذلك فقال: فعله حرام لا يجوز، ونكاحه باطل.

فغضب منه الحاكم فسجنه في بئر هناك، وبقي محبوساً نحواً من عشر سنين، فسأله الطلاب وهو في السجن أن يشرح لهم كتاب «الكافي» للحاكم الشهيد محمد بن محمد المروزي ـ وهو أحد متون الأحناف المهمة ـ فأجابهم لذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال في مقدمته: «فرأيت الصواب في شرح المختصر، لا أزيد على المعنى المؤثر في بيان كل مسألة، اكتفاءً بما هو المعتمد في كل باب، وقد انضم إلى ذلك سؤال بعض الخواص من أصحابي زمن حبسي، حين ساعدوني لأنسى، أن أملي عليهم ذلك، فأجبتهم».

١٦٩٨ أهمية كتاب «مناقب الشافعي» للبيهقي، وبعض فوائده:

سبق البيهقي في التأليف في (مناقب الشافعي) عددٌ من العلماء يبلغ عددهم قرابة العشرين، ذكر البيهقي في كتابه منهم:

داود الظاهري (ت٢٧٠هـ)، البوشنجي (ت٢٩٠هـ)، زكريا الساجي (ت٣٠٧هـ)، ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، الآبري (ت٣٦٣هـ)، الصاحب بن عباد (ت٣٨٠هـ)، أبو منصور بن حمشاذ (ت٣٨٨هـ)، أبو بكر الشيباني

(ت٣٨٨هـ)، الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، حمزة السهمي (ت٤٢٧هـ)، أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ).

فجاء الحافظُ البيهقي وقرأ مؤلّفاتهم، وانتقى منها، وألّف بينها، ونقلها بأسانيدها في كتابه، وزاد عليها، فجاء كتابه موسوعة عن حياة الإمام الشافعي، ويتضمّن تفاصيل حياته مع أهله ومشايخه وتلامذته ومَن لقيهم من العلماء والحكام وعامة الناس، وجمّله البيهقي بذكر مسائل علمية في مختلف العلوم والفنون؛ حتى أقوال الشافعي بالطب أفرد لها البيهقي فصلاً! وأعجبني ذكر البيهقي لبعض الأخبار من عدة طرق كما هي عادة أهل الحديث.

وختاماً، الكتاب مفيد جدًّا وممتع وموسوعي، ويتناول سيرة أحد كبار أئمة وشيوخ الإسلام، ولا يصلح أن يفوت طلاب العلم قراءته، وسأنقل لكم بعض فوائده:

١ ـ عن ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: ما أرى أنّ الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ إلا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند انقطاع عملهم.

ورواه الربيع عن الشافعي بمعناه، وقال: إلا ليجري الله ﷻ لهم الحسنات وهم أموات.

٢ ـ عن المزني، قال: سمعت الشافعي يقول: كنت باليمن، فقرأتُ على باب صنعاء أو عدن مكتوباً:

احفظ لسانَك أيها الإنسانُ ... لا يَلْدَغَنَّك إنه ثعبانُ

كم في المقابر مِن قتيلِ لسانِه ... قد كان هاب لقاءَهُ الأقرانُ

٣ ـ قال البيهقي: قرأتُ في كتاب العاصمي: سمعت دعلج بن أحمد، بالعراق، يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة يقول:

سمعت الربيع يحكي عن الشافعي: **أنه كان يكره أن يقول: أعظم الله أجرك** ـ؛ يعني: في المصائب ـ ويقول: إذا قال: أعظم الله أجرك معناه: أكثر الله مصائبك ليعظم أجرك.

قال ابن خزيمة: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا حماد، عن ثابت، عن مطرف قال: لا تقل: أعظم الله أجرك ولكن قل: آجرك الله.

٤ ـ عن أبي محمد ابن الشافعي أخبرهم في كتابه، قال: سمعت أبي: محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع، يقول: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: **لا يَنْبُلُ قرشي بمكة ولا يظهر ذكره حتى يخرج منها**؛ وذلك أن النبي ﷺ لم يظهر أمره حتى خرج من مكة. ولا يكاد يجود شعر القرشي؛ وذلك أن الله جل ذكره قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. ولا يكاد يجود خط القرشي؛ وذلك أن النبي ﷺ كان أمّيًّا.

٥ ـ عن محمد بن إسحاق بن راهويه، قال: سمعت أبي وسُئِلَ: كيف وضع الشافعي هذه الكتب كلها ولم يكن بكبير السن؟ فقال: عجَّل الله له عقله لقلّة عمره.

٦ ـ سأل إنسانٌ يونس بن عبد الأَعْلَى عن معنى قول النبي ﷺ: «**أقرُّوا الطير على مَكِنَاتِها**»، فقال: إن الله تعالى يحب الحقَّ، إن الشافعي كان صاحب ذا، سمعته يقول في تفسير قول النبي ﷺ «**أقرّوا الطير على مَكِنَاتِها**»، فقال: كان الرجل في الجاهلية إذا أتى الحاجة، أتى الطير في وَكْرِه فَنفَّرَهُ، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته، وإن أخذ ذات الشمال رجع. فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

قال: وكان الشافعي نَسِيجَ وَحْدِهِ في هذه المعاني.

- **وكتبه أبو معاوية البيروتي ليلة عاشوراء ١٤٣٧هـ.**

١٦٩٩ حال «مكتبة غازي» في الموصل منذ ثمانين سنة:

قال الأديب زكي بن عبد السلام مبارك (١٣٠٨ ـ ١٣٧١هـ/ ١٨٩١ ـ ١٩٥٢م) ـ المفتش في وزارة المعارف المصرية ـ في كتابه العجيب «ليلى المريضة في العراق» (ص١٩٨/ ط. دار الهلال ـ ٢٠٠٢م): دخلتُ المكتبة العامة في الموصل/ العراق ـ وهي تُسَمَّى «مكتبة غازي» ـ فرأيتُ فيها أفواجاً من المطالعين هم جميعاً من الطلّاب، ورأيتُ فريقاً منهم يتّخذها مكاناً لمراجعة الواجبات المدرسية، فدلَّني ذلك على أنّ في شبّان الموصل مَن لا يجد النور والهواء إلّا في مثل ذلك المكان.

والمكتبة فقيرة فقراً مُدْقعاً، فليس فيها من الكتب غير ثلاثة آلاف وثلاث مئة وسبعين، ومعنى ذلك أنّ مكتبتي الخصوصية بمصر الجديدة أكبر منها ثلاث مرات! ونظرتُ في عدد المطالعين في هذه السنة، فوجدتُ مَن طلبوا الجرائد والمجلات وصلوا إلى ثلاثة آلاف، ورأيتُ كُتُب الأدب طلبها ١٨١٢، والروايات طلبها ١٩١١، وكتب الحقوق طلبها أربعة فقط، والمعاجم والموسوعات طلبها ١٨٨، أما الكتب الاقتصادية والنحوية فلم يطلبها أحد، وحرصتُ على أنْ أعرف ما بأيدي المطالعين حين دخلتُ فوجدتُ من المجلات «الدنيا» و«الفكاهة»، ورأيتُ من الكتب «الأجنحة المتكسرة» و«النظرات» و«مرجريت» و«حب ابن أبي ربيعة».

ومن واجبي أن أسجِّل أن هذه المكتبة لا تناسب ماضي الموصل ولا حاضر الموصل، وما قلتُ إن مكتبتي الخاصة أكبر منها ثلاث مرات إلّا لأُحَرِّض أهل الموصل على إغناء هذه المكتبة بألوف المجلدات، وسيظهر أثر هذا التحريض بعد قليل.

• **قال أبو معاوية البيروتي: دوَّن زكي مبارك في كتابه هذا ذكرياته عن العراق خلال ١٧ شهراً؛ من شهر أيلول ١٩٣٧م حتى شهر آذار ١٩٣٩م، ويقفز أديبنا في كتابه العجيب هذا من موضوع إلى موضوع، ويخلط الواقع بالخيال، والجد بالهزل،**

والغزل العذري بالإباحي، والكتاب لا يخلو من فوائد وأدبيات، وقد ترك قراءه في حيرة: هل ليلى التي يتحدث عنها هي امرأة حقيقية أم ضرب من الخيال؟!!

١٧٠٠ ما قيمة المصنفات في نجاة أبي طالب؟!

قرأتُ في «إتحاف المطالع» لابن سودة (ت١٤٠٠هـ) أن **لمحمد بن محمد كنّون** المتوفى عام ١٣٢٦هـ، تأليفٌ في نجاة أبي طالب!! فتعجّبتُ؛ لأني كنتُ أظن أن الرافضة فقط ألّفوا في نجاته، لقول الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في «فتح الباري» (٧/ ١٩٥) أنه وقف على «**جزء» جمعه بعض أهل الرفض** أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب، **ولا يثبت في ذلك شيء**، ثم بحثتُ ووقفتُ على ثلاثة مؤلفات غير السابق، وهي:

١ ـ «إيمان أبي طالب»، لأبي علي أحمد بن محمد (ت٣٤٦هـ)، ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٦٦).

٢ ـ «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب»، لأحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ).

٣ ـ «فيض المواهب في نجاة أبي طالب»، لأحمد الجورومي الحنفي (ت١٣٢٧هـ).

وعموماً **أحاديث موت أبي طالب على ملة الكفر مستفيضة في الصحيحين وغيرهما من كتب أهل السنة**، منها ما رواه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال لعمِّه أبي طالب وهو يحتضر: «**يا عم، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، **فرفض وكان آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: هو عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!** وورد عن عدد من الصحابة أن النبي ﷺ أخبر أن عمه أبا طالب في نار جهنم أعاذنا الله منها، وقال ﷺ: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب**» (رواه مسلم/ ٢١٢)، **وذلك أقصى شفاعة النبي ﷺ له لحمايته له من أذى قريش، وأكثر أقوال**

علماء أهل السنة على كفر أبي طالب، ولا عبرة بمن شذّ عنهم من الصوفية.

• وكتبه أبو معاوية البيروتي في ٢٠ محرم ١٤٣٧هـ.

ثم أفادني الأخ **فهد العصيمي** أن في «معجم العلماء والمشاهير الذين أُفْرِدوا بتراجم خاصة» لعبد الله الحَبْشِي ذكرَ عددٍ من التراجم المؤلَّفة في نجاة أبي طالب، فانظرها (ص٥١٢ ـ ٥١٣).

وأفادنا الأخ **عمران العُلَبِي** بالفتوى التالية: بلغ (مفتي السعودية سابقاً) الشيخ **محمد بن إبراهيم** رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل أَلَّف كتاباً بعنوان «أبو طالب مؤمن قريش»! فأرسل الشيخ رسالة لولي العهد آنذاك الملك **فيصل** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول فيها: «والذي أراه أنه يسوغ قتل هذا الخبيث تعزيراً لأنه رأس فتنة؛ إنْ قُطِعَ خُمِدَت»! وشكّل الشيخ محكمة من ثلاثة قضاة لمحاكمته، فأصدروا صكًّا بتعزيره بأمور هي: مصادرة الكتاب وإحراقه، تعزيره بالسجن سنة كاملة، جلده كل شهرين عشرين جلدة علانية، استتابته وإعلان توبته في الصحف، فصله من عمله. «فتاوى ورسائل الشيخ ابن ابراهيم» (١٣/ ١٨٧). اهـ.

فما أحوجنا هذه الأيام إلى مثل هذه الأحكام الرادعة في فَسَقَة الإعلام وأغيلمة القنوات المفسدين في الأرض!!

١٧٠١ تعريفٌ موجزٌ بمكتبة الكونغرس في واشنطن:

ـ جرى تشييد مبنى **مكتبة الكونغرس** عام ١٨٩٧م بعد أنْ كان مبنى الكونغرس قد استضاف المكتبة لمئة عام تقريباً بدءاً من عام ١٨٠٠م.

ـ أحرقت القوات البريطانية مبنى الكونغرس عام ١٨١٤م ممّا أدّى لإتلاف المجموعة الأصلية للمكتبة، فبادر الرئيس المتقاعد حينها **توماس جفرسون** إلى التبرّع بمجموعته الخاصة التي ضمَّت أكثر من ستة آلاف

كتابٍ لتكون نواة مكتبة الكونغرس الحديثة، وتُعرض المجموعة الآن في جناحٍ خاصٍّ لها لِما تحتويه من كتب نادرة؛ من بينها مصحفٌ اقتناه جفرسون عام ١٧٦٤م خلال دراسته للحقوق.

- يتجاوز عدد زوّار مكتبة الكونغرس - وهي أكبر مكتبة في العالم - المليون ونصف زائر سنويًّا، أي ما يزيد عن أربعة آلاف زائر يوميًّا.

- تُضيف المكتبة **٢٢٠** ألف كتاب سنويًّا إلى مجموعاتها التي تتجاوز عشرين مليون كتاب.

- تقتني مكتبة الكونغرس أكثر من ست مئة ألف كتاب ومخطوطة ومنشورٍ معظمها يعود للحضارة الإسلامية، تُحفَظُ في قسم أفريقيا والشرق الأوسط، أقدمها صفحة من القرآن الكريم تعود للقرن الثامن الميلادي.

- تُقدّم المكتبة سنويًّا خدماتها مجاناً لأكثر من نصف مليون شخص بلغاتٍ تفوق الأربع مئة وسبعين.

- نقلته من تحقيق مصوَّر قام به مراسل قناة «الجزيرة» فادي منصور.

١٧٠٢ ما هو مقدار النقص في طبعة دار الفكر/لبنان لـ«تاريخ دمشق»؟

قال **ناشر «مستدرك تاريخ دمشق»** - صاحب دار الفكر/لبنان - : «كنّا قد أشرنا في خاتمة الطبع للجزء السبعين من الكتاب أن مستدركاً سيلي الأجزاء السبعين، حيث وجدنا خلال مراحل تحقيق الكتاب وإعداده للطبع أن نقصاً اعتور المخطوطات والأصول التي كانت بين أيدينا، **وقد تمكنّا بعون من الله وتأييده من الحصول على هذا النقص**، وقد اشتمل على التراجم المبتدئة بالأحرف التالية والتي ضمتها الأجزاء ٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤، وذلك كما يلي:

حرف الألف: (٢١٣) ترجمة. حرف الباء: (٢١) ترجمة. حرف الجيم: (٨٧) ترجمة. حرف الراء: (٧) ترجمة. حرف السين: (٥٥) ترجمة. حرف الشين: (٣١) ترجمة. حرف العين: (١١) ترجمة. حرف

الميم: (٢٨) ترجمة. حرف الهاء: (٨٥) ترجمة. حرف الياء: (٣٦) ترجمة.

وقد بلغت عدة تراجم الكتاب الـ (٧٤) جزءاً: (١٠٢٢٦) ترجمة وعدة الأحاديث النبوية (١٤٤٤٦) حديثاً، **وبذلك يكتمل عقد الكتاب.**

بيروت يوم السبت ٥ جمادى الأول ١٤٢١هـ/ ٥ آب أغسطس عام ٢٠٠٠م. الناشر». اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: يذكر الناشر في دار الفكر/لبنان بأنه تمكّن (**من الحصول على هذا النقص**)، وأنه بإضافته (؟) له كملحق لطبعته السبعين مجلداً (**يكتمل عقد الكتاب**)!

وهذا تدليسٌ وغشٌّ للقارئ!! فقد راجعت «مستدركه»، فتبيّن لي أنّه تلفيق وجمع وترتيب، إذْ وجدته أضاف التراجم الساقطة من «مختصر ابن منظور» (ط. دار الفكر/دمشق)، وأضاف لبعضها ما وجده في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب» من نقولاتٍ عن صاحب الترجمة ـ وإن لم يصرّح المزّي وابن حجر أن النقولات من تاريخ دمشق! ـ، ولعله أيضاً نقل بعض التراجم من طبعات المجمع العلمي بدمشق لـ«تاريخ دمشق»، فهذا هو محتوى «مستدركه»، ولم ينقل (النقص) من مخطوطات «تاريخ دمشق»! ولو فعل ـ وظاهرٌ أنه لم يفعل ـ لتوجّب عليه أن يذكر في مقدمته ـ التي لم تتجاوز صفحتين! ـ بيانات عن المخطوطات التي أكمل منها النقص، فـ«مستدركه» الصواب فيه أنه عبارة عن تلفيق وجمع وترتيب، **فلا يحق له القول بأنه (اكتمل عقد الكتاب)!** لأنه ما زال هناك الكثير من الفقرات والأسانيد الناقصة.

ونفس تلفيقه هذا صنعته دار الكتب العلمية/بيروت في «المعجم **الكبير» للطبراني حين أضافوا بزعمهم «الجزء المفقود» منه! حيث قاموا فيه بتجميع مرويات الطبراني في غير «المعجم الكبير» فيما يتعلق بروايات**

الصحابة الناقصة من «المعجم»، ولـم يُتعِبوا أنفسهم أحياناً حتى بذكر المصدر الذي نقلوا منه! تصديقاً لتسمية الإمام الألباني لهم: «دار الكتب التجارية»! والله المستعان!

١٧٠٣ قلة الكتب في أوروبا لعدة قرون دالٌّ على شيوع التخلف والجهل فيها!

قال د. **توفيق الطويل** في كتابه «في تراثنا العربي الإسلامي» (٢٠٦/ ط. عالم المعرفة ـ الكويت): شاع التخلف وانتشر الجهل في أوروبا... لا سيما بين عامي ١٠٠٠ و١٣٠٠م، حيث كانت أوروبا بيئة غير صالحة لنشأة العلم، فإن العلوم لا تثبت في أرض تنتشر فيها الأمية ويشيع فيها السحر وتفشو الخرافة، وقد صاحب هذه الظواهر قلة الكتب وفقر المكتبات وندرة المدارس وفوضى الجامعات وفساد الأخلاق، فالكتاب المقدس كان لا يكاد يوجد خارج الأديرة... ناهيك بكتب العلم في ندرتـها وارتفاع أسعارها، كان الكتاب العادي غير المزخرف يُباع بمبلغ يتراوح بين ١٦٠ و٢٠٠ دولار أميركي (بقيمة عام ١٩٤٩م فيما يقول ول ديورانت).

وترتب على هذا ندرة المكتبات وقلَّة ما تحوي من مجلدات، ويروي مؤرخو العلم أن محبي العلم من رواد حركة إحياء الآداب القديمة في القرن ١٢ كان برنارد من أهل تشارتر؛ وقد ترك وراءه فيما يُقال مكتبة تضم ٢٤ مجلداً!!

وكانت إيطاليا أغنى من فرنسا، ولهذا اقتنى أوكيرسيوس ـ أكبر رجال القانون ـ ٦٣ كتاباً!

وكانت أغنى مكتبة في أوروبا هي مكتبة كنيسة كنتر بري، وكانت تضم في عام ١٣٠٠م خمسة آلاف كتاب!

وأما غيرها من المكتبات فكانت في العادة لا تحوي أكثر من مئة

مجلد! مع استثناء مكتبة كلوني التي ضمّت في القرن ١٢ خمس مئة وسبعين كتاباً!

وحسبنا أن نشير أن مكتبات العصر العباسي كانت غنية (في ذاك الزمن) بـمكتبات ضخمة تحوي مئات الآلاف من الكتب. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: نسختُها باختصار وببعض التصرف، وللفائدة أُضيف التالي:

١ ـ قال د. **محمد حمادة** في «المكتبات في الإسلام» (ص٢١٠/ ط. الرسالة): في الوقت الذي كانت فيه المكتبات في العالم الإسلامي تعدّ بالألوف، وحوت بعضها مئات الألوف من المخطوطات؛ كانت المكتبات في العالم الغربي مقصورة على الأديرة، وكانت أغلب الكتب تبحث في اللاهوت ومكتوبة باللغة اللاتينية ولا يطّلع عليها إلّا الرهبان، فقد حوت أكبر مكتبة في أوروبا آنذاك ـ وهي مكتبة كاتدرائية مدينة كونستانز ـ ٣٥٤ كتاباً فقط! أغلبها كتب دينية، وقد وُجِد في مكتبة دير البندكتيين عام ١٠٣٢م ما يزيد على المئة بقليل، بل إنّ ملك فرنسا شارل الخامس المعروف بالحكيم عندما أراد أن يؤسّس مكتبة في أواخر القرن الرابع عشر ميلادي لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من ٩٠٠ مجلد؛ يكاد أكثرها يكون خاصًّا بعلم اللاهوت.

٢ ـ قال **القلقشندي** (ت٨٢١هـ) في «صُبح الأعشى» (١/ ٤٦٦/ الطبعة الأميرية): **«ويُقال إنَّ أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاثُ خزائن. إحداها: خِزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يُحصى كثرةً، ولا يُقوّم عليه نفاسةً...**

الثانية: خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم...

الثالثة: خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس، وكانت من أجلّ خزائن الكتب أيضاً. . .». اهـ.

وأضيف ما قاله الأستاذ **محمد كرد علي** عن **خزانة بني عمّار** في طرابلس/الشام: «واختلفت الروايات في عدد المجلدات التي كانت في خزانة بني عمار أو دار حكمتهم في طرابلس، وعلى أصحّ الروايات أنها ما كانت تقل عن مئة ألف مجلد». انظر «خطط الشام» (٦/ ١٩١).

١٧٠٤ العرب سبقوا الأوروبيين بقرون في فنّ التراجم:

قال الأستاذ **محمد عبد الغني حسن** في كتابه «التراجم والسير» (ص١١): إن العرب سبقوا الأوروبيين في هذا الفن (يقصد فنَّ التراجم)، في حين بدأ فن التراجم يظهر في انجلترا وفرنسا بصورة ساذجة بكتاب صمويل بيبيس سنة **١٧٠٣**م وكتاب ريتز سنة **١٦٧٢**م في فرنسا، كانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حدًّا من الكثرة والتنوّع وسعة المجال، ففي القرن الحادي عشر الميلادي كان كتاب **«الاعتبار»** لأسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) قبل أن يكتب بيبس وريتز مذكراتهما بقرون، وفي القرن نفسه كتب الشاعر عمارة سيرة ذاتية لنفسه، وفي القرن الثالث عشر (الميلادي) كتب ابن خلِّكان لنفسه موسوعته الكبيرة في التراجم، إلى غير ذلك.

١٧٠٥ فرخ البط عوام... عاشق كتب ينجب عاشقاً للكتب!

الأمير **أسامة بن منقذ** (٤٨٨ ـ ٥٨٤هـ) كان جمّاعاً للكتب، **عاشقاً لها**، ذكر في كتابه «الاعتبار» استيلاءَ الافرنج على كتبه فقال: «. . . إلا ما ذهب لي من الكتب، فإنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، **فإنّ ذهابَها حزازةٌ في قلبي ما عِشْتُ**».

(فائدة: قال د. عبد الكريم الأشتر في مقدمة تحقيقه لكتاب

«الاعتبار» (ص١٦/ط. المكتب الإسلامي): أفاد من هذه المكتبة المنهوبة مؤرّخهم وليم الصوري (ت نحو ١١٩٠م أو قبلها) المؤرخ الصليبي، وكان يحسن العربية، وذكر نسبتها إلى أسامة).

أما ابنه **مرهف بن أسامة** (٥٢٠ ـ ٦١٣هـ) فكان كوالده؛ أميراً وفارساً وشاعراً، وذكر الذهبي في ترجمته أنه جمع من الكتب شيئاً كثيراً، ونقل ابن العديم (ت٦٦٠هـ) في «بغية الطلب» مراراً عن «مدرج» لمرهف بن أسامة فيه تعاليق من الحوادث في السنين.

بل يبدو أن حفيد أسامة **مرهف بن مرهف بن أسامة** كان له مشاركة في التأريخ، إذ نقل ابن العديم عن «تعليق وقع إليه بخط مرهف بن مرهف بن أسامة بن مرشد بن منقذ، ذيّل به على تعليق في التاريخ بخط أبيه مرهف بن أسامة بن منقذ»!

قال أبو معاوية البيروتي: وأدعُو الله أن ينشأ ولدَاي **عمر وعثمان** على حب العلم والكتب والقراءة وتأليف ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وأسعى لتحبيبهما في ذلك بما ييسر ربنا الكريم، والحمد لله على ما أنعم وأكرم.

١٧٠٦ مختارات من كتاب «أسبوعان في المغرب الأقصى» لأبي الحسن الندوي:

هذه مقتطفات انتقيتها من كتاب **«أسبوعان في المغرب الأقصى»** لأبي الحسن علي الندوي (١٣٣٢ ـ ١٤٢٠هـ) (ط. الرسالة) والذي تحدّث فيه عن رحلته التي قام بها في جمادى الأول ١٣٩٦هـ/ أيار ١٩٧٦م:

١ ـ زرنا في مدينة فاس مكتبة القرويين التي تشتمل على ثلاثين ألف كتاب مطبوع وستة آلاف كتاب مخطوط... وكان من الكتب التي استطعنا أن نلقي عليها نظرة خاطفة: «شرح موطأ الإمام مالك» في

مجلدين، مكتوباً في الرقّ وهو من نوادر المخطوطات، وهو من مؤلفات الجزولي، ورأينا نسخة مخطوطة لكتاب صاعد (في الأصل: ساعد، وهو خطأ) البغدادي «الفصوص في اللغة» انتُسِخَت في أواخر القرن العاشر، ولا يوجد للكتاب إلا نسختان في المغرب كلّه، ورأينا نسخة خطية لكتاب الهروي «كتاب الغريبين» الذي يشتمل على غريب القرآن وغريب الحديث انتُسِخَت في القرن الثامن، ورأينا نسخة للقرآن الكريم بخط والدة سلطان المغرب يعقوب المريني، في كل جزء منها جزءان، كُتِب في القرن الثامن، ورأينا كتاب ابن الغروم المرادي «تنبيه الأنام»، والتزم خطاطه أن يكتب «الله» و«محمد» في كلّ مكان بماء الذهب، ومن أقدم المخطوطات نسخة «للمدونة» للقرن الخامس، والترجمة العربية لكتاب الخيل للقرن السادس، ومن الكتب التي كانت بخطِّ مؤلفيها: منظومة في فن الطب لابن طفيل مؤلّف رسالة «حي بن يقظان»، ونسخة لمقدمة ابن خلدون عليها تعليق بخط ابن خلدون، وبها زيادات على النسخة المتداولة بأيدي الناس، ورأينا نسخة خطية لسيرة ابن إسحاق، على حين شاع في الناس أنه لا توجد لها نسخة في العالم.

٢ ـ أخذنا الطريق إلى جامع القرويين، وتجوّلنا في رواق المسجد الداخلي وفي فنائه... والعجيب أن بالمسجد انحرافاً عن القبلة! وأبقاه الناس حتى الآن على ما كان عليه.

٣ ـ ذكر الندوي مدينة **طليطلة** الإسبانية، وسمّاها بالانجليزية (Toladdo). **(قال أبو معاوية البيروتي: المشهور كتابتها (Toledo))، وتُعَد من المدن القديمة، إذ كانت موجودة قبل احتلال الرومان لها سنة ١٩٢ قبل الميلاد، وحظيت وما زالت تحظى بمكانة لدى الإسبانيين بصفتها عاصمة دينية لها خصوصيتها، ونظراً لهذه المكانة العظيمة فقد امتد اسمها إلى مناطق كثيرة في أمريكا الجنوبية والشمالية والفلبين**

والبرتغال؛ إلى أن وصل إلى ستة وثلاثين (٣٦) من الأماكن والمدن التي تحمل الاسم نفسه (**طليطلة/ Toledo**)! وقد سكنتُ لفترة في صيف عام **١٩٨٤**م في مدينة (**Toledo**) الواقعة في ولاية (**أوهايو/ Ohio**) في الولايات المتحدة الأمريكية).

٤ ـ (بعد حضور مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية في الرباط) كان العَشاء في «نادي جولف»، وكان هناك إعداد للموسيقى والمعازف، ولكنّها أُوقِفَت على تدخل واعتراض من الوفد السعودي. . . (قال البيروتي: ذكر الندوي سابقاً أنه كان معه في الطائرة وفد الجامعة الإسلامية بالمدينة المكوّن من نائب رئيس الجامعة الشيخ **عبد المحسن العبّاد**، وأستاذها الشيخ **أبي بكر الجزائري**، جزاهم الله خيراً على إنكار المنكر).

٥ ـ تكرّم عليَّ الأستاذ **أبا بكر الغزنوي** (توفي تلك السنة بحادث سيارة في لندن) في العام الماضي بإرسال كتاب وضعه في ترجمة والده العظيم فضيلة الشيخ **محمد داود الغزنوي** أمير جماعة أهل الحديث في باكستان.

٦ ـ دخلنا مسجد السلطان محمد الخامس (في الرباط) فرأينا الناس منصرفين إلى تلاوة القرآن الكريم بالجهر، وجلستُ أنتظر زوال الشمس، ولكن بُدِئ بأذان الخطبة فور الزوال، ولم نَرَ أحداً يصلّي السنّة، ولا أدري إذا كان ذلك غير معمول به في هذا البلد. (**قال أبو معاوية البيروتي: كتبتُ في تصنيفي «الجمعة، فضلها وآدابها» (ص٢٧/ حاشية): لم يرد في السنّة الصحيحة أنه يوجد قبل الجمعة صلاة ركعتين، بل الذي ورد أن هناك صلاة ركعتين أو أربعاً بعد الجمعة فقط، ويُسَن للرجل إذا دخل المسجد أن يصلّي تحية المسجد. . . ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على أنه ليس قبل الجمعة سنّة موقتة بوقت ومقدّرة بعدد،**

وهذا مذهب مالك، والشافعي ـ الذي لم يذكر أن هناك سنّة قبلية للجمعة في كتابه المشهور «الأم» ـ وأكثر أصحابه، وهو المشهور في مذهب أحمد).

٧ ـ مما زرته في مراكش جامع الكتبية، الذي هو أكبر الجوامع وأشمخها ومن أجملها في المغرب، ولكنه اليوم محتاج إلى الترميم والإصلاح، ويقولون إنّما سُمِّيَ بذلك لأنه كان هنالك ثمان مئة دكان للورّاقين والتجار في الكتب!

١٧٠٧ كثرة المخطوطات في بيروت:

قال د. **حسان حلّاق** في «بيروت المحروسة في العهد العثماني» (ص١٤٣/ ط. الدار الجامعية ـ ١٩٨٧م):

من الأهمية بمكان القول أن بيروت والكثير من بيوت (البيارتة) لا تزال تزخر إلى اليوم بالمئات من المخطوطات والمؤلفات العلمية والأدبية والتاريخية والفقهية والدينية التي سبق أنْ أُلِّفَت في العهد العثماني، والتي لم يُنشَر الكثير منها إلى الآن، ولقد طَمَسَت بعض الدراسات اللبنانية روّاد الحركة الثقافية في بيروت ولبنان، ولم تُسَلِّط الأضواء عليهم ولا على نتاجهم الفكري، ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر: . . .

فذكر الدكتور قرابة أربعين اسماً، وللأسف حتى الآن لم نرَ منها مطبوعاً إلا القليل، فمتى ينهض أهل بيروت لإحياء تراثهم المدفون؟!

١٧٠٨ مجهول يُعيدُ كتاباً إلى مكتبة استعاره منها قبل ٤٥ عاماً!

لندن ـ رويترز

اعتاد العاملون في مكتبة دينَنجتون على تأخّر قرّاء في إعادة الكتب التي يستعيرونها؛ ولكن الطرد الذي تلقوه الشهر الماضي كان فريداً من نوعه، واحتوى الطرد على نسخة ذات غلاف وَرَقي من الطبعة الأولى

لكتاب «كواترماث والحفرة» للمؤلف نيجل كنيلي الذي تمَّت استعارته يوم **٢٤** سبتمبر/ أيلول **١٩٦٥**م.

وقالت أليسون لاوري مساعد أمين المكتبة: «اعتقدت أولاً أنها عملية إعادة كتاب عادية حتى رأيت لون الصفحات.. كان لونها بُنّي جدًّا عند الأطراف»، وأضافت: «صحيح أن بعض الأشخاص يفضلون أخذ وقتهم مع كتاب جيد، ولكن **٤٥** عاماً هي فترة زمنية لا تُصَدّق». ويعتقد العاملون في المكتبة أن الكتاب تَمَّت استعارته من مكتبة دينجتون القديمة في شيفيلد بجنوب يوركشير والتي افتتحت في **١٩٣٦**م وتقع بالقرب من المبنى الحالي الذي افتتح عام **٢٠٠٠**م. وعلى أيِّ حال فإن هوية مستعير الكتاب بقيت لغزاً لأنّ السجلات لا تـمتدّ لهذه الفترة، ولن يكون هناك خطر التعرض لغرامة متراكمة كبيرة لأن الحدّ الأقصى لجميع الغرامات هو ستة جنيهات إسترلينية (تسعة دولارات). وقالت لاوري: «الشخص الذي أعاد الكتاب لن يكون عرضة لأي مشكلة.. إذا أراد الكشف عن نفسه فسوف نود معرفة القصة وراء هذا الأمر».

- نقل الخبر سامي المسيطير، وأضيفُ التالي:

كتاب مُعار عاد لصاحبه بمعاناة بعد ثلث قرن!

قال الأديب اللبناني **أبو محمد مارون عبود (١٨٨٦ ـ ١٩٦٢م)** في كتابه «أمين الريحاني» (ص٣٩/ ط. دار المدى):

كتاب «الـمحالفة الثلاثية» لأمين الريحاني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠م) عاد إليّ بعد هجرة طالت ثلث قرن، استعاره منّي الخوري (ي. ع.) فراودته نفسه أن يمتلكه، وبعد أخذ وردّ وتوسّط محامٍ صديق لي وله (أ. خ.) رجع الخروف الضال إلى قطيعي، وهو الآن في مكتبتي، محوط باسم الله والحرية. والكتاب يحمل هذه العبارة بخط الريحاني: «هدية المؤلف إلى صديقه مارون عبود، الفريكة ٩ حزيران سنة ١٩٠٨».

١٧٠٩ دُرَر وفوائد من كتاب «المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء» للمرزُباني:

هذا كتابٌ قيّمٌ للعلّامة **محمد بن عمران المرزُباني** (٢٩٦ ـ ٣٨٤هـ)، انتخبه **بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي** (٥٧٠ ـ ٦٤٦هـ) المجاور بمكة، وقال في مقدمته: «الباعث عليه أمران؛ أولها استفادتي منه ساعة بعد ساعة، وثانيهما إفادة أهليه بغرائبه والنوادر التي فيه، فقد سمعت مشيختنا يقولون: «لا يوجد من هذا الكتاب نسخة سوى الأصل الذي هو بخط المصنف، وهو ثمانية عشر مجلداً في وقف الوزير نظام الملك في مدرسته بمدينة السلام»».اهـ. قلتُ: ثم قام الحافظ **يوسف بن أحمد اليغموري** (ت٦٧٣هـ) باختصار المنتخَب وسمّى مختصره: «نور القبس المختصر من المقتبس»، وقام المستشرق الألماني **رُودُلف زلهايم** بطباعته في بيروت عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وقد أهدتني نسخةً من المختصَر الأختُ الفاضلة **فاطمة الإستانبولي** حفظها الله القيّمة على مكتبة جماعة عباد الرحمٰن في بيروت، فأكببتُ على مطالعته بشغف حتى أتممتهُ، واستخرجتُ الكثير من دُرَره وفوائده، وهاكم بعضها:

١ ـ زوّج **أبو الأسود الدؤلي** (ت٦٩هـ) ابنتَيه، فقال لإحداهما: يا بُنَيَّة، أَكْرِمي أنفَ زوجكِ وعينَيه وأُذُنَيه! يريد: لا يشمُّ منكِ إلَّا طيِّباً، ولا يرى إلَّا جميلاً، ولا يسمع إلَّا حسناً. (ص١١)

٢ ـ **مَعْدان الفيل**: لُقِّبَ بالفيل لأنّه كان قد أُهْدِيَ إلى زياد فيلٌ، فكان يُجري عليه في كل يوم عشرة دراهم، فجاء مَعدان وهو من أهل مَيسان، فقال: ادفَعوه إليَّ وخذوا منِّي في كل يوم عشرة دراهم! فدفعه إليه زياد، فكان يدور به في البصرة ويكتسب به فأَثرَى. (ص٢٣)

٣ ـ **مَن أَحقُّ بالغمِّ؟!** سأل رجلٌ **أبا عمرو بن العلاء** (ت١٥٥هـ) حاجة، فوعده بقضائها، فتعذّرت عليه بعد اجتهاد، فلقيه الرجلُ فقال له:

قد غَمَّني أن وعدتَني وعداً لم تُنجِزه! فقال له أبو عمرو: فمَن أَحقُّ بالغمِّ أنا أو أنت؟ قال الرجل: أنا المدفوع عن حاجتي. قال أبو عمرو: بل أنا لأنّي وعدتُك وعداً، فأنت بفرحِ الوعد، وأنا بـهَـمِّ الإنجاز، وبتَّ ليلتك فرحاً مسروراً، وبتُّ ليلتي مفكِّراً مغموماً، ثم عاق القَدَرُ عن بلوغ الوطَر، فلقيتَني مُدِلًّا، ولقيتُك محتشِماً، فأنا أولَى بالغمِّ منك. (ص٢٦)

٤ ـ كان **يونس بن حبيب النحوي** (٩٠ ـ ١٨٢هـ) يقول: إنّما سُمِّيَ الشاعرُ شاعراً؛ لأنه يشعُر من تأليف الكلام ونَظْمه ما لا يشعُر له غيره. (ص٤٩)

٥ ـ قال **يونس بن حبيب**: اختلفنا في أنَّ الشعرَ ينقض الوضوءَ أم لا، فرأيتُ محمد ابن سِيرينَ قد دخل المسجد، فبعث إليه رجلاً فسأله، فأنشأ يقول (من الطويل):

ألا تِلكمُ عِرْسُ الفَرزدق ناشِزاً ... ولو رَضِيَت رَمْحَ استِه لاستقرَّت

ثم استقبل القبلة فقال: الله أكبر. (ص٥٠)

٦ ـ قال **يونس بن حبيب**: لم يقل لبيدٌ (ابن ربيعة) في الإسلام إلَّا بيتاً واحداً وهو (من البسيط):

الحمدُ للَّه إذْ لم يأتِني أَجَلي ... حتى لَبِسْتُ من الإسلام سِرْبالاً

(ص٥٢)

٧ ـ سأل الأخفشُ **الخليلَ** (بن أحمد الفراهيدي، العلّامة مُنشِئ علم العَرُوض، ت ١٧٠هـ، وكان سؤاله عن بحور الشعر): لِمَ سمَّيتَ الطويلَ طويلاً؟ قال: لأنّه تَمَّت أجزاؤه. قال: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسطَ عن مَدَى الطويل. قال: فالمديد؟ قال: لتمدُّد سُباعِيّه حَولَ خُماسِيّه. قال: فالوافر؟ قال: لوَفارة الأجزاء وَتِداً بوَتد. قال: فالكامل؟ قال: لأن فيه ثلاثين حَركةً لم يجتمع في غيره. قال: فالرَجَز؟ قال: لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة الرَجزاء. (قال: فالرمل؟ قال: لأنّه

يُشبِه رَمَل الحَصير بضَمّ بعضه إلى بعض). قال: فالهَزَج؟ قال: لأنه يضطرب شِبهَ هَزَج الصوت. قال: فالسريع؟ قال: لأنه يُسْرِع على اللسان. قال: فالمُنسَرِح؟ قال: لانسراحِه وسُهولتِه. قال: فالخَفيف؟ قال: لأنّه أَخفُّ السُباعِيَّات. قال: فالمُقتضَب؟ قال: لأنه اقتُضِبَ من الشعر لقِلَّتِه. قال: فالمُضارِع؟ قال: لأنه ضَارَعَ المُقتضَب. قال: فالمُجتَثّ؟ قال: لأنه اجتُثّ، أي قُطِعَ من طُول دائرته. قال: فالمُتقارِب؟ قال: لتقارُب أَجزائه، وإنها خُماسِيَّةٌ كلُّها يُشبِه بعضُها بعضاً. (ص٧١)

تنبيه: قال أبو معاوية البيروتي: ما بين معقوفتين سقط من نسخة الشاملة من «نور القبس»! فليُستَدرَك.

٨ ـ قال المازني: دخلتُ على **أبي زيد الأنصاري** في مرضه الذي مات فيه، فقال: أشتكي صدري. فقلت: امْرِخْه بشَمعٍ ودُهن! فقال: ليس كذا، إنّما هو امْرُخْه، فتعجَّبتُ منه في تلك الحال يعلّمُنِي! ـ ومات أبو زيد رحمه الله سنةَ خمسَ عشرة ـ وقيل: أربع عشرة ـ ومئتين، وله ثلاثٌ ـ وقيل: أربعٌ، وقيل: خمسٌ ـ وتسعون سنة. (ص١٠٨)

٩ ـ قال العلامة اللغوي **أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٨هـ)**: كان رجل من بني هلال يُقال له طُفَيل بن زَلّال، فكان إذا سمع بقوم عندهم دعوةٌ أتاهم فأكل من طعامهم، فسُمِّيَ الطُّفَيليُّ طُفَيليًّا به. (ص١٢٣)

١٠ ـ قال **أبو العباس محمد بن يزيد المُبرِّد (٢٠٦ ـ ٢٨٥هـ)**: كانت العرب إذا جاءت تطلب صُلحاً فعلامتهم أن يؤخِّروا صدورَ رماحهم فيقدموا زِجاجها، فإن لم يقبلوا الصلح قلبوا الأسِنَّة للحرب! (ص١٥٣)

١١ ـ قال **الأصمعي (ت٢١٥هـ)**: في الحِمار عشرةُ أمثال:

الـجَحشَ لَمَّا بَذَّك الأعيارُ؛ وأنكحتَ الفراءَ فستَرَى؛ وكلُّ الصيد في جَوف الفَرَاء؛ و. . . . . ؛ والعَيرُ أَوقَى لدَمِه؛ وأصبرُ من عَيرِ أبي سَيَّارة؛ وذلك أنَّه دفع بالناس أربعين سنةً بعرفات؛ وأخربُ من جوف حمار؛ والعَيرُ يَضرِط والـمِكواةُ في النار؛ وإن ذهب عَيرٌ فعَيرٌ في الرباط. وقال المتلمِّس في أذلَّ من الحمار والوَتِد. (ص١٥٦)

١٢ ـ قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (من الهزج):

لا تـصـحـب أخـا الـجـهـل ... وإيـــاكَ وإيـــاهُ

فـكـم مـن جـاهـلٍ آذى ... حـلـيـمـاً حـيـن آخـاهُ

يُـقـاسُ الـمـرءُ بـالـمـرء ... إذا مـا هـو مـاشـاهُ

ولـلـشـيْ عـلـى الـشـيء ... مـقـايـيـسٌ وأشـبـاهُ

(ص١٦٨)

١٣ ـ قيل للعلّامة الأخباري **أبي الحسن علي بن محمد المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥هـ)** في مرض موته: ما تَشتَهي؟ قال: أشتَهِي أنْ أَعِيشَ! (ص١٨٤)

١٤ ـ قال إبراهيم بن أحمد الغفاري القاضي عن أبيه: لأهل البصرة أربعة كُتبٍ يفتخِرون بها على أهل الأرض: «العينُ» للخليل، و«النحو» لسيبويه، و«الحيوان» للجاحظ، و«القراءات» لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٥هـ). (ص٢٢٥)

١٥ ـ قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٥هـ): مَرَّ رجلٌ براهبٍ، فقال له: عِظْني! قال: أعِظْكم وفيكم الفُرقان ومحمد منكم؟! قال: نعم. قال: فاتَّعظ ببَيتِ شعرٍ قاله رجلٌ منكم (من الطويل):

تَجرَّد من الدنيا فإنّك إنّما ... خرجتَ إلى الدنيا وأنت مُجرَّدُ

(ص٢٢٨)

١٦ ـ سُئِلَ **عامر بن شَراحيل الشَّعبي** (توفي بعد المئة هـ) عن شيء فقال: لا علم لي بهذا! فقال: ألا يَستحي مِثلُك يقول هذا؟! فقال: إنّ الملائكة لم تَستحي من قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، أستحي أنا؟! (ص٢٤١)

١٧ ـ قال **عمر بن الخطاب**: ابنةُ عشرٍ لَذَّةٌ للناظرين، ابنةُ عِشرين لَذَّةٌ للمعانقين، ابنةُ ثلاثين تَسمَن وتَلين، ابنة أربعين أُمّ بناتٍ وبنين، ابنةُ خمسين عَجوزٌ في الغابرين.

● قلتُ: مَرَّ تخريج الأثر في «الكناشة» (٧١٠).

١٨ ـ قيل **للهيثم بن عدي الطائي** (ت٢٠٧هـ): لِمَ كره الناس البناء في شوال؟ فقال: مات فيه في الطاعون الجارف بضعة عشر ألف عروسٍ، فتطيَّر الناسُ منه. (قال البيروتي: كان الطاعون سنة ٦٥هـ، وقيل: ٦٩هـ، وكان معظمه بالبصرة). (ص٢٩٦)

فائدة: روى مسلم (١٤٢٣) عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأيّ نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده منّي؟ قال: وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال. اهـ. قال النووي في «شرح مسلم» (٤/ ٣٣٢/ بتعليقي): قَصَدَت عائشة بهذا الكلام ردّ ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيّله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال، وهذا باطل لا أصل له، وهو من آثار الجاهلية، كانوا يتطيرون بذلك لِما في اسم شوال من الإشالة والرفع.

١٩ ـ قال **محمد بن زياد ابن الأعرابي** (١٥٠ ـ ٢٣١هـ): أنشِدوني بيتاً **لأبي نواس** أولُه أكثمُ بن صيفي في أصالة الرأي وآخِرُه ابنُ ماسَوَيه في الطب! قالوا: ما نعرفه. قال: قوله (من البسيط):

دَعْ عنكَ لومي فإن اللومَ إغراءُ ... ودَاوِني بالتي كانت هيَ الداءُ

ولكن هذا معنى قول الأعشى (من المتقارب):

وكـأسٍ شـربـتُ عـلـى لـذةٍ ... وأُخـرى تـداويـتُ مـنـهـا بـهـا

(ص٣٠٥)

٢٠ ـ قدم على **ابن الأعرابي** قادمٌ من سُرَّ من رأى، فأخبره بنكبة سليمان بن وهب وأحمد ابن الخصيب في أيام الواثق، فأنشده (من الرمل):

رُبَّ قـوم رفـعـوا فـي نـعـمـةٍ ... زمـنـاً والـعـيـشُ ريَّـانُ غـدقْ
سـكـتَ الـدهـرُ زمـانـاً عـنـهـمُ ... ثـمَّ أبـكـاهـم دمـاً حـيـن نـطـقْ

(ص٣٠٦)

٢١ ـ قال المتوكل على الله للحافظ **الزبير بن بكّار (١٧٢ ـ ٢٥٦هـ)**: يا زبير، من أفضلُ بعد رسول الله ﷺ؟ فخِفتُ أن أقول: عليٌّ، فيقول: قَدَّمتَه على أبي بكر، مع ما أعرف من رأيه، وخشِيتُ أن أقولَ: أبو بكر، فيقول: فَضَّلتَ على آل رسول الله ﷺ غيرَهم. قال: فسكتُّ، فاقتضاني الجواب، فسكتُّ، فقال: ما لك لا تُجيب؟ فقلتُ: سمعتُ الناسَ بالمدينة يقولون: أبو بكر خيرُ الصحابة وعليٌّ خيرُ القَرابة. قال: فأرضاه ذلك وكف.

(ص٣٢١)

٢٢ ـ قال الصولي: كنّا يوماً عند **أبي العباس ثعلب (٢٠٠ ـ ٢٩١هـ)**، فغضب على المدائني في شيء، فأفرطَ ثم سكن فقال: حدَّثني من رأى العَتَّابي يُخاصِم وقد زادَ في القول واضطرب، فعُوتِب على ذلك، فقال: «إذا تشاجرت الـخُصوم طاشتِ الـحُلومُ ونُسِيَت العُلوم». **(ص٣٣٦)**

٢٣ ـ (شهيد الكتاب!) تُوفي ثعلبٌ في إحدى وتسعين ومئتين، ودُفِن في صبيحة يومه ذلك بمقابر باب الشأم. وكان سببَ وفاته أنه خرج

من مسجد الجامع بعد صلاة العصر يُريد منزله وبيده دفترٌ ينظُرُ فيه، وثقُلَ سمعُهُ، فصدمه دابةٌ، فسقط على رأسه في هُوَّةٍ، فحُمِل إلى بيته، فما زال يتأوَّهُ من رأسه حتى مات رحمه الله تعالى. (ص٣٣٧)

١٧١٠ استدراكٌ على بحث د. شعيب مغنونيف (مؤلفات أبي عبيد اللّه المزرباني/قراءة بيبليوغرافية)

كتب د. شعيب بحثاً موسّعاً في «مجلة التراث العربي» (العدد ١٠٤/ط. ٢٠٠٧م) اجتهد فيه أن يحصر مؤلفات العلّامة **أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزُباني** (٢٩٦ ـ ٣٨٤هـ)، وجمع ـ جزاه الله خيراً ـ ثلاثاً وستين مصنفاً له، لكن فاته أحد المصنفات كما فات ابن النديم صاحب «الفهرست» الذي ذكر أكثر كتب معاصره المرزباني، وهو «**أخبار الشاعر أبي الينبغي العباس بن طرخان**»، قال **الذهبي** في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٥): أبو الينبغي، شاعر محسن، ذو مزاح وهجو ومدح للخلفاء والقواد. **أفرد المرزباني أخباره**، وكان يقول: خدمت المنصور ولي ثلاث عشرة سنة، وعاش إلى دولة المعتصم. اهـ.

وقال **الصفدي** في «الوافي بالوفيات»: العباس بن طرخان، أبو الينبغي؛ كانت له أخبار مع الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم، ومدحهم ومدح الوزراء والأكابر، وهجاهم على سبيل اللعب والتطايب، وأكثر أشعاره غير موزونة، **جمع له أبو عبيد الله المرزباني أخباراً مفردة في مجلدة**. قيل له: لِمَ اكتنيتَ بأبي الينبغي؟ قال: لأني أقول ما لا ينبغي! وكان قد عُمِّر، وتوفي في حبس المعتصم لأنه هجاه. اهـ.

وأفرد الأمير عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٤٧ ـ ٢٩٦هـ) في كتابه «طبقات الشعراء» فصلاً في أخباره، وممّا جاء فيه: . . . ومما يستملح لأبي الينبغي قوله:

صبراً على الذل والصغار ... يا خالق الليل والنهار

كم من حمار على جواد ... ومن جواد بلا حمار

وطار له البيت الثاني في الآفاق ولهج الناس به، فهو يُنشَد في كل مجلس ومحفل وسوق وطريق. وإنما يرزق البيت من الشعر ذلك إنه كان جيد المعنى، عذب اللفظ، خفيفاً على اللسان.

وكان أبو الينبغي سريعاً إلى أعراض الناس، يهجوهم ويقطعهم. ولـمّا هجا الفضل بن مروان حبسه بعد أن أغرى به الواثق، وأنهى إليه أنه هجاه، فبقي في السجن حتى مات، وكان يجري عليه في السجن أجراً تامًّا حسناً. (سبق أنه مات بحبس المعتصم، ولعلَّ موته بحبس الواثق أصح).

١٧١١ لماذا كان القدماء يتركون تنقيط الكلمات؟

قال العلامة **عبد الرحمٰن المعلمي اليماني (١٣١٢ ـ ١٣٨٦هـ)** في رسالة «فيما على المتصدّين لطباعة الكتب القديمة فعله»: كان القدماء كثيراً ما يتركون نقط ما حقّه أن ينقط، كما هو مشاهد في كثير من النسخ القديمة؛ وإنما يدَعُونه إيثاراً لسرعة الكتابة، واتّكالاً على أن أهل العلم يأخذون الكتب بالسماع من أفواه العلماء، فيحفظون الأسماء بضبطها. وقد يكون بعض العلماء كان يتعمد ترك النقط إلجاءً لطالبي العلم إلى السماع من أفواه العلماء، كيلا يتّكلوا على الصحف. وما كان منقوطاً من النسخ القديمة كثيراً ما يشتبه فيه النقط، فتشتبه النقطة بالنقطتين، والنقطتان بالثلاث. ويقع كثير من النقط بعيداً عن الحرف الذي هو له، فيظن أنه لحرف آخر عن يمين ذلك الحرف، أو يساره، أو فوقه في السطر الأعلى، أو تحته في الأسفل.

والناقل قد ينقط بعض ما لم يُنْقَط في الأصل برأيه، فيخطئ، وقد يترك نقطَ ما هو منقوط، فيكون ذلك سبباً لخطأ مَن بعده. وقد يجعل نقط حرف لغيره عن يمينه أو يساره أو فوقه أو تحته، بناءً على ما تراءى له من الأصل لبُعد النقط عن الحرف الذي هو له.

• «موسوعة المعلّمي اليماني وأثره في علم الحديث» (٤/ ٤٩٢/ ط. طيبة).

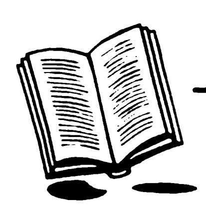
١٧١٢ تعريف بكتاب «العراق في أحاديث وآثار الفتن»:

للشيخ الفاضل **مشهور سلمان** حفظه الله كتاب «العراق في أحاديث وآثار الفتن، وبيان صلة ذلك على ما يجاورها من البلدان، وفي آخره: دراسة تأصيلية لظاهرة إسقاط الفتن على الوقائع، وتقويم الدراسات الحديثة التي خاضت في ذلك، وبيان مزالقها وانحرافاتها»، صدر عن مكتبة الفرقان/عجمان، وقام الشيخ فيه بإبراز «الأحاديث والآثار التي فيها ذكر الفتن التي وقعت وستقع في العراق وجهتها وما جاورها، وبيان الصحيح والسقيم منها، وذكر صلتها بأشراط الساعة، وربطها بما حصل وسيحصل من أحداث على أرضها، وتلمّس القواعد الكليَّة، والنظرة المنهجيّة العلمية للسلف، وكيفية فهمهم لأحاديث الفتن، وعالج من خلال ذلك: عملية إسقاط الفتن على الواقع، وهل هذا مشروع أم ممنوع، وبيان المحاذير التي فيه، وذكر نماذج مما يخص موضوع البحث».

وتوسّع الشيخ في تخريج حديث «**منعت العراق درهمها وقفيزها...**» وشرحه، مع ذكر تبويبات العلماء عليه، واستخراجهم فوائده الفقهية والعلمية، بل خصّص فوائده المستنبطة بفصلٍ مفرد، وتحتل دراسة الشيخ للحديث في كتابه قرابة الأربع مئة صفحة، وذكر الشيخ ما جرى على أرض العراق من أحداث جسام؛ كفتنة التتر والمغول، وإخراج الكفار لأهل العراق وحصارهم ومنعهم خيرات بلادهم، وغزوهم واحتلالهم، وبَيَّن أنّ ذلك يتكرر، وأنّ بعضه قديم، وبعضه الآخر حديث، وسيقع أيضاً في آخر الزمان، لا سيّما عندما يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

وباختصار. . الكتاب درّة نفيسة في بابه.



باب المنوعات

١٧١٣ لبنان يغزو الفضاء بالصواريخ!!

في أوائل الستينات ابتدأ لبنان برنامج صواريخ لغزو الفضاء، قام بالمشروع الأستاذ **مانوغيان** وطلابه في جامعة ((الهايكازيان))، ودعمت المشروع قيادة الجيش اللبناني، وكان أول مشروع من نوعه في الشرق الأوسط، وبعد تجارب عديدة أنتجوا أربعة صواريخ (أرز ١، أرز ٢، أرز ٣، أرز ٤):

صاروخ (أرز ١) تم إطلاقه في **٢٥** أيار **١٩٦٢**م ووصل إلى علو **١١٥٠٠** متر.

صاروخ (أرز ٢) أُطلِق في صيف تلك السنة ووصل إلى علو **٢٠** كلم.

صاروخ (أرز ٣) أُطلِق في **٢١** تشرين الأول من تلك السنة.

صاروخ (أرز ٤) أُطلِق في عام **١٩٦٣**م ووصل إلى علو **١٤٥** كلم.

وبسبب نجاح الصواريخ، تأسست عام ١٩٦٢م ((**الجمعية اللبنانية للصواريخ**)) (Lebanese Rocket Society/LRS)، وتمّ إصدار طابع بريدي عام ١٩٦٤م لهذه المناسبة الهامة، وتفاصيل المشروع وُثِّق بالصور والجرائد وبعض المقاطع المرئية، وقامت الجمعية بإنتاج فيلم وثائقي حول هذا المشروع بعنوان ((لبنان يغزو الفضاء)) أو «The Strange Tale of the Lebanese Space Race» أخرجه اللبنانيان جوانا حاجي توما وخليل جريج.

وبعد حرب ١٩٦٧م توقف المشروع وعمل الجمعية، وسافر الأستاذ مانوغيان وطلابه واستقرّوا خارج لبنان، وخسر لبنان برنامج الصواريخ لغزو الفضاء! ولتوقف المشروع عدة أسباب؛ منها أن الرئيس الفرنسي (نصح) الرئيس اللبناني **فؤاد شهاب** أن برنامج الصواريخ سيضع أمن لبنان في خطر، فاستجاب شهاب لنصيحته! وأيضاً ذكر الأستاذ مانوغيان في مقابلة تلفزيونية معه أن بعض الأنظمة العربية أصرّت عليه أن يعمل معها في تسخير المشروع لإنتاج الأسلحة والصواريخ المدمرة، فرفض لأنه كان يهدف أن يكون المشروع سلميًّا وللأبحاث العلمية فقط، لكن طلبهم لم يكن وديًّا... ! ففضّل مانوغيان مغادرة البلاد.

وأعجب ما في الأمر أن خبر هذا المشروع ـ بعد مرور خمسين عاماً عليه ـ لا تكاد تجد له أيّ ذكر!! وكان الأولى بالدولة اللبنانية أن تصدر كتاباً عنه وتذكره في كتب التاريخ والتربية الوطنية كإنجاز علمي يفتخر به أهل لبنان.

١٧١٤ مهندس يصنع مجسّماً كرويًّا للأرض في القرن السابع:

هذا عنوان للفقرة (٦٨٦) في المجموعة الأولى من «الكنّاشة»، وجاء فيه: ترجم ابن الفوطي في «مجمع الآداب في معجم الألقاب» (٤/ ٦٥/ ط. إيران) لكريم الدين أبي بكر بن محمود المهندس فقال:

قَدِمَ علينا سنة أربع وستين وست مئة إلى حضرة مولانا نصير الدين بالرصد المحروس، وكان له معرفة بحلِّ الكاغذ إلى أن يصير كالعجين ويعمل منه الآلات كالطباق والزبادي والمقالم، وهو الذي صنع كرة الأرض من الكاغذ، وجاءت مجوّفة في غاية ما يكون، وخطّوا عليها صورة الأقاليم، وذكر لي نور الدين إسماعيل بن أحمد المحتسب بسلماس أنه توفي سنة إحدى وسبع مئة. اهـ.

وقد مَرَّ معي في «تذكرة طاهر الجزائري»:

٦٧٥ ـ في محاسن القبة الزرقاء، صحيفة ٩: محمد بن مؤيد الدين الأرضي العرضي (ت٦٦٤هـ) صانع الكرة العربية المحفوظة في متحف درسدن قصبة سكسونيا في ألمانيا، حروفها كوفية. وهذه الكرة اصطنعت قبل... (فيه نظر).

كرة قيصر ابن أبي القاسم الأبركي الحنفي (ت٦٤٩هـ)، في عصر الملك الكامل، أي نحو سنة ٦٢٦هـ (فيه نظر)، وحروفها كوفية أيضاً، وهي كرة معدنية، قطرها ثمانية قراريط. اهـ.

وسبق في «تذكرة طاهر الجزائري» نقلٌ من تاريخ ابن الوردي:

٥٣٠ ـ (وفيات سنة ٦٤٢هـ): توفي تقي الدين المظفر صاحب حماة، كان يحب العلم وأهله، استخدم علمَ الدين قيصر المهندس فبنى له أراجاً بحماة وطاحوناً على العاصي، وعمل له كرة من الخشب مدهونة، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة. قال ابن واصل: وساعدته في حملها.

١٧١٥ كيف يموت الأدباء (وبعض العلماء) في الشرق!!

يموت أدباؤنا، وتطفأ أنوار المعاني في عقولهم، وتبقى بيوتهم خالية، وأجداثهم داثرة، وليس فينا مَن تُحَدِّثُهُ نفسه بأن يُنَقِّب عن آثارهم، وينشر للأمّة ما طُوِيَ من معارفهم، إقراراً بفضلهم وتخليداً لذكرهم، واستفادة من آثار قرائحهم، ونحاول بعد ذلك أنْ نجاري الأمم، أو نشبه عباد الله!! ما أكبر جهلنا بأقدارنا، وما أبعدنا عن مواطن الإنصاف!! الأمّة في حاجة إلى نوابغها، ونوابغها غرباء بينها... اهـ.

كتب السابق الأديب **محمد ولي الدين يكن (١٢٩٠ ـ ١٣٣٩هـ/ ١٨٧٣ ـ ١٩٢١م)** في مقالٍ له بعنوان «كيف يموت الأدباء في الشرق!!»،

ونقلته من ترجمته في «الأعلام الشرقية» (٢/ ٨٠٥)، وأضفتُ لعنوانه عبارة (وبعض العلماء) لوجود العديد من الأمثلة في عالمنا العربي، وانظر مقالي «**عجيبة تشييع جنازة عالم وجنازة فنان في يوم واحد!**» في «الكناشة» (١٣٨٨).

تنبيه: لا يغترّ أحد بنقلي عن **ولي يكن**، فكان منافقاً مشكِّكاً بالدين وداعية للسفور، وفي كتابَيه «التجاريب» و«الصحائف السود» (المطبوعَين في بيت الحكمة/ بيروت)، يذكر أنّه كان يجاهر بترك الصوم في رمضان، ويعظّم الماسونية الخبيثة، ويهاجم الحجاب، ويثني على قاسم أمين لتأليفه «تحرير المرأة»، وله طامات تُظهر جهله وبعده عن دين الإسلام! وما نقلت السابق إلّا لأن «الحكمة ضالة المؤمن»، ولأن ما كتبه شهادة إنسان عاش منذ مئة عام، وحتى الآن لم يتغير الحال! والله المستعان!

١٧١٦ رنّوا الفلوس على بلاط ضريحه!!

كان **واصا باشا** الذي حكم جبل لبنان زهاء عشر سنوات في القرن الماضي (١٨٨٣ ـ ١٨٩٢م) قد اشتهر بالفساد والإفساد، ومع ذلك وقف بعض شعراء زمانه حول قبره وأبّنوه بقصائد طويلة وعريضة، ولكن شاعراً واحداً هو **تامر الملّاط** عارض شعراء زمانه وقال يومئذ:

قالوا قضى واصا وواراه الثرى ... فأجبتهم وأنا الخبيرُ بذاته

رِنُّوا الفلوس على بلاط ضريحه ... وأنا الكفيلُ لكم بردِّ حياته!

فعاش البيتان وماتت مئات الأشعار التي نظمها شعراء ذلك الزمان في جميع المناسبات!

قال أبو معاوية البيروتي: وجدتُ هذه القصة مصورة عندي، وقد غفلتُ عن تدوين مصدرها، ولكن لظرفها أوردتها في «الكناشة» (لئلّا تضيع)!

ثم وجدتُّها مذكورة في كتاب الأستاذ عبد اللطيف فاخوري «البيارتة، حكايات أمثالهم ووقائع أيامهم» (ص٣٢٩):

نقل سليم سركيس أنه لـمّا مات واصا باشا سنة ١٨٩٢م اشتهر نشيد عامي بين الأهالي وضعه تامر الملاط؛ قال في لازمته:

مات الباشا يا لبنان ... وصرت تأمن ع قروشك

كان الملعون كوبليان ... وكنت تخاف على طربوشك

إلا أن ديوان تامر الملاط يشير إلى أنه بعد دفن واصا باشا في الحازمية، طارت في الحازمية رقعة مكتوب عليها هذان البيتان: . . . (فذكرهما)، وقد حفظت العامة هذين البيتين واتخذوا من «رنّوا الفلوس» مثلاً يكنون به عن المرتشي. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ترجم الطبيب **شاكر الخوري** (١٢٦٣ - ١٣٢٩هـ/ ١٨٤٧ - ١٩١١م) في كتابه «مجمع المسرّات» (ص٣٩٧/ ط. دار لحد خاطر) **لواصا باشا** وأثنى عليه، ووصفه بأنه عفيف النفس لا يقبل ولا يعرف رشوة، لكنّ وجود كوبليان - الذي هو صهره - لطّخ حكمه، وذكر أيضاً أنه كان من الشعراء الأماجد، وأنه ابتدأ بتأليف كتاب عن مدّة حكمه اسمه «عشر سنوات في لبنان». . .

١٧١٧ مختارات من الجزء الثاني من كتاب «الملتقطات» ليوسف القناعي الكويتي (١٨٧٩ - ١٩٧٣م)

(ص٥٩) - حديث «إن للقلب فرحة عند أكل اللحم» ليس بصحيح، ولكن عبد الله بن بحر - قنديل الموائد في الكويت - يصحّحه، لا سيما إنْ كان اللحم مشويًّا!

(ص٨٨) - **أسد البحر**: هو شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدي النجدي الملقب بأسد البحر، كتب عنه قدري حافظ في مجلد «المقتطف»

سنة ١٣٥٨هـ، فهو يقول: ظهر في القرن التاسع الهجري، فكان نابغة في الملاحة، له مؤلفات عديدة في علم البحار وكيفية تسيير السفن وفي التاريخ، ومن مؤلفاته «كتاب الفوائد في معرفة علم القواعد»، وقد ترجم الأستاذ قراف الفرنسي كثيراً من مؤلفات ابن ماجد، وإنْ أردت التفصيل عنه فراجع «المقتطف».

(ص١٣٣) ـ **أقدم المطبوعات العربية**: أولها «مزامير داوود» سنة ١٥١٦م، ثم التوراة العربية ترجمة سعيد الفيومي، طبعها الإسرائيليون في الآستانة سنة ١٥٥١م، وطُبِع القرآن في همبورج سنة ١٩٦٤م، ثم انتشرت المطبوعات. (قال أبو معاوية البيروتي: وانظر للاستزادة (متى كان ظهور المطابع لأول مرة؟ ومتى طُبع المصحف الشريف لأول مرَّة؟) في الكنّاشة (٦١)).

(ص١٥٥) ـ **شعر لآكل المُرَار جدّ امرئ القيس**:

كُلُّ أُنثى وإنْ بدا لك منها ... آية الوُدِّ حُبُّها خَيْثَعورُ

إنَّ مَن غرَّه النساءُ بشيء ... بعد هندٍ لجاهلٌ مغرورُ

حلوة العين واللسان ومُ ... رٌّ كلّ شيء يُجِنّ منها الضميرُ

والسبب في هذا الشعر أنّ زوجته سباها ابن هبولة الغساني، فلحقه آكل المرار واسترجعها منه، وسألها زوجها: هل أصابكِ؟ فقالت: نعم، فواللهِ ما اشتملت النساء على مثله! فأوثقها بين فرسين ثم ضربهما حتى قطعاها. (قال أبو معاوية البيروتي: أضفتُ البيت الأول من مصادر الخبر، والخيتعور: الدنيا، وكل شيء لا يدوم فهو خيتعور).

(ص١٩١) ـ ذكر القناعي قصيدة لعبد المحسن الرشيد البدر يشكو فيها سوء حياته في الكويت، ثم قال القناعي: لا تشكو أيّها الأديب من الكويت، فإنّ النحس ملزمٌ للأديب في الشرق أينما حَلَّ، ولطالما شكا المتقدمون من الأدباء قبلك (وقالوا: أدركتهم حرفة الأدب)، ولكن في

الشرق خصلة طيبة وهي إذا مات الأديب أبنوه وأثنوا عليه بما هو أهل له، وبكوه بدمع كاذب، وكفاك هذا بعد موتك، ولا تقل (إذا مات عطشاناً فلا نزل القطر).

(ص٢٧٠) ـ **بيان حقيقة للتاريخ**: إن كتاب «الآيات الصباح في مدائح مبارك الصباح» لعبد المسيح الأنطاكي، طُبعَ سنة **١٣٢٩**هـ، ولـمّا وصلت النسخ إلى جمرك الكويت أطلعني المرحوم ناصر بن مبارك الصباح على نسخةٍ منه، فقلتُ له: «انصح والدك في إخفاء هذا الكتاب لأنه مهازل وأكاذيب افتراها الأنطاكي ليس لها صحة بتاتاً، وإن انتشر هذا الكتاب فسيكون أضحوكة عليكم بين أهل الكويت وغيرها»، فتكلّم ناصر مع والده وأمر بحبس الكتاب في الجمرك، وعهدي به أنه في صناديق مكدّسة في الجمرك ولا أعلم عنه الآن بشيء، ولعلّه أُحْرِق أو أُغْرِق، ولا بد من ذكر نبذة من كلام الأنطاكي في مبارك الصباح... (ثم ذكر القناعي بعض الأكاذيب فيه).

ـ وذكر القناعي في آخر كتابه أنه انتهى من جمعه في حادي رجب سنة **١٣٦٩**هـ، وقد طبعته مطبعة دار التأليف بمصر.

١٧١٨ الباسور داء الشافعية!! وتعريف بكتاب «ما قاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير» للقاسمي:

مقولة (**الباسور داء الشافعية**) يتندّر بها بعض الفقهاء الشافعية؛ وذلك لأنّ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان به البواسير، كما نقل ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٤٠٠) عن تلميذه الربيع.

وروى البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٩١) عن الربيع قال: كان الشافعي عليلاً شديد العلّة، فكان ربما يخرج الدم منه وهو راكب حتى تمتلئ سراويله ومركبه وخفّه، وروى أيضاً (٢/ ٢٩٢) عن محمد بن عبد الحكم قال: كان الشافعي قد مرض من هذا النّاسور مرضاً شديداً

حتى ساء خلُقه، فسمعته يقول: إني لآتي الخطأ وأنا أعرفه. قال البيهقي: قد قيل: أراد به ترك الحمية وتناول ما لا يصلحه، وقيل: أراد به فيما كان يتحفظه قبل ذلك من مكارم الأخلاق. اهـ.

قال الشيخ **محمد بن ناصر العجمي في** تحقيقه لـ«جمال الدين القاسمي، سيرته الذاتية بقلمه» (ص١٤٨/ حاشية): **أفرد العلامة القاسمي** (ت١٣٣٢هـ) رسالة أسماها «ما قاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير»، قال في مطلعها: وقد أُصِبتُ به عام ١٣٢٠هـ، فراجعتُ لأجله رؤساء أطباء بلدنا دمشق ممّن يطبِّب بالطب الجديد والقديم، وحصل لديّ أنواع من العلاج القويم، وطالعتُ من أشهر كتب الطب عدداً عديداً، ومن الصحف والرسائل ما كان في بابه فريداً، فجنيت من ذلك كلّه ما شممتُ منه رائحة الأهمية، ورأيت في ذكره الجدارة والأحقية، ثم رتّبته ترتيباً لطيفاً، وضممتُ إليه من الفوائد الصحية قسماً ظريفاً، فجاءت رسالة جليلة الفائدة، جزيلة العائدة...

وانظر للفائدة «الكناشة» (١٧٥٥): **راعي شرح الملك!**

١٧١٩ الإسلام وضع أساس الحِجر الصحّي منذ أربعة عشر قرناً... بينما كانت أوروبا غارقة في سبات الجهل!

قال رسول الله ﷺ: «**الطاعونُ رجزٌ أو عذابٌ أُرْسِلَ على بني إسرائيل، أو على مَن كان قبلَكُم، فإذا سمِعْتُم به بأرضٍ فلا تقْدَموا عليه، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرُجوا فراراً منه**». (رواه البخاري (٣٤٧٣) ومسلم (٢٢١٨)).

قال حسن **الأهدل** في تعليقه على «المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي» للسيوطي (ص١٤٦/ حاشية ٣): **يحدِّد الإسلام ويضع أساس الحِجر الصحّي بأوضح ما يكون التحديد في هذا الحديث النبوي، ومفهوم الحِجر الذي لم تعرفه البشرية إلّا في أواخر القرن التاسع عشر،**

وتنكشف المعجزة بعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمن، وعندما سمع أحد أطباء الغرب هذا الحديث صاح قائلاً: «لقد كان نبيّكم عالماً بيولوجيًّا وطبيباً عظيماً»، وعند ذلك قال أحد الأطباء الآخرين: «لو علمت أوروبا بهذه الحكمة النبوية العظيمة لقَلَّت خسائرها وضحاياها عندما اجتاحها الطاعون في وسط القرن الرابع عشر الميلادي». وبهذا نرى الطب النبوي وضع أسس الطب الوقائي.

وانظر حول الموضوع: «العدوى بين الطب وحديث المصطفى» (ص٧٢، ٧٥)، «فضل علماء الإسلام على الحضارة الأوروبية» (ص٣٠، ٣١) ملخصاً.

١٧٢٠ الغباريون، أو أصحاب الكتابة الدقيقة:

كتب د. **عبد الله الجبوري** في مجلة العرب (عدد رمضان ـ شوال ١٤٢٣هـ/ ونقلت بحثه باختصار):

مِن أنواع الأقلام العربية قلم الغبار، وهو قلم دقيق جدًّا، سُمِّيَ بذلك لأنه يشبه ذرات الغبار، وبعضهم يسميه (قلم المؤامرات) أحياناً، وهذا القلم اخترعه الخطاط (الأحول المحرر) من صنع البرامكة، كان زمن المأمون، قالوا: اخترعه من الثلثين والثلث اللذين أخذهما عن إبراهيم الشجري.

تطور هذا القلم إلى قلم (الشفرة)، وهي معروفة في الأمور السرية في الحروب وغيرها... (ووصف د. الجبوري بعض مَن اشتهر بهذا الخط بأنهم)... الذين أبدعوا في كتابة سور قرآنية وآيات كريمات على حبات قمح أو أرز أو على بيضة، والعجب أنهم نبغوا في القرن الثامن والتاسع للهجرة.

(ثم ذكر بعض مَن اشتهر منهم من القرن الثامن إلى عصرنا، وآخر مَن ذكرهم د. الجبوري):

- **محمد طاهر الكردي (١٩٠٣ - ١٩٨٠م)**

كاتب مصحف مكة المشرفة، لعله كان آخر من عُرف بهذا الفن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن آثاره: كَتَب (جزء عم يتساءلون) ما خلا بعض سور منه على بيضة دجاجة (مفرغة تفريغاً في غاية الدقة والنظافة)، ومنها: رسم خارطة جزيرة العرب مفصلة مع أسماء البلدان بالألوان، بحجم طابع البريد محلاة بالذهب والألوان.

١٧٢١ رسالة من أندونيسيا إلى العلامة جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) تصل بعد ٤٢ سنة من وفاته!

قال الأستاذ محمد ظافر ابن جمال الدين القاسمي (١٣٣١ - ١٤٠٤هـ) رحمهما الله: كنتُ ذات يوم من أيام عام ١٩٥٦م في مكتبي، وإذا بساعي البريد يدفع إليَّ رسالة لم أتبيَّن مصدرها للوهلة الأولى، ثمّ عرفتُ أنها من أندونيسيا، فقرأتُ على مغلّفها: «إلى والدنا المكرَّم السيد جمال الدين القاسمي وأولاده بدمشق الشام المحروسة زيدت معاليهم، آمين». فأخذتني الدهشة أنْ تُوَجَّه رسالة إلى أبي بعد اثنين وأربعين عاماً من وفاته، ففضضتها؛ وإذا فيها استئذان بإعادة طبع كتابه «موعظة المؤمنين».

ودفعتُ الرسالة إلى صديقي الأستاذ صبري العسلي، وقلتُ له: انظر! قال: ماذا؟ قلتُ: رجلٌ يكتب إلى جمال الدين القاسمي من أندونيسيا بعد وفاته باثنين وأربعين عاماً!!

قال: هذا هو الخلود، فأبوك حيٌّ في أذهان الناس ما دام في الدنيا إسلام ومسلمون وشريعة إسلامية.

• «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» (ص١٥٣) للشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله.

١٧٢٢ عجيبة نفسية! ثعبان في أمعائه!!

قال الشيخ **علي الطنطاوي** في «صور وخواطر»: هذا العلامة المؤرخ الشيخ **الخضري** (ت١٩٢٧م)، أُصيب في أواخر عمره بتوهّم أن في أمعائه ثعباناً! فراجع الأطباء وسأل الحكماء، فكانوا يدارون الضحك حياء منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدِّق، حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب بصير بالنفسيات، قد سمع بقصته، فسقاه مُسْهلاً وأدخله المُستراح (المرحاض) ـ وكان قد وضع له فيه ثعباناً ميتاً ـ، فلمّا رآه أشرق وجهه ونشط جسمه وأحسّ بالعافية، ونزل يقفز قفزاً، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه يلهث إعياء ويئن ويتوجع. ولم يمرض بعد ذلك أبداً.

ما شُفي الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار؛ لأنه أيقظ قُوى نفسه التي كانت نائمة. وإن في النفس الإنسانية لَقُوىً إذا عرفتم كيف تفيدون منها صنعت لكم العجائب.

١٧٢٣ قاضٍ يبيع السماوات والكرة الأرضية معها!!

ترجم **المحبي** (١٠٦١ ـ ١١١١هـ/ ١٦٥١ ـ ١٦٩٩م) في «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» **لأحمد بن روح الله بن ناصر الدين الأنصاري الجابري الرومي** (ت١٠٠٨هـ)، وقال: قاضي القضاة (كره أهل العلم هذا اللقب! انظر «الكناشة» (٤٧)) بالشام ومصر وأدرنة وقسطنطينية وولي قضاء العسكرين، اشتغل ودأب وأخذ العلوم عن جماعة كثيرة، من أجلهم المولى محمد شاه وكان معيداً له ولازم منه، وبرع وتفوق، وكان علامة في المعقولات متبحراً في فنونها، وألَّف مؤلفات تدل على فضله. . .

وكان القاضي أحمد الأنصاري الرومي موصوفاً بالتهاون فيما يتعلق بأمور القضاء، حتى أنه كان لا يتأمل الحجّة التي تُعْرَض عليه للإمضاء،

بل كان يمضيها تقليداً للكاتب ثقةً به وتغافلاً عن التثبت، لا سيّما في أمور الشرع.

وصدر من ذلك أن **بعض أعدائه أدخل عليه حجة فيها بيع السموات، وتحديدها بكرة الأرض، فعَلَّم عليها!!** واشتهر أمرها بين موالي الروم، وما بالى بذلك. اهـ.

أشار إلى القصة المؤرخ **عبد اللطيف الفاخوري** في كتابه «تاريخ القضاء الشرعي في بيروت»، ونقلتُها بنصِّها من «خلاصة الأثر»، وأفادني فضيلته بقصة مشابهة وقعت للأمير **خالد شهاب** مدير الأوقاف الإسلامية اللبنانية، حيث طمع رئيس القلم عبد الرحمٰن الحوت ـ الذي مضى عليه سنوات طويلة موظفاً في الأوقاف ـ في الوصول لمنصب الأمير خالد، فاستغل صفاء نية مدير الأوقاف ونقاوة قلبه، فدَسَّ له بين المعاملات التي يعرضها عليه كل يوم ـ ويوقّعها الأمير دون النظر فيها ـ كتاب استقالته من المديرية العامة لأسباب صحية بالغة تجعله ينقطع نهائيًّا عن العمل، وذيَّله بتوقيعه دون أنْ يدري، ورفع رئيس القلم كتاب استقالة المدير إلى قلم المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، الذي قرَّر في جلسة عقدها بعد ثلاثة أيام لإنجاز المعاملات المعجلة، فقرَّر بالإجماع استقالة المدير العام للأوقاف الأمير خالد شهاب من منصبه في المديرية العامة بناءً على طلبه! كما تقرَّر تكليف رئيس القلم **عبد الرحمٰن الحوت** القيام بشؤون المديرية بصورة مؤقتة ريثما يعيَّن مدير جديد لها.

وعندما تبلَّغ الأمير خالد نسخة رسمية بقبول استقالته وتأكَّدَ من توقيعه عليه، ثارت نفسه واشتدَّ غضبه وتوعَّد رئيس القلم باتخاذ الإجراءات القانونية بحقِّه جزاء غشِّه وخداعه له...

روى القصة ـ التي حدثت في الخمسينات ـ الشيخ شفيق يموت (١٩١٩ ـ ٢٠٠٤م) في «ذكرياته» التي نشرتها جريدة «اللواء» في ٢٤/١٢/١٩٩٧م.

١٧٢٤ يوم أكل الشيخ علي الطنطاوي الفلفل الحار ظاناً أنّه مربّى!!

قال الشيخ **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ في «ذكرياته» (٦/ ١٤٥/ ط. المنارة ـ ١٤٢٦هـ): لـمّا قعدتُ إلى العشاء أول يوم وصلتُ فيه إلى جاكرتا (عاصمة أندونيسيا)، رأيتُ على طرفي المائدة طبقين صغيرين؛ طبقاً فيه زبدة، وطبقاً فيه شيءٌ أحمر، ما شككتُ في أنه مربّى، وماذا يكون قد وُضِع إلى جنب الزبد إنْ لم يكن فيه المربّى؟! فأخذتُ بطرف السكين شيئاً من هنا، وشيئاً من هناك، ووضعته في فمي، وإذا بي أضع في فمي ـ والعياذ بالله ـ جمرة ملتهبة!! وإذا هذا الشيء الأحمر نارٌ حامية!! نوعٌ من الفلافل (قال أبو معاوية البيروتي: هكذا الأصل، والأصوب: الفلفل، وهو حب هندي معروف لا ينبت في أرض العرب) التي لم نسمع بها ولا نقدر على تصوّرها، وإذا القوم الذين يألفونها ويحبونها يأخذون من هذا الشيء مثل رأس الدبوس بعيدان دقيقة كالتي تخلّل بها الأسنان، وأنا أخذتُ منها ما أخذت، فماذا تظنونه فعل بي؟

لقد بقيتُ يوماً كاملاً لا أستطيع أن أدخل في فمي شيئاً، وإنْ كنتُ قد أخرجت منه من مبتكرات الشتائم ومن غرائب السباب ما نفستُ به عن نفسي، وأذهبتُ به غيظي، ولكنه ذهب كالرصاصات تُطلَق في الهواء، لا تصيب أحداً؛ لأني قلته بالعربية، وهم لا يفهمونها، فكانوا ينظرون إليّ وأنا أهدر بهذه الشتائم، وأشير إلى فمي، وأحرِّك بأصابعي حَرَكَة مَن يدلّ على أنها النار المحرقة، فكان المهذّب منهم يبتسم، وغيره يضحك، لا يدرون ماذا حَلَّ بي. اهـ.

فائدة: قال الأستاذ عصام العطار ـ صهر الشيخ علي الطنطاوي ـ: ولا أنسى للشيخ علي ـ كما تعوَّدنا أن نقول ـ مقالاته الطريفة الساخرة، التي كانت تحمل خفة ظله، وحلاوة فُكاهته، ولطف دُعابته، ولواذع

سخريته؛ وإنك لتقرأ إحدى هذه المقالات الساخرة فلا تملك نفسك من الابتسام بعد الابتسام، ومن القهقهة مرةً أو مرات. (نقلتها من مقالة نُشِرَت في مجلة الرائد، العدد ٢١٢/ جمادى الأول ١٤٢٠هـ؛ ٩/ ١٩٩٩م).

١٧٢٥ جريمة كاد يذهب ضحيتها بريء لولا...!! (نموذج لعلم الجنايات منذ أكثر من قرن)

قال الطبيب **شاكر الخوري** (١٢٦٣ ـ ١٣٢٩هـ/ ١٨٤٧ ـ ١٩١١م) في كتابه «مجمع المسرّات» (ص٢٠٣/ ط. دار لحد خاطر): رأت الحكومة المصرية ضرر ذبح الأغنام أمام البيوت في عيد الأضحى فمنعت هذا العمل، وأمرت أنْ يكون الذبح محصوراً في المسلخ، وفرضت على المخالف جزاءً نقديًا، وحدث أن رجلاً خالف هذا النظام فقام قبل الفجر وأخذ خروفه إلى أمام بيت آخر وذبحه في الظلام، ثم ذهب إلى بيته ليأتي بماء يغسل به الدم، وعندما رجع لم يَرَ الخروف بمحلِّه، فخرج من العطفة إلى الشارع ليفتّش على الخروف، وكانت السكّين لم تزل في يده، وعندما وصل إلى الشارع صادفته فرقة من الجند كانت مارَّة من هناك، وكانت قد رأت على بُعد عشرين متراً قتيلاً مضرّجاً بدمائه وملقىً في الأرض، ووجدت هذا الرجل والسكّين بيده ملوّثة دماً، فلم تشك بكونه القاتل وأنّ السكين التي معه هي التي استعملها للقتل! فألقوا القبض عليه، وابتدأ يُقسِم ليبرِّئ ذاته ويذكر قصة ذبحه للخروف، ولكن لم يكن مَن يصدِّق ذلك، وأخيراً وصّلوه للضابطة حيث يوجد دائماً طبيب، فأخبر الرجل قصته للضابط والطبيب الذي أخذ منه السكين وثيابه الملوّثة بالدم وأرسلها إلى مدير مدرسة القصر العيني لفحص الدم بالنظارة المعظِّمة، وقد كنتُ يومئذٍ مِن عِداد فاحصيه، **فأخبرنا الأستاذ عن الفرق بين دم الحيوان والإنسان، وأنَّ دم الإنسان مكوَّن مِن كرات حمراء عدسية الشكل مبعوجة من النصف، ودم الحيوان على غير هذه الهيئة**، وأجابت عمدة المدرسة بِما رَأَتْ وأنَّ الدم الذي على السكِّين هو دم خروف ولا أثر

عليها من دم الإنسان، حينئذٍ أطلقوا سبيل الرجل بعد أن دَفَّعوه جزاءً نقديًّا جزاء مخالفته لقانون الذبح.

(قال البيروتي: وقعت القصة ما بين سنة ١٨٦٧ و١٨٧٣م).

طُرفة: كشف سارقي الماء:

وقال الطبيب **الخوري** في كتابه: كنتُ في بعض الأحيان أستيقظ من النوم (في المدرسة الطبية المصرية) وأطلب الماء فأجد قلّتي فارغة، وما تمكنت من معرفة سارق الماء، وفي ذات يوم خطر لي أن أضع في الماء قليلاً من الطرطير المقيء الذي يسبِّب القيء ولا يضر، ففعلتُ هذا الأمر، ولـمّا استيقظتُ من نومي طلبتُ الماءَ فلم أجده كالعادة، فخرجت من غرفتي أفتِّش في محلات النوم فوجدت ثلاثة من التلامذة يتقاؤون، فقلت لهم: **عرفتكم يا سارقي الماء!** فصاروا يترجّوني ليعرفوا ما كنت واضعاً في القلة، فطمأنتهم وأخبرتهم أنني وضعتُ قليلاً من الطرطير لأعرف بواسطته لص الماء، فاطمأن بالهم ولم يعودوا إلى فعلتهم بعد ذلك.

● **فائدة**: ذكر الزركلي في ترجمة الخوري في «الأعلام» أنّ وفاته كانت سنة ١٩١٣م، بينما نُقِل في مقدمة كتابه «مجمع المسرات» ـ عن مقال خاص بترجمة الخوري في مجلة «المشرق» (تموز ١٩٧٠م) لجرجي نصر ـ أنه توفي في ٢٤ آب ١٩١١م؛ وهو ما أرجِّحه.

١٧٢٦ سبب كثرة اهتمام النصارى بالعلوم الطبيعية:

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** (ت٧٢٨هـ) في «الرسالة القبرصية»: خلق كثير من كبار الباباوات والمطارنة والأساقفة لـمّا خاطبهم قوم من الفضلاء أقرّوا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى، وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة؛ كبقاء الملوك والأغنياء على ملكهم وغناهم، ولهذا تجد غالب فضلائهم إنّما همَّة أحدهم نوع من العلم الرياضي؛ كالمنطق والهيئة والحساب والنجوم، أو الطبيعي كالطب ومعرفة الأركان، أو التكلم في الإلهي على طريقة الصابئة الفلاسفة الذين بُعِثَ إليهم إبراهيم الخليل ﷺ، قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبله

وبعده وراء ظهورهم وحفظوا رسوم الدين لأجل الملوك والعامة. اهـ.

ومن المفيد ذكر قول الإمام الشافعي التالي:

قال صالح بن محمد جزرة: سمعت الربيع، سمعت **الشافعي** (ت ٢٠٤هـ) يقول: «لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه». «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٧).

وروى البيهقي في «المناقب» (٢/ ١١٦) عن حرملة قال: كان **الشافعي** يتلهّف على ما ضيَّع المسلمون من الطب، ويقول: «ضَيَّعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى».

١٧٢٧ تصدَّق على سارق... فتاب من السرقة!

كانت للشيخ **محمد الأمين ابن القلقمي** (شيخ معاصر في تركيا) فرس أصيلة مشهورة، وذات يوم جاء لص شهير فسرقها! فبينا اللص يخرج من القرية إذ بتلاميذ الشيخ يرونه، فعرفوا فرس شيخهم، فاحتالوا على اللص واقتربوا منه فأمسكوه وشدوا وثاقه وجاؤوا به إلى الشيخ ابن القلقمي في المسجد، وكان غاصًا بالناس، فقالوا: يا شيخ هذا سرق فرسك وأمسكناه!

فلما رأى الشيخ اللص موثقاً قال: لا حول ولا قوة إلا بالله! لا تتركون رجلاً يتصدق بصدقة سرًّا! فُكُّوا وثاق الرجل.

والتفت الشيخ إلى اللص وقال: لا تؤاخذني، خذ فرسك وانطلق بها.

فقال اللصُّ: يا شيخ، أنا ابن نميلي، وقد أعجزت الدولة طلباً وهرباً! وأشهد أنني قد تبتُ على يدك.

قال أبو معاوية البيروتي: نقلت القصة من كتاب «اتحاف ذوي البصائر بتراجم العلماء الأفارقة الأكابر» (ص٩٧/ ط. مؤسسة الضحى - بيروت)، وما فعله الشيخ وافق فيه ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:

«قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق. فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، لأتصدَّقنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، على زانية؟! لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني. فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني؟! فأُتِيَ فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته...». (رواه البخاري (١٤٢١) ومسلم (١٠٢٢)).

وهذا ما حصل هنا، والحمد لله رب العالمين.

١٧٢٨ اشتكى منه زميله بالمصنع بأميركا أنه يضيع وقت العمل بصلاة الفريضة!!

ألقى لبناني ـ سكن بأميركا ـ كلمة في جامع بيروت الكبير عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، وتحدَّث عن بداية سعيه بأميركا كعامل في أحد المصانع الكبرى، وكان يؤدي فروض صلواته الخمس في أوقاتها، غير متساهل في شأنها مطلقاً، وكان رفاقه من العمال يحترمونه.

ومرة وقع بينه وبين أحد العمال سوء تفاهم، إلّا أن زملاءه أصلحوا ما بينهما، ولكن الرجل ظَلَّ يطوي له البغضاء، ويكيد له في الخفاء ليُطرَد من العمل، فلم يجد وسيلة يلجأ إليها إلا صلاة العصر الكائنة في وقت العمل، زاعماً أن فيها ضياعاً لحقوق صاحب المعمل، ورفع إليه الأمر...

فلما أحضره صاحب المعمل وسأله عن سبب تركه العمل أحياناً وقت الدوام، حدّثه أنه كان يصلي، وأن صلاته لا تستغرق إلا بضع دقائق، وأنه في هذه الصلاة يدعو للناس جميعاً، ويطلب لهم السعادة والخير.

فوقف صاحب المعمل ورفع قبعته عن رأسه احتراماً وقال له: «لا تترك صلاتك، وإني منحتك عشر دقائق»! وربَت على ظهره ثم ضاعف له راتبه.

قال أبو معاوية البيروتي: نقلتها من كتاب «الإسلام والمسيحية في لبنان» (ص١٣٢/ ط. ١٩٨٧م)، وإنه من المخجل أن يعامله صاحب المعمل هكذا، بينما بعض رؤساء العمل المسلمين (؟!) يتأفّفون من صلاة الموظفين وقت الدوام، هذا إن لم يمنعوهم... لكيلا يضيعوا وقت العمل بزعمهم!!

وبالمقابل أتذكر فرحاً ما رأيته أثناء زيارتي للإمارات أيار ١٩٩٧م، عندما كنت أذهب لصلاتَي الظهر والعصر في المسجد الوحيد البعيد عن عملي في منطقة (جبل علي) خارج دُبَي، فأرى عمّال مصنع يخرجون منه جميعاً في لباسهم الموحد ـ وهم يزيدون عن الخمسين ـ ويخرج معهم طاقم الإدارة، فيُقفلون المصنع ويتوجّهون كلّهم لأداء فريضة ربهم، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٧].

١٧٢٩ حكمة: التسرع يفقدك التركيز، ويُفقدك أشياءً كثيرة في الحياة!

لاحظ مديرُ مصنع خلال تجواله في المصنع شاباً يستند إلى الحائط ولا يقوم بأي عمل! اقترب منه وقال له بهدوء: كم راتبك؟ كان الشاب هادئاً ومتفاجئاً بالسؤال الشخصي، وأجاب: تقريباً ٥٠٠ دولار شهريًا يا سيدي، لماذا؟ بدون إجابة أخرج المديرُ محفظته وأخرج منها ٥٠٠ دولاراً نقداً وأعطاها للشاب، ثم قال: أنا أدفع للناس هنا ليعملوا وليس للوقوف! والآن هذا راتبك الشهري مقدّماً، اخرج ولا تعد!

أخذ الشاب المبلغ واستدار وأسرع في الابتعاد عن الأنظار دون أن يناقش حتى! نظر المدير إلى الباقين وقال بنبرة تهديد: هذا ينطبق على

الكل في هذا المصنع! من لا يعمل ننهي عقده مباشرة! بعدها اقترب المدير من أحد الموظفين الذين شاهدوا الحادثة، وسأله: من هو الشاب الذي قمت أنا بطرده؟ فرد الموظف ردًّا مفاجئاً: كان رجل توصيل البيتزا يا سيدي!!

١٧٣٠ الشاعر أبو حيّة النُّميري من أجبن العرب، وهاكم خبره المشهور مع كلب!

كان **أبو حيَّة الهيثم بن الرَّبيع النُّميريّ** شاعراً، وكان أجبنَ العرب وأكذبهم، فمن جُبنه خبره مع الكلب الَّذي دخل بيته، وهو خبر معروف.

قال جارٌ له: كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه «لعاب المنيّة»!! قال: فأشرفتُ عليه ليلة، وقد انتضاه، وهو واقفٌ على باب بيتٍ في داره، وهو يقول: إيهاً أيها المغترّ بنا، والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خيرٌ قليلٌ، وسيفٌ صقيلٌ، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورةٌ ضربته، لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك، لا أدخل بالعقوبة عليك، إني والله إنْ أدع قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله، ما أكثرها وأطيبها! ثم فتح الباب، فإذا كلبٌ قد خرج عليه، فقال:

الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني منك حرباً!!

• قرأتُ القصة في مجلة «ماجد» الإماراتية (العدد ١٨٨٦/ ١٥ نيسان ٢٠١٥م)، وبحثتُ عن أقدم مصدرٍ ذكر القصة فوجدته ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) في «الشعر والشعراء».

١٧٣١ الإعلام المعاصر.... بين تغييب العلماء وتلميع السقطاء!

إن مما يدعو إلى الأسى والحزن ما نراه من تغييب متعمّد لأولئك العلماء وسيرهم، بل وحتى وفاتهم عن واقع الإعلام المعاصر؛ فيا ليت شعري كيف يجازى أمثال هؤلاء الأعلام بهذا التجاهل المريب والصمت

الغريب الذي ربما فاق صمت القبور في الوقت الذي توجع الأسماع وتشق الأبصار وتطمس الفضائل والآداب برسم القدوات الكافرة والشخصيات الماجنة المنحرفة وتخليد ذكراهم وسيرتهم، بل فجورهم وانحطاطهم.

أرأيتَ لو كان المتوفى مطرِباً لامعاً ملأ الدنيا بفاحش القول ورخيص المعاني لوجدنا أن الإعلام الوفي لا يقرّ له قرار، بل يندب ويصيح ويبدئ ويعيد في ذكراه، وربما أنفقت الأموال الطائلة من أجل السبق إلى إعداد برنامج خاص عن حياة المغني الفلاني.

أرأيت لو كان المتوفى فناناً ساقطاً أو لاعباً فاشلاً في كل شيء إلا في اللعب، أو كاعباً لعوباً على أدنى المستويات هل سيبخل الإعلام بساعة أو ساعات للإشادة بهذا الفالح العظيم؟ أم هل ستبخل الصحافة بالمساحات الواسعة من أجل تغطية هذه النكبة التي تمر بها الأمة من جرّاء وفاة أحد التافهين؟

إن هذا غيضٌ من فيض الحضارة المادية وانقلاب المفاهيم الذي نعيشُه.

فحريٌّ بنا أن نقوم بواجبنا إزاء المخلصين من أبناء أمتنا من العلماء العاملين والدعاة المصلحين، فنعطّر التاريخ بسيرهم وأخبارهم، يتداولها الصغار والكبار، وتُروى ولا تُطوى، وندوّنها في سجلّ الخالدين أمثلةً طاهرة نقية، يحتذى بها على مرّ السنين.

• كتبه رياض الخليفي، ونقلته من «المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله».

١٧٣٢ ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾!

يُحكى عن رجل من المناقذة أصحاب شيرز ـ وهو أولهم ـ... وكان قبل ملكه إياها في خدمة محمود بن صالح صاحب حلب، وكان إذ

ذاك يلقَّب **بسديد الملك**، فنبا به مكانه وحدثت له حادثة أوجبت له أنْ هرب ومضى إلى مدينة ترابلس (أي طرابلس الشام) في زمن بني عمّار أصحاب البلد، فأرسل إليه ابن صالح واستعطفه ليعود إليه فخافه ولم يعد، فأحضر ابن صالح رجلاً من أهل حلب صديقاً لابن منقذ وبينه وبينه لحمة مودة أكيدة، وأجلسه بين يديه وأمره أن يكتب إليه كتاباً عن نفسه يوثّقه من جهة ابن صالح ليعود، فما وَسِعَه إلا أن يكتب وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هلك! فأفكر وهو يكتب في إشارة عمياء لا تفهم ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ، فأدَّاه فكره أن كتب في آخر الكتاب عند إنهائه «إن شاء الله تعالى»، وشَدَّد (إنّ) وكسرها، ثم سَلَّم الكتاب إلى ابن صالح، فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ، فلمَّا صار في يده وعلم ما فيه قال: هذا كتاب صديقي وما يغشَّني، ولولا أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لِمَا كتب إليَّ ولا غرَّني، ثم عزم على العود، وكان عنده ولده فأخذ الكتاب وكرَّر نظره فيه، ثم قال له: يا أبتِ، مكانك! فإنَّ صديقك قد حَذَّرك وقال: لا تعد، فقال: وكيف؟ قال: إنه قد كتب «إنّ شاء الله تعالى» في آخر الكتاب، وشَدَّد إن وكسرها وضبطها ضبطاً صحيحاً لا يصدر مثله عن سهو، ومعنى ذلك أنه يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، وإنْ شككت في ذلك فأرسل إلى حلب.

نقل القصة **ضياء الدين ابن الأثير (٥٥٨ ـ ٦٣٧هـ)** في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، ثم قال: وهذا من أعجب ما بلغني من حدة الذهن وفطانة الخاطر، ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة لما تفطن إلى مثل ذلك أبداً لأنه ضرب من علم الغيب، وإنما الخوف دَلَّه على استنباط ما استنبطه. اهـ.

وقال **ابن العديم** (ت٦٦٠هـ) في «زبدة الحلب من تاريخ حلب»: قيل: إن **ابن النحاس**، كاتِب محمود، كَتَب إلى **علي بن منقذ** ـ سديد

الملك، صاحب قلعة شيزر (ذكر ابن عساكر وفاته عام ٤٧٩هـ) ـ كتاباً من نفسه يضمن له الرضا عن محمود، وكتب في آخره: «إنّ شاء الله» وشدد النون من إنّ، ففطن (ابن) منقذ بأنه أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، فكتب جوابه: «إنّا الخادم»، وكسر الألف، وشدَّد النون من إنّا، ففطن **ابن النحاس** بأنه أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤].

وذكر القصة **ابن خلِّكان** (ت٦٨١هـ) في «وفيات الأعيان»، وقال: ... فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومَن بمجلسه من خواصه، فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه، فقال سديد الملك: إني أرى في الكتاب ما لا ترون، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال، وكتب في جملة الكتاب «أنا الخادم المقرّ بالإنعام» وكسر الهمزة من أنا وشدد النون (إنّا)، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سرَّ بما فيه وقال لأصدقائه: قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سديد الملك، وقد أجاب بما طيَّب نفسي؛ وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]. فأجاب سديد الملك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤] فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه؛ وهكذا ساق هذه الحكاية أسامة في «**مجموعه إلى الرشيد بن الزبير**» في ترجمة ابن النحاس.

١٧٣٣ دمشق... سنة ٢٠١٩م!!!

مرَّت مدّة الله أعلم بمداها، ثم صحوتُ فرأيتُ البلاد تغيَّرت ومَن عليها، فلم يعد هناك مقبرة ولا بساتين، بل شارع ضخم على جانبيه القصور الضخمة ذات العشرين طبقة، وأهله كلّهم يلبسون القبعات واللباس الأوروبي، فعرفتُ في الحال أنني في باريس!

اقتربتُ من أحد الناس فقلتُ له بالفرنسية التي أعرف منها شيئاً: بونجور. فصعَّد فِيَّ نظره وصوَّب، وتأمّلني باسماً متهكّماً، ثم سار ولم يردّ عليَّ شيئاً. فرجعتُ إلى نفسي فوجدتني غريباً في زيّي، وكيف لا يكون غريباً مَن يلبس الطربوش ومن لم يقص شاربَيه؟ فأسرعتُ إلى حلّاق فحلقتُ، واشتريتُ قبّعة، وخرجتُ أنظر متعجّباً، لا أجرؤ على السؤال عن اسم المدينة وعن تاريخ اليوم لِمَا لاقيتُ من الرجل الأول.

وأرى شيخاً هِمًّا (انظر تفسيرها في فقرة «الكناشة» (١١١٧)) فأتخيَّل أني أعرفه، وأتقرب منه فأجده صديقي فلان، وقد كانت سنّه حينما فارقته عشر سنوات، فأتعجّب من شيخوخته وشيبه وأنا أكبر منه ولا أزال شاباً! ولا أعرف بأيّ لغة أخاطبه فأقول له: السلام عليكم بونجور غودمورنينغ! فيردّ عليَّ قائلاً: وعليكم السلام ورحمة الله. ويعجب من سلامي، فأنتسب له فيعرفني ويهشّ لي ويقول: كيف عدتَ إلينا وقد حسبناك متَّ منذ تسعين سنة؟!

ـ إنّ لي لخبراً طويلاً، ولكن أخبرني قبلُ: في أيّ سنة نحن الآن؟

ـ في السنة ٢٠١٩ ميلادية.

ـ وما هذه المدينة؟

ـ عجيب منك، ألا تعرفها؟ هذه دمشق.

ـ دمشق؟ ماذا تقول؟ أرجوك أنْ لا تهزأ بي.

ـ جِدًّا أقول إنها دمشق.

ـ ومتى كان لدمشق مثل هذا الغنى وهذه العظمة والرقي؟

ـ لا تغترّ، فما لدمشق منه شيء، ولكنه شارع الأجانب، والأجانب ـ تجّاراً وصنّاعاً ـ هم سادة المدينة وعظماء أهلها ومالكو زمام أمورها.

ـ وماذا فعل أهلها؟ فلقد تركتهم على أبواب نهضة اقتصادية كبرى، ولقد أسّسوا معامل للدباغة والنسيج و. . .

ـ آه، لقد أذكرتني عهداً كنتُ له ناسياً، ولا يعرفه ممّن ترى غيري. إنّ ما تقوله صحيح، ولكن. . . آه! عمَّ أحدّثك؟ هلمّ، هلمَّ إلى أحد المقاهي فإنني لا أطيق الوقوف.

وندخل المقهى فتأتينا فتاة كأنها فلقة البدر تسأل طلبنا، ويجيبها رفيقي بلغة لا أدري ألاتينية هي أم لغة الصين، فتنحني قليلاً وتنصرف. فأقول له: ما هذه الفتاة؟ وبأي اللغات تكلمها؟

ـ إنك قطعت عليَّ حديثي الأول، ولكنّي مخبرك عن سؤالك، ليس مَن كلّمتَ بفتاة ولكنه شاب.

ـ شاب؟ شاب؟! وما هذا الشعر الطويل؟ وما هذه الثياب القصيرة؟ وما هذه الأصبغة؟ وما هذا الكحل في العينين؟

ـ نعم يا سيدي، إنه شاب، وهكذا كل الشبان اليوم، لا يعرفون إلّا التجمّل والرقة، أما الأعمال الكبرى والمشروعات العظيمة فكلّها بيد المرأة!

ـ ماذا تقول؟ أَبُدِّلَت الأرضُ غيرَ الأرض؟ أم قامت الساعة؟ أم طلعت الشمس من مغربها؟ أم ماذا؟

ـ إن شيئاً من ذلك لم يكن، ولكن هذه «الموضة» التي بدأت، بدأت في زمانكم بحلق شاربَي الرجل وشعر المرأة، وحضورها في الكلّيات وعقدها المجامع، واشتغاله بالزينة وعكوفه عليها، قد جرّنا إلى ما ترى، وما خفي عنك أعظم! وأمّا هذه اللغة فما هي إلّا خليط من اللغة العاميّة واللغات الأجنبية، وأما الفصحى فلم يعد يعرفها إلّا المنقطعون لدراستها، وقليلٌ ما هم! ودعني أتمّ لك حديثي الأول: إنّ هذه النهضة الاقتصادية التي بدأت في زمنك، والتي سارت سيراً حسناً

حينما أقبل الطلّاب على مساعدتها، لم تلبث أن ركد ريحها وتقاربت خطاها لانقطاع الناس عن مساعدتها ومثابرتهم على شراء البضائع الأجنبية، فضعفت، ثم اضمحلّت فلم يبقَ لها أثر. وخلا الجو لقُبَّرة أوربا، ولكن لا صائد لها!

وهنا جاءت (أو جاء) الكارسون بقدحين من الخمر، فقلتُ: خمر؟ أأنا أشرب الخمر؟!

ـ مهلاً يا أخي، فما في المدينة شراب سواه، وإنّ هذه الحانات التي كانت في زقاق رامي (الذي يُرى اليوم في مخططات دمشق الأثرية) وإهمال الحكومة أمر إغلاقها وتحريم تعاطي ما فيها قد سَبَّب لنا هذا البلاء العام والشر المستطير.

ـ ولكني لا أشربه.

ـ ولماذا؟

ـ عجيب! أليس بحرام؟

ـ حرام؟ هاهاها! ما بقي مَن يقول حرام وحلال.

ـ ماذا؟ وهل ذهب الدين؟

ـ أليس لك بذهابه علم؟ هاك المسجد الأموي، لا يدخل إليه إلّا المتفرِّجون، لا المصلّون. ولا تعجب من هذا، فإنك تعرف أنّ شبّان زمانك كانوا يتهاونون بأمور الدين ويتغافلون عنها، وسار أولادهم في طريقهم، فنشأ هذا النشئ الذي لا يعرف من الدين إلّا الاسم!

وطلب إليّ صديقي أن أقوم معه لندور في المدينة، فامتطينا سيارة، فرأيتُ ميداناً عظيماً فيه تمثال، فقلتُ له: تمثال مَن هذا؟

ـ ليس تمثالاً لبشر، ولكنه تمثال الحرية.

ـ وما تمثال الحرية؟

ـ هو. . .

وهنا صدمتنا سيارة أخرى، فصحتُ: وارأساه!

ففُتِح عليَّ الباب، وأفقتُ فإذا أنا في الفراش، وإذا هي دمشق لا باريس، وسنة ١٩٢٩ لا سنة ٢٠١٩، لا بنايات ولا تماثيل، ولا تهتك ولا إلحاد، وإذا كلّ ما رأيت رؤيا منام وأضغاث أحلام!

• سطرته يراع الأديب أبو بنان علي الطنطاوي الدمشقي (١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م) رَحِمَهُ اللهُ ضمن الرسالة الثالثة من رسائل «في سبيل الإصلاح» التي صدرت في دمشق في رجب سنة ١٣٤٨هـ (كانون الأول ١٩٢٩م)، ونقلتها من كتاب «البواكير» الذي جمعه سبطه مجاهد ديرانية.

وقال الطنطاوي في مقالته «فكِّروا: لماذا؟» (المنشورة سنة ١٩٧٢م): . . . هل نحنُ اليوم أقرب إلى الإسلام أم قبل خمسين سنة؟ مَن كان يقدر أنْ يتصوّر يومئذٍ أننا سنصير إلى ما صرنا إليه اليوم؟ وما لي أفرض الفروض وأقدِّر الوقائع، وعندي رسالة لي مطبوعة سنة ١٣٤٨هـ عنوانها «**دمشق بعد تسعين سنة**» صوّرتُ فيها بخيال شبابي الجامح أغرب ما وصل إليه خيالي، فإذا الذي حدث فعلاً في خمسٍ وأربعين سنة يسبق ما تخيّلتُ وقوعه في تسعين سنة! نعم؛ والرسالة مطبوعة موجودة، وحالنا قائم وملموس.

فائدة: على نسق مقالة الطنطاوي، كتب أحد «وجهاء» بيروت من آل عيتاني «بيروت عام ٢٠٠٠»، وأودعها في كتابه «مذكرات بيروتي» الذي طبعه عام ١٩٥١م، ويرجح عندي أن كاتبها قد قرأ مقالة الطنطاوي وشابهه في أسلوب الكتابة.

١٧٣٤ حمار يسوق سيارة!!!

قال الشيخ الأديب **علي الطنطاوي** رَحِمَهُ اللهُ: رأيتُ مرة دبًّا يركب الدراجة على المسرح، وسمعتُ عن كلاب تحمل السِّلال وتغدو على

السوق فتشتري الفاكهة، وفي كتاب «كليلة ودمنة» أخبار من ذلك، ولكن أعجب هذه الأخبار وأبعدها في الإغراب أن يسوق حمار سيارة! وما كنتُ لأصدِّق ذلك لولا أن رأيته أمس بعيني، وكاد يدعسني! لا، لا تظنّوا أني أمزح أو أتخيّل، إني لا أصف إلا ما جرى. . . كان حماراً شابًّا، عليه مظاهر الدلال، وكان منتفخاً مغروراً قد رفع أذنيه من الكِبْر ولوى ذَنَبه من الغرور، وكيف لا يغتر الحمار إذا رأى نفسه مالك السيارة البويك صنع ١٩٥١م (وهي سنة كتابة المقالة)، وبنو الشيخ آدم رحمه الله يمشون على الأرض؟ ولكنّ الحمار حمار ولو ساق السيارة، لذلك ترك يمين الطريق وأخذ شماله، وجاءت سيارة من أمامه تمشي على الطريق السوي، فاضطرب الحمار السائق وصار يكبس أزرار السيارة بقوائمه الأربع، فصعدت الرصيف، وصدمت الرجل، ثم دخلت دكان الخضري. ولم يستحِ ولم يعتذر كمن يعتذر مَن في نفسه أدب، إنما نزل من السيارة وجعل ينهق في وجه الخضري ويسبُّه باللسان الحماري لأنه لم يترك شوارع البلد كلها ويفتح دكانه في هذا الطريق إلّا ليصدم السيارة. هذا هو المشهد الذي شهدتُ، وشهده معي عشرات من الناس. وأنا ـ مع تقديري لهذه البراعة في تدريب الحيوان على أعمال الإنسان ـ أرجو ألّا تأذن الحكومة لحمارٍ بعد اليوم أن يسوق سيارة، خاصة على الطرقات العامة. . . ولو غضب من ذلك حضرات السادة الحمير!

• نقل السابق سبط المؤلّف مجاهد مأمون ديرانية في كتابه الذي ترجم فيه لجدِّه (ص٥٨/ ط. دار القلم).

١٧٣٥ هل يُعقَل أنْ توجَد مثل هذه الإذاعة؟!

تحدث الأستاذ عبد الغني العطري (١٣٣٧ ـ ١٤٢٣هـ/ ١٩١٩ ـ ٢٠٠٣م) في كتابه «دفاع عن الضحك» (ص٢٢٢/ ط. البشائر ـ دمشق) أنّ القلق والتوتر العصبي وارتفاع ضغط الدم وغيره سببه ـ أو تعود

جذوره ـ إلى الإذاعات! فلا تخبرنا إلّا بالمصائب، فما هو الحل؟ قال: أحد القادمين الجدد من إيطاليا حدّثني أنّ الحكومة هناك وجدت الحل المناسب لهذه المشكلة التي يعاني منها العالم كله، قال إن الدولة أنشأت هناك إذاعة محلّية من نوع جديد.. إذاعة لا تبثُّ إلّا الأخبار السارة والمفرحة!

هذه الإذاعة لا تذيع أخبار المعارك والحروب وضحاياها... (ولا أخبار السياسة والقتل والسرقة والحوادث والفواجع والوفيات... إلخ)، ممنوعٌ فيها إذاعة أيّ خبر مزعج يثير الأعصاب ويرفع ضغط الدم، ويبعث القلق والألم والغثيان، أخبار هذه الإذاعة تقتصر على الحفلات والأفراح والمناسبات السعيدة:

فلان تزوج من فلانة، فلان أقام حفلاً بهيجاً، فلان نجح في عمل أو فحص، أو كسب جائزة. العالم الفلاني اخترع علاجاً لداء.. أنباء عن فتح مدارس جديدة وتدشين مستشفيات لمساعدة المرضى وإسعادهم، أنباء عن بناء جسور وإقامة مشاريع خيرية إنسانية، وافتتاح معارض، وتأليف كتب وروايات، وكتابة مقالات وقصص مفرحة، لا تدخل الهم والغم إلى القلب...

تلك هي بعض برامج الإذاعة التي نحن بصددها، والتي نتمنّى لو كان في وطننا العربي إذاعة قوية مماثلة لها!

وقد يقول قائل: وما فائدة هذه الإذاعة؟ وهل باستطاعة الإنسان الذي تدور المعارك حوله، ويقتتل إخوته وأبناء عمومته، وتحدث حوله الانقلابات واختطاف الطائرات، والمجاعات، وخنق الحريات، وتزوير الحقائق، ويظل بعيداً عنها لا يسمع أنباءها ولا يعرف تفاصيلها؟

والجواب: أن الأعصاب قد تحطّمت، وأوشك الناس أن يُصابوا بالانهيار العصبي، فضلاً عن ارتفاع ضغط الدم والقلق والألم... ومن

الخير لمن يريد إراحة أعصابه، ويستطيع البعد عن هذه الأجواء المحمومة، أنْ لا يستمع إلّا إلى الإذاعة التي نحلم بها، والتي نتمنّى من الأعماق أن تتحقّق. **٢ حزيران ١٩٨٥م**. اهـ.

قال العلّامة **ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ - ضمن كلامٍ طويلٍ له -: . . . اجعل هذه نصب عينيك دائماً؛ أي: أن الله عَزَّ وَجَلَّ يريد منك أن تكون دائماً مسروراً بعيداً عن الحزن... حاول أن تبتعد عن كل شيء يجلب الهمّ والحزن والغم، لتكون دائماً مستريحاً منشرح الصدر، مقبلاً على الله وعلى عبادته وعلى شؤونك الدنيوية والأخروية، فإذا جربت هذا استرحت.

وانظر كلامه بتمامه في «الكناشة» (٤٨٢).

١٧٣٦ الأُمّهات خمسٌ:

قال العلّامة الأديب **جميل بن مصطفى العَظْم** (١٢٩٠ - ١٣٥٢هـ/ ١٨٧٣ - ١٩٣٣م) - عضو المجمع العلمي العربي بدمشق - في كتابه «الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات» (ص١١٤/ ط. دار البشائر الإسلامية): وجدتُ على ظهر نسخة ملكتها من «النفحات القدسية في الفروع الفقهية» لعبد المعطي بن سالم بن عمر الشبلي السملاوي، من علماء القرن الثاني عشر - ألّفه سنة ١١١٥هـ :

فائدة: الأمّهات خمس:

- أُمّ ما خُلِقَت؛ وهي الفاتحة.

- وأُمٌّ ما وُلِدَت؛ وهي حواء.

- وأُمٌّ ما وَلَدَت؛ وهي عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

- وأُمٌّ ما نُكِحَت؛ وهي مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

- وأُمٌّ ما أَكَلَتْ؛ وهي مكّة أُمُّ القرى.

١٧٣٧ ذَهَبتُ للسوقِ عزباء... ورجعتُ مطلقةً ومعي أولاد!!

قالت فتاة سعودية: كنت مرّة أتسوق مع أخواتي الصغار في (المول/ Mall)، وكان هناك شاب يغازلني، وجلس يلاحقني من مكان لمكان، إلى درجة صار يقول ألفاظاً غير لائقة من غزل وغيره، إلى أنْ (طفشت) من حركاته وملاحقته وإزعاجه..! فنزلتُ عليه بأنواع السبِّ والشتم! وبدأ الناس يلتفتون علينا، ولَمَح هذا الشاب «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» قادمةً ومعها جهاز أمن المتجر، فصار عرقه يتصبب من الخوف، وفجأةً قام الحقيرُ وضربني على وجهي كفًّا!!

وقال: أنتِ طالق! طالق!! طالق!!!

وبدأ يمشي بسرعة كأنه غاضب، وخرج من المتجر أمام «الهيئة» والناس، ولا أحد كلَّمه بشيء!!

الناس صَدَّقَت أنه زوجي! و«الهيئة» تركته ومشت، وأنا من القهر منه بقيت أبكي من الصدمة! وقلت له: «أنتَ تَطَلِّقْني!» بصوتٍ عال، والذي كنتُ أقصده أنه: «أنت مَن تكون عشان تطلقني؟!» يعني أنت لست زوجي أصلاً..!

لكنَّ الناسَ فهموا أنه زوجي، وصاروا يهدؤوني! ويقولون لي: «حرام عليكم! أين يروحون الأطفال؟؟» يقصدون أخواتي الصغار!

حسبي الله عليه!

البنات يروحون على (المول/ Mall) ليُخْطَبوا، وأنا ذهبتُ بنتاً وأرجع مطلقة..!! ومعي عيال كمان!!

١٧٣٨ يوم جاء الناسُ الشيخَ علي الطنطاوي أفواجاً يعزّونه... بوفاته!!

قال الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: جاءني مرة ـ وكنت في عنفوان الشباب أكتب في أوائل كتاباتي في الرسالة (عام ١٩٣٣م) ـ ثلاثة من

الغرباء عن البلد، لم يعجبني شكلهم، ولم يطربني قولهم، فوقفت على الباب أنظر إليهم فأرى الشكل يدل على أنهم غلاظ، وينظرون إليّ فيرون فيّ (ولداً)، فقالوا: هذه دار... فضيلة الشيخ الطنطاوي؟

قلت كارهاً: نعم.

فقالوا: الوالد هنا؟

قلت: لا.

قالوا: فأين نلقاه؟

قلت: في مقبرة الدحداح على الطريق المحاذي للنهر من جهة الجنوب.

قالوا: يزور أمواته؟

قلت: لا.

قالوا: إذن؟

قلت: هو الذي يُزار.

فصرخ أحدهم في وجهي صرخة أرعبتني وقال: مات؟! كيف مات؟!

قلت: جاء أجله فمات.

قالوا: عظَّم الله أجركم، إنا لله وإنا إليه راجعون، يا خسارة الأدب.

قلت: إن والدي كان من جل أهل العلم ولكن لم يكن أديباً...

قالوا: مسكين أنت لا تعرف أباك.

وانصرفوا وأغلقتُ الباب وطفقتُ أضحك وحدي مثل المجانين، وحسبت المسألة قد انتهت فما راعني العشية إلا الناس يتوافدون عليّ فأستقبلهم، فيجلسون صامتين إنْ كانوا لا يعرفون شخصي، ومن عرفني ضحك وقال: ما هذه النكتة السخيفة؟! قلت: أي نكتة؟ فأخرج أحدهم

الجريدة وقال: هذه! هل تتجاهل؟! فأخذتها، وإذا فيها: **نعي الكاتب الـ... كذا وكذا.. علي الطنطاوي!!**

● «من حديث النفس».

١٧٣٩ ما قيل عنها أنها (عجائب الدنيا السبع)، هل تُعَدّ في عصرنا عجائب؟!

قال الأديب **محمد رجب البيومي** في كتابه «طرائف ومسامرات» (ص٦٦/ ط. دار القلم): عجائب الدنيا السبع كانت عجائبَ حقًّا من آلاف السنين، أما الآن فلا عجائب بعد أنْ صعد الإنسان إلى القمر، وبعد أنْ رأى الصين واليابان وأمريكة وأقصى بقاع الأرض وهو في مصر أو جدّة، ينتقل بين محطات التليفزيون بإصبعٍ واحدة!

والعجائبُ السبع القديمة هي: هرم خوفو الأكبر بمصر، وحدائقُ بابل المعلّقة في العراق، وتمثال زيوس باليونان، ومعبد ديانة في تركية، وقبر الملك موسولوس في تركية أيضاً، وتمثال أبولو في جزيرة رودس، ومنارة الإسكندرية بمصر.

والذي تحدّث عن هذه العجائب وحصرها في هذه السبعة عالمٌ بيزنطيٌّ قديم اسمه (**فيلون**) اشتُهِر برحلاته في العالم القديم، وزار أكثر بقاع الأرض (قال أبو معاوية البيروتي: الأصوب أنْ يُقال: وزار أكثر بقاع الأرض المعروفة في ذاك الزمان)، فجعل هذه الأشياء السبعة عجائبَ الدنيا التي رأتْها عيناه! وقد عاش قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمئةٍ وخمسين عاماً، وألَّف كتاباً عن هذه العجائب طار ذكره، وجعلها حديثَ الناس!

ولو رجع فيلون إلينا اليوم، وركب الطائرة، ليرى هذه العجائب في يومٍ أو يومين! لمزَّق كتابَه، وتلا قول القائل:

ولكنها الأيامُ قد صِرْنَ كلُّها ... عجائبَ ليس فيها عجائبُ. اهـ.

قال البيروتي: والبيت لشاعر عصره أبي تمّام حبيب بن أوس

الطائي (ت٢٣١هـ)، وهو موجودٌ في ديوانه، ونقله عنه المبرد (ت٢٨٥هـ) في «الكامل» وابن داود الأصبهاني (ت٢٩٧هـ) في كتاب «الزهرة».

١٧٤٠ للأسف، العقول العربية النابغة لا يُعتنَى بها في كثير من الدول العربية!

ذكر الأستاذ محمد رجب البيومي (١٩٢٣ ـ ٢٠١١ م/١٤٣٢هـ) في كتابه «طرائف ومسامرات» (ص٩٠/ط. دار القلم) الشيخ **رمضان السيد أحمد رزق**، إمام مسجد قايتباي، وكان ضريراً، لكنه يتمتع بذاكرة واعية عجيبة، وقدرة فذّة على تحقيق نتائج أضخم العمليات الحسابية! بما في ذلك القسمة والضرب بالأعداد الصحيحة والكسور الاعتيادية والعشرية في حدود خمسة أعداد في خمسة أعداد! وكان قد التقى به سنة ١٩٥٦م، ثم قرأ عنه مقالات تُثني على ذكائه الخارق في بعض المجلات المصرية سنة ١٩٥٧م، ثم قال: وأذكر أن صديقي د. **أحمد الشرباصي** (ت١٤٠٠هـ) عقد عنه فصلاً في الجزء الثاني من كتاب «في عالم المكفوفين» قال في نهايته: «إنه من التقصير المعيب في حقّ هذا الشيخ المكفوف أن يظلَّ هكذا بدون تدريب أو استغلال، ومن الميسور أنْ يتعلَّم **رمضان** طريقة (برايل) ويدرسَ عن طريقها كثيراً من العلوم والمواد، ويستطيع بذلك أنْ يخدم وطنه خدماتٍ كثيرة.. لو كان الشيخ رمضان في بلدٍ غربي لعُنِيَت به الدولة والجماعات، ولجعلوا منه أعجوبة، وفجّروا في نفسه ينابيع العبقرية والموهبة».

وكانت كلمة الشرباصي صرخةً في واد؛ لأن الرجل انتقل إلى رحمة الله دون أدنى اهتمام. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ضُرِب هذا المثال منذ أكثر من خمسين سنة، واقرأوا مثالاً معاصراً لإهمال العقول العربية النابغة في ترجمة د. **ليلى عبد المنعم** في الفقرة التالية من «الكنّاشة»، وذكر البيومي قصة

المهندس الشهير (سند بن علي) الذي نبغ وهو شاب في علم الهندسة، ووصل خبره إلى الخليفة العباسي المأمون، فأجرى له رزقاً كبيراً، وأمره بملازمة العباس بن سعيد الجوهري كبير المهندسين يومئذٍ، وروى قصته أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٤٠هـ) في كتاب «المكافأة» (ص١٤٠/ تحقيق محمود شاكر)، وذكره ابن النديم في «الفهرست» فقال: **سند بن علي اليهودي**، ويكنى أبا الطيب،كان أولاً يهوديًا، وأسلم على يد المأمون، وكان منجماً.

فائدة: كان من رقي الحالة العلمية ببغداد آنذاك أنْ كان للمهندسين مجلس يجتمعون فيه، ففي «المكافأة» (ص١٤٢) سأل سند بن علي: هل للمهندسين والحسّاب موضعٌ يجتمعون فيه؟ فقيل له: لهم مجلسٌ في دار العباس بن سعيد الجوهري تِرْبِ المأمون، يجتمع فيه وجوه العلماء بالهيئة والهندسة.

١٧٤١ د. ليلى عبد المنعم، نابغة مهملة عربيًّا مقدَّرة أجنبيًّا!!

ولدت المهندسة **ليلى عبد المنعم** في مصر عام ١٩٤٩م، وفي المرحلة الإعدادية ابتكرت نظرية هندسية فُوجِئ والدها بأنّها أضيفت للكتب المدرسية في العام التالي باسم المدرس الأول للمادة، فظلَّ يتابع نشاطها وابتكاراتها، وأَلْحَقها بعد حصولها على الثانوية العامة بأحد معاهد التكنولوجيا في حلوان. وتابعت المهندسة ليلى مسيرتها العلمية حتى حصلت على شهادة الدكتوراه في الهندسة الميكانيكية والهيدروليكية، ثم عملت مهندسة أولى ورئيسة قسم التصميم والتنفيذ بمرفق مياه القاهرة، وتعمل حاليًّا مستشارة لشركة كندية بفرعها في القاهرة. هذا وترأست «نادي المخترع الصغير» الذي أصبح اسمه الآن «أندية العلوم» لأكثر من ثلاثة عشر عاماً، ومن أهم الاختراعات التي توصّلت إليها هي «بحيرة صناعية» بها ركائز لإطلاق المركبات الفضائية

للقضاء على التلوث البيئي، أما فكرة «الإنسان الآلي» المخصّص للبحث عن المتفجرات فلقد حصلت على وسام وزارة الداخلية باعتباره أفضل اختراع مضاد للألغام؛ كذلك اخترعت «إطاراً للعجلات» من النوع الصلب المدعم الممتص للصدمات، كما ابتكرت «سيارة مضادة للانفجار». وفي مجال الطب: اخترعت ماكينة لاقتلاع الأسنان، وجهاز الشخير «الكمامة»، و«أنبوبة الأكسجين»، و«جهاز قياس إجهاد القلب رياضيًّا»، و«ماكينة لقص الجبس»، وغيرها من الاختراعات الكثيرة... ورغم أن رصيدها من الاختراعات تخطّى المئة اختراع في جميع المجالات؛ فإن أكاديمية البحث العلمي في مصر لم تقدِّم لها براءة اختراع واحدة، فتسابقت الشركات الإنجليزية والألمانية إلى التعاقد معها لتنفيذ مخترعاتها في الوقت الذي لم تتعاقد فيه معها أية جهة مصرية!!

من مؤلفاتها: «طريقك للاختراع» أحد كتب أُمّ المخترعين، ولقد تعاقد القائمون على مؤتمر غلوبل لترجمته، وحقّق هذا الكتاب نسبة عالية من التوزيع على مدى سبع سنوات، أما الكتاب الثاني لها فهو يحمل عنوان: «بيئة خالية من التلوث»، تتحدث فيه عن التلوث بكل أشكاله، حتى التلوث السمعي وطرق الحماية منه.

• كتبته منال المغربي، وانظر للفائدة الفقرة السابقة: «**للأسف، العقول العربية النابغة لا يُعتنَى بها في كثير من الدول العربية!**».

١٧٤٢ الكتابات السرية المعروفة بالشفرة، وكيفيتها عند العرب واستخراجها:

قال الأستاذ **محمد كرد علي** (ت١٩٥٣م) في مقال له بعنوان «الخزانة الزكية»: أهم المخطوطات في هذه المكتبة (مكتبة العلامة أحمد زكي باشا/ت ١٩٣٤م) مجموعة كاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الآن بالشفرة وكيفيتها عند العرب واستخراجها. قال صاحب هذه الخزانة: وكان العرب تسمّي هذا الفن

بفن الترجمة ورحل التراجم وحل المترجم والذي يشتغل بذلك المترجِم (بكسر الجيم)، ولذلك ترى المؤلفين الأقدمين مثل ابن النديم وغيره عندما يتكلمون عن الكتب المنقولة عن اليونانية والفارسية يستعملون في الغالب لفظة النقل ولا يستعملون لفظة المترجم ولا الترجمة إلا نادراً.

ولـمّا كان هذا العلم خفيًا خاصًا بأسرار الحكومات الإسلامية فكان مضنوناً به ولا يصِل الجمهور إليه، فلذلك جهل كثير من الناس معنى هذه الكلمة، حتى أنَّ كتبَ اللغة لا تشير إليها، بل إن شرّاح المقامات (عندما أشار الحريري إليها في إحدى مقاماته) جهلوها ولم يفسروها وتمحلوا فيها، بل إنّ صاحب «لسان العرب» نفسه لم يذكرها وكان عارفاً تمام المعرفة بهذا الفن، وكان هذا الفن مستعملاً في الدولة الإسلامية من أيام المأمون إلى الحروب الصليبية، فأخذ الإفرنج عن المسلمين الذين أخذوا مبادئه عن اليونانيين ثم رَدَّه الإفرنج إلينا. ولجهلنا بمعارف أهلنا اخترناه باسمه الجديد عند الإفرنج وهو (**الشفرة/ Cypher**) التي نقلها الإفرنج عن كلمة صفر العربية واستعملوها بمعنى الأرقام؛ لأنهم استخدموا الأرقام بدلاً من الحروف في الكتابات السرية، ثم إننا جعلنا بدلاً من الشفرة لفظة الجفر لتقارب المخرجَين خصوصاً وإنّ الجفر كان يستعمل في الألغاز بالحوادث المستقبلة، فصار من هناك شبه علاقة جعلت العامة تعتقد أن الجفر المستعملة الآن هي مأخوذة من لفظة جفر المستعملة في كتابة الملاحم، والصواب غير ذلك.

• مجلة «المقتبس» (العدد ٧٩/ بتاريخ: ١/ ٩/ ١٩١٢م).

١٧٤٣ طرائف من تاريخ البريد:

كان القدماء يكتبون بالحليب في الرسائل السرية فلا يظهر له أثر، فإذا ذرُّوا عليه رماداً ساخناً من رماد القراطيس المحروقة ظهرت الكتابة في الحال.

وكانوا يكتبون بمرارة السلحفاة فلا تقرأ الكتابة نهاراً، ولكنها تقرأ في الليل بكل وضوح.

وكان القوّاد غلاظ القلوب، يستخدمون الرؤوس البشرية في كتابة الرسائل: يحلقون شعر الرسول ثم يكتبون عليه الرسالة بالوشم، ويتركون الشعر ليطول أو يغطون الرأس بشعر مستعار ثم يرسلونه، وعندما يقرؤون الرسالة المكتوبة على الرأس يقطعونه!!

ويروي المقري أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء، إنْ قُرِأَت في ضوء السراج كان لونها فضيًّا، وإنْ قُرِأَت في الشمس كان لونها ذهبيًّا، وإنْ قُرِأَت في الظل كانت حبراً أسود!!

- كتبه العضو (ابن سنيّن) في موقع «منتديات مطير التاريخية».

١٧٤٤ اقرأ هذه المعلومات المدهشة عن عالم الحيوان... وسَبِّح الله الخالق!

١ ـ **الفهد** أسرع الحيوانات البرية، ويمكنه أن يطارد فريسته بسرعة تبلغ ١١٠ كلم/الساعة.

٢ ـ أنثى **الفيل** صاحبة أطول فترة حمل، حيث تبلغ فترة حملها من ٢١ إلى ٢٢ شهراً.

٣ ـ **الزرافة** أطول حيوان يسير على الأرض، ويبلغ ارتفاعها أكثر من خمسة أمتار.

٤ ـ تُعَدُّ حَيَّة **(الأناكوندا)** ـ التي تقطن أمريكا الجنوبية ـ من أطول الثعابين على الأرض، إذ يصل طولها نحو تسعة أمتار.

٥ ـ حيوان لا يقتله السم! **النِّمْسُ** يستطيع اصطياد كل أنواع الثعابين بما فيها ثُعبان الكوبرا السامة ولا يتأثر بسمّها الذي يمكن أن يقتل فيلاً!

٦ ـ لسان حيوان **آكل النمل** يصل طوله إلى ٦٠ سنتيمتراً.

٧ ـ لا تتعثر **العناكب** في خيوطها المتشابكة؛ لأنّ أرجلها مُغَطّاة بطبقة من زيتٍ معيّن تنتجه أجسامها.

٨ ـ أكبر بيضة بين الطيور هي بيضة **النعامة**، إذ يصل طولها إلى نحو ١٥ سنتيمتراً، ويصل وزنها إلى نحو ١،٦ كيلوغراماً.

٩ ـ أصغر طائر هو **الطنّان** الذي لا يزيد طوله على ٥٧ مليمتراً ويبلغ وزنه نحو ثلاث غرامات فقط! ولكي يستطيع أن يبقى معلّقاً في الهواء في موضع واحد ليمص رحيق الأزهار يضرب الهواء بجناحيه نحو خمسين مرّة في الثانية الواحدة تقريباً.

١٠ ـ أسرع انقضاض لطائر هو **للصقر الجوّال** (أو **الشاهين**) الذي ينقض على فرائسه بسرعة تصل إلى نحو ١٨٠ كلم/الساعة!

١١ ـ أطول رحلة هجرة في عالم الطيور يقوم بها **خَطّافُ الماء** (أو **الخَرْشَنَة**)، إذ يطير كل سنة في أواخر الصيف من أقاصي شمال كَنَدا إلى المنطقة القطبية الجنوبية، فإذا انتهى الصيف عاد إلى الشمال، وبهذا يقطع في رحلة الذهاب والعودة نحو (٣٥,٤٠٠) كيلومتر!

١٢ ـ أشدّ البرمائيات سُمًّا هو **ضفدع السهم الذهبي**، والكمية الموجودة تحت جلد ضفدع واحد تكفي لقتل ألفَي شخص تقريباً!!

١٣ ـ أكبر عش في العالم تصنعه **حشرة الأَرَضَة (النمل الأبيض)**، إذ يمكن أن يرتفع إلى ما يَقْرُب من خمسة أمتار، وتبنيه الأَرَضَة من التراب والفُتات المخلوط بلعابها فقط، وهو عبارة عن متاهة من الحُجُرات والأنفاق المبنية بنظام مدهش، ومُقَسَّمة إلى أماكن لتخزين الطعام، وأخرى لحفظ البيض وتربية الصغار، وحدائق لتربية نباتات خاصة يتغذّى عليها النمل، ومداخن لدخول الهواء وخروجه، ويضم هذا البرج السكني العظيم ما يزيد على مليون نملة!!

• قال أبو معاوية البيروتي: سبحان الله القائل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقد انتقيتُ المعلومات السابقة من كتاب «معلومات مدهشة/ الحيوانات والطيور» لسلامة سلامة (ط. سفير/ القاهرة).

١٧٤٥ تجربة الشاعر أحمد شوقي (ت١٣٥١هـ/١٩٣١م) مع الخمر!

قال الأديب الدرزي **خليل تقي الدين** (١٣٢٤ ـ ١٤٠٧هـ/ ١٩٠٦ ـ ١٩٨١م) في كتابه «خواطر ساذج» (ص١٤٤/ ط. نوفل): في إحدى العشيات كنا عصبة من الأدباء والمتأدّبين جالسين إلى أمير الشعراء في «مقهى النجار» على **ساحة البرج في بيروت**، وشوقي على عادته صامت لا يتكلم، يبتسم للجميع ويرد على عبارات الاطراء والمديح التي تُوَجَّه إليه بابتسامة حييّة وهزّة رأس خفيفة، وكنّا نعرف عنه أنه ـ حتى حين يكون بين الناس ـ يعيش في دنياه، دنيا في داخله، حميمة خاصة به، مع أوزانه وقوافيه وصوره وشعره جميعاً، فكنّا نحترم صمته ولا نكلّمه إلّا إذا بادرنا هو بالكلام، ونادراً ما يفعل.

فلمّا جاء الغلام يسأل الجلّاس ماذا يريدون أن يشربوا **طلب شوقي كأساً من البيرة**، ثم مال على الخادم وقال له: «... تأتيني بالزجاجة كما هي، وتصبّها هنا أمامي»، هذا ونحن ننظر ونعجب، فقد كنّا نعرف أنّ شوقي لا يذوق الخمر، وإنْ تكن الجعة خفيفة الكحول! وعاد الغلام بزجاجة البيرة فملأ كأس أمير الشعراء، ولكن شوقي لم يدنُ الكأس من شفتيه، بل رفعها بيمناه وأدناها من أذنه وأصغى، ثم طاف على ثغره خيال ابتسامة، وفي عينيه شبه بريق، فازددنا عجباً، وقال أحدنا: «ماذا يا باشا؟» وكان الجميع يخاطبونه بهذا اللقب، **فأعاد شوقي الكأس إلى مكانها على الطاولة ولم يجب**، ولكنّه ظلَّ يبتسم.

فألححنا عليه في السؤال، فقال: «نظمتُ اليوم مقاطع من «مجنون ليلى» فيها هذا البيت:

وأُذنُ المغنّي تحسّ الخفوت ... وتسمع في الكأس جرس الحبب

فأردتُ أن أتأكّد من أن للفقاقيع ـ الحبب ـ التي تعلو الكأس جرساً وهي تتكسر، أي صوتاً خافتاً، وقد حصل والحمد لله!».

قال أبو معاوية البيروتي: **كان يجب على شوقي أن ينكر المنكر أو يغادر الطاولة التي عليها خمر لقول رسول الله ﷺ:** «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها بالخمر**»! (رواه الترمذي وحسنه الألباني). لا أن يقرّهم على منكرهم بطلبه قنينة خمر (لحاجة شعرية)!! ورحم الله الشيخ **علي الطنطاوي**، فقد قال في «الذكريات» (٢/ ١٣): «ما كنت أسكت عن منكر أراه ولا أستكبر أحداً عن أنْ أنكر عليه، جاء **شوقي** أمير الشعراء دمشق مرة، فأغراني **أنور العطار** رحمه الله بأن أذهب معه لزيارته، وكان في فندق خوام الذي هُدم وصار مكانه شارعاً. فوجدنا بشارة الخوري وشبلي الملاط وشفيق جبري وحليم دموس، ومجموعة من الشعراء من هذه الطبقة، وأمامه ـ أحمد شوقي ـ **مائدة عليها أواني الخمر! وكنت أحمل عصاً فمددتها ومشيتها على وجه المائدة، فحذفتُ كلَّ ما كان عليها فكسرته!** وتستطيعون أن تتخيلوا ماذا صار! اختلطت بهم كاختلاط الزيت بالماء لا كاختلاط الماء بالخل».

١٧٤٦ ذكريات سمين سابق!!

هذا عنوان كتاب ظريف للإعلامي السعودي تركي الدخيل، حكى فيه معاناته عندما كان وزنه ١٨٠ كيلوغراماً، واستطاع تخفيضه إلى قرابة تسعين كيلوغراماً، فيحكي في كتابه عن مواقفه الطريفة والمؤلمة التي سببتها له سمنته؛ كاضطراره لحجز مقعدين كلما سافر بطائرة، أو عندما تحطم كرسي الحمام به في بيروت (وقال بعد الحادثة: كنت أمشي وأنظر في الأرض، مع أن لبنان بلد يلزمك بأن تبقي عينيك مفتوحتين حتى لا

تفوت جميلاً ولو بمجرد أن ترمش!!)، أو كفوزه دائماً بالمقعد الأمامي في السيارة جراء سمنته.

وتحدث عن آلامه وجرح الناس له في تعليقاتهم على سمنته، وذكر إحصائيات عن خطر مرض السمنة في أميركا وغيرها، وذكر بعض المواقف الإنسانية التي أحسنت معاملته أثناء (محنته)، وبعض مَن أساء إليه،

وأثرى الدخيل كتابه بأقوال فقهية، وإحصاءات عالمية، وأدبيات وأشعار وطرائف تقف في صالح ـ أو في مواجهة ـ السمنة، والكتاب على صغره (٣٤ صفحة) مفيد ومسلٍّ في نفس الوقت، أنصح الجميع بقراءته ـ السمين والنحيف ـ، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

● وكتبه أبو معاوية البيروتي في ١١/ ٣/ ١٤٣٧هـ (الموافق ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٥م).

١٧٤٧ أسماء عائلات لبنانية (تُودي بداهية).. وأخرى من فئة (مِن الزنّار ونازل)!!

كتب **عبد الفتاح خطّاب** مقالاً طويلاً في جريدة «الدبور» (بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠٠٥م) قَسَّم فيه المئات من أسماء العائلات اللبنانية إلى فئات ترتبط بواقع حال الأشخاص والمجتمع ومجريات الحياة والتاريخ، فهناك أسماء ترتبط بأماكن جغرافية، أو بالأشهر والأيام والفصول، أو بالمأكولات والطعم والنكهة، أو بالديانات والأنبياء والرسل، أو بالصفات والطباع البشرية، أو بالألوان، أو بالصفات والعاهات الجسدية، أو بالمِهَن والحِرَف، أو بالحيوانات والحشرات، وبعض الأسماء فيها إشارة إلى الفخر أو العنف والشدّة.

وختم مقاله بالفئتين الأخيرتين موضوع هذه الفقرة، قال:

وهناك أسماء (تُودِي بداهية) مثل: أفيوني وشمّا ومخدّر وحشّاش وحشيشو وأبو حشيش وبلعه ومعبّي وجنحو وورطان وزابيطا وبارود

وصهيون وصهيوني وهبش وزلط وزليطه وعربيد وبصبوص وبصيبص وأزعور وخزّقه ونشاليان.

وأحياناً تقع الأسماء في فئة (مِن الزنّار ونازل)، ومنها: تيزاني وحبّال وحلّاب وقاروط وشهوان وتابت وأبو حبلي والهبر والهبري وسحّاب وسحبان وخرياطي والفحل وبيضون وبيُّوض والقرق ومطهّر وفرشوخ وطوباجيان وطوزجيان وعكروش ومخسي ومخسيان ومدلج ومانوكيان!

• «نبض الناس» (ص٦٤ - ٦٩/ ط. ٢٠٠٦م).

قلتُ: ومِن أسماء العائلات ما لا يصلح ذكره في هذه الكناشة، لكنه موجود ومسجّل في دوائر الدولة، وقامت بعض تلك العائلات بتغيير اسمها تفادياً للإحراج الشديد!

١٧٤٨ مَن لـم يَكُنْ لَهُ أمٌّ... فليمرْ إلى عبدة بن رياح حتى يجعل له أمًّا!

قال **الحافظ ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» (**٣٧/ ٣٥٧**): قرأتُ على أبي محمد بن عبد الله بن أسد بن عمار بن السويدي، عن عبد العزيز الكتاني، أنا علي بن محمد المقرئ، أنا محمد بن أحمد السلمي، نا أحمد بن عمرو بن جابر (وهو الحافظ أبو بكر الطحان/ ت **٣٣٣هـ**)، نا يزيد بن عبد الصمد، نا أبو مسهر قال: كان له - يعني سعيد بن عبد العزيز - **جليس يقال له هشام بن يحيى الغساني، فقال له يوماً: كان عندنا صاحب شرطة يقال له عبدة بن رياح، وكان ظلوماً، فجاءته امرأة فقالت: إن ابني يعقّني ويظلمني. فأرسل بها في الطريق، فقالوا لها: إنْ أخذ ابنك ضربه أو قتله! قالت: كذا! قالوا: نعم، قال: فمرَّت بكنيسةٍ على بابها شمّاس (وهو خادم الكنيسة)، فقالت: خذوا هذا، هذا ابني. فقالوا له: أجِبْ عبدة بن رياح. فلما مثل بين يديه قال له: تضرب أمك وتعقّها! قال: ما هي أمي، قال: وتجحدها أيضاً! خذوه! فضربه ضرباً**

وجيعاً، وأرسله، فقالت: إنْ أرسلته معي ضربني. قال: هاتوه، فأركبها على عنقه، وقال: كرِّروا عليه النداء. فقالوا: هذا جزاء من يضرب أمه ويعقّها. فمرّ به رجل ممّن يعرفه، فقال له: ما هذا؟ فقال: «مَن لم يَكُنْ لَهُ أُمٌّ فليَمُرْ إلى عبدة بن رياح حتى يجعل له أمًّا»!

١٧٤٩ أين الآن مثل هذه الأمانة؟!

قال **التنوخي** (ت٣٨٤هـ) في «نشوار المحاضرة»: حدثني عبد الله بن أحمد بن بكر البصري، قال: حدثني أبو الحسن محمد بن إسحاق بن عباد النجار، وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة، طال عمره، وحدَّث، وكتبت عنه، ولم أسمع هذه الحكاية منه، قال: كان في جوارنا فلان، فتصدَّق ليلة على ضرير اجتاز به، وهو لا يعرفه، فأراد أن يفتح إحدى صرّتين في كمِّه، في إحداهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فيعطيه درهماً، فأعطاه ديناراً.

وانصرف الضرير، وهو لا يشك أنّ معه درهماً.

فبكر به إلى بقّال يعامله، فقال: خذ هذا الدرهم، واحسب ما لك عليَّ، وأعطني بالباقي كذا وكذا.

فقال له البقّال: يا هذا، من أين لك هذا؟ قال: أعطانيه البارحة فلان.

قال: إنه دينار، فخذه.

فأخذه الضرير، وجاء به من الغد إلى الرجل، وقال: إنك تصدَّقتَ عليَّ بهذا، وأظنّكَ أردتَ أن تعطيني درهماً، وغلطتَ، وما أستحلُّ أخذه مغالطة، فخُذْه.

فقال له الرجل: قد وهبته لك، وإذا كان في رأس كل شهر، فتعال إليَّ، أعطيك شيئاً آخر، مجازاة لأمانتك.

وكان يجيئه في رأس كل شهر، فيعطيه خمسة دراهم.

قال: فلم أرَ أعجب من أمانة البقال والضرير، **ولو كان في هذا الوقت، لجرى الأمر بضد ذلك!**

١٧٥٠ وصف جنازة طبيب أسنان!!

كتب الأديب الفلسطيني **خليل السكاكيني** (١٨٧٨ ـ ١٩٥٣م) في «يومياته» (فصل الأيام من ٢٧/ ١١/ ١٩٣٩ ـ وحتى ٣١/ ١٢/ ١٩٤١م):

مات **يوسف بشارة مناويل** طبيب الأسنان بالقدس، ذهبت بعد ظهر اليوم لحضور جنازته، وهو طبيب أسنان قديم، أخذ طب الأسنان عن طبيب آخر إيطالي اسمه بلياتشو، وقد راجعته في أول عهده بطب الأسنان، خلع لي سنًّا صحيحة قوية كاد يخلع معها حنكي!

ولولا حرمة الموت لامتنعتُ عن المشي في جنازته!!

مشى في جنازته كثيرون، ولو فتّشت لوجدت أنه خلع أسنانهم جميعاً! ولو عاش أكثر لم يبق في فم أحد ناب... اهـ.

طُرفة خازنية: أنا للمقال... وهو للاعتقال!!

عندما أعاد الأديب اللبناني **يوسف الخازن** (١٨٧١ ـ ١٩٤٤م) إصدار جريدة «الأرز» لمؤسّسيها فيليب وفريد الخازن، وضع إلى جانب اسم الجريدة في الصفحة الأولى اسم فريد الخازن مديراً مسؤولاً رغم أنّه لم يكن له علاقة من قريب أو بعيد بالصحافة! فسُئِلَ عن سبب فعله فأجاب:

«أنا للمقال.... وهو للاعتقال!!»

● نكات خازنية (٢/ ٣٦).

١٧٥١ الصحافي مارون عبود يفضح الدولة اللبنانية ونوّابها!!

قرون عديدة توالت على هذا الشعب، وهو في قبضة دولة القوة والاستبداد، لا يعرف النظام ليشتكي ويتألم؛ لأن الشريعة كانت فم

الحاكم، قد كان هذا صبيًّا ووصيّه رؤساء دينه، ونوّابه الذين بدّدوا أمواله في سبيل أهوائهم وأغراضهم، وضحّوا بحقوقه على مذبح أنانيتهم وسيادتهم، ولم يبقوا منها على شيء لنقول لهم آية الكتاب: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾... من عهد الإقطاعات المظلم، إلى زمان المتصرفية، (إلى زماننا)، ولبنان صبي قاصر تلعب به الأهواء والأغراض...

منذ أعوام ونحن في الظلمة لم يطلع الفجر، منذ أعوام ونحن نحمل الحجارة على ظهورنا والطين على أكتافنا لنبني لهم القصور، ولم نزل نسكن الأكواخ.

منذ أعوام وهم يلعبون بنا لعب الصبي بالأكر ويفرقوننا عصابات ليحفظوا سلطتهم ويوطّدوا دعائم سيادتهم!!!

... يرتفع الظالم على كرسي الحكم فيعمل في رقابنا سيف ظلمه... فممّن نطلب حقوقنا المهضومة؟ أمِن هؤلاء النائمين على الكراسي؟... واللهِ إنهم داسوا ويدوسون الشعب إرضاءً لكلٍّ كبير، ويقبّلون أذياله! إن لبنان للبنانيين وليس لكم، يا مَن ختنتموه بأكلكم أمواله التي ائتمنكم عليها، غرَّكم جهله فأضعتم كلّ حقوقه، ولم تقرأوا التاريخ لتعلموا كيف تستفيق الأمم المظلومة وتثأر لنفسها، لم تظنوا أنّ الغد للحق والنور لترجعوا عن غيّكم!

• قال أبو معاوية البيروتي: نقلته باختصار من مقالة الأديب اللبناني أبي محمد مارون عبود (١٨٨٦ ـ ١٩٦٢م) «ما بين حانا ومانا ضاعت لحانا»، المنشورة في ١٩٠٨/٨/١٥م في جريدة النصير/العدد ٢٣٠، وقد ذكر مارون تعرّضه للضرب والاضطهاد بسبب مقالته هذه، وقال: «كان خصومنا يحرِّرون مقالاتهم بزنود رجالهم، وكان حبرنا دم قلوبنا، ومع ذلك لم نتراجع ولم ننثنِ!»

٥٢/١١ بعض أهل السياسة يملكون خطَّ هاتف مقطوع عمدًا!

حدّثني المؤرخ عبد اللطيف فاخوري أن الشاعر أمين اللادقي (ت٢٠١٢م) حدّثه: أنه كان صديقه رياض الصلح (١٣١٠ ـ ١٣٧٠هـ/

١٨٩٣ ـ ١٩٥١م) ـ رئيس وزراء لبنان ـ عنده خط هاتف لا يعمل، ويأتيه الناس بمطالب، فمن لا يستطيع تلبية حاجته ـ ولا يريد أن يحزنه ـ يمسك سمّاعة الهاتف الذي بلا حرارة ويمثّل أمامه أنّه يكلّم شخصاً هامًّا لتعيين الشخص الذي أمامه أو لقضاء حاجته!! ومرّة كان أمين يزور صديقه رياض الصلح وطلب منه حاجة، فلمّا أراد إمساك الهاتف ليتصل قال له أمين: «اتصل من الهاتف الذي فيه حرارة ويعمل، لا الآخر»!! اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: وقفتُ في «ذكريات الطنطاوي» (٢/ ١١) على قصة مماثلة، فقال الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخل **معروف الأرناؤوط** ـ أديب صحفي من هيئة تحرير جريدة «فتى العرب» ـ مرة على واحد من رؤساء الوزارات (أعرفه) كان من عادته أنه يفتح بابه لأصحاب الحاجات، فيسمع منهم ثم يأخذ الهاتف فيكلِّم الموظف (المختصّ) يقول له: «آلو، أنا مرسل إليك فلاناً فاقضِ حاجته حالاً». وكان هذا الهاتف مقطوع الشريط! فدخل عليه معروف بعد أيام ومعه كيس قَدَّمه إليه، فوجد فيه الرئيس قطعة شريط. قال: ما هذا؟ فقال: «مولانا، العفو، جئتُكَ بهذه القطعة لتَصِل بها شريط هاتفك لأنه مقطوع على ما يظهر». فضحك وكلَّمَ له الموظف بالهاتف الثاني.

١٧٥٣ من اقتنى جهاز راديو في نجد قبل أكثر من خمسين عاماً كان...!!

قالت د. **فاطمة بنت محمد العبودي** في مقال «بنات وآباء» (المنشور بتاريخ ٢٦/ ٦/ ١٤٣٣هـ): قبل أكثر من خمسين عاماً اقتنى والدي (الشيخ الرحّالة محمد ناصر العبودي) جهاز راديو ليسمع به أخبار العالم من خلال إذاعة لندن، في وقت كان امتلاك جهاز راديو فيه يُعتَبْر شيئاً مستنكراً ومستهجناً في منطقة نجد! فكان يخفيه عن أعين الناس، وقد أسماه حمد، تمويهاً.

في حال يسأل أحد أخي الأكبر، وكان عمره آنذاك عمر لا يتعدّى

السنوات الخمس، عن والدي فيقول أنه مع حمد أو يستمع إلى حمد. ومع مرور الوقت أصبح الراديو شيئاً مألوفاً يقتنيه أكثر الناس تديناً بعد أن كاد يُوصَف من يقتنيه بالفاسق، وعندما ظهر التلفزيون في المدينة المنورة في أواخر الثمانينيات الهجرية، أخفاه حتى اعتاد الناس عليه. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: حدثتني والدتي حفظها الله، أنه عندما جلب جدي **محيي الدين منيمنة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ جهاز راديو لـمنزله كان الجيران يأتون لرؤيته ويقولون أن شيطاناً يتحدث من داخله!

فائدة: قال **عبد الرحمٰن بن عبد الله التويجري** في «الدرر السنية» (٢٢/ ١٢٧) عن الراديو في سنة ١٣٧٤هـ: قد كانت أحوال الناس في دينهم، من نحو عشر سنين، على الاستقامة، يجتمعون لدرس العلوم الدينية التي هي مجالس الذكر في المساجد، وبعد طلوع الشمس، وبين العشاءين في البيوت، لكل واحد من أهل الدين والصلاح نوبة تخصّه، ويقرأ عليهم بعض طلبة العلم في بعض الكتب الدينية من كتب الحديث والتفسير، ويحضر تلك المجالس الجم الغفير من الناس، من قاصي البلد ودانيه؛ فانعكست الحال وتغيّرت، فصار الفسّاق يجتمعون في بيت واحدٍ منهم، للاستماع إلى هذا الملهى، ضد ما كان أوّلاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

ومن العجب أن كثيراً من السفلة يفتحه على الغناء والطرب، بحضرة بناته وزوجاته وغيرهن من محارمه؛ وبعضهم يخصِّص زوجته أو بنته بواحد، تفتحه متى شاءت على ما شاءت، وهل هذه إلا نوع من الدياثة؟ عياذاً بالله! لأنها إذا اعتادت سماع الغناء وأصوات الملاهي، قَلَّ حياؤها، وربما انتزع منها جلباب الحياء بالكلية؛ فكان الفساد أسرع من السيل إلى منحدره. (أفادني بالأخير الأخ عبد الإله العباسي، وماذا نقول عن زماننا الذي انتشرت فيه وسائل المنكرات بشكل مخيف؟!).

١١٥٤

هو عبد الله بن عياش المنتوف الهمداني الكوفي، كنيته أبو

الجراح، حدَّث عن الشعبي وغيره، وروى عنه الهيثم بن عديّ فأوعب، وكان أحد أصحاب الأخبار ورواة الأنساب والأشعار مع دراية وفهم، وكان كيّساً مطبوعاً صاحب نوادر. **وكان ينتف لحيته**، وكان أبرص. مات سنة ثمان وخمسين ومئة في السنة التي مات فيها أمير المؤمنين المنصور بالله.

كتب إليه معن بن زائدة (قال البيروتي: كان دهريًّا) من اليمن: قد بعثتُ إليكَ بخمس مئة دينار، ومن ثياب اليمن بخمسين ثوباً أشتري بها دينك. فكتب إليه عبد الله: **قد بعتك ديني كلّه ما خلا التوحيد لعلمي بقلّة رغبتك فيه!** قال ابن عياش: فحدَّثتُ بها المنصور، فما زال يضحك منها ويعجب لها.

قال **ثعلب**: كان ابن عيّاش المنتوف عالماً بالمثالب والأنساب شاعراً هجَّاءً، وكان يُتَّقَى لسانه، وكان ينتف لحيته كلَّما طالت. فقال المنصور له يوماً: انظر إلى لحية عبد الله بن الربيع، ما أحسنها! فحلف ابن عياش أنه أحسن منه. فقال ابن الربيع: ما أجرأك على الله، أيها الشيخ. فقال: يا أمير المؤمنين: احلق لحيته، وأقمني إلى جنبه حتى ترى!

وقيل: إنه كان يطعن في الربيع الحاجب في نسبه طعناً قبيحاً، ويقول له: فيك شبه من المسيح، يخدعه بذلك. فكان يكرمه لذلك، حتى أخبر المنصور بما قاله، فقال له المنصور: إنه يريد أنه لا أب لك! فتنكّر له بعد ذلك.

وقال له رجلٌ: لي إليك حاجةٌ صغيرة، فقال: اطلب لها صغيراً مثلها.

وحدّث ابن طاهر عن أبيه عن سلمان البرمكي قال: كان المنصور قد أخذ عهد عبد الله بن عياش بإعفاء لحيته، فلما كان اليوم الذي مات فيه المنصور جعل يصرخ عليه، وينتف لحيته، ويقول: واأمير المؤمنيناه، حتى أتى عليها فهلبها (أي نتفها كلها)!

• اقتطفتُ الترجمة من «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» لياقوت، وللمزيد من أخبار المنتوف انظر «نور القبس» (٢٦٤ ـ ٢٦٧)، وقال عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال»: أخباري صدوق. وعقّب ابن حجر في «لسان الميزان»: كان راوية للأخبار والآداب، ويقع في أخباره المناكير. وانظر عن **نتف اللحية**: «كناشة البيروتي» (١٠٦٢).

١٧٥٥ راعي شرج الملك!!!

من أطرف ما في كتاب الدكتور **بول غاليونجي** عن طب الفراعنة هذه الفقرة عن الطبيب «خوي»، فقد وُجِدَ اسمه مدوَّناً على جدران معابد سقارة وأمامه هذه الألقاب: طبيب القصر الملكي، عميد أطباء القصر الملكي.. المسيطر على سم العقرب.. المبجل لدى إلٰه الطب.. المقرب لدى أنوبيس.. كبير أطباء الوجهين البحري والقبلي.. **راعي الشرج!**

كان الطبيب «خوي» هو راعي شرج الملك تيتي، وهذا يعني أن البواسير والناسور مشكلة قديمة قدم التاريخ، وأنها كانت من أمراض الملوك، وأنها كانت من الأهمية لدرجة أن يلقَّب كبار الأطباء بأن الواحد منهم راعي شرج الملك.

لم أكن وحدي إذن الذي أصرخ من آلام البواسير، فقبل ذلك بثلاثة آلاف سنة كان هناك فرعون عظيم يصرخ مثلي من البواسير اسمه تيتي...

• منقول.

١٧٥٦ يوجد في بيروت شارع الأب شانتور، تفضلوا ترجمته!!

ورقم الشارع هو ٧٢ في منطقة رأس النبع/بيروت، أما شانتور فهو:

الأب كلوديوس شانتور، ولد سنة ١٨٦٥ في مدينة إيزير/فرنسا،

انتسب إلى الرهبنة اليسوعية سنة ١٨٨٨م وتوفي في القاهرة سنة ١٩٤٩م، شغل بين سنتي ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥م قيّماً على المدرسة الفرنسية في القاهرة، انتدبته جامعة ليون الوطنية لتأسيس كليات الحقوق والهندسة في جامعة القديس يوسف في بيروت، فتدرّج فيها من مشرف حتى رئيساً للجامعة، أسّس مستشفى أوتيل ديو والماترنيتيه الفرنسية.

من أبرز نشطاء التبشير النصراني في الشرق في القرن العشرين أبان وهن الخلافة العثمانية، ففي سوريا بدأ التبشير خارج إطار النصارى بعد دخول الاحتلال الفرنسي إلى جبال العلويين، حيث ذهب الأب شانتور رئيس الجامعة اليسوعية مع خمسة من المبشرين وأسسوا ثلاث مراكز للتبشير في المنطقة!

• المصدر: «رأس النبع، ذاكرة الجغرافية والتاريخ» للباحث إبراهيم الصيداني، ط. ٢٠١٦م، ولكن يوجد شارع آخر في منطقة رأس النبع على اسم محدِّث بيروت الكبير، وهو شارع الشيخ محمد الحوت (١٢٠٩ ـ ١٢٧٦هـ)، وسأترجم له في الجزء الرابع من الكناشة إن شاء الله.

١٧٥٧ رئيس الجمهورية اللبنانية يأمر بوقف الأذان بجامع الصيداني!!

بُنِيَ جامع الصيداني (ويُعرف الآن بمسجد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) في منطقة رأس النبع/ بيروت عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، واستلم إمامته **الشيخ درويش كنعان** (١٩١٨ ـ ٢٠١٣م) رحمه الله من عام ١٩٤٧م وحتى عام ٢٠٠٤م.

وفي الخمسينات من القرن الماضي كان اللواء فؤاد شهاب يقطن في «بيوت الضباط» قرب جامع الصيداني (قبل توليه رئاسة الجمهورية عام ١٩٥٨م)، وكان ينزعج من الصوت العالي للأذان والقرآن خاصة في الفجر.

وفي أحد الأيام أرسل للشيخ درويش طلب توقيف الأذان مموّهاً بفعل الأمر، وهذا ما أزعج الشيخ درويش الذي انبرى لحامل الطلب قائلاً: «قل له أنه موظف يمكن إقالته، أما أنا فلا يمكن لأحد إزالتي عن

تأديتي واجبي الديني»!! ثم أدار الشيخ المكبرات نحو «بيوت الضباط» وزاد الصوت، مما دفع بالجنرال فؤاد شهاب أن يرفع دعوى ضد الشيخ. . .

وبفضل الله استمر رفع الأذان في مسجد الصيداني إلى يومنا هذا.

• المصدر: «رأس النبع، ذاكرة الجغرافية والتاريخ» للباحث إبراهيم الصيداني، (ص٩٧/ط. ٢٠١٦م)، وأكّد لي الخبر المؤرخ عبد اللطيف فاخوري.

١٧٥٨ امرأة تؤذّن على منارة أحد مساجد بيروت!!

جاء القائد المصري **إبراهيم باشا** يوماً يتفقد منطقة رأس بيروت، وإذا بامرأة من **آل عيتاني** تصعد إلى إحدى المآذن وتشرع بالأذان! فذهل إبراهيم باشا واستنكر الأمر وأمر بإنزال المرأة وإحضارها، وعندما سألها عن سبب إقدامها على هذه البدعة أجابت: «لقد أخذتم رجالنا وجعلتموهم جنوداً في جيشكم، ولم يبقَ منهم مَن يقوم بمهمة الأذان!».

فسألها: «ومَن لكِ عندنا؟»

قالت: «زوجي وأخي وابني».

فأمر الباشا بإحضارهم وقال لها: «اختاري أحدهم نردّه إليكِ».

فقالت له: «رُدَّ إليَّ أخي».

فسألها: «ولماذا اخترتِ أخاكِ دون زوجك وابنكِ؟!»

فقالت: «الزوج موجود، والابن مولود، أما أخي فإن مات فلن يعود!»

فأمر بردّ الثلاثة معاً إليها.

• قال أبو معاوية البيروتي: نسختها من كتاب «بنو العيتاني، الأصول والفروع» للمحامي محمد زكريا العيتاني، ط. ١٩٨٢م، ولعلَّ المرأة قرأت في كتب التاريخ والأدب تلك القصة المشابهة التي حدثت مع الحجاج بن يوسف الثقفي، فاقتبست الجواب منها. انظر القصة في «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ).

١٧٥٩ رثاء الشاعر صلاح الدين اللبابيدي لزوجته وأخيها على قبرهم قبل أن يُدفَن معهم (وفوائد عن قبور أخرى).

مررت بمقابر الخاشقجي/ بيروت متأمِّلاً حال مَن سبقني، وكان مما رأيته قبر الشاعر **صلاح الدين بن أحمد اللبابيدي** (١٨٩٨ - ١٩٨٧م)، وكُتِب على القبر أنه توفي في **٢١** جمادى الآخرة **١٤٠٧**هـ/ **٢١** شباط **١٩٨٧**م، وقد دُفِنت قبله زوجته **وسيلة محمد اللبابيدي** المتوفاة في ١٧ رمضان ١٣٩٤هـ/ ٣ تشرين أول ١٩٧٤م، فرثاها ببيتين كُتِبا على لوحة القبر هما:

بيوم فراقها نزفت دموعي ... فروحي لم تكن عنها بعيده

وعَفَّت الدمع فالتاريخ أجدى ... وسيلة عند خالقها سعيده

وبيتا الشعر هما تأريخ لموتها على طريقة فن التواريخ الشعرية، وقد عرَّفتُ عنه في ((الكناشة)) (٥٧٦).

قال الشاعر:

فالتاريخ: أجدى (١٨) وسيلة (٥٠٦) عند (١٢٤) خالقنا (٧٨٢) سعيده (٥٤٤) = ومجموع الأرقام (١٩٧٤) وهو سنة وفاتها.

ودُفِن في القبر أيضاً أخو زوجته د. **سليم محمد اللبابيدي**، وأرخ موته بقوله:

أرّختُ يوم قدومه ولقائنا ... فأخي سليم في الجنان رفيقي

وتوفيت **سلمى** ابنة الشاعر صلاح الدين بعده ودُفِنت أيضاً بنفس القبر، وكُتِب بأسفل اللوح:

توفيت في ٢٢ شوال ١٤٣٥هـ/ ١٨ آب ٢٠١٤م.

وقد قُمتُ بالجولة في مقابر الخاشقجي ظهر الأربعاء خامس ذي الحجة ١٤٣٧هـ/ ٧ أيلول ٢٠١٦م، ومما رأيت فيها:

- قبر الشيخ محمد تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير المتوفى غرّة محرم ١٣٩٨هـ/ ١١ كانون الأول ١٩٧٧م، ودُفِن معه ولداه تاج الدين وأسامة.

- وقبر الداعية محمد طاهر اللادقي المتوفى في ٩ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ/ ٢٠ تموز ١٩٧٢م.

- وقبر محمد معين الدين نيازي المولود في باكستان عام ١٩٣٤م، وتوفي في ٢٥ صفر ١٤٠٨هـ/ ١٨ تشرين الأول ١٩٨٧م، وهذا يفيدنا في أصل العائلة، ويُضاف على تعريف العلّامة اللغوي أحمد أبو سعد (١٩٢١ ـ ١٩٩٩م) في كتابه الموسوعي ((معجم أسماء الأُسَر والعائلات)) حيث قال في تعريف عائلة نيازي: من أسماء الذكور عند الجميع، فارسي الأصل بمعنى الحبيب المعشوق.

- وقبر اثنين من أولاد العلامة اللغوي الشيخ مصطفى الغلاييني (١٨٨٥ ـ ١٩٤٤م): محمد سليم المتوفى في ١٤ تشرين الأول ١٩٧٥م، وآمنة المتوفاة في ٥ نيسان ١٩٩٤م، وقبر والدهم موجود في جبّانة الباشورة.

- وقبر ((الفنان شوشو!)) حسن علاء الدين (ت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) وكُتِب على لوح قبره قصيدة شعرية من تسعة أبيات.

- وقبر مكتوبٌ عليه: هذا ضريح أحد أبدال محمية بيروت (!!) الشيخ العارف بالله تعالى... النقشبندي.

- ولوحة قبر مكتوبٌ عليها سورة المُلك بأكملها!

١٧٦٠ في ذكرى أخي الحبيب أبي هاجر إيهاب الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخي الحبيب **إيهاب بن أحمد الحسيني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول ما التقيتُ به كان في مسجد السلطان الفاتح/ بيروت خلال عام ١٩٩٧م، ثم كانت أُخوة طيبة عبر السنين، وتوفي في ٣٠ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ/ ١٢ آذار ٢٠١٣م ـ عن عمر ٤١ سنة ـ متأثراً بمرض السرطان الذي أصابه آخر سنين عمره، جعله الله كفارة لذنوبه، وتوفّي بعده بسنتين والد زوجته العم **بهيج مكوك** في ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٥م، الذي كان صديقاً لوالدي **عبد الرحمٰن البحصلي** (١٩٣٤ ـ ٢٠٠٨م) وزميلاً له منذ صغرهما في مدرسة اللاييك، كما حدّثني أثناء زيارتي له بمنزله، ثم نادراً ما التقيا، حتى اجتمعا في صلوات الجماعة في مسجد السلطان الفاتح آخر عمرهما، رحمهم الله رحمةً واسعةً وأسكنهم فسيح جناته، وكان أخي **إيهاب** قد أرسل لي رسالة ـ وهي موجّهة له ولنا جميعاً! ـ أحببتُ وضعها ـ **كما هي** ـ بالكناشة لتُقْرَأ وتكون في صحيفة أعماله، وخاتمة لهذا الجزء من «الكناشة».

٢٩/ ١١/ ٢٠١٢م ٤١ : ١١م:

إيهاب: لا تقلق ولا تـهتم بجسدك البالي، فأقاربك وأصدقائك سيقومون باللازم:

يجردونك من ملابسك، يغسلونك، يكفّنونك، ويخرجونك من بيتك إلى حفرتك (قبرك)، وسيأتي الكثيرون لتشييع جنازتك، بل سيلغي الكثير منهم أعماله لأجل دفنك، وقد يكون الكثير منهم لم يفكر في نصيحتك يوماً . .

وتأكّد بأن: الدنيا لن تحزن عليك! والعالم والاقتصاد سيستمر!

عملك سيأتي غيرك ليقوم به!

أموالك ستذهب حلالاً للورثة وأنت ستحاسب عن النقير والقطمير!

الحزن ٣ أنواع:

- **الناس** الذين يعرفونك سطحيًّا سيقولون: مسكين!
- **أصدقائك** سيحزنون ساعات ثم يعودون إلى سوالفهم وضحكهم!
- الحزن العميق في البيت!

أهلك، أسبوع، أسبوعين، شهر... ومن ثمّ سيضعونك في الأرشيف

«انتهت قصتك بين الناس! وبدأت قصتك مع الآخرة!»

والسؤال المطروح: ماذا أعددت لقبرك وآخرتك؟!

انتهت رسالة أخي إيهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأثناء مراجعتي للسحب الثاني من «الكناشة»، توفي أخي الحبيب **أبو محمد حسين شعبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الخميس في **١٩** محرم ١٤٣٨هـ/ ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٦م (ولد ١٢/ ٢/ ١٩٥٧م)، ودفناه بعد صلاة الجمعة في مقابر الخاشقجي، وكان أبو محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ رغم أنه ضرير ـ من المحافظين على صلاة الجماعة متى وجد قائداً يقوده للمسجد، وكان حريصاً على التفقه في دينه ونشر العلم والخير بين عائلته وجميع مَن حوله، وكنت أزوره كثيراً عندما كانت الأوضاع مستقرة، وقد أكرمني الله تعالى بمرافقته أثناء أدائه لمناسك العمرة (في ٢٦/٦/٢٠٠٩م)! وأدعو الله الكريم أن يجعل ما أُصيب به من أمراض وعمى ـ والحادث الذي أدّى لوفاته ـ كفارة لذنوبه، وأن يسكنه فسيح جناته. وإنا لله وإنا إليه راجعون!

وبلغني أيضاً وفاة أخي هيثم حمزة المصري غريقاً في صباح الخميس ٥ محرّم ١٤٣٨هـ (٦/ ١٠/ ٢٠١٦م)، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وكان طالب علم خلوق ومحبّ للسُّنَّة، وقد توفي وعمره ٣١ عاماً! وهكذا الموت! هادم لذات الدنيا والمفرّق بين الأحبَّة!! وقد قال الإمام البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قبل وفاته بعشرة أشهر! ـ:

إنْ عشتَ تُفْجَعُ بالأحبَّةِ كلّهم   وفَناءُ نفسِك ـ لا أبا لكَ ـ أفجعُ!!

* * *

فهرس لأهم الأعلام
مع ذكر أرقام الفقرات المذكورين فيها

فهرس الموضوعات